العَصِيدةُ السَّماوِيَّة

شرح العَقِيدةِ الطحَاوِيَّة

من إفادات

صاحب الفضيلة المفتي رضاء الحق حفظه الله تعالى

شيخ الحديث والمفتي بدارالعلوم / زكريا/ جنوب إفريقيا

تحقيق وترتيب

محمد عثمان البستوي

خريج دار العلوم/ ديوبند، وأستاذ بدار العلوم زكريا/ جنوب إفريقيا

نقله إلى العربية

الأستاذ/ محمد عارف جميل القاسمي المباركفوري

أستاذ بدار العلوم/ ديوبند، الهند/ مساعد تحرير مجلة «الداعي»

الجزء الثاني

الناشر

دار العلوم زكريا، لينيشيا، جنوب إفريقيا



٨٣- وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ[1].

المسح على الخفين من علامات أهل السنة والجماعة:

المسح على الخفين في السفر والحضر من علامات أهل السنة، وبلغت أحاديث المسح على الخفين حد التواتر. قال الإمام الكرخي رحمه الله: «أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين، لأن الآثار التي وردت فيه في حيز التواتر».(المبسوط للسرخسي ١/ ١٧٧)

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «ما قلت بالمسح حتى جاءني فيه مثل ضوء النهار». (المبسوط للسرخسي ١/ ١٧٧)

وقال الإمام أحمد رحمه الله: روي عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نحو أربعين حديثًا مرفوعًا وموقوفًا في المسح على الخفين. (التلخيص الحبير ١/ ٤١٥)

وقال الحسن البصري:«أدركت سبعين نفرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرون المسح على الخفين». (المحيط البرهاني ١/ ٢٠٧)

وقال الحافظ ابن حجر: «وقد صرَّح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر، وجمع بعضهم رُواته فجاوزوا الثمانين، ومنهم العشرة (المبشرة)».(فتح الباري ١/ ٣٠٥)

روي المسح على الخفين عن كثير من الصحابة بطرق عدة، قال الإمام البزار في حديث المغيرة بن شعبة: روي من ستين طريقا، ذكر ابن مندة منها (٤٥) طريقًا.(التلخيص الحبير ١/ ٤١٥)

هذا فرع فقهي، ولكن الروافض ينكرون المسح على الخفين فذكره المصنف هنا. وعليه عد الإمام أبو حنيفة المسح على الخفين من علامات أهل السنة؛ «إن أبا حنيفة سُئِل عن مذهب أهل السنة والجماعة، فقال: هو أن تُفضِّل الشيخين، وتُحِبّ الختنين، وترى المسح على الخفين».(البحر الرائق ٢/ ١٣٨)

الختنان هما: عثمان وعلي رضي الله عنهما. وفي ذكر حبهما ردٌّ على الخوارج فإنهم يبغضونهما. والإباضية فرقة من فرق الخوارج، قرأتُ في كتبهم :«أبو بكر وعمر وعنهما الترضي، عثمان وعلي وعنهما التبرئ ». ولا يعني «تحب الختنين» أنه لا فضل لعثمان على علي؛ بل يرى أصحاب أبي حنيفة رحمه الله أن عثمان رضي الله عنه أفضل من علي رضي الله عنه.

---

(١) في ٦، ١٩ «في الحديث الأثر». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

وكانت الكوفة وما حولها من «حروراء» يكثر فيها الروافض والخوارج، وكانت الروافض تبغض عثمان رضي الله عنه، وأما الخوارج فتعادي عثمان وعليا رضي الله عنهما، ولا يقول أحد الفريقين بالمسح على الخفين، فعد الإمام أبوحنيفة المسحَ على الخفين، وحبَّ الختنين من علامات أهل السنة.

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: المسح على الخفين أفضل من غسل الرجلين إذا لبسهما بشرائطه؛ ليكون ردًّا على الروافض والخوارج. قال: «والذى اختاره أن المسح أفضل لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض». (فتح الباري ١/ ٣٠٦)

ثم قال: «وإحياء ما طعَن فيه المخالفون من السنن أفضل».(فتح الباري ١/ ٣٠٦)

قال في «المحيط البرهاني»: جعل أنس رضي الله عنه المسح على الخفين من علامات أهل السنة والجماعة. «عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن السنة والجماعة، فقال: أن تحب الشيخين، ولا تطعن في الحسنين، وتمسح على الخفين» . (المحيط البرهاني ١/ ٢٠٧. نظم المتناثر، للكتاني، ص٣٦٣. ولم أجده في كتب الأحاديث والآثار).

رد الشيخ السقاف على المؤلف بأسلوب مليء بالازدراء، وإنكاره أن يكون المسح على الخفين مجمَعًا عليه:

رد الشيخ السقاف على كلام المؤلف هذا ردًّا مليئًا بالازدراء بأن هذا الفرع يخص الفقه، لا العقائد. وذكره في العقائد يشبه أن يقول قائل: أعتقد أن الفجر ركعتان، في كل ركعة ركوع وسجدتان.(صحيح شرح العقيدة الطحاوية، للسقاف، ص٦٤٣)

سبق فيما مضى أنه فرع فقهي، والروافض وغيرهم ينكرون المسح على الخفين، فذكره المؤلف هنا. كما أن الإمام النسفي رحمه الله ذكر هذا الفرع وأمثاله في «العقائد النسفية»، والعلامة التفتازاني في شرحه في باب التوحيد. وعدَّه الإمام أبو حنيفة من علامات أهل السنة والجماعة.

قال الشيخ السقاف: قالت الزيدية والإمامية والإباضية بعدم جواز المسح على الخفين. وهو قول الإمام مالك الأخير. (صحيح شرح العقيدة الطحاوية، للسقاف، ص٦٤٣)

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «نقل ابن المنذر عن ابن المبارك قال: ليس في

المسح على الخفين عن الصحابة اختلاف، لأن كل من روي عنه منهم إنكاره فقد روي عنه إثباته. وقال ابن عبد البر: لا أعلم روي عن أحد من فقهاء السلف إنكاره إلا عن مالك مع أن الروايات الصحيحة عنه مصرحة بإثباته». (فتح الباري ١/ ٣٠٥)

تعقب الشيخ سعيد فودة في «الشرح الكبير» على الشيخ السقاف على أحسن وجه، وأجاب عما أثار من الإشكالات. (الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية ٢/ ٨٧٠-٨٧١)

إيراد: تفيد قراءة متواترة في القرآن الكريم أن المسح على الرجلين مأمور به، قال تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ (المائدة: ٦) وقراءة جر اللام من (أَرْجُلِكُمْ) قراءة متواترة.

الجواب: (١) قراءة النصب أيضًا متواترة، تفيد أن الرجلين مغسولتان. فتحمل قراءة الجر أيضًا على الغسل. وذلك بأن المسح معناه إمرار اليد المبتلة. وهو على قسمين: ١-إمرار اليد المبتلة من غير غسل. ٢-إمرار اليد المبتلة مع غسل خفيف. وهذا المعنى دل عليه الحديث. ففي صحيح البخاري: «فجعلنا نَتَوضَّأ ونمسَح على أرجُلِنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار». (رقم:١٦٣)

غسل الرجلين يستنفد ماءً أكثر فأطلق عليه المسح بمعنى الغسل الخفيف.

٢- أو قراءة الجر محمولة على حالة لبس الخفين. وقراءة النصب محمولة على غير حالة لبس الخفين. قال الملا علي القاري: «قرىء بالنصب في السبعة الأظهرُ في الغسل، والجر الأظهر في المسح، وهما متعارضان، وبحسب الحكم مبهمان، فبيَّنهما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسحهما حالَ لبس الخفين وغسلهما عند كشف الرجلين». (منح الروض الأزهر، ص٢٢٦)

٣- أو تحمل قراءة الجر على الوضوء على الوضوء. فيجوز المسح في الوضوء على الوضوء؛ لأنه على وضوء من ذي قبلُ.

٤- أو تحمل قراءة الجر على جر الجوار، أي جُرَّ لأجل جوار (بِرُءُوسِكُمۡ)، نحو: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ۝٢٣﴾ (الواقعة) فقد قرئ بالجر أيضًا لجوار ﴿وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ (الواقعة: ١٨)

٨٤- وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ[1] مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ[2] مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ[3]، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ[4]، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا[5].

الجهاد لغةً واصطلاحًا، وأقسام الجهاد:

الجهاد لغة: بذل الوسع لحفظ الدين أو الدفاع عنه، وهو على وجوه وصور وأقسام مختلفة. فأقسامه بالنظر إلى الآلة والوسيلة ما يلي:

١- الجهاد باللسان.

٢- الجهاد بالسنان أو الجهاد بالسيف، وهو الجهاد المصطلح عليه.

٣- الجهاد بالمال.

٤- الجهاد بالعلم، والقلم.

٥- الجهاد بالمنصب: استخدام المرء منصبه ومرتبته للدين.

٦- الجهاد بالرأي. استعمال الرأي والتدبير للدين.

ثم الذين يُجاهَدُون على عدة أقسام:

١- الجهاد في مقابلة النفس. في رواية: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». (الزهد الكبير، للبيهقي، رقم:٣٤٣. وفي إسناده ابن غزوان وهو متهم بالوضع) . قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ (النازعات)

وفي رواية : «من عَشِق فعَفَّ فمات فهو شهيد». (اعتلال القلوب للخرائطي، رقم:١٠٦، وصحَّحه ابن حزم، والحافظ علاء الدين مغلطائي، والحافظ السخاوي، والنووي، وأبو الوليد الباجي والقشيري وابن الصائغ)

٢- الجهاد ضد الشيطان. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢٠٨)

---

(١) قوله «فرضان» سقط من ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٣٦. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٢) قوله «أولي الأمر» سقط من ١٩. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ١٢ «من أئمة الأمور». وفي ٥، ٢١، و٢٥ «من المسلمين». وفي ١١، ١٥، «مع برهم». والمعنى سواء.

(٤) قوله «إلى قيام الساعة» سقط من ١. وسقط من ٨ قوله «فاجرهم». والمثبت من بقية النسخ.

(٥) قوله «ولا ينقضهما» سقط من ٢، ٢٥. وفي ١، ١٦، ١٨، ٢١ «ولا ينقصهما». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

٣- الجهاد ضد الكفار المعاندين، وهذا هو الجهاد المصطلح.

٤- الجهاد ضد الفساق. أي: السعي لإصلاح حال الفساق والفجار.

٥- الجهاد ضد المنافقين. وهو إفشال مكايد المنافقين الخفية، كما هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الضرار، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ (التحريم: ٩)

أشارت الآية الكريمة إلى الجمع بين الجهاد ضد الكفار والمنافقين، فالجهاد ضد الكفار بالسيف، وضد المنافقين باللسان.

٦- الجهاد ضد المبتدعة. أي: الرد على أهل البدع، ومحاولة أخذهم إلى الطريق المستقيم، وكشف الشبهات والاعتراضات، والجواب عنها.

في الحديث: «قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قالوا: ثم مَن؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره». (صحيح البخاري، رقم:٢٧٨٦)

وقال عليه السلام: «قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». (كتاب الزهد للبيهقي، رقم:٣٧٤، وإسناده ضعيف)

وقال عليه السلام: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».(سنن أبي داود، رقم:٢٥٠٤، وإسناده صحيح)

وقال عليه السلام: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هاجر الخطايا والذنوب».(مسند أحمد، رقم:٢٣٩٥٨، وإسناده صحيح)

فهذه الأمثلة جهاد لا قتال.

والجهاد والقتال بينهما عموم وخصوص من وجه، ويستلزم ذلك ثلاثة وجوه: يجتمعان في واحد، وينفرد كل واحد منهما في وجهين.

وغزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الخلفاء يجمع بين الجهاد والقتال. وأما الملوك الذين قاتلوا للملك وفرض هيبتهم فهو قتال وليس بجهاد.

والسعي الديني أو الدعوة إلى الدين ضد الشياطين والمنافقين جهاد، دون قتال.

ثم الجهاد على قسمين: جهاد الدفاع، وجهاد الطلب. ومثال جهاد الدفاع: غزوة أحد،

والخندق. قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٠)

وجهاد الطلب: إذا زرع أعداء الإسلام العقبات في سبيل دعوة الدين، ولم يستسيغوا وجود الإسلام والمسلمين، وأقاموا سوق الظلم والاضطهاد، وتحولوا حيات وعقارب، وتجاوزوا حدود الكبرياء والأنانية، أذِنَ بالجهاد تحت أمير المؤمنين، فيما إذا قوي المسلمون على مقاومة الظالمين والمضطهدين.

الحج والجهاد فريضتان على الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة:

الحج والجهاد شاقَّان، يتطلبان مفارقة الأهل، والعيال، والراحة، والخروج من البيت، والتضحية بالنفس، فأفرد المؤلف بذكر فرضيتهما إلى يوم القيامة. وأن هاتين العبادتين ترجعان إلى السفر والرحلة. وفي حاجة – لمقاومة العدو اتخاذ التدابير اللازمة– إلى أمير يقوم بأمرهما. ولا يشترط العدل لتولي الحكم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الإمام الفاجر أيضًا فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خيار أئمتكم الذين تُحِبُّونهم ويُحِبّونكم، وتُصَلّون عليهم ويُصَلّون عليكم، وشِرار أئمتكم الذين تُبغِضُونهم ويُبغِضونكم، وتَلعَنُونهم ويَلعَنونكم»، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من وُلِّيَ عليه والٍ، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة». (صحيح مسلم، رقم:١٨٥٥)

يجب الحج على من استطاع إليه سبيلا، وهو من شعائر الإسلام أيضًا، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)

تدل الآية الكريمة على فرضية الحج إلى يوم القيامة؛ لأنها أطلق الحكم، دون تقييده بزمن من الأزمان.

وكذلك آيات الجهاد في الإسلام مطلقة، دون تقييد بزمن من الأزمان.

يقوم الحج والجهاد عامة تحت أمير من الأمراء، فقال المؤلف: «مع أولي الأمرِ من أئمَّةِ المسلمين». ولا يشترط وجود الأمير لفرضية الجهاد، قال العلامة القونوي: «وقوله: «مع أولي الأمر» إنما خرج هذا مخرج العادة، فإن الحج والجهاد إنما يقامان على وجه الجمع، لا أنه

ليس بمشروع إلا بالجمع». (القلائد في شرح العقائد، ص ١٢٣-١٢٤، مخطوط)

ساق الإمام البخاري رحمه الله في «باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر» حديثَ عروة البارقي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم». (صحيح البخاري، رقم:٢٨٥٢)

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل». (سنن أبي داود، رقم:٢٥٣٢. وسنن سعيد بن منصور، رقم:٢٣٦٧. ومسند أبي يعلى، رقم:٤٣١١. وإسناده ضعيف)

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، بَرًّا كان أو فاجرًا». (سنن أبي داود، رقم:٢٥٣٣، وإسناده منقطع)

ذكر المؤلف الحج والجهاد مقرونين، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الحج المبرور أفضل من الجهاد. عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور».(صحيح البخاري، رقم:٢٧٨٤)

وفي نص المؤلف هذا ردٌّ على الروافض، القائلين بعدم الجهاد إلا بإمام معصوم، ويعتبرون أئمتهم معصومين.

وتأثرا بعقائد الشيعة والزيدية والمعتزلة قال الشيخ السقاف: كان الإمام الطحاوي رحمه الله متفاعلا مع الفكرالأموي، وهو الأمر الذي حمله على ذكر هذه الفروع في العقائد، قال: «هذا الذي قاله المصنف رحمه الله تعالى غير صواب فضلاً عن أنَّ ما ذِكرَه ليس مناسبًا في أبواب العقائد، والظاهر أن الزمن الذي كانوا يعيشون فيه اضطرهم لقول ذلك، تقليدًا لمن كان قبلهم ممن أثَّر فيهم الفكر الأموي، ثم فكرة الجبابرة العباسيين الذين نهجوا نفس النهج في هذه القضية، والمُكرَه له أحكام». (صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص٦٥٢)

وقال الشيخ سعيد فودة ردًّا عليه: «وإرجاع السقاف قول الطحاوي إلى تأثره بالفكر الأموي قدح في الطحاوي، وفي كل من قال بقوله، ثم هذه النزعة من السقاف تأثر بالشيعة والزيدية وبعض المتأثرين بهم من المعتزلة في هذا العصر، ولو أنصف لما تفوه بذلك. وجعله الطحاويَّ بحكم المكرَه فيه استخفاف كبير به – كما لا يخفى- وفيه قدح في عدالة الطحاوي، فإن الذي يُودع في متن من المتون مثل هذه المسائل لمجرد كونه مضطرًّا، ثم لا يشير إلى أنه إنما

فعل ذلك اضطرارًا وسكت عنه، وتابعه العلماء من بعده على ذلك، فلا شك أنه بهذا يرضى أن ينسب إلى الدين ما ليس منه، ويروج ذلك عند الناس، وفي هذا قدح بكل العلماء الذين رضوا بهذا الفعل». (الشرح الكبير ٢/ ٨٧٤)

وقال الشيخ السقاف في موضع آخر: «فكرة عدم الخروج على أئمة الجور ليست صحيحة، وهي مخالفة للقرآن والسنة وعمل الصحابة وأئمة التابعين من أهل السنة والجماعة، وخلف من بعدهم خلْف غيّروا وبدّلوا هذه الفكرة خوفًا من التنكيل والتعذيب قهرًا وذلةً واستكانةً، وتقيةً من سيف وسوط بني أمية الذين بغوا وطغوا». (صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص٦٣٦)

وقد علم في ضوء الأحاديث المذكورة أن إباحة الصلاة خلف غير العادل، وكذلك الصلاة على غير العادل ليس من ثمار الفكر الأموي؛ بل أصل الشريعة.

خمسة مواقع للجهاد عند الشيعة:

كان شيخنا وأستاذنا المفتي محمود حسن رحمه الله يقول: جاءني في سهارن فور شيعي، فقلت له: مواقع الجهاد عند الشيعة خمسة:

(١) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) مع علي رضي الله عنه ضد معاوية رضي الله عنه وغيره.

(٣) مع الحسن رضي الله عنه ضد معاوية رضي الله عنه قبل الصلح.

(٤) مع الحسين رضي الله عنه ضد يزيد.

(٥) مع المهدي في آخر الزمان. فسلَّم هذا القانون.

قال حضرة المفتي: جاهد المسلمون أهلَ اليمامة بقيادة خالد بن الوليد على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وشهده علي رضي الله عنه، فغنم أمة اسمها: خولة بنت يمامة الحنفية، تعرف بالحنفية، التي ولدت له ابنه محمد بن الحنيفة. فهل كان هذا جهادا أو فسادا عندكم؟ فإن كان فسادًا فما حكم مباشرة علي إياها وولادة ابنه منها؟ ثم اعلم أنهم جاهدوا يزدجرد المجوسي على عهد عمر رضي الله عنه عام ١٤هـ، فأسروا ثلاثًا من بنات يزدجرد، وأسلمن جميعًا. وقعت واحدة منهن في ملك محمد بن أبي بكر، وولدت له القاسم بن محمد، لا أسألكم عنها، والثانية وقعت في سهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فولدت له سالم بن

عبد الله، ولا أسألكم عنها أيضًا، والثالثة وقعت في سهم الحسين رضي الله عنه، فولدت له الإمام الرابع زين العابدين. وأسألكم عنها: إذا لم يكن الجهاد على عهد عمر جهادًا بل فسادًا، ما حكم مباشرة الحسين إياها وولادة الإمام الرابع منها؟ وإذا كان نسب السادات يرجع إلى زين العابدين، فكيف كان نسبهم؟ فلم يرد عليَّ الشيعي بشيء. (الرد على الشيعة، من أمالي المفتي محمود حسن الكنكوهي، ترتيب: المفتي محمد فاروق، ص ٢٩-٣٠).

على حسب عقيدة الشيعة اختفى الإمام الثاني عشر: محمد بن الحسن العسكري، وهو ابن خمس سنوات، عام ٢٦٠هـ في غار «سُرَّ من رآه» - ويقال: «غار سِرْ مَنْ»، ويقع الآن في مدينة «سامراء». وسامراء كلمة محرفة من «سُرَّ من رآه». ويخرج منها قرب الساعة المهدي في زعمهم، فيقاتل معه الروافض، وينكرون الجهاد قبل خروجه وبروزه.

والحق أنها أسطورة من الأساطير، فليس للحسن العسكري ابن، ولذا ورثه جعفر، قال ابن حجر الهيتمي: «ورواية كونه من ولد الحسين واهية جدا ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة...، ومما يرد عليهم ما صح أن اسم أبي المهدي يوافق اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبي محمد الحجة لا يوافق ذلك...، والكثير على أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدل طلبه أن أخاه لا ولد له، وإلا لم يسعه الطلب. وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري، وأنه لم يثبت له ولد، بعد أن تعصب قوم لإثباته، وأن أخاه جعفرا أخذ ميراثه، وجعفر هذا ضللته فرقة من الشيعة ونسبته للكذب في ادعائه ميراث أخيه، ولذا سموه، واتبعه فرقة وأثبتوا له الإمامة. والحاصل أنهم تنازعوا في المنتظر بعد وفاة العسكري على عشرين فرقة، وأن الجمهور غير الإمامية على أن المهدي غير الحجة...، ثم المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته فكيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة مَن عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبيًّا مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يخبر به، وما ذلك إلا مجازفة وجراءة على الشريعة الغراء». (الصواعق المحرقة ٢/ ٤٨٢)

٨٥- وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِيْنَ، فَإِنَّ[1] اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِيْنَ.

كلف الله تعالى ملكين يكتبان ما يأتيه المرء من خير أو شر:

مع كل إنسان ملكان، أحدهما عن يمينه والأخر عن شماله. والذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ولا يخفى عليهما عمل من أعمال البشر. ويصعد كتبة أعمال النهار في صلاة العصر إلى السماء، وينوب عنهما ملكان آخران لكتابة أعمال الليل. ثم ينصرفان في صلاة الفجر، وينوبان عنهما ملكان يكتبان أعمال النهار. ويطلق على هؤلاء الملائكة «الكرام الكاتبون». ويكتب هؤلاء الملائكة أعمال الإنسان ويحفظانها. ويعرضانها يوم القيامة على الناس.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ (الانفطار)

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف: ٨٠)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ (يونس: ٢١)

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ (ق)

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: «مع كل إنسان ملكان: ملك عن يمينه، وآخر عن شماله، فأما الذي عن يمينه فيكتب الخير، وأما الذي عن شماله فيكتب الشر». (الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي، ص٨٩. تفسير الطبري، ق:١٧)

وقال ابن جريج: «ملكان، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، وملك عن يساره يكتب السيئات، فالذي عن يمينه يكتب بغير شهادة من صاحبه، والذي عن يساره لا يكتب إلا عن شهادة من صاحبه، إن قعد فأحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وإن مشى فأحدهما أمامه والآخر خلفه، وإن رقد فأحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه».(التوبة لابن أبي الدنيا، رقم:٢٠١. والحبائك في أخبار الملائك، ص٨٩)

لا يعمل الإنسان عملا إلا كتب في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض. وجعل الله تعالى على الإنسان ملائكة يكتبون الأعمال ترغيبًا لهم في الحسنات وتحذيرًا من

---

(١) في ١، ٣، ٦، ٩، ١٠، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٦ «وأن». وفي ٤ «ونعلم أن». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

السيئات. ومن فضل الله تعالى أن جعل الحسنة الواحدة تعدل عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف. وجعل السيئة الواحدة لا تعدل إلا واحدة. فإذا تاب العبد واستغفر عفي عنه.

قال تعالى: «إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف». (صحيح البخاري، رقم:٧٥٠١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: «كاتب الحسنات عن يمينه يكتب حسناته، وكاتب السيئات عن يساره، فإذا عمل حسنة كتب صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه حتى يسبح أو يستغفر، فإذا كان يوم الخميس كتب ما يجري به الخير والشر، ويلقى ما سوى ذلك، ثم يعرض على أم الكتاب فيجده بجملته فيه». (الحبائك في أخبار الملائك، ص٩٢)

ويعرض على المرء يوم القيامة ما عمل من الحسنات والسيئات التي كتبها الملائكة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ (آل عمران: ٣٠)

ومن الجدير بالذكر أن كتابة الكرام الكاتبين أعمال البشر مما دل عليه الكتاب والسنة. وأما بم يكتب الملائكة؟ وعلى أي شيء يكتبون؟ فلم يتعرض له الكتاب والسنة. فنفوض علمه إلى الله تعالى.

مع كل إنسان ملائكة غير الكرام الكاتبين:

وعلاوة على هؤلاء الملائكة –الذين يقال لهم: كراما كاتبين– ملائكة آخرون مأمورون بحفظ الإنسان وصيانته. قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ (الرعد: ١١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم –وهو أعلم بهم–: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». (صحيح البخاري، رقم:٥٥٥. صحيح مسلم، رقم:٦٣٢)

روى ابن كثير عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه قال: «ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه». (تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٨)

قال ابن المبارك: «وكل به خمسة أملاك: ملكان بالليل، وملكان بالنهار، يجيئان ويذهبان، وملك خامس لا يفارقه ليلا ولا نهارًا». (الحبائك في أخبار الملائك، ص٨٩)

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد، إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلمَ، فلا يأمرني إلا بخير». (صحيح مسلم، رقم:٢٨١٤. ومسند أحمد، رقم:٣٦٤٨)

قال الشيخ ابن أبي العز تعليقًا على هذا الحديث: «أسلمَ» بفتح الميم. أي: فاستسلم وانقاد لي. ومن روى بضم الميم فقد حرف تحريفًا لفظيا. ومن قال: آمن الشيطان، فقد حرف تحريفًا معنويًّا؛ لأن الشيطان لا يؤمن.(شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز٢/ ٥٥٩-٥٦٠)

وكلامه هذا غير صحيح؛ لأن الحديث ورد بلفظ «الجن»، وفيهم مؤمنون، وكافرون. و الكافر يطلق عليه «الشيطان». وأما من أسلم فلا يطلق عليه «الشيطان». قال الحافظ ابن حبان: «في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى صلى الله عليه وسلم أسلم حتى لم يأمره إلا بخير، لا أنه كان يسلم منه وإن كان كافرًا». (صحيح ابن حبان ١٤/ ٣٢٨)

وقال الإمام الطحاوي: «فوقفنا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان في هذا المعنى كسائر الناس سواه، وأن الله أعانه عليه فأسلم بإسلامه الذي هداه له حتى صار صلى الله عليه وسلم في السلامة منه بخلاف غيره من الناس فيمن هو معه من جنسه». (شرح مشكل الآثار ١/ ١٠٣)

فعلمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كعامة الناس في مصاحبة الشيطان لهم، ولكن الله تعالى أعانه على الشيطان، فأسلم بإرشاده وهدايته. ووقيَ صلى الله عليه وسلم شره، بخلاف عامة الناس.

يكتب الملائكة كل عمل أو ما يترتب عليه الجزاء أو العقوبة؟:

سؤال: هل يكتب الملائكة المباحات أم لا ؟

تفيد رواية ابن عباس رضي الله عنهما السابقة أن الملائكة يكتبون الأعمال التي لا

يترتب عليها الخير والشر أيضًا. قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد: ٣٩): معناه: يمحو الله تعالى أعمال العباد، التي لا صلة لها بالخير والشر، أو الأعمال السيئة التي يتوب العبد منها، أو ما يتجاوزه الله تعالى وإن لم يتب. ساق ابن الجوزي رحمه الله ثمانية أقوال للمفسرين في تفسير الآية. (زاد المسير ٢/ ٤٩٩).

ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما تفيد أن الملائكة لا يكتبون المباحات، قال: «لا يكتب إلا ما فيه أجرٌ أو وِزرٌ». (الاختيار لتعليل المختار ٤/ ١٨٠)

وذهب أكثر العلماء إلى أن الملائكة يكتبون المباحات أيضًا، قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨).

وقال بعض أهل العلم: تُمحى المباحات يوم الاثنين ويوم الجمعة. قال تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد: ٣٩)

وقيل: تشطب المباحات من السجل يوم القيامة.

وقيل: يكتب كلُ شيء حتى الأنين في المرض.

قال العلامة الآلوسي: «اختلف فيما يكتبانه فقال الإمام مالك، وجماعة: يكتبان كل شيء حتى الأنين في المرض، وفي شرح الجوهرة للقاني: مما يجب اعتقاده أن لله تعالى ملائكة يكتبون أفعال العباد من خير أو شر أو غيرهما، قولًا كانت أو عملًا أو اعتقادًا، همًّا كانت أو عزما أو تقريرا، اختارهم سبحانه لذلك، فهم لا يهملون من شأنهم شيئا فعلوه قصدًا وتعمدًا أو ذهولًا ونسيانًا صدر منهم في الصحة أو في المرض، كما رواه علماء النقل والرواية انتهى. وفي بعض الآثار ما يدل على أن الكلام النفسي لا يكتب، أخرج البيهقي في «الشعب» عن حذيفة بن اليمان أن للكلام سبعة أغلاق إذا خرج منها كتب وإن لم يخرج لم يكتب: القلب، واللها، واللسان، والحنكان، والشفتان، وذهب بعضهم إلى أن المباح لا يكتبه أحد منهما؛ لأنه لا ثواب فيه ولا عقاب، والكتابة للجزاء، فيكون مستثنى حكما من عموم الآية. وروي ذلك عن عكرمة. وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم وصححه، وابن مردويه من طريقه عن ابن عباس أنه قال: إنما يكتب الخير والشر، لا يكتب يا غلام أسرج الفرس، ويا غلام اسقني الماء، وقال بعضهم: يكتب كل ما صدر من العبد حتى المباحات، فإذا عرضت أعمال يومه محي منها المباحات، وكتب ثانيًا ماله ثواب أو عقاب، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾. (روح المعاني، ق:١٨ . وانظر أيضًا: فتح الباري ١٣/ ٥٢٣)

٨٦- وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِيْنَ.[1]

ملك الموت واحد، وله أعوان كثيرون:

نؤمن بأن الله تعالى جعل ملكا واحدا لقبض أرواح كل حي في الكون، ويسميه القرآن الكريم «ملك الموت». وملك الموت واحد، وله أعوان كثيرون. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١١)

وقال في موضع آخر: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦١) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (الأنفال: ٥٠) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ (الأنعام: ٩٣) ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (النحل: ٢٨) ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٢)

والله تعالى خالق كل شيء؛ فنسب إلى الله تعالى حينا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)

وفصَّل الحديث النبوي قبض روح المؤمن والكافر، وما بعده من الحالات، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين، أو ثلاثا، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان». قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض». قال: «فيصعدون بها، فلا يمرون، يعني بها، على ملإٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟

---

(١) في ٢٤ بعده زيادة «كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾» (السجدة: ١١)

فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى». قال: «فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة». قال: «فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره». قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي، ومالي». قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب». قال: «فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: ٤٠)فيقول الله عز وجل: «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا». ثم قرأ:﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج: ٣١) «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول:

هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب: لا تقم الساعة».

أخرجه أحمد في «المسند»، رقم:١٨٥٣٤، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح». وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»، رقم:٣٩٠، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد». وأخرجه ابن مندة في ا«لإيمان»، رقم:١٠٦٤، وقال: «هذا إسناد متصل مشهور. رواه جماعة، عن البراء، وكذلك رواه عدة عن الأعمش، وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرج عنه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرج عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة. وروي هذا الحديث عن جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وعائشة رضي الله عنهم». وأورده المنذري في «الترغيب» (٤/ ١٩٧) وقال: «هذا الحديث حديث حسن رواته محتج بهم في الصحيح». وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٠) وقال: «هو في الصحيح وغيره باختصار. رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح».

وقال ابن حزم في «المحلى» (١/ ٢٢): «لم يرو أحد أن في عذاب القبر رد الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي». فتعقبه ابن القيم في «الروح» (ص٤٦) بقوله: «هذا من مجازفته، فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان، منهم عدى بن ثابت، ومحمد بن عقبة، ومجاهد».)

صحَّح عدد من المحدثين هذا الحديث، كما رأيته. ورغم ذلك يستشكله إخواننا في منظمة «الإشاعة». فرأينا من المناسب ذكر رجال إسناد هذا الحديث باختصار:

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، قال:...

١- قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» في زاذان: «صدوق يُرسِل، فيه شيعية».

قال الشيخ بشار عواد، والشيخ الأرنؤوط تعليقًا عليه: «بل: ثقة، فقد وثقه يحيى بن معين، وابن سعد، والعجلي، وابن شاهين، والخطيب، والذهبي. وانفرد ابن حبان، فقال:

كان يخطئ كثيرًا. ولعل الخطأ ممن روى عنه، فقد قال ابن عدي: أحاديثه لا بأس بها إذا روى عنه ثقة». (تحرير تقريب التهذيب ١/ ٤٠٩)

٢- منهال بن عمرو، قال الحافظ ابن حجر فيه في «تقريب التهذيب»: «صدوق ربما وهم».

قال الشيخ بشار، وشعيب الأرنؤوط تعليقًا عليه: «بل: ثقة، فقد وثقه الأئمة: ابن معين، والنسائي، والعجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ولم يجرح بجرح حقيقي، فقد روي عن شعبة أنه تركه عن عمد، لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب -أوغناء فيما قيل-، وهذا كل الذي قيل فيه فكان ماذا؟ ولذلك أخرج له البخاري في «الصحيح». (تحرير تقريب التهذيب ٣/ ٤٢١-٤٢٢)

٣- الأعمش، هو سليمان بن مهران ثقة حافظ، لكنه يدلس. وقد صرَّح بالتحديث. كما في «المستدرك» للحاكم، رقم:١٠٧، من طريق يحيى بن يحيى، أنبأ أبو معاوية، عن الأعمش، ثنا المنهال بن عمرو...

قال بعضهم: في الأعمش تشيع. وليس في هذا الحديث ما يؤيد مذهب التشيع، والأعمش في الأصل حافظ ومصحف صدق.

٤- وأبو معاوية، هو محمد بن حازم ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش. كذا في «التقريب».

فالحديث رجاله ثقات، ولا شك في صحته، كما قال ابن القيم وغيره رحمه الله تعالى.

اسم ملك الموت:

لم يصرح القرآن الكريم ولا الحديث النبوي باسم ملك الموت؛ ووردت بعض الآثار باسم ملك الموت، وهو «عزرائيل». قال الإمام القرطبي: «ملك الموت اسمه عزرائيل، ومعناه: عبد الله».(الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٩٣. ومثله في فتح القدير ٤/ ٢٥٠. والدر المنثور ١١/ ٤٨٦. وأضواء البيان ٦/ ٤٠٥. وفيض القدير ٣/ ١٠٧. والحبائك في أخبار الملائك، ص٤٢ للسيوطي).

وقال العلامة الآلوسي: «والذي ذهب إليه الجمهور أن ملك الموت لمن يعقل وما لا يعقل من الحيوان واحد، وهو عزرائيل، ومعناه: عبدالله». (روح المعاني ٢١/ ١٢٦)

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٥١): «وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه

في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل». وقال في «تفسيره» (٣/ ٥٠٤): «وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور».

حكى الحافظ ابن كثير في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ عن قتادة وغيره اسم ملك الموت: عزرائيل.

وتفيد بعض الروايات أن اسم ملك الموت «إسماعيل». سماه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٢٦٧-٢٦٨)، والخطيب الطبريزي في «مشكاة المصابيح»، رقم:٥٩٧٢ بإسماعيل. عن جعفر بن محمد عن أبيه بلفظ: «... وجاء معه ملك يقال له: إسماعيل ... ثم قال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك ...». الحديث.

وفيه القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص متروك ومتهم بالكذب.

وتفيد بعض الروايات أن إسماعيل اسم ملك آخر غير ملك الموت. وتحته ملائكة كثيرون. عن محمد بن علي قال: لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث ... فلما كان يوم الثالث، هبط إليه جبريل معه ملك الموت، ومعهما ملك في الهواء يقال له: إسماعيل على سبعين ألف ملك...». (دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢١٠-٢١١)

وفي إسناده سيار بن حاتم ضعيف ومنكر الحديث.

كأن الله تعالى كما أخفى أجل المخلوق، أخفى اسم هذا الملك. ولقَّبَه الكتاب والسنة بـ «ملك الموت».

معانٍ عدة للروح:

١- الوحي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)

٢-القوة: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢). أي: بقوة منه.

٣- جبرئيل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣)

٤- عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ (النساء: ١٧١)

٥- الروح الإنساني أو الحيواني.

الروح الحقيقي مركب، والروح الحيواني مركوب، ومركب الروح الحيواني الجسد.

الروح الحقيقي عبارة عن الفراسة والبصيرة، والمراد هنا الروح الحيواني والإنساني.

تعريف الروح:

١- ما به حياة الناس، أو الحيوان.

٢- مبدأ الحياة في الحيوان، تفسد الأعضاء إذا خرج من البدن.

٣- البخار اللطيف المتولد في القلب من خلاصة الأغذية. ويطلق عليه «الروح الطبي».

٤- مبدأ الحركة والتدبير.

٥-جوهر نورانيٌّ يسري في البدن كسريان الماء في الورد، أو كسريان النار في الفحم.

٦-الريح المتكونة في البدن؛ قال الله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ (التحريم: ١٢)

٧-جسم نوراني خفيف متحرك، إذا كانت الأعضاء صالحة للآثار بقي الروح، وإذا فسدت خرج. والروح لا يموت؛ لأنه خُلِق للبقاء، وهو مخصوص من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٦) نعم موته مفارقته للبدن.

وقيل: الروح سارٍ في البدن. وقيل: الروح متعلق بالبدن.

الروح حادث عند أهل السنة والجماعة.

قال أهل العلم: الروح قبل الجسد خلقًا ومع الجسد نفخًا.

الروح حادث؛ لأنه- الروح- من العالم، والعالم حادث. والله تعالى خالق كل شيء، والشيء يشمل الروح.

الموت لا يستلزم فناء الروح؛ وإنما الموت عبارة عن مفارقة الروح البدن؛ لأن الروح خلق للبقاء، لا للفناء.

قال الحكماء: النفس جوهر مجرَّد يدرك الكليات والجزئيات المجردة بالذات، والجزئيات المادية بواسطة الحواس.

الروح والنفس واحد، أم يختلفان؟:

فصل أهل العلم الكلام على هذا بأساليب مختلفة. نوجز بعضه فيما يلي:

القول الأول وأدلته:

الروح والنفس واحد. وهذا مذهب الجمهور.

الدليل (١): ورد في بعض الأحاديث فيما يخص الإنسان: «خرجت نفسُه»، و«تصعد روحه». وفيما يلي نص الحديث:

عن أبي هريرة مرفوعًا: «إن المؤمن ينزل به الموت، ويُعايِن ما يعايِن، فيودُّ لو خرجت نفسه، والله يحب لقاءَه، وإنَّ المؤمن يصعد بروحه إلى السماء». الحديث. (مسند البزار، رقم:٩٧٦٠، وإسناده صحيح. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، ص٩٧، باب ملاقاة الأرواح).

الدليل (٢): وهذا المعنى (حالات موت المؤمن والكافر) ورد به أحاديث أخرى، مما يشير إلى أن النفس والروح واحد. كما جاء في «مسند الإمام أحمد»: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا...، ثم يجيء ملك الموت، عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان...، فلا يمرون، يعني بها، على ملإٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟...(وفيه ذكر الكافر على عكس حال المؤمن): أيتها النفس الخبيثة... ما هذا الروح الخبيث؟». (مسند أحمد، رقم: ١٨٥٣٤. ومصنف ابن أبي شيبة، رقم:١٢١٨٥، في نفس المؤمن كيف تخرج).

أطلق على روح الميت «النفس» و«الروح» كلاهما.

الدليل(٣): في صحيح مسلم: «ألم تروا الإنسانَ إذا مات شخصَ بصرُه؟» قالوا: بلى. قال: «فذلك حين يَتبع بصرُه نفسَه». (صحيح مسلم، رقم:٩٢١). قال الإمام النووي: «المراد بالنفس هنا الروح... وفيه حجة لمن يقول الروحُ والنفسُ بمعنًى (أي مترادفان)».

الدليل(٤): جاء في قصة ليلة التعريس قول النبي صلى الله عليه وسلم:«إن الله قبضَ أرواحَكم حين شاء». (صحيح البخاري، رقم:٥٩٥). وفي حديث آخر قال بلال رضي الله عنه: «أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك». (موطأ مالك، رقم:١٠).

تعريف النفس والروح على القول الأول:

وتعريف النفس والروح على هذا القول واحد، وهو:

١- جوهر مجرد عن المادة، متعلق بالبدن يدبر البدن.

٢- جوهر نوراني يسري في البدن سَرَيان الماء في الورد، أو النار في الفحم.

٣- مبدأ الحياة في البدن: تكون الحياة بوجوده، والموت بمفارقته.

٤- جوهر مجرد يدرك الكليات والجزئيات المجردة، ويدرك الجزئيات المادية بواسطة الحواسّ.

٥- البخار اللطيف المتولد في القلب. أي: شيء يشبه الغاز (GAS) لا يُرى، ينشأ عن حركة القلب، فإذا توقفت حركته، توقفت النفس والروح.

القول الثاني، وأدلته:

بينهما فرق، إلا أنه اعتباري فقط، وليس فرقًا حقيقيًّا، وهو:

الفرق (١): الرُّوح: ما به الحياة. والنفس: ما به الشعور والإحساس. قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)

يتمتع الإنسان بروح الحياة ونفس الشعور في اليقظة، فإذا نام بقي الروح دون نفس الشعور، والمراد في الآية الكريمة إزالة نفس الشعور هذا في النائم.

الفرق(٢): النفس المزكاة روحٌ، وغير المزكاة نفسٌ.

الدليل (١): ورد في الحديث: خلق الله تعالى آدم، ثم خلق فيه النفس والروح. ورزقه العفاف، والفهم، والحلم، والسخاء لأجل روحه. وأودعه السفه، والغضب، والشهوة لأجل نفسه.

قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد»: «وذكر عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه أنه حكى عن التوراة في خلق آدم عليه السلام: قال الله عز وجلَّ: حين خلقت آدم ... ثم جعلت فيه نفسًا وروحًا... ومن النفس حِدّته، وشهوته، ولهوه، ولعبه، وضحكه، وسفهه، وخداعه، وعنفه، ومن الروح حلمه، ووقاره، وعفافه، وحياؤه، وفهمه، وتكرّمه، وصدقه، وصبره». (التمهيد لابن عبد البر٥/ ٢٤٣، زيد بن أسلم، حديث٤٣).

فعلم أن العقل على صلة بالقلب والدماغ، ومبدأ الخير فيه يقال له «الروح»، ومبدأ الشر يقال له: «النفس».

الدليل(٢): روى الحكيم الترمذي في «المنبهات» عن وهب بن منبه قوله: «والروح

يأمر بالخير، والنفس تأمر بالشر». (المنهيات، ص٣٣، النفخ في الطعام والشراب).

فرق(٣): قبل دخول البدن وبعد خروجه منه يطلق عليه «الروح». وإذا كان في البدن قيل له «النفس». فقَبْلَ مولدِ الإنسان وبعد موته روح، لا نفس.

الدليل (١): ورد الحديث بأن الله خلق الروح قبل خلق الجسد بألفي عام. وساق العلامة ابن القيم والعلامة السيوطي حديثا، وساق ابن القيم إسناده أيضًا، قال: «احتجوا أيضًا بما رواه عبد الله بن مندة... عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام...». (الروح، ص:١٩٧، المسألة:١٨. وشرح الصدور، ص:٣١٥، خاتمة في فوائد تتعلق بالروح).

وأفرد ابن القيم بالذكر أن الله تعالى خلق الأرواح قبل خلق الجسد بألفي عام. ويقع هذا التقرير في أكثر من عشرين صفحة.(راجع: الروح، المسألة الثامنة عشرة،ص ١٩٢-٢١٥).

الدليل(٢): روى الحاكم عن أبي بن كعب في قوله عز وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧٢) قال: جمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجعلهم أرواحًا، ثم صوّرهم». (المستدرك، رقم:٣٢٥٥)

الدليل(٣): في الحديث: إذا مات الإنسان وضع روحه في العليين أو السجين. أي: لا يبقى في البدن. روى عبد الرزاق حديثا طويلا ، فيه: «إذا وضع الميت في قبره... تجعل روحه في النسيم الطيب في أجواف طير... قال: وإن الكافر... تجعل روحه في سجين». (مصنَّف عبد الرزاق، رقم:٦٧٠٣)

تحدث العلامة ابن القيم في كتابه «الروح» عن مختلف تعريفات النفس والروح، والأحوال والمسائل المتعلقة بالنفس والروح، وما بينهما من الفرق بالبسط والتفصيل. ونكتفي بحكاية جملة واحدة منه هنا: «فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات، لا بالذّات».[1]

وقيل: الروح لاهوتي، والنفس ناسوتي. وقيل: الروح نوراني، و النفس طيني.

---

(١) الروح، ص٢٦٥، ط: دار الفكر.أفرد الحافظ ابن القيم هذه المسألة بعنوان. للاستزادة منه راجع: الروح، ص٢٦٤، المسألة العشرون. وهي: هل النفس والروح شيء واحد أم شيئان متغايران؟ للاستزادة منه راجع: عمدة القاري٢/ ٢٨٤. وفتح الباري ٨/ ٤٠٣. وفيض القدير ٢/ ٥٣. ومجموع الفتاوى للعلامة ابن تيمية ٤/ ٢٢٦. والفروق اللغوية للعسكري، ص٣٥٤-٣٥٦. وكتاب الكليات لأبي البقاء، ص٤٦٩-٤٧٠.

سبعة أقسام للنفس عند الصوفية:

(١) أمارة: تأمر بالمعاصي فقط.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ (يوسف: ٥٣) للاستزادة من النفس الأمارة يرجع إلى تفسير الآية في كتب التفسير، وهذه نفس الكفار والفساق والشياطين.

(٢) لوامة: تعصي ثم تلوم نفسها.

قال القرآن الكريم: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢)

(٣) ملهَمة: تُلهَمُ الخيرَ. يلقى إليها الخير، ولا تحتاج إلى كثير تعليم وتوجيه.

(٤) مطمئنة: تَحلَّت بالأَخلاقِ الحميدة والعقائد الصالحة.

تتخلى هذه النفس عن الصفات الذميمة وتتحلى بالأخلاق الحميدة ببركة نور الإيمان، وتتبع أمر الله تعالى في كل شيء، ولذا بشرها القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠﴾ (الفجر)

ومن أدعية النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ إني أسألك نفسًا بِك مُطمَئِنَّةً تُؤمِن بِلِقائِك، وتَرضَى بِقَضَائِك، وتَقنَعُ بِعَطَائِك». (المعجم الكبير للطبراني، رقم: ٧٤٩٠).

(٥) راضية: ترضى في كل حال.

(٦) مرضية: يرضى الله تعالى عنها. أي مقبولة عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ (البينة: ٨)

وعرف بعضهم بالعكس: الراضية: رضي الله عنها. مرضية: رضيت عن الله تعالى.

التعريف الأول ظاهر؛ لأن الملائكة تقول لروح المؤمن عند قبضها كما ورد في الحديث: «اُخرجي راضيةً مَرضِيًّا عَنكِ إلى رَوْحِ الله». (سنن النسائي، رقم: ١٨٣٣).

(٧) كاملة: التي صارت الكمالات سجيئة لها وطبيعةً. وفي الحديث: «جُعِلَتْ قرة عيني في الصلاة». (سنن النسائي، رقم: ٣٩٤٠)

فصل العلامة ابن القيم الكلام على مختلف أقسام النفس، ومادة اشتقاقها، ووجوه تسميتها، وما يتعلق بها، وساق كثيرا من أقوال السلف.(راجع: إغاثة اللهفان١/ ٧٤-٧٩، الباب الحادي عشر. الروح، ص٢٢٦).

أقسام النفس الثلاثة الشهيرة:

قال الملا علي القاري: «الأخصرُ أَن يقال: الأمارةُ هي العاصيةُ، والمُطمَئِنةُ هي المُطيعةُ، واللَّوّامةُ هي المُقتصِدةُ المختلطةُ». (الزبدة العمدة في شرح البردة، ص٤٠)

وعلاوة على الروح والنفس شيءٌ آخر لايرى في بدن الإنسان، وهو العقل.

تعريفات متعددة للعقل:

١- قوة يدرك بها الأشياء أو الغائبات عن المحسوسات.

٢- قوة مستعدة للإدراك.

٣- جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن.

محل العقل القلب أو الدماغ؟:

ينسب إلى الإمام [أبي حنيفة] أن محل العقل هو الدماغ. وهذا غير ثابت؛ بل يفيد كتاب الجنائز أن العقل على صلة بالقلب، لأن الأحناف يقولون: يقف الإمام في الصلاة على الميت بإزاء صدره.

الدليل(١): تعقل الآلات: العين، والأذن، والأنف، وغيرها تتعلق بالدماغ.

الدليل (٢): يفسد العقل لفساد الدماغ. فعلم أن محل العقل الدماغ.

الدليل(٣): العقل أعلى والدماغ أيضًا أعلى، فهلا يكون محل الأعلى أعلى.

إنما سمي العقل به؛ لأنه يمنع من القبائح، والذهن معناه: الاستعداد للعلم والإدراك.

يقول الجهور: محل العقلِ القلبُ.

الدليل(١): اعتبر القرآن الكريم عدم العقل عدم القلب، قال تعالى:﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج: ٤٦)

الدليل(٢): ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ (الناس: ٥)

الدليل(٣): ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (البقرة: ٧)

الدليل(٤): ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد: ٢٤)

التطبيق بين الأقوال المذكورة:

يمكن التطبيق بين القولين بأن العقل على صلة بالدماغ أيضًا، وهي صلة دنيا. والعقل على صلة بالقلب أيضًا، وهي صلة قصوى. يوصل القلب إلى جميع الأعضاء الدم والأوكسيجن بالضغط. والدم والأوكسيجن بمنزلة الروح. فإن توقفت حركة القلب، مات الدماغ بعد قليل.

ساق صديقنا القاضي فضل الله أقوال علماء الطبيعة في العصر الحاضر، التي تفيد علاقة العقل بالقلب. قال القاضي: قال المستر «فيلن ميك» -مدير مؤسسة كاليفورنيا-: القلب فيه الشعور والإحساس. واخترع المستر «إيندر آرمر» مصطلح (Heart Braim). واخترع بعض الأطباء مصطلح (Thinking from the heart). وسلط الدكتور/ نجيب الحق الضوء عليه في تشريح الأبدان.

القلب بمنزلة رئيس الدولة، والدماغ بمنزلة رئيس الوزراء، ولكنه في حاجة إلى القلب، واليد والرجل بمنزلة الخدم والعمال للقلب، والحواس الخمس: القوة الباصرة، والسامعة، والشامة، واللامسة، والذائقة بمنزلة وزير الإعلام.

ورد في حديث: «ألا وإنَّ في الجسد مُضغَةً إذا صلَحتْ صلَح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسَد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب». (صحيح البخاري، رقم:٥٢). وعليه يركز الصوفية على إصلاح القلب أكثر.

على بيض قلبك كن كأنَّك طائرٌ ۞ فمن ذلك الأحوال فيك توَلَّد

وقال أحد الشعراء:

جمالك في عيني وذكرك في فمي ۞ ومثواك في قلبي فأين تغيب

ويعتبر الشعراء القلب مركز التخيلات في الميدان المجازي، يقول الشاعر:

سکونِ دل تو کہاں راحتِ نظر بھی نہیں ۞ یہ کیسی بزم ہے جس میں تیرا گزر بھی نہیں

(أين سكون القلب؟ لا أجد راحة النظر، كيف هذا المجلس، الذي تعجز عن المرور بك؟)

ويقول شاعر أردي آخر:

ہوتی نہیں قبول دعا ترکِ عشق کی ۞ دل چاہتا نہ ہو تو زباں میں اثر کہاں!

(لايستجاب الدعاء بترك العشق، كيف يؤثر اللسان إذا لم يرغب فيه القلب؟).

هل يمكن إدراك حقيقة الروح وحالاته أم لا؟:

ثم اختلفوا: هل أجيب عن السؤال الخاص بالروح أم لا؟ فقال بعضهم: أجيب جوابًا مجملًا بأن الروح عالم الأمر. وقيل: لم يجب عنه جوابًا مجملًا، فمعنى:﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: ٨٥) من علم ربي.

ثم العالم على قسمين: عالم الأمر، وعالم الخلق. فعالم الأمر غير محسوس، وعالم الخلق محسوس. أو عالم الأمر فوق العرش، وعالم الخلق تحت العرش. أو عالم الأمر تشريعات، أي: أحكام الشريعة، وعالم الخلق تكوينات، أي: كون الشيء وعدمه، أو عالم الأمر: غير مادي، وعالم الخلق مادي.

حالات الروح مجهولة ولتدرك ذلك نقول: كيف يتكون الروح؟ وكيف يتعلق الروح بخارج الدنيا في عالم الرؤيا؟ وماعلاقة الروح بالبدنِ والناسِ بعد الموت؟ كل ذلك وراء العقل الإنسان، ولتدركه نقصُّ عليك ثلاث قصص:

قصة ثابت بن قيس رضي الله عنه:

١- قتِل ثابت بن قيس في اليمامة، فرآه خالد بن الوليد في المنام، فقال ثابت: قتلت شهيدًا، وأخذ فلان درعي، ودفنها تحت متاعه، فاخرجها منه. ولفلان عليَّ كذا وكذا من الدين، فقل لأهلي: أدوا عني الدين. وأخبر أهلي بأن عبيدي فلان وفلان أحرار. واستيقظ خالد في الصباح من نومه، فأخرج الدرع من المكان الذي دل عليه في المنام، وأخبر أبا بكر بالمنام، والدرع التي أخرجها من المكان الذي دل عليه في المنام. وأمر أهله بقضاء الدين عنه، وتحرير عبيده. فكان ثابت بن قيس أول من أعتق عبيده بعد موته. ونفذ عتقهم. فكيف لقي روح ثابت بن قيس روحَ خالد بن الوليد. كيف يدركه أحد؟ (راجع: السؤال والجواب في آيات الكتاب، للشيخ عطية محمد سالم، ص ٢٧٦).

قصة السلطان نور الدين الزنكي:

٢- القصة الثانية للسلطان نور الدين الزنكي، فقد رأى في المنام تباعًا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: احفظني من هذين العدوين. وأشار إلى رجلين. فقلق نور الدين،

وتوجه إلى المدينة، وطلب جميع سكان المدينة بحيلة منحهم العطايا، فلما حضروا لم يجد الرجلين، فقال السلطان: هل تأخر أحد؟ فقال له أصحابه: جاءوا جميعا، غير رجلين قد اختلوا عن الناس واشتغلوا في العبادة، ولا يأخذون من أحد شيئا. فقال الملك عليَّ بهما. فجيء بهما رغما عنهما، فعرفهم الملك، وأنهما اللذان أشير إليهما في المنام. فبدأ التحقيق معهما، فعلم أنهما حفرا نفقا تحت بيتهما، يصل إلى الروضة النبوية المطهرة. وكانا من النصارى، كُلِّفا حفر نفق من بيتهما إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم. فضرب السلطان أعناقهما، وأمر ببناء جدار من حديد ونحاس حول القبر الأطهر تحت الأرض.

أدرج الشيخ عطية سالم في كتابه «السؤال والجواب في آيات الكتاب» (ص ٢٧٦-٢٧٨) خبره في المتواتر وأقره. وكانت دار الضيافة، ودار الرصاص مكانين معروفين في عهده.

دار الضيافة مكان طلب السلطان إليه سكان المدينة ومنحهم عطايا. ودار الرصاص مكان أقيم فيه جدرا من الحديد والفولاذ المذابين حول القبر المطهر.

كيف اتصل روح رسول الله صلى الله عليه وسلم بروح نور الدين الزنكي اتصالا صحيحا في هذه القصة؟ وكيف بلغ خبر هذه القصة بالحق روحَ نور الدين الزنكي؟

قصة ملك العراق: فيصل:

٣- القصة الثالثة قصة ملك العراق فيصل. رأى الملك عام ١٩٢٩م في المنام أن حذيفة بن اليمان وعبد الله بن جابر[1] يقولان له: تسرب الماء إلى قبورنا، فاتخذ التدابير اللازمة، فأمر الملك بالحفر بين القبور ونهر دجلة: هل يتسرب الماء إلى القبور تحت الأرض أم لا؟ فحفروا، فلم يجدوا ما يدل على تسرب الماء. فتغاضى عنه الملك على اعتباره مناما عاديا.

ثم رأى مثله -ربما مرات-، فقلق الملك قلقا شديدا. فجمع العلماء وقص عليهم القصة. وأتذكر أن بعض علماء العراق يومذاك رأى مثله في المنام. وتوصلوا بعد التشاور والبحث والدراسة إلى حفر قبر الصحابيين، وأن ينقل جسداهما إذا كان يتسرب الماء إليهما.

(١) عبد الله بن جابر: اسم صحابيين: أحدهما: عبد الله بن جابر الأنصاري البياضي.عده البخاري وابن حبان في الصحابة. و ثانيهما: عبد الله بن جابر العبدي. وكان في وفد عبد القيس.ولم نعثر على ترجمتهما، ولا موتهما متى كان وأين كان. وليس غيرهما صحابي اسمه عبد الله بن جابر.(اليواقيت الغالية ١/ ٢٩٢؛جهان ديده، ص ٥٥).

ووافق عليه علماء ذلك العصر.

وهذه قصة أولى لحفر قبور كبار الصحابة وأهل الله تعالى؛ فاتخذت الحكومة العراقية تدابير عظيمة، وقررت لها موعدا؛ ليشهده الناس. واتفق أن كان ذلك قرب أيام الحج. فلما بلغ الحجاز ذلك، طلب الحجاج القادمين إليها للحج من الحكومة العراقية ضرورة تأجيل هذه الموعد، ليفرغ الناس من الحج ويشهدوا هذا المنظر. فضربت الحكومة العراقية موعدا لذلك مؤجلا.

يذكر أنه تجمع جمع هائل لا من داخل العراق؛ بل من الدول الأخرى أيضًا، حتى اضطرت الحكومة العراقية إلى نصب شاشات كبيرة على مسافات بعيدة لعرض المشهد حتى يتمكن من رؤيته عبرها من لم يتمكن رؤيته مباشرة عند القبور.

ففتحت القبور المباركة، وشاهد سيل من الناس بأم أعينهم هذا المشهد العجيب الغريب المتمثل في بقاء أجسادهما صحيحة سليمة طرية وقد مضى عليها ثلاثة عشر قرنا من الزمان، بل كان من المشاهدين أحد خبراء أمراض العين من غير المسلمين، فلما نظر إلى الجسد المبارك أخبر بأن أعينهم لازالت تحتفظ بالبريق الذي لا يستمر في عين الميت بعد موته قليل، فما كان منه إلا أن أسلم حين رأى هذا المشهد.

وأعد مكان خاص بالقرب من قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه، لنقل النعش إليه، وضع النعش على الجنازة، وشد بها قصبات طويلة، وسعد آلاف من الناس بحمل الجنازة. وهكذا يوجد قبرهما الآن في المكان الحالي. (جهان ديده–سفرنامه عراق، للمفتي محمد تقي العثماني،ص ٥٥–٥٧).

كيف التقى روح رسول الله صلى الله عليه وسلم المبارك روح نور الدين الزنكي في المنام في القصة الثانية، وفي القصة الأولى والثالثة كيف التقى أرواح الشهداء روح خالد بن الوليد رضي الله عنه وروح الملك فيصل؟ وكيف بقي الروح؟ ومن أين جاء هذا الروح؟ وكيف رجع؟ كل ذلك في طي الخفاء.

سمعت الداعية الشهير الشيخ أحمد لات يقول: لقيت عراقيا معمرا في أمريكا، وهو شاهد عين لهذه القصة. كما سمع هذه القصة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني من كل من الشيخ ظفر أحمد الأنصاري، والسيد خير الله الحديثي–مدير وزارة الأوقاف/ بغداد.

ومثل له الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه بقوله: كما أن أحد الخبراء يخترع ماكينة من الماكينات، ثم يمدها بالكهرباء، فإن الماكينة تتحرك بالكهرباء، وقس عليه أن الأغذية كوَّنَت الأعضاء في بطن الأم، وتكون الجسم، فتحرك بدخول الروح القادم من العالم الأعلى. (التفسير العثماني، ص ٣٨٧ ملخصًا).

وسيأتي تفصيل مزيد لحالات الروح ومراحله العديدة، ومستقره ونحوذلك لاحقًا.

٨٧- وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيْمِهِ[١] لِمَنْ كَانَ لَهُ[٢] أَهْلًا.

المراد بالقبر عالم البرزخ:

والمراد بالقبر ما بين الموت إلى الحشر، ويطلق عليه «عالم البرزخ». وليس نعيمه و عذابه مثل نعيم الدنيا وعذابه؛ فلا إشكال في عدم شعور أهل الدنيا بثواب القبر وعقابه. وقد يدفن اثنان في قبر واحد، فيكون القبر لأحدهما روضة من رياض الجنة، وللآخر حفرة من حفر النيران. ولايشعر أحدهما بما يشعر به الآخر من الراحة أو الألم. كما نعتقد أن مع كل إنسان ملكين عن يمينه وشماله ولا نراهما، وكما نتيقن بوجود الجن ولا نشاهدها، وكما أن ملائكة الموت تأتي الميت ولا يشاهدها الناس، وربما يأتي بعض الملائكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يشاهدها الناس.

ينتقل كل أحد بعد الموت إلى عالم البرزخ، سواء دفن في القبر أو صار قوتًا للحيوانات البحرية بأن غرق في البحر ومات فيه، أو أحرق فصار رمادا، أو ذُرَّ بالرماد في الهواء. ولا يصعب على القادر المطلق أن يجمع شتات أعضاء الجسم في مكان واحد أو يخلق مع شتات الأعضاء علاقة مع الروح. فيحدث الشعور بالراحة أو الألم في هذه الأجزاء كلها. والحاصل أن عالم البرزخ عالم آخر، لا يقاس على عالم الدنيا.

وإنما خصت الأحاديث القبر بالذكر؛ لأن الناس يدفنون الموتى غالبا.

---

(١) قوله «ونعيمه» سقط من ١، ٢، ٣، ٦، ٩، ١٢، ١٥، ١٩، ٣٣، ٣٤. والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في ٢ «ذلك». وهو خطأ. وفي ٢٥ «لذلك». ولا يتغير المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

مسألة حياة القبر وعذابه:

قال أهل السنة والجماعة: ثبت الابتلاء بحياة القبر وعذابه، أو التمتع بنعمه، على خلاف الخوارج والجهمية الذين ينكرون حياة القبر. (مقالات الإسلاميين ٢/ ٣١٨. والتنبيه والرد لأبي الحسن الملطي، ص٩٩)

نسب الإمام أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» إنكار حياة القبر إلى المعتزلة أيضًا. كما نسب كل من الإمام الغزالي في «الاقتصاد» (ص ١١٧)، وابن القيم في «الروح» (ص٥٢)، وابن عبد البر في «الاستذكار» (٧/ ٤٨٠)، والإمام النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٢٠٢) إلى المعتزلة إنكار عذاب القبر. وهذه النسبة تبدو غير صحيحة؛ لأن القاضي عبد الجبار المعتزلي قال: اتفقت المعتزلة على عذاب القبر إلا ضرار بن عمرو، فقد روي عنه إنكاره. وكان في أول أمره من المعتزلة، ثم انضم إلى الجبرية. قال الزركلي في الأعلام(٣/ ٢١٥): «عمل كتابا في الرد على المعتزلة». وإليك نص القاضي عبد الجبار المعتزلي:

«فصل في عذاب القبر، وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة، ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به». (شرح الأصول الخمسة، ص٧٣٠)

أدلة منكري حياة القبر وعذابه، والجواب عنها:

الدليل(١): ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ (غافر: ١١) لم تذكر الآية إلا حياتين: حياة دنيوية، وحياة أخروية. ولم تذكر حياة القبر.

الدليل(٢)﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ (البقرة: ٢٨) دلت الآية على حياتين فقط: حياة دنيوية، وحياة أخروية، وأما الحياة الثالثة وهي حياة القبر فلم تدل عليه الآية.

الجواب: الحياة على قسمين: ١-حياة كاملة. ٢- حياة ناقصة.

يظهر أثر الحياة الكاملة على البدن، دون الحياة الناقصة، وحياة القبر حياة ناقصة، أي:

لا تظهر على البدن. وذكر القرآن الكريم الحياة الكاملة.

يقول أهل العلم: حياة الدنيا تظهر فيها الآثار الكاملة على البدن، والروح تابع له، أي: البدن أصل والروح تابع؛ وعليه ترى الناس كلهم-إلا أهل الله-يشتغلون في خدمة البدن وإصلاحه.

وأحكام الروح في حياة القبر أصل، والبدن تابع له؛ لأنها ليست حياة كاملة. وفي حياة الآخرة القوتان -الروح والبدن- كاملتان.

وذهب بعضهم إلى أن معنى الآية :﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ في الدنيا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في القبر﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بالنفخ ﴿ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ في الحشر.

الدليل(٣): لو كان السؤال والجواب في القبر لشعرنا به، ولكن فُقِدَ محل المحسوس وهو البدن، فما معنى الثواب واللذة؟

الجواب (١): قال العلامة ابن حزم رحمه الله: يتعلق السؤال والجواب، والثواب والعقاب بالروح لا بالبدن، فلا نشعر به. ولكن هذا الجواب لا يوافقنا؛ لأننا نقول بالثواب و العقاب للروح مع البدن.

(٢) عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فذكر الحديث الطويل أمامه، وفيه في صفة المؤمن: « وتُعاد روحُه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه». (سنن أبي داود، رقم:٤٧٥٣ . ومسند أبي داود الطيالسي، رقم:٧٨٩ . ومسند أحمد، رقم:١٨٥٣٤ . وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح)

في إسناده زاذان الذي اتهمه بعض الناس بالتشيع. ولكن التشيع عند المتقدمين يطلق على تفضيل علي على عثمان، وأنه كان محقا في حروبه. قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» في ترجمة أبان بن تغلب: «فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل عليٍّ على عثمان، وأن عليًّا كان مصيبًا في حروبه» . (تهذيب التهذيب ١/ ٩٤)

وقال شعيب الأرنؤوط وبشار عواد في «تحرير تقريب التهذيب»: «بل ثقة، فقد وثَّقه يحيى بن معين وابن سعد والعجلي وابن شاهين والخطيب والذهبي» . (١/ ٤٠٩)

وجاء في منهال بن عمرو في «تحرير تقريب التهذيب»: «فقد وثَّقه الأئمة: ابن معين، والنسائي، والعجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات». (٣/ ٤٢١)

(٣) عدم الشعور بالشيء لايستلزم عدمه، وإلا فمن يشعر بالملائكة، وكذلك الكرام الكاتبين على اليمين والشمال؟ فعلم أن عدم الرؤية وعدم الشعور لا يستلزمان العدم.

عذاب القبر مثل الرؤية في المنام:

(٤) أجاب عنه الشاه ولي الله رحمه الله قائلا: اعتبر عذاب القبر بالرائي في المنام وما يطرأ عليه، ولكن لا يشعر به اليقظان بجانبه، مع أن النائم يصيح، ويصيبه الرحضاء حين يرى في المنام ما يخيفه. وتنقطع الرؤيا باليقظة. فلو كان دائما لشعر بالألم الذي يعانيه إلى آخر لحظة. (حجة الله البالغة مع شرحه رحمة الله الواسعة ١/ ٣٨٥-٣٨٦. وقال مثله محمود بن أحمد القونوي في القلائد في شرح العقائد، ص١٢٧، مخطوط)

(٥) الأصل في الثواب والعقاب أثرهما، كما لو لدغت الحية فليس اللدغ هو الأصل، وإنما الأصل هو الألم الناشئ عن السم، كما أن غيره لا يشعر بالألم. ويشعر به المصاب به، وإن لم يره أحد.

(٦) علاقة الروح مع البدن في القبر علاقة نزول، لا علاقة حلول وعلاقة تصرف. ولا يقول أحد: حلَّ الروح في بدنه. ومعنى قوله: «يعاد روحه إلى جسده» خلق العلاقة بينهما؛ لأن الميت يشعر بأثر الألم والوجع في جسده.

بعض الأمثلة على تشكل الروح وغيره في عالم المثال:

يقول بعض العلماء في منطقتنا اليوم: الثواب والعقاب إنما يؤثران على الروح الذي يتشكل بالصورة المثالية، لا في القبر؛ بل في عالم المثال، الذي تتشكل الأرواح والمعاني فيه بصورة أو أخرى. وما ورد في الحديث من السؤال والجواب يتعلق بعالم المثال، الذي يتشكل فيه الروح.

وعقد الشاه ولي الله رحمه الله في «حجة الله البالغة» بابًا في عالم المثال، كما ورد في الحديث:

(١) «خلق الله الخلقَ، فلمّا فرَغ منه قامت الرَّحِمُ، فأخذتْ بحَقْوِ الرَّحمٰن، فقال له: مَهْ. قالت: هذا مقام العائذ بك من القَطِيعَةِ». (صحيح البخاري، رقم:٤٨٣).

قال الشاه ولي الله رحمه الله تعليقًا عليه: ألا ترى الرحم تشكلت بصورة.

(٢) «اقرَءُوا الزَّهراوَين: البقرةَ وسورةَ آل عِمران، فإنهما تأتيان يومَ القيامة كأنهما غَمامتان». (صحيح مسلم، رقم:٨٠٤)

شُكِّلت السور في عالم المثال بصورة السحب.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة، أهلها يَحُفُّون بها كالعَروس تُهدَى إلى كريمها تُضِيء لهم، يمشون في ضوئها». (المستدرك، للحاكم، رقم: ١٠٢٧. وقال الحاكم: شاذ صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي).

(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني رأيتُ الجنةَ فتناولتُ عُنْقُودًا، ولو أَصبتُه لأكلتم منه ما بقيت الدُّنيا، وأُرِيتُ النارَ فلم أرَ منظرًا كاليوم قَطُّ أَفْظَعَ». (صحيح البخاري، أبواب الكسوف، باب صلاة الكسوف، رقم:١٠٥٢)

فتشكلت الجنة في الجدار.

(٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجاء بالموت يومَ القيامة كأَنَّه كَبْشٌ أملحُ». (صحيح مسلم، رقم:٢٨٤٩. وصحيح البخاري، رقم:٤٧٣٠)

يُشَكَّل الموت بصورة الكبش.

(٦) عن مجاهد قال: كنا عند ابن عباس رضي الله عنه ، فذكروا الدجال، فقال: إنه مكتوب بين عينيه كافر، وقال ابن عباس: لم أسمعه قال ذلك، ولكنه قال: « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم (أي: النبي صلى الله عليه وسلم)، وأما موسى فرجل آدم جَعْدٌ على جمل أحمر مخطوم بخلبة كأني أنظر إليه إذ انحدر في الوادي يُلَبِّي». (صحيح البخاري، رقم:٥٩١٣)

وغير خافٍ أن موسى لم يكن راكبا جملا في قبره، ولا أن الجمل كان واقفا عند القبر، وكل ذلك تحقق في عالم المثال.

(٧) لقي النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء في ليلة المعراج، فكانوا في أجساد مثالية ،وأما أجسادهم الحقيقية الأصلية ففي قبورهم إلا عيسى ابن مريم عليه السلام.

وعذاب القبر يقع في عالم البرزخ، ومعنى البرزخ: الحجاب وهو محجوب عن الأنظار، كالجن، والملائكة، وغيرهم. ولكن بعض الناس ينكرون علاقة الروح مع القبر، والأحاديث وردت بكلمات صريحة في هذه المسألة، مثل قوله: «يعاد روحُه»، أو «السلام عليكم يا أهل القبور» ونحوهما إما يضعفونها أو يؤولونها. رغم أن البخاري روى عن النبي صلى الله عليه

وسلم قوله: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون» فعلم أن هذا الموقف غير صحيح.

الدليل الرابع لمنكري حياة القبر:

(٤) ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الدخان: ٥٦). دل القرآن الكريم على موت واحد، فلو قلنا بالحياة في القبر، ثم الموت يوم القيامة، لزم القول بموتين.

الجواب(١): الحياة الدنيا معهودة ومعروفة، ويعقبها موت محسوس مشاهد. وأما حياة القبر فترجع إلى عالم البرزخ، فلم يعدها.

(٢) الكناية في قوله (فِيهَا) تعود إلى الدنيا، وحياة القبر ليس دنيا، بل عالم البرزخ.

قال أهل السنة والجماعة: حياة القبر ثابتة.

أدلة أهل السنة والجماعة على حياة القبر ونعيمه وعذابه:

(١) ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾. (صحيح البخاري، رقم: ٤٦٩٩)

وفي روايةٍ: «نزلت في عذاب القبر». (صحيح البخاري، رقم: ١٣٦٩)

(٢) ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ (الأنعام: ٩٣)

أي: يبدأ الملائكة بعذاب القبر حين يقع الكفار في شدة السكرات.

(٣) ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: ١٠١)

أي: مرةً في الدنيا، ومرةً في القبر؛ لأن المراد بقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ عذاب الآخرة، الذي يعقب القيامة. قال قتادة والحسن وابن جريج في تفسير ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: «عذابًا في الدنيا وعذابًا في القبر». (تفسير الطبري، التوبة: ١٠١)

(٤) ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦)

قال السمرقندي: قال ابن عباس: يعني: تعرض أرواحهم على النار، غُدُوًّا وَعَشِيًّا. هكذا قال قتادة، ومجاهد...، والآية تدل على إثبات عذاب القبر، لأنه ذكر دخولهم النار يوم

القيامة. وذكر أنه تعرض عليهم النار قبل ذلك غدوًّا وعشيًّا. (تفسير السمرقندي ٣/ ٢٠٨)

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». (صحيح البخاري، رقم:١٣٧٩. وصحيح مسلم، رقم:٢٨٦٦)

(٥) ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ (التكاثر) أي: شغلكم التنافس في ملذات الدنيا حتى تصلون إلى المقابر.

قال الطبري: «وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر».(تفسير الطبري، التكاثر:٢)

(٦) ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ (التكاثر)

الآية الأولى على صلة بعذاب القبر، والثانية على صلة بالمحشر.

(٧) ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ (الطور: ٤٧)

أخرج الطبري بإسناده عن البراء وابن عباس ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قالا: عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة.(تفسير الطبري، الطور:٤٧)

(٨) ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١)

قال مجاهد: العذاب الأدنى عذاب القبر. (تفسير القرطبي، السجدة:٢١).

(٩) ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ بعذاب القبر.(المستدرك للحاكم، رقم:٣٤٣٩. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي).

(١٠) في الحديث: يسأل في القبر، ويجيب المؤمن: ربي الله، ديني الإسلام، ونبيّ محمد صلى الله عليه وسلم.. ويقول الكافر والمنافق: هاه هاه، لا أدري. (سنن أبي داود، رقم:٤٧٥٣. ومسند أحمد، رقم:١٨٥٣٤. وإسناده صحيح)

(١١) عن ابن عمر قال: اطَّلع النبيُّ على أهل القَلِيبِ، فقال: «وجدتُم ما وعَد ربُّكم حقًّا؟» فقيل له: تدعو أمواتًا؟ فقال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكِن لا يُجِيبُون». (صحيح البخاري، رقم:١٣٧٠).

(١٢) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من عذاب القبر، وكانت استعاذته

إما تواضعًا أو تعليمًا لأمته. وذلك ليحفظ عنه كلمات الاستعاذة من عذاب القبر، وكان الغرض تعليم كلمات التعوذ.

كان النبيَّ صلى الله عليه وسلم يتعوذ: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر». الحديث.(صحيح البخاري، رقم:٦٣٧٦)

(١٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال:«إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، أما هذا فكان لا يستنزه من البول، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة». (سنن أبي داود، رقم:٢٠. ومسند أحمد، رقم:١٩٨٠. وإسناده صحيح على شرط الشيخين)

(١٤) قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر». (صحيح مسلم، رقم:٢٨٦٨)

قال الحافظ ابن القيم في كتاب «الروح»: «أما أحاديث عَذاب القبْر ومسألة مُنكر وَنَكِير فكثيرة متواترة».(ص٥٢)

للاستزادة منه راجع: إثبات عذاب القبر للإمام البيهقي؛ شرح العقائد ١٥٧-١٦١؛ النبراس ٢٠٥-٢١٠.

الاختلاف في عذاب القبر:

(١) قالت الكرامية وابن جرير الطبري: لا يعذب إلا البدن. قال الإمام البيجوري: «وخالف محمد بن جرير الطبري، وعبد الله بن كرام، وطائفة وقالوا: المعذَّب البدن فقط». (تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ص٢٧٦)

(٢) قال ابن حزم: لا يعذب إلا الروح. قال الحافظ ابن حجر: «وذهب ابن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود إلى الجسد». (فتح الباري ٣/ ٢٣٥. لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٤. الروح لابن قيم، ص٥١)

(٣) قال أهل السنة والجماعة: يعذب الروح مع الجسد. قال الحافظ ابن حجر: «وخالفهم (أي ابنَ حزم وغيرَه) الجمهورُ فقالوا تُعاد الروح إلى الجسد». (فتح الباري ٣/ ٢٣٥. وانظر: إثبات عذاب القبر، للبيهقي. وكتاب الروح، لابن القيم، فصل هل عذاب القبر على النفس والبدن. والعرف الشذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر. وشرح الفقه الأكبر لملا علي القاري، ص١٠٢)

قال الملا علي القاري في «ضوء المعالي»: خالف فيه المعتزلة والروافض، أي: ينكرون

عذاب القبر. وهذا غير صحيح، وإن كانت مصادرنا تنسب إليهم إنكار عذاب القبر، فقد حكى المعتزلة والروافض في كتبهم الإجماع على عذاب القبر.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي :«وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو، وكان من أصحاب المعتزلة، ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به». (شرح الأصول الخمسة، فصل في عذاب القبر، ص٧٣٠، ط: مكتبة وهبة، القاهرة)

وقال ابن الملاحمي المعتزلي: «وذكر أصحابنا أن الأخبار تواترت عنه عليه السلام في عذاب القبر». (الفائق في أصول الدين لركن الدين الملاحمي الخوارزمي، ص٤٦٣-٤٦٤، ط: طهران)

وكذلك قال نصير الدين الطوسي الشيعي(م:٦٧٢) في «تجريد العقائد»: «وعذاب القبر واقع لإمكانه، وتواتر السمع بوقوعه». (تجريدالعقائد، ص١٥٧-١٥٨، ط: دار المعرفة الجامعية)

وقال أبو جعفر بن الحسن الطوسي (م:٤٦٠): «وأنكر قوم عذاب القبر، فقالوا: هو محال، ومنهم من قال: هو قبيح، وقولهما يبطل بحصول الإجماع على ثبوته وأنه واقع». (الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ص١٦٩، ط: مكتبة جامع چهلستون، تهران)

تحقيق الأحاديث النافية لعذاب القبر إذا مات المرء يوم الجمعة:

اشتهر أن من مات يوم الجمعة وقي عذابَ القبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن مات في يومِ الجُمُعَةِ أو ليلةَ الجُمُعَةِ وُقِيَ فِتْنَةَ القبْرِ».

روى هذا الحديثَ عبدُ الله بن عمرو بن العاص، وأنس، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة رضي الله عنهم.

وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما له خمس طرق:

١- من طريق الوليد بن مسلم: رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم:٣١٣١). وسنده حسن.

٢- من طريق بقية بن الوليد عن سنان بن عبد الرحمن. رواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (رقم:١٥٧)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما موقوفًا، والراوي عن بقيةَ ابن وهب. قال العلامة الذهبي: «وما رواه عنه ابن وهب والمقرئ والقدماء فهو أجود». (سير أعلام النبلاء ٨/ ١٤)

٣- من طريق بقية بن الوليد عن معاوية بن سعيد: رواه الإمام أحمد في «مسنده» (رقم: ٦٦٤٦). وهذا الإسناد ضعيف لتدليس بقيةَ وعدم تصريحه بالتحديث.

٤- من طريق بقية بن الوليد، قال: حدثني معاوية بن سعيد. رواه الإمام أحمد في «مسنده» (رقم:٧٠٥٠). ورواه عبد بن حميد في «سننه» (رقم:٣٢٣)، وهذا الإسناد صحيح، صرح فيه بقية بن الوليد وشيخه وشيخ شيخه بالتحديث.

وقال بعضهم: بقيةُ ضعيف مطلقًا لتدليس التسوية؛ لكن في هذا الإسناد صرح شيخه وشيخ شيخه بالتحديث، فلا إمكان لتدليس التسوية هنا.

٥- من طريق ربيعة بن سيف. رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (رقم:٥٥٩٦)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦٥٨٢) والترمذي في «سننه» (١٠٧٤) وهذا الإسناد ضعيف؛ للانقطاع، وضعف ربيعة.

ورواه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٨٣-٥٨٤) بهذا الطريق موصولًا، و هو ضعيف أيضًا لأجل ضعف هشام بن سعد، وربيعة.

وروى حديث أنس رضي الله عنه أبو يعلى في «مسنده» (رقم:٤١١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٩٣) بإسناد يزيد الرقاشي. وهو ضعيف لضعف يزيد.

وروى حديث جابر رضي الله عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٥) بإسناد عمر بن موسى، وعمر بن موسى متهم بالوضع.

وروي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «مسند أبي حنيفة» (رقم:٦٦، كتاب الصلاة) بإسناد الحسن البصري مرفوعًا. وقال الدارقطني وابن أبي حاتم: لم يثبت سماع الحسن من أبي هريرة. (علل الدارقطنى ٨/ ٢٤٩. علل ابن أبي حاتم ٣/ ٩٦)

وروي هذا الحديث عن الزهري مرسلا، رواه عبد الرزاق في «مسنده» (٥٥٩٥). وهذا الحديث ضعيف لجهل الراوي عن الزهري.

حاصل القول أن أمن من مات يوم الجمعة من عذاب القبر روي في أحاديث مختلفة، وإسناد حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه حسن ومحتج به.

آخرون ناجون من عذاب القبر:

ذكر الإمام القرطبي في «التذكرة»، والإمام السيوطي في «شرح الصدور»، وابن القيم في «الروح» آخرين ناجين من عذاب القبر:

١- المرابط: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر».(سنن الترمذي، رقم: ١٦٢١، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح).

٢- الشهيد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر...». (سنن الترمذي، رقم:١٦٦٣، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب)

٣- من يقرأ سورة تبارك: عن ابن عباس، قال: ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الملك حتى ختمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر».(سنن الترمذي، رقم: ٢٨٩٠، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه)

قال الإمام البيهقي: «تفرد به يحيى بن عمرو بن مالك، وهو ضعيف، وروي في فضل قراءة هذه السورة حديث آخر حسن الإسناد». (إثبات عذاب القبر للبيهقي، ص٩٩، رقم: ١٥٠)

٤- المبطون (من مات في مرض بطنه): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يقتله بطنه، فلن يعذب في قبره». (سنن النسائي: ٢٠٥٢، وإسناده صحيح)

٥- من صلى ركعتين بعد المغرب من يوم الجمعة، يقرأ سورة الزلزال خمس عشرة مرة في كل ركعة بعد سورة الفاتحة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى بعد المغرب ركعتين في ليلة الجمعة يقرأ في كل واحدة منهما بفاتحة الكتاب مرة واحدة وإذا زلزلت خمس عشرة مرة هون الله عليه سكرات الموت، وأعاذه من عذاب القبر ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة». (الترغيب لقوام السنة، رقم: ٩٤٦. قال ابن حجر في أماليه: سنده ضعيف. فيض القدير ٦/ ١٦٨)

٦- من قرأ سورة الإخلاص في مرض موته: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ: قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٥٧٨٥. حلية الأولياء ٢/ ٢١٣، وإسناده ضعيف جدا. فيه أبو الحارث نصر بن حماد متكلم فيه، وقال أحمد: كذاب)

هل لا يعود عذاب القبر بعد رفعه مرة ؟:

ورد الحديث برفع العذاب عمن مات يوم الجمعة من المسلمين، ويستظهر من الحديث أنه أمن العذابَ إلى يوم القيامة. وهذا هو الأليق بالنظر إلى فضل الله تعالى وكرمه.

قال بعض أهل العلم: يرفع عذاب القبر عن كل واحد يوم الجمعة، وقيل: يأمن المرء عذاب القبر إلى يوم القيامة إذا رفع عنه مرة واحدة.

قال الإمام النسفي في «بحر الكلام»: «قال أهل السنة والجماعة: عذاب القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، وضيق القبر سواء كان مؤمنا أو كافرا أو مطيعا أو فاسقا، لكن إذا كان كافرا فعذابه يدوم في القبر إلى يوم القيامة، ويرفع عنهم العذاب يوم الجمعة، وشهر رمضان بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم ما داموا في الأحياء لا يعذبهم الله تعالى في الدنيا بحرمة النبي صلى الله عليه وسلم، فكذلك في القبر يرفع عنهم العذاب يوم الجمعة وكل رمضان بحرمته،... ثم المؤمن على وجهين، إن كان مطيعًا لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطته فيجد هَول ذلك وخوفَه، لِما أنه كان تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة، وإن كان عاصيًا يكون له عذاب القبر وضغطة القبر، لكن ينقطع عنه عذاب القبر يوم الجمعة وليلته ثم لا يعود العذاب إلى يوم القيامة، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر، ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة». (بحر الكلام للإمام أبي المعين النسفي، ص٢١٩-٢٢٠، ط: دار الفتح)

ذكر الإمام النسفي في هذا النص أربعة أمور:

١- يرفع عذاب القبر عن الكافر كل جمعة ورمضان.

٢- لا يعذب المؤمن المطيع في القبر، نعم يواجه ضغطة القبر.

٣- يصاب المؤمن العاصي بضغطة القبر، ويعذب إلى الجمعة القادمة في القبر، ثم يرفع عنه عذاب القبر إلى يوم القيامة.

٤- يصاب المؤمن الذي مات يوم الجمعة بضغطة القبر وعذابه قليلا، ثم يرفع عنه إلى يوم القيامة.

ثم ساق الإمام النسفي حديث عائشة رضي الله عنها دليلا على هذا النص: عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، إنك منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال: «يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالإثمد في العين، وإن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع؛ فتغمز رأسه غمزًا رفيقًا، ولكن يا عائشة ويل للشاكين في الله، كيف يضغطون في قبورهم كضغطة البيضة على الصخرة».(رواه البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (رقم:١١٦)، والديلمي في «مسند الفردوس» (رقم:٣٧٧٦)، وفي سنده الحسن بن أبي جعفر وعلي بن زيد بن جدعان ضعيفان. فهو حديث ضعيف. وقد عزاه بعضهم لابن منده وابن النجار ولم أقف عليه).

لم يفصِّل هذا الحديث عذاب القبر، غير أنه يدل على أن ضغطة القبر للمؤمن تشبه ضغطة الأم الرؤوم طفله. وهذا هو المراد بالحديث الذي وردت فيه ضغطة القبر لسعد بن معاذ رضي الله عنه. (للاستزادة منه راجع:الجزء اللطيف في الاستدلال بالحديث الضعيف، ص ١٤٥-١٥٠).

ساق كثير من أهل العلم نص الإمام النسفي في كتبهم، منهم: السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» (ص ١٨١)، والمناوي في «فيض القدير» (٤/ ٣٠٩)، و الحموي في «غمز عيون البصائر» (٤/ ٧٢)، والطحطاوي في هامش «مراقي الفلاح» (ص٥٢٤)، والشامي في «رد المحتار» (٢/ ١٦٥)، وأحمد بن غانم المالكي في «الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني» (١/ ٩٦)، وأبو الحسن العدوي المالكي في هامش«كفاية الطالب الرباني» (١/ ١٠٦)، والقونوي في «القلائد في شرح العقائد» (ص ١٢٧، مخطوط).

وكلام النسفي هذا لا دليل عليه فلا يقبل. قال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» -بعد أن ساق نص الإمام النسفي هذا نقلا عن العلامة القونوي-: هذا باطل. قال الملا علي القاري بعد نقل نص الإمام النسفي ، في الأمر الأول: «فيه بحث؛ لأنه يحتاج إلى نقل صحيح أو دليل صريح».(منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص٢٩٥)

وصحح الأمر الثاني.

وقال في الأمر الثالث والرابع: «فلا يخفى أن المعتبر في العقائد هو الأدلة اليقينية

وأحاديث الآحاد لو ثبتت إنما تكون ظنية، اللّهم إلا إذا تعددت طرقه بحيث صار متواترًا معنويًّا فحينئذ يكون قطعيًّا، نعم ثبت في الجملة أن من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يرفع العذاب عنه، أما أنه لا يعود إليه إلى يوم القيامة، فلا أعرف له أصلا؛ وكذا رفع العذاب يوم الجمعة وليلتها مطلقًا عن كل عاص ثم لا يعود إلى يوم القيامة، فإنه باطل قطعيا». (منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص٢٩٦)

وأما قول الملا علي القاري رحمه الله: «رفع عذاب القبر عمن مات يوم الجمعة إلى يوم القيامة، مما لا أصل له»، فغير معقول، لأن ألفاظ حديث الوفاة يوم الجمعة مثلا: «وُقِي فتنةَ القبرِ»، «وقاه الله فتنة القبر»، «أُجِير من عذاب القبر»، «بَرِئ من فتنة القبر» .يؤخذ من ظاهرها أنه يأمن العذاب في حياته البرزخية بفضل الله تعالى.

أنكر الشيخ السقاف ضغطة القبر:

رد الشيخ السقاف الأحاديث التي وردت بضغطة القبر للمسلمين في عالم البرزخ. وقال بصحة بعض أحاديث ضغطة القبر؛ ولكن هذه الأحاديث -على رأيه- تعارض القرآن الكريم، فردها. قال الشيخ: ورد نفي الحزن والخوف عن المسلمين،﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ١١٢) وضغطة القبر خوف وهم. وقال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٣٢) قال كعب بن مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرهذه الآية: «إنما نسمة المؤمن طائر يَعلُق في شجر الجنة حتى يُرجِعَها الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه».(مسند أحمد، رقم:١٥٧٨٧)

وقال تعالى:﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)

هذه الآيات وأمثالها تفيد أن المسلمين وخاصة الكاملين منهم لا خوف عليهم. وجاء في حديث الترمذي توسعة سبعين ذراعا في القبر في عالم البرزخ.

وإنكار الشيخ السقاف ضغطة القبر بناء على هذه الآيات والأحاديث غيرُ صحيح، وقد وردت أحاديث صحيحة خاصة بضغطة القبر. وأما قوله تعالى:﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ١١٢) فيحتمل وجوها عدة:

١-لاخوف عليهم ولا يحزنون وقت النزع، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠)

٢- أو لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وقت الحشر، قال تعالى:﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)

٣- أو لا خوف عليهم ولا هم يحزنون عند دخول الجنة:

﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٩)

٤- أو يخافون ويحزنون ولكن لا يقلقهم شيء منهما، بل يكون مثل ضغطة الحبيب.

ونظرا إلى هذه التوجيهات لو كان الخوف لمدة قليلة في القبر أو عالم البرزخ، لم ينافِ قوله تعالى: (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ)، ولوحملناها على ضغطة الحبيب لم يكن خوف حتى في القبر.

كما أن «لا» في قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ شبيهة بليس، وليست لنفي الجنس، أي: لم ينف كل أنواع الخوف والحزن، فكان معناه:﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ لاخوف عظيم عليهم. وقد يكون عليهم خوف قليل وحزن يسير.

الفرق بين الخوف والحزن:

١- الخوف يكون على المستقبل، والحزن يرجع إلى الماضي، مثل الحزن على وفاة القريب، والخوف من قدوم السارق.

٢- كلاهما يتعلقان بالمستقبل: لا يخافون مِن فوات المطلوب، ولا يحزنون بموت المحبوب.

٣- لا يخافون لسلامتهم من الآفات، ولا يحزنون بعدم حصول اللذات.

قال الشيخ السقاف في نهاية بحث أحاديث ضغطة القبر: «وقد أفاض الزبيدي في شرح الإحياء (١٠/ ٤٢٢) في ذكر روايات حديث الضمة، وكذا ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٢٦) وكلها ضعيفة أو باطلة لا يصح التمسك بها لما بينا. وقد أورد الحافظ ابن الجوزي حديث سعد بن معاذ في «الموضوعات» (٣/ ٢٣٣) فأصاب. وحاول المدراسي في ذيل «القول المسدد»، ص١٢٧ أن يرد ذلك فلم يصب إطلاقا، لأنه نظر إلى بعض أسانيد الحديث ولم ينظر إلى معارضته للقرآن». (شرح العقيدة الطحاوية، للسقاف، ص٤٨٣، بتعليق)

اعلم أن الضعيف من الروايات الخاصة بسعد بن معاذ رضي الله عنه هو الذي ورد فيه دخول أضلاعه بعضها في بعض، وعذاب القبر، وقد فصلنا ذلك في «الجزء اللطيف في الاستدلال بالحديث الضعيف» (١٤٥-١٤٩)، وأما روايات ضغطة القبر فصحيحة. فما رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٢٨٣)، وابن حبان في «صحيحه» (رقم:٣١١٢) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا: «للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ». إسناده صحيح. قال الهيثمي: «رواه أحمد، عن نافع، عن عائشة، وعن نافع، عن إنسان، عن عائشة، وكلا الطريقين رجالهما رجال الصحيح». (مجمع الزوائد ٣/ ٤٦)

وكذلك حديث سنن النسائي(رقم:٢٠٥٥)، ودلائل النبوة للبيهقي(٤/ ٢٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ «لقد ضُمَّ ضَمةً ثم فُرِّج عنه» سنده صحيح. (للاستزادة منه راجع: الجزء اللطيف في الاستدلال بالحديث الضعيف، ص ١٤٥-١٥٠).

واعلم أن ضغطة القبر لا ترادف عذاب القبر، حتى يظن أنها تعارض الآيات السابقة؛ والمراد بضغطة القبرضيقُه، وسيزول عما قليل. والحكمة في الضغطة أن القبر يُظلم أولا ويرى ضيقًا، ثم يفتح عما قليل؛ ليدرك قدر نعمة التوسعة؛ لأن النور بعد الظلمة يقام له وزن. والظلمة والضيق لمدة قليلة لا يعد ضيقا في العرف، كما لو ذهبت الكهرباء لدقائق، ثم عادت، وفجأة تحولت الظلمة نورا، فإن اللسان ينطلق بالحمد لله والشكر له.

وتكون ضغطة القبر لبعض الناس كما تضغط الأم على طفها بلين، وقد جاء ذكره في حديث عائشة رضي الله عنها، الذي رواه البيهقي في «إثبات القبر». وما روي من حديث عذاب القبر فيما يخص زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير صحيح. وقد شرحنا مكانته من الإسناد في «الجزء اللطيف في الاستدلال بالحديث الضعيف».

٨٨- وَبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ لِلْمَيِّتِ[١] فِي قَبْرِهِ[٢] عَنْ رَبِّهِ وَدِيْنِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،[٣] وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: «فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت...». قال: «وإن الكافر...» فذكر موته قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: له من ربك؟ فيقول: هاه هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري». الحديث. (سنن أبي داود، رقم:٤٧٥٣. ومسند أحمد، رقم:١٨٥٣٤. وإسناده صحيح)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه حدثهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعا - قال قتادة: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس - قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين». (صحيح البخاري، رقم:١٣٧٤. وصحيح مسلم، رقم:٢٨٧٠)

أسماء الملائكة الذين يسألون في القبر:

قال بعض أهل العلم: الذين يسألون الكافر في القبر هما المنكر والنكير، وأما الذين

(١) قوله «للميت» أثبتناه من جميع النسخ الخطية، وهو ساقط من أكثر المطبوعات.

(٢) في ١٣ بعده زيادة «ويسألان». وفي ١٦ «على ما جاءت له الأخبار».

(٣) في ٢٤ من بعده سقط طويل إلى قوله الآتي: «وعلمه وقدره وقضائه...». وأثبتناه من بقية النسخ.

يسألون المؤمن في القبر فهما مبشر وبشير.(شرح الصدور، ص١٤٦) سُمِّيا منكرا ونكيرا؛ لأن صورتهم تثير الخوف في قلب الكافر وتوحشه، أو لأن صورتهم لا تشبه صورَنا؛ بل صورة غريبة.

المنكر له معنيان: (١) ما خالف الشرع، والقبيح. (٢) الغريب، قال تعالى:﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ (هود: ٧٠)

السائلون في القبر ملكان: منكر ونكير، أو هم جماعة؟:

سؤال: هل هذان الملكان هما اللذان يسألان جميع الأموات، أو هم جماعة ؟

الجواب: جعل الله تعالى لهم أجساما عظيمة يتنقلون كيف شاءوا وإلى أين شاءوا. مثلهم كمثل الشمس، تغطي نصف الكرة الأرضية، وقس عليها المنكر والنكير، فلهما جثة عظيمة،وصلاحية التنقل حيث شاءوا.

ومثاله ملك الموت، فهو ملك عظيم الجثة، اسمه –كما في بعض الروايات– إسماعيل، وفي بعض الروايات الموقوفة: عزرائيل. وروي عن وهب وغيره: الدنيا كلها بالنسبة له بمنزلة صحن من الصحون، يلتقم منه أنى شاء.

وهذا خلاف التحقيق، لأن المحققين قالوا: قال الله تعالى في القرآن الكريم:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ (الأنعام: ٦١) مما يدل على أن قابضي الروح ملائكة بعثهم الله تعالى، وسيدهم ملك الموت. يخضعون له في هذا الأمر، ويعاونونه. وقيل: كذلك ثمة ملائكة كثيرون يعملون بأمر المنكر والنكير.

ويسأل الروح مع الجسد في القبر. وسبق تفاصيله.

حالات ومراحل متعددة للروح:

(١) عدم علاقة الروح مع الجسد، فقد خلق الروح قبل خلق الجسد بألفي عام. (البحر المحيط لأبي حيان٤/ ٥٤١) وقال ابن قيم في «الروح» (ص ١٧٢): ضعّف إسناد هذه الرواية لأجل عتبة بن السكن، وأرطاة بن المنذر.

(٢) علاقة الروح مع عالم الذر: قال تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

سؤال: هذه الآية تشير إلى عهد «ألست»، وهو ما لا يذكره أحد، فما فائدته؟

الجواب: بعث الأنبياء عليهم السلام للتذكير بهذا العهد، فإن كانوا نسوه فقد ذُكِّروا به. كما أنهم – وإن نسوه – فطروا على الميل إلى عاقبة عهد «ألست». وما فطر عليه الإنسان يكون من جراء التعليم وآثاره. فعلم أنهم عُلِّموه وأقروا به. وسبق تفصيل عهد «ألست» تحت قول المؤلف: «والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حقٌّ».

(٣) علاقة الروح بالجنين في بطن أمه.

(٤) علاقة الروح بالبدن بعد الولادة.

(٥) علاقة الروح مع الجسد في المنام علاقة روح الحياة، بحيث إن أشعة الروح متوفرة في البدن، وإن كان –الروح– فارقه وابتعد عنه، غير أن الإنسان لا يموت. والحاصل أنه فارق في النوم روح التمييز وروح الشعور. ولم يفارق روح الحياة.

(٦) علاقة الروح مع البدن في عالم البرزخ: يشعر الروح بما يقع على البدن من العذاب والنعيم. ويشعر الروح بمشي المشيعين بعد ما يرجعون من الدفن. ويسمع الروح سلام من يسلم على صاحب القبر. ولكن علاقة الروح مع الجسد هذه ليست علاقة التدبير والتصرف. واتفق أهل الحق على أن الله تعالى يورث الميت في القبر حياةً يشعر معه باللذة والألم. واختلفوا: هل يعاد الروح أم لا؟ توقف فيه الإمام أبوحنيفة رحمه الله.

قال العلامة الميداني: «إن أهل الحق اتفقوا على أن الله تعالى يخلق في الميت نوع حياة في القبر قدر ما يتألم ويلتذ، لكن اختلفوا في أنه هل تعاد الروح إليه أم لا؟ والمنقول عن الإمام أبي حنيفة التوقف». (شرح العقيدة الطحاوية للميداني، ص١١٧)

وسبق الحديث الذي جاء فيه إعادة الروح، وإن كانت هذه الإعادة عبارة عن تعلق الروح.

(٧) علاقة الروح مع البدن في عالم الآخرة: علاقة الروح مع البدن هذه أقوى العلاقات؛ فإن الموت لا يطرأ على البدن ولا على الروح في الآخرة.

يقول بعض أهل العلم المعاصرين في باكستان: أرواح الأنبياء عليهم السلام في أعلى العليين، وأرواح المؤمنين في العليين، وأرواح الأشقياء في السجين. تُمَنَحُ أرواح الأنبياء في عالم البرزخ أبدانا مثالية من المسك والكافور مماثلة لأبدانهم العنصرية، تتمتع بالنعيم.

يرى أكابرنا أن علاقة أرواح الأنبياء مع أجسادهم علاقة عميقة قوية، فيسمعون الصلاة والسلام عن قريب، ويبلغهم الملائكة سلامنا من بعيد.

حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

قد مضت مدة طويلة على اختلاف أكابرنا من علماء ديوبند مع منظمة «إشاعة التوحيد». ولانغلو لوقلنا: ألفت في هذا الموضوع عشرات الرسائل. فألف أصحاب «إشاعة التوحيد» رسائل، منها: «الحياة بعد المماة»، و«القول الجلي»، و«المسلك المأثور»، و«اكابر كے باغی كون؟» (مَن الخارج على أكابر أهل العلم). وألف معارضوهم رسائل مماثلة أمثال: «تسكين الصدور» للشيخ سرفراز صفدر، و«مقام الحياة» للشيخ خالد محمود، و«رحمة الكائنات» للشيخ محمد زاهد الحسيني، و«تسكين الأذكياء»، و«تقرير دل پذير» (دراسة تلامس القلوب) و«حياة الأنبياء»، ونحوها.

أشبعت هذه الرسائل البحث في القبر والبرزخ، والحياة والمماة، ومستقر الأرواح، وعلاقة الروح مع البدن ونحو ذلك. وادعى كل فريق منهم أن أكابر ديوبند يرون رأيهم. ونحن في غنى عن الخوض في هذه التفاصيل. وأصل الاختلاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع التسليم حين يسلم عليه من قريب الروضة المطهرة أو لا يسمع؟ وهل يبلغ الصلاة والسلام من بعيد أو لا؟ وهل ينفع إذا طلب الشفاعة أو الدعاء منه صلى الله عليه وسلم بالقرب من الروضة المطهرة أم لا؟ ذهب أكابرنا إلى سماع الصلاة والسلام وطلب الشفاعة والدعا من قريب في ضوء القرآن، والسنة، وأقوال الفقهاء، وأساطين الأمة. وخالفهم في ذلك علماء «إشاعة التوحيد».

بعض ما يُستدل به على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

استدل علماء ديوبند على دعواهم بالأحاديث التالية:

١- عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء أحياء في قبورهم يُصَلُّون». (مسند أبي يعلى، رقم:٣٤٢٥، قال حسين سليم في تعليقه: إسناده صحيح)

يدل الحديث على أن الأنبياء أحياء في قبورهم، ويتعلق الروح بالبدن في الحياة، وهذه العلاقة في القبر.

إيراد: في إسناده أبو الجهم الأزرق بن علي، جاء فيه: «يغرب»، أي: يأتي بالعجائب؟

الجواب: قال الحافظ ابن حجر فيه: «صدوق». وذكره ابن حبان في «الثقات». وروى عنه جماعة من المحدثين، وحسَّن حديثه الشيخ شعيب الأرنؤوط.(راجع: تعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط على صحيح ابن حبان، رقم:٤٧٥٩)

وتابعه عبد الله بن محمد بن يحيى في «أخبار أصفهان» لأبي نعيم. (أخبار أصبهان لأبي نعيم ٢/ ٤٤، ترجمة عبد الله بن إبراهيم بن الصباح، ط: دار الكتب العلمية، بيروت)

إيراد: في إسناده الحجاج بن الأسود، لا يروي عنه إلا مستلم بن سعيد، فهو مجهول.

الجواب: الحجاج بن الأسود راوٍ ثقة. روى عنه كثير من الناس، منهم: جرير بن حازم، وحماد بن سلمة، وروح بن عبادة، وعيسى بن يونس، وغيرهم. ولذا قال الحافظ الذهبي: من المسامحة القول بأنه لا يروي عنه إلا مستلم بن سعيد. وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان»: «قال أحمد: ثقة ورجل صالح. وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وذكره ابن حبان في «الثقات» . (لسان الميزان٢/ ١٧٥)

إيراد: في إسناده مستلم بن سعيد قد يهم.

الجواب: لم يَهِمْ، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما خالف. أي: خالف مستلم شعبةَ، وهو-مستلم- مصيب فيه. قال الدكتور بشار عواد، وشعيب الأرنؤوط في «تحرير تقريب التهذيب»: «بل صدوق حسن الحديث، فقد وثَّقه أحمد بن حنبل، وقال النسائي وابن معين في رواية ابن محرز عنه: ليس به بأس. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما خالف. فأخذها منه المصنف (ابن حجر) فكتب ربَّما وهم. وإنما خالف مستلم شعبةَ في حرف صَحَّف فيه شعبة، وذكر يحيى بن معين أن مستلم هو المصيب، فكان ماذا؟ وقال الذهبي في الكاشف: صدوق». (تحرير تقريب التهذيب٣/ ٣٦٦)

وقصة مستلم وشعبة أنه حين يوضع الميت في القبر، أتاه ملكان: منكر ونكير. فروى مستلم بن سعبد بلفظ: «إذا وضعت لِـمَّتك جاءك ملكان أسودان».وهذا اللفظ صحيح وذو مغزى. ورواه شعبة بلفظ: «إذا وضع لِـمثلك». وفي هذا مستلم بن سعيد مصيب. ونسبه الحافظ ابن حجر إلى الوهم من غير مبرر. سامحه الله. فصوَّب يحيى بن معين مستلم بن سعيد. راجع: تهذيب الكمال للمزي مع تعليقات الدكتور بشار عواد (٢٧/ ٤٣٠).

فعلم أن أن الحافظ ابن حجر هوالذي وهِمَ، وكتب: ربما وهم.

٢- عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثِروا الصلاةَ عليَّ يومَ الجُمُعة، فإنَّه مشهودٌ، تَشهَده الملائكةُ، وإنَّ أحدًا لن يُصلِّي عليَّ إلا عُرِضتْ عليَّ صلواتُه حتى يفرُغ منها»، قال: قلتُ: وبعدَ الموت؟ قال: «وبعد الموت، إنَّ الله حرَّم على الأرض أنْ تأكُل أجسادَ الأنبياء، فنبِيُّ اللهِ حيٌّ يُرزَق». (سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم، رقم:١٦٣٧)

دل الحديث على أن الصلاة تعرض على الروح مع الجسد، ولذا جاء التصريح بعدم بلى الجسد. كما علم أن الصلاة تعرض على الجسد العنصري، لا على الجسد المثالي؛ لأن الجسد المثالي يبقى وإن بلي الجسم.

ويتكلم بعضهم على أحد رواته، وهو سعيد بن أبي هلال. ولكن وثقه كل من الدارقطني، والإمام العجلي، وابن خزيمة، والبيهقي، والخطيب البغدادي، وابن عبد البر. وهو من رواة الصحيحين.(راجع: تحرير تقريب التهذيب٢/ ٢٥)

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مررتُ على موسى ليلةَ أُسْرِيَ بي عند الكَثِيبِ الأحمرِ، وهو قائم يصلي في قبره». (صحيح مسلم، رقم:٢٣٧٥)

فعلم منه أن الروح على صلة بالقبر.

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن صلَّى عليَّ عند قبري سمعتُه، ومن صلى عليَّ مِن بعيد أُعلِمتُه». (أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب، وابن حبان في كتاب ثواب الأعمال. قال السخاوي في القول البديع (ص١٦٠): وسنده جيد)

إيراد: في سنده: محمد بن مروان السدي الصغير، وهو مجروح.

الجواب: هذا في إسناد البيهقي، وليس في إسناد أبي الشيخ، وهو سند صحيح.

ويرد عليه أن عبد الرحمن بن أحمد الأعرج –شيخ أبي الشيخ– له تلميذان: أبو الشيخ، والثاني: أبو أحمد محمد بن إبراهيم. ذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٢/ ١٩٢)، و أبو نعيم في «طبقات المحدثين» (٣/ ٥٤١)، فليس مجهول الذات. ولكنه مجهول الحال ومستور؛ إذ لم يوثقه أحد من المحدثين. قال الحافظ ابن حجر في «شرح نخبة الفكر»: «وإن روى عنه إثنان فصاعدا ولم يوثَّق فهو مجهول الحال، وهو المستور».(شرح النخبة، ص٧٤)

والجواب عنه: قال العلامة الذهبي في أبي الشيخ: هو الحافظ، الإمام، مسند زمانه. وقال ابن مردويه: ثقة مأمون. (تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥)

وحكى العلامة الذهبي عن عدد من المحدثين قولهم في أبي أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم: حافظ ثقة، متقن، مأمون. (سير أعلام النبلاء٦/ ١٦)

وقال الدارقطني: «من روى عنه ثقتان فقد ارتفعت جهالته، وثبتت عدالته». (فتح المغيث ٢/ ٥٤)

وقال العلامة السخاوي: «نسبه ابن المَوّاق لأكثر أهل الحديث كالبزار والدارقطني». (فتح المغيث ٢/ ٥٤)

وقال العلامة الزيلعي والعلامة العيني: «وإنما ترتفع جهالة المجهول إذا روى عنه ثقتان مشهوران». (نصب الراية ٢/ ٣٩. شرح سنن أبي داود للعيني ٣/ ٢٣٩. وعمدة القاري ٦/ ٥٦)

وقال العلامة الذهبي في مالك بن الخير: «في رواة الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحدًا نص على توثيقهم، والجمهور على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة، ولم يأت بما ينكر عليه أن حديثه صحيح». (مقدمة المصنف لابن أبي شيبة، ص٨٨)

وإليه ذهب الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. حكى الشيخ محمد عوامة في مقدمة «الكاشف» للذهبي، عن الشيخ حبيب الرحمن قوله: «وأما توثيق ابن حبان إذا انفرد: فهو مقبول عندي، معتد به إذا لم يأت بما ينكر عليه، وهو الذي يؤدي إليه رأي الحافظ ابن حجر، فإنه أقر قول الذهبي في «الميزان»: إن الجمهورعلى أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة، ولم يأت بما ينكر عليه، فحديثه صحيح، أقره الحافظ في حق من لم يوثقه أحد، فإذا كان ابن حبان وثقه: فهو أولى بالقبول». كما تقدم بعضه في ص٣٣، وموافقة شيخنا عبد الله الصديق له». (مقدمة الكاشف، ص٥٥)

وإليه ذهب الحافظ ابن قيم، قال: «وأما مجهول الحال فقد ذهب ابن قيم -رحمه الله- إلى أن الجهالة تزول عنه، ويحتج بحديثه: ١- إذا روى عنه ثقتان ، ٢-ولم يعلم فيه جرح ولا قدح». (ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة ١/ ٤٧٧)

قال الحافظ ابن قيم في «زاد المعاد»: «وخالد بن عرفطة قد روى عنه ثقتان: قتادة، وأبو بشر، ولم يعرف فيه قدح، والجهالة ترتفع عنه برواية ثقتين». (زاد المعاده/ ٣٥)

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وقد اختلف الفقهاء وأهل الحديث في رواية الثقة عن رجل غير معروف، هل هو تعديل له أم لا؟ وحكى أصحابنا عن أحمد في ذلك روايتين. وحكوا عن الحنفية أنه تعديل، وعن الشافعية خلاف ذلك. والمنصوص عن أحمد يدل على أنه من عرف منه أنه لا يروي إلا عن ثقة فروايته عن إنسان تعديل له، ومن لم يعرف منه ذلك فليس بتعديل، وصرح بذلك طائفة من المحققين من أصحابنا وأصحاب الشافعي. قال أحمد في رواية الأثرم: إذا روى الحديث عبد الرحمن بن مهدي عن رجل فهو حجة. وقال في رواية أبي زرعة: مالك بن أنس إذا روى عن رجل لا يعرف فهو حجة. وقال يعقوب بن شيبة: قلت ليحيى بن معين: متى يكون الرجل معروفًا؟ إذا روى عنه كم؟ قال: إذا روى عن الرجل مثل ابن سيرين والشعبي، وهؤلاء أهل العلم فهو غير مجهول. قلت: فإذا روى عن الرجل مثل سماك بن حرب وأبي إسحاق؟ قال: هؤلاء يروون عن مجهولين. انتهى. وهذا تفصيل حسن، وهو يخالف إطلاق محمد بن يحيى الذهلي الذي تبعه عليه المتأخرون أنه لا يخرج الرجل من الجهالة إلا برواية رجلين فصاعدا عنه». (شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي ١/ ٨٠-٨٢)

ذكر العلامة الذهبي في «تاريخ الإسلام» تلميذًا آخر للأعرج، وهو أحمد بن بندار بن إسحاق، وقال: شيخ أصبهان، ومسندها، وكان ثقة. (تاريخ الإسلام ٨/ ١٣٢، ط: دار الغرب الإسلامي).

وعليه وصف عدد من المحدثين إسناد أبي الشيخ بالجودة. فقال الحافظ ابن حجر: «وأخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب بسند جيد بلفظ: «مَن صلَّى عليَّ عند قبري سَمِعتُه، ومن صلى عليَّ نائِيًا بُلِّغْتُه». (فتح الباري ٦/ ٤٨٨)

قال العلامة السخاوي: «وسنده جيد». (القول البديع، ص١٦٠)

وقال الملا علي القاري أيضًا: «سند أبي الشيخ جيد». (مرقاة المفاتيح٢/ ٤٧٩، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها)

تحدث الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله في تعليقه على «الرفع والتكميل» على هذا الموضوع كلامًا طويلًا جامعًا في ١٨ صفحة. وأكد ذلك الشيخ –في ضوء عدد من الأدلة، وأقوال المحدثين. وانتهى إلى القول: «فإذا علم هذا كله، اتضحت وجاهة ما أثبته من أن مثل البخاري، أو أبي زرعة، أو أبي حاتم، أو ابنه، أو ابن يونس المصري الصدفي، أو ابن حبان، أو ابن عدي، أو الحاكم الكبير أبي أحمد، أو ابن النجار البغدادي، أو غيرهم ممن تكلم أو ألف

في الرجال، إذا سكتوا عن الراوي الذي لم يجرح ولم يأت بمتن منكرٍ، يُعَدُّ سكوتهم عنه من باب التوثق والتعديل، ولا يعد من باب التجريح والتجهيل، ويكون حديثه صحيحًا أو حسنًا أو لا ينزل عن درجة الحسن؛ إذا سلم من المغامز، والله تعالى أعلم». (تعليقات الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، ص٢٤٦)

٥- «ما من أحد يُسَلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ رُوحِي حتى أرُدَّ عليه السلامَ». (سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم:٢٠٤١، وإسناده حسن)

يقدر «قد» في قوله: «ردَّ اللهُ عليَّ رُوحِي» أي: قد رد الله عليَّ روحي من قبلُ. أو المراد برد الروح رد النطق.

٦- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إن لله ملائكةً سيَّاحِين في الأرض يُبَلِّغُونِي من أمتي السلامَ». (سنن النسائي، كتاب السهو، باب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم:١٢٨٢. وإسناده صحيح. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم:٩١٤، والدارمي، رقم:٢٨١٦، وغيرهم)

وما كُتِب حول تصحيح هذه الروايات، والإيرادات، والإجابة عنها فيه كفايةٌ وشفاء.

أين مستقر الأرواح؟:

(١) أرواح الأنبياء عليهم السلام في أعلى العليين.

(٢) أرواح المؤمنين في العليين.

(٣) أرواح الكفار في السجين.

(٤) أرواح الشهداء في جوف طير خضر. أي: تجلس أرواح الشهداء في مقاعد مريحة في طائرات متشكلة في صُوَر طيور خضر تطير من المطارات الفخمة المعلقة تحت العرش.

«أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل». (صحيح مسلم، رقم:١٨٨٧)

ضحى الشهداءُ بأجسادهم في سبيل الله، فعوضهم الله تعالى عن أجسادهم مركبا خيرًا.

إيراد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشُّهداءُ علَى بارق -نهرٍ بباب الجنة- في قُبَّةٍ خَضراءَ، يخرج عليهم رزقُهم بكرةً وعشيًّا». (المستدرك للحاكم، رقم:٢٤٠٣. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي). دل الحديث على أن الشهداء على أبواب الجنة؟

الجواب: هؤلاء الشهداء المحبوسون في حقوق العباد، أو الشهداء الذين لم يُستشهدا في معركة وجهاد، وإنما نالوا ثواب الشهادة لموتهم في طعن، أو بطن، ونحوهما.

إيراد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما نسمة المؤمن طيرٌ تَعلُق في شجر الجنة حتى يُرجِعَها الله عزَّ وجلَّ إلى جسده يومَ القيامة» . (مسند أحمد، رقم:١٥٧٧٦، وإسناده صحيح على شرط الشيخين). دل الحديث على أن عامة المسلمين لهم مركب الطيور الخضر، فما وجه تخصيص الشهداء بذلك؟

الجواب: المراد بهم المؤمنون الكاملون غير الشهداء، وهم الذين قضوا حياتهم كلها في عبادة الله وطاعته وذكره، ولم يبالوا بشيء. فهم يحظون بمركب الطير الخضر. ولكن شتان بين مركب ومركب. ومن المسلَّم التفاوت في الدرجات حسب الأعمال. أو المراد بالمؤمنين الكاملين الشهداء المؤمنون، أو أن الشهداء والمؤمنون كلاهما مركبهما في صورة طير خضر، ولكن شتان بين مركب ومركب. أو يفرق في مقاعد مركب واحد: الدرجة الأولى، ودرجة الأعمال، والدرجة السياحية. والله أعلم.

المستثنون من السؤال في القبر:

يستثنى بعض الناس من السؤال في القبر، ومنهم:

- الأنبياء عليهم السلام، فلا يسألون، وإنما يسأل عنهم.

إيراد: فما سبب استعاذة النبي من عذاب القبر؟

الجواب: استعاذ النبي تعليمًا لأمته، وإعرابا عن عجزه، وشكرًا.

- الملائكة، فلا يُسألون؛ لأن الملائكة معصومون مثل الأنبياء عليهم السلام.

- جاء في روضة الطالبين للإمام النووي رحمه الله: الصبي لا يسألُ في القبر، وتوقف في المجنون.

وقِس عليه المطعون، والمبطون، والمرابط، والميت يوم الجمعة، والأطفال، ومن مات فجأةً: من سقوط جدار على أحد فمات تحته، أو موت اصطدام السيارة، ومن قرأ قبل موته: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ١)، ومن يواظب على صلاة الضحى، ومن يقرأ سورة الملك كل ليلة، فهؤلاء لا يُسألون في القبر.

ساقها الشيخ عبد الحيي في هامش شرح الموطا للإمام محمد في باب الشهادة مفصلا. وأعد العلامة السيوطي رسالة فيه، سماها: «أبواب السعادة بأسباب الشهادة». وذكر العلامة السيوطي في «شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور» باب من لا يُسأل في القبر، الأحاديثَ الواردة في عدم سؤال هؤلاء في القبر.

وذهب بعض الحنفية إلى سؤال الصغير، ولكن يلهمون بأن يجيبوا كذا وكذا، كما يعلم الصبي في الدنيا.

قال سعيد بن المسيب: كان أبو هريرة رضي الله عنه يدعو للصغير فيقول: «اللّهم قِهِ عذاب القبر». (السنة لعبد الله بن أحمد، رقم:١٤١٩)

الجواب عنه: المراد بالعذاب وحشة القبر.

وقد ورد التصريح بالسؤال في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر: ٩٢). وهو يشمل الآخرة والقبر.

وفي الحديث: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا فرغ عن دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفِرُوا لأخيكم وسَلُوا له بالتَّثبِيت، فإنَّه الآنَ يُسْئَلُ». (سنن أبي داود، رقم:٣٢٢١)

إيراد: ورد السؤال في جانب، وورد في جانب آخر أن الذنوب لا يسأل عنها، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن: ٣٩)

الجواب (١): يُسأل في القبر، ولا يسأل بعد البعث.

(٢) السؤال على نوعين: ١- سؤال توبيخ. ٢- سؤال استخبار. ويُسأل سؤال توبيخ في الآخرة.

يسأل عامة المسلمين والمنافقين، فهل يُسأل الكافرُ في القبر أم لا؟ قال بعض أهل العلم: يُسأل من جمع بين الخير والشر، وأما من كان شره مقطوعا به، فماذا يُسأل عنه؟وهذا القول ضعيف، ومعارض للأحاديث. فحيث ورد الحديث بسؤال المنافق ورد كذلك بسؤال الكافر، فقد سبق حديث أبي داود في سننه: «وإن الكافر يقول: هاه هاه، لا أدري». (رقم:٤٧٥٣. وإسناده صحيح)

٨٩- وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ(١).

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار». (سنن الترمذي، رقم:٢٤٦٠، وإسناده ضعيف لضعف عبيد الله بن عبد الوليد الوصافي. والمعجم الأوسط للطبراني، رقم:٨٦١٣، وإسناده ضعيف أيضًا لضعف محمد بن أيوب بن سويد)

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: حين يجيب المؤمن في قبره عن الأسئلة جوابًا صحيحًا نادى منادٍ من السماء: «أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة». وحين يقول الكافر في الجواب عن سؤال المنكر والنكير: «هاه هاه لا أدري» نادى منادٍ من السماء: «كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه». (مسند أحمد، رقم:١٨٥٣٤، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «القبر أول منازل الآخرة، فإن ينج منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه».(سنن الترمذي، رقم:٢٣٠٨. سنن ابن ماجه، رقم:٤٢٦٧. مسند أحمد، رقم:٤٥٤. وإسناده صحيح).

---

(١) قوله «والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران» سقط من ٢. وفي ١، ٤، ٥، ٦، ١٢، ١٨، ١٩، ٢٥ «النار» بدل قوله «النيران». ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

٩٠- وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ[(١)]، وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ، وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ، وَالْمِيزَانِ[(٢)].

أمور ثمانية تقع يوم القيامة:

ذكر المؤلف في هذا النص ثمانية أمور تقع يوم القيامة:

١- البعث: أي: الحياة بعد الموت، والاجتماع للحساب والكتاب، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٨)

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧)

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج: ٧)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٦)

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ (يس)

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق: ٤٤)

كما يمر البشر بمراحل مختلفة من النقطة، والعلقة، والمضغة، ثم العظم واللحم، حتى يخرج إلى العالم في صورة بشر حسن الخلق، ثم يبلى جسده بعد الموت، ويمر بمراحل مختلفة وينتهي إلى أن يكون ترابا، كذلك إذا أراد الله تعالى بعثه، يمر جسده بمختلف المراحل، ويعود إلى صورته الأصيلة. قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ (القيامة)

٢- جزاء الأعمال الحسنة والسيئة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الواقعة: ٢٤)

---

(١) في ١٠ بعده زيادة «قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾».

(٢) في ١، ٤، ١٧ بعد قوله «الميزان»: «يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة والمعصية». وفي ١٠ بعده زيادة «حق لقوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ ». وما أثبتناه من بقية النسخ.

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ (غافر: ١٧)

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التحريم: ٧)

وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ (النجم: ٣١)

٣- العرض على الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١٨)

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ (الكهف: ٤٨)

٤- حساب أعمال العباد، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ (الانشقاق)

وقال تعالى: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ٢٠)

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ (المؤمنون: ١١٧)

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (النبأ: ٢٧)

٥- قراءة كل واحد صحيفة أعماله، قال الله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ (الإسراء)

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ (القمر: ٥٣)

٦- ثواب الأعمال الحسنة وعقاب الأعمال السيئة، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة)

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧)

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)

٧- المرور بالصراط، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ (مريم)

بلغت الأحاديث الواردة في الصراط حد التواتر، وسيأتي تفصيله لاحقًا.

٨- وزن الأعمال لبيان مدى حسن أعمال العباد وقبحها يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الأعراف)

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ (القارعة)

معانٍ عدة للبعث:

البعث (١) الإرسال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ (المائدة: ٣١) أي: فأرسل الله غرابًا.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ (الجمعة: ٢)

(٢) بمعنى الإيقاظ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ (الكهف: ١٩) أي: أيقظناهم من النوم.

(٣) الإحياء بعود الأرواح إلى الأجساد. وهو المراد هنا.

الأجزاء الأصلية في الجسد الإنساني:

(١) التراب الذي عجنه الملك بالمنيِّ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا وقد ذُرَّ عليه من تُراب حُفْرَتِه». (حلية الأولياء ٢/ ٢٨٠، ولكنه لا يصح، في إسناده محمد بن إسحاق بن إبراهيم الأهوازي متهم بوضع الحديث، كما في الميزان ٣/ ٤٧٨)

وعن ابن عمر رضي الله عنه: دفن حبشي في المدينة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دفن بالطينة التي خلق منها». (المعجم الكبير للطبراني، رقم: ١٤٠٢٢. وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عيسى الخزار).

وروي عن أبي سعيد الخدري، وأبي الدرداء رضي الله عنهما أيضًا، وفي حديث أبي سعيد الخدري عبد الله –والد علي بن المديني– وهو ضعيف. وفي حديث أبي الدرداء الأحوص بن الحكيم، وثقه العجلي، وضعفه الجمهور. كذا في مجمع الزوائد، للهيثمي ٣/ ٤٢.

(٢) الأجزاء الموجودة المتكونة من المني .

(٣) الأجزاء التي تعلّق بها الروح أوّلًا .[1]

الفرق بين البعث والإعدام، وأقوال أهل العلم:

قال بعض أهل العلم: الإفناء تفريق الأجزاء، والبعث جمع الأجزاء. فلا يلزم إعادة المعدوم على هذا القول.

الدليل(١): قصة إبراهيم عليه السلام:﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (إلى قوله:)﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾(البقرة: ٢٦٠). المراد به: فرّق أجزاء الطيور، وهو الإفناء. ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ وهذا إعادة الروح، ويطلق عليه البعث.

الدليل (٢): قصة عزير عليه السلام، قال الله تعالى:﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩)

وقال بعض أهل العلم: معنى البعث: خلقه مرة أخرى، والإفناء:هو إعدام الأجزاء.

الدليل(١): ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٢٧﴾ (الرحمن)

الدليل(٢): ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣) أي: تفنى أجزاء الجميع، ولا يبقى إلا الله تعالى.

الدليل(٣):﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤) أي: يخلق العالم من جديد كما خلقه أول مرة.

القول الثالث: التوقف. اختاره إمام الحرمين. (راجع: النبراس، ص٢١١، لمعرفة الاختلاف في كيفية الإفناء والإعادة)

قال الطبيعيون: لا حشر ولا نشر. وقالوا: هما نفس وروح، وكلاهما فانيان. والنفس

---

(١) قال العلامة محمد عبد العزيز الفرهاوي: «اختلف في الأجزاء الأصلية، فقيل: هي الأجزاء التي تعلق بها الروح أولاً، وقيل: هي المتكونة من المني، وقيل: التراب الذي يعجنه الملك بالمني...، وقيل: هي التي كانت موجودة في الشخص قبل أن يغتذي، ويقابلها الأجزاء الفضلية الحاصلة بالغذاء». (النبراس، ص٢١٠)

التي تدرك وتتصرف، فإذا فنيت بقي الروح فقط، والروح هواء يتكون من الأخلاط الأربعة: النار، والماء، والطين، والهواء. والحياة الإنسانية عبارة عن توازن الحرارة والبرودة، الناشئ في بدن الإنسان. فإذا مات الإنسان، بردَ وانتهى. وينتهي الروح أيضًا. ولا يخفى بطلان نظرة الطبيعيين هذه.

إيراد (١): لو سلمنا فرضًا أن حياة الإنسان من جديد يطلق عليه الإعادة. وأما الإنسان الذي انعدم، فإعادته إعادة المعدوم. ولا إعادة للمعدوم. والمعدوم لا يقبل الإشارة، وغير محفوظ، فكيف يعاد؟

إيراد(٢): الوقت من المشخِّصات، أي: يعين وقت الأشياء، وعليه فلو كانت إعادة المعدوم كزيد مثلا، لزم إعادة الوقت الذي كان فيه زيد، فتكون الإعادة ابتداء، ولا يصح أن تتحول الإعادة مبدأ.

الجواب(١): لو كان الوقت من المشخِّصات لكان زيد اليوم غيره في الأمس. أي: لو كان الوقت من المشخصات، لكان زيد اليوم غير زيد بالأمس، ولم يقل به أحد؛ فثبت أن الوقت ليس من المشخصات.ويعاد الجسد مع الروح بدون إعادة الوقت.

الجواب(٢): سبق في الموت قولان: الموت تفريق الأجزاء أو الإعدام؟ فإذا قلنا: الموت تفريق الأجزاء، لم تكن إعادة؛ لأن الأجزاء موجودة، وإن لم نعلمها. فلو مات أحد و أكله الحيوانات، أو أحرق فصار رمادًا، فإن الله تعالى على علمٍ بالأجزاء: إلى أين وصلت؛ لأن علم الله تعالى محيط بكل ذرة من ذرات العالم. فيأمرها الله تعالى بالاجتماع. و اجتماع هذه الأجزاء هو البعث والحشر.

وعلى القول الثاني، البعث عبارة عن إعادة المعدوم. وأما القول بأن إعادة المعدوم لا يصح؛ لأنه لا يكون مأمورًا به، فنقول: أي حاجة إلى الأمر، وقوله:﴿كُن فَيَكُونُ﴾ (الأنعام: ٧٣) كناية عن السرعة، لا أمر.

ولو سلمنا فرضًا أن قوله:﴿كُن فَيَكُونُ﴾ (الأنعام: ٧٣) أمر فيكون أمرا للمعدوم الموجود في العلم الإلهي، ويصح خطاب الموجود العلمي، فمثلا نقول: أفلاطون غير أرسطو، فهذه إشارة عقلية، بأن الإشارة إلى أحدهما في عقلنا غير الإشارة إلى الآخر. وهذا تمييز عقلي؛ وإن لم يكن حسيًّا. وأما القول بأن المعدوم غير محفوظ، فلايصح؛ لأن المعدوم

محفوظ في علم الله تعالى.

وأما الفلاسفة الإلهيون فيبحثون في العقول العشرة، ويقولون: الإعادة روحانية، لا جسمانية؛ فإن الجسم قد انعدم، ولا إعادة للمعدوم. ولا تفنى النفس؛ بل تبقى، وجنتها أن تستحق الفرحة والسرور على أعمالها السابقة،فإن كان أعمالها السابقة سيئة تعرضت للهم والندم روحانيا، وليس إلا. وهذا ما عليه النصارى، وبطلانه ظاهر.

هل يحاسَبُ الملائكة أم لا؟ :

ويطرح هنا السؤال نفسه:هل يحاسَبُ الملائكة أم لا؟

الجواب: يحاسب الملائكة ليظهر العدل الإلهي.

لابن حبان عن أبي الشيخ أن اللوح يعطى الفهم، فيحاسَب.

أخرج أبو الشيخ بإسناده عن أبي سنان قال: «أقرب الخلق من الله تبارك وتعالى اللوح، وهو معلق بالعرش، فإذا أراد الله عز وجل أن يوحي بشيء كتب في اللوح، فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل، وإسرافيل قد غطى وجهه بجناحه أو جناحيه، لا يرفع بصره إعظاما لله عز وجل، فينظر فيه، فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل، وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبريل، فأول ما يحاسب يوم القيامة اللوح، يدعى به، ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقول ربنا تبارك وتعالى: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيدعى إسرافيل ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغك اللوح؟، فإذا قال إسرافيل: نعم، فيقول اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب». (العظمة لأبي الشيخ ٢/ ٧٠٤، رقم:٢٩٣، وإسناده مقطوع)

هل يحاسَب الرسلُ أيضًا؟ :

سيُسأل الرسل أيضًا يوم القيامة، قال الله تعالى:﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف: ٦)

تقول الشيعة: الحساب يكون بيد عليٍّ. وهذا كذب وافتراء.

أقسام الحساب:

(١) الحساب اليسير: يُعرَّف ثم يعفى عنه.

(٢) الحساب العسير: المناقشة في الحساب، والشدة فيه.

(٣) الحساب السري: الحساب من وراء الحجاب. ستر عليه في الدنيا فيستر عليه في الآخرة.

(٤) الحساب الجهري: الفضح أمام الخلائق. (والعياذ بالله).

(٥) حساب العدل: يعطى على السواء.

٦) حساب الفضل: تبديل السيئات حسنات.

محاسبة الدواب:

ينسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما، والعلامة الآلوسي، والإمام الغزالي رحمهم الله: لا تحاسب الدواب؛ لأنها غير مكلفة، وإنما يحاسب الإنس والجن.[1]

قال المحققون من أهل العلم: تحاسب البهائم أيضًا.(راجع: التذكرة للقرطبي، ص٦٥١-٦٥٩)

الدليل(١): ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (التكوير: ٥) وإنما الحشر للحساب.

(٢) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨)

دلت الآية الكريمة على أن الحياة الآخرة بعد الموت لا تخص الإنس، بل تبعث جميع الدواب يوم الحشر.

وجاءت صيغة التذكير العاقل في قوله :﴿ يُحْشَرُونَ ﴾ تغليبًا، والمراد: الكل.

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء». (صحيح مسلم، رقم:٢٥٨٢)

قال العلامة الآلوسي والإمام الرازي في الحديث المذكور:الحقيقة غير مرادة،وإنما هو

---

(١) روى الطبري بإسناده عن ابن عباس، في قول الله:﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾قال: حَشْرُ البهائم: موتها، وحشر كل شيء: الموت، غير الجنّ والإنس، فإنهما يوقفان يوم القيامة. (تفسير الطبري ٢٤/ ٢٤١ ورجال إسناده ثقات)

وقال العلامة الآلوسي: ومال حجة الإسلام الغزالي وجماعة إلى أنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفا إلا أهلا للكرامة بوجه وليس في هذا الباب نص من كتاب أو سنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش وخبر مسلم والترمذي وإن كان صحيحا لكنه لم يخرج مخرج التفسير للآية، ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام وإلى هذا القول أميل ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول لأن لهم ما يصلح مستندا في الجملة والله تعالى أعلم. (روح المعاني، التكوير:٥)

التشبيه،والمراد بالقرناء الظالم،وبغير القرناء المظلوم.ولانسيغ هذا التأويل من غير مبرر.

أدلة الحساب والكتاب:

(١)﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞﴾ (الانشقاق)

عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك» فقلتُ: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞﴾، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يُناقَش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّبَ». (صحيح البخاري، رقم:٦٥٣٧)

(٢) ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ٢٠)

(٣)﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ (المؤمنون: ١١٧)

(٤)﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (النبأ: ٢٧)

(٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ (الغاشية: ٢٦)

قوله:(عَلَيْنَا) للحصر، بأن الله تعالى هو الذي يحاسب، لا علي رضي الله عنه، كما قال الشيعة.

(٦)﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٤)

(٧) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حسابا يسيرا» فلما انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب اليسير؟ قال: «ينظر في كتابه ويتجاوز له عنه، إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك، فكل ما يصيب المؤمن يكفر الله عنه حتى الشوكة تشوكه». (المستدرك للحاكم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي)

(٨) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُحشَر الناس في صعيد واحد يوم القيامة، فيُنادي منادٍ فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، يدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب». (شعب الإيمان، رقم:٢٩٧٤. وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح. ووافقه الذهبي)

(٩) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». (صحيح البخاري، رقم: ٦٤٧٢)

إيراد: من المعقول أن الطيرة وعدم الكي مما يخالف التوكل، ولكن كيف كان «لايسترقون» خلاف التوكل؟وقد ثبت الاسترقاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيه الاعتماد على كلام الله تعالى؛ لأن القرآن كلام الله، والحديث كلام الرسول، فكيف ينافي التوكل؟

الجواب(١): المراد الاسترقاء الممنوع.

(٢): معنى «استرقى»: التصدي للراقي، فليس المراد بالاسترقاء نفي مطلق الرقية. وهذا يبدو ضعيفًا.

لبعض الأمراضِ الأسبابُ الظاهرةُ الجسمانيةُ هي السبب الأصلي، وبعض الأمراض ترجع إلى الأسباب الروحانية:

(٣) معنى منافاة الاسترقاء للتوكل أن الله تعالى جعل الأسباب الظاهرة الجسمانية سببًا أصيلًا، والأسباب الروحانيةَ سببًا مساعدًا لبعض الأمراض، مثل: المعالجة الطبية للجرح وغيره. فيجب اعتبار المعالجة الظاهرة سببًا أصيلًا، في مثل هذه الأمراض، ويحسن استعمال الأسباب الروحانية من الاسترقاء على اعتبارها مساعدًا عليها. فإن أعرض عن السبب الظاهر واكتفى في مثل هذه الأمراض بالسبب المساعد، ولم ينل الشفاء، فإنه يزعزع الاعتماد على كلام الله وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم، وزعزعة الاعتماد عليهما يضاد التوكل. فيجب الرجوع إلى الطبيب إن نزف الجرح، أو مرض مرضًا يفتقر إلى العملية الجراحية، أو أصيب بغيره من الأمراض الظاهرة. نعم يستعمل الاسترقاء على التبرك، وباعتباره سببًا مساعدًا. وأما العين، ودفع السحر، والوسوسة ونحوها من الأمراض فالاسترقاء لها سبب أصلي، وعلاج الطبيب سبب مساعد له.

والحاصل أن الأمراض على نوعين:

أحدهما: مرض معقول، والثاني: ما لا يعقل علاجه، مثل: العين، ونحوها، فالأسباب الروحانية مؤثرة فيها، فمثلا كان الناس يعالجون بالأسباب الروحانية للديغ، وكان لا ينفع العلاج الظاهر في اللدغ.

في الحديث: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا رقية إلا من عين، أو حمة». (سنن أبي داود، رقم:٣٨٨٤، وهو حديث صحيح)

أي الاسترقاء نافع في العين، وسم الحية، ونحوها. والاكتفاء بالأسباب الروحانية والإعراض عن الأسباب الظاهرة في الأمراض التي تنفع فيها الأسباب الظاهرة ينافي التوكل. فمثلا من أصيب بجرح لا يرقأ، فلا ينفع الاسترقاء غالبًا، ويحتاج المريض إلى مراجعة الطبيب، واتخاذ الأسباب الظاهرة. جرحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، فاختار الأسباب الظاهرة لمعالجته.

الأسباب على أقسام:

(١) الأسباب اليقينية: يجب اختيارها، وهي على قسمين:

١- الدنيوية: كالطعام لدفع الجوع.

٢- الدينية: كالصلاة للنجاة.

(٢) الأسباب الظنية: يجب اختيارها على الضعفاء وأوساط الناس، ويجوز للخواص تركها، مثل المداواة والعلاج.

(٣) الأسباب الروحانية: يجوز استعمالها، ولا ينافي ذلك التوكل. مثل الاسترقاء ونحوه لعلاج العين.

(٤) الأسباب الوهمية أو الشيطانية: كالطيرة، وتقديم الغلاف إلى الضرائح ونحوه لتحقيق الغرض. ويحرم استعمال هذه الأسباب.

يعطى كل أحد كتابه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء: ١٣) وقال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ ﴾ (الزمر: ٦٩) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ (التكوير: ١٠)

فمن أوتي كتابه بيمينه كان مسرورًا، ومن أوتي كتابه من وراء ظهره أو بشماله كان من الهالكين. قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ ﴾ (الانشقاق)

ويؤتى الكتاب وراء الظهر بأن تجعل يسراه وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله، وتغل يمينه إلى عنقه. أو تخرجُ يدُه من داخل صدره إلى ظهره، فيؤتى كتابه بشماله.

ومن ثقلت موازينه أوتي كتاب بيمينه، لأن كاتب الحسنات عن يمينه، ومن ثقلت

سيئاته أؤتي كتابه بشماله؛ لأن كاتب السيئات عن يساره.

عن عائشة رضي الله عنها، أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما يبكيك؟» قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ (الحاقة: ١٩) حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم». (سنن أبي داود، رقم:٤٧٥٥. ومستدرك للحاكم: وقال: صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبي: لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُعرَض الناس يوم القيامة ثلاث عَرضات، فأما عَرضتان فجِدال ومَعاذير، وأما العرضة الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله». (مسند أحمد، رقم:١٩٧١٥. سنن الترمذي، رقم:٢٤٢٥. وإسناده ضعيف لانقطاعه، الحسن البصري لم يسمع من أبي موسى)

يقر المعتزلة نفس الصراط، ويؤولون الصفات:

ورد ذكر الصراط في الأحاديث الصحيحة، ويؤمن به أهل السنة بغير تأويل. وقال بعضهم: ينكر المعتزلة الصراط؛ في حين يتجلى من كتابات القاضي عبد الجبار المعتزلي وآخرين من المعتزلة أنهم قائلون بنفس الصراط، اللهم إلا أن المراد به عندهم: طريق بين الجنة والنار يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار. قال عبد الجبار: «ومن جملة ما يجب الإقرار به واعتقاده، الصراط؛ وهو طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار إذا راموا المرور عليه...، وقد حكي في الكتاب عن كثير من مشايخنا أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك واستحق من الله تعالى النار. وذلك مما لا وجه له؛ لأن فيه حملا لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره، وقد كررنا القول في أن كلام الله تعالى مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب دون أن يصرف عنه إلى المجاز. وعلى أنا لا نعرف من الأصحاب من ذكر ذلك إلا شيئا يحكى عن عباد». (شرح الأصول الخمسة، ص٧٣٧-٧٣٨، وعزا بعضهم هذا الكتاب إلى أحمد بن أبي هاشم الحسين(م:٤٢٥هـ).

ويقول المعتزلة: لا يمكن الخطور على الصراط الذي وصفت الأحاديث كيفيته؛ لأنه يصعب تصور طريق أدق من الشعر وأحد من السيف. وقالوا: معنى قوله: «أدق من الشعر، وأحد من السيف» العبادةُ الشاقة يقطع عليها الطريق إلى الجنة.

يقول أهل السنة والجماعة:

(١) ربما أمكن التأويل فيما إذا لم يرو إلا حديث واحد ونحوه، في حين رويتْ في الصراط أحاديث صريحة كثيرة يصعب معها التأويل. ومن العبث استقصاء هذه الآيات والأحاديث وسردها هنا، وسنسوق –بإذن الله – بعض الأحاديث على سبيل المثال:

(٢) الله تعالى قادر مطلق، فجري المؤمن على الصراط يقدر عليه الله تعالى. والثبوت على الهواء أعجب منه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٧٩)

وما أكثر قصص المشي على الماء. إن الله الذي أمسك السماوات بغير حبال في الجو، والذي علق السحب التي تحمل أطنانا من المياه في الفضاء من غير عمد وحبال، لا يعجز عن إجراء الإنسان على الصراط.

(٣) يكون مركز ثقل الناس(GRAVITY) في الآخرة في الفوق، ويتم التحكم (CONTROL) من فوق، فيمكن المرور عليه، ويمر الناس عليه على قدر درجات أعمالهم.[(١)]

قسم آخر من المؤولين:

ومن الناس من يسلم أحاديث الصراط في الجملة، ثم يؤولونها، فمثلا يقولون: معنى

---

(١) قال العلامة التفتازاني: «ومنها: الصراط...، وأنكره القاضي عبد الجبار وكثير من المعتزلة زعمًا منهم أنه لا يمكن الخطور عليه، ولو أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة. قالوا: بل المراد به طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى:﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ٥)، وطريق النار المشار إليه بقوله:﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٢٣)، وقيل: المراد الأدلة الواضحة. وقيل: العبادات كالصلاة والزكاة ونحوها. وقيل: الأعمال الردية التي يسأل عنها ويؤاخذ بها كأنه يمر عليها، ويطول المرور بكثرتها ويقصر بقلتها. والجواب: أن إمكان العبور ظاهر كالماشي على الماء والطيران في الهواء، غايته مخالفته العادة، ثم الله تعالى يسهل على من أراد كما جاء في الحديث: إن منهم من يمر كالبرق...، ومنهم...، ومنهم...(شرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني٢/ ٢٢٣. وانظر كتاب المواقف ٣/ ٥٢٥ لعلامة عز الدين الإيجي(م٧٥٦).

للاستزادة منه راجع:تفسيرقوله تعالى:﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم: ٧١) في مصادر التفسير،وكتب العقائد أيضًا.

قوله: «أدق من الشعر» بيان اليسر والعسر على الناس. وليس أدق في الواقع. وإنما وصف بالدقة لأن الدقيق في اللغة: الأمر الخفي. وتفاصيل الصراط خافية.

ومعنى قوله: «أحد من السيف»: الحكم الصادر من الله تعالى للمسلمين بالمرور عليه سريع النفوذ سرعة السيف؛ فإن السيف إذا انطلق لم يمنعه شيء. فقس عليه أمر الله تعالى لا يحول دون نفاذه شيء. وأما أن الصراط أحد من السيف فغير معقول، وقد وردت الأحاديث بأن الملائكة يقفون على جنبيه.

الجواب: هذا لغو من القول، وحيث إن الأحاديث فصلته، وجب الإيمان به، والله تعالى قادر مطلق. وحيث أمكن الحمل على الحقيقة لا يصار إلى المجاز. للاستزادة من الإيراد و الرد عليه يرجع إلى «التذكرة» للقرطبي، ص ٣٨٥-٣٨٦.

إنكار السقاف للصراط، وإيراداته عليه، وإجابة سعيد فودة عنها:

أنكر حسن بن علي السقاف في «شرح العقيدة الطحاوية» الصراط، واستدل على ذلك. وأجاب الشيخ سعيد فودة عنها ردًّا على السقاف. ولم نسق هذه الإيرادات والإجابات عنها لقلة أهميتها. (راجع: صحيح شرح العقيدة الطحاوية، للسقاف، ص٥٣٨-٥٥٩. والشرح الكبير لسعيد فودة ٢/ ٩٥٠-٩٥٨).

ذكر الصراط في الأحاديث النبوية:

مما يجب الإشارة إليه فيما يخص الصراط في ضوء الأحاديث النبوية ما يلي:

- جسر على ظهر جهنم.
- أدق من الشعر.
- أحد من السيف.
- يؤمر العالَمُ كله بالمرور عليه.
- أول من يمر به محمد صلى الله عليه وسلم بأمته.
- لا يجرؤ على الكلام حينئذ إلا الرسل، ولا يقول الرسل إلا: اللّهم سلِّمْ سلِّم.
- على جانبي الصراط في جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، لا يعلم قدر عظمها إلا الله.

- في حديث: قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دَحْضٌ مَزِلَّة».

- بها كلاليب وأشواك، مثل شوك السعدان، (وهو نبت ذو أشواك، خير المراعي للإبل) .

- تقف الأمانة والرحم على جانبي الصراط.

كيف المرور على الصراط؟:

يمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب.

الناس في مجموعهم على ثلاثة أقسام:

فمنهم من يعبره سالمين من النار. ومنهم من يعبره وبه خدوش، وينجون من النار في نهاية الأمر، ومنهم من يرمى بهم في النار. أعاذنا الله منها.

ورد بعض الأحاديث بالمارين على الترتيب التالي:

فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، وكشد الرجل، ثم كالماشي.

فكل واحد يمر به بالسرعة التي توافق درجة أعماله، ومنهم من يزحف زحفًا.

يقول المؤمنون (الكاملون) حين يمرون بالصراط: رب سلّم سلّم. (سنن الترمذي، رقم:٢٤٣٢)

وسبق حديث مسلم، الذي ورد فيه قول الأنبياء عليهم السلام فقط هذه الكلمات، وفي رواية: يقولها الملائكة أيضًا.

وفي بعض الكتب: منهم من يكون له أدق من الشعر، ولبعض الصلحاء كالوادي الرحيب.

قال الشيخ شمس الحق الأفغاني: مركز ثقل المتقين فوق، فيمرون براحة، ومركز ثقل العصاة والكفار تحت، فيسقطون أو يصابون بالخدوش.

وفيما يلي نصوص الأحاديث السابقة:

«فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: «اللهم سلم سلم»، وفي جهنم كلاليب

مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل ثم ينجو». الحديث. (صحيح البخاري، رقم:٨٠٦. وصحيح مسلم، رقم:١٨٢)

«ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: «اللهم سلم، سلم»، قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «دَحْضٌ مَزِلَّة، فيه خطاطيف وكلاليب وحَسَكٌ تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم». الحديث. (صحيح مسلم، رقم:١٨٣)

قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحد من السيف. (صحيح مسلم، رقم:١٩٥)

«وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا، فيمر أولكم كالبرق» قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق؟ قال: « ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا». (صحيح مسلم، رقم:١٩٥)

عن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع. (الأولياء لابن أبي الدنيا، رقم:٢٣. التذكرة للقرطبي، ص٧٥٥. شعب الإيمان، رقم:٣٦١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شعار المؤمن على الصراط، رب سلم سلم». (سنن الترمذي، رقم:٢٤٣٢)

وعن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت». (المعجم الكبير للطبراني، رقم:١٤٧٥١. المعجم الأوسط، رقم:١٦٠)

«الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطائفة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود الإبل والبهائم، ثم يمرون والملائكة تقول: رب سلم سلم». (المستدرك للحاكم، رقم: ٣٤٢٣، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

«إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فينكب مرة، ويمشي مرة». (مسند أحمد، رقم:٣٧١٤. صحيح ابن حبان، رقم:٧٤٣٠، وإسناده صحيح على شرط مسلم)

أعمال تيسِّر المرور بالصراط:

تذكر الكتب كثيرا من الأعمال التي يسهل الله تعالى بها المرور على الصراط:

(١) التصدق مراعيا للآداب:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منَ أحسنَ الصدقة في الدنيا جازَ على الصراط». (حلية الأولياء ٣/ ٢٢٠)

(٢) من يكن المسجد بيته (يقضي في المسجد من وقته أكثر):

«من يكن المسجدُ بيتَه ضمِن الله له بالروحِ والرحمةِ والجواز على الصراط إلى الجنة». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٧١٤٩)

وردت الأحاديث بتيسير المرور على الصراط بفضل الإكثار من قضاء الوقت في المسجد بألفاظ مختلفة، ونقل ذلك عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم، وقال العلامة الزرقاني: «وهذا الحديث رواه سعيد بن منصور، والطبراني، والبزّار وحسّنه عن أبي الدرداء» . (شرح الزرقاني على المواهب، الفصل الثالث في أمور الآخرة وهو آخر فصل في الكتاب)

(٣) المواظبة على الصلاة مع مراعاة شروطها وآدابها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات في جماعة كان أول من يجوز على الصراط كالبرق اللامِع». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٦٦٤١، و٦٥٦٦، عن أبي هريرة وابن عباس. قال الهيثمي: «و فيه بقية بن الوليد، وهو مدلس وقد عَنعنه». مجمع الزوائد ٢/ ١٦٣)

(٤) الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

«الصلاة عليَّ نور على الصراط». (الترغيب لابن شاهين، ص:١٤. الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٠٨. فيض القدير ٤/ ٢٤٩)

ورويت في هذا المعنى أحاديث كثيرة أخرى، تتضمن المرور على الصراط بفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ذكر بعض الأحاديث رجلًا لاقى المشقة والكلفة في المرور على الصراط، إذ أتته الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صورة حسنة، وأعانته عليه.(راجع: الدر المنضود، الفصل الرابع. القول البديع، الفصل الثاني. القربة إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين لابن بشكوال. أمالي ابن بشران، ص:١١٧).

(٥) تفريج الكربة عن المؤمن:

«مَن فرَّج عن مؤمن كربةً جعل الله تعالى له يوم القيامة شُعبتَين من نور على الصراط يضيءُ بضوئهما عالَمًا لا يُحصِيهم إلا رب العِزَّة». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٤٥٠٤).

(٦) قضاء حاجة مسلم:

«من مشى مع أخيه في حاجة حتى أثبتها له أثبت الله عز وجل قدمه على الصراط يوم تزِل فيه الأقدام». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٦٠٢٦)

وفي رواية: «من رفع حاجة ضعيف إلى سلطان لا يستطيع رفعها إليه ثبت الله قدميه على الصراط». الحديث. (الترغيب لابن شاهين، رقم:٤٢٥).

(٧) اجتناب البدعة:

«وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدث في دين الله حدثا برأيك». (قاله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة). (أخرجه الخطيب في التاريخ ٥/ ١٤٤. وذكره القرطبي في التذكرة، ص٧٦٥، وقال: «وهذا غريب الإسناد ومتنه حسن». لكن أورده ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٦٤، وقال: «أبو همام القرشي اسمه محمد بن مجيب، قال يحيى بن معين: كذاب عدو الله»).

البدعة لغة:

١- إيجاد الشيء لا على مثال سابق.

٢- ما احتاج إليه الأواخر ولم يحتج إليه الأوائل، مثل مكبرات الصوت (Loudspeaker) ونحوها.

البدعة لغة على خمسة أقسام:

١- الواجبة: يجب الإتيان بأشياء عدة في الزمان اللاحق نظرا إلى الأوضاع، ومن أمثلتها: نصب الدلائل، وتصنيف الكتب لمواجهة أهل الباطل، وتدوين أصول الفقه،والكلام في الجرح والتعديل.

٢- الحرام: ارتكاب ما لا يجوز من الأفعال، مثل: تأسيس المذاهب الباطلة، كالاعتزال والجبرية، وتعمير الملاهي، من دار السينما وغير ذلك، وتأسيس البنوك الربوية.

٣- المستحبة: ما يعود بالنفع على الدين، نحو: تعمير المنارة للمسجد، وإحداث الجامعات والمعاهد، وبناء القناطير، وجمع المحافل لوجه الله تعالى لاستماع قراءة القرآن

والأناشيد الإسلامية.

٤- المكروهة: زخرفة المساجد.

٥- المباحة: نحو: استعمال المناخل، والتوسع في المأكل والمشرب والمسكن.(راجع: قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة).

البدعة شرعا:

١- الزيادة والنقصان في الدين من غير إذن الشارع.

قال الإمام الشاطبي: «مِن قصْد الشارع أنه لم يَكِل شيئًا من التعبُّدات إلى آراء العباد، فلم يبق إلا الوقوف عند ما حدَّه، والزيادة عليه بدعةٌ؛ كما أن النقصان منه بدعةٌ».(الاعتصام ٣/ ٥٨، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن، ط: مكتبة التوحيد)

٢- اتخاذُ غير الدين دينًا، أو ما يكون مشابها بالدين وليس من الدين.

٣- يعرف فقهاء الأحناف البدعة بما عرفها به العلامة الشمني. والعلامة الشمني هو أحمد بن محمود بن حسن الشمني القسطنطيني الإسكندري (ت:٨٧٢هـ)، محدث مفسر فقيه. له منْزلة عالية في علماء الأحناف. عصري الحافظ ابن حجر، وعلى صلة طيبة معه. من تصانيفه القيمة: «كمال الدراية في شرح الوقاية».(راجع: كشف الظنون ٢/ ١٩٧٢).

ولعله عرف البدعة بهذا التعريف في كتابه هذا، ونقله منه من جاء بعده من الفقهاء المحققين. ثم شرح كل جزء من أجزاء التعريف، وذكر فوائد القيود:

«ما أحدث على خلاف الحق الملتقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم أو عمل أو حال بنوع شبهة أو استحسان، وجعله دينًا قويمًا وصراطًا مستقيمًا». (البحر الرائق ١/ ٣٤٩؛ حاشية درر الحكام ١/ ٨٥؛ رد المحتار ١/ ٥٦٠؛ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ص ٣٠٣).

فصلت الكتب الفقهية عامة الكلام عليه في «إمامة المبتدع» من «باب الإمامة»، للاستزادة من تعريفات البدعة راجع: «راهِ سنت»-طريق السنة-، ص ١٧٥، ذكر فيه الشيخ سرفراز خان صفدر رحمه الله (٢٦) تعريفًا للبدعة.

يؤخذ من التعريف المذكور آنفًا أنه لا يصح إطلاق البدعة إلا إذا اتخذ العمل الجديد دينًا، فإذا لم يعتبره دينًا لم يكن بدعة. كما أن بعض الصحابة كان يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص، ولم ينكره عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يكن يعتبره سنة، وإنما كان

يقرأها حبًّا لها. (راجع: صحيح البخاري، باب الجمع بين السورتين في الركعة).

وكذلك كان ابن عمر يزيد في التلبية (لبيك وسعديك والخير في يديك، والرغباء إليك والعمل) دون أن يعتبره سنة. (راجع: صحيح مسلم، رقم: ١١٨٤).

وكان ابن مسعود يقول بعد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»: السلام علينا من ربنا. (المعجم الكبير للطبراني٩/ ٢٤١/ ١٩٨٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣٣٨: رجاله رجال الصحيح).

ويزيد ذلك وضوحًا قول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يجعل أحدكم للشيطان شيئًا من صلاته، يرى أن حقًّا عليه أن لاينصرف إلا عن يمينه، لقد رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ينصرف عن يساره». (صحيح البخاري، رقم: ٨٥٢).

يستفاد منه أن المرء يُذَمُّ إذا رأى من الواجب الانصراف عن اليمين أوالشمال.

كما قيد أهل العلم تعريف البدعة بقولهم: «في الدين»، وهو مما يؤيد ذلك.

اختراع الوسائل ليس من البدعة:

ليس من البدعة أن يخترع المرء الوسائل لتحقيق مصلحة من المصالح، نحو: مكبرات الصوت، أو المدارس وغيرها على الوجه الذي نراه اليوم. وأما الحديث المشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». (صحيح مسلم، رقم: ١٧١٨)، فمعناه: يرَدُّ الاختراع في أصل الدين، واعتباره جزءًا منه.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «المحدَثات ضربان: ما أُحدِث مما يخالف كتابًا أو سنةً أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعة الضلال. وما أُحدِثَ من الخير مما لا خلاف فيه لواحدٍ من هذا، وهذه محدَثةٌ غيرُ مذمومةٍ». (أخرجه البيهقي بإسناده في مناقب الشافعي ١/ ٤٦٩، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة).

تقسيم آخر للبدعة:

١- البدعة الحقيقية: ما ليس له أصل في الدين، مثل الأذان على القبر فهو بدعة حقيقية؛ لأن الشرع حدد مواضع الأذان، ولم يثبت الأذان على القبر.

٢- البدعة الإضافية: ما له أصل في الدين، إلا أنه طرأت عليه زيادات وتقييدات فصار بدعة، كالصدقة للميت، فلها أصل، وأما الطقوس المعروفة بالأربعينية والإحدى

عشرية ونحوهما فهي بدعة عند علماء ديوبند؛ لأن الناس التزموا هذه الطقوس واعتبروها دينًا.

حكم ما تُرِكَ فعله:

يجدر الإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا ترك أمرا من الأمور، هل تركه دليل على أنه بدعة أو لا؟ وما حكم المتروكات هذه؟ قد أوضحنا هذه المسألة في رسالة «الذكر الجهري والجماعي»، وفي «فتاوى دارالعلوم زكريا» (المجلد الأول).

لِنَعقُل في المتروكات أن الأفعال المسكوت عنها وغير المتروك قصدًا لا يصح إطلاق البدعة عليها حتى تُنَزَّل منْزلة الشريعة والسنة، و إلا فإن المسكوت عنه من الأفعال كثير جدًّا، ولا يطلق عليه البدعة. رتب الشيخ عرفج قائمة لمثل هذه الأفعال في ضوء «سير أعلام النبلاء»، ونسوق بعضها على سبيل المثال:

١- كان أبو الدرداء رضي الله عنه يسبح كل يوم مئة ألف مرة. (سير أعلام النبلاء٢/ ١٨٧).

٢- كان أبو هريرة رضي الله عنه يصوم ثلاثة أيام أول من كل شهر.(٢/ ٦٠٩).

٣- كان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح كل يوم اثني عشر ألف مرة. (٢/ ٦١٠).

٤- كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يتلو القرآن بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس كل يوم. (٤/ ٢٥).

٥- كان زين العابدين علي بن الحسين يصلي في أربع وعشرين ساعة ألف ركعة. (٤/ ٣٩٢).

٦- كان طاؤوس بن كيسان وأصحابه يخصون ما بعد العصر بالدعاء.(٥/ ٤٨).

٧- كان الإمام أحمد يصلي كل يوم ثلاث مئة ركعة، فلما ضعف صلى مئة وخمسين ركعة. (٥/ ٢١٢).

٨- كان بقي بن مخلد يختم القرآن كلَّ ليلة في ١٣ركعة. ويصلي في النهار مئة ركعة. ويصوم الدهر. (١٣/ ٢٩٢).

٩- كان جنيد بن محمد يصلي ثلاث مئة ركعة كل يوم. (١٤/ ٦٧).

١٠- وقال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: من واظب على «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيا الله بها

قلبه». (مدارج السالكين لابن القيم٣/ ٢٦٤)

هذا كله مسكوت عنه ولا يقال لمن أتى به: إنه مبتدع؛ بل كان ابن تيمية يقرأ سورة الفاتحة بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس من كل يوم. (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لتلميذه عمر بن علي البزار ١/ ٣٨، مأخوذ من مفهوم البدعة لصاحبه الدكتور/ عبد الإله، ص ٤٠١-٤٠٣).

وأما الأفعال المتروكة قصدًا فيكره الإتيان بها، مثل استلام الركن العراقي والركن الشامي. أو أكل الضب، فإنه لا يجوز عند الأحناف. وليس كل ترك سببًا للحرمة، مثل ترك هدم الكعبة، وعدم خروجه صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات تيسيرا على الناس.

وفي هذا الصدد يحسن مراجعة كتاب الشيخ عبد الحيي اللكنوي: «إقامة الحجة على أن الإكثار من التعبد ليس ببدعة».

حكم البدعة:

البدعة الشرعية كما كتبنا: هي الزيادة والنقصان في الدين من غير إذن الشارع. وهذا تعريف سهل. وحكمها: أنها ضلالة، ليس شيء منها بدعة حسنة. فكل عمل أُتيَ به على أنه جزء من الدين كان بدعةً. وأما الأقسام الخمسة التي ذكرناها فهي للبدعة اللغوية، أي: ما أُحدِث بعد النبي صلى الله عليه وسلم وليس من الدين. وهذه البدعة قد تكون حسنة.

قال الحافظ ابن حجر: «والحاصل أنها إن كانت تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت مما تندرج تحت مستقبح في الشرع، فهي مستقبحة، وإلا فهي من قسم المباح». (فتح الباري ٤/ ٢٥٣).

يترك العملُ إذا تردَّد بين سنة أو بدعة:

تشير كتب الفتاوى عندنا في بعض المسائل إلى أن العمل إذا تردَّد بين سنة وبدعة ترك، لأنه:

١- يجب ترك البدعة، والسنة غير واجبة.

٢- ارتكاب البدعة أضرُّ من ترك السنة.

«إذا تردد الحكم بين بدعة وسنة كان ترك السنة راجحًا على فعل البدعة». (رد المحتار ١/ ٦٤٢؛ و مثله في البحر الرائق ٢/ ١٦٥؛ الفتاوى الهندية ١/ ١٦٩؛ بدائع الصنائع ١/ ١٧٤).

كتب حول موضوع البدعة:

تناولنا بعض جوانب البدعة هذه، وللاستزادة منها يراجع الكتب الطوال وما أعد حولها من الكتب المستقلة، نسوق أسماء بعض الكتب من غير ترتيب خاص:

١- تعقد كتب الفتاوى باللغة الأردية بابا مفردا (باب البدعة)، يتناول عدة مسائل أصولية، و كثيرا من المسائل الفرعية.

٢- الاعتصام للإمام الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)، تحدث الإمام الشاطبي عن تعريفات البدعة، وذمها، وشبهات أهل البدعة وعشرات المسائل الفقهية الخاصة بها، في بعضها عنف، مثل الدعاء الجماعي بعد المفروض من الصلوات، وخاصة الدعاء جهرا، يعده بدعة. (الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٨٠)، و قال: الأذان بين يدي الإمام يوم الجمعة بدعة. (٢/ ٣١٦-٣١٧) وقال: الاجتماع على الذكر بدعة.(١/ ٢٦٤) وقال: تبخير المسجد بالطيب بدعة.(٢/ ١٠٤) وقال: تسمية الخلفاء الراشدين وأمير المؤمنين وغيره من الحكام في خطبة الجمعة بدعة.(١/ ٢٦) وأرى أن الالتزام به بدعة، والعناية صحيح. وشدد الإمام الشاطبي في هذه المسائل وأمثالها.

٣- «*اسلام میں سنت کی عظمت اور بدعت کی قباحت*»-عظمة السنة وقبح البدعة في الإسلام- للشيخ المفتي عبد الرحيم اللاجفوري(رحمه الله)، غرض الكتاب جلي من عنوانه. كما تحدث عن بعض المسائل الفرعية بمفردها.

٤- «إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح»: لصاحبه: العلامة الشاه محمد إسماعيل الشهيد رحمه الله. بحث الشيخ حقيقة البدعة، وأقسامها، وأمثلتها، ودرس كل مثال، وتحدث عن البدعة الحسنة والبدعة القبيحة وغيرهما بأسلوب محقق. وقدم للكتاب الشيخ العلامة يوسف البنوري رحمه الله، قال فيها الشيخ: «هذا الكتاب فريد من نوعه في موضوعه؛ بل فاق «الاعتصام» للشاطبي في بعض الأماكن».

أصل الكتاب في العربية، نقله إلى الأردية السيد معراج محمد بارق.

٥- «*معرکہ بدعت وسنت*»-الصراع بين البدعة والسنة- قام بنشر هذا الكتاب مجلس إحياء السنة والتوحيد بحيدرآباد في مجلدين. درس الكتاب دراسة واعية تقسيم البدعة، مشفوعًا بالأدلة، ويؤكد أنه ليس في الشرع بدعة حسنة، كما ذكر تعريفات البدعة ونحوها،

يتضمن الكتاب أقوال (١٩١) عالما بجانب نصوص الكتاب والسنة. وهو كتاب عامر بالمعلومات.

٦- «راهِ سنت» -طريق السنة- : للشيخ سرفراز خان صفدر رحمه الله. وغيره من تصانيفه حول رد البدعة.

أفرد الكتاب الحديث عن مكانة أدلة أهل السنة والجماعة، وأقسام البدعة وأحكامها، والبدع المشهورة كلها لوحدها، وبذل فيه المؤلف جهودا جادة مضنية في دراسته وتحقيقه. وعلى الكتاب تقريظات علماء ديوبند، وكل هذا يشير القراء بأن هذا الكتاب حري بأن يطالعه كل أحد، وهو نافع لعامة الناس وخاصتهم.

٧- «البدع» لمحمد بن وضاح القرطبي المالكي (ت:٢٨٦هـ)، يجمع الكتاب آثارا في أهمية السنة وذم البدعة، كما يتحدث عن بعض المسائل الفرعية. ما أجدر أن يراجع الكتاب ويقرأ، ويبلغ عدد الأحاديث والآثار(٢٨٩) حديثًا وأثرًا. استفاد منه كثيرا كل من جاء بعده من المؤلفين، ولعله أول كتاب مفرد في هذا الموضوع.

٨- «البدعة الحولية» رسالة ماجستير للشيخ عبد الله بن عبد العزيز التويجري، حصل به الشيخ على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض) عام ١٤٠٦هـ، يتصدر الكتاب بتعريفات البدعة، ثم أفرد بدعات كل شهر بالحديث، والكتاب في ٤٤٦ صفحة. استفاد المؤلف في ترتيب الكتاب من العلامة ابن تيمية كثيرًا.

٩- «البدع وأثره السيء في الأمة» للدكتور وسيم فتح الله، وهو رسالة موجزة مفيدة في هذا الموضوع.

١٠- «مفهوم البدعة وأثره في اضطراب الفتاوى المعاصرة» لعبد الإله بن حسين العرفج، في الرد على السلفيين السعوديين ردًّا جادا رصينا للغاية. وهو سعودي الجنسية، ويقول بإقامة المواليد النبوية، ولكن المراد بها عنده إقامة الحفلات أو المجالس لبيان السيرة النبوية من غير تخصيصه بشهر من الشهور على خلاف ما هو السائد في الهند وباكستان من المواليد.

١١- «السنة والبدعة» لعبد الله محفوظ الحداد الحضرمي.

١٢- «أصول السنة لرد البدعة»، لمولانا محمد طاهر الباكستاني.

اللهم وفقنا وجميع المسلمين لفهم حقيقة البدعة، والحذر منها، آمين.

يلزم عبور سبعة جسور حين المرور على الصراط:

قال أهل العلم: يعبر سبعة جسور حين المرور على الصراط: يسأل على الأول عن الإيمان، وعلى الثاني عن الصلاة، وعلى الثالث عن الزكاة، وعلى الرابع عن الصوم، وعلى الخامس عن الحج، وعلى السادس عن الطهارة، وعلى السابع عن حقوق العباد. وهو أشدها خطورة. واعلم أن الروايات اختلفت فيما يسأل عنه على الجسر السادس.

للاستزادة من هذه المسائل راجع: »البدور السافرة في أمور الآخرة« للسيوطي، و«الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة»، للغزالي، وكتاب «الروح» لابن قيم، و«علاماة القيامة» للشاه رفيع الدين، وتفسير ابن أبي حاتم، وتفسير القرطبي، والدر المنثور، وتفسير ابن كثير، كلهم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ (الفجر: ١٤)

وزن الأعمال حق:

قال الحافظ ابن حجرفي »فتح الباري« (١٣/ ٥٣٨): قالت المعتزلة الميزان: وزن الأعمال عبارة عن العدل بناء على أن الأعمال لا توزن، وإنما توزن الأجساد والجواهر. والأعمال أعراض، وليست جواهر. كالزهرة توزن، ولا يوزن طيبها.

الجواب: سهلت الآلات الجديدة فهم هذه المسألة، فمثلا الإنسان جوهر، وصوته عرض، يموت الإنسان ويحتفظ المسجل الصوتي بصوته. ويعرف وزن الحرارة والبرودة بالترموميتر. وسرعة الطائرات والسيارات، وضغط الدم، والسكري، وحركة القلب، والبصارة والزلزلة وبرودة الجو،وما لا يحصى من الأعراض توزن اليوم.

وهذا القول المنسوب إلى المعتزلة باطل من وجوه عدة:

(١) لا يصار إلى المجاز ما أمكن العمل بالحقيقة، والوزن هو القياس، وحمله على العدل والإنصاف هجر الحقيقة.

(٢) حيث ورد الميزان اقترن به معنى أو كلمة تدل على الخفة والثقل، ولا يوصف العدل بالخفة والثقل.

وزن الأعمال عند أهل السنة والجماعة حقيقةً. والحكمة فيه ظهور العدل؛ «لأنَّ أفعال

الله تعالى غير معللة بالأغراض والعلل وإلا لكان ناقصًا أكمله الغرض، ولكن هي معللة بالحِكَم والفوائد والمصالح كما صرَّح به المحققون كالآلوسي في تفسيره».

أو وزن الأعمال لقطع أعذارهم، أو لإدخال السرور على أهل الإيمان، وإيئاس أهل الكفر من رحمة الله تعالى.

قال الملا علي القاري في «ضوء المعالي» (ص١٥١): «أنكرت المعتزلة الميزان، والصراط». في حين تفيد كتب المعتزلة أنهم قائلون بالميزان كما يقول به أهل السنة والجماعة. قال القاضي عبد الجبار المعتزلي:«وأما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى في محكم كتابه، قال الله تعالى:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⁽٨⁾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ⁽٩⁾﴾ (الأعراف) إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس، لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ (الحديد: ٢٥)، فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز». (شرح الأصول الخمسة، ص٧٣٥، وعزا بعضهم هذا الكتاب إلى أحمد بن أبي هاشم الحسين (م:٤٢٥) .

الدليل من القرآن على وزن الأعمال:

ذكر القرآن الكريم وزن الأعمال في مواضع، منها:

١- ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ (الأنبياء: ٤٧)

٢- ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⁽٦⁾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⁽٧⁾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ⁽٨⁾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ⁽٩⁾﴾ (القارعة)

٣- ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⁽٨⁾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ⁽٩⁾﴾ (الأعراف)

٤- ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ⁽١٠٢⁾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ⁽١٠٣⁾﴾ (المؤمنون)

٥- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥)

الدليل من الأحاديث على وزن الأعمال:

(١) جاء ذكر الإيمان بالميزان في حديث جبريل ردًّا على قوله: «ما الإيمان»؟ في كثير من الطرق.

روى كثير من كتب الحديث عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي عامر الأشعري، وأبي هريرة رضي الله عنهم هذا الحديث بهذا اللفظ.

(٢) كلمتان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

(٣) الحمد الله يملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والأرض.

(٤) سبحان الله يملأ نصف الميزان، والحمد لله يملأ الميزان كله.

(٥) ما أثقل في الميزان خمس خصال: لا إله إلا الله، الله أكبر، سبحان الله، الحمد لله، طفل مات فصبر عليه أبوه (وكذا أمه).

(٦) أثقل شيء في ميزان المؤمن الخلق الحسن.

هذا، وثمة عشرات الأحاديث تدل صراحة على الميزان، سيأتي بعضها في المباحث اللاحقة عرضًا.

دلت هذه النصوص على أن الميزان الذي يوزن به الأعمال له جسم وحس، وليس المراد الميزان المعنوي، أي: بمعنى العدل.

الدليل من الإجماع على وزن الأعمال:

(١) قال العلامة ابن بطال رحمه الله: أجمع أهل السنة على الميزان، ووزن الأعمال. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ٥٥٩)

(٢) قال القاضي ثناء الله الباني بتي: أجمع أهل السنة على أن وزن الأعمال حق. (التفسير المظهري، المؤمنون:١٠٢)

(٣) قال العلامة السفاريني(م:١١٨٨هـ): دل الكتاب والسنة والإجماع على الإيمان بالميزان. (لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٤)

(٤) قال العلامة أبو الحسن الأشعري: يقول أهل الحق بالميزان، وينكره أهل البدعة. (مقالات الإسلاميين ١/ ٤٧٢)

وزن الأعمال للجميع أم للبعض؟:

يقول المحققون: وزن الأعمال للجميع، جاء في حق الكفار:

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (المؤمنون)

دلت الآية الكاملة على أن أعمال الكفار أيضًا توزن.

القول الثاني في حق الكفار:

قال الآلوسي: ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الكفار لا توزن أعمالهم، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف: ١٠٥)، كما أن الوزن يقتضي أعمالًا متضادةً (حسنة وسيئة) والكفار لا يبقى لهم حسنة، وإنما تحبط أعمالهم. (روح المعاني، الأعراف: ٩)

الجواب: معنى الآية أن وزن الأعمال لا ينفع هؤلاء. أي: وزنًا نافعًا لهم. ووزن أعمالهم لبيان العدل وإتمام الحجة.

أما الجواب عن قولهم: الوزن يقتضي أعمالًا متضادةً، فالجواب عنه بأن:

١- إحدى كفتي الكفار خالية من الحسنات؛ لأنه لا حسنة مع الكفر. والكفة الأخرى ملآنة كفرًا وذنبًا، فترجح هذه الكفة، ويرمى به في جهنم.

٢- لو جعلنا صدقات الكفار مؤثرة في تخفيف العذاب (كيفًا، لا كمًّا) فهذه الحسنات في كفة، وفي الكفة الأخرى الكفر والذنوب، فترجح كفة الكفر.

أثر حسنات الكفار:

قد يكون لحسنات الكفار تأثير في تخفيف العذاب. وجاء ذكر حال أبي طالب وأبي لهب في الأحاديث. وفصل المحدثون الكلام عليه. وصرح الحافظ ابن حجر، والعلامة ابن تيمية والشيخ محمد أنور شاه الكشميري بنفع حسنات الكفار إياهم.[1]

---

(١) «قال الإمام: أي: من يعمل من الخير أدنى عمل وأصغره، فإنه يراه ويجد جزاءه. لا فرق في ذلك بين المؤمن والكافر. غاية الأمر أن حسنات الكفار الجاحدين لا تصل بهم إلى أن تخلصهم من عذاب الكفر، فهم به خالدون في الشقاء. والآيات التي تنطق بحبوط أعمال الكفار، وأنها لا تنفعهم، معناها هو ما ذكرنا. أي أن عملا من أعمالهم لا ينجيهم من عذاب الكفر، وإن خفف عنهم بعض العذاب الذي كان يرتقبهم، على بقية السيئات الأخرى، أما عذاب

من صاحب الميزان؟:

(١) واضع الميزان الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ (الأنبياء: ٤٧)

(٢) صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام: عن حذيفة موقوفًا: «إن صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام». (أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رقم:٢٢٠٩. وذكره القسطلاني في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤/ ٤٨١)

(٣) آدم عليه السلام: عن أبي هريرة مرفوعًا: «يقول الله: يا آدم قد جعلتُك حكَمًا بيني وبين ذُرِّيَّتِك، قُمْ عند الميزان، فانظرْ ما يُرفَع إليكَ من أعمالهم». الحديث. (المعجم الصغير للطبراني، رقم:٨٥٥)

(٤) قال القسطلاني: عند البيهقي عن أنس مرفوعًا قال: «ملك الموت موكل بالميزان». (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٨١)

وجمع الشيخ شمس الحق الأفغاني رحمه الله بين هذه الأقوال بأن صاحب الميزان هو الله تعالى؛ لأن الله هو الحاكم، فالنسبة إلى الله تعالى باعتباره آمرًا بذلك. وأرسل ملك الموت الأموات من الدنيا إلى الآخرة، وكما أن الشرطة ترسل المتهمين إلى المحكمة، فيجب حضور طاقم الإرسال، أي: ملك الموت وبيانه، كما تسجل المحاكم في الدنيا أقوال الشرطة. وجبريل عليه السلام مبلغ القانون الإلهي، فيجب حضوره نظرًا إلى قضية هتك القانون. وآدم عليه السلام قضية ذريته مقدمة إلى المحكمة الإلهية، فيجب حضوره بصفته وليًّا.(علوم القرآن، للشيخ شمس الحق الأفغاني، ص ٢٤٣).

ماذا يوزن بالميزان؟:

اختلفوا فيما يوزن بالميزان على أربعة أقوال:

الكفر نفسه فلا يخفف عنهم منه شيء. كيف لا، والله جل شأنه يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، فقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ أصرح قول في أن الكافر والمؤمن في ذلك سواء. وإن كلاّ يوفى يوم القيامة جزاءه. وقد ورد أن حاتما يخفف عنه لكرمه، وأن أبا لهب يخف عنه لسروره بولادة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وما نقله بعضهم من الإجماع على أن الكافر لا تنفعه في الآخرة حسنة ولا يخفف عنه عذاب سيئة ما، لا أصل له. فقد قال بها قلناه كثير من أئمة السلف رضي الله عنهم».(تفسير القاسمي ٩/ ٥٢٦)

(١) توزن الأعمال المجردة.

(٢) توزن الأعمال المجسدة.

(٣) توزن صحف الأعمال.

(٤) يوزن أصحاب الأعمال.

ولا منافاة بين هذه الأقوال الأربعة. فلبعضهم هذا، وللبعض الآخر ذلك، وللثالث كل ذلك.

وردت الأحاديث بهذه الوجوه الأربعة:

القول الأول: توزن الأعمال المجردة:

(١) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «أثقلُ شيءٍ في الميزانِ الخُلُقُ الحَسَنُ». (صحيح ابن حبان، رقم: ٤٨١. وإسناده صحيح)

لم يصرح الحديث بتجسيد الخلق الحسن.

(٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر! ألا أدلُّكَ على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقَلُ في الميزان من غيرهما؟» قال: بلى يا رسولَ الله، قال: «عليك بحُسْنِ الخُلُقِ، وطُولِ الصَّمتِ، والذي نفس محمد بيده ما عمِلِ الخلائقُ بمثلهما». (شعب الإيمان للبيهقي، رقم: ١٩٥٤. ومسند أبي يعلى، رقم: ٣٢٩٨. ومسند البزار، رقم: ٧٠٠١)

(٣) أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل عليه السلام، وعنده رجل يبكي، فقال: «من هذا؟» قال: «فلان» قال جبريل: «إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء؛ فإن الله عز وجل يطفئ بالدمعة بحورا من نار جهنم». (الزهد للإمام أحمد بن حنبل، رقم: ١٤٤)

(٤) وقال عليه السلام: «أول ما يُوضَع في ميزان العبد نَفَقَتُه على أهله». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم: ٦١٣٥)

(٥) وقال عليه السلام: «الوضوء يُوزَن يومَ القيامة مع سائر الأعمال». (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٦١/ ٣٨٠)

(٦) وعن جابر مرفوعًا: «تُوضَع الموازين يومَ القيامة، فتُوزَن الحسنات والسيِّئات، فمن ثقُلتْ حسناتُه على سيئاته مثقال حبةٍ دخل الجنة، ومن ثقلت سيئاتُه على حسناته مثقال حبةٍ دخل النار». قيل له: من استوتْ حسناتُه وسيئاتُه؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف». (أخرجه خيثمة في فوائده، وعند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود نحوه مرفوعًا. وانظر: سبل السلام ٤/ ٤٣٩)

(٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطهورشطر الإيمان، والحمد للهِ تملأ الميزان». (صحيح مسلم، رقم:٢٢٣)

لم يصرح الحديث بتجسيد «الحمد لله».

بجانب هذه الأحاديث ثمة أحاديث كثيرة أخرى تشير إلى وضع الأعمال نفسها في الميزان.

وزن الأعمال قول ابن عباس رضي الله عنهما. وإليه ذهب الإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري، وعلي بن المديني، وغيرهم. ورجحه الحافظ ابن حجر رحمه الله. (فتح الباري ١٣/ ٥٣٩)

القول الثاني: تجسيد الأعمال:

(١) عن ابن عباس أنه قال: «الميزان له لِسانٌ وكِفَّتانِ يُوزَن فيه الحسناتُ والسيِّئاتُ، فيُوتَى بالحَسَنات في أحسنِ صورةٍ، فتُوضَع في كِفَّةِ المِيزانِ فتثقُل على السيئاتِ...». قال: «ويُؤتَى بالسيئات في أقبح صورةٍ فتُوضَع في كِفَّةِ الميزانِ فتُخَفَّفُ. والباطل خفيف». الحديث. (شعب الإيمان، رقم:٢٧٨)

(٢) وقال الحسن: «الميزان له لِسانٌ وكِفَّتان». (أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رقم: ٢٢١٠)

(٣) في حديث البراء في قصة سؤال القبر: «فيأتيه (المؤمنَ) رجلٌ حَسَنُ الوجه، حسن الثِّياب، طَيِّبُ الرِّيح، فيقول: أَبشِرْ بالذي يسُرُّك، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَد، فيقول له: من أنتَ؟ فوجهك الوجهُ الذي يجيءُ بالخير، فيقول: أنا عَمَلُك الصَّالِحُ». (مسند أحمد، رقم:١٨٥٣٤، وإسناده صحيح)

(٤) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اتَّبَعَ جنازةَ مسلمٍ إيمانًا واحتسابًا، وكان معه حتَّى يُصلَّى عليها ويُفْرَغَ من دفنها، فإنَّه يرجِع من الأجر بقيراطَين، كلُّ قيراط مثلُ أُحُدٍ». (صحيح البخاري، رقم:٤٧).

(٥) وعن حماد بن إبراهيم قال: «يُجاء بعمل الرجل فيُوضَع في كِفَّةِ ميزانِه يومَ القيامة فتَخِفُّ فيُجاء بشيءٍ أمثال الغَمام، أو قال: مِثل السَّحاب، فيُوضَع في كِفَّةِ ميزانِه فيَرجَحُ فيُقال

له: أتدرِي ما هذا؟ فيقول: لا، فيقال له: هذا فضلُ العِلم الذي كنتَ تُعَلِّمُه النَّاس». (جامع بيان العلم وفضله، رقم:٢٢٥)

(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرءُوا الزهراوَين: البقرةَ وسورةَ آل عمران، فإنَّهما تأتِيان يومَ القيامة كأنَّهما غمامتان». (صحيح مسلم، رقم:٨٠٤)

(٧) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من احتبَسَ فرَسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإنَّ شِبَعَه ورِيَّه ورَوْثَه وبولَه في ميزانه يومَ القيامة».(صحيح البخاري، رقم:٢٨٥٣)

القول الثالث: توزن صحف الأعمال:

(١) حديث البطاقة الشهير: «فتخرُج له بطاقةٌ فيها «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله»، فيقول: احْضُرْ وَزْنَك، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تُظْلَمُ، قال: فتُوضَع السِّجلات في كفةٍ والبِطاقة في كفةٍ، فطاشَت السِّجِلات وثَقُلَت البطاقةُ، فلا يثقُل مع اسم الله شيءٌ».(سنن الترمذي، رقم:٢٦٣٩، وقال الترمذي: هذا حديث حسن)

وورَد وضع البطاقة مع رجلٍ في كِفَّةِ الميزان، أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تُوضَع الموازينُ يومَ القيامة، فيُؤتَى بالرجل فيُوضَع في كِفَّةٍ فيُوضَع ما أُحصِيَ عليه، فتَمايل به الميزانُ»، قال: «فيُبعَث به إلى النار، فإذا أُدْبِرَ به إذا صائِحٌ يصِيحُ من عند الرحمن يقول: لا تَعجَلوا، فإنَّه قد بقي له، فيُؤتَى ببطاقة فيها: «لا إله إلا الله»، فتُوضَع مع الرجل في كِفَّةٍ، حتى يَمِيلُ به الميزانُ». (مسند أحمد، رقم:٧٠٦٦، وإسناده حسن)

وزن الصحائف قول ابن عمر رضي الله عنهما، ورجحه أو صححه العلامة القرطبي، والعلامة ابن عبد البر، والعلامة السيوطي، وإمام الحرمين وغيرهم. وعزاه في تفسير البيضاوي إلى الجمهور، وجعله في تفسير الرازي قول عامة المفسرين.

إيراد على حديث البطاقة والجواب عنه:

يرد عليه أنه يقتضي عدم دخول أحد من المؤمن النار؛ فإن كل واحد منهم معه بطاقة الإيمان؟

الجواب (١): يكون الوزن مرتين: ١- وزن الإيمان بإزاء الكفر. ٢- وزن الأعمال

الصالحة بإزاء الأعمال السيئة. وحديث البطاقة محمولة على الوزن الأول.

وهذا غير معقول؛ فإن حديث البطاقة يدل على أنه ينجو من النار بعد رجحان كفته، لا أن الأعمال ستوزن بعد البطاقة. ولا نعلم أن الوزن مرتين.

الجواب(٢): نطق بهذه الكلمة وهو في النزع، فغفر له، ففي الحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». (سنن أبي داود، رقم:٣١١٦)

ولكن هذا التوجيه يقتضي أن يكون معناه: كان مؤمنا، ومعه حسنات أخرى، في حين يدل سياق حديث البطاقة على أنه لا يملك حسنة من الحسنات.

الجواب عنه: أن الحسنات كانت معه، ولكنها كانت مرجوحة، فترجحت الحسنات ببركة حسن آخر كلماته.

الجواب (٣): قالها عند موته ليدخل في الإيمان.

يرد عليه أيضًا بأنه يجب سقوط ذنوبه حينئذ، لأن الإسلام يهدم ما كان قبله من الذنوب، ونجد هنا تسعة وتسعين سجلا من الذنوب.

الجواب عنه: ربما كان عليه حقوق العباد، ولا يهدم الإيمان ما كان عليه من حقوق العباد الذين عاش فيهم.

الجواب (٤): قالها في ظروف صعبة بغاية من الإخلاص. ويقولها الناس أيضًا ولكن في عموم الأحوال. فمثلا: لم يترك هذه الكلمة حتى في حال الإكراه، أو يكون على مثل عبدالله بن تامر في قصة أصحاب الأخدود، الذي جهر بصوت كلمة الحق وضحى بنفسه.

إيراد: لم خص الحديث بذكر رجل مع أن الناطق بكلمة الشهادة بغاية من الإخلاص، كثير، وكذلك من قالها وهو في النزع ، وكذلك من قالها قبل موته ليدخل في الإيمان كثيرون؟

الجواب: المراد به جماعة تحمل هذه الصفة، لا خصوص الأفراد.

الجواب (٥): قصة حديث البطاقة مستثناة من عموم الأصول والقوانين. وفضل من الله تعالى بعينه، حكى هذا الجواب القاضي ثناء الله الباني بتي في «التفسير المظهري». (١٠/ ٣٣٢، القارعة:١١)

القول الرابع: يوزن أصحاب الأعمال:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنه ليأتي الرجلُ

العظيمُ السمينُ يومَ القيامة لا يزِن عندَ الله جَناحَ بَعُوضةٍ». (صحيح البخاري، رقم:٤٧٢٩)

(٢) ورد الحديث بأن إحدى رجلي عبد الله بن مسعود أثقل من جبل أحد.

عن زِرِّ بن حُبَيش أن عبد الله بن مسعود كان يَحْتَزُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوكًا من أَراكٍ، وكان في ساقَيه دِقَّةٌ فضحِك القوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يُضحِكُكم مِن دِقَّةِ ساقَيه، والذي نفسي بيده إنهما أثقلُ في الميزان من أُحُدٍ». (صحيح ابن حبان، رقم:٧٠٦٩. والمستدرك للحاكم، رقم:٥٣٨٥. وهو حديث صحيح).

(٣) ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: ١٣) قال عبيد بن عُمَير: هو القوي الشديد، الأكول الشَّرُوب، يُوضَع في الميزان فلا يزِن شعيرةً، يَدفَع الملَكُ مِن أولئك سبعين ألفًا دفعةً واحدةً في النار. (الشريعة للآجري، رقم:٩٠٤. حلية الأولياء ٣/ ٢٧٠)

(٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تُوضَع الموازينُ يومَ القيامة، فيُؤتَى بالرجل فيُوضَع في كِفَّةٍ فيُوضَع ما أُحصِيَ عليه، فتَمايل به الميزانُ»، قال: «فيُبعَث به إلى النار، فإذا أُدْبِرَ به إذا صائحٌ يصِيحُ من عند الرحمن يقول: لا تَعجَلوا، فإنَّه قد بقي له، فيُؤتَى ببطاقة فيها: «لا إله إلا الله»، فتُوضَع مع الرجل في كِفَّةٍ، حتى يَمِيلُ به الميزانُ». (مسند أحمد، رقم:٧٠٦٦)

الجمع بين الأقوال المذكورة:

لا منافاة بين الوجوه الأربعة للوزن، فإن القصد منه بيان العدل. ولم تنفِ النصوص شيئا من هذه الوجوه. فيؤخذ بها جميعا على ما يلي:

(١) لبعضهم وجه، وللآخر وجه آخر، ولبعضهم جميع الوجوه.

(٢) يوزن على الوجوه الثلاثة: واحدًا بعد واحد، ثلاث مرات. (تفسير ابن كثير، الحاقة/ ١٩)

(٣) تجسد الأعمال، فتوضع هي وأصحابها في كفة، أو يوضع صاحب العمل مع صحيفة الحسنات في كفة، وحاصلهما واحد. (التفسير المظهري، المؤمنون/ ١٠٢)

قد يستدل على هذا القول بحديث البطاقة، الذي جاء فيه وضع صاحب العمل أولًا ثم وضع البطاقة معه.

معرفة الراجح من المرجوح:

كيف تعرف الكفة الراجحة؟ اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

القول(١): ذهب الجمهور إلى أن الكفة الراجحة تميل إلى الأسفل، والكفة المرجوحة ترتفع. كما يحصل في الوزن في الدنيا.

القول(٢): على العكس من عادة الدنيا، ترفع الكفة الراجحة إلى الأعلى، وتنزل الكفة المرجوحة إلى الأسفل. قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ (فاطر: ١٠)

فعلم أن الأعمال الصالحة تصعد وترتفع.

حكى العلامة الزركشي هذا القول عن بعضهم، واختاره الشاه عبد العزيز أيضًا.

القول(٣): ترجح كفة الحسنات لخروج النور منها، وأما كفة السيئات فترجح لظلمة تخرج منها. حكى هذا القول العلامة الآلوسي. (راجع:علوم القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني،ص ٢٤٤-٢٤٥).

الحكمة في وزن الأعمال:

ذكر العلماء عددًا من الوجوه والحِكم في وزن الأعمال، منها ما يلي:

(١) ليعلم أصحاب الأعمال بأعمالهم، ويتذكروها إن نسوها، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٤)

(٢) يظهر فضل الله وكرمه من جزاء الحسنات، ويظهر عدل الله تعالى من عقاب السيئات بأنه لم يظلم المذنب، ثم إنه إذا عومل صاحب العمل الخليط معاملة العفو يعلم أنه فضل الله تعالى.

(٣) شهادة الأنبياء عليهم السلام، وشهادة أهل العلم، وشهادة الملائكة، وشهادة الجوارح، وشهادة قطع الأرض، ووزن الأعمال؛ كل ذلك يبين أن ما يحصل قائم على الحقيقة والواقع.

(٤) والغرض من هذا كله أن هذه التدابير تبرز أهمية العمل الإنساني، فإن الغرض من خلق الكون نتائج الأعمال هذه. وعليه اتخذت هذه التدابير كلُّها. (هذه الحكم الأربع ذكره الشيخ شمس الحق الأفغاني، علوم القرآن،ص ٢٤٤).

(٥) توزن الأعمال لإتمام الحجة.

(٦) لاختبار المكلف: هل يؤمن بوزن الأعمال أم لا ؟

(٧) يتجلى من وزن حسنات الصالحين فضلهم للناس، ويتبين خزيهم أمام الناس بوزن سيئات المسيئين.

(٨) رجحان كفة الحسنات يزيد من فرح المرء ومسرته. وبالعكس يزداد المرء هما وغما.

(٩) ليعلم الثواب الذي حصله على العمل الصالح، وأي الأعمال رجَّح كفته؟

(١٠) حين يعلم المرء أن عمله يوزن، فيزداد عناية بأداء الواجبات، واجتناب الذنوب.

تفيد الروايات أن الحبة الواحدة ترجح الميزان، ويفلح المرء، ويخيب بفارق حبة واحدة.

وثمة مباحث أخرى ضمن وزن الأعمال مثلا: هل خلق الميزان أو سيخلق؟ ما مادة الميزان؟ وصفات الميزان في ضوء الأحاديث، والحكمة في سعة كفتي الميزان؟ ومخاصمة الناس عند الميزان، وحضور النبي صلى الله عليه وسلم إلى الميزان، وما أكثر الأعمال ثقلا في الميزان؟ أين يقام الوزن؟ هل يقام الميزان عند الحساب أو بعد الحساب؟ الأدعية التي تُثقِّل الميزان؟ هل توزن أعمال الجن أم لا؟ كم مدةً يستغرقها وزن الخلق؟ ويعلن الملائكة بالنتائج مع تمام الوزن ونحو ذلك.

يرجع لهذه المسائل وغيرها من المسائل التي تتعلق بوزن الأعمال إلى كتب التفسير، وأمور الآخرة.

٩١- وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ[1]، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ.

هل الجنة والنار موجودتان حالا أم لا؟:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان في هذا الوقت. وذهب بعض المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم تُخْلَقا بعدُ، وإنما تخلقان يوم القيامة.

قال العلامة التفتازاني: «جمهور المسلمين على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافًا لأبي هاشم، والقاضي عبد الجبار، ومن يجري مجراهما من المعتزلة، حيث زعموا أنهما إنما يخلقان يوم الجزاء». (شرح المقاصد ٥/ ١٠٨، ط: عالم الكتب، بيروت)

قال ابن حزم: «ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا». (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٦٨)

أدلة المعتزلة:

(١) ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:٨٣) نجعلها، أي: نخلقها.

والجعل هنا بسيط غير مركب، ومعنى الجعل البسيط هو الخلق. ومعنى الجعل المركب التصيير أو التخصيص.

أجاب عنه أهل السنة والجماعة بأن هذا الاستدلال غير صحيح؛ لأن معنى «نجعل» لاينحصر في «نخلق»، وكثيرا ما يأتي «نجعل» بمعنى «نصيّرُ».

قلما استخدم القرآن والسنة الجعل البسيط قليلًا جدًّا؛ فإنه قليل بإزاء الجعل المركَّب، وهو كثير، فمعنى الآية الكريمة: نصيرها للذين لا يريدون علوًّا. أو نخصّها للذين لا يريدون علوًّا.

ولو سلمنا فرضًا أن «نجعل» بمعنى «نخلق» فإنه يأتي للحال والمضارع، فإذا كان بمعنى الحال، كان معنى «نخلقها» نوجدها في الفور، فبطل دليل المعتزلة القائلون بأنه بمعنى الاستقبال، وإن كنا نقول بوجود الجنة والنار في الماضي.

---

(١) قوله «مخلوقتان» سقط من ٢، ١٣، ٢٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قال تعالى في الجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ (الرعد: ٣٥) وهذا يعني أنه غير موجود من ذي قبلُ، وإلا لدخل تحت قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨) وهلك، فكيف يصح ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ ؟

الجواب: نقول: موجود من ذي قبلُ، والمراد بقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ الدوام العرفي، فإن طرأ عليه الفناء لمدة قليلة أو لزمن قليل لم ينافِ ذلك الدوام العرفيَّ. فمثلا يقول قائل: زيد يصحبني دائما، فليس معناه أنه لا يفارقه للحاجة البشرية اللازمة. أو يقول قائل: في فناء البيت شمس، فليس معناه أن لا ظل لجدر أو إناء.

الجواب الثاني: قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ باعتبار النوع، وإن هلك أفراده، وهذا القول غير صحيح؛ لأن النوع الكلي يوجد في كل فرد من أفراده، كما أن الإنسان نوع، يوجد في كل من زيد وعمر وبكر، فإن فني جميع أفراد البشر لم يبق النوع أيضًا.

الجواب الثالث: الجنة فانية بمقتضى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فإن نعم الجنة إذا لم يبق من يستفيد منها عُبِّرَ عنها بالهلك والفناء لعدم بقائها صالحة للانتفاع، أو تُجعل نعم الجنة غير صالحة للانتفاع.

(٣) لقي النبي صلى الله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام، فقال له إبراهيم: «اقرأ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيِّبةُ التُّربةِ، عذبة الماء، وأنها قِيعان، وأن غِراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». (سنن الترمذي، رقم ٣٤٦٢)

وصف هذا الحديث الجنة بـ «قيعان»، فكيف توصف بالجنة ؟

الجواب: عنه أن ثمة وجودا للجنة، وشيء آخر وهو تكميلها، فالقصور والجنان موجودة، وتتأتى سائر مراحل اكتمالها بالعبادة والتسبيحات وغيرهما.

(٤) قال آسية بنت مزاحم- امرأة فرعون-: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ (التحريم:١١) فعلم أن الجنة ليس فيها بيت، ولذا طلبت أن يبني لها بيت في الجنة؟

الجواب: الجنة موجودة ومخلوقة من ذي قبلُ، وبناء البيت فيها من مراحل استكمالها. (شرح العقائد النسفية، ص١٦٩ . شرح المقاصد ٥/ ١٠٧-١٠٨ . النبراس، ص٢٢٠-٢٢٢. والقلائد في شرح العقائد للقونوي، ص١٣٤-١٣٥، مخطوط)

أدلة أهل السنة والجماعة:

(١) أدخل آدم عليه السلام جنة الخلد، فعلم أن الجنة موجودة من ذي قبلُ. قال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ (طه)

وصفت الآية الكريمة الجنة -التي أدخلها آدم عليه السلام- بخمس خصال، ولا تتصف بها إلا جنة الخلد، لا جنة الدنيا.

قال العلامة الآلوسي وابن القيم رحمهما الله: قيل: المراد بالجنة جنة في فلسطين وغيرها. وإليكم نص الآلوسي: «ذهب المعتزلة وأبو مسلم الأصفهاني وأناس إلى أنها جنة أخرى خلقها الله تعالى امتحانًا لآدم عليه السلام، وكانت بستانًا في الأرض بين فارس وكرمان، وقيل: بأرض عدن، وقيل: بفلسطين كورة بالشام، ولم تكن الجنة المعروفة، وحملوا الهبوط على الانتقال من بقعة إلى بقعة أخرى كما في ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ (البقرة: ٦١). (روح المعاني، البقرة:٣٥. وانظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص٤٧-١٠٠)

(٢) روى مسلم في «صحيحه» حديثا يخص الشفاعة الكبرى، جاء فيه أن الناس يأتون آدم عليه السلام، فيقولون: «يا أبانا اسْتَفْتِحْ لنا الجَنَّةَ»، فيقول: «وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدم». (صحيح مسلم، رقم:١٩٥) أي: تستفتحون جنة الخلد التي أخرج منه آدم لزلة منه.

(٣) ناظر موسى آدم عليهما السلام، فقال موسى لآدم: «أنت آدم الذي خلقكَ الله بيده، ونفَخ فيك من روحه، وأسجَد لكَ ملائكتَه، وأسكنك في جنتِه، ثم أهبطت الناسَ بخطيئتك إلى الأرض». (صحيح مسلم، رقم:٢٦٥٢. وأخرجه البخاري بمعناه)

فعُلم منه أنه نزل من الجنة السماوية إلى الأرض.

(٤) ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (البقرة: ٣٦)

تدل هذه الآية أيضًا على أنه نزل إلى الأرض، ولم يكن عليها.

(٥) اللام في الجنة للعهد الخارجي، فعلم منه أنها الجنة المعروفة المعهودة: جنة الخلد.

(٦) أخبر بصيغة المضي في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣) ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤). وحمل (أُعِدَّتْ) على الاستقبال (نعدُّه) خلاف الظاهر، والحمل عليه

يتطلب دليلًا وقرينةً، ولم يوجد شيء منه هنا.

(٧) كذلك قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء: ٩٠) أخبر فيه بصيغة المضي، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ (النجم) بصيغة المضي أيضًا.

رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في المعراج في صورته الأصلية. وسدرة المنتهى شجرة سدر عظيمة في العالم العلوي، عنده الجنة التي تسمى «جنة المأوى». وإنما سميت بها لأنها مأوى المؤمنين.

(٨) في صحيح البخاري: «ثم أُدْخِلتُ الجنةَ فإذا فيها جنابِذ اللؤلؤ، وإذا تُرابُها **المِسك**». (صحيح البخاري، رقم:٣٣٤٢)

(٩) رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والنار عند صلاة الكسوف، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «خسف الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه...، قالوا: يا رسول الله! تناولت شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعتَ، فقال: «إني رأيتُ الجنة أو أُرِيتُ الجنةَ فتناولت منها عُنقُودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيتُ النار فلم أرَ كاليوم منظرًا قط».(صحيح البخاري، باب كفران العشير، رقم:٥١٩٧)

(١٠) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا». قالوا: وما رأيتَ يا رسول الله! قال: «رأيت الجنة والنار». (صحيح مسلم، رقم:٤٢٦).

(١١) يوضع المؤمن في قبره فينادى: افتحوا له بابًا إلى الجنة. قال البراء بن عازب رضي الله عنه: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار- وفيه- : «فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، وألبسوه من الجنة». (سنن أبي داود، رقم:٤٧٥٣)

تدل أحاديث صحيحة كثيرة على أن الجنة والنار قد خُلِقَتا، وإنما اكتفينا ببعض الأحاديث مخافة الطول.

سؤال: ما الحكمة في خلق الجنة من ذي قبلُ، ولا يدخلها الناس إلا يوم القيامة ؟

الجواب: الوعد والوعيد بالموجود آكد وأحكم، وأيضًا يدخلها أرواح الشهداء

الكاملين. (علوم القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني؛ شرح المقاصد ٥/ ١٠٨-١١١؛ النبراس، ص ٢٢٠؛ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح الباب الأول ١/ ٢٥).

يموت المؤمن فيأتيه الملائكة بلباس الجنة وطيبها، وهي بشارة عظيمة. وثمة دخول نظامي يتحقق يوم القيامة بالأجساد. وأما دخول أرواح الشهداء والمؤمنين الكاملين فثبت قبل القيامة، كما أن أرواح الكفار في سجين. كذلك أرواح الشهداء تركب الطيور وتطير حيث تشاء من الجنة.

الجنة والنار باقيتنان دائما:

تقول الجهمية: تفنى الجنة و النار، وقال أهل السنة والجماعة: الجنة والنار باقيتنان أبد **الآباد.** (الفرق بين الفرق، للأسفرائيني، ص١٩٩)

أدلة أهل السنة والجماعة:

قال تعالى: (١) ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ (الرعد: ٣٥)

وقال تعالى: (٢) ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ (ص: ٥٤)

وقال تعالى: (٣) ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر: ٤٨)

وقال تعالى: (٤) ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الدخان: ٥٦)

وقال تعالى: (٥) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (النساء: ١٢٢)

وقال تعالى: (٦) ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ (المائدة: ٨٥)

وقال تعالى: (٧) ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (المائدة: ١١٩)

وقال تعالى: (٨) ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (البينة: ٨)

وقال تعالى: (٩) ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ (الحج: ٢٢)

وقال تعالى: (١٠) ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (النساء: ٥٦)

وقال تعالى: (١١) ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (النبأ: ٣٠)

وقال تعالى: (١٢) ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ (المائدة: ٣٧)

وقال تعالى: (١٣) ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة:٣٩)

وقال تعالى: (١٤) ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨١)

المراد بالسيئة في الآية الكريمة الشركُ.

وقال تعالى: (١٥) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢﴾ (البقرة)

وقال تعالى: (١٦) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥﴾ (الأحزاب)

وقال تعالى: (١٧) ﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (الجن: ٢٣)

(١٨) في الحديث الشهير: أهل النار مخلدون في النار، وأهل الجنة مخلدون فيها. ويبشر أهل الجنة كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ينادي منادٍ إنّ لكم أن تصِحّوا فلا تسقموا أبدا، وإنّ لكم أن تحيَوا فلا تموتوا أبدا، وإنّ لكم أن تشِبُّوا فلا تهرَموا أبدًا، وإن لكم أن تَنَعّموا فلا تبأسوا أبدا، فذلك قوله عز وجل:﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٣). (صحيح مسلم، رقم:٢٨٣٧)

(١٩) و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت كهيئة كَبْشٍ أَملَح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيَشْرَئِبُّون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيُذْبَح ثم يقول: يا أهل الجنة خُلُودٌ فلا موتَ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موتَ».(صحيح البخاري، رقم:٤٧٣٠. صحيح مسلم، رقم:٢٨٤٩)

فصل الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي أحسن تفصيلا لهذا الموضوع.[1]

---

(١) ولمزيد من التفاصيل راجع: معارف القرآن للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ٣/ ٢١. والاعتبار ببقاء الجنة والنار، لتقي الدين السبكي. وللكوثري مقالة حول هذا البحث مسماة بـ مسألة الخلود. راجع مقالات الكوثري. وانظر أيضًا: تبصرة الأخيار في خلود الكافر في النار، لأحمد بن عبد العزيز الأندلسي الحنفي، مخطوط. و«يقظة أولي الاعتبار بما ورد في ذكر النار وأصحاب النار» للشيخ صديق حسن خان القنوجي.

وساق الإمام السبكي رحمه الله في «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» نحومئة آية تدل على بقاء الجنة والنار، ستون آية منها تخص النار، وأربعون منها تخص الجنة. نصت تسع وتسعون آية منها على خلود النار، ونصت ثماني وثلاثون آية منها على خلود الجنة. وقرِنَ الخلود بالتأبيد في أربع آيات خاصة بالنار، كما قرنَ الخلود بالتأبيد في سبع آيات خاصة بالجنة. وتنص أكثر من ثلاثين آية على عدم الإخراج من الجنة.

تفرد الحافظ ابن القيم والعلامة ابن تيمية بالقول بفناء النار، وأقوالهما المتضادة في ذلك:

تفرد الحافظ ابن القيم والعلامة ابن تيمية رحمهما الله في هذه المسألة بالقول بفناء النار. وألف معاصرهما العلامة تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله رسالة سماها «الاعتبار ببقاء النار». كما عمل العلامة الصنعاني أيضًا رسالة في الرد عليهما سماها «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».

صنف العلامة ابن تيمية رسالة في فناء النار، سماه محققها «الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وبيان الأقوال في ذلك». وقال في المقدمة: «لم يسمها المؤلف». ورسالة العلامة ابن تيمية هذه يحتفظ بها مكتبة التشتربتي باسم «رسالة في بقاء الجنة وفناء النار» برقم [٣٤٠٦]. كما يتجلى من نصوص هذا الكتاب أن الشيخ ابن تيمية يقول بفناء النار. مما دفع المحققَ في نهاية الأمر إلى القول بأنه إذا كان ابن تيمية يقول بفناء النار فإنه خطأ اجتهادي منه. ويقلق التعارض في كتب ابن تيمية قرَّاءَها. ومما جاء في هذه الرسالة من نص العلامة ابن تيمية ما يلي: «وقد روى علماء السنة والحديث في ذلك (يعني فناء النار) آثارًا عن الصحابة والتابعين...، وحينئذ فيحتج على فنائها بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة، مع أن القائلين ببقائها ليس معهم كتاب ولا سنة ولا أقوال الصحابة». (الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك، لابن تيمية، ص٦٧، تحقيق: محمد بن عبد الله السمهري، ط: دار بلنسية)

قال ابن تيمية رحمه الله في رسالته هذه بعد ذلك بصفحات: «والذين قطعوا بدوام النار، لهم أربع طرق. أحدها: ظن الإجماع...، والثاني: أن القرآن قد دل على ذلك دلالة قطعية...، والثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من في قلبه مثال ذرة من إيمان من

النار دون الكفار، فإنهم لم يخرجوا...،

فأما الإجماع فهو أولًا: غير معلوم، فإن هذه المسائل لا يقطع فيها بإجماع، نعم قد يظن فيها الإجماع، وذلك قبل أن يعرف النزاع، وقد عرف النزاع قديمًا وحديثًا، بل إلى الساعة لم أعلم أحدا من الصحابة قال: إنها لا تفنى، وإنما المنقول عنهم ضد ذلك ولكن التابعون نقل عنهم هذا وهذا.

وأما القرآن، فالذي دل عليه وليس في القرآن ما يدل على أنها لا تفنى، بل الذي يدل عليه ظاهر القرآن أنهم خالدون فيها أبدا، (ثم ذكر الآيات، ثم قال:) وهذا يقتضي خلودهم في جهنم - دار العذاب - مادام ذلك العذاب باقيًا ولا يخرجون منها مع بقائها وبقاء عذابها، كما يخرج أهل التوحيد، فإن هؤلاء يخرجون منها بالشفاعة، وغير الشفاعة مع بقائها، كما يخرج ناس من الحبس الذي فيه العذاب مع بقاء الحبس والعذاب الذي فيه على من لم يخرج. وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح». (المصدر السابق، ص٧١-٧٤)

وقال بعد ذلك بصفحات: «الفرق بين بقاء الجنة، والنار، شرعًا، وعقلاً. فأما شرعًا، فمن وجوه: أحدها: أن الله أخبر ببقاء نعيم الجنة ودوامه، وأنه لا نفاد له ولا انقطاع في غير موضع من كتابه، كما أخبر أن أهل الجنة لا يخرجون منها، وأما النار وعذابها فلم يخبر ببقاء ذلك، بل أخبر أن أهلها لا يخرجون منها. الثاني: أنه أخبر بما يدل على أنه ليس بمؤبد في عدة آيات.

الثالث: أن النار لم يذكر فيها شيء يدل على الدوام. الرابع: إن النار قيدها بقوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ (النبأ: ٢٣)، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ (الأنعام: ١٢٨)، وقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ (هود: ١٠٧)، فهذه ثلاث آيات تقتضي قضية مؤقتة، أو معلقة على شرط، وذاك دائم مطلق، ليس بمؤقت ولا معلق». (المصدر السابق، ص٨٠)

ويوجد في كلام ابن تيمية نفسه ما يخالفه، فقد جاء في «مجموع الفتاوى»: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة، والنار، والعرش، وغير ذلك». (مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٠٧)

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: «وأما كونها (أي النار) أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين من القران والسنة دليل واحد يدل على ذلك؟!...، وأما فناء النار وحدها فقد

وجدنا كم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار». (حادي الأرواح، ص٧٥٠. وانظر: تمام كلامه في حادي الأرواح، الباب السابع والستون)

وكلام ابن القيم رحمه الله يعارض بعضه بعضا، فقال في «الوابل الصيب»: «ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض». (الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص٢٠)

خالف الشيخ ناصر الدين الألباني –من علماء الحديث المعاصرين– ابن تيمية وابن القيم في هذه المسألة، وردَّ عليهما بالتصريح باسمهما في مقدمة «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار». ألف محمد بن إسماعيل الصنعاني هذه الرسالة في بقاء النار. قال الشيخ الألباني في مقدمة هذه الرسالة: «إن مؤلفها الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى ردَّ فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ميلهما بفناء النار بأسلوب علمي رصين دقيق». كذا في رسائل السقاف (١/ ١٨)

ثم أعد عبد الكريم صالح الحميد رسالة سماها «القول المختار لبيان فناء النار» ردًّا على الشيخ الألباني، ودفاعًا عن موقف ابن تيمية وابن القيم. وقال عبد الكريم صالح الحميد –وهو يدافع عن ابن تيمية–: «مراده بفناء النار فناء نار المسلمين».

وردَّ الشيخ الألباني أيضًا في تعليقاته على «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (ص ٤٢٤) ردًّا قويًّا على معارضي فناء النار.

وعمل الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رسالة فيه، ساق فيها أدلة مفصلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على عدم فناء الجنة والنار. جاءت هذه الرسالة في «التعليق الصبيح» (٩/ ٤٣١– ٤٤١).

راجع الشيخ عبد الماجد الدريابادي الشيخ أشرف علي التهانوي في هذه المسألة حين إعداده لتفسير القرآن الكريم. فرد عليه الشيخ التهانوي بأن النصوص الصريحة الواضحة دالة على بقاء النار وخلودها.

وأضاف قائلا: إنه يشجع الكفار؛ فقد كان الفساق يقولون ليومنا هذا: سندخل الجنة يوما من الأيام، فسيقول الكفار أيضا: سننجو من النار يوما من الأيام.

من قال بفناء النار فهو من أتباع ابن تيمية وابن القيم.

قال الشيخ ابن أبي العز تبعًا للعلامة ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله: «وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة منهم من السلف والخلف».

قال الشيخ عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط في التعليق عليه: «وما يُروى عن بعض السلف من القول بفناء النار – إن صح – قول ضعيفٌ مرجوحٌ مخالف للأدلة القطعية من الكتاب والسنة الدالة على بقاء النار أبد الآباد، وبقاء أهلها فيها». (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والشيخ شعيب الأرناؤوط ٢/ ٦٢١)

وزعم الشيخ ابن أبي العز أن قول السلف والخلف هذا يحكيه كثير من كتب التفسير وغيره. قال الشيخ سعيد فودة: قول ابن أبي العز هذا غير صحيح، وعلى خلاف الواقع، ومن روي عنهم من السلف ذلك لا يصح إسناده. ولا عبرة به بإزاء الأدلة القاطعة ببقاء النار. (الشرح الكبير ٢/ ٩٦٦)

وقال الشيخ الألباني: «قلت: لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة». (تعليقات الشيخ الألباني على شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٤٢٤)

ساق الشيخ ابن أبي العز ثمانية أقوال في أن النار أبدية دائمة: «.... السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في الحديث، ثم يبقيها شيئا، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدا تنتهي إليه. الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من شاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله. وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان. وهذان القولان لأهل السنة».

جعل الشيخ ابن أبي العز القول السابع بفناء النار قول أهل السنة والجماعة، في حين لم يقل به من أهل السنة والجماعة إلا ابن تيمية وبعض أتباعه.

قال الشيخ بعد ذلك بعدة صفحات: «وهذا القول – أعني بفناء النار دون الجنة – منقول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم». (شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ٢/ ٦٢٦)

وإسناد أثر عمر رضي الله عنه منقطع. وإسناد أثر ابن مسعود رضي الله عنه ضعيف جدا. وأما أثر أبي هريرة رضي الله عنه فإسناده صحيح. وقال عبيد الله بن معاذ-أحد رواته: «كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين». وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال فيه الإمام الذهبي وغيره: منكر. (للتفصيل راجع: تعليقات الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط على شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز ٢/ ٦٢١)

يعتبر السلفيون الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الإمام الأولَ، وابن تيمية الإمام الثانيَ، ومحمد بن عبد الوهاب الإمام الثالث، واختلفوا في الإمام الرابع، فقيل: هو الشيخ الألباني. وقيل: هو الشيخ ابن باز.

رغم أن السلفيين يعتبرون الإمام أحمد بن حنبل الإمام الأول، ولكن يخالفون رأيه في عدد من المسائل مثل الصفات المتشابهات، وخلق القرآن.

قالت الجهمية: الجنة والنار فانيتان.

أدلة الجهمية والجواب عنها:

(١) ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ (الحديد: ٣)

أفادت الآية الكريمة أن كل شيء هالك إلا ذات الله تعالى. فهو الباقي.

الجواب: ١- إثبات معنى (وَٱلۡأٓخِرُ) لا يستلزم فناء الجنة والنار؛ بل يكفي الفناء ولو ساعةً واحدةً، أو معنى الفناء: عدم الانتفاع، فتجعل الجنة صالحة للانتفاع، والنار صالحة لمعاقبة الكفار فيما بعد.

٢- الجنة والنار من الممكنات، وبقاء الممكن وعدم بقائه سيان. فالممكن فانٍ بالنظر إلى ذاته، وإن كان باقيا، فمعنى (وَٱلۡأٓخِرُ) الجنة والنار صالحتان للفناء، وذات الله تعالى هو الباقي دائما أبدا.

٣- أو معنى (ٱلۡأَوَّلُ): الذي يوجِد الخلق، ومعنى (وَٱلۡأٓخِرُ): الذي يميت الخلق.

٤- أو معنى (ٱلۡأَوَّلُ): مَن مِنه الابتداء، و(وَٱلۡأٓخِرُ) مَن إليه الانتهاء. كذا في التفاسير.

قال ابن سينا: «الأيس بين ليس وليس، كليس» أي الوجود بين عدمين عدمٌ. والممكن فانٍ بالنظر إلى ذاته، وإن كان له وجود في الظاهر، فإن وجوده ليس ذاتيا، بل تابع لوجود غيره.

٥- أحسن الأجوبة: «هو الأول لا ابتداء له وهو الآخر لا انتهاء له». وليس معناه: «يفنى كلّ شيء ويبقى آخرًا». ولو حصل الفناء لاقتصر على زمن بعينه، وهو في علم الله تعالى، ثم يوجد، فلا فناء للجنة ولا للنار. فالحياة حياة خالدة أبدية أبد الآباد. (تفسير النسفي، البقرة:٢٥)

(٢) ثاني أدلة الجهمية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ (هود)

تفيد هذه الآيات أن الله تعالى إذا شاء يخرج أهل الجنة وأهل النار بعد مدة السماوات والأرض، فعلم منه أن الجنة ونعيمها، والنار ونقمها لا تدوم ولا تخلد؟

الجواب: أجاب عنه المفسرون من وجوه، بعضها فيما يلي:

١- هذا بيان لقدرة الله تعالى أنه إذا شاء فعل، ولكنه لا يفعل. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ (الإسراء: ٨٦)

٢- قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: ينقل الله تعالى أهل النار متى شاء من الحجيم إلى الحميم. قال تعالى: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ (الرحمن)

٣-هذا الاستثناء بالنظر إلى العصاة، أي: يخرجهم من النار متى شاء.

٤- هذا الاستثناء من الزفير، أي: لهم فيها زفير وشهيق إلا ما شاء ربك، فإنه ينقطع الزفير والشهيق.

٥- أو المعنى: يمكثون مدة السماوات والأرض، ثم يمد الله تعالى إلى أبد الآباد.

٦- أو الاستثناء باعتبار موقف الحشر ومدة البرزخ، أي: يمكثون دائما، إلا أن مدة الحشر ومدة البرزخ مستثناة منه، فإنهم خارج النار هذه المدة.

٧- أو الكافر من أهل النار الأبدية، إلا أن يشاء الله تعالى فيتوب.

وقس عليه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١٠٨) :

١-يخلد المؤمنون في الجنة، وعلاوة على ذلك ما يشاء الله تعالى من صب النعم عليهم، فهي غيرها، مثل رؤية الباري تعالى.

٢- أو إشارة إلى قدرة الله تعالى، بأنه قادر على إخراجهم، ولكن لا يُخرجهم.

٣- أو استثني منه زمن الموقف والقبر.

٤- أو يخلد الفساق والفجار في الجنة إلا ما شاء الله تعالى فيبقون خارجها بسبب ذنوبهم.

للاستزادة منه راجع: التفسير المظهري، وروح المعاني، والجلالين، والتفسير العثماني، والبدور السافرة للسيوطي.

الدليل(٣) تقول الجهمية: تفنى الجنة والنار؛ لأنها لو كانتا أبديتين، لكانت حركات أهل الجنة وأشغالهم غير متناهية، فإن كان الله تعالى على علمٍ بأفعالهم كلها، كانت متناهية، وإن لم يكن الله تعالى على علمٍ بجميع أفعالهم لزم الجهل.

الجواب: إن الله تعالى على علمٍ بأن أعمال أهل النار والجنة وجميع حركاتهم غير متناهية، والحد بالنسبة لنا، دون الله تعالى، يعني الله تعالى يعلمهما بصفة كونهما غير متناهيتين. (مفاتيح الغيب٢٩/ ٢١٣).

صنف الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله رسالة نافعة في هذا الموضوع سماها «الدين القيم في الرد على ابن القيم».

الدليل(٤) قيل: ورد في الحديث: «يأتي على جهنم زمانٌ تَخفِقُ أبوابُها (أي: تتحرك وتنفتح) ليس بها أحد- يعني من المُوَحِّدين-». (مسند البزار، رقم:٢٤٧٨ عن عبد الله بن عمرو موقوفًا. وقال الذهبي: هذا منكر. ميزان الاعتدال٤/ ٣٨٥)

ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٧٧) عن أبي أمامة مرفوعًا، وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع محال، وجعفر بن الزبير قال شعبة كان يكذب...، وقال البخاري والنسائي والدارقطني: متروك». (الموضوعات ٣/٢٦٨). وأقره السيوطي في اللآلي المصنوعة ٢/ ٣٨٨، وابن عراق في تنـزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٣٧٩)

ورواه ابن عدي عن أنس بلفظ آخر، ورد بلفظ «من أمة محمد أحد». ونص الحديث كالتالي: «يأتي على جهنم يوم تصطفق (أي تنفتح) أبوابُها ما فيها من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد». (الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٣٧٩)

وهذا الحديث موضوع، قال ابن حبان في العلاء بن زيدل-أحد الرواة عن أنس رضي الله عنه-: «يروي عن أنس بن مالك بنسخة كلها موضوعة». (المجروحين ٢/ ١٧١)

الدليل(٥): «لو لبث أهل النار عدد رملِ عالِجٍ لكان لهم يومٌ يخرجون فيه».(فتح الباري،

باب صفة الجنة والنار ١/ ٤٢٢)

الجواب: رواه الحسن البصري عن عمر رضي الله عنه، ولد الحسن البصري قبل نهاية خلافة عمر رضي الله عنه بسنتين. فلم يشهد زمن عمررضي الله عنه، فالحديث منقطع، قال بعض المحدثين: مراسيل الحسن البصري أضعف المراسيل.

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ليس في المرسلات أضعف من الحسن». (تدريب الراوي ١/ ٢٣٠)

قال أهل العلم: ماروي في فناء النار كله ضعيف وواهٍ. (تفسير ابن كثير٤/ ١٣٦).

فإن قيل: لو كان المراد به فناء نار المسلم، لا نار الكافر، لكان متسعا من القول؛ لأن المسلم سيخرج من النار يومًا من الأيام بفضل «لا إله إلا الله». فانتهاء عذاب النار بالنسبة إلى المؤمن، لا للكافر.

لِـمَ يعذب الكافر في النار دائما مع أن كفره محدود بزمن؟:

إيراد: كفر الكافر يمتد إلى ستين أو سبعين سنة، ويخلد في النار دائما أبدًا، وهذا يناف العدل؟

الجواب: ١- تقول القاعدة: ينظر في الجريمة إلى نوعها، لا زمنها، فهب أنه نهب مئات الملايين من الروبيات في عشر دقائق، فهل يعاقب لمدة عشر دقائق فقط؟

٢- كفر بما لا يحصى من نعم الله تعالى، فكان عذابه غير متناهٍ. قال تعالى:﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ (إبراهيم: ٣٤)

٣- من كفر كفرا واحدا في حياته، عوقب في حياته الأخرى، بغض النظر عن مدى حياته الأولى وحياته الثانية.

وهذا الجواب غير معقول، فإن الإيراد هو أنه يجب أن يساوي عقوبة الحياة الثانية الحياةَ الأولى.

٤- لم ينتَهِ كفره؛ بل انقطع موته بالكفر، فهو مقطوعٌ لا محدودٌ، فكان عقاب الكفر الدائم دائما. قال تعالى:

﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ (الأنعام: ٢٨). (علوم القرآن، للشيخ شمس الحق الأفغاني، ص ٢٨٦).

٩٢- وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ[١]، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ[٢] فَضْلًا مِنْهُ[٣]، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ[٤] أَدْخَلَهُ النَّارَ[٥] عَدْلًا مِنْهُ[٦]، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ[٧]، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

تناول المؤلف في هذا النص أربعة أمور:

١- خلق الله تعالى الجنة والنار قبل خلق المخلوق، وهو البشر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)

دلت الآية الكريمة على أن الجنة والناركانتا قبل خلق آدم عليه السلام.

٢- قُضِيَ في الأزل بمن هو من أهل الجنة، ومن هو من أهل النار:

قال تعالى: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون». الحديث. (سنن أبي داود، رقم: ٤٧٠٣. وسنن الترمذي، رقم:٣٠٧٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم لها وهم في

---

(١) في ٣، ١٩، ٢١، ٢٢ «قبل خلق الخلق». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) أثبتناه من ٤، ٥، ٨، ١١، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٣. وفي ١، ٢٣، ٣٦ «إلى الجنة أدخله». وفي ٣، ١٧ «أدخله إلى الجنة». وفي ٢، ٧، ١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥) «للجنة» بدل قوله «أدخله الجنة». والأصح ما أثبتناه.

(٣) قوله «فضلا منه» سقط من ٦. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) قوله «منهم» سقط من ٢. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) أثبتناه من ٤، ٥، ٨، ١١، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٣. وفي ١، ٣٦ «إلى النار أدخله». وفي ٣، ١٧ «أدخله إلى النار». وفي ٢، ٧، ١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥ «للنار" بدل قوله «أدخله النار». والأصح ما أثبتناه.

(٦) قوله «عدلا منه» سقط من ٦. وسقط من ٨، ١٨ قوله «منه». وفي ١٩ في هذا المقام سقط كثير. وأثبتناه من بقية النسخ.

(٧) في ١، ٥، ١٤، ١٨، ٢١، ٢٥، ٢٧، ٣٠ «منه». والمثبت من بقية النسخ.

أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».(صحيح مسلم، رقم:٢٦٦٢)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد، إلا وقد كُتِب مقعده من النار، ومقعده من الجنة». الحديث. (صحيح البخاري، رقم: ٤٩٤٩)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قبض بيمينه قبضة، وأخرى باليد الأخرى، وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه، ولا أبالي». (مسند أحمد، رقم:١٧٥٩٣، وإسناده صحيح)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة، وفريق في السعير». (سنن الترمذي، رقم:٢١٤١، وقال: وهذا حديث حسن صحيح غريب).

سبق مزيد التفاصيل حوله في نص المؤلف: «وقد علم الله فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة، ويدخل النار جملة واحدة».

٣- يدخل الله تعالى من شاء الجنةَ بفضله، ويدخل من شاء النار بعدله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾ (الكهف: ١٠٧)

النزل: قِرَى يقدم إلى الضيف إكرامًا له دون استحقاق.

وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ (الحديد: ٢١)

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾ (النور:٢١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن يدخل أحدًا عملُه الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة». (صحيح البخاري، رقم:٥٦٧٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن ينجي أحدًا منكم عملُه» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة». (صحيح البخاري، رقم:٦٤٦٣. وصحيح مسلم، رقم:٢٨١٦).

الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وعذاب الله تعالى عبدَه لتركه الأوامر وارتكابه المناهي ليس ظلما؛ بل عين العدل والحكمة.

كلف الله تعالى عباده الإيمان باختيارهم، وخوَّفهم العذاب على ترك أوامره وارتكاب

مناهيه. فإن لم يؤمن العبد، ولم يراعِ أوامر الله تعالى ومناهيه رغم ذلك كله، ثم عذَّب الله تعالى على ذلك كان عين العدل والإنصاف.

وسبق مزيد التفاصيل في هذا في قول المؤلف: «ونرجو للمحسنين من المؤمنين، ولا نأمن عليهم...».

٤- لا يكسب المرء إلا ما كُتِبَ له من قبلُ:

فمن كان من أهل الجنة وُفِّقَ للصالحات، ومن كان من أهل النار ركب السيئات.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ (الليل)

أي: نهدي كل من صدَّق بالحسنى، أي: بدين الإسلام، إلى الجنة مقام الراحة والفوز. ونهدي كل من كذَّب بالحسنى، أي: بدين الإسلام، إلى النار مقام الألم والأسى، أي: يترك وشأنه في ارتكاب المعاصي التي يهواها.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة». الحديث. (صحيح البخاري، رقم: ٤٩٤٩)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار». الحديث. (سنن أبي داود، رقم: ٤٧٠٣. وسنن الترمذي، رقم:٣٠٧٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن)

وسبق مزيد التفاصيل حوله في نص المؤلف:«وكل مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له»، و«وقدَّر لهم أقدارًا».

٩٣- وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

لابد أن يقع قضاء الله تعالى على موعده المحدد، وكيفيته المحددة:

ما كتب الله تعالى لعباده من الخير والشر، والفرح والهم، يجب أن يقع على موعده المحدد، وكيفيته المحددة حسب قدر الله تعالى وقضائه، لا محالة، قال تعالى:﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)

وقال تعالى:﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ (النساء: ٧٨)

وليس المراد بـ(حَسَنَةٍ) و(سَيِّئَةٍ) الطاعة والمعصية في قوله تعالى:﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ (النساء: ٧٩)؛ بل المراد الخصب والسَّنة، والانتصار والهزيمة، ونحوها. والخطاب في قوله: (مِنْ نَّفْسِكَ) مع النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد البشرية كلها، أي: ما تلقون من الأوضاع الحسنة أو السيئة كله من مغبة أعمالكم، وللمفسرين أقوال أخرى في تفسير هذه الآية.

وفي حديث جبريل: «وتؤمن بالقدر خيره وشره».(صحيح مسلم، رقم:٨)

بيد أن الثواب والعقاب يتعلقان بالأمور الاختيارية. وما لا اختيار فيه لا يؤاخذ عليه المرء.

وسبق التفصيل حوله في قول المؤلف:«وقدَّر لهم أقدارًا».

٩٤- وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ[١] بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيْقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوْصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ[٢]، فَهِيَ[٣] مَعَ الفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ[٤] مِنْ جِهَةِ[٥] الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ[٦] وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ[٧]، وَهُوَ[٨] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)

معنى الاستطاعة:

الاستطاعة: القدرة، والطاقة، والسعة. وهي كلمات مترادفة. يطلق بعضها على بعض. واستعملها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠)

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ (القيامة: ٤)

---

(١) في ٥، ٢١ «تجب». وفي ١٠، ٢٠، ٢٦، ٢٩، ٣١ «يوجد». وفي ٧، ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣٢ «والاستطاعة ضربان، أحدهما الاستطاعة التي يوجد». وفي بعضها «توجد». والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في ١، ٣، ٦، ٨، ١١، ١٨، ١٩، ٢٣ «بها». وسقط من ١٣، ٣٣. وفي ١٦ «لا يوصف المخلوق به». ولا يتغير المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ١، ٦، ١٧، ١٩ «تكون» بدل قوله «فهي». وسقط من ٢، ٣، ٤، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في ٢٣ بعده زيادة «التي». والمعنى سواء.

(٥) قوله «جهة» سقط من ١. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٦) في ٢، ٣، ٦، ٨، ١٠، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٦ «التمكين». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) قوله «وبها يتعلق الخطاب» أثبتناه من ٨، ١١، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٢، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٦. وفي ٣٤ «وبها يتعلق الأسباب». وهو ساقط من بقية النسخ. والصحيح ما أثبتناه.

(٨) قوله «وهو» سقط من ١١. وسقط من ١٢ من قوله: «وأما الاستطاعة» إلى قوله «وهو». وفي ٢٩، ٣٠ «وهي». والمثبت من بقية النسخ.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ﴾ (البقرة: ١٨٤)

حين فرض الصيام في بداية عهد الإسلام خُيِّروا بين الصوم والفداء، ثم نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، فنسخ التخيير إلا أن الفدية حكمها باقٍ في حق الشيخ والشيخة ممن لا يستطيعون الصيام، ولا يرجون حصول الطاقة والقدرة عليه.

ستة توجيهات لقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾:

ذكر أهل العلم ستة توجيهات لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾:

١- «لا» مقدرة. أي: لا يطيقونه، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾ (النساء: ١٧٦)

٢- الهمزة في (يُطِيقُونَهُۥ) للسلب، كما في «شكاني فأشكيته».

٣- منسوخ، والناسخ قوله:

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (البقرة: ١٨٥)

٤- من أطاق الصوم بمشقة شديدة فعليه الفدية. وفي قراءة أخرى (يطوقونه)، يقال يطيق الصبي حمل هذا الحجر، أي: بمشقة.

٥- محمول على صدقة الفطر، قال الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله: (فِدْيَةٌ طَعَامُ) مبتدأ، خبره (عَلَى الَّذِيْنَ يُطِيْقُوْنَهُ). والضمير في قوله: (يُطِيْقُوْنَهُ) تعود على (طَعَامُ مِسْكِيْنٍ)، وهو الفدية.

٦- قال العلامة أنور شاه الكشميري: قوله: (عَلَى الَّذِيْنَ يُطِيْقُوْنَهُ) جاء بعد قوله: (اَيَّامًا مَّعْدُوْدٰتٍ)، والمراد به صوم أيام البيض. وكان فريضة قبلُ، مخيرا بين الصوم والفدية. والمراد بقوله: (وَأَنْ تَصُوْمُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ) ست من شوال. والمراد بقوله: (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) رمضان.

أقسام الاستطاعة:

الاستطاعة على قسمين:

١- الاستطاعة مع الفعل أو الاستطاعة الباطنة.

٢- الاستطاعة قبل الفعل، أو الاستطاعة الظاهرة.

(١) الاستطاعة مع الفعل أو الاستطاعة الباطنة صفة يخلقها الله تعالى بعد توفر الأسباب والآلات حين يمارس العبد أسباب فعل من الأفعال. فهذه الصفة وفعل العبد متلازمان، ويوجد الفعل نتيجة هذا الخلق والكسب.

التوفيق والخِذلان:

إن أراد العبدُ العملَ الصالح خلق الله تعالى فيه القدرة على العمل الصالح. ويطلق عليه التوفيق. وإن أراد العبدُ العملَ السيئ خلق الله تعالى فيه القدرة على العمل السيئ، ويطلق عليه الخِذلان. فالتوفيق والخِذلان يصاحبان فعل العبد، وبما أنهما من فعل الله تعالى فلا يتصف بهما العبد.

فمن أراد الخير باختياره وكسبه استحق الثواب، ومن كسب الشر باختياره استحق العقوبة على هذا الكسب الاختياري.

ومثال الاستطاعة مع كسب العبد كمثل حركة الخاتم بحركة الأصبع. فلا توصف الحركتان بالتقدم والتأخر. وما من عمل من أعمال العبد إلا ويحتاج إلى توفيق الله تعالى ومشيئته، وقدرة العبد ومشيئته تحت قدرة الله تعالى ومشيئته. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠)

ينسب خلق الفعل إلى الله تعالى، وكسبه إلى العبد، وعليه يترتب الثواب والعقاب. قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

تقول المعتزلة: الاستطاعة قبل الفعل. ويقول أهل السنة والجماعة: هي مع الفعل. وقال بعض المحققين: الخلاف لفظي، أي: كلاهما صحيح. فإن كان القدرة والاستطاعة بمعنى أن الفعل لا يتأخر عنها فهي مع الفعل، مثلا من اشتغل بالصلاة أو شرب الخمر، فإن الصلاة وشرب الخمر لا يتأخران عنها، فهي استطاعة مع الفعل. ويمكن أن يطلق عليها «الاستطاعة الممكنة». وإن أريد بالاستطاعة والقدرة، القدرةُ التي تحصل قبل بدء الفعل، فهي مقدمة عليه.

٢- النوع الثاني من الاستطاعة هي الاستطاعة قبل الفعل أو الاستطاعة الظاهرة.

والاستطاعة قبل الفعل هي بمعنى سلامة الأسباب والآلات. وهي مقدمة على الفعل. وبها يتعلق خطاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). ويطلق عليها «القدرة الميسرة».

أي يكلَّف المرءُ الفعل إذا كان يتمتع بالاستطاعة والقدرة الظاهرة عليه وإلا فلا.

وهذه الاستطاعة هي الأساس لتكليف البشر عند الفقهاء. فإذا قدر المرء على أسباب عمل من الأعمال وآلاته كان مكلفًا به، وإلا فلا. فمثلا: الحج يتطلب وجوبه الزاد والراحلة والصحة البدنية، فإن كان المرء يقدر عليها فرض عليه الحج، وإلا فلا. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧)

أقسام الاستطاعة قبل الفعل:

الاستطاعة قبل الفعل على قسمين: ١-الاستطاعة الإمكانية. ٢- الاستطاعة الشرعية.

١- الاستطاعة الإمكانية: مثل قدرة المرء على الزاد والراحلة مع الصحة الجسدية لوجوب الحج عليه، بغض النظر عما إذا كان يغلب على الظن ضرر في النفس أو المال من عدم الضرر. أو مثلا: قدرة المريض على القيام في الصلاة، بغض النظر عن غلبة الظن بتفاقم المرض إذا صلى قائما.

٢- الاستطاعة الشرعية: عدم خوف الضرر في النفس أو المال مع نفس القدرة. وعليه إذا كان المريض قادرا على القيام في الصلاة، إلا أنه يخاف زيادة المرض إذا صلى قائما، فقدرته على القيام ليست استطاعة شرعية، ويسقط عنه القيام.

الأدلة على الاستطاعة مع الفعل:

قال تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ (هود: ٢٠)

أي: كأنهم لا يستطيعون. فلا يرد أن الكفار يستطيعون السمع والأبصار لسلامة آلات سمعهم وبصرهم.

هذه الآية الكريمة تنفي الاستطاعة مع الفعل، وهي القدرة على السماع والقدرة على البصر حقيقةً. ولم تنفِ الأسباب و الآلات؛ لأن حواسهم كانت سليمة.

وقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٦٧)

وهذا نفي للاستطاعة مع الفعل، فإن موسى عليه السلام كان يتمتع بأسباب الصبر.

الأدلة على الاستطاعة قبل الفعل:

قال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ (المجادلة: ٤)

وقال تعالى: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ (التوبة: ٤٢)

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ النساء: ٢٥

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (الأنفال: ٦٠)

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، فقال: «صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب». (صحيح البخاري، رقم:١١١٧)

مزيد بيان للاستطاعة في ضوء شرح الشيخ هبة الله التركستاني مع زيادة وتصرف:

نسوق هنا للقارئ شرح شجاع الدين هبة الله التركستاني للاستطاعة في كتابه «شرح العقيدة الطحاوية» ليستوعبه كل الاستيعاب.

قال: القدرة على قسمين: الأولى: القدرة الباطنة، والثانية: القدرة الظاهرة، ولا بد من وجود الفعل مع القدرة الباطنة، أي: هي القدرة على إيجاد الفعل، فإن تعلقت بالعمل الصالح وصفناها بـ «توفيق الله»، فالتوفيق صفة من صفات الله تعالى. وإن تعلقت القدرة بالمعصية وصفناها بـ«الخذلان»، وهذه الاستطاعة مع الفعل. وهذه القدرة والفعل متلازمان. وذلك ليدرك العبد حين العمل أنه في حاجة مستمرة إلى توفيق الله تعالى، ويرتقي إلى منزلة العبودية. وهذه القدرة خافية، وليست مثل الأسباب والآلات. ولا يتحقق العمل بدون هذه القدرة. فمثلا: لو أصيب السائق أثناء قيادة السيارة بالنوبة القلبية لتوقفت

السيارة، وكذلك لو أصيب شارب الخمر بالقيء انقطع شربه. وعلى هذا القياس.

وتقول المعتزلة: هذه القدرة التي يوجد بها الفعل مقدمة على الفعل. وهذا غير صحيح؛ لأنه: ١- لو كانت هذه القدرة –التي تستلزم الفعل- مقدمة على الفعل، للزم الاستغناء عن الله تعالى وقت الإيجاد بعينه. وهذا ينافي مقام العبودية.

٢- لو لم تكن هذه القدرة مع الفعل، تعطلت أحكام الشرع، التي كُلِّفها العبدُ. وذلك لأن الأمر لأحد بالعمل إما أن يكون قبل القدرة، وهو تكليف العاجز أو يكون بعد انتهاء القدرة، فكيف يقوم العبد بالعمل، أو تكون القدرة موجودة من قبلُ ومستمرةً ودائمة فهذا بقاء للعرض، والعرض لا يبقى. فعلم أن القدرة الباطنة مع الفعل الحقيقي.

والشق الثالث الذي ذكره الشيخ فيه نظر؛ فإن القدرة إذا كانت مقدمة على الفعل ومقترنة معه، فهذا مما لا حرج فيه ولا إشكال، وأما بقاء العرض فغير ممنوع، فالحرارة والبرودة، والسماع، والبصر، والشدة، واللين، ومئات من الأعراض تبقى، سواء بقيت ذاتها أو بقيت متمثلة في تجدد أمثالها. فلا يجوز الاستشكال على تقدم القدرة الحقيقية على الفعل، ومقارنتها له.

٣- والثاني القدرة الظاهرة، وهي عبارة عن سلامة الأعضاء والأسباب، وهي أساس تكليف العبد. فهو مكلف بالقدر الذي يحصل له من هذه القدرة، فمن قدر على الصلاة قائما، لزمه القيام إلا في السنن والنوافل، فإن عجز عن القيام صلى جالسا يركع ويسجد، فإن عجز عن السجود صلى إيماءً. وإن عجز عن الوضوء تيمم.

٩٥- وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ[(١)]، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

الفرق بين الكسب والخلق:

فرق أهل العلم بين الكسب والخلق من وجوه:

١- النسبة إلى الفاعل كسب، والنسبة إلى معطي الوجود خلق.

٢- ما يُنسَب إلى معطي الوجود فهو خلق، وما يرجع إلى العبد نفعه وضرره فهو كسبه.

٣- إظهارالقدرة لا في محل القدرة خلق، وفي محل القدرة كسب. أي: الخلق لا يحتاج إلى الآلات والأسباب، والكسب يحتاج إليها. (راجع :كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم٢/ ١٣٦٢-١٣٦٣؛ شرح العقائد،ص ١٤٣).

٤- ما لا ينفرد به القادر، بل يحتاج إلى قادر آخر فهو الكسب.

الحاصل: إيجاد الاستطاعة وقوة العمل في العبد خلقٌ، وهو فعل الله تعالى. واستعمال الاستطاعة والقوة التي منح الله البشر هو الكسب، وهو فعل العبد.

الله تعالى خالق أفعال العباد:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الزمر: ٦٢) وهو يعم أفعال العباد.

وقال تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الأنعام: ١٠٢)

العباد كاسبون لأفعالهم:

قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ (النساء: ١١١)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ (النساء: ١١٢)

---

(١) في ٢، ١٤، ٢٥ «بخلق». وفي ١، و٤ «هي بخلق الله». وفي ١٧ «هي خلق الله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٥)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨١)

تفصيل المذاهب في الفعل والإرادة:

في الفعل والإرادة أربعة مذاهب:

(١) الجبرية. (٢) القدرية والمعتزلة. (٣) الماتردية. (٤)الأشاعرة.

(١) الجبرية:

تقول الجبرية: الإنسان مجبور محض في فعله وإرادته.

الدليل(١): ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ (القمر: ٥٣)

الجواب:كُتِب أنه سيكون، ولم يكتب لِيكُن. أي: لم يكتب أنه يكون كذا؛ لأن العبد مجبور عليه.

الدليل(٢): ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧)

الجواب: معنى الآية: وما رميتَ تأثيرًا إذ رميتَ فعلًا وكسبًا.

الدليل(٣): قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لن يُدخِلَ أحدًا عملُه الجنةَ» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلا أن يتغمَّدَني اللهُ بفضلٍ ورحمةٍ».(صحيح البخاري، رقم:٥٦٧٣).

أي: لا فائدة من العمل إذ لا يدخل المرء به الجنة، كما يفيد الحديث المذكور؟

الجواب(١): لا يدخل الجنة بعمله، بل بفضله تعالى، وكرمًا منه إلا أن الله تعالى جعل العمل سببًا ظاهرًا لدخول الجنة. و الدليل عليه قوله تعالى:﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٧٢)

تنص الآية الكريمة على أن السبب الظاهر لدخول الجنة هو العمل، وأما السبب الحقيقي أو الخفي فهو فضل الله تعالى؛ لأن التوفيق للعمل من فضل الله تعالى وكرمه.

وقيل: المراد بالعملِ الإيمانُ. أي: يرثون الجنة بالإيمان.(صحيح البخاري، باب من قال إنّ الإيمان هو العمل، لقول الله تعالى:﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الزخرف: ٧٢)

الجواب(٢): ليس نفس العمل سببا لدخول الجنة؛ بل الاستمرار عليه.

الجواب(٣): سبب دخول الجنة هو الإيمان، والعمل سبب حصول الدرجات، والمراد بالفضل في الحديث المذكور هو الإيمان.(إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٨/ ٢٥٧. مرقاة المفاتيح ٨/ ٨٨)

الجواب(٤): لا منافاة بين العمل والفضل؛ لأن العمل من فضله وتوفيق منه.(عمدة القاري ١/ ٢٧٧. ومرقاة المفاتيح ١/ ٩٠)

الجواب(٥): العمل المقبول سبب الجنة، لا كل عمل؛ ويرد عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفى أن يكون عمله سببا للجنة، مع أنه مقبول يقينا، اللهم إلا أن يراد بالقبول شمول الرحمة.

(٦) الباء للمصاحبة والملابسة، لا للعوض، أي: أن الجنة على علاقة بالعمل، ومصاحبة له، وليست عوضا عنه؛ لأن العوضين يتساويان عادةً، ولا يتساوى العمل ونعم الجنة الدائمة.(عمدة القاري، باب تمني المريض الموت ٢١/ ٢٢٦)

أي: الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للمصاحبة، وفي حديث: «لن يَدخُلَ أحدٌ منكم الجنةَ بعمله» (مسند أحمد، رقم:٧٤٧٩) للعوض.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على فتح الباري: «والصواب أن الباء ههنا، أي: في قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ للسببية، بخلاف الباء في حديث «لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله»؛ فإنها للعوض والمقابلة. (تعليق الشيخ ابن باز على فتح الباري ١/ ٧٨)

(٢) القدرية والمعتزلة:

تقول القدرية: الإنسان مختار في إرادته وأفعاله، وخالق لها، قال الإمام أبو منصور الماتريدي: «زعمت القدرية أن الله لا يدع الغاية من الخير الذي يقدر عليه إلا فعله، وكذلك قول الزنادقة أنه يفعل غاية الخير وأن خالق الشر غيره، وكذلك قول القدرية أن الله لا يقدر على شيء موجود من الشر، وأنه كله فعل العباد». (التوحيد للماتريدي، ص٩٢)

الأفعال المباشرة وأفعال التوليد:

الأفعال على قسمين عند المعتزلة:

١- الأفعال المباشرة، أي: الأفعال الاختيارية التي تصدر باختيار العبد.

٢-أفعال التوليد، أي: الأفعال غير الاختيارية، التي لا خيار فيها للعبد، مثل سيلان الدم بسبب الضرب، وتغير لون الجلد. فالضرب فعل اختياري، وسيلان الدم وتغير لون الجلد غير اختياريين.

يرى المعتزلة فيما يخص الأفعال المباشرة أن الإنسان مختار في إرادته وأفعاله، أي: خالق لأفعاله.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي في الأفعال المباشرة: «أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها». (شرح أصول الخمسة، ص٣٢٣)

يستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٤)

«أحسن» اسم تفضيل، واستنتجوا منه أن العباد خالقون لأفعالهم أيضًا، إلا أن العبد خالق حسن، والله تعالى أحسن الخالقين.

الجواب: ثمة خلق حقيقي، وآخر خلق معنوي، أي: تصوير الخلق، والمراد بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾: أحسن المصورين، أي: الصور التي تعملونها لا تحظى بالقبول، وأما ما صوره المصور الحقيقي من الصور الحية فيتطلب فهمها وإدراكها قراءة قصص الحب المجازي والحب الحقيقي. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦). وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ (الزمر: ٦٢)

قال القاضي عبد الجبار في موضع آخر: «اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وأن من قال أن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه، وأحالوا حدوث فعل من فاعلين». (المغني في أبواب العدل والتوحيد، لعبد الجبار المعتزلي ٨/ ٣)

الجواب: الله تعالى خالق أفعال العباد ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، والعباد كاسبون لها، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾، فلا يستلزم ذلك خالقين، فإن أحدهما خالق، والآخر كاسب، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧)

تفيد الآية الكريمة أن الله تعالى نفى عن النبي صلى الله عليه وسلم الرمي، وأثبته، أي:

نفى الخلق، وأثبت الكسب.

قال القاضي عبد الجبار في موضع آخر: «وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقًا لأفعال العباد، هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان الله تعالى خالقًا لها لوجب أن يكون ظالمًا جائرًا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا». (شرح الأصول الخمسة، ص٣٤٥)

الجواب عنه أن خلق القبيح غير قبيح، وكسب القبيح قبيح. والله تعالى خالق، والعبد كاسب. فينسب الجور والظلم إلى العبد، كما أن صنع السيف والبندقية غير قبيح، و استعمالهما في غير وجههما قبيح. (راجع لدلائل الفرق وجوابهم: أصول الدين، ص١٠٥. ومنح الروض الأزهر، ص١٥٥. وشرح المقاصد ٤/ ٢١٧. والتوحيد للماتريدي، ص٩٢)

وأما أفعال التوليد، فالمعتزلة حيارى مختلفين فيها، قال العلامة ابن حزم: «وأكثرت المعتزلة في التولد، وتحيرت فيه حيرة شديدةً، فقالت طائفة: ما يتولد عن فعل المرء مثل القتل والألم المتولد عن رمي السهم وما أشبه ذلك، فإنه فعل الله عز وجل، وقال بعضهم: بل هو فعل الطبيعة، وقال بعضهم: بل هو فعل الذي فعل الفِعْل الذي عنه تولد، وقال بعضهم: هو فعل لا فاعل له، وقال جميع أهل الحق: إنه فعل الله عز وجل وخلقه، فالبرهان في ذلك هو البرهان الذي ذكرنا في خلق الأفعال من أن الله تعالى خالق كل شيء». (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ٥٦)

ساق الشيخ عواد بن عبد الله المعتق في «المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة» (ص ١٦٨-١٦٩) أدلة المعتزلة العقلية والنقلية، والجواب عنها بالتفصيل.

(٣) الماتريدية:

تقول الماتريدية: الإنسان مختار في إرادته وأفعاله، فليس مجبورا في الأفعال ولا في الإرادة. فإذا أراد الإنسان سايرته إرادة الله تعالى، ومعناه: أن ما يريده الإنسان من خير أو شر لا تحول إرادة الله تعالى دون أموره الاختيارية، وأما الأعمال التي هو مجبور عليها، فلا يعذب عليها لأنها ليست في اختياره. وأما الأحكام التي تفرض على الإنسان بصفتها أحكاما، وهي في نطاق اختياره، عُذِّبَ على عدم امتثاله.

تقول الماتريدية: الإنسان مختار في حركاته، والحركة على ثلاثة أقسام:

(١) الحركة الطبيعية: كحركة إنسان العين يمينا وشمالا وفوق وتحت.

(٢) الحركة المرتعشة: كحركة المصاب بالرعشة.

(٣) الحركة الإرادية: مثل قيام الصحيح العاقل البالغ، وقعوده، ومشيه، ونحو ذلك بإرادته. وجعل الله تعالى الإنسان مالكًا لإرادته، وليس مجبورًا محضًا. (راجع: أصول الدين، ص١١٥)

(٤) الأشاعرة:

تقول الأشاعرة: نحن مختارون في أفعالنا ومجبورون في إراداتنا.[١] واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (التكوير: ٢٩)

تقول الأشاعرة: إرادة الإنسان موقوفة على إرادة الله تعالى؛ فالإنسان مجبور في إرادته.

قد يجاب عن الماتريدية بأن الإنسان حين يريد شيئا بإرادته، فإن الله تعالى يخلق إرادته، وذلك بأن المراد يترتب على إرادته. ولا تحول إرادة الله تعالى دون إرادة البشر.

الخلاف في علم الكلام بين الماتريدية والأشاعرة ليس حقيقيا؛ بل لفظي. فتقول الماتريدية هنا أيضًا بأن الإنسان مختار في إرادته، أي: يكسب اختياره (ولا يخلقه)، وأما عند الأشاعرة فهو مجبور. ومعنى كونه مجبورًا أن إرادة الإنسان تابعة لإرادة الله تعالى. ولا يسع الإنسان نقض إرادة الله تعالى. والله تعالى قادر على تغيير إرادة الإنسان. كما قال بعض السلف: «عرفتُ ربي بفسخ العزائم».[٢]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٤٣)

راجع لتفاصيل المذاهب الأربعة في فعل الإنسان وإرادته: اللمعة، ص٤٥-٦٠. وإشارات المرام، ص٢٥٤. وشرح المقاصد٤/ ٢٦٤. وحجة الله البالغة١/ ٣٨٠.

---

(١) للتفصيل راجع عبارة الحاشية في المجلد الأول تحت عنوان: «تفصيل المذاهب حول الفعل والإرادة».

(١) عزا صاحب كشاف اصطلاحات الفنون (٢/ ١٧٣٥) هذا القول إلى علي رضي الله عنه، ولم نعثر على إسناد لهذا القول، أو نسبته إلى علي رضي الله عنه في كتاب معتبر من الكتب.

٩٦- وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُوْنَ[١]، وَلَا يُطِيقُوْنَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ[٢]، وَهُوَ[٣] تَفْسِيرُ[٤]: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[٥]. نَقُولُ[٦]: لَا حِيْلَةَ لِأَحَدٍ[٧]، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ[٨]، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ[٩] عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُوْنَةِ اللهِ[١٠]، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ[١١] عَلَى إِقَامَةِ[١٢] طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا[١٣] إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ[١٤].

لا يكلَّف الإنسانُ إلا ما في وسعه:

لم يكلف الله تعالى عباده إلا ما في وسعهم، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (الأنعام: ١٥٢)

---

(١) في ١، ١٣ «يطيقونه». وفي ٢٠، ٢٧ «بما يطيقونه». وفي ٣٠ «بما يطيقون». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٢) في ٤، ١٣، ٣١، ٣٤ «كلفهم الله تعالى به». وفي ١، ٢، ٤، ٦، ٩، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٧ «كلفهم» فقط. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء على كل حال.

(٣) في ٢ «ذلك». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٤) في ١ «وهو حاصل تفسير قول». وسقط من ٢٥ قوله «وهو تفسير قوله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٥) وفي بعض النسخ بعده «العلي العظيم».

(٦) في ٢، ٢٥ «فإنه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) في ٣، ٤، ٢٢، ٢٨ بعده زيادة «ولا حول». وفي ٥، ٦، ٩، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٧ بعده «ولا حول لأحد». وفي ٧ «ولا حولة لأحد». وفي ١٢ «ولا قوة لأحد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) قوله «ولا حركة لأحد» سقط من ٢١. وسقط من ٢٥ قوله «لأحد». والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

(٩) قوله «ولا تحول لأحد» سقط من ١، ٢، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٧. وفي ٣، ١٢ «ولا تحويل لأحد». وفي ٢١، ٣٥، ٣٦ «ولا حول لأحد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٠) في ٢، ٣، ٢٥ «بعصمة الله». وفي ١٤ «بمعونة الله وعصمته». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١١) في ٢ «المخلوق». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٢) قوله «إقامة» سقط من ٨، ١٠. وفي ١٩ «على إقامة طاعة حقوق الله». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٣) قوله «عليها» سقط من ٤. وفي ٢٥ «ولا قوة لمخلوق على إقامة الطاعة والثبات عليها». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٤) في ٩ «إلا بمشية الله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

أقسام ما لا يطاق:

١- ممتنع بذاته، أي: المحال عقلا، مثل اجتماع الضدين أو السواد والبياض. والضدان أمران وجوديان لا يجتمعان. أو المتناقضان، نحو اجتماع الحركة والسكون في وقت واحد، أو انتفاؤهما في وقت واحد.

٢-يعجز عنه البشر عادةً، مثل حمل الجبل، أو الطيران في الهواء ونحوهما.

٣-امتناع الشيء بسبب وقوعه في علم الله على خلافه أو العكس، فموت الكافر - مثلا- على الكفر قد تقرر في علم الله الأزلي، فإيمانه ممتنع.

يعد الأشاعرة هذا القسم الثالث فيما لا يطاق، فلا يؤمن من كان موته على الكفر مجزومًا به في علم الله تعالى، ثم أمرَ بالإيمان فهذا تكليف ما لايطاق.

قال الإمام فخر الدين الرازي: «المسألة السابعة: قال أهل السنة: لا يمتنع تكليف ما لا يطاق، وقالت المعتزلة: إنه لا يجوز.

حجة المثبتين وجوه: أحدها: أنه تعالى علم من بعض الكفار أنه يموت على كفره، فإذا كلفه بالإيمان فقد كلفه بفعل الإيمان مقارنا للعلم بعدم الإيمان، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين.

الثاني: أنه كلف أبا لهب بالإيمان، ومن الإيمان تصديق الله تعالى في كل ما أخبر عنه، ومما أخبر عنه أنه لا يؤمن أبدا، فيلزم أنه تعالى كلفه بأن يؤمن بأن لا يؤمن، وهو جمع بين النقيضين.

الثالث: أنا بينا أن القدرة على الكفر والداعية إليه من خلق الله تعالى، ومجموعهما يوجب الكفر، فإذا كلفه بالإيمان فقد كلفه بما لا يطاق». (معالم أصول الدين للرازي، ص٩٢، ط: دار الكتاب العربي، لبنان)

وتقول الماتريدية: لا يصح إطلاق «مالا يطاق» على هذا القسم الثالث.

تفصيل المذاهب في تكليف ما لا يطاق:

(١) يجوز تكليف ما لايطاق عند الجهمية على الإطلاق؛ لأنهم يرون العبد مجبورًا محضًا.

(٢) يجوز تكليف ما لايطاق عند الأشاعر عقلًا، وإن لم يقع شرعًا، وقال بعض الأشاعرة: وقع شرعا. فمن قال بوقوعه شرعًا استدل بالآيات والأحاديث التالية:

١-قال تعالى في أبي لهب: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد: ٣)

أي: أبو لهب من أهل النار، فلا يؤمن. ومن المسلم أن البشر كلهم مأمورون بالإيمان، وعليه امتنع إيمان أبي لهب لكونه من أهل النار. ورغم ذلك أمرَ بالإيمان، فهو تكليف ما لا يطاق.

٢- علم الله تعالى آدم عليه السلام فقط أسماء الأشياء، ثم قال للملائكة: أنبئوني إن كنتم صادقين، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١)

وسؤال الملائكة عن هذه الأشياء ولم يُعَلَّموها من التكليف بما لا يطاق.

٣- في الحديث: يؤمر المصورون يوم القيامة أن ينفخوا الروح فيما صوروه؛ «إن الذين يصنعون هذه الصُّوَر يعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم». (صحيح البخاري، رقم:٥٩٥١)

وغير خافٍ أن الإنسان غير قادر على نفخ الروح في شيء. فهو تكليف ما لا يطاق، يكلفه المصورُ يوم القيامة.

٤- جاء في القرآن الكريم في دعاء أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

فعلم أن الله قد يكلف ما لا يطاق.

الجواب:

الجواب عن الدليل الأول أن أبا لهب كان قادرًا على الإيمان في الدنيا؛ بل كل إنسان في اختياره الحسنات والسيئات. فليس تكليفا بما لا يطاق. وعلمُ الله تعالى لا يحرم العبد الخيار. أي: أخبر الله تعالى في الدنيا بأن أبا لهب لا يؤمن باختياره. وفيه بيان شمول علم الله تعالى، لا ذكر جبر أبي لهب. فعلم الله تعالى لا يُجبر أحدًا، كما أن الله تعالى غير مجبور على صفاته مع علمه. ساق القاضي البيضاوي سؤالا وجوابا في تفسير قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦)، وخلاصته فيما يلي:

قيل: يمتنع إيمان أبي جهل ونحوه، وهو مكلف بالإيمان أيضًا. وذلك أولًا، لأن الله تعالى أخبر بعدم إيمانهم، فإن لم يمتنع إيمانه لزم كذب الباري. وثانيًا: لأن أبا جهل ونحوه مأمورون بالإيمان بالقرآن ويقول القرآن الكريم فيهم: (لَا يُؤْمِنُونَ) إذًا يؤمنون بعدم إيمانهم، وهو اجتماع الضدين.

أجاب عنه القاضي البيضاوي بما ملخصه: إن أبا لهب ونحوه ممن يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة: ٧) إيمانهم ممكن بالذات، وممتنع بالغير. والممكن بالذات مقدور عليه. فليس أبو لهب وغيره مسلوبي القدرة. ونظيره: إذا كان الابن يرمي بالمال الذي يعطيه والده في البحر كل يوم، فيقول له الوالد: أمنعك النفقة إن لم تمتنع عن خصلتك السيئة خلال أسبوع. فلم يمتنع، فقطع عنه والده نفقته، فحرمان الولد مما كسبت يده باختياره، لا بسبب إخبار الوالد به. وقس عليه أن أبا لهب حرِمَ الإيمان بسبب عناده، لا بسبب إخبار الله تعالى به، وهذا الخبر صادق، فوصف إيمانه بالممتنع بالغير.

والجواب عن الدليل الثاني -وهو أن سؤال الملائكة من غير تعليمهم تكليف ما لا يطاق- بأن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٣١) يفيد بأن الله تعالى علَّم آدم خواص الأشياء، ولم يعرضها عليه مفصلة، وعرضها على الملائكة مفصلة، وعلمهم خواصها. فكان معنى الآية:

وعلم آدم الخاصيات كلها مع المسميات، ثم عرض المسميات على الملائكة مع الخاصيات. وبما أن الملائكة لم يكونوا على مناسبة بهذه الأشياء، عجزوا عن الإخبار بها، وأما آدم عليه السلام فعُلِّمَ -على سبيل الفرض- صفات وخصائص طعام الرز مع اللحم، واللحم المشوي، والمرأة، فلما اشتم آدم عليه السلام رائحة الرز مع اللحم، واللحم المشوي أخبر بخصائصهما. وعجز الملائكة عنه. أو مثلا: يعرض كتاب الطب على طالب الطب وعلى طالب الصف الثاني من المدرسة الدينية؛ فإن طالب الطب يقرأه بطلاقة، وأما طالب الصف الثاني من المدرسة الدينية فإنه يُبْهَتُ.

والجواب عن الدليل الثالث: أن أمر المصورين بنفخ الروح في الصور للتوبيخ والعذاب، لا لحملهم على الإقرار.

والجواب عن الدليل الرابع: المراد بتكليف ما لا يطاق الأمور الشاق القيام بها على

النفس. قال العلامة السمعاني: «هو مثل قول الرجل: لا أستطيع أن أنظر إلى فلان، أي: يشق عليَّ أن أنظر إليه، فكذلك ذكر الوسع بمعنى: السهولة، أي: لا يكلف الله نفسًا إلا ما يسهل عليها». (تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ١/ ٢٨٨)

أو المراد به العوارض التي يخرج دفعها عن وسع البشر، مثلا: الموت بعد السقوط من الجبل، أووقوع حادث يستحيل دفعه.

(٣) لا يجوز عند الماتريدية تكليف ما لا يطاق عقلًا، ولم يقع شرعًا. قال كمال الدين بن الهمام في «المسامرة»: «الحنفية كلهم مانعون من جواز تكليف ما لا يطاق». (المسامرة بشرح المسايرة، ص٨٢)

تقول الماتريدية: قد قدَّر الله تعالى الإيمان لبعض والكفر لبعض في الأزل ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ (الشورى: ٧)، والكفر والإيمان باختيار العبد، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩) فالعبد مكلف بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ويثاب على امتثال الأوامر، ويعذَّبُ على ارتكاب المناهي، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ (الحج)

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: ٨٨)

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٨٢)

والعلم الإلهي لا يسلب من العبد اختياراته. فلا يريد الإنسان خيرًا أو شرًّا إلا خلق الله تعالى القدرة على ذلك. ويستحق العبد الثوابَ أو العقابَ على عمله الاختياري هذا. قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس)

قال العلامة التفتازاني: «ولا يُكلَّف العبد بما ليس في وسعه سواء كان ممتنعًا في نفسه كجمع الضدين، أو ممكنًا كخلق الجسم، وأما ما يمتنع بناءً على أن الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه كإيمان الكافر وطاعة العاصي، فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورًا للمكلف بالنظر إلى نفسه». (شرح العقائد النسفية، ص٩٠، ط: مكتبة خير كثير، كراتشي)

والحق أن الخلاف بين جمهور الأشاعرة والماتريدة خلاف لفظي، فالأشاعرة قالوا –في

القسم الرابع وهو من تقرر كفره في الأزل- بجواز تكليف ما لا يطاق لامتناع إيمانه في العلم الإلهي. ويقول الماتريدية :إن كفر الإنسان و إيمانه؛ بل حسنته وسيئته يقوم به باختياره، فأمر الكافر بالإيمان ليس تكليفًا بما لا يطاق.

قال الشيخ سعيد فودة في «الشرح الكبير»: لا تصح نسبة القول بما لا يطاق إلى الإمام أبي الحسن الأشعري؛ إذ لم يرد نص من الإمام الأشعري بجواز تكليف ما لا يطاق. وفصل الشيخ سعيد فودة الكلام عليه، وحاصل تفصيله أن التكليف الشرعي يتعلق بالاستطاعة، وهي عبارة عن سلامة الأسباب والآلات، واتفقوا على أن هذه الاستطاعة قبل الفعل. وأما الاستطاعة التي تكون مع الفعل، فلا يشترط للتكليف بالشرع اتفاقًا. وأما القول بأن أفعال العبادة مقدرة من الله تعالى. كالقول بأن الإيمان مطلوب من البشر كلهم، في حين قُدِّرَ كفر أبي لهب، فلا يسعه الإيمان، فمطالبته بالإيمان تكليف ما لا يطاق. والجواب عنه أن التكليف لا يتعلق بإيجاد الفعل؛ بل بكسبه، وكل إنسان مختار في كسب الأفعال. (الشرح الكبير ٢/ ٩٨٣- ٩٨٧)

(٤) لا يقول المعتزلة بجواز تكليف ما لا يطاق عقلًا؛ فإنه يستلزم القبح عندهم، قال القاضي عبد الجبار: «تكليف ما لا يطاق قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح». (شرح الأصول الخمسة، ص٣٩٦)

لا يقوم الإنسان بشيء بدون توفيق من الله تعالى:

قال المصنف: «ولا يُطِيقُون إلّا ما كَلَّفَهُم بِه».

أي: لا يستطيع العباد إلا ما كلفوا به (أو لا يقومون إلا ما وُفِّقوا له).

قال بعض الشراح: قوله (ولا يطيقون) ليس من «الإفعال»، بل من «فيعل»؛ فإنه لو كان من «الإفعال»، لكان المعنى: لا يطيق العباد إلا ما كلفوا به، فمثلا: هم مكلفون بالصلاة، فيطيقونه، مع أن العباد يطيقون ترك الصلاة أيضًا. إذًا هو من باب «فيعل» (يُطَيِّقون) والمعنى: على الحكام وغيرهم أن يكلفوا العباد بما يوافق الشرع، أي: لا يكلفوهم بما يخالف الشرع.

وجعله معظم الشراح من الإطاقة، إذًا يحمل على القلب، مثل: عرضت الناقة على الحوض أي: عرضت الحوض على الناقة؛ لأن غير ذي الروح يعرض على ذي الروح، فيقال

مثلا: عرض هذا الثمر على فلان. ولا يقال: عرض فلانًا على الثمر. فكانت الجملة هكذا: «ولا يكلفهم الله إلا ما يطيقون».

فإن قيل: هذا تكرار، فبغض النظر أن التكرار يكثر في «العقيدة الطحاوية» قد يجاب عنه أن هذه الجملة بمنزلة العلة لما قبلها، أي: كلف الله تعالى العباد بقدر وسعهم و طاقتهم؛ لأن من سنة الله تعالى أنه يكلف بقدر الطاقة. والله أعلم.

بما أن «طاق يطوق» واو العين، فلو كان مضعَّفًا لكان «يطوقون»، لا «يطيقون»، فهو من الثلاثي المزيد فيه الملحق بالرباعي، زيد فيه الياءُ، وأصله «يطيوقون»، ثم حولت الواو ياء على القاعدة، وأدغمت الياء في الياء، فصار «يطيقون». قال الآلوسي في «روح المعاني» في قراءة (يُطَيَّقُوْنَهُ): أصله: يطيوقونه، ثم دخله الإعلال، وهو من «فيعل». (روح المعانى ٢/ ٥٨، تحت قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ﴾ البقرة: ١٨٤)

قد عالج بعض الشراح كثيرًا الإجابة عما يرد على قول الطحاوي رحمه الله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم»، وشكا الشيخ سعيد فودة في «الشرح الكبير» (ص ٩٩٦-١٠٠٠) بعضَ الشراح بأنه لم يشر إلى شيء في هذا الموضع الهام. ثم شرح بدوره هذا النص بأن التكليف لا ينحصر في الواجبات بل يعم المستحبات وغيرها أيضًا، فلا يرد بأن المكلفين يطيقون أكثر من الصلوات الخمس، والثلاثين يومًا من الصيام؛ لأن المسلم مكلف بالزائد على سبيل الندب. ثم ما يرد من أن ظاهر النص يفيد أن المسلم يطيق ترك شرب الخمر؛ لأنه مكلف بالترك، مع أنه يطيق شرب الخمر أيضًا؟ فقال سعيد فوده ردًّا عليه: إطاقة شرب الخمرة ظاهرية، ليست شرعية؛ لأن الطاقة الشرعية تتعلق بالخير، وهذا شر، ولا تتعلق الطاقة الشرعية بالشر لضرره.

وما ذكره الشيخ سعيد فودة حفظه الله تعالى فهو في ظني خلاف الظاهر ولا يظهر ما قاله من كلام الإمام الطحاوي.

وحمل الشيخ سعيد فودة حفظه الله تعالى شرح الشيخ عبد الله الهرري على أن «معناها لا يجعلهم قادرين» مع أن الشيخ الهرري بدوره حمله على: «أي ليس للعباد أن يلزموهم إلا ما كلفهم الله به». (الدرة البهية، ص٩٢، لعبد الله الهرري)

أي: يقول الشيخ سعيد فودة: لم يجعلهم الله تعالى قادرين على ما لا يطاق، ويقول

الشيخ عبد الله الهرري بدوره: لا يحمل العباد على غيرهم من العباد ثقلا أكثر من الشرع.

ولو حملنا «إلا ما كلفهم به» على «إلا ما أقدرهم عليه» لكانت علاقة الجملة الأولى، وهي «ولم يكلفهم إلا ما يطيقونه» بالقسم الثاني من الاستطاعة بمعنى سلامة الآلات و الأسباب، أي: إذا قوي العبد على العمل بتوفر الأسباب والآلات، كلفه اللهُ تعالى بهذا العمل.

وتعلقت الجملة الثانية: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به» (أي إلا ما أقدرهم عليه) بالقسم الأول من الاستطاعة، بمعنى التوفيق. أي: لا يقوم العباد بيسر وسهولة إلا بالأعمال التي وفقهم الله تعالى لها.

ومن معاني «يطيقون» عمل شيء بصعوبة. فإذا دخلت عليه «لا» النافية، كان المعنى: عمله بيسر.

قال العلامة أنور شاه الكشميري: لا يستعمل «يطيقون» إلا فيما يتعسر ويصعب. جاء في فيض الباري: «قال الزَّمَخْشَرِيُّ ما حاصله: إن فعلَ الإطاقة بمادته لا يُستَعمَل إلا فيما يُتَعَذَّرُ أو يُتَعَسَّرُ، فإنك تقول: إني أُطِيقُ أن أَحمِلَ هذا الحجر الثقيل، أو أن أَسْرُدَ في الصيام، أو أن أُصَلِّي الليلة كلَّها مثلا. ولا تقول أبدًا إنك تُطِيق أن ترفعَ اللُّقمةَ إلى فِيكَ، أو هذا القلم إلى أُذُنِكَ، أو نحو ذلك مما لا عُسْرَ فيه».

وفي البدر الساري: «وروى الطحاوي عن ابن عباس في قوله:﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ يعني إلا بالجهد. وعن سعيد بن جبير أن ابن عباس كانت له جارية ترضع فجهدت فقال لها: افطري فإنك بمنزلة الذين يطيقونه». (البدر الساري مع فيض الباري ٣/ ١٤٤)

وقوله: (يطيقونه) قرئ: (يُطَيِّقونه) وأصله: (يُطيوقونه). والطيوق ملحق بالرباعي، وأصل من (طاق يطوق) واوي العين.

الحاصل معنى قوله: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به»: لا يتيسر على العباد إلا فعل الأعمال التي وفقهم الله تعالى لها وكلفهم بها.

وفي ضوء ما يتلو هذه الجملةَ من قول المؤلف: «وهو تفسير لاحَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله...» يبدو هذا المعنى أنسب، والله أعلم.

وإن لم نحمله على هذا المعنى كان نص المؤلف «لا يكلفهم إلا ما يطيقون...» مقطوع

الصلة عن نصه: «وهو تفسير لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ...» على ما يبدو. وعليه أورد معظم الشراح على نص المؤلف، وقال الشيخ سعيد فودة: نص المؤلف «لا يكلفهم إلا ما يطيقون...» ليس تفسيرا للحوقلة؛ لأن معنى النصين يختلف بعضه عن بعض. (الشرح الكبير ٢/ ١٠٠١)

ويرد على حمل التكليف على الإقدار أن التكليف لا يرد في معنى الإقدار. فلو حملنا (كلفهم) على معناه الأصلي (يسهل على العباد القيام بالأعمال التي يكلفهم الله بها) كان المعنى صحيحا، ويؤيده قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)

وبما أن نصه: «ولا يطيقون إلا ما كلفهم به» صعب ومحل إشكال عند المحققين من الشراح بأن الإنسان لا يكلف إلا بما يطيقه، مع أنه يطيق أكثر من ذلك، ويطيق ما يقابل هذه الأفعال أيضًا، وطالت الإجابات عن هذا الإشكال، فنلخصها فيما يلي:

١- هذا تسامح من المؤلف.

٢- هذا النص محمول على القلب: أي لا يُكَلَّفون إلا ما يُطِيقون.وهذه الجملة علة لما قبلها.

٣- معناه: على الحكام أن يحملوا على الرعية ما يستطيعون حمله في ضوء الشريعة. واللفظ هو:(يُطَيَّقُونَه).

٤- لا يطيقون إلا ما كلفوا به من المندوبات والواجبات.

٥- معنى قوله: «لا يطيقون إلا ما كلفهم الله به»: لا يسهل على المسلمين القيام إلا بالأعمال التي كلفوا به. تقول: إني أطيق حمل هذا الحجر الثقيل: معناه: أحمل هذا الحجر بصعوبة ومشقة. فكان معنى قوله: لا يطيقون إلا ما كلفهم: الأعمال التي كلف به المسلمون يقومون بها من غير مشقة. ويرد على هذا التوجيه بأن «لا يطيقون» لا يستعمل في معنى العمل بسهولة. إلا إذا كان (يُطيِّقونه) بالتضعيف، وكان المعنى: لا يقوم المكلفون بالأعمال بالمشقة؛ بل يقومون به بيسر وسهولة بتوفيق من الله تعالى.

قول المصنف: وهو تفسير «لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله»...

أي: كلف العباد بقدر طاقتهم واستطاعتهم، ولا يقومون إلا بما وُفِّقُوا لها. وهذا معنى

قوله : لا حول ولا قوة إلا بالله.

معانٍ مختلفة لقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله:

١- لا حركة ولا استطاعة إلا بمشية الله تعالى.

٢- لا حيلة ولا تدبير في دفع الشر ولا قوة على تحصيل الخير إلا بتوفيق الله تعالى.

٣- لا انصراف والامتناع عن موانع الطاعات، ولا حركة على أداء الطاعات إلا بتوفيقه.

٤- لا تغير ولا زوال عن الفواحش والمنكرات، ولا قوة على المأمورات إلا بتوفيق الله تعالى.

٥- لا مهارة ولا فراسة ولا قوة على ما نريده إلا بتوفيق الله تعالى.

٦- لا حول ولا قوة، أي: لا احتراز ولا وقاية عن المعصية، ولا قوة الطاعة إلا بتوفيق الله.

٩٧- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى[١] وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

لا يجري شيء إلا بمشيئة الله تعالى ووفق علمه الأزلي، وقضائه الذي لا يرد، وبالقدر الذي كتبه في الأزل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة». (صحيح مسلم، رقم:٢٦٥٣)

معانٍ عدة للقضاء:

(١) قضى: أمرَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣) أي: حكم ربك.

(٢) قضى: فرغ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ (الأحزاب: ٣٧)

(٣) قضى: قدّرَ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ١٢)

(٤) قضى: أبلغَ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ (الحجر: ٦٦)

---

(١) قوله «وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى» سقط من ٤، ٩، ٢٤. وسقط من ١٣ لفظ «شيء» فقط. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

أقسام القضاء:

القضاء على قسمين: ١- القضاء التكويني. ٢- القضاء الشرعي.

١- القضاء التكويني: ما يتعلق بوجود الأشياء وعدم وجوها، مثل: الموت والحياة، والراحة والقلق، والعمر، والرزق، ونحوها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة: ١١٧)

وقال تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ الزمر: ٤٢

٢- القضاء الشرعي: ما يكلف به العباد بشيء، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب: ٣٦)

المراد بالقضاء في نص المؤلف القضاء التكويني.

القضاء التكويني نظام إلهي، يقوم به ملائكة كثيرون كلفهم بمختلف الخدمات والأعمال، وسبق تفصيله في نص المؤلف: «ونؤمن بالملائكة...، ونؤمن بالكرام الكابتين...، و نؤمن بملك الموت...»

وقِس عليه القضاء التشريعي، فهو نظام إلهي، يبعث الله تعالى بمقتضاه الأنبياء عليهم السلام بالكتب والشرائع هدى لعباده، ويعمل عباد الله الصالحون هؤلاء على فلاح البشرية ونجاحها جاهدين أنفسهم.

كما أن القضاء على قسمين: تكويني وشرعي. كذلك الإرادة، والأمر، والإذن، والكتاب، والحكم، والتحريم، والكلمات على قسمين: تكوينية، وشرعية.

الإرادة التكوينية: قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)

الإرادة الشرعية: قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)

الأمر الكوني: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس: ٨٢)

الأمر الشرعي: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (النحل:٩٠)

فائدة: شرح قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ...﴾:

هذه الآية الكريمة آية جامعة من آيات القرآن الكريم، تناولت ستة أشياء: ثلاثة مأمورات، وثلاثة منهيات.

(١) المأمور الأول: العدل، وهو على قسمين: ١- العدل في حقوق الله: الوفاء بحقوقه تعالى. ٢- العدل في حقوق العباد: الوفاء بحقوق العباد.

(٢)المأمور الثاني: الإحسان: وهو أيضًا على قسمين: ١- الإحسان في حقوق الله، وبيانه في: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». ٢- الإحسان إلى العباد. ذكرت كتب الحديث والتصوف تفاصيله.

(٣) المأمور الثالث: إيتاء ذي القربى، وهو أيضًا على قسمين: ١-مساعدة الأقارب بالنفس والمال. ٢- مساعدتهم في الدين، أي: توجيههم إلى سلوك طريق الشريعة والعلم والعمل.

وثلاثة منهيات: لأن ما يضل الإنسان ثلاث قوى: ١- القوة الشهوانية. ٢- القوة الشيطانية والنفسانية. فثم عدو داخل، وعدو خارج. وهما مجتمعان على العداء؛ فعدهما واحدًا. ٣- القوة الغضبية.

(١) إطلاق سراح القوة الشهوانية في الفحشاء ممنوع، فالزنا وشرب الخمر، واللواط وغيرها، ومقدماتها ودواعيها كلها ممنوع عنها.

(٢) وينهى عما يخالف الشرع في المنكر. وتظهر المنكرات بحض النفس والشيطان، فتقول النفس والشيطان: نَمْ، ولا تصلِّ، وكُلْ ولا تصُم. والعب، ولا تقرأ. والكبر، والحسد، وغيرهما من أعمال الشيطان.

(٣) والجري وراء متطلبات القوة الغضبية السبعية في البغي ممنوع. ومن مظاهر القوة الغضبية: الظلم والاعتداء، والمضاربة، والمشاتمة، والغضب في غير وجه، وتغليظ القول.

الإذن التكويني: قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٠٢)

الإذن الشرعي: قال الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٥)

الكتاب التكويني: قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ (فاطر: ١١)

الكتاب الشرعي: قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ (المائدة: ٤٥)

الحكم التكويني: قال تعالى حكاية عن بعض إخوة يوسف عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ (يوسف: ٨٠)

الحكم الشرعي: قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١)

التحريم التكويني: قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦)

التحريم الشرعي: قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ (المائدة: ٣)

الكلمات التكوينية: قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ (الأعراف: ١٣٧)

الكلمات الشرعية: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤)

لا يكون إلا ما شاء الله:

ما في الكون من خير أو شر، وفرح أو هم، وأعمال ظاهرة أو ذوات الصدر؛ لا يتحقق شيء من ذلك إلا بإرادة الله ومشيئته الأزلية. فكل شيء اقترنت فيه إرادة الله تعالى بإرادة البشر تحقق ووُجِدَ، وما لا فلا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ (الإنسان: ٣٠)

تقترن إرادة الله تعالى بصورة خفية بإرادة الإنسان ولا تحول أمامَ إرادة العبد، كيلا تتحول إرادة المكلف واختياره إلى إجبار، كما أن قيادة سائق السيارة تقترن به قوة البترول بصورة خفية، لتواصل السيارة السير. ونفاد البترول يحول دون سير السيارة، فذلك إرادة الله تعالى -إن لم توجد- تحول دون العمل، وينتهي اختيار الإنسان.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الكهف)

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ (فاطر: ٨)

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

فَمَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ ❁ وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ

خَلقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ ❁ فَفِي العِلْمِ يَجري الفَتَى وَالمُسِنْ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيد ❁ وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُم حَسَنْ

عَلَى ذَا مَنَنْتَ، وَهَذا خَذلْتَ ۞ و ذاكَ أعنتَ، و ذا لم تعن

(ديوان الإمام الشافعي، ص١٠٧)

وإرادة الله تعالى ومشيئة لا تستلزم رضاه، وعليه لا يصح قول الكفار والمشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ (الأنعام: ١٤٨)؛ لأن المشيئة تختلف عن الرضا، واعتبار المشيئة دليلا على رضا الله تعالى تكذيب لجميع الرسل والكتب السماوية؛ لأن الله تعالى لو رضي بالكفر والشرك لم يرسل الرسل، ولم ينزل الكتب. فإرسال الله تعالى الرسل وإنزاله الكتب دليل على أن الله لا يتعلق رضاه بكفر الكافر وإن كان بإرادته ومشيئته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ (الزمر: ٧)

وسبق تفصيله في نص المؤلف: «كل شيء يجري بقدرته ومشيئتِهِ، ومشيئتُه تَنفُذُ، ولا مشيئةَ للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن» .

٩٨- غَلَبَتْ[1] مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا[2].

عجزت الحيل كلها أمام قضاء الله تعالى:

لا تتحقق مشيئة العبد حتى يشاء الله تعالى تحقيقها. فلا تتحق من إرادة العبد إلا ما يريد الله تحقيقه، وإلا فلا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجَفَّتِ الصُّحُف».

(سنن الترمذي، رقم: ٢٥١٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)

كل أحد عاجز عن قدرة الله الكاملة، لا تغلب حيلة أحد على قضاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ (الرعد: ٤١)

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ (يوسف: ٢١)

---

(١) أثبتناه من ١، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٣، ٣٢، ٣٣. وفي بقية النسخ «فغلبت». والمعنى سواء.

(٢) قوله «وغلب قضاؤه الحيل كلها» سقط من ٢٣. وسقط من ٢ قوله «كلها» من الموضعين. والمثبت من بقية النسخ.

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ (الأنعام)

وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (يونس: ١٠٧)

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (فاطر: ٢)

سبق تفصيله في نص المؤلف: «لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره».

٩٩- يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا.

يفعل الله تعالى ما يشاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ (الحج: ١٨)، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (الحج: ١٤)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: ١٠٧)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١)، ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد: ٢٦)، ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ (العنكبوت: ٢١)

الله تعالى منزه من الظلم:

الظلم: وضع الشيء في غير محله، وتعالى الله العليم الخبير الحكيم القادر عن أن يضع الشيء في غير موضعه المناسب. فيستحيل عقلًا صدور الظلم من البارئ تعالى. كما أن الظلم صفة نقص، والله تعالى منزه من صفات النقص، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (النمل: ٨)

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٨)

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣١)

وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (ق: ٢٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الزخرف: ٧٦)

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)

وعن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا».(صحيح مسلم، رقم: ٢٥٧٧)

سبق تفصيله في نص المؤلف: «يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا».

١٠٠- تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ؛ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)[1]

الله تعالى منزه من كل عيب في ذاته وصفاته:

السوء، والحين، والعيب، والشين؛ كلمات مترادفة، بمعنى العيب. أي: أن الله تعالى منزه من كل عيب ونقص في ذاته، وصفاته، وأفعاله، قال تعالى: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (النمل: ٨)، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢)

الكون كله ملك لله تعالى حقيقةً، والمالك بالخيار يتصرف في ملكه كيف يشاء. فلا يُسأل الله تعالى لم فَعَلَ كذا؟ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)، وأما العباد فيسألون؛ لأن ما عند العبد كله ملك لله تعالى حقيقةً، فتصرف العبد بإذن الله تعالى ليس بظلم، وأما تصرفه بدون إذنه، أي: بدون الإذن الشرعي كان ظلمًا من العبد. ويسأل العبد عنه، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣)

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ (الحجر)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». (سنن الترمذي، رقم:٢٤١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح).

ذكر المؤلف مسألة القدر في غير موضع وبألفاظ مختلفة نظرا إلى أهميته، وذكر في النهاية هذه الآية الكريمة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣) التي تشكل خلاصة مسألة القدر. وليس لأحد أن يسأل صاحب الدار: لِـمَ جعلت هذا الجزء منها حديقة؟ولِـمَ جعلت الجزء الفلاني والجزء الفلاني غرفة أو مرحاضًا؟فمن ذا الذي له أن يسأل المالك الحقيقي؟!

---

(١) سقط من ١ قوله «تقدس عن كل سوء وحين». وسقط من ٦، ٩، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٤، ٣٣، ٣٤، ٣٦ من قوله «تقدس» إلى قوله «وشين». وسقط من ٢، ٢٥ من قوله «الحيل كلها» إلى آخر الآية. والمثبت من بقية النسخ.

١٠١- وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ[١] مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

الدعاء على معانٍ:

(١) الدعاء بمعنى العبادة؛ ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ (يونس: ١٠٦) ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: لا تعبد.

(٢) الدعاء بمعنى السؤال؛ ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠)

(٣) الدعاء بمعنى النداء؛ ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)

(٤) الدعاء بمعنى طلب الإعانة من الغير؛ ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)

(٥) الدعاء بمعنى الثناء والذكر؛ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ (الإسراء: ١١٠)

حكم الدعاء والاستغفار وإهداء الثواب إلى الميت:

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الثواب يصل إلى الميت في وجهين:

١- ترك الميت صدقةً جاريةً، أو ولدًا صالحًا يدعو له.

٢-أن يستغفر له أحد، أو ينوي إهداء ثواب عبادة بدنية، أو ماليةٍ فيصل الثواب إليه.

أقسام العبادات:

العبادات على ثلاثة أقسام:

١- العبادة البدنية: كالصلاة، والصوم، والدعاء، والاستغفار، وتلاوة القرآن، ونحوها.

٢- العبادة المالية: كالصدقة.

٣-العبادة البدنية والمالية معًا: كالحج، والأضحية. وهما في الأصل عبادة بدنية، والمال وسيلة إليهما، وليس ركنًا.

ثواب هذه العبادات الثلاثة دل على وصوله إلى الميت القرآنُ والسنةُ والإجماعُ

---

(١) قوله «وصدقاتهم» سقط من ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٣٦. والمثبت من بقية النسخ. و في ١، ٣٢، ٣٣ بعد قوله «الأحياء» زيادة «للأموات».

والقياسُ:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)

أثنت الآية الكريمة على أهل الإيمان الذين يدعون لمن سبقهم من المؤمنين ويستغفرون لهم. فعلم أن استغفار الأحياء ينفع الأموات.

أمر الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ (محمد: ١٩)

وقال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ (نوح: ٢٨)

وعن عثمان بن عفان، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم، إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل».(سنن أبي داود، رقم: ٣٢٢١، وهو حديث صحيح)

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه حين مات النجاشي: «استغفروا لأخيكم».(صحيح البخاري، رقم:١٣٢٧. صحيح مسلم، رقم: ٩٥١)

وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على جنازة يقول: «اللّهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللّهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللّهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده».(سنن ابن ماجه، رقم:١٤٩٨. وسنن أبي داود، رقم: ٣٢٠١، وهو حديث صحيح)

يدعو أهل الإيمان للميت ويستغفرون له في صلاة الجنازة، فعلم أن دعاء الأحياء واستغفارهم ينفع.

وعن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه». (صحيح مسلم، رقم:٩٤٧)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأةً جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إن أمي نذرت أن تَحُجَّ فماتت قبل أن تحج، أفأَحُجُّ عنها؟ قال: «نعم، حُجِّي عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دين أكنتِ قاضيته؟»، قالت: نعم، فقال: «اقضوا الله الذي له، فإن

الله أحق بالوفاء». (صحيح البخاري، رقم: ٧٣١٥)

وعن جابر بن عبد الله، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتي بكبش فذبحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: «بسم الله، والله أكبر، هذا عني، وعمن لم يضح من أمتي». (سنن أبي داود، رقم: ٢٨١٠. وسنن الترمذي، رقم: ١٥٢١)

والعبادة المالية يصل ثوابها أيضًا إلى الميت:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أمي افتلتت نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم». (صحيح البخاري، رقم: ١٣٨٨)

وعن أبي هريرة، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي قد مات وترك مالا ولم يوص، فهل يكفر عنه أن تصدقت عنه؟ قال: «نعم». (سنن ابن ماجه، رقم: ٢٧١٦، وإسناده صحيح)

وعن سعد بن عبادة، أنه قال: يا رسول الله، إن أم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل؟، قال: «الماء»، قال: فحفر بئرا، وقال: هذه لأم سعد. (سنن أبي داود، رقم: ١٦٨١، وهو حسن بمجموع طرقه)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

علاة على ثواب العبادات البدنية والمالية يصل إلى الميت ثواب الأعمال التي تجري بعد وفاته؛

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (صحيح مسلم، رقم: ١٦٣١)

كما ينفع الميتَ الدعاء والاستغفار والصدقات، كذلك يصل إليه ثواب العبادات النافلة البدنية من الصلاة والصوم، وتلاوة القرآن الكريم أيضًا؛ إذ لم يرد نص بعدم وصول ثواب نوع بعينه، وأما الحديث المذكور أعلاه: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله»: فذكر انقطاع عمله هو، لا انقطاع الانتفاع بعمل غيره.

إنكار المعتزلة نفع الدعاء للميت:

ينكر المعتزلة نفع الدعاء والاستغفار وغيرها من العبادات البدنية والمالية للغير. (روح المعاني، النجم:٣٩)

تقول المعتزلة: لا ينفع أحدا إلا عمله، قال الله تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (النجم:٣٩)

الجواب (١): المراد السعي الإيماني، فالسعي الإيماني من أحد لا ينفع غيره.

قال الشيخ عزيز الرحمن رحمه الله- المفتي العام في دارالعلوم/ ديوبند-: كنت على فراشي ذات ليلة، فخطر ببالي إيراد وهو أن القرآن الكريم يقول: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾. وحاصله أن أحدًا لا ينفعه سعيُ غيرِه في الآخرة، في حين ورد الترغيب في إهداء الثواب. وهو تعارض صارخ. فقصدتُ فيه الشيخَ رشيد أحمد الكنكوهي، وكان على وضوء فاندفع قائلا: المراد في الآية السعي الإيماني،الذي لا ينفع غير صاحبه بأن يؤمن أحد وينجو بسببه غيره. وأما الحديث، فالمراد به السعي العملي، الذي ينفع غير صاحبه.(مقدمة فتاوى دارالعلوم/ ديوبند ١/ ٣٤،ط:دارالإشاعة ،كراتشي).

(٢) كل أحد ينفعه عمله، كما يتقاضى كل واحد من الموظفين رواتبهم، فمن شاء أن يدفع راتبه إلى آخر برضاه كان له ذلك، وقِس عليه الثواب الذي ناله كان له أن يهديه إلى غيره. (١)

---

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره: «﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ معناه: ليس للإنسان إلاّ جزاء سعيه، إن عَمِل خيرًا جُزِي عليه خيرًا، وإن عَمِل شَرًّا جزي شَرًّا. واختلف العلماء في هذه الآية على ثمانية أقوال:

أحدها: أنها منسوخة بقوله:﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ﴾ فأُدخل الأبناء الجَنَّة بصلاح الآباء، قاله ابن عباس، ولا يصح، لأن لفظ الآيتين لفظ خبر، والأخبار لا تُنْسَخ.

والثاني: أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأمَّة فلهم ما سَعَوا وما سعى غيرُهم، قاله عكرمة. واستدلّ بقول النبيّ صلّى الله عليه وسلم للمرأة التي سألته: إنَّ أبي مات ولم يحُجَّ، فقال: «حُجِّي عنه».

والثالث: أن المراد بالإنسان هاهنا: الكافر، فأمّا المؤمن، فله ما سعى وما سُعي له، قاله الربيع بن أنس.

والرابع: أنه ليس للإنسان إلاّ ما سعى من طريق العدل، فأمّا مِنْ باب الفضل، فجائز أن يزيده الله عزّ وجلّ ما يشاء، قاله الحسين بن الفضل.

والخامس: أن معنى ﴿ مَاسَعَىٰ﴾: ما نوى، قاله أبو بكر الورّاق.

والسادس: ليس للكافر من الخير إلا ما عمله في الدُّنيا، فيُثاب عليه فيها حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ذكره الثعلبي.

(٣)جاء في صحف إبراهيم وموسى: لا ينفع عمل أحد غيرَه. قال تعالى:﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ (النجم)

أي: هذا ما في الكتب السماوية لا ما في شريعتنا.

(٤) ذكر القرآن الكريم العدلَ، والعدل يتطلب عدم نفع عمل أحد غيرَه. وأما فضل الله تعالى فيقتضي أن يصل أثر العمل الصالح إلى غير صاحبه.

(٥) اللام بمعنى «على»، أي: ليس على الإنسان إلا ما سعى.

(٦) أو «سعى» بمعنى «نوى»، فلا تكفي نية أحد غير صاحبها. فلو ضحى بكر عن زيد ولم ينوِ زيد، فإنه لا يقع عما وجب على زيد من الأضحية.

(٧) أو أن الكافر لا ينفعه إهداء الثواب.

(٨) أو منسوخة، وناسخها قوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ (الطور: ٢١)

ومعنى الآية أن المؤمنين الذين تتبعهم ذريتهم بإيمان، نلحق ذريتهم بهم ولا ننقص من أعمال آبائهم.

(٩) أو المعنى: لا تجري النيابة في العبادات البدنية، مثلا: يصلي كل واحد لنفسه.وهذه الأجوبة مذكورة في كتب الفقه. راجع «الطحطاوي على مراقي الفلاح».

ثاني أدلة المعتزلة: لو سلمنا نفع الدعاء لزم التناقض، فمثلا يقول بعضهم: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات».فإن قبِلَ هذا الدعاء عارض ما ثبت بالنصوص من أن الفساق والعصاة يعذبون.

الجواب: المغفرة على ثلاثة أقسام:

(١) رفع العذاب: لا يعذب أصلا.

(٢) تخفيف العذاب: مثل الضرب بالسوط الخفيف بدلا من السوط الثقيل.

والسابع: أن اللام بمعنى «على»، فتقديره: ليس على الإنسان إلا ما سعى.

والثامن: أنه ليس له إلاّ سعيه، غير أن الأسباب مختلفة، فتارة يكون سعيه في تحصيل قرابة وولد يترحم عليه وصديق، وتارة يسعى في خِدمة الدِّين والعبادة، فيكتسب محبة أهل الدِّين، فيكون ذلك سببا حصل بسعيه، حكى القولين شيخنا علي بن عبيد الله الزاغوني. (زاد المسير ٨/ ٨٠-٨١. وانظر: أيضًا: روح المعاني ٢٦/ ١٥٥، النجم:٣٩)

(٣) تقليل العذاب: بأن يعذب –مثلا– خمس سنوات بدلا من عشر سنوات.

وفائدة قوله: «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات» يرفع بعضهم العذاب، ويخفف عن بعضهم، ويقلل عن بعضهم.

حكم تلاوة القرآن عند القبر:

روي عن ابن عمر واللجلاج الغطفاني مرفوعًا وموقوفًا: إذا وضعتم أحدا في قبره فاقرؤوا عند رأسه: ﴿الٓمٓ﴾ إلى ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة: ١ – ٥)، وأواخر سورة البقرة من قوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ (البقرة: ٢٨٥) إلى آخرها عند رجليه.

١- روي عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: أخرجه الطبراني، والبيهقي بإسنادهما عن يحيى بن عبد الله البابلتي (ضعيف)، ثنا أيوب بن نهيك (ضعيف)، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح (ثقة فاضل)، يقول: سمعت ابن عمر، يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره، وليقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة البقرة في قبره». (المعجم الكبير ١٢/ ٤٤/ ١٣٦١٣. شعب الإيمان، رقم:٨٨٥٤. مجمع الزوائد ٣/ ٤٤. حاشية آثار السنن، ص٣٣٨. القراءة عند القبور لأبي بكر بن الخلال، ص٨٨)

في إسناده يحيى بن عبد الله الضحاك البابلتي ضعيف، وأيوب بن نهيك الحلبي، ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال الأزدي: متروك.

وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في «فتح الباري»، قال: «ويؤيده حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه، وأسرعوا به إلى قبره» أخرجه الطبراني بإسناد حسن». (فتح الباري ٣/ ١٨٤)

ولعل تحسينه يرجع إلى أن ضعفه غير شديد، أو أن حديث اللجلاج متابع وشاهد له، فخرج من الضعف إلى الحسن.

٢-حديث اللجلاج الغطفاني رضي الله عنه مرفوعًا: أخرجه الطبراني بإسناده عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج (مقبول)، عن أبيه(ثقة)، قال: قال لي أبي(صحابي): «يا بني إذا أنا مت فألحدني، فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله، ثم سن علي الثرى سنا، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول ذلك». (المعجم الكبير ١٩/ ٢٢٠/ ٤٩١).

قال الهيثمي ومحمد يوسف الصالحي: «رجاله موثقون».(مجمع الزوائد٣/ ٤٤) وقال محمد يوسف الصالحي في سبل الهدى والرشاد (٨/ ٣٧٩): «روى الطبراني برجال ثقات».

وحسَّن الشيخ عبد الله الغماري هذا الحديث، فقال: «وهذا حديث حسن». (الحاوي في فتاوى العلامة الحافظ أبي الفضل عبد الله بن الصيق الغماري، ص٣٦)

وصحح إسناده كل من العلامة النيموي في «آثار السنن»، والشيخ سليمان غاوجي في «أركان الإسلام». قال النيموي: «رواه الطبراني في المعجم الكبير وإسناده صحيح».(آثار السنن، ص٣٣٨) وفي «أركان الإسلام»: «رواه الطبراني، وإسناده صحيح». (١/ ٣١٢)

واعتمد العلامة ظفر أحمد العثماني في «إعلاء السنن» على تصحيح النيموي. (إعلاء السنن ٨/ ٣٤٢)

وجدُّ عبد الرحمن: اللجلاج الغطفاني صحابي. أسلم وعمره خمسون عاما، وتوفي وهو ابن مئة وعشرين عاما. (الإصابة ٥/ ٥٠٥)

٣- حديث ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا: قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا العباس بن محمد، قال: سألت يحيى بن معين عن القراءة عند القبر فقال: حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي(ثقة مأمون)، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج (مقبول)، عن أبيه(ثقة)، أنه قال لبنيه: «إذا أدخلتموني قبري فضعوني في اللحد وقولوا: باسم الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنوا عليَّ التراب سنا واقرؤوا عند رأسي أول البقرة وخاتمتها فإني رأيت ابن عمر يستحب ذلك». (الدعوات الكبير للبيهقي، رقم:٦٣٨. والسنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٥٦). وأخرجه أيضًا اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم:٢١٧٤). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٢٣٠، و٥٠/ ٢٩٧، و٥٣/ ٢٢٧). وأخرجه أيضًا ابن معين في «التاريخ» برواية الدوري (رقم:٥٢٣٨). وأبو بكر الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (١/ ٨٧). و أبو طاهر السِّلَفي في «الطيوريات» (رقم:٣٩٤). والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (رقم:٧٥٧). والخلال في كتاب «القراءة عند القبور» (ص٨٧). وفي هذه الكتب في آخر الحديث: «فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول هذا».

قال الإمام البيهقي والحافظ ابن حجر: «هذا موقوف حسن».(الدعوات الكبير للبيهقي، رقم:٦٣٨. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار لابن حجر ٤/ ٤٢٦، باب ما يقول عند الدفن، ط: دار ابن كثير)

حكى ابن علان في «الفتوحات الربانية»، والعلامة الغماري في «نزل الأبرار» قول ابن حجر المذكور في تحسين هذا الحديث.(الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية ٢/ ١٩٤. نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار، ص٢٩٠)

وحسَّن الإمام النووي هذا الإسناد في «الأذكار» وقال: «إسناده حسن». (الأذكار، رقم: ٤٧٠)

فائدة: لا اضطراب في حديث العلاء بن اللجلاج:

لا اضطراب في حديث العلاء بن اللجلاج مرفوعًا وموقوفًا، ففي الموقوف يحكي العلاء بن اللجلاج عمل ابن عمر رضي الله عنهما، وفي المرفوع يحكي عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال العلامة الغماري: «وليس بين هذه الرواية (أي: رواية العلاء بن اللجلاج الموقوف) ورواية اللجلاج تناقضٌ، كما قد يتوهّم، لأن اللجلاج روى ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، كما رواه ابن عمر، والعلاء روى ما سمع ابن عمر يوصي به. وإنما نبهتُ على هذا مع وضوحه، لئلا يدعي جاهل متنطع ضعف الحديث واضطرابه». (الرد المحكم المتين على الكتاب القول المبين، ص٢٣٢-٢٣٣)

قال ابن حبان في مبشر بن إسماعيل في «الثقات»: ثقة مأمون. وقال ابن حجر في «تقريب التهذيب»: صدوق. وعلق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ بشار عواد: «بل: ثقة، فقد وثَّقه ابن معين، وأحمد بن حنبل، وابن سعد، وزاد: كان مأمونًا، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في «الثقات»، واحتج به الشيخان في صحيحيهما، وقال ابن قانع وحده: ضعيف. وهو لا يسوى شيئا تجاه من وثقه». (تحرير تقريب التهذيب ٣/ ٣٤٥)

إيراد: قال الدكتور/ سراج الإسلام-أحد العلماء المعاصرين-: هذا الحديث ضعيف مرفوعا، وما ساقه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» مرفوعًا والحافظ ابن القيم موقوفًا كله ضعيف. في إسنادهما عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، وهو في عداد المجهولين. كما يتبين من كلام الحافظ الذهبي. «ما روى عنه سوى مبشر بن إسماعيل الحلبي». (ميزان الاعتدال. كذا في المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ص١٩١)

الجواب: صرح المحدثون بأن الراوي الذي لم يجرحه أئمة الجرح والتعديل، ويروي عنه راوٍ ثقة، فهذه الرواية صالحة للاحتجاج. وفي هذه الأحاديث المذكورة لم يجرح أئمة الجرح والتعديل عبد الرحمنَ، والراوي عنه مبشر بن إسماعيل ثقة؛ فرواية عبد الرحمن مقبولة. وعليه حسَّن كثير من المحدثين رواية عبد الرحمن هذه، وإليك التفاصيل:

عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ذكره الإمام البخاري في «التاريخ الكبير»

(٥/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ٢٧٢)، ولم يجرحوه؛ بل سكتوا عليه.
جاء في تاريخ ابن معين برواية الدوري (٤/ ٥٠٢): سأل الدوري ابنَ معين عن تلاوة القرآن الكريم على القبر، فذكر ابن معين حديث عبد الرحمن بن العلاء،ولم يعلق عليه بشيء. كما جاء في «سنن الترمذي» (باب ماجاء في التشديد عند القبر): سأل الإمام الترمذي أبا زرعة عن عبد الرحمن بن العلاء فلم يزد على قوله: هو ابن العلاء بن اللجلاج. وقال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: «سكوت المتكلمين في الرجال عن الراوي الذي لم يُجرَح ولم يأتِ بمتن منكر يُعَدُّ توثيقًا له». (تعليق الرفع والتكميل، ص٢٣٠)

وقال في موضع آخر: «إنَّ مثلَ البخاري، أو أبي زرعة، أو أبي حاتم، أو ابنه ... أو غيرهم ممن تكلَّم أو ألَّف في الرجال، إذا سكتوا عن الراوي الذي لم يُجرَح ولم يأت بمتن منكر يُعَدُّ سكوتُهم عنه من باب التوثيق والتعديل، ولا يُعَدُّ من باب التجريح والتجهيل، ويكون حديثه صحيحًا أو حسنًا أو لا يَنْزِل عن درجة الحسن، إذا أسلم من المغمز». (تعليق الرفع والتكميل، ص٢٤٦)

اعتبر الإمام المنذري رواية عبد الرحمن بن العلاء صالحة للاحتجاج بها، فساق في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٠) حديثا بإسناد عبد الرحمن بن العلاء، وقال:«رواه الطبراني بإسناد لا بأس به».

وكذلك يَعُدُّ العلامة السخاوي حديث الراوي الذي لم يُجرح، ووثقه ابن حبان حسنًا. وقال العلامة السخاوي في حديث راوٍ مثله:«وهو حديث حسن ورجاله رجال الصحيح، لكن فيهم سعيد بن عبد الرحمن مولى آل سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة وهو مجهول لا نعرف فيه جرحًا ولا تعديلاً، نعم ذكره ابن حبان في «الثقات» على قاعدته». (القول البديع، ص١١٢)

علق عليه الشيخ عوامة: «أي في توثيق من لم يذكر بجرح». (تعليق القول البديع، ص١١٢)

قال الشيخ عوامة في مقدمة «تقريب التهذيب»: «وقد قررتُ في دراسة الكاشف: أن توثيق ابن حبان لمن لم يُطَعن فيه جدير بالقبول». (ص١٤)

قال الحافظ ابن حجر: عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج مقبول. كذا في «التقريب». ورواية الراوي المقبول مقبولة إذا كان لها متابع. وحديث ابن عمر شاهد لرواية ابن اللجلاج

هنا. ويطلق المتابع على الشاهد أيضًا، قال الحافظ ابن حجر: «وقد تطلق المتابعة على الشاهد، وبالعكس، والأمر فيه سهل».(نزهة النظر، الاعتبار). وقال الدكتور/ نور الدين عتر تعليقًا على «والأمر فيه سهل»: «لأن المقصود التقوية وهي حاصلة بكل منهما».(تعليق نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لنور الدين عتر، ص٧٠)

وعليه حسَّنَ الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (٤/ ٤٢٦) حديث ابن اللجلاج.

وعبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات».

وقال الشيخ عوامة في توثيق ابن حبان: «أما أن يُقَوَّل ويشهَّر به أنه يوثق المجاهيل. فلا ينبغي، وهو من الخطأ بمكان، وبناء على هذا الفهم سهُل وشاع على الألسنة والأقلام ردّ توثيق ابن حبان للراوي إذا انفرد به...

وأولُ من رأيته أنصف ابن حبان وتوثيقه للرواة: الحافظ العراقي، فقد سأله تلميذه الحافظ ابن حجر رحمهما الله تعالى، فقال: «ما يقول سيدي في أبي حاتم ابن حبان إذا انفرد بتوثيق رجل لا يعرف حاله إلا من جهة توثيقه له، هل ينهض توثيقه بالرجل إلى درجة من يحتج به، وإذا ذكر ذلك الرجل بعينه أحد الحفاظ كأبي حاتم الرازي بالجهالة، هل يرفعها عنه توثيق ابن حبان له وحده، أم لا؟»

فأجابه العراقي بقول: «إن الذين انفرد ابن حبان بتوثيقهم لا يخلوا إما أن يكون الواحد منهم لم يرو عنه إلا راو واحد، أو روى عنه اثنان ثقتان وأكثر، بحيث ارتفعت جهالة عينه... فأما من وثقهم ولا يعرف للواحد منهم إلا راو واحد، فقد ذكر ابن القطان في كتاب «بيان الوهم والإيهام» أن من لم يرو عنه إلا واحد ووثق، فإنه تزول جهالته بذلك.

وذكر ابن عبد البر أن من لم يرو عنه إلا واحد، وكان معروفًا في غير حمل العلم، كالنجدة والشجاعة والزهد احتُج به». (مقدمة المصنف لابن أبي شيبة للشيخ محمد عوامة ١/ ٨١-٨٣. وانظر: مقدمة «الكاشف» للشيخ محمد عوامة)

نصُّ ابن القطان هذا هنا يدل على أن الراوي الذي وثقه ابن حبان وروى عنه راوٍ ثقة واحد، تزول جهالته. ومبشر بن إسماعيل الذي يروي عن عبد الرحمن ثقةٌ.

حكى أبو بكر الخلال: رجع الإمام أحمد رحمه الله عن قوله حين سمع هذا الحديث.

روى أبوبكر الخلال قصة رجوع الإمام أحمد في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»

(ص ٨٨) بإسنادين:

١- من طريق الحسن بن أحمد الوراق قال: ثني علي بن موسى الحداد...

٢- من طريق أبي بكر بن صدقة قال: سمعت عثمان بن أحمد بن إبراهيم الموصلي.

وإن تكلم الناس في الإسناد الأول إلا أن الإسناد الثاني صحيح: أبو بكر بن صدقة هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة، قال الدارقطنى: ثقة ثقة. كذا في «تاريخ بغداد» (رقم:٢٦٦٤) وعثمان بن أحمد بن إبراهيم الموصلي صحب الإمام أحمد وروى عنه، كما في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٢١).

وتذكر الكتب حديثا آخر في إهداء ثواب تلاوة القرآن الكريم: عن الحجاج بن دينار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البر بعد البر أن تصلي عنهما مع صلواتك، وأن تصدق عنهما مع صدقتك». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم: ١٢٢١٠)

سأل إبراهيم بن عيسى الطالقاني ابنَ المبارك عن هذا الحديث، فقال:بين الحجاج بن دينار وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيه أعناق المطي.(مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٨٤).

وفي رواية أخرى قال أبو هريرة رضي الله عنه: «من يضمن لي منك أن يصلي لي في مسجد العَشَّار ركعتين، أو أربعًا، ويقول: هذه لأبي هريرة. سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يبعث من مسجد العَشَّار يوم القيامة شهداء، لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم». (سنن أبي داود، كتاب الملاحم، ذكر البصرة، رقم:٤٣٠٨).

ذكر هذا الحديث إهداء ثواب الصلاة، ولا شك أن الصلاة تشتمل على تلاوة القرآن الكريم.

وإبراهيم بن صالح بن درهم في هذا الحديث الموقوف ضعفه النقاد.

قال العلامة ابن تيمية: «والصواب أن الجميع يصل إليه». (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٤/ ٣٦٦)

سئل يحيى بن معين عن قراءة القرآن عند القبر، فاستدل بهذا الحديث، ولم يعلق عليه بشيء. كما في «تهذيب الكمال» (٢٢/ ٢٣٧).

مذاهب الأئمة الأربعة في تلاوة القرآن عند القبر:

مذهب الأحناف:

لم تنص كتب الأحناف المتقدمين على جواز قراءة القرآن عند القبر ولا على عدم جوازها، وساق ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» مذهب الإمام أبي حنيفة أنه يكره التلاوة. فقال: «والثانية: أن ذلك مكروه... وهي مذهب جمهور السلف، كأبي حنيفة، ومالك». (اقتضاء الصراط المستقيم٢/ ٢٦٤)

وقال ابن تيمية في موضع آخر: «وقد تنازع الناس في القراءة على القبر، فكرهها أبو حنيفة، ومالك». (مجموع الفتاوى ٢٤/ ٣١٧)

وحكى ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» قول الإمام أبي حنيفة بالكراهة تبعًا لابن تيمية. (شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٦٧٥)

وساق الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» خلاصة نص ابن أبي العز، فقال: «ثم القراءة عند القبور مكروهة عند أبي حنيفة، ومالك». (منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص٣٧٥)

والذي عليه الفتوى عند الأحناف هو الجواز بلا كراهة. فذكر كل من العلامة الكاساني، والقاضي خان، وابن الهمام، وابن نجيم، والشرنبلالي، والطحطاوي، ومحمد بن أبي بكر الإمام زاده، والحصكفي، والشامي، والملا علي القاري نفسه في موضع آخر الجواز بلا كراهة، بل رغَّبُوا فيها.

قال العلامة الكاساني: «وعليه عمل المسلمين من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا من زيارة القبور وقراءة القرآن عليها». (بدائع الصنائع ٢/ ٢١٢)

وقال القاضي خان: «وإن قرأ عند القبور إن نوى بذلك أن يؤانسهم صوت القرآن، فإنه يقرأ، فإن لم يقصد ذلك فالله تعالى يسمع قراءة القرآن حيث كانت». (فتاوى قاضي خان على هامش الهندية ٣/ ٤٢٢، ونقل عنه ابن نجيم في البحر الرائق ٨/ ٢٣٥)

وقال العلامة ابن الهمام: «واختلف في إجلاس القارئين ليقرءوا عند القبر، والمختار عدم الكراهة». (فتح القدير ٢/ ١٤٢)

وقال العلامة ابن نجيم: «ولا بأس بقراءة القرآن عند القبور وربما تكون أفضل من

غيره ويجوز أن يخفف الله عن أهل القبور شيئا من عذاب القبر أو يقطعه عند دعاء القارئ وتلاوته». (البحر الرائق ٢/ ٢١٠)

وقال العلامة الشرنبلالي: «ولا يكره الجلوس للقراءة على القبر في المختار». (نور الإيضاح، فصل في زيارة القبور)

وقال العلامة الطحطاوي: «ويستحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها». (حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ص٣٤١)

وقال محمد بن أبي بكر الإمام زاده السمرقندي: «وتستحب قراءة فاتحة الكتاب عند رأس الميت، وقراءة فاتحة البقرة عند رجليه». (شرعة الإسلام، ص٢٩٩)

وقال العلامة الحصكفي: «لا يكره الدفن ليلا ولا إجلاس القارئين عند القبر، وهو المختار».(الدر المختار مع رد المحتار ٢/ ٢٤٥)

وحكى العلامة الشامي عن الفتاوى الولوالجية: «ولو زار قبر صديق أو قريب له وقرأ عنده شيئا من القرآن فهو حسن».(رد المحتار ٦/ ٥٧)

وقال الملا علي القاري: «فينبغي أن يزورهم ويتبرك بهم ويسلّم عليهم، ويكثر قراءة القرآن حولهم... ويقرأ من القرآن ما تيسر له من الفاتحة وأول البقرة إلى المفلحون، وآية الكرسي، وآمن الرسول، وسورة يس، وتبارك الملك، وسورة التكاثر، والإخلاص، اثنتي عشرة مرة، أو إحدى عشرة، أو سبعا، أو ثلاثا، ثم يقول: «اللهم أوصل ثواب ما قرأنا إلى فلان، أو إليهم».(مناسك الملا علي القاري، ص٧٠٧، ط: مؤسسة الريان)

مذهب المالكية:

قال المالكية القدماء بالكراهة، وأما المالكية المتأخرون فقالوا بجوازها بلا كراهة؛ «وقال المالكية: تكره القراءة على الميت بعد موته وعلى قبره؛ لأنه ليس من عمل السلف، لكن المتأخرين على أنه لا بأس بقراءة القرآن والذكر وجعل ثوابه للميت، ويحصل له الأجر إن شاء الله».(الفقه الإسلامي وأدلته ٢/ ١٥٨٠)

وقال العلامة عبد الحق الإشبيلي: «وقد روى إباحة القراءة عند القبر العلاء بن عبد الرحمن، ويروى أيضًا أن أحمد بن حنبل رجع إلى هذا بعد ما كان ينكره».(العاقبة في ذكر الموت، لعبد الحق الإشبيلي، ص١٨٤).

مذهب الحنابلة:

كان الإمام أحمد يقول: التلاوة عند القبر بدعة؛ لأنه لم يكن له دليل على جوازها، قال العباس الدوري: «سألت أحمد بن حنبل ما يقرأ عند القبر؟ فقال: ما أحفظ فيه شيئا». (تاريخ ابن معين برواية الدوري ٤/ ٥٠٢).

ثم ذكر له المحدث محمد بن قدامة الجوهري حديث ابن عمررضي الله عنه، فرجع عن قوله. وساق عدد من أهل العلم رجوع الإمام أحمد هذا، وأفتى الحنابلة بالجواز. قال شرف الدين المقدسي: «ولا تكره القراءة على القبر، وفي المقبرة، بل يستحب». (الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل ١/ ٢٣٦)

وقال العلامة ابن تيمية: «اختلفوا في القراءة عند القبور: هل تكره، أم لا تكره؟ والمسألة مشهورة، وفيها ثلاث روايات عن أحمد: إحداها أن ذلك لا بأس به. وهي اختيار الخلال وصاحبه، وأكثر المتأخرين من أصحابه». (اقضاء الصراط المستقم٢/ ٢٦٣)

مذهب الشافعية:

كان الإمام الشافعي رحمه الله يرى جواز تلاوة القرآن عند القبر. سأل العلامة الزعفراني الإمام الشافعيَّ عن قراءة القرآن عند القبر، فلم يرَ الإمام الشافعي فيها بأسا. «أخبرني روح بن الفرج (كان من أوثق الناس) ، قال: سمعت الحسن بن الصباح الزعفراني (ثقة جليل)، يقول: «سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس به».(القراءة عند القبور لأبي بكر الخلال، ص٨٩)

قال الإمام النووي: «يستحب أن يمكث على القبر بعد الدفن ساعة يدعو للميت ويستغفر له، نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب قالوا: ويستحب أن يقرأ عنده شئ من القرآن، وإن ختموا القرآن كان أفضل». (المجموع شرح المهذب، ٥/ ٢٩٤)

وقال الإمام النووي في «شرح مسلم»: «استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر». (شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٢٠٢، باب مباشرة الحائض فوق الإزار)

سئل الحافظ ابن الصلاح عن التلاوة على القبر وعلى البعد منه فقال:«أما قراءة القرآن ففيه خلاف بين الفقهاء، والذي عليه عمل أكثر الناس تجويز ذلك، وينبغي أن يقول إذا أراد ذلك: اللهم أوصل ثواب ما قرأته لفلان ولمن يريد فيجعله دعاء ولا يختلف في ذلك القريب

والبعيد». (فتاوى ابن الصلاح ١/ ١٩٣، ط: عالم الكتب، بيروت)

تقول الشافعية: لا يصل ثواب العبادات البدنية، وأفتى متأخرو الشافعية بوصوله. قال الإمام النووي: «المختار الوصول إذا سأل الله إيصال ثواب قراءته، وينبغي الجزم به؛ لأنه دعاء، فإذا جاز الدعاء للميت بما ليس للداعي، فلأن يجوز بما هو له أولى، ويبقى الأمر فيه موقوفًا على استجابة الدعاء، وهذا المعنى لا يخص بالقراءة، بل يجري في سائر الأعمال، والظاهر أن الدعاء متفق عليه أنه ينفع الميت والحي، القريب والبعيد، بوصية وغيرها». (المجموع شرح المهذب ١٥/ ٥٢٢)

وصنف عبد الله الغماري كتاب «الرد المتين على كتاب القول المبين» في التوسل وإهداء الثواب وغيرهما. و«القول المبين» لأحد السلفيين.

منع السلفيين إهداءَ ثواب التلاوة:

معظم السلفيين يمنعون إهداءَ ثواب التلاوة منعًا شديدًا، سواء كان على القبر أو غيره، قال الشيخ ابن باز: «أما قراءة القرآن فقد اختلف العلماء في وصول ثوابها إلى الميت على قولين لأهل العلم، والأرجح أنها لا تصل لعدم الدليل».(مجموع فتاوى ابن باز ٤/ ٣٤٨، حكم قراءة القرآن لآخر حيا أو ميتا)

جاء في «فتاوى علماء البلد الحرام» عن الشيخ ابن باز قوله: «لا أصل لهذا العمل». (فتاوى علماء البلد الحرام، ص١٠٣٥، باب الجنائز وبدعها)

قال الشيخ العثيمين:«الراجح من أقوال أهل العلم أن القراءة على القبر بعد الدفن بدعة؛ لأنها لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأمر بها، ولم يكن يفعلها، بل غاية ما ورد في ذلك أنه كان عليه الصلاة والسلام بعد الدفن يقف ويقول: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبت، فإنه الآن يسأل. ولو كانت القراءة عند القبر خيرًا وشرعًا لأمَر بها النبي صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الأمة ذلك. وأيضًا اجتماع الناس في البيوت للقراءة على روح الميت لا أصل له، وما كان السلف الصالح رضي الله عنهم يفعلونه». (فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين، كتاب الجنائز، سؤال رقم: ٢٢١)

وتطمينا لهم نقول: لا مانع من الدعاء، فإن تلا أحد القرآن الكريم وانتهى منها بالدعاء: اللهم اجعل ثواب تلاوتي هذه للأموات، أفليس الدعاء يقبل؟!

قال ابن أمير الحاج في «المدخل»: «لو قرأ في بيته وأهدى له لوصلت، وكيفية وصولها

أنه إذا فرغ من تلاوته وهب ثوابها له، أو قال: «اللهم اجعل ثوابها له»، فإن ذلك دعاء بالثواب، لأن يصل إلى أخيه، والدعاء يصل بلا خلاف». (المدخل لابن الحاج ١/ ٢٦٦، ط: دار التراث)

وأفتى عز الدين بن عبد السلام بأن ثواب القرآن الكريم لا يصل إلى الميت، فرآه بعض الناس في المنام بعد موته، فقال: علمتُ اليوم أن إهداء الثواب إلى الميت ينفعه. (التذكرة للقرطبي، ص٩٣. وإتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٧٣).

يُذكر أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري كانا في جنازة، فلما قبر الميت جعل إنسان يقرأ عنده، فقال أبو عبد الله لرجل: تمر إلى ذلك الرجل الذي يقرأ، فقل له: لا تفعل. فلما مضى قال له محمد بن قدامة: يا أبا عبد الله، ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة، قال: كتبت عنه شيئا؟ قلت: نعم، قال: فأخبرني مبشر، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة، وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال أحمد: ارجع فقل للرجل يقرأ. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال، باب القراءة عند القبور، ص٨٨. تاريخ بغداد، ترجمة علي بن موسى الحداد. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٢٢١. إحياء علوم الدين ٩/ ٤٦٣-٤٦٤)

قال الشعبي: «كانت الأنصار إذا مات لهم ميتٌ اختلفوا إلى قبره يقرؤون عنده القرآن». (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال، باب القراءة عند القبور، ص٨٩)

الاستدلال بالقياس على إهداء الثواب:

استدل بالقياس أيضًا على إهداء الثواب بأن سعدا رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: إن أمي ماتت، فهل ينفعها إذا تصدقت عنها؟ قال: «نعم». فتصدق بحديقة له، والتلاوة مثل الصدقة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة رضي الله عنه توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المِخْراف صدقة عليها. (صحيح البخاري، رقم:٢٧٥٦)

سألت امرأةٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أحج عن أبي؟فسألها النبي صلى الله عليه وسلم: أرأيتِ إن كان على أبيك دين، أكنت قاضيته؟ قالت: نعم. فقال: فلك أن تحجي عنه.

عن ابن عباس، عن أخيه الفضل، أنه كان ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة النحر، فأتته امرأة من خثعم، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج على عباده، أدركت أبي شيخًا كبيرًا، لا يستطيع أن يركب، أفأحج عنه؟ قال: «نعم، فإنه لو كان على أبيك دين، قضيته». (سنن ابن ماجه، رقم:٢٩٠٩)

قيل: لا قياس في العبادات؛ والحديث يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قاس الحج على الدين.

كما لم يرد الحديث بالعشر في الذرة والدخن والرز، ولكن جعل فيها الفقهاء العشر قياسًا على الحنطة والشعير.

حكم الاجتماع على ختمة القرآن وسورة يس:

إذا كان الاجتماع على ختمة القرآن الكريم تيسيرًا على الأقارب والأصدقاء والأحبة وبدون التقيد بالعادات والتقاليد كان الأمر فيه سعة.

ثبت عن أنس رضي الله عنه بأسانيد مختلفة، منها ما جاء في «شعب الإيمان» للبيهقي (رقم:١٩٠٧)، وسنده صحيح، وفي «المصنف» لابن أبي شيبة (١٠/ ٤٩٠، رقم: ٣٠٦٦١)، وسنده صحيح، وفي «الزهد» لابن المبارك (١/ ٢٧٩)، وسنده صحيح أيضًا: عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله. وورد ذكر الدعاء في بعض الروايات دون بعض.

للاستزادة من تفاصيل الاجتماع على ختمة القرآن الكريم يرجع إلى «فتاوى دارالعلوم زكريا» (٨/ ٦٨٠-٦٩٢).

هل يصح إهداء ثواب الفريضة والواجبة من العبادات إلى الميت؟:

اختلفوا في إهداء ثواب الفرائض والواجبات، قال الشامي في «رد المحتار»: «وعلى القول الأول لا يصح إهداء الواجبات؛ لأن العامل ينوي القربة بها عن نفسه. وعلى الثاني يصح».(رد المحتار ٢/ ٢٤٣)

وفي «رد المحتار» في مكان آخر: «وأنه لا فرق بين الفرض والنفل. وفي جامع الفتاوى: وقيل: لا يجوز في الفرائض». (رد المحتار ٢/ ٢٤٣)

قال الشيخ أشرف علي التهانوي في «إمداد الفتاوى»: الأحوط عندي ألا يهدي ثواب الفريضة إلى أحد». (إمداد الفتاوى ١/ ٥٩٨-٥٩٩).

كيف يقضي عن الميت ما فاته من صيام الفريضة أو الواجب؟:

يدفع وليه الفدية عما فات الميت من فرائض الصلوات والصيام. هذا ما جاء في كتب الفقه. ويرجع فيه إلى «مراقي الفلاح» (١/ ١٩١)، و«الفتاوى العالمكيرية» (١/ ١٢٥)، ولا يكفي الصيام أو الصلاة عن الميت. روى الترمذي في «سننه» عن ابن عمر رضي الله عنه: «من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكينا». (سنن الترمذي، رقم:٧١٨)

وفي حديث رواه البخاري في «صحيحه» من مات وعليه صيام صام عنه وليه». (صحيح البخاري، رقم:١٩٥٢) جاء الأمر بالصيام عن الميت، والأحسن أن نحمله على إهداء الثواب، وليس المراد تفريغ ذمته.

هل تجب النية قبل العمل لإهداء الثواب، أو تجوز النية بعد العمل أيضًا لإهداء الثواب؟:

قال العلامة ابن نجيم في «البحرالرائق» يصح أن ينوي إهداء الثواب بعد العمل؛ «لا فرق بين أن ينوي به عند الفعل للغير، أو يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره». (البحر الرائق ٣/ ٦٤، باب الحج عن الغير)

وفي «رد المحتار»: «والظاهر أنه لا فرق بين أن ينوي به عند الفعل للغير، أو يفعله لنفسه ثم بعد ذلك يجعل ثوابه لغيره». (رد المحتار ٢/ ٢٤٣ و٥٩٥)

وحكى الشامي الاختلاف فقال: قيل: يجوز إهداء الثواب فيما بعد الفعل، كما لو منح أحد جزءا من ماله المدخر. وقيل: لا يصح إهداء الثواب بعد العمل؛ لأن العمل الذي خصه لنفسه، لا يصح إهداؤه لغيره؛ لأنه إذا وقع له لا يقبل انتقاله عنه، وهو الأولى. (رد المحتار ٢/ ٢٤٣)

فالأفضل أن ينوي الإهداء قبل العمل أو مع العمل.

١٠٢- وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيْبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.[(١)]

يقول أهل العلم: (١) الاعتماد على الأسباب، وتركُ الدعاء شركٌ في الأسباب والتوحيد. .كأنه جعل الأسباب بمنزلة الإله. (٢) محو الأسباب ومحق الأسباب حمق، أي: حماقة.

لا بد من استحضار ست من صفات الله تعالى عند الدعاء:

لابد من الإقرار بست من صفات الله تعالى عند الدعاء:

(١) اليقين بوجود البارئ تعالى. (٢) الله غني، ونحن فقراء إليه. (٣) الله سميع. (٤)الله عليم. (٥) الله كريم. (٦) الله قادر على كل شيء.

هل يستجاب دعاء الكافر أم لا؟:

قيل: لا يستجاب دعاؤه. واستدلوا بقوله تعالى:﴿وَمَادُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ (الرعد: ١٤)

يقول أهل السنة والجماعة: يستجاب دعاء الكافر في أمور الدنيا، لا في أمور الآخرة، والآية المذكورة تخص الآخرة.

وتأويل الآية الكريمة بأن المراد بالكافر كافر بالنعمة، تأويل بعيد، ويجوز تأويلها بأنه لو سأل الآخرة وهو في الدنيا، فمثلا: يقول: ارزقني الجنة في الآخرة، لم يستجَب له.[(٢)]

---

(١) في بعض المطبوعات بعده «اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ». ولم نجده في المخطوطات.

(٢) قال العلامة الآلوسي في تفسير قوله تعالى:﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: «وظاهر النظم الكريم عند غير واحد أن هذه إجابة لدعائه كلا أو بعضًا، وفي ذلك دليل لمن قال: إن دعاء الكافر قد يستجاب، وهو الذي ذهب إليه الدبوسي وغيره من الفقهاء خلافًا لما نقله في البزازية عن البعض من أنه لا يجوز أن يقال: إن دعاء الكافر مستجاب لأنه لا يعرف الله تعالى ليدعوه، والفتوى على الأول للظاهر، ولقوله صلّى الله عليه وسلّم: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان كافرا». وحمل الكفر على كفران النعمة لا كفران الدين خلاف الظاهر، ولا يلزم من الاستجابة المحبة والإكرام، فإنها قد تكون للاستدراج». (روح المعاني ٩/ ٤٥، الأعراف:١٤)

وقال العلامة الآلوسي في موضع آخر: «دعاء الكافر قد يستجاب وهو المصرح به في الفتاوى، واستجابة دعاء إبليس وهو رأس الكفار نص في ذلك. وأجيب بأن المراد دعاؤهم الله تعالى بما يتعلق بالآخرة». (روح المعاني ١٣/ ٩٤، الرعد:١٥) وانظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، ص٣٤٩. ورد المحتار ٢/ ١٨٥. وانظر أيضًا للاختلاف والدلائل: شرح العقائد، ص٢٧١-٢٧٢. والنبراس، ص٣٩٤.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)

كما تدل الآية الكريمة أيضًا على أن دعاء الكافر يستجاب في أمور الدنيا.

أدلة أهل السنة والجماعة:

الدليل(١): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب». (مسند الإمام أحمد، رقم:١٢٥٤٩، وإسناده ضعيف لجهالة أبي عبد الله الأسدي).

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب». (صحيح البخاري، رقم:١٤٩٦)

والمظلوم أعم من أن يكون كافرا أو مسلما.

(٣) إبليس رأس الكفر، وقد دعا: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ (الحجر: ٣٦) وأنظره الله تعالى إلى يوم القيامة: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ (الحجر: ٣٧)

وما يقال بأنه استنظر إلى النفخة الثانية، ولم يُنظر إلا إلى النفخة الأولى أو ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ في علم الله لا لأجل دعائك، فخلاف الظاهر؛ فإن الفاء في قوله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ تفيد أن النظرة ترتبت على دعائه.

هل ينكر المعتزلة نفع الدعاء؟:

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: ينكر المعتزلة فائدة الدعاء، وقال العيني في «عمدة القارئ»: أنكر بعض المعتزلة فائدة الدعاء؛ «...وخلاف قول المعتزلة: إنه لا فائدة في الدعاء مع سبق القدر».(شرح النووي على مسلم ٩/ ١٥٠. عمدة القاري ١٠/ ٢٥١)

ذكر الشيخ عبد العزيز الراجحي في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٥٥) بعض شبهات المعتزلة وكشفها.

وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي: يجوز الدعاء للمؤمن والفاسق والكافر في أمور الدنيا، وأما في أمور الدين، فإن كان ما دعا به، قد علم استحقاق المدعو له علما جازما أو ظنا غالبا، فإنه يجوز الدعاء؛ بل يستحسن. «والدعاء للغير إما أن يكون دعاء له لمنافع دينية، أو دعاء له لمنافع دنيوية، فإن كان دعاء بمنافع دينية من المدح والثواب، فإنه لا يخلو إما أن

يكون الداعي قاطعًا على استحقاق المدعو له لتلك المنافع، كأن يكون علم ذلك من حاله بدلالة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام، على مثل ما نقول في عليّ عليه السلام وغيره أو لا، فإن قطع كون المدعو له مستحقًّا جاز له الدعاء من غير اعتبار شرط، وإن لم يقطع ولكن غلب على ظنه استحقاقه لذلك حسن منه الدعاء له أيضًا، ويكون مشروطًا بالاستحقاق وإن لم ينطق به فهو في حكم المنطوق به، هذا في الدعاء بالمنافع الدينية.

أما الدعاء في المنافع الدنيوية فلا يجب اعتبار شيء من هذه الأشياء التي اعتبرناها، بل يجوز ذلك للمؤمن والفاسق والكافر جميعا». (شرح الأصول الخمسة، ص٧١٩)

ما ينسب إلى المعتزلة من القول وأدلته، والجواب عنها فيما يلي:

(١) ما يدعو به إما أن يكون مقدرا من الله تعالى أو لا؟ فإن كان مقدرا، فإنه سيصله من غير دعاء، ولاحاجة إلى الدعاء، وإن لم يكن مقدرا فالدعاء لا فائدة فيه.

أو ما يدعو به إما أن يكون واجب الوقوع، أو ممتنع الوقوع؟ فإن كان الأول لم تكن حاجة إلى الدعاء، وإن كان ممتنعا لم يكن فائدة في الدعاء.

الجواب: نجيب عنه إلزامًا بأن هذا الدليل يجري في الأعمال الصالحة أيضًا، فقد يقول قائل: إذا كانت الجنة مقدرة، فما الحاجة إلى الأعمال الصالحة؟ وما الذي حمل المعتزلة على القول بالأعمال الصالحة؟ بل تارك الأعمال الصالحة خارج عن الإيمان عند المعتزلة. فكما أن الجنة مقدرة ولكنها معلقة بالأعمال الصالحة، فلا مانع أن يكون الشيء مقدرا، مع تعليقه بالدعاء،فإذا دعا تحقق له ذلك وإلا فلا.

قسم المعتزلة الشيء على قسمين: واجب الوقوع وممتنع الوقوع. ومن وجوهه ممكن الوقوع أيضًا، فإذا كان الشيء ممكن الوقوع كان الدعاء مرجحا لجانب منه؛ لأن الممكن يستوي فيه الجانبان: الوجود وعدمه. ويترجح جانب الخير بالدعاء.

لا يصادم الدعاء القدرَ، كما أن الطعام لا يصادم القدر، فلا يقول أحد: إذا كانت الحياة مقدرة لي، فأي حاجة إلى الطعام؟

هل يصح تقسيم القضاء؟ أم أن القضاء هو القضاء المبرم فقط؟:

يقول أهل العلم: الدعاء يغير القضاء المعلقَ، والتقسيم إلى المعلق والمبرم بالنسبة إلى صحف الملائكة، وأما بالنسبة إلى علم الله فكل قضاء مبرم.

يقسم المتكلمون القدر على: المبرم، والمعلق. ويقولون: القدر المعلق بالنسبة إلى الملائكة. وأما بالنسبة إلى الله تعالى فكل قدر مبرم. فمثلا قدر له من عمره سبعون عاما. فإن عالج المرض العضال وهو ابن سبعين سنة، صار عمره تسعين عاما. وهذا الترديد بالنسبة إلى الملائكة، وأما الله تعالى فيعلم العلاج والصحة كليهما.

ذهب معظم أهل العلم إلى تقسيم القضاء على قسمين: ١- القضاء المبرم: أي المحكم غير المشروط بشيء. ٢- القضاء المعلق، أي: المشروط، فمثلا فلان من الناس يصل رحمه أو يدعو دعاء فيتغير قدره، وتغيَّر الصلةُ أجلَ عمره، ويزداد رزقه.

ذهب ابن التين السفاقسي، والحافظ ابن حجر، والملا علي القاري، والعلامة الشوكاني وغيرهم إلى القول بتقسيم القدر. ويقولون: يعلم الله تعالى كل شيء، فمثلا: إن وصل زيد رحمه ازداد أجله. ويصل رحمه فيصير عمره تسعين عامًا بدلا من ستين عاما. ويمكن الزيادة والنقص في علم الملائكة؛ ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الرعد: ٣٩). والمحو والإثبات في علم الملائكة هو القدر المعلق.

وأطال الدكتور محمد أحمد كنعان في «جامع اللآلي شرح بدء الأمالي» (ص ٤٤-٦٦) الكلام ثم ردَّ هذا التقسيم.وقال: القضاء هو المبرم، لا المعلق.

وقد أتينا على تفصيله في بدء الكتاب تحت نص المؤلف:«وقدَّر لهم أقدارًا».

(٢) ثاني إيرادات المعتزلة: الله عليم بكل شيء فلا حاجة إلى الدعاء ؟

الجواب: لا شك أن الله تعالى يعلم كل شيء، ويعلم العمل الذي يتم أو يوجد بالدعاء.

الإيراد (٣): المطلوب إن كان أصلح للعبد فيُعطيه اللهُ تعالى، وإنْ لم يكن أصلح فلا فائدة في سؤاله؟

الجواب: هذا بناء على قول المعتزلة :«الأصلح للعبد واجب على الله»، ونحن نقول: «الأصلح للعبد ليس بواجب على الله» .

أمر آخر وهو أن الغير إذا كان أصلح، فما فائدة السؤال؟ والجواب عنه أن الله تعالى قادر على أن يجعل غير الأصلح أصلحَ بفضل الدعاء.

الإيراد (٤): الدعاء ينافي ويخالف الرضاء بالقضاء؟

الجواب: المقصود أن يجعل اللهُ تعالى المطلوب قضاءً، ونحن نرضَى به.

الإيراد(٥): الدعاء يشبه الأمرَ والنهيَ، أي: كأن العبد بدعائه يأمر الله تعالى، مما يشكل سوء أدب في حق الله تعالى.

الجواب: الأمر والنهي يتضمنان صدور الحكم من الأعلى إلى الأدنى، وأما الدعاء فيطلب به العبد حاجة من الله تعالى إيمانًا منه بأنه قادر مطلق.

الإيراد (٦): في الحديث: من شغَله القرآنُ عن ذِكري ومسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السائلين». (سنن الترمذي، رقم:٢٩٢٦، وإسناده حسن)

أي إذا كان يعطي المشتغل بالقرآن أكثر مما يعطي السائلين، فاشتغلوا في أمر الدين، ولا حاجة إلى الدعاء؟

الجواب: هذا الحديث يتضمن الجواب عن الإيراد، بأن الله تعالى يعطي السائلين، وأما من لم يجد فسحة للدعاء لاشتغاله ليل نهار بتلاوة القرآن الكريم والذكر، فإن الله تعالى يتكفل جميع حاجاته.

الإيراد (٧): كثيرًا ما ندعو ولا يقبل الدعاء. فعلم أن الدعاء لا فائدة فيه.

الجواب (١): استجابة الدعاء معلقة على مشيئة الله تعالى؛ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ (الأنعام: ٤١)

والظاهر أن هذا بالنسبة إلى الكفار، إن شاء استجاب دعاءهم في الدنيا، وسبقه قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ (الأنعام: ٣٩) والمراد به الكفار. فلا يستحسن هذا الجواب، بل الدعاء يُقبل دائما إذا دعَى مع شرائط الدعاء وآدابه، ومعنى قبول الدعاء: إعطاء الخيرِ العبدَ:

١- قد لايعطيه الخير، وإنما يدفع عنه الشر.

٢- أو يدخر دعاءه في الآخرة.

٣- أو يعطيه خيرا مما سأله، فمثلا يطلب الطفل من أبيه المسدس، فأعطاه أبوه كتابا بدلا من المسدس. كما طلبت مريم ولدًا فأعطاها بنتًا خيرًا منه.

٤- وقد ينال عين ما يطلبه، فربما على عجل، كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم أبي هريرة بالهداية، فاستجيب دعاؤه قبل أن يصل أبو هريرة إلى بيته. وقد يتأخر ظهور

نتيجته، كما دعا إبراهيم عليه السلام ببعث محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ (البقرة: ١٢٩). ولم تظهر نتيجة هذا الدعاء إلا بعد آلاف السنين. وربما ينال بعض ما يطلب، وفيه مصلحة وفائدة للعبد.(انظر: لاعتراضات المعتزلة وجوابها: مفاتيح الغيب ٥/ ١٠٥، البقرة:١٨٦، و٢٢/ ٣٧، ط:٢٥-٣٥)

شروط قبول الدعاء:

(١) عدم تجاوز الحد بأن يدعو بالهلاك على من لا يستحق الهلاك، أو لقطيعة الرحم، أو يدعو بإثم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يزال يُستَجاب للعبد، ما لم يَدعُ بإثمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لم يستعجل» قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: «قد دعوت وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء». (صحيح مسلم، رقم:٢٧٣٥).

(٢) اجتناب الحرام. وقيل: حفظ اللسان والقلب والجوارح والعين والبطن. وفي الحديث: «ثم ذكر (رسولُ الله صلى الله عليه وسلم) الرجلَ يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟». (صحيح مسلم، رقم:٢٧٣٥)

(٣) يعتقد أن القادر المطلق هو الله تعالى دون غيره، ولا يثق إلا به.

(٤) لا يدعو لغرض فاسد، كالحسد، والفخر، والمباهاة، ونحوها.

(٥) أن يكون حاضر القلب، وتكون الإجابة أغلب في ظنه.

(٦) أن لا يفوت باشتغاله الفرض، أو الواجب.

(٧) لا يضيق صدره إذا لم تظهر آثار الاستجابة.

(٨) أن يكون الدعاء مفهوم المعنى.

(٩) أن يدعو الله بأسمائه الحسنَى، وأن يتوسّل بحبّ الأنبياء والصالحين.

هذا، وقال المفسرون: لقبول الدعاء مندوبات، مثلا: الدعاء وقت السحر والإفطار، والدعاء في الشطر الأخير من الليل، والدعاء بين الأذان والإقامة، والدعاء حالة الاضطرار، والدعاء حال المرض، والدعاء بالغيب، والدعاء في السفر، والدعاء وقت نزول المطر،

والدعاء يوم الأربعاء بعد الظهر إلى المغرب، والدعاء في العيدين، والدعاء في المعركة، والدعاء في الحرمين، والمسجد الأقصى، فهذه أمكنة وأوقات قبول الدعاء. (البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/ ٢٠٧)

لابد من استحضار القلب في الدعاء،فإن لم يكن طالبا من أعماق قلبه، لم يكن له أثر في لسانه؟[1]

قال الشاعر الأردي:

ہوتی نہیں قبول دعا ترکِ عشق کی ❁ *دل چاہتا نہ ہو تو زباں میں اثر کہاں*

(لايستجاب دعائي بترك العشق، كيف يؤثر اللسان إذا أبى القلب).

استجابة الدعاء، وفائدته في ضوء الكتاب والسنة:

يرى أهل السنة والجماعة فائدة الدعاء لعدد من الآيات والأحاديث،وإليكم بعضها:

(١) ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)

(٢) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

---

(١) إن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به.

فمن شرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنبا لأكل الحرام، وألا يمل من الدعاء.

ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا، كما قال: «ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم.

وقال سهل بن عبد الله التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب، والرأفة، والاستكانة، والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: شرائطه أربع- أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام. وقد قيل: إن من شرط الدعاء أن يكون سليما من اللحن، كما أنشد بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث ❁ كذاك إذا دعاه لا يجيب

(تفسير القرطبي ٢/ ٣١١، البقرة:١٨٦)

وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ (محمد: ١٩)

(٣) ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)

(٤) ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٥)

(٥) ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾ (الفرقان: ٧٧)

فائدة: معانٍ عدة لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾:

لهذه الآية الكريمة معانٍ عدة:

١- لولا دعاءكم الله تعالى فلا يبالي بحياتكم. أي لو لم تدعو الله لأهلككم. أي: دعاءكم مانع من إهلاككم. أي: تدعون الله في الشدائد فهذا مانع من العذاب، ثم تشركون فيما بعد وتكذبون فستهلكون لأجله.

٢- لولا دعاءكم الآلهة فما يفعل بعذابكم. أي: العذاب نتيجة الشرك.

٣- لولا الدعوة إلى إيمانكم، أو لولا رجاء إيمانكم فما يفعل الله بوجودكم.

٤- لولا عبادتكم وإيمانكم بالله فلا يبالي بوجودكم وبحياتكم أيها المؤمنون، فقد كذبتم أيها الكفار فسوف يكون العذاب لازمًا بكم.

(٦) ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ (النمل: ٦٢)

(٧) ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ (الأنبياء: ٨٤)

(٨) ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ (الأنبياء: ٨٨)

(٩) ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ (الأنبياء: ٩٠)

(١٠) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاءُ، ولا يزِيد في العمر إلا البر». (سنن الترمذي، رقم:٢١٣٩)

قال الإمام الترمذي: في إسناده أبو مودود، اسمه فضة وهو ضعيف. وعند الإمام الطحاوي هذا أبو مودود آخر، اسمه عبد العزيز بن سليمان، وهو ثقة. ووافق الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» الإمام الترمذي. وأبو مودود هذا وذاك معاصران. (انظر تعليق سنن الترمذي ٤/ ١٨ للدكتور بشار عواد)

(١١) وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الدُّعاء مُخُّ العبادة». (سنن الترمذي، رقم:٣٣٧١)

(١٢) وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الدُّعاء هو العبادة». (سنن الترمذي، رقم:٣٣٧٢)

(١٣) وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوتُه، وإمّا أن يَدَّخِرها له في الآخرة، وإمّا أن يَصرِف عنه من السوء مثلها». (مسند أحمد، رقم:١١١٣٣)

(١٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاءُ سِلاح المؤمن، وعِماد الدين، ونور السماوات والأرض». (المستدرك للحاكم، رقم:١٨١٢)

(١٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس شيءٌ أكرَمَ على الله مِن الدُّعاء». (مسند أحمد، رقم:٨٧٤٨)

(١٦) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادفعوا عنكم طوارِقَ البلاء بالدُّعاء، فإنَّ الدعاء ينفَع مما نزَل ومما لم يَنزِلْ». (كتاب الدعاء للطبراني، رقم:٣٤)

(١٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الرجل لتُرفَع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». (سنن ابن ماجه، رقم:٣٦٦٠، ومسند أحمد، رقم:١٠٦١٠)

(١٨) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يسأل الله عزَّ وجلَّ يغضِب عليه». (سنن الترمذي، رقم:٣٣٧٣)

(١٩) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطع». (سنن الترمذي، رقم:٣٦٠٤)

(٢٠) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتَفَع به، أو ولد صالح يدعو له». (صحيح مسلم، رقم:١٦٣١)

(٢١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ ربَّكم حيِيٌّ كريمٌ، يستحيي من عبده أن يرفَع إليه يديه، فيَرُدَّهما صِفْرًا». (سنن ابن ماجه، رقم:٣٨٦٥)

قال الشاعر:

اللهُ يَغضَبُ إن تركتَ سُؤالَه ۞ وبُنَيُّ آدمَ حين يُسألُ يَغضَبُ

تحريم الشيخ عبد الله الهرري الدعاء للمسلمين بالمغفرة من جميع الذنوب:

عقد الشيخ عبد الله الهرري الحبشي في «المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية» (ص٤٨١) عنوانا: «في تحريم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بجميع الذنوب» لأنا نقطع بخبر الله وخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم من يدخل النار».

نرى كلام الهرري هذا غير صحيح؛ بل يجوز مثل هذا الدعاء، وورد بذلك الكتاب والسنة. دعا نوح عليه السلام فقال:﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ (نوح: ٢٨) المراد به المؤمنون والمؤمنات كلهم، فإن اللام تحمل على الاستغراق إذا لم يكن ثمة قرينة صارفة إلى العهد الخارجي، فالمراد جميع المؤمنين. جاء في نور الأنوار: «إذا دخلت لام المعرفة في صورة لا يستقيم التعريف العهدي أوجبت العموم». (ص٨٠)

كما ورد دعاء الجنازة في كتب الأحاديث والفقه :«اللهم اغفر لحينا، وميتنا، وشاهدنا، وغائبنا، وصغيرنا، وكبيرنا، وذكرنا، وأنثانا».(سنن الترمذي، رقم:١٠٢٤، وقال: حسن صحيح) فهذا تعميم يشمل المسلمين جميعا.

كما ورد في الأدعية أيضًا: «اللهم اغفرلنا ذنوبنا كلَّها، هزلنا، وجِدنا، وعمدنا، وكل ذلك عندنا». (الدعاء للطبراني، رقم:١٧٩٤)

في ضوء هذه المصادر تبين أنه يأتي في الدعاء بما يعم الأفراد والآثام من الكلمات، وأما شبهة الشيخ الهرري أنه يعارض النصوص القطعية، فباطلة، لأنا ذكرنا أن المغفرة على ثلاثة أقسام: محو الذنوب، وتخفيف العذاب، وتقليل العذاب. فلا ينافي تخفيف العذاب وتقليل العذاب مع كونه معذبا. رزقنا الله تعالى القسم الأول، وهو ترك العذاب ودخول الجنة دخولًا أوليًّا.

قال ابن عابدين الشامي في «رد المحتار» بعد ما أورد الآيات التي تدل على جواز الدعاء لجيمع المؤمنين والمؤمنات من جميع الذوب: «وحاصل هذا القول جواز التخصيص لما دل عليه اللفظ بوضعه اللغوي من العموم في نصوص الوعيد، ولا ينافي النصوص الصحيحة المصرحة بأن من المؤمنين من يدخل النار ويعاقب فيها على ذنوبه؛ لأن الغرض

جواز مغفرة جميع الذنوب لجميع المؤمنين لا الجزم بوقوعها للجميع، وجواز الدعاء بها مبني على جواز وقوعها لا على الجزم بوقوعها». (رد المحتار ١/ ٥٢٣. وانظر: حاشية الطحجاوي على مراقي الفلاح ١/ ٣١٧).

والمسألة خلافية. قال الشيخ زكريا الأنصاري: «ويجب الدعاء للمؤمنين والمؤمنات، وجزم ابن عبد السلام في الأمالي والغزالي بتحريم الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بمغفرة جميع الذنوب وبعدم دخولهم النار». (أسنى المطالب في شرح روض الطالب ١/ ٢٥٦. ومثله في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي ٢/ ٣١٦).

وقال سليمان الجمل: «والذي منعه الغزالي إنما هو مغفرة جميع الذنوب لكل مؤمن بحيث لا تمس النار واحدا منهم». (فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب ٢/ ٢٦).

١٠٣- وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلَا غِنَى[1] عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ[2].

الله مالك كل شيء، ولا مالك له:

يملك الله تعالى كل ذرة من ذرات الكون، ولا مالك له؛ فإن المالك الحقيقي لا يكون مملوكًا لأحد.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١٠٧)

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٣)

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨

---

(١) في ١، ٢٢ «ولا يستغنى». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) قوله «وصار من أهل الحين» سقط من ٢، ٢٥، وأثبتناه من ٦، ١٦، ٢١، ٣٣. وفي ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٦ «وكان من أهل الحين». وفي ١، ١٣، ١٩، ٢٠، ٣٤ «وكان من أهل الخسران». وفي ٣، ٢٤، ٢٧، ٣٥ «وكان من أهل الجحيم». وفي ٤، ٢٢، ٢٩، ٣٠ «وكان من أهل الخسران والجحيم». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء على كل حال.

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ٨٩﴾ (المؤمنون)

الإنس والجن والملائكة كلهم عبيد الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ (مريم: ٩٣)

ولا يكون العبد سيدا لمالكه ولا شريكا له، قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (الروم: ٢٨)

بل ما يمَلِّكه السيدُ عبدَه يملكه في الواقع السيدُ، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (آل عمران: ٢٦)

فأما إذا اعتمد الإنسان بما أعطاه الله تعالى من الأسباب، وينسى مسبب الأسباب، فإنه يتسرب إليه الكبر والغرور، والطغيان والعتو، وينسى أن مصيره إلى ذلك المالك الحقيقي الذي خول له هذه الأسباب والآلات والقدرة والطاقة. قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾ (العلق)

الاستغناء عن الله تعالى ولو كلمح بالبصر كفر:

كل شيء ما سوى الله تعالى ممكن، والممكن في حاجة إلى واجب الوجود في وجوده وبقائه، فلابد لكل شيء من الاحتياج إلى الله تعالى في كل آن ولحظة. وما من خلق إلا وهو محتاج إلى الله تعالى في وجوده، وبقائه، وحياته، وموته، ورزقه، وكسبه، وحركاته و سكناته، و جميع شؤونه، حتى في كل نفس من أنفاسه، وكل لحظة من لحظات حياته. وأنى يستغني المحتاج المطلق عن الغني المطلق؟!

يورد بعض السفهاء بأن البَنَّاءَ يموت، ويبقى البِنَاءُ قائمًا على مكانه، فلو فنى خالق السماوات والأرض والشمس والقمر -نعوذ بالله منه- لبقي البناء قائما.

والجواب عنه أن البناء يحتاج إلى البنَّاء في البناء فحسب؛ لا في بقائه، وما من ذرة من ذرات الكون إلا وهو في حاجة إلى رب الكون في بدئه، وبقائه معًا؛ فلا يبقى الكون ولو كلمح البصر مستغنيا عن الله تعالى: تصرفه، وقدرته، وإرادته. ووجود الله تعالى أزلي، وكذلك قدرته. جلَّ جلاله، وعمَّ نواله.

وبما أن الاحتياج إلى الله تعالى صفة لازمة للعبد، والاستغناء صفة الله تعالى، فإن ظنَّ العبد أنه في غنى عن الله تعالى، فكأنه أشرك نفسه مع الله تعالى في الاستغناء، فكان كافرا، والكافر خالد في نار جهنم. وهل مهلكة أشد من النار؟!

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)

وقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ (محمد: ٣٨)

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ (الإخلاص)

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ (الفتح: ١١)

١٠٤- وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

ليس غضب الله ورضاه مثل غضب المخلوق ورضاه:

يرضى الله تعالى عن عباده الصالحين، ويغضب على عباده العصاة.

بشر الله تعالى في غير واحد من الآيات المؤمنين الصالحين برضاه، قال الله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ (المائدة:١١٩. التوبة:١٠٠. المجادلة:٢٢. البينة:٨)

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨)

ووردت عدة آيات بغضب الله تعالى على الكفار والمشركين، منها:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ (النساء: ٩٣)

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (النور: ٩)

وقال الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (الفتح: ٦)

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ (المجادلة: ١٤)

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (الممتحنة: ١٣)

علاوة على هذه ثمة آيات أخرى وردت بغضب الله تعالى على العصاة.

وفي صحيح البخاري: «إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن

يغضب بعده مثله». (صحيح البخاري، رقم:٤٧١٢)

قال عبد الله الهرري: المراد به آثار الغضب، لا الانفعال الجديد والانطباع الحديث. (الدرة البهية، ص٩٧)

وسبقه الإمام النووي، الذي قال في «شرح مسلم»: المراد بالغضب ظهور الانتقام. (شرح النووي على مسلم ٣/ ٦٨)

قال العلامة البابرتي: «المراد من غضب الله هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال العقوبة بهم، وأن يفعل بهم كما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده، نعوذ بالله من غضبه، والمراد من رضا الله هو إرادة الثواب لمن أطاعه والعفو عمن عصاه، وأن يفعل بعبيده كما يفعل الملك بمن تحت يده إذا رضي من الإكرام وزيادة الإنعام، نسأل الله رضاه ورحمته». (شرح العقيدة الطحاوية للبابرتي، ص١٢٦، ط: دار البيروتي)

رحمة الله تعالى سبقت غضبه:

في الحديث: «إن رحمتي سبقت غضبي». (صحيح البخاري، رقم:٧٤٢٢)

قال العلامة ابن الجوزي: كيف تسبق صفة من صفات الله تعالى -وهي الرحمة- صفةً أخرى من صفاته وهي الغضب؟

الجواب عنه أن هذه صفات الأفعال، ويدخلها التقدم والتأخر. وقد يجاب عنه بأن هذا السبق كناية عن العفو والإمهال. أي: العفو أو الإمهال تقديم الرحمة. (كشف المشكل من حديث الصحيحين ٣/ ٤٣٠)

قال ابن بطال في شرح البخاري: من غلبة رحمته أنه يستر على العبد وإن ارتكب المعاصي، ولا يخزيه الله تعالى. فليحذر المرء الإصرارَ على المعاصي، خشية أن يتلو غضبُه رحمته، فيؤاخذه الله تعالى. و من رحمته تلك أن ابتدأ خلقه بالنعمة بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وبسط لهم من رحمته فى قلوب الأبوين على الأبناء، من الصبر على تربيتهم، ومباشرة أقذارهم ما إذا تدبره متدبر أيقن أن ذلك من رحمته تعالى، ومن رحمته أنه رزقه الإسلام والإيمان، ووفق للإيمان من كان مصرا على الكفر، ثم أمهل الكفار، ورزقهم من نعم الدنيا. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/ ٢٦٤، و١٠/ ٤٨٨-٤٨٩)

ومعنى «رحمتي سبقت غضبي» أن مظاهر رحمة الله وامتدادها أكثر من غضبه. فجزى

على حسن النية خيرًا، ولم يجازِ على إرادة الشر. وجازى على العمل الصالح عشرة أمثاله على أقل تقدير، ولم يجاز على السيئة إلا واحدة، وكتب ثواب النفقة على الأولاد.

الله تعالى متفرد بذاته وصفاته:

الله تعالى متفرد بذاته وصفاته، ولا يقاس ذات الله تعالى وصفاته على ذات المخلوق وصفاته، ولا العكس. ويرضى الله تعالى عن بعض عباده، ويغضب على البعض الآخر، ولا يقاس رضا الله تعالى وغضبه على رضا العباد وغضبهم. وكما أن ذات الله تعالى لا مثل لها، كذلك صفاته لا مثل لها. والله تعالى مبرأ من مشابهة الخلق ومماثلته على الإطلاق. قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

واتصاف الخلق بالرضا، والغضب، والسمع، والبصر، والحياة، والقدرة، ليس إلا اشتراكا لفظيًّا. فصفات المخلوق هذه حادثة، ومن الله تعالى، وصفات الله تعالى هذه صفات أزلية أبدية قائمة بذاته. والعالم كله مجموعة الجواهر والأجسام والأعراض. والله تعالى منزه عن مشابهة العالم جميعا.

والقصد من هذه الجملة الرد على المشبهة، فبعضهم يشبه اللهَ تعالى بغيره، وبعضهم يجعل الله تعالى مشابها لصفات الغير. (الفرق بين الفرق، ص١٥٣-١٥٤)

كما أنه رد على الكرامية وغلاة الروافض واليهود أيضًا، القائلين بالجسم لله تعالى. و ردَّ على النصارى أيضًا، القائلين بأن الله تعالى جوهر. (شرح الطحاوية للقاضي إسماعيل بن إبراهيم الشيباني الحنفي، ص١١)

وسبق تفصيله في بدء الكتاب تحت نص المؤلف: «ولا يُشبِهُ الأنامَ».

١٠٥- وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، وَلَا نُفرِطُ فِي حُبِّ[(٢)] أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ،[(٣)] وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ[(٤)] يَذْكُرُهُمْ، وَ لَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ[(٥)]، وَ نَرَى حُبَّهُمْ[(٦)] دِيْنًا وَإِيْمَانًا وَإِحْسَانًا، وَبُغْضَهُمْ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَطُغْيَانًا.

قوله: «نفرط» إن كان من «أفرط»، فهو بمعنى: تجاوز الحد. وإن كان من «فرَّط» فهو بمعنى: قصَّر فيه، وهنا يُحتمل المعنيان.

تعريف الصحابي:

«من لقي النبيّ صلى الله عليه وسلم في حياته مسلمًا ومات على إسلامه».

قال الحافظ ابن حجر: «هذا أصح ما قيل في تعريف الصحابي». (الإصابة ١/ ٨)

وبناء على هذا التعريف يعد من الصحابة الصحابةُ العميان، مثل ابن أم مكتوم رضي الله عنه. ولا يدخل فيه من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الكفر، ثم أسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، مثل رسول الإمبراطور قيصر المدعو/ التنوخي[(٧)].

---

(١) في ٣٦ بعده زيادة «ونترَضَّى عنهم». وهي زيادة حسنة.

(٢) قوله «حب» سقط من ١٨. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) في ١٢ «من حب أحد منهم». وفي ٧ بعده زيادة «ونحب من يحبهم». وهي زيادة حسنة حيث يطابق العبارة. وسقط من ٣٢ قوله «ولا نتبرأ من أحد منهم». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) قوله «وبغير الخير يذكرهم» سقط من ٣. وفي ٤، ٦، ٧، ١٩ «الحق» بدل قوله «الخير». وفي ٢ «ولا بغير الحق نذكرهم». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) في ١ «وبغير الخير لا نذكرهم». وفي ٦، ١٩، ٢٣ «بالجميل» بدل قوله «بخير». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٦) في ٢، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢ «وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ...». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) ويقال: رسول هِرَقْل، قدِم على النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك، وأخرج أحمد حديثه في «مسنده» (رقم:١٦٦٩٣) مع كونه إنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حال كفره، لأنه سمعه حين رؤيته له، وأنه نظر إلى خاتم النبوة. والحديث طويل. وذكره ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (ص٥٨٧) فيمن جُهل اسمه وعرف نسبه فقال: التنوخي رسول هرقل، روى عنه سعيد بن أبي راشد. ويضربُ علماءُ الحديث هذا الحديث مثلاً للمرسل المتصل؛ فإنه مع كونه تابعيا محكومٌ لما سمعه بالاتصال لا الإرسال.

كما لا يدخل فيه من رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقبل دفنه، مثل أبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي.[(١)]

وكما لا يعدُّ من الصحابة من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الإسلام، ثم ارتد عنه ومات على الردة (والعياذ بالله)، كابن خطل.[(٢)]

وأما من ارتد منهم في حياته صلى الله عليه وسلم أو بعد موته، ثم عاد إلى الإسلام بعد موته، كالأشعث بن قيس[(٣)]، وقرة بن هبيرة[(٤)]، ففي عودة الصحبة إليه خلاف. ونصَّ أبو

---

(١) ويقال اسمه خالد بن خويلد. قال عمر بن شبَّة: كان مقدّما على جميع شعراء هذيل بقصيدته التي يقول فيها:

والنَّفس راغبة إذا رغَّبتها ❁ وإذا تردَّ إلى قليل تقنع

وذكر ابن عبد البر أنَّ ابن إسحاق روى هذا الخبر عن أبي الآكام، وأوَّله: بلغنا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل، فاستشعرت حربا وبتُّ بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، حتى إذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بي هاتف يقول:

خطب أجلّ أناخ بالإسلام ❁ بين النّخيل ومعقل الآطام

قضي النّبي محمّد فعيوننا ❁ تذري الدُّموع عليه بالتِّسجام

فذكر قصته، وفيه أنه وجد النبيّ صلى الله عليه وسلّم ميتًا ولم يغسل بعد، وقد خلا به أهله، وذكر شهوده سقيفةَ بني ساعدة وسماعه خطبةَ أبي بكر. توفي في خلافة عثمان في سنة نحو سبع وعشرين.(الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ١١٠)

(٢) اسمه: هلال بن عبد الله، ويعرف بابن خطل، وقيل: هلال بن خطل بن عبد الله، وقيل: عبد العزى بن خطل، هو الذي تعلق بأستار الكعبة، فقُتِل. أسلم ابن خطل وهاجر إلى المدينة، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة، وأصحبه رجلًا يخدمه، فغضب على رفيقه لكونه لم يصنع له طعامًا أمره بصنعته، فقتله، ثم خاف أن يُقتَل، فارتد، واستاق إبل الصدقة، وأنه كان يقول الشعر يهجو به رسولَ الله، ويأمر جاريتاه أن تغنيا به، فهذا له ثلاث جرائم مبيحة للدم: قتلُ النفس، والردةُ، والهجاءُ. (راجع: المغازي للواقدي ٢/ ٨٥٩. والصارم المسلول لابن تيمية ١/ ١٢٨)

(٣) الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي (م:٤٠هـ)، أمير كندة في الجاهلية والإسلام. كانت إقامته في حضرموت، ووفد على النبي صلّى الله عليه وسلم بعد ظهور الإسلام في جمع من قومه، فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه. ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، فتنحى والي حضرموت بمن بقي على الطاعة من كندة، وجاءته النجدة فحاصر حضرموت، فاستسلم الأشعث وفتحت حضرموت عنوة، وأرسل الأشعث موثوقًا إلى أبي بكر في المدينة ليرى فيه رأيه، فأطلقه أبو بكر وزوَّجه أخته أم فروة، فأقام في المدينة وشهد الوقائع وأبلى البلاء الحسن. ثم كان مع سعد بن أبي وقاص في حروب العراق. ولما آل الأمر إلى علي كان الأشعث معه يوم صفين، على راية كندة. وحضر معه وقعة النهروان. (الأعلام، للزركلي ١/ ٣٣٢).

(٤) قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير. أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: إنه كان لنا ربَّات وأرباب نعبدهن من دون الله، فبعثك الله فدعوناهن فلم يجبن، وسألناهن فلم يعطين، وجئناك فهدانا الله. فقال رسول الله

حنيفة والشافعي على أن الردة محبطة للصحبة السابقة. (انظر:الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٩، و١/ ٢٩٣، و٥/ ٣٣٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت. والوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص: ٤٩١).

لكن في ضوء التعريف السابق للصحابي يعدُّ قرة بن هبيرة والأشعث بن قيس من الصحابة، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث الأشعث بن قيس، وروى الطبراني في «المعجم الكبير» والبيهقي في «شعب الإيمان» حديث قرة بن هبيرة. قال الحافظ ابن حجر: «ويدخل فيه من ارتدَّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به صلى الله عليه وسلم مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد. والشقُّ الأول لا خلاف في دخوله. وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالاً، وهو مردود لإطباق أهل الحديث على عدِّ الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتدَّ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر. وهذا التعريف مبنيٌّ على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل، ومن تبعهما».(انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٩، و١/ ٢٩٣، و٥/ ٣٣٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وأما من ارتد ثم عاد إلى الإسلام في حياته صلى الله عليه وسلم ولقيه، فالصحبة عائدة إليه بالإجماع، كعبد الله بن أبي سرح.[1]

ومن الجدير بالذكر هنا أمران:

الأول: هل يكفي لقاء الأطفال غير المميزين النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابية أم لا؟ مثل عبد الله بن الحارث بن نوفل الذي ولِدَ قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين، وجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحنَّكه، ودعا له.

اختلف أهل العلم فيه على مذهبين: قال بعضهم: لابد من التمييز في اللقاء. وقال

صلى الله عليه وآله وسلم: «أفلح من رزق لبًّا». فقال: يا رسول الله، اكسني ثوبين قد لبستهما، فكساه. وذكر في كتاب «الردة» أنه ارتدَّ مع من ارتد من بني قشير، ثم أسره خالد بن الوليد، وبعث به موثقًا إلى أبي بكر، فاعتذر عن ارتداده بأنه كان له مال وولد، فخاف عليهم ولم يرتدَّ في الباطن، فأطلق. (الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٣٣٣).

(١) كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح (م:٣٧هـ) من عظماء قريش و عقلائهم، أسلم قبل فتح مكة، وكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد عن الإسلام، وكان أحد الأربعة الذين أهدرت دماؤهم. وأخذ عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتاب، وأعلن إسلامه من جديد، وشفع له عثمان رضي الله عنه، حتى قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامه بعد تأمل وتردد، وعفا عنه. (أسد الغابة ٣/ ٢٦٠. وسنن أبي داود، رقم:٤٣٥٨ و٤٣٥٩). وله مجاهدات كبيرة بعد إسلامه في الفتوحات، وخدمة الإسلام.

آخرون : لا يلزم ذلك.

قال ابن الأثير في «أسد الغابة» في ترجمة عبد الله بن الحارث: «له ولأبيه صحبة. وقيل: إن له إدراكًا ولأبيه صحبة،... وُلِد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتَين، وأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنكه ودعا له».(أسد الغابة ٣/ ٢٠٨)

وقال الحافظ العلائي الدمشقي: «أتي به فحنكه ودعا له، ذكره ابن عبد البر في الصحابة لذلك، ولا صحبة له، بل ولا رؤية، وحديثه مرسل قطعا». (جامع التحصيل، ص٢٠٨)

الظاهر أن الصحابية يكفي فيها مجرد اللقاء، فإبراهيم – ابن الرسول صلى الله عليه وسلم- الذي توفي عن عمر يبلغ سبعة عشر أو ثمانية عشر شهرا عَدَّه ابن عبد البر وابن الأثير وغيرهما من الصحابة. وأما اتصال إسناد حديث هذا الصحابي بالنبي صلى الله عليه وسلم فلابد له من التمييز عند اللقاء. وعليه يطلق كثير من المحدثين وأهل العلم على الأطفال الذين وقع عليهم نظرُ النبي صلى الله عليه وسلم «له رؤية». أويطلقون «صحبة مقيدة بالرؤية». قال الحافظ ابن حجر: ليست صحبة الرؤية لأمثال هؤلاء الأطفال صحبة الرواية.(فتح البارى٧/ ٣-٤) وقال ابن أبي حاتم: «عن إسحق بن منصور قال: قلت ليحيى: محمد بن حاطب له رؤية أو صحبة؟ قال: رؤية».(المراسيل لابن أبي حاتم، ص١٨٣) وقال في طارق بن شهاب: «له رؤية وليست له صحبة». (المراسيل لابن أبي حاتم، ص٩٨) وقال: «سئل أبي عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي: له صحبة؟ قال: لا، له رؤية». (المراسيل لابن أبي حاتم، ص١٢٣) وقال في محمود بن الربيع: «أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي، ليست له صحبة، وله رؤية».(الجرح والتعديل ٨/ ٢٨٩) وقال في عبد الرحمن بن الحارث المخزومي: «ولا صحبة لعبد الرحمن، بل له رؤية، وتلك صحبة مقيدة».(سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٤) وقال في محمد بن أبي بكر الصديق: «أبو القاسم له رؤية».(تقريب التهذيب) وقال في مروان بن الحكم: «لم يثبت له أزيد من الرؤية».(الإصابة ٦/ ٢٠٣) وقال الحافظ ابن رجب: «وكذلك كثير من صبيان الصحابة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يصح لهم سماع، فرواياتهم عنه مرسلة، كطارق بن شهاب، وغيره». (شرح علل الترمذي لابن رجب، ص٥٨).

مما يجدر بالذكر ثانيًا: هل يشترط في الصحابية اللقاء حال النبوة، أم يكفي اللقاء قبلها؟ اختلفوا فيه على قولين: قيل: لابد من اللقاء حال النبوة. وعليه لم يُعدَّ القاسم ابن

الرسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة. وقيل: يكفي اللقاء قبل البعثة في الصحابية. فزيد بن عمرو بن نفيل الذي كان على اليهودية أو النصرانية وتبرأ من عبادة الأصنام، وكان يطلب الدين الحق، ويَعُدُّ الدين الإبراهيمي دينَه، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، عَدَّه أهل العلم من الصحابة. ذكره ابن قانع في «معجم الصحابة» وابن الأثير في «أسد الغابة»، وابن حجر في «الإصابة».

والذي يترجح أن اللقاء قبل البعثة غير كافٍ؛ لأنه يشترط اللقاء على الإيمان، وأما عدُّ زيد بن عمرو بن نفيل في الصحابة فيرجع إلى أنه كان قائمًا على الدين الإبراهيمي، ويجزم بأنه سيبعث نبي آخر الزمان عما قريب، وسيؤمن به، فعُدَّ من الصحابة توسعًا أو مجازًا؛ قال الحافظ ابن حجر: «زيد بن عمرو ذكره البغويّ، وابن مندة، وغيرهما في الصّحابة، وفيه نظر، لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، ولكنه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصّحابي، وهو أنه من رأى النبيّ صلّى اللهَّ عليه وآله وسلم مؤمنا به، هل يشترط في كونه مؤمنًا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك، أو يكفي كونه مؤمنا به أنه سيبعث كما في قصّة هذا وغيره؟». (الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٥٠٧)

ويُحتمل هنا وجهُ آخر، وهو أنه لو لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وأسلم بعدها، ولم يرَ النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، فمن يشترط الرؤية حال البعثة لم يعده من الصحابة. وهو القول الراجح، قال علاء الدين الدمشقي:«من اجتمع به قبل النبوة ثم أسلم بعد المبعث ولم يلقه، فإن الظاهر أنه لا يكون صحابيًّا بذلك الاجتماع؛ لأنه لم يكن حينئذ مؤمنًا». (التحبير شرح التحرير ٤/ ١٩٩٨. و أنظر: تيسير التحرير، لأمير بادشاه الحنفي ٣/ ٦٦. والتقرير والتحير، لابن أمير حاج ٢/ ٢٦١)

حب الصحابة من علامات الإيمان، وبغضهم ضلال وغواية:

نذكر الصحابة رضي الله عنهم بأدب واحترام، وخير، ونعتبر حبهم علامة على الدين والإيمان، و نبغض من أبغض الصحابة؛ لأن من أبغضهم فقد ضل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى

الله فيوشك أن يأخذه». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٦٢) والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)

ولا نغلوا في حبهم، بأن نعدهم معصومين من الذنب، أو ننزلهم منزلة الألوهية، كما ادعى غلاة الروافض الألوهية والنبوة لعلي رضي الله عنه. قال الله تعالى لأهل الكتاب: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ (النساء: ١٧١) اللهم إلا أن الصحابة كلهم مغفورون ومقبولون.

نص المؤلف هذا فيه رد على الخوارج والروافض. فالخوارج يتبرؤون من عثمان وعلي رضي الله عنهما، والروافض ينزلون بعض الصحابة منزلة الألوهية والنبوة ويعدونهم معصومين. ويغلون في ادعاء حب أهل البيت، ويبغضون معظم الصحابة رضي الله عنهم ، ويتبرؤون منهم.

روى الإمام الثعلبي في تفسيره بإسناده عن عامر بن شراحيل الشعبي أنه قال لمالك بن مغول: «فاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: من خير أهل ملّتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: حواريّو عيسى. وسئلت الرافضة: من شرّ أهل ملّتكم فقالوا: أصحاب محمّد، أمِروا بالاستغفار إليهم فسبّوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية ولا تثبت لهم قدم، ولا تجمع لهم كلمة، ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ بسفك دمائهم وتفريق شملهم، وإدحاض حجّتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلّة». (تفسير الثعلبي٩/ ٢٨٣، الحشر:١٠. وانظر: الصواعق المحرقة، لابن حجر الهيتمي ٢/ ٧١٤. وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٣)

ومن آذى الصحابة فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفت هذه الآية ذمًّا للروافض: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (الأحزاب: ٥٧)

فضائل الصحابة في ضوء القرآن الكريم:

أثنى الله تعالى في كثير من الآيات على الصحابة: الأنصار والمهاجرين رضي الله عنهم، ومن تبعهم. كما أثنت كثير من الأحاديث على الصحابة رضي الله عنهم، وجعل حبهم علامة على الإيمان، وبغضهم علامة على الكفر والنفاق. وفيما يلي بعض الآيات والأحاديث على سبيل المثال:

١- قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩)

٢- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)

والمراد مِن ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ جميع الصحابة في قولٍ إذْ هم السابقون إيمانًا والأولون زمانًا، والمراد مِن ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ التابعون ومَن يأتون إلى القيامة. أو المراد بـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ الذين آمنوا قبل تحويل القبلة، أو أهلُ البدر، أو أهلُ بيعة الرضوان، والمراد مِن ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ مَن آمنوا بعد بيعة الرضوان من الصحابة الكرام. ومعنى قوله تعالى: ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أي: بإخلاص. أو المعنى: يتبعونهم في القول والعمل الحسن، لا في أخطاءهم الاجتهادية. أو المعنى يتبعونهم بإحسان القول فيهم، ولا يتهمونهم كما يعيبهم الروافض والخوارج.

والرضا صفة قديمة لله تعالى، وإنما يخبر الله تعالى برضاه عمن يحقق موجبات الرضا ويموت عليه في علم الله تعالى، ثم لا يغضب عليه، قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «والرضى من الله صفة قديمة فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافقه على موجبات الرضى، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبدًا». (الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥٧٢)

٣- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ (الأنفال: ٧٢)

٤- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ (الأنفال: ٧٤)

٥- وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ (الحديد: ١٠)

هذه الآية الكريمة بشرت الأولين والآخرين من الصحابة بالجنة، وإن كان من المسلَّم الفرقُ بين مراتبهم. قال الإمام أبو الحسن الماتريدي في تفسير الآية: «أي: وعد اللهّ لكلا الفريقين: من أنفق قبل الفتح وبعده الجنة والثواب الحسن». (تأويلات أهل السنة ٩/ ٥١٩)

وقال الإمام الرازي: «أي: وكل واحد من الفريقين وعد الله بالحسنى، أي: المثوبة

الحسنى، وهي الجنة مع تفاوت الدرجات». (مفاتيح الغيب، الحديد: ١٠)

وقال العلامة القرطبي: «أي: المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعًا الجنة مع تفاوت الدرجات». (الجامع لأحكام القرآن، الحديد: ١٠. ومثله في روح المعاني)

قال ابن حجر الهيتمي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، والعلامة شمس الدين السخاوي، وشمس الدين السفاريني الحنبلي نقلًا عن ابن حزم: «وقال ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الحديد: ١٠) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١) فثبت أن جميعهم من أهل الجنة، وأنه لا يدخل أحد منهم النار، لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى، وهي الجنة».
(الصواعق المحرقة ٢/ ٦٠٨-٦٠٩. الاصابة ١/ ١٦٣. فتح المغيث٤/ ٩٧. لوامع الأنوار البهية ٢/ ٣٨٩)

٦- قسم الله تعالى جميع أهل الإيمان في سورة الحشر على ثلاث طبقات:

١- المهاجرين، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨)

٢-الأنصار، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩)

٣-المسلمين بعد المهاجرين والأنصار، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)

٧- وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)

واتفق المفسرون والمحدثون على أن الصحابة هم أول جماعة تثنى عليها هذه الآية.

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي تحت هذه الآية: «فأثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادل شهادة الله لهم بذلك، لأنه تعالى أعلم بعباده وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها؛ بل لا يعلم ذلك غيره تعالى، فإذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به وإلا كان مكذبا لله في إخباره، ولا شك أن من ارتاب في حقية شيء مما أخبر الله أو رسوله به كان كافرًا بإجماع المسلمين». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦٠٤، ط: الرسالة).

٨- وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)

واتفق المفسرون والمحدثون على أن الصحابة هم أول جماعة تثنى عليها هذه الآية.

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي تحت هذه الآية: «والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة، فانظر إلى كونه تعالى خلقهم عدولا وخيارًا ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة، وحينئذ فكيف يستشهد الله تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلا نحو ستة أنفس منهم كما زعمته الرافضة». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦٠٤، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان)

٩- وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ (التحريم: ٨)

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي تحت هذه الآية: «فآمنهم الله من خزيه، ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلا الذين ماتوا والله سبحانه ورسوله عنهم راض، فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان، وفي أن الله لم يزل راضيًا عنهم، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦٠٤-٦٠٥، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان)

١٠- وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (التوبة)

هذه الآية الكريمة تتعلق بغزوة حنين. ذكر الله تعالى أربعًا من فضائل الصحابة المشاركين في غزوة حنين:

١- أمدهم بالملائكة.

٢- أنزل عليهم السكينة.

٣- أمدهم بجيش من الغيب.

٤- قبل توبة من قصر فيها.

١١- وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ (الحجرات: ٧-٨)

فضائل الصحابة في ضوء الأحاديث:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٥٠. صحيح مسلم، رقم:٢٥٣٣)

أي: خير الناس قرني، أي: الصحابة، ثم القرن الذي يليه، ثم القرن الذي يليه.

أو المعنى: خير الناس قرني وهو الصحابة، ثم من تبعهم في الإيمان واليقين، أي: التابعين، ثم من تبعهم، أي: أتباع التابعين.

٢- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: «أكرموا أصحابي؛ فإنهم خياركم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». (مصنف عبد الرزاق، رقم:٢٠٧١٠. ومسند عبد بن حميد، رقم:٢٣. والأحاديث المختارة للمقدسي، رقم:١٥٥، وإسناده صحيح)

٣- وعن جابر بن عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على سائر الأمم». (الشريعة للآجري، رقم:١١٥٣. وكشف الأستار عن زوائد البزار، رقم:٢٧٦٣. وأصول السنة، لابن أبي زَمَنِين، رقم:١٩١. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، رقم:٢٣٢٤. وإسناده صحيح كما قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٣٠٥). وقال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف».(مجمع الزوائد ١٠/ ١٦)

٤- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». (صحيح مسلم، رقم:٢٥٣١)

٥- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم تُتِمُّون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله». (سنن الترمذي، رقم:٣٠٠١، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». وابن ماجه، رقم:٤٢٨٨. والمستدرك للحاكم، رقم:٦٩٨٧. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي)

٦- وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد من أصحابي يموت بأرض إلا بعث قائدًا ونورًا لهم يوم القيامة». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٦٥. وقال الترمذي: غريب وإرساله أصح).

٧- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٧٣. صحيح مسلم، رقم:٢٥٤٠)

المراد بأصحابي في «لا تسبوا أصحابي»: جميع الصحابة:

يقول الشيخ عبد الله الهرري: قول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا يخص موضعا بعينه، بأن خالد بن الوليد رضي الله عنه –الذي أسلم بعد صلح الحديبية– سبَّ عبد الرحمن بن عوف –وهو من السابقين الأولين–، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي». فلا يجوز سب السابقين الأولين من الصحابة، ويجوز سب من أسلم فيما بعد منهم. وإليك نصه: «هذا الحديث لا يريد به الرسول كل من لقيه مؤمنًا به، إنما يعني به السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم...، من ظن أن هذا الحديث عام في جميع أفراد الصحابة فهو جهل منه بالحقيقة التي أرادها رسول الله». (إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، لعبد الله الهرري، ص٤١٤-٤١٥)

أمور تخص الحديث المذكور:

١- لم يذكر معظم كتب الحديث (صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه، والسنن الكبرى للنسائي، وصحيح ابن حبان، ومسند أبي داود الطيالسي، ومسند ابن الجعد، ومسند أحمد، والمصنف لابن أبي شيبة، والطبراني في المعجم الأوسط والمعجم الصغير، والدعاء، والبيهقي في السنن الكبرى، والاعتقاد، وشعب الإيمان وغيرها) سبب ورود هذا الحديث مما يدل على أن الحكم عام. كما أن شارحي الحديث ذكروا في شرحه أنه لا يجوز الطعن والانتقاص من أحد من الصحابة.

٢- تذكر كتب الحديث والتاريخ أربع روايات في سبب ورود هذا الحديث. تذكر روايتان فقط أن خالد بن الوليد رضي الله عنه سبَّ عبد الرحمن بن عوف لسبب من الأسباب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك:

عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أحدًا من أصحابي...». (صحيح مسلم، رقم:٢٥٤١)

عن أبي هريرة قال: وقع بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد بعض ما يكون بين الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوا لي أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا لم يدرك مد أحدهم ولا نصيفه». (تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣٥/ ٢٦٨)

وتفيد الروايتان الأخريان توضيحًا أكثر، وهو أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها»:

عن أنس، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذُكِر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد ذهبًا، ما بلغتم أعمالهم». (مسند أحمد، رقم:١٣٨١٢، وإسناده صحيح)

عن الحسن قال: كان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد كلام، فقال خالد: لا تفخر عليَّ يا ابن عوف بأن سبقتني بيوم أو يومين، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك نصيفهم». (تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣٥/ ٢٧١، وهذا مرسل)

يتجلى في ضوء هاتين الروايتين أن النبي صلى الله عليه وسلم عَبَّرَ عن منع خالد الوليد من الفخر على عبد الرحمن بسبقه إلى الإسلام- عبَّر عنه بالسَّبِّ، وليس المراد في الحديث من السب معناه المعروف، وهو الشتم، والعيب، ونحوهما.

ويتجلى من خلال هذا الحديث كالشمس في رابعة النهار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يصبر على أدنى انتقاص من أحد أصحابه، فضلا عن أن يذمه أحد، أو يصفه بالظلم والبغي.

٣- سبب ورود هذا الحديث وإن كان خاصًا؛ ولكن حمله الشراح على العموم. ثم إذا كان لا يجوز نكير صحابي على صحابي آخر بسبب فضل جزئي، فما أعظم أن يسب غير الصحابي صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يصفه بالظلم والبغي، كما تقتضيه دلالة النص.

قال ابن حجر الهيتمي في شرح حديث: «لا تسبوا أصحابي...»: «الظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم...، ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم، أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر». (الصواعق المحرقة ١٣٥-١٣٦)

وقال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: «فيه إشعار بأن المراد بقوله أولًا «أصحابي» أصحاب مخصوصون، وإلا فالخطاب كان للصحابة، وقد قال:«لو أن أحدكم

أنفق»، وهذا كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ الآية. ومع ذلك فنهي بعض من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وخاطبه بذلك عن سب من سبقه يقتضي زجر من لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب الأولى». (فتح الباري ٧/ ٣٤)

وقال العلامة العيني: «الحديث لا يدل على أن المخاطب بذلك خالد، والخطاب للجماعة، ولا يبعد أن يكون الخطاب لغير الصحابة، كما قاله الكرماني، ويدخل فيه خالد أيضًا، لأنه ممن سب على تقدير أن يكون خالد إذ ذاك صحابيًّا، والدعوى بأنه كان من الصحابة الموجودين إذ ذاك بالاتفاق يحتاج إلى دليل، ولا يظهر ذلك إلا من التاريخ».(عمدة القاري ١٦/ ١٨٨)

وقال العلامة القسطلاني في شرح الحديث: «(لا تسبوا أصحابي) شامل لمن لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأوّلون، فسبهم حرام من محرمات الفواحش، ومذهب الجمهور أن من سبهم يعزر ولا يقتل، وقال بعض المالكية: يقتل».(إرشاد الساري ٦/ ٩٤)

وقال الملا علي القاري: «ويمكن أن يكون الخطاب للأمة الأعم من الصحابة حيث علم بنور النبوة أن مثل هذا يقع في أهل البدعة، فنهاهم بهذه السنة. وفي شرح مسلم: اعلم أن سب الصحابة حرام من أكبر الفواحش، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر، وقال بعض المالكية: يقتل. وقال القاضي عياض: سب أحدهم من الكبائر».(مرقاة المفاتيح ، باب مناقب الصحابة)

٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه. (سنن الترمذي، رقم:٣٨٦٢، وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن زياد).

٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا: لعنة الله على شركم». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٦٦، وقال الترمذي: هذا حديث منكر).

١٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحابا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة

والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل». (المستدرك للحاكم، رقم:٦٦٥٦، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. والمعجم الكبير للطبراني ١٧/ ١٤٠/ ٣٤٩).

١١- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا». (الشريعة للآجري، رقم:١٩٩٤. فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، رقم:٨. والسنة لأبي بكر الخلال، رقم:٨٣٣. وهو حديث حسن بمجمع طرقه)

أثنت الآيات والأحاديث المذكورة آنفا على الصحابة رضي الله عنهم، وبشرتهم برضوان الله تعالى والجنة، وأمرت باحترامهم والاقتداء بهم، وشددت الوعيد على سب أحد منهم، وجعلت حبهم علامة على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبغضهم علامة على بغض الرسول صلى الله عليه وسلم.

فضائل الصحابة في ضوء أقوال الصحابة والسلف الصالح:

كان السلف الصالح يعدون صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة كبرى، ولا يعدلونها بشيء. جيء عمر رضي الله عنه بأعرابي هجا الأنصار بسبب من الأسباب، وعلم عمر رضي الله عنه أنه من الصحابة، فلم يعاتبه عمر رضي الله عنه فضلا عن معاقبته نظرًا إلى صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

١- « إن عمر أتي بذلك الأعرابي يهجو الأنصار، فقال عمر: « لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفيتكموه، ولكن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم». (أخرجه ابن الجعد بإسناده في مسنده، رقم:٢٦٥٧. وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٠٥)

قال الحافظ ابن حجر: «رجال هذا الحديث ثقات، وقد توقف عمر رضي اللهّ عنه عن معاتبته فضلا عن معاقبته؛ لكونه علم أنه لقي النبي صلّى اللهّ عليه وسلم».(الإصابة ١/ ١٦٥)

قال العلامة السخاوي بعد سرد هذه الرواية: «في ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء». (فتح المغيث ٤/ ١٠٠، ط: مكتبة السنة مصر. ومثله في الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ٢/ ٦١٠، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان)

٢- قال ابن عمر: «لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فلمقام أحدهم – يعني مع رسول الله ﷺ – ساعة، خير من عمل أحدكم عمره». (سنن ابن ماجه، رقم:١٦٢. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، رقم:١٧٣٦. الشريعة للآجري، رقم:٢٠٠٠، وإسناده صحيح)

٣- وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرة: «لمشهد رجل منهم مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه، خير من عمل أحدكم عمره، ولو عمر عمر نوح». (سنن أبي داود، رقم: ٤٦٥٠، وإسناده صحيح)

٤- وعن عبد الله بن مسعود، قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ». (مسند أحمد، رقم: ٣٦٠٠. مسند البزار، رقم: ١٨١٦. ومسند أبي داود الطيالسي، رقم:٢٤٣. وإسناده حسن)

٥- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم». (جامع بيان العلم وفضله، رقم: ١٨١٠. وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٠٥ عن ابن عمر)

ساق الخطيب التبريزي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا في «مشكاة المصابيح» عن رزين بن معاوية العبدري، بلفظ: عن ابن مسعود قال: «من كان مستنًّا فليسن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم». (مشكاة المصابيح، رقم:١٩٣، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، الفصل الثالث)

٦- وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله وهو ينوه بمكانة الصحبة لرسول الله صلى الله عليه و سلم: لَغبار دخل أنف فرس معاوية خير من مئة عمر بن عبد العزيز.

«وقد سئل عبد الله بن المبارك عن معاوية وعمر بن عبد العزيز أيهما أفضل؟ فقال: الغبار الذي دخل أنف فرس معاوية أفضل عند الله من مئة عمر بن عبد العزيز». (روح المعاني، الجمعة:٣)

وفي «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتمي: «خير من عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة». (٢/ ٦١٣، ط: مؤسسة الرسالة. ومرقاة المفاتيح، كتاب الفتن)

ساق الإمام أبو بكر الآجري في «الشريعة» (رقم:١٩٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٧) قول عبد الله بن المبارك هذا بالإسناد.

ونسبتْ بعضُ الكتب هذا القول إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله؛

٧- «سئل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أيهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لغبار لحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وأماتنا على محبته». (شذرات الذهب ١/ ٢٧٠، ط: دار ابن كثير).

الغرض من هذا النص شرح مكانة الصحابة أن غير الصحابي لا يعدل الصحابي، كما يقال في المثل العام: فلان لا يعدل شسع نعل شيخ الهند محمود حسن الديوبندي، فالغرض من هذا الكلام بيان فضل شيخ الهند، لا مقابلة العالم بالشسع.

ومعنى آخر: غبار أنف فرس الصحابي كناية عن الفضيلة بلا واسطة، فالمعنى: ما يحظى به معاوية رضي الله عنه من الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لم ينله عمر بن عبد العزيز.

شرح الحافظ ابن حجر هذه الرواية في «الصواعق المحرقة»: «أشار بذلك إلى أن فضيلة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيته لا يعدلها شيء». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦١٣، ط: الرسالة)

وله مزيد شرح في «الفتاوى الحديثية»: «يُرِيد بذلك أن شرف الصُّحْبَة والرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحلول نظره الْكَرِيم لا يعادله عمل ولا يوازيه شرف». (الفتاوى الحديثية، ص٢١٨، ط: دار الفكر).

٨- سئل المعافى بن عمران – الذي قال فيه ابن سعد: «كان ثقة فاضلا خيرا، صاحب سنة».(الطبقات الكبرى ٧/ ٣٣٧)، وقال العلامة الذهبي فيه: «الحافظ الإمام، شيخ الإسلام، ياقوتة العلماء».(سيرأعلام النبلاء ٧/ ٥٢١)-: معاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز؟ فغضب، وقال: يوم من معاوية خير من عمر بن عبد العزيز. ثم قال للسائل: تجعل رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم كرجل من التابعين؟.

أخرج ابن عساكر بإسناده عن محمد بن عبد الله بن عمار، قال: سمعت المعافى بن عمران وسأله رجل وأنا حاضر: أيما أفضل معاوية بن أبي سفيان أو عمر بن عبد العزيز؟

فرأيته كأنه غضب وقال: «يوم من معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز. ثم التفت إليه، فقال: تجعل رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل رجل من التابعين». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢٠٨)

وفي رواية: غضب المعافى بن عمران غضبًا شديدًا، وقال: لا يعدل أحد بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاوية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصهره، وكاتبه، وأمينه على وحي الله تعالى.

أخرج ابن عساكر بإسناده عن رباح بن الجراح الموصلي قال: سمعت رجلا سأل المعافى بن عمران فقال: يا أبا مسعود أين عمر بن عبد العزيز من معاوية بن أبي سفيان؟ فغضب من ذلك غضبًا شديدًا، وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله عز وجل. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوا لي أصحابي وأصهاري، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢٠٨. البداية والنهاية ٨/ ١٣٩)

والأصهار: الأقارب بالزواج. أي: أقارب الزوجة، فيدخل فيهم معاوية، وأبو سفيان رضي الله عنهما.

٩- سئل عنه الفضل بن عيسى الواسطي-وهو الذي قال فيه الإمام أحمد: ثقة. وعده من كبار المحدثين.(تاريخ الإسلام للذهبي٤/ ١١٨١)، فعجب، وقال ثلاثا: أ يعدل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يره؟ أي: لا يعدل غير الصحابي- مهما بلغ من الصلاح والتقوى- صحابيًا.

أخرج ابن عساكر بإسناده عن عيسى بن خليفة الحذاء، قال: كان الفضل بن عنبسة جالسًا عندي في الحانوت فسئل معاوية أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فعجب من ذلك، وقال: «سبحان الله! أأجعل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن لم يره قالها ثلاثا». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢٠٨)

١٠- قال الإمام أحمد بن حنبل: «كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظرة. فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال

كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه وآمنوا به ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير». (فتح المغيث ٤/ ١٠٠، ط: مكتبة السنة منصر)

١١- قال العلامة الآلوسي: «وقد صرحوا أنه لا يبلغ تابعي وإن جل قدرًا في الفضل مرتبة صحابي وإن لم يكن من كبار الصحابة». (روح المعاني، الجمعة:٣)

١٢- يقول الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني رحمه الله(م: ١٠٠٧هـ): «يشترك الصحابة كلهم في صحبة خير البشر صلى الله عليه وسلم، وفضل الصحبة يفوق جميع الفضائل والكمالات، وعليه لا يبلغ أويس القرني وهو أفضل التابعين–مكانة أدنى الصحابة، فلا ولن يعدل فضلَ الصحبة شيء آخر؛ لأن إيمانهم صار شهوديا بفضل الصحبة ونزول الوحي، ولم يحظَ أحد بعد الصحابة بهذه الدرجة من الإيمان. والأعمال تترتب على الإيمان، وتكمل الأعمال كمال الإيمان. وما شجر بينهم يحمل على خير المصالح وأحسن الظنون. ولم يكن وراءه حرص وهوى وجهل. وإنما كان منشؤه الاجتهاد والعلم. فإن أخطأ أحد منهم في اجتهاده، فعند الله درجة للمخطئ، وهذا هو الطريق الوسط بين الإفراط والتفريط، اختاره أهل السنة والجماعة».(مكتوبات الإمام الرباني، الدفتر الأول١/ ١٣٤،رقم المكتوب:٥٩).

معنى الأقوال المذكورة أن ما ناله الصحابي من الفضل لرؤيته رسول الله صلى الله عليه و سلم، لا يعدله جميع فضائل من جاء بعدهم. «فضيلة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيته لا يعدلها شيء». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦١٣، ط: الرسالة)

وليس معنى أفضلية الصحابي أن ما عند من بعدهم من الأكابر والعلماء من العلم والعمل، و الرياضات والكرامات الكثيرة يفوقه ما عند عامة الصحابة.

قال الملا علي القاري: «الخلف قد يوجد فيهم الكمالات العلمية، والرياضات العملية، والحقائق الأنسية، والدقائق القدسية، وحالات من الكرامات، وخوارق العادات بحيث إنهم يكونون أفضل من بعض السلف ممن ليس له ذلك، كأعرابي رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – من بعد؛ فإنه لا يقال في حقه: إنه من جميع الوجوه أفضل من جميع الخلف من الأئمة المجتهدين، والمشايخ المعتبرين. وأما فضيلة نسبة الصحبة فلا ينكر مؤمن شرفها، فإنه بمنزلة الإكسير في عظم التأثير». (مرقاة المفاتيح، مقدمة المؤلف ١/ ٣٤)

ويجب حب الصحابة رضي الله عنهم عقلا أيضًا؛ فإنهم سعوا سعيهم حتى آخر نفس

من حياتهم لإعلاء كلمة الإسلام، وفارقوا أوطانهم حبًّا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وآووه، و عزروه، وقاتلوا معه أعداء الإسلام والمسلمين. فهؤلاء عباد الله المختارون، الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم.

قال أبو طاهر الباقلاني (م: ٤٨٩هـ): «يجب أن يحبّ الصحابة من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – كلهم، ونعلم أنهم خير الخلق بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم». (الاعتقاد القادري، ص ٢٤٨)

تفضيل الشيخ عبد الله الهرري غير الصحابي على الصحابي:

قال الشيخ عبد الله الهرري: من زعم أن كل فرد من الصحابة أفضل من غيره، فقد ولى القرآن والحديث وراء ظهره. فكأن الشيخ عبد الله الهرري اعتبر جميع أهل السنة والجماعة الذين يعتقدون أفضلية الصحابة على غيرهم – غير آخذين بالقرآن الكريم. وإليك نصه: «وأما ما زعم بعض الناس بأن كل فرد من أفراد الصحابة أفضل ممن جاء بعدهم على الإطلاق فهو منابذ للقرآن والحديث، لأن كثيرًا من التابعين ومن جاء بعدهم أتقى عند الله من بعض أفراد الصحابة». (إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٣٤)

وبناء على هذه الفكرة –القائلة بأن كثيرا من التابعين أفضل من بعض الصحابة– طعن في كثير من المواضع في معاوية، وعمرو بن العاص، وطلحة، والزبير، وعائشة رضي الله عنهم. وحاول التاكيد على أنهم عصاة فسقة. وقال في العلماء والفقهاء التابعين: ذكرهم بالسوء علامة على النفاق. قال: «فمن ذكرهم بسوء فقد عدل عن سبيل الموالات الدينية، وذلك من علامات النفاق والخذلان، وذلك لأنهم بصلاحهم صاروا أحباب الله، وقد ثبت عن رسول الله عن ربه أنه قال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب». (إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٣٨)

سبق أن قلنا في ضوء القرآن الكريم والحديث وأقوال السلف الصالح: إن الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل. وأما غير الصحابي فمهما بلغ من الصلاح والتقوى وكثرة الأعمال و المجاهدات، لا يصل إلى مكانة أدنى الصحابة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: إذا رأيتم الرجل يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاعلموا أن إسلامه على خطر.

أخرج ابن عساكر بإسناده عن عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران يقول: قال لي أحمد بن حنبل: «يا أبا الحسن! إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام».(تاريخ دمشق، لابن عساكر٥٩/ ٢٠٨. المخلصيات، لأبي طاهر المخلص (م:٣٩٣)، رقم:٢٦٠٤)

قال الإمام أحمد أيضًا: لا يعيب معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، بل أحدًا من الصحابة إلا من انطوى باطنه على الخبث.

أخرج ابن عساكر بإسناده عن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ قال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما ينقص أحد أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وله داخِلَةُ سَوء». (تاريخ دمشق، لابن عساكر٥٩/ ٢١٠. و السنة، لأبي بكر بن الخلال، رقم:٦٩٠. وانظر: البداية والنهاية ٨/ ١٣٩)

وذكر الشيخ الهرري أشياء أخرى لا أصل لها، وقد أجبنا عنها في «بدر الليالي شرح بدء الأمالي».

وصنف غير واحد من أهل العلم كتبا موجزة ومفصلة في شرح فضائل الصحابة ومكانتهم. للاستزادة يرجع إلى كتبهم.

أجمع أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة كلهم من غير استثناء:

قال الإمام القرطبي: «الصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة». (تفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٩، الفتح:٢٩)

وقال العلامة ابن عبد البر: «الصحابة كلهم عُدول مرضِيون ثقات أثبات، وهذا أمر مجتمع عليه عند أهل العلم بالحديث». (التمهيد ٢٢/ ٤٧)

وقال العلامة ابن عبد البر في مقدمة «الاستيعاب»: «ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عزَّوجل عليهم، وثناء رسوله عليه السلام، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه». (الاستيعاب في معرفة الأصحاب١/ ٢، مقدمة المؤلف. ومثله قال المقريزي في إمتاع الأسماع ٩/ ٢٢١، فصل في التنبيه على شرف مقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف

في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة». (الإصابة ١/ ١٣١، و١٦٢)

ثم ساق الحافظ ابن حجر عددا من الآيات في فضل الصحابة. وقال: ذكرت آيات وأحاديث كثيرة فضل الصحابة. ثم قال: «وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقينِ القطعَ على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم. هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتمد قوله». (الإصابة ١/ ٢٢، ثناء أهل العلم على الصحابة)

قال الحافظ ابن حجر في موضع آخر: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن». (الإصابة ١/ ٢٢، ثناء أهل العلم على الصحابة)

وقال بعد ذلك بصفحتين:«اعتقاد أهل السُّنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم، كما أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم إذ قال:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠. الإصابة ١/ ٢٤، عقيدة أهل السنة في تفضيل الصحابة)

وقال الإمام النووي: «والصحابة كلهم عُدول مطلقًا لظواهر الكتاب والسنة وإجماع من **يعتد به**». (مرقاة المفاتيح، باب مناقب الصحابة رضي الله عنهم)

وقال الإمام السيوطي: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به... وقالت المعتزلة: عدول إلا من قاتل عليا». (تدريب الراوي ٢/ ٦٧٤، ط: دار طيبة)

وقال الحافظ ابن الصلاح بمزيد من التوضيح: «للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة...، ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع؛ إحسانًا للظن بهم، ونظرًا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة». (مقدمة ابن الصلاح ص٢٩٤-٢٩٥)

وقال العلامة ابن حجر الهيتمي: «اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم، والثناء

عيلهم». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦٠٣، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان)

وقال الإمام الغزالي: «اعتاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم، كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيًّا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة». (إحياء علوم الدين ١/ ١١٥، ط: دار المعرفة، بيروت)

وقال الخطيب البغدادي: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن». (الكفاية في علم الرواية، ص٤٦، باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة)

تعريف العادل:

العادل: من يجتنب الكبائر، ويتوب منها إن صدرت، وأصبح كأنه لم يذنب بمقتضى «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

قال الإمام الشافعي: «من ترك الكبائر، وكانت محاسنه أكثر من مساوئه، فهو عدل». (الروض الباسم ١/ ٥٥، ط: دار عالم الفوائد. العواصم والقواصم لابن الوزير ١/ ٣٢٣،ط: مؤسسة الرسالة، بيروت)

وقال أبو يوسف: «من سلم أن تكون منه كبيرة من الكبائر التي أوعد الله تعالى عليها النار، وكانت محاسنه أكثر من مساوئه فهو عدل». (مختصر اختلاف العلماء، للطحاوي ٣/ ٣٣٣، ط: دار البشائر، بيروت)

إيراد على عدالة الصحابة ببعض الروايات والجواب عنها:

تفيد بعض الروايات أن بعض الصحابة صدرت منهم الكبائر، وماتوا قبل التوبة، فعُذِّبوا في قبورهم، أو أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم من أهل النار؛ «مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». (صحيح البخاري، رقم:٢١٨).

قال الحافظ ابن حجر: «الظاهر من مجموع طرقه أنهما كانا مسلمين».(فتح الباري١/ ٤٢٦)

كان على ثَقَل النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ يقال له كِرْكِرَة، فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هو في النار»، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلَّها.(صحيح البخاري، رقم:٣٠٧٤)

توفي رجل وترك دينارًا أو دينارين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كية» أو «كيتان». (مسند أحمد، رقم: ٢٢١٨٠)

كان رجل مع المسلمين في بعض الغزوات يقاتل بكل بسالة، فأثنى عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه من أهل النار». فجرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه. (صحيح البخاري، رقم:٢٨٩٨، باب لا يقال فلان شهيد)

واعلم أن الرجل اسمه قزمان، وهو معدود في المنافقين، وكان تخلف يوم أحد فعيَّره النِّساء، فخرج في الغزوة التالية. (عمدة القارى ١٤/ ١٨١، باب التحريض على الرمي). وفي هذا الرجل قول آخر.

هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث تفيد بأن بعض الصحابة قد ارتكبوا الكبائر، وماتوا قبل أن يتوبوا منها، فعذبوا في القبر، أو أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم من أهل النار. ومن ارتكب الكبيرة ولم يتب منها فهو فاسق. فلو تاب هؤلاء لكفرت ذنوبهم وفق «التائب من الذنب كمن لا ذنب له». ولا يعقل حملُ هذه القصص كلها على المنافقين؛ بل قال الشراح في حديث النميمة وقطرات البول: إن الراوي لم يصرح باسمه سترا عليهم، فلو كان منافقًا أو متهما بالنفاق، لم يحتج إلى الستر عليه.

الجواب:

أحسن الأجوبة عن ذلك أن مرتكبي هذه الذنوب أتوها ظنًّا منهم أن هذه الكبائر صغائر باجتهاد منهم، وظنوا أن رشاشات البول بالقدر الذي يعفى عنه، كما لو ظهر الدم من جسد أحد بلسع البعوضة. ونص الحديث على «وما يعذبان في كبير» يؤيد أن هذين لم يكونا يظنان هذه الذنوب من الكبائر.

ولم يأتوا النميمة – وهي نقل الحديث بقصد خبيث- بسوء نية؛ بل بقصد الإصلاح ولمصلحة، ونقلوا الصدق. فمثلا: يقول قائل لزيد: يقول خالد: إنك على تواطؤٍ مع الوكالات غير المسلمة، وتضر المسلمين. وإنما نقل كلام خالد إلى زيد ليتفاداه إن كان فيه، ويصلح نفسه.

والذي أخذ من الغنمية، أداه اجتهاده إلى أن الغنيمة مال مشترك، وله أن يأخذ لنفسه

منها شيئا.

والذي جمع بعض الدنانير، ظن أنه لا بأس في جمع الحلال من الكسب.

والذي قتل نفسه للجروح إن كان صحابيًّا، فإنه قصد التخلص من المصائب، والاستعجال إلى الآخرة.

فهذا اجتهاد من هؤلاء حيث ظنوا الكبائر صغائر، فكان برزخًا بين الصغيرة والكبيرة، فهي صغيرة اجتهادًا، وكبيرة في الواقع، فعذبوا في البرزخ، فعوقبوا على ذنب البرزخ في البرزخ، ولم ينل ذلك من عدالتهم.

والبرزخ متصل بالدنيا من ناحية؛ لأن العقوبة في البرزخ كضرب الحد في الدنيا، وطهارته من الذنوب به. فاعلم أن البرزخ كالدنيا؛ لأن البرزخ يصل فيه الثواب إلى الموتى إن أهدي إليهم. ويفدى عن صلاتهم وصيامهم، ويحج عنهم، فهؤلاء الصحابة تطهروا للآخرة بعد عقوبة استمرت مدة قصيرة. ولم ينل ذلك من عدالتهم لأنهم أخطؤوا في اجتهادهم.

وقد يُحمل قوله: «إنه من أهل النار» أن هذه الأعمال سبب العقوبة والعذاب، أو المعنى: إذا لم يغفر الله تعالى لهم، كانت هذه الأعمال سببًا للعقوبة. قال العلامة القسطلاني: «هو في النار» على معصيته إن لم يعف الله عنه».(إرشاد الساري ٥/ ١٨٢). وقال الحافظ ابن حجر: «ويحتمل أن يكون المراد أنها سبب لعذاب النار». (فتح الباري ٧/ ٤٨٩)

إيراد:

ثمة إيراد آخر، وهو أن الخطأ الاجتهادي لصاحبه أجر واحد. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».(صحيح البخاري، رقم:٧٣٥٢) فما معنى العقوبة؟

الجواب:

الاجتهاد إذا كان في محله كان فيه أجر، وإن كان في غير محله لم يؤجر عليه صاحبه. قال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق: صلوا العصر في بني قريظة. فصلى بعض الصحابة في الطريق قبل أن تفوتهم. ولم يصلِ بعضهم حتى وصلوا إلى بني قريظة وقد خرج

وقت الصلاة، عملا بظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم واحدا منهم؛ لأنه لم يسعه السؤال عنه وقتئذٍ.

ونظيره أن يونس عليه السلام فارق قومه وهاجر من غير إذن صريح من الله تعالى بذلك باجتهاد منه. فكان خطأ اجتهاديا. وبسبب اجتهاده من غير انتظار الوحي، جعل بطن السمك سجنًا له لأيام عدة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝١٤١ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝١٤٢ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥﴾ (الصافات) أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بوجه الأرض، أي: بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يومًا. (تفسير جلالين)

نظير ثانٍ له أن النبي صلى الله عليه وسلم لدوه في مرضه، فمنع عنه، فقالوا: منعه يرجع إلى كراهية المريض الدواء طبعًا، واستحسنوا لدَّه، فهذا الاجتهاد كان بحضرة النبي صلى الله عليه و سلم ، وفي غير محله، فلم يبق أحد إلا لُدَّ إلا العباس. قالت عائشة: لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا: «أن لا تلدوني» فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «ألم أنهكم أن تلدوني»، قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: «لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم». (صحيح البخاري، رقم:٤٤٥٨)

فهذا أيضًا من صور الاجتهاد في غير محله، فترتب عليه العقوبة.

إيراد:

تفيد رواية عن عثمان رضي الله عنه أن من عذب في قبره عذب في آخرته. «كان عثمان، إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه». (سنن الترمذي، رقم:٢٣٠٨)

الجواب:

من عذب في قبره لا يلزم أن يعذب في الآخرة أيضًا؛ بل كثير من الناس يدخلون الجنة بعد عذاب القبر. قال العلامة ابن القيم في «زاد المعاد»: بعض الذنوب مكفرة بالتوبة

النصوح، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد موتهم، وبالامتحان في البرزخ وفي موقف القيامة، وبشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة. (إعلام الموقعين ٢/ ٢١٨)

قال الشيخ عبد المحسن العباد في شرح سنن أبي داود: «وأما في حق العصاة فلا يقال: إنه دائم، فقد يمكن أن يحصل للإنسان نصيبه من العذاب في القبر وبعد ذلك يسلم، ولهذا فإن من مكفرات الذنوب ومن الأشياء التي يحصل بها التخلص من عذاب جهنم: عذاب القبر، فالإنسان يعذب في قبره فيكون ذلك هو نصيبه من العذاب، ثم بعد ذلك يدخل الجنة». (شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد، باب انقطاع عذب القبر ودوامه)

١- ومعنى كلام عثمان رضي الله عنه: إن لم يقع عذاب القبر كفارة للذنوب لكثرتها وشدتها، فإنه يعذب في الآخرة. قال الملا علي القاري: «وإن لم يتخلص من عذاب القبر ولم يكفر ذنوبه به وبقي عليه شيء مما يستحق العذاب به (فما بعده أشد منه): لأن النار أشد العذاب والقبر حفرة من حفر النيران». (مرقاة المفاتيح ١/ ٢٠٨، باب إثبات عذاب القبر)

٢- أو المعنى: من فشل في الإجابة عن أسئلة المنكر والنكير، فقد فشل في الآخرة أيضًا. فمن قال: ها ها لا أدري، فقد فشل في الآخرة أيضًا.

٣- من ابتلي بعذاب القبر لكفره ونفاقه، عذب في الآخرة أيضًا.

طعن الشيخ عبد الله الهرري في بعض الصحابة:

قال الشيخ عبد الله الهرري في «إظهار العقيدة السنية»، و«الدرة البهية شرح العقيدة الطحاوية» وهو يذهب إلى خلاف ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من العقيدة-: يذكر الصحابة بالخير بالجملة، ويجوز الطعن في أفرادهم. «وأما قوله: «ولانذكرهم إلا بخير» فمعناه أنه في الإجمال لا نذكرهم إلا بخير، وأما عند التفصيل فنذكر الأفراد على حسب صفاتهم للمقصد الشرعي، فليس معنى هذا الكلام أنه لا ينتقد أحد منهم، لا بل من ثبت عليه شيء ينتقد عليه». (إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٣٠)

وقال في «المقالات السنية» تحت حديث: «الله الله في أصحابي...»: «ليس معنى النهي عن سبهم – أي الصحابة- إلا ما يكون على وجه الجملة. فالسب الجمليُّ هو المنهي عنه، أما

بيان حال بعض منهم بما فيه من ذم له لغرض شرعي فليس داخلا تحت النهي». (المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية ١/ ٣٤٦)

ثم ساق الشيخ الهرري عددا من الأحاديث تأييدا لرأيه:

١- عبد الرحمن ابن عبد رب الكعبة قال لعبد الله بن عمرو: «إن ابن عمك معاوية يأمرنا بأن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا» فقال له عبد الله بن عمرو: «أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله». فلم يقل له عبد الله بن عمرو: كيف تذكره بغير المدح.

٢- أنه صلى الله عليه وسلم قال عن بعض من كان معه من الصحابة في الغزو: «هو في النار». رواه البخاري، لأنه غل شملة من الغنيمة، أي: أخذها سرقة.

ثم قال الشيخ الهرري: لو لم يجز الطعن في الصحابة لما ساق المحدثون هذه الأحاديث في كتبهم:

٣- «لا أشبع الله بطنه» في معاوية. رواه مسلم.

٤- قال صلى الله عليه وسلم لفاطمة بن قيس حين استشارته في أبي جهم ومعاوية، وكانا أراد كل منهما أن يتزوجها: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه» أي: ضرّاب النساء، «وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة». وفي العادة الجارية بين الناس لا يحب الشخص أن يذكر بأنه ضرَّاب للنساء.

قلت: هذا الحديث يشرح طبيعة هذين الصحابيين وحالهما، ولا ينسب إليهما ذنبا، فالاستدلال بهذا الحديث في غير وجهه.

قال الشيخ الهرري: هذه الأحاديث تدل على أن لابد من التنبيه على ما صدر من بعض الصحابة من الخروج المخالف للشرع على علي رضي الله عنه، كي يجتنبه الآخرون. ولا يظن أحد أنه لا بأس بصدور مثل ذلك عن الصحابة.

ثم استدل الشيخ الهرري بحديث: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية»، على أن ذم الصحابة الذين خرجوا على علي رضي الله عنه، ووصفهم بالبغي والدعوة إلى النار ليس من انتقاص الصحابة وشتمهم وسبهم.

وقال بعد سرد هذا الحديث:

٥- ثم ورد ما هو أقوى من هذا ما رواه الحافظ مسدد بن مسرهد شيخ البخاري عن

علي رضي الله عنه في «مسنده» أنه قال: «إن بني أمية يقاتلونني يزعمون أني قتلت عثمان وكذبوا إنما يريدون الملك...».

٦- ومثله نقل الحافظ ابن جرير عن عمار بن ياسر أن معاوية وجماعته من بني أمية استحلوا الدنيا بحجة الطلب بدم عثمان.

قال الشيخ الهرري بعد سرد هذا الحديث: معنى الطعن الممنوع في الصحابة أن يُذَم كلهم، وليس ذم بعضهم طعنا في الصحابة؛ «فكلام سيدنا علي وكلام سيدنا عمار رضي الله عنهما ذم لمعاوية ومن تابعه من بني أمية، وهذا لا يعد طعنا في الصحابة، إنما الطعن في الصحابة أن يُذكروا جملة بسوء». (إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٣٤)

وسبق أن قلنا: أجمع أهل السنة والجماعة على الاعتقاد بعدالة الصحابة كلهم دون استثناء. وأما معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فمن أجلة الصحابة الذين لايخفى مكانتهم على أحد. وليتَّهم دين من يطعن في أدنى الصحابة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: إذا رأيت الرجل يذكر صحابيًّا بالسوء فاعلم أن إسلامه في خطر. عن عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران يقول: قال لي أحمد بن حنبل: «يا أبا الحسن! إذا رأيت رجلا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٩/٢٠٨. المخلصيات، لأبي طاهر المخلص (م:٣٩٣)، رقم:٢٦٠٤)

قال الإمام أحمد رحمه الله أيضًا: لايعيب معاوية وعمرو بن العاص؛ بل أحدًا من الصحابة إلا من كان فاسد الطوية. عن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ قال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما ينقص أحد أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وله داخِلَةُ سَوء». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٩/ ٢١٠. و السنة لأبي بكر بن الخلال، رقم:٦٩٠. وانظر: البداية والنهاية ٨/ ١٣٩)

وقال العلامة التفتازاني: «وبالجملة فلم يقصدوا إلا الخير والصلاح في الدين. وأما اليوم فلا معنى لبسط اللسان فيهم إلا التهاون بنقلة الدين، الباذلين أنفسهم وأموالهم في نصرته، المكرمين بصحبة خير البشر ومحبته». (شرح المقاصد ٥/ ٣١٠، ط: عالم الكتب ،بيروت)

وقال بدر الدين الزركشي في «تشنيف المسامع»: «ونمسك عما جرى بين الصحابة

ونرى الكل مأجورين. هذا قول المحتاطين من أهل السنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم مدحهم وشهد لهم، ومن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم مقطوع بسلامته في عاقبته». (تشنيف المسامع بجمع الجوامع ٤/ ٢٥٥، ط: مكتبة قرطبة)

ثم ساق العلامة الزركشي بعد ذلك بأسطر ما جاء في الصحيحين من قصة حاطب بن أبي بلتعة، وقال: «قال بعض الأئمة: كفى بهذا الحديث معظمًا شأن الصحابة، وكافا كل لسان عن القول، ومانعا كل قلب عن التهمة، وباعثا على ذكر محاسنهم، وأن الحامل لهم على تلك الوقائع إنما هو أمر الدين». (تشنيف المسامع بجمع الجوامع ٤/ ٢٥٥، ط: مكتبة قرطبة)

وقال ابن دقيق العيد في عقيدته: «وما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا فيه فمنه ما هو باطل وكذب فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحًا أوَّلناه على أحسن التأويلات، وطلبنا له أجود المخارج؛ لأن الثناء عليهم من الله سابق، وما نقل محتمل للتأويل، والمشكوك لا يبطل المعلوم، وقال غيره وقد ذكر الفتن بينهم: وهي بالنسبة إلى فضائلهم كقطرة كدرة في بحر صاف». (تشنيف المسامع بجمع الجوامع ٤/ ٢٥٥، ط: مكتبة قرطبة)

وقال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم». (مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٥، ط: مجمع الملك فهد)

يحرم الانتقاص من صحابي ولعنه وسبه:

يحرم الانتقاص من صحابي ولعنه وسبه، واللاعن أو الساب يستحق التعزير، ولعن الصحابة كلهم أو ذكرهم بالسوء واستحلاله كفر.

حكى العلامة ابن عابدين الشامي عن الملا علي القاري: «من سب أحدًا من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد أنه مباح، أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة، أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع». (تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام، أو

أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام، لابن عابدين الشامي، ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين ١/ ٣٧٦)

وقال العلامة ابن حجر الهيثمي: «لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا مما وقع بينهم يستدل به على بعض نقص من وقع له ذلك، والطعن في ولايته الصحيحة، أو ليغري العوام على سبهم وثلبهم، ونحو ذلك من المفاسد، ولم يقع ذلك إلا للمبتدعة وبعض جهلة النقلة الذين ينقلون كلما رأوه ويتركونه على ظاهره غير طاعنين في سنده ولا مشيرين لتأويله، وهذا شديد التحريم لما فيه من الفساد العظيم، وهو إغراء للعامة ومن في حكمهم على تنقيص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يقم الدين إلا بنقلهم إلينا كتاب الله وما سمعوه وشاهدوه من نبيِّه من سننه الغراء الواضحة البيضاء». (تطهير الجنان واللسان، لابن حجر الهيتمي، ص١١١، ط: دار الصحابة للتراث بطنطا)

وقال ابن حجر الهيتمي في شرح حديث «لا تسبوا أصحابي...»: «الظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم...، ثم الكلام إنما هو في سب بعضهم، أما سب جميعهم فلا شك أنه كفر، وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابي، لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافًا به صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول الطحاوي «بغضهم كفر» فبغض الصحابة كلهم وبغض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر، وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر فليس بكفر». (الصواعق المحرقة ١٣٥-١٣٦).

وقال القاضي أبو يعلى: «الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة: إن كان مستحلاً لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر، سواء كفرهم أو طعن في دينهم مع إسلامهم». (الصارم المسلول، ص٥٦٩)

وقال العلامة الآلوسي رحمه الله: «حرمة سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مما لا ينبغي أن ينتطح فيه كبشان، أو يتنازع فيه اثنان. وأطلق غير واحد القول بكفر مرتكب ذلك لما فيه من إنكار ما قام الإجماع عليه – قبل ظهور المخالف – من فضلهم وشرفهم، ومصادمة المتواتر من الكتاب والسنة القائلين على أن لهم الزلفى من ربهم». (الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية، ص٤٨، مطبعة الحميدية بغداد)

وقال العلامة السبكي: «المنقول عن أحمد في سب الصحابي أنه قال: أنا أجبن عن قتله، ولكن ينكل نكالًا شديدًا». (فتاوى السبكي ٢/ ٥٩٠)

وقال الإمام مالك: «من شتم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو

عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فأما إن قال: إنهم كانوا على ضلال وكفر فإنه يقتل، ولو شتمهم بغير ذلك من مشاتمة الناس فلينكل نكالًا شديدًا». (النوادر والزيادات للقيرواني (م:٣٨٦) ١٤/ ٥٣١، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت)

وقال العلامة التفتازاني: «اتفق أهل الحق على وجوب تعظيم الصحابة، والكف عن الطعن فيهم...، وكثير مما حكي عنهم افتراءات، وما صح فله محامل وتأويلات». (شرح المقاصد ٥/ ٣٠٣)

وقال الشيخ العثيمين: «سب الصحابة على ثلاثة أقسام: الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار أو فساق. الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح ففي كفره قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال. الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم، كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يُعَزَّر بما يردعه عن ذلك». (تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد، للعثيمين، ص١٥٢. مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٥/ ٨٤)

من سب الصحابة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين:

عن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار بي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل». (المستدرك، رقم:٦٦٥٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي)

هذا الحديث دلَّ على أن الله تعالى اختار الصحابة لصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالطعن في الصحابة رضي الله عنهم يستلزم الطعن في الله تعالى (والعياذ بالله منه) والطاعن فيهم يستحق لعنة الله والملائكة المعصومين، والناس أجمعين. وقانا الله تعالى شرَّ ذلك.

حكم من يكفر جمهور الصحابة رضي الله عنهم:

إن من يكفر جمهور الصحابة لا يشك في كفره لتكذيبه الوحي، وإنكاره ما علم من الدين بالضرورة. حكى العلامة ابن عابدين الشامي عن الملا علي القاري: «من سب أحدًا

من الصحابة فهو فاسق ومبتدع بالإجماع، إلا إذا اعتقد أنه مباح، أو يترتب عليه ثواب كما عليه بعض الشيعة، أو اعتقد كفر الصحابة فإنه كافر بالإجماع». (تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام، أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام، لابن عابدين الشامي، ضمن مجموعة رسائل ابن عابدين ١/ ٣٧٦).

وقال الدسوقي: «وأما من كفر جميع الصحابة فإنه يكفر كما في الشامل؛ لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة وكذب الله ورسوله». (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤/ ٣١٢، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، ط: دار الفكر. ومثله في بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، ط: دار المعارف).

وقال ابن جزي: «لا خلاف في تكفير من نفى الربوبية أو الوحدانية ...، أو كفر جميع الصحابة رضي الله عنهم». (القوانين الفقهية، لأبي القاسم، محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي، ص ٢٣٩).

وقال الإمام النووي: «وكذا يقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة». (روضة الطالبين وعمدة المفتين ١٠/ ٧٠، ط: المكتب الإسلامي، بيروت. ومثله في نيل الأوطار، للشوكاني ٧/ ١٩٧. والإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لشرف الدين المقدسي ٤/ ٢٩٨، ط: دار المعرفة، بيروت).

وقال الإمام النووي في شرح مسلم: «كفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر عليًا؛ لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم. وهؤلاء أسخف مذهبًا وأفسد عقلًا من أن يرد قولهم أو يناظر. وقال القاضي: ولا شك في كفر من قال هذا؛ لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام». (شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/ ١٧٤، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت).

وقال الإمام السبكي: «وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولًا يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة». (فتاوى السبكي ٢/ ٥٧٧، ط: دار المعارف).

وقال السبكي في موضع آخر: «احتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم لأعلام الصحابة رضي الله عنهم وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في قطعه لهم بالجنة. وهذا عندي احتجاج صحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك». (فتاوى السبكي ٢/ ٥٦٩).

وفي كشاف القناع: «(أو) قال قولا يتوصل به إلى (تكفير الصحابة) أي بغير تأويل (فهو كافر) لأنه مكذب للرسول صلى الله عليه وسلم». (كشاف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي الحنبلي ٦/ ١٧٠، ط: دار الكتب العلمية. ومثله في مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد الدمشقي الحنبلي ٦/ ٢٨١، ط: المكتب الإسلامي).

وفي شرح منتهى الإرادات: «(وعنه) أي: الإمام أحمد أن الذين كفروا أهل الحق والصحابة واستحلوا دماء المسلمين بتأويل أو غيره (كفار) قال (المنقح وهو أظهر). انتهى. وقال في الإنصاف: وهو الصواب، والذي ندين لله به». (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، للبهوتي الحنبلي ٣/ ٣٩٣، ط: عالم الكتب. ومثله في مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد، الرحيباني الدمشقي الحنبلي ٦/ ٢٧٣، ط: المكتب الإسلامي).

وقال العلامة ابن تيمية: «من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضًا في كفره فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق». (الصارم المسلول على شاتم الرسول ١/ ٥٨٦-٥٨٧، ط: الحرس الوطني السعودي).

وقال العلامة محمد أنور شاه الكشميري: «قال صاحب «الشفاء» فيه: وكذا القطع بكفر كل من قال قولًا يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة، وحكاه صاحب «الروضة» في كتاب الردة عنه وأقره». (إكفار الملحدين، ص٢٦).

حكم من يكفر أبا بكر الصديق أو عمر الفاروق رضي الله عنهما:

وأما حكم تكفير الشيخين فقال الإمام أبو إسحاق الشيرازي: «اتفق أصحاب المذاهب الأربعة في كفر من سب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما». (تكملة المجموع شرح المهذب ٢٤/ ٢٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وقال ابن حجر الهيتمي: «سب أبا بكر كفر عند الحنفية، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر، نعم قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر وإن كفر كفر». (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ١/ ١٤٧، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان).

وقال أيضًا: «وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي والذي أراه الكفر فيها قطعًا». (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ١/ ١٤٦، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان. ومثله في فتاوى السبكي ٢/ ٥٨٩).

وقال عبد القاهر البغدادي: «وقالوا بتكفير كل من أكفر واحدا من العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله صلى الله عليه

وسلم، واكفروا من أكفرهن أو أكفر بعضهن».(الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لأبي منصور عبد القاهر البغدادي، ص٣٥٣، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت).

و في الإعلام بقواطع الإسلام: «لو أنكر كون أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه صحابيًّا كان كافرًا، نص عليه الشافعي رضي الله عنه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِذْ يَـقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ (التوبة: ٤٠). (الإعلام بقواطع الإسلام، لابن حجر الهيتمي الشافعي، ص١٧٤،ط: دار المنهاج، نقله المصنف عن الخوارزمي).

وقال في موضع آخر: «ويؤخذ من قول «الروضة»: «وكذا يقطع بتكفير كل قائل قولًا يتوصل به إلى تضليل الأمة، أو تكفير الصحابة» ردُّ ما وقع في «الأمالي» المنسوبة إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام من «أنَّ من كفَّر أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا رضي الله تعالى عنهم لا يكفرُ، وإن كان إسلامهم معلومًا بالضرورة؛ لأن جاحد الضرورة لا يكفر على الإطلاق، وإلا لكفرنا من جحد بغداد» انتهى.

ووجهُ ردِّه أن تكفير هؤلاء الأئمة يستلزم تضليل الأمة، وربما يستلزم أيضًا إنكار صحبة أبي بكر، وقد مرَّ أن إنكارها كفر، فزعْم كُفرِه رضي الله عنه يكون كفرًا بالأولى، ومن ثم قال الزركشي: «والظاهر أن هذا مكذوب به على الشيخ» انتهى. (الإعلام بقواطع الإسلام، لابن حجر الهيتمي الشافعي، ص٢٤٤-٢٤٥،ط: دار المنهاج، نقله المصنف عن الخوارزمي).

غرض الروافض والزنادقة من الطعن في الصحابة:

اعلم جيدا أن عدم جواز الطعن في الصحابة لا يعني عدم جواز مخالفة اجتهادهم أو دليلهم؛ فإنه أمر مستمر، وإنما معنى حرمة الطعن فيهم أن نعد بعض الصحابة مرتكبي الكبائر، ونعتقد أنهم خرجوا من الدنيا بغير توبة، ونجرح عدالتهم، ونتهمهم بالخيانة، وحبِّ الحكومة، والنَّصْبِ، وغيرها من المعائب. ويحمل الشيخ الهرري وبعض القيادات الباكستانية أمثال هذه الأوهام الباطلة في خصوص الصحابة رضي الله عنهم.

وسبق أن قلنا: مخالفة اجتهاد صحابي أو رأيه ليس مذمومًا، وما أكثر الأمثلة على ذلك في كتب الحديث والفقه. فمن الصحابة من قدم خطبة العيد على الصلاة، وخالفهم الأئمة الأربعة. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول بإعلان «الصلاة في الرحال» بعد «حي على الصلاة وحي على الفلاح» وقت الأمطار. ولم يأخذ به من جاء بعده. وأما عيب الصحابة

والانتقاص منهم، والاستخفاف بهم، والتشنيع عليهم وإطلاق الكلمات المهينة في حقهم، فلا يجوز، وينافي روح القرآن والسنة النبوية. والنقد هو تمييز الجيد من الرديء، والصحابة كلهم أجياد. عزل عمر رضي الله عنه عمير بن سعد وولى مكانه معاوية رضي الله عنه، فقال بعض الناس في معاوية ما قالوا، فقال عمير بن سعد: حذارِ أن يعيب الناس معاوية، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم اهد به». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٤٣، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه)

وأقدم بعض المصنفين على الانتقاص من بعض الصحابة وخاصة معاوية رضي الله عنهم، كنا نود تقديم الأمثلة على ذلك لولا مخافة الطول. وليرجع القارئ إلى كتاب "*حضرت معاويه رضی اللہ عنہ کے ناقدین*" «الطاعنون في معاوية رضي الله عنه» لصاحبه القاضي/ محمد طاهر علي الهاشمي.

وساهم في أمثال هذه الطعون بعض المخلصين من العلماء اعتمادًا على بعض كتب التاريخ الجامعة للغث والسَّمين.

يتوخى الروافض والزنادقة من خلال الطعن في الصحابة نقض عروة الإسلام، وهدم أساسه. حكى الخطيب البغدادي عن الإمام أبي داود السجستاني أنه قال: «لما جاء الرشيد بشاكر رأس الزنادقة ليضرب عنقه قال: أخبرني، لم تعلمون المتعلم منكم أول ما تعلمونه الرفض والقدر؟ قال: أما قولنا بالرفض فإنا نريد الطعن على الناقلة، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول، وأما قولنا بالقدر فإنا نريد أن نجوز إخراج بعض أفعال العباد لإثبات قدر الله، فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل». (تاريخ بغداده/ ٦٦. البداية والنهاية ٨١٣٩)

وقال أبو توبة الحلبي: «معاوية ستر لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ٢٠٩. البداية والنهاية ٨/ ١٣٩)

وقال أبو زرعة: « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة». (العواصم من القواصم، للأشبيلي، ص٣٤. الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص٤٩. تهذيب الكمال ١٩/ ٩٦)

ظاهرة الطعن في معاوية رضي الله عنه وبعض الصحابة غيره تقوم –في الغالب– على الروايات التاريخية. ومن الحقائق المسلمة أن المؤرخين مهما ألفوا من الكتب الضخمة لا نقدر على جرح الصحابة من خلال هذه الكتب التاريخية، فمعاوية رضي الله عنه أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي، يروي أكثر من مئة حديث، ومن أجلة الصحابة رضي الله عنهم. ويبلغ أدنى الصحابة مكانةً لايهزها ولايجرحها آلاف من الطبري وملايين من الكلبي والواقدي. فالروايات التاريخية بمثابة ميزان لوزن الأخشاب، والصحابة ذهب ويواقيت، فإن ربع كيلو من الذهب إذا وزنته في ميزان الأخشاب لم يقم له وزن. وكفى الميزان الذهبي من الكتاب والسنة لوزن الذهب و اليواقيت.

وقد أضفى الله تعالى عليهم في سورة التوبة بالجائزة الملكية المتمثلة في قوله:﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠) وقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٧٤) يشهد بإيمانهم قطعا، وبمغفرتهم ووعدهم بالرزق الكريم في الجنة.

الجواب عن استدلالات الشيخ الهرري بجواز الطعن في الصحابة:

اتهام معاوية رضي الله عنه بقتل النفس وأكل المال بالباطل:

روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه حدث ذات مرة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر». فقال عبد الرحمن بن رب الكعبة: «هذا ابن عمك معاوية، يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا». (صحيح مسلم، رقم:١٨٤٤)

الجواب:

هذا الحديث محمول على الزمان الذي كان فيه النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في الثأر لعثمان رضي الله عنه قائمًا. وكان يرى عبد الرحمن بن رب الكعبة أن معاوية معارض لعلي في مسألة الخلافة، فعبر عن إنفاق معاوية المال على جيشه وأتباعه بأكل المال بالباطل؛

وعن نزاعه وقتاله بقتل النفس. وهذا اجتهاد من عبد الرحمن؛ فإن نزاعه انحصر في الثأر لعثمان رضي الله عنه، لا في الخلافة. قال الإمام النووي في شرح مسلم: «المقصود بهذا الكلام أن هذا القائل لما سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر الحديث في تحريم منازعة الخليفة الأول وأن الثاني يقتل فاعتقد هذا القائل هذا الوصف في معاوية لمنازعته عليًّا رضي الله عنه، وكانت قد سبقت بيعة علي، فرأى هذا أن نفقة معاوية على أجناده وأتباعه في حرب علي ومنازعته ومقاتلته إياه من أكل المال بالباطل ومن قتل النفس، لأنه قتال بغير حق فلا يستحق أحد مالا في مقاتلته». (شرح النووي على مسلم١٢/ ٢٣٤)

واستدل الشيخ عبد الله الهرري على الطعن في بعض الصحابة بالأحاديث التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها: «هو في النار» بسبب صدور المعاصي من بعض الصحابة.

وقد أجبنا عنه قبل هذا بصفحات.

اتهام معاوية رضي الله عنه بكثرة الأكل، وتحقيقه:

استدل بعضهم بما روى مسلم في «صحيحه» أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على معاوية بأن لا يشبع الله بطنه. وهي صفة قبح في الأخلاق.

عن أبي حمزة القصاب، عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف باب، قال فجاء فحطأني حطأة، وقال: «اذهب وادع لي معاوية»، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: «اذهب فادع لي معاوية»، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه». (صحيح مسلم، رقم:٢٦٠٤)

الجواب:

ثمة أمور تجدر بالملاحظة في هذا الحديث:

١- لم نجد هذه القصة في كتب الحديث والتاريخ إلا عن أبي حمزة، ولم يروِ الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي حمزة إلا هذا الحديث. قال النووي:«وليس له عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث... فله في مسلم هذا الحديث وحده، لا ذكر له في البخاري». (شرح النووي على مسلم ١٦/ ١٥٥)

وقال العقيلي في «الضعفاء الكبير» في أبي حمزة القصاب: «عن ابن عباس لا يتابع على

حديثه، ولا يعرف إلا به». (الضعفاء الكبير ٣/ ٢٩٩)

وساق البلاذري في «أنساب الأشراف» في ترجمة معاوية رضي الله عنه قول أبي حمزة القصاب هذا، فقال: «قال أبو حمزة: فكان معاوية بعد ذلك لا يشبع». (أنساب الأشراف٥/ ١٢٦) فعلم منه أن زيادة «لا أشبع الله بطنه» من قبل أبي حمزة.

٢- اسم أبي حمزة: عمران بن أبي عطاء الأسدي، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط والدكتور/ بشار عواد فيه في «تحرير تقريب التهذيب» (٣/ ١١٥): «ضعيف يعتبر». أي: لو تابعه أحد كان حديثه مقبولا، وإلا فلا. ولا متابع لهذا الحديث. فالحديث غير صالح للقبول.

٣- أبو حمزة القصاب وثَّقه ابن معين، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وضعَّفه أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم، والنسائي، وأبو داود، والعقيلي. (تحرير تقريب التهذيب ٣/ ١١٥)

قال الإمام الذهبي: «قال أبو زرعة: لين. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه». كذا في «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٣٩). وفي «المغني في الضعفاء» (٢/ ٢٧٩): «وذكر له العقيلي حديثًا استنكره».

٤- روي هذا الحديث -علاوة على صحيح مسلم- في «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٢٣٤)، و«مسند أحمد» (رقم:٢٦٥١، و٣١٠٤)، و«أمالي ابن بشران» (رقم:١١٥٦)، و«جزء القاسم بن موسى الأشيب» (م:٣٠٢هـ) (برقم:١٨)، و«مشيخة ابن حيوية الخزار» (رقم:٧). ولم يذكر غير الأول عدم قدوم معاوية، أو لفظ «لا أشبع الله بطنه».

وجاء في «مسند أحمد» بلفظ: «اذهب فادع لي معاوية، قال: وكان كاتبه، فسعيتُ فأتيت معاوية، فقلت: أجب نبي الله صلى الله عليه وسلم، فإنه على حاجة». (مسند أحمد، رقم:٢٦٥١، و٣١٠٤)

لم يرد فيه لفظ: «لا أشبع الله بطنه». وفيه قول ابن عباس «فسعيتُ فأتيت معاوية» مكانَ اختفائه في مكانٍ. وهذا مما يدل على أن هذه الألفاظ من قبيل المدرج. وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

٥- نصت الكتب المذكورة -إلا صحيح مسلم ودلائل النبوة- على كون معاوية كاتب النبي صلى الله عليه وسلم، مما يوحي إلى ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به وأمانة معاوية

وحسن حظه. ومما يبعث على الحيرة تجاوز ذكر منصب الكتابة لمعاوية إلى زيادة «لا أشبع الله بطنه».

٦- وهذا البطن الذي جاء فيه ذكر الدعاء عليه، ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا أن يملأه الله تعالى علمًا وحلمًا. « كان معاوية ردف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا معاوية! ما يليني منك؟ قال: بطني، قال: اللهم املأه علمًا وحلمًا». (التاريخ الكبير للبخاري ٨/ ١٨٠)

٧- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فتواريت خلف باب»، ويبدو بعيدا أن يختفي ابن عباس وراء الباب وهو الذي يعد مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم سعادة له. وكان يهتم بالسهر ليلا في بيت ميمونة حين يكون النبي صلى الله عليه وسلم عندها. وذلك ليرى ما يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم في الليل.

٨- تفيد رواية البيهقي أن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبلغ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم معاويةَ، وإنما قيل له: هو يأكل. فرجع ابن عباس حين سمع ذلك. وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: هو يأكل. وكان ذلك المرات الثلاث. إذن فلا تقصير من معاوية في حضوره إلى النبي صلى الله عليه و سلم؛ فإنه لم يبلغه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، والدعاء على أحد من غير جريرة وتقصير مما ينافي الرحمة.

«قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: «فاذهب فادعه» فأتيته، فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه». (دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٢٤٣)

٩- لو سلمنا أن هذه الجملة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حملها أهل العلم على معنيين:

(١) المراد معناها اللغوي. وهي كلمة دعاء على أحد. وسبق أن قلنا: لا تقصير من معاوية في عدم حضوره إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يبلغه الدعوة، فلم يستحق الدعاء عليه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة». (صحيح مسلم، رقم:٢٤٠١)

إذن هذا الحديث يدخل في مناقب معاوية الغالية، وكان مطهرة له من الذنوب وأجرًا وتقربًا إلى الله تعالى.

هذا ما حمل عليه الإمام مسلم هذا الحديث، فأروده في «باب من لعنه النبي صلى الله عليه و سلم، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة».

وقال ابن حجر الهيتمي: «إن هذا الحديث من مناقب معاوية الجليلة؛ لأنه بان بما قررته أنه دعاء لمعاوية لا عليه، وبه صرح النووي». (مختصر تطهير الجنان واللسان، ص٩٢. ط: دار علوم السنة، الرياض).

قال الإمام الذهبي: «لعلَّ أن يقال: هذه منقبة لمعاوية، لقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم من لعنته أو سببته...» .الحديث. (سير أعلام النبلاء ١٤/ ١٣٠)

وعليه حمل الحافظ ابن عساكر هذا الحديث، فعدَّ هذا الحديث أصح ما جاء في مناقب معاوية رضي الله عنه، فقال: «أصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي حمزة عن ابن عباس». (تاريخ دمشق ٥٩/ ١٠٦)

(٢) لم تصدر هذه الكلمات بنية الدعاء عليه، وليس المراد هنا معناها اللغوي، فقولهم: «ثكلت أمك»، «تربت يداك»، «عقرى حلقى»، وغيرها من الكلمات لا تحمل على معانيها اللغوية، قال الملا علي القاري: «هذا دعاء لا يراد وقوعه، بل عادة العرب التكلم بمثله على سبيل التلطف». (مرقاة المفاتيح، كتاب المناسك، باب خطبة يوم النحر).

اتهام معاوية رضي الله عنه بشرب الخمر:

قالت الشيعة: إن معاوية رضي الله عنه كان ممن يشرب الخمر بعد إسلامه، وبعد ثبوت تحريم شرب الخمر، واستدلوا بحديث بريدة رضي الله عنه.

قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحُبَاب، حدثني حسين، حدثنا عبد الله بن بريدة قال: دخلتُ أنا وأبي على معاويةَ فأجلسنا على الفُرُش، ثم أُتِينا بالطعام فأكلنا، ثم أُتِينا بالشراب فشرِب معاويةُ، ثم ناول أبي، ثم قال: ما شربتُه منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال معاوية: كنتُ أجملَ شبابِ قريشٍ وأجودَه ثَغْرًا، وما شيء كنتُ أجد له لذةً كما كنت أجدُه وأنا شابٌّ غيرُ اللَّبَن، أو إنسانٍ حسَنِ الحديثِ يُحدِّثُني.(مسند أحمد، ر قم:٢٢٩٤١. تاريخ دمشق، لابن عساكر ٢٧/ ١٢٧).

قلنا: من الواضح أن سياق القصة هكذا ناقص، وههنا كلام محذوفٌ اللهُ أعلم به. ولم يرِدْ في شيء من مصادر الخبر نَقْلُ كراهية بريدة رضي الله عنه أو إنكاره على معاوية رضي الله عنه، فضلًا عن ردِّه وامتناعه عما ناوله معاوية رضي الله عنه، ولو كان بُريدة رضي الله عنه يظن ذلك لما جلس هذا المجلس، ولَنَقَلَ ابنُه انكارَه على أقل تقدير.

ومع ذلك الحديثُ منكرٌ سندًا ومتنًا.

أما نكارة المتن، فقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: «ما أنكر حديث حسين بن واقد وأبي المنيب عن ابن بريدة». (العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد، رواية ابنه عبد الله ١/ ٣٠١).

وكذا روى العقيلي بإسناده عن عبد الله بن أحمد أنه قال: «قال أبي: عبد الله بن بريدة الذي روى عنه حسين بن واقد أحاديث ما أنكرها! وأبو المنيب، يقول: أيضًا كأنها من قبيل هؤلاء». (الضعفاء الكبير، للعقيلي ٢/ ٢٣٨. ومثله في سير أعلام النبلاء ٥/ ٥١).

وقال الذهبي في ترجمة حسين بن واقد: قال أحمد: «في بعض حديثه نَكِرَةٌ». ثم ذكر الذهبي من مناكيره حديثًا آخر، قال: «قلت: من مناكيره حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وددت أن عندنا خبزة بيضاء من حنطة سمراء، ملبقة بسمن ولبن». فهذا على شرط مسلم». (سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٤).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الزيادة المذكورة في المتن، وهي: «ثم قال: ما شربتُه منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم» التي هي في مسند أحمد ليست موجودة في مصنف ابن أبي شيبة، وهي مروية عنده بنفس الطريق، ولهذا استغرب الهيثمي هذه الزيادة فلم يذكرها فقال في كتابه «مجمع الزوائد»: «وفي كلام معاويةَ شيءٌ تركته».

ولنذكر رواية ابن أبي شيبة بكاملها مع إسنادها، قال ابن أبي شيبة في مصنفه: حدثنا زيد بن الحباب ، عن حسين بن واقد، قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلس أبي على السرير وأُتي بالطعام فطعمنا وأُتي بشراب فشرب، فقال معاوية: ما شيء كنت أستلذُّه وأنا شاب فآخُذُه اليومَ إلا اللبنَ - فإني آخُذُه كما كنتُ آخُذُه قبل اليوم - والحديثَ الحسنَ. (المصنف، لابن أبي شيبة، رقم: ٣١٢٠١، ت: محمد عوامة).

وكيف يُفهَم أن معاوية رضي الله عنه شرب الخمر!! وهو ينص في الخبر ذاته على أنه لم يشربها قط! وأنه علم النهي عنه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وروى عنه حديث جلد

الشارب ثلاثًا، ثم قتله في الرابعة.

فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد فى الرابعة فاقتلوه». (سنن الترمذي، رقم:١٤٤٤، وهذا حديث صحيح).

وأما من جهة الإسناد فإن زيد بن الحباب يخطئ في الحديث، قال أبو داود: سمعت أحمد يقول: «زيد بن حباب كان صدوقًا وكان يضبط الألفاظ عن معاوية بن صالح، لكن كان كثير الخطأ». (تهذيب التهذيب ٣/ ٤٠٣).

ومثله روى عبد الله عن أبيه الإمام أحمد أنه قال في زيد بن الحباب: «كان رجلا صالحا ما نفذ في الحديث إلا بالصلاح؛ لأنه كان كثير الخطأ». (العلل ومعرفة الرجال، لأحمد، رواية ابنه عبدالله ٢/ ٩٦).

وكذا حسين بن واقد مثله. قال الإمام أحمد: «في بعض حديثه نَكِرَةٌ». (سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٤).

ولو فرضنا صحة الخبر السابق وأن ما جاء فيه ثبوت شرب معاوية -رضي الله عنه- للشراب، فإن لفظ الشراب لا يقتضي أن يكون المشروب خمرًا.

قال الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا: «ويحتمل أن هذا الشراب كان من النبيذ المأخوذ من غير العنب وأن معاوية رضي الله عنه شرب منه قدرا لا يسكر، وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وبه قال أبو حنيفة أن ما أسكر كثيره من غير العنب يحل ما لا يسكر منه، وذهب الجمهور وكثير من الصحابة منهم بريدة إلى تحريمه، فكان معاوية ممن يرون جواز القليل منه الذي لا يسكر. والله أعلم».(الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد عبد الرحمن البنا، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت).

وقوله: «ما شربته منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» هو من قول معاوية رضي الله عنه، وليس من قول بريدة رضي الله عنه، فدلَّ على أن الشراب لم يكن خمرا.

وخلاصة القول: أن حديث مسند الإمام أحمد منكر سندًا ومتنًا، كما تقدم. ومع غض النظر عن نكارته يفهم من رواية المصنف لابن أبي شيبة أن القائل في قوله: «ثم قال: ما شربتُه منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم» هو معاوية رضي الله عنه، قاله بعد كلامٍ محذوفٍ لم يذكره عبد الله بن بريدة. ولم يرِدْ في شيء من مصادر الخبر نَقْلُ كراهية بريدة رضي الله عنه أو إنكاره، فضلًا عن ردِّه وامتناعه عما ناوله معاوية رضي الله عنه. ولو سلمنا أن معاوية رضي

الله عنه رأى من الكَراهة والإنكار في وجه بُريدة رضي الله عنه، فقوله: «ما شربتُه منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم» دفعًا لظنِّه أنه شرابٌ محرم، أي: هذا المشروب حلال، وما عندي شيء ألذ منه غير اللَّبَن؛ لأن اللبن فيه خير كثير كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم بعد شربه: «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»، وكان يقول بعد الطعام: «اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرا منه».

استدلال الشيخ الهرري بحديث فاطمة بنت قيس على الطعن في بعض الصحابة، و الجواب عنه:

قالت أم سلمة رضي الله عنه: أتت فاطمة بنت قيس النبي صلى الله عليه وسلم، وذكرت أن معاوية بن أبي سفيان وأبوجهم خطباها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد». (صحيح مسلم، رقم: ١٤٨٠).

ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في إشارته فظاظته. وذكر فظاظة أحد لا يعد طعنا فيه. والمراد بالطعن: جرح عدالة صحابي والانتقاص منه، وعيبه. وليس هذا ما ههنا. فذكر طبيعة المستشار عنه عند المشورة، بل ذكر عيوبه نصحًا لا بأس به. ولا يعد من الغيبة المحرمة. وأما عيب المرء في عموم الأحوال، فلا يجوز. فكيف يصح الاستدلال بهذا الحديث على اغتياب الصحابة وعيبهم. قال الإمام النووي رحمه الله: «فيه دليل على جواز ذكر الإنسان بما فيه عند المشاورة وطلب النصيحة، ولا يكون هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة، وقد قال العلماء: إن الغيبة تباح في ستة مواضع، أحدها الاستنصاح». (شرح النووي على مسلم ١٠/ ٩٢، باب المطلقة البائن لا نفقة لها)

من قاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه؟:

استدل الشيخ عبد الله الهرري على جواز ذم معاوية ومن كان معه في حرب صفين، ووصفهم بالبغي والدعوة إلى النار- بحديث عمار رضي الله عنه الذي جاء فيه: «ويحَ عمارٍ، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار». (صحيح البخاري، باب التعاون في بناء المسجد، رقم: ٤٤٧)

حارب عمار رضي الله عنه بجانب علي رضي الله عنه معاويةَ رضي الله عنه في حرب صفين. واستشهد فيها. فعلم من شهادته أن جماعة معاوية رضي الله عنه كانت مصداق «الفئة الباغية».

الجواب:

(١) قال الحافظ ابن رجب في «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: لاتوجد لفظة «تقتله الفئة الباغية» في بعض نسخ البخاري، كما أن هذه الكلمات لم يسمعها أبو سعيد الخدري من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما سمعه من أصحابه الآخرين. (فتح الباري، لابن رجب ٣/ ٣٠٥).

(٢) للحديث شطران: الأول: «ويحَ عمارٍ، تقتله الفئة الباغية» والثاني «يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار».

وتذكر كتب التاريخ جملة أخرى مزيدة «لا أنالها الله شفاعتي». ولكن صرح الحافظ ابن كثير، و العلامة ابن تيمية بأنها موضوعة ولا أصل لها.(البداية والنهاية ٦/ ٢١٤. والسيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٠٩. منهاج السنة ٦/ ٢٥٩)

الشطر الأول منه روي عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، منهم: أبو قتادة، وعمرو بن العاص، وأم سلمة، وخزيمة، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وأبو اليسر، وعبد الله بن عمر، وغيرهم رضي اله عنهم. وهذا الشطر هو قوله: «ويحَ عمارٍ، تقتله الفئة الباغية».

ولم يُروَ الشطر الثاني إلا عن أبي سعيد الخدري وابن عمر رضي الله عنهما مرفوعين وعن مجاهد مرسلًا.

حديث أبي سعيد الخدري (بإسناد عكرمة) رواه البخاري في «صحيحه» (رقم:٤٤٧)، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم:١٣٢٧٦)، وفيه عبد النور المتهم بالوضع، وحديث مجاهد رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم:٣٢٩١٣).

وأما الأحاديث التي ورد فيها الشطر الأول فقط، بعضها في «صحيح مسلم»، وبعضها في «سنن الترمذي»، وبعضها في «سنن النسائي»، و«مسند أحمد»، و«المصنف» لعبد الرزاق، و«مسند أبي يعلى»، و«مسند الحميدي»، و«المستدرك» للحاكم. وساق الطبراني هذه الروايات

كلها في «معاجمه»، وأسانيد معظمها صحيحة أوحسنة. أعرضنا عن ذكر أسانيد هذه الأحاديث وألفاظها وتعليقات المحدثين عليها خشية الإطالة.

يحمل الأكثرون الشطرالأول على معاوية رضي الله عنه وجماعته، ويعتبرونهم خارجين؛ وهذا خلاف الواقع، و إنما مصداقه الفرقة التي كانت تعادي توسع الخلافة الإسلامية، والتي خرجت على عثمان رضي الله عنه. وأدى اجتهاد معاوية رضي الله عنه إلى أن تواجدَ الخارجين في الجيش يشكل جرحًا لا يرقأ. وما لم يتم القضاء عليهم لا تجلب البيعة على يد علي رضي الله عنه كبيرَ فائدة.

بشَّر الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بالثبات والشهادة في مواجهة هذه الفئة. وكان أكابر هذه الفئة في مصر، من أبرزهم: عبد الله بن سبا، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر. أرسل عثمان رضي الله عنه عمارًا -المتقدم سنه- إلى مصر ليتحقق من الوضع، ويُقنع الخارجين، فقام عمار بذلك. ولكنهم خدعوه بكلامهم المعسول، ولم يرجع من مصر. وكان عمار رضي الله عنه يرى المصلحة في استقالة عثمان رضي الله عنه من منصبه. وفي المرحلة اللاحقة انضم عمار رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه وأتباعه، وقتلته الفئةُ الباغية في صفين.

وكان عمار رضي الله عنه يقول: حدثني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أموت إلا قتلا بين فئتين مؤمنتين». (التاريخ الصغير للإمام البخاري، رقم:٣١٢)

وبالجمع بين الروايتين المذكورتين أعلاه يتبين أن موت عمار رضي الله عنه يأتيه متمثلا في القتال بين فئتين مؤمنتين. وقاتله الفئةُ الخارجة، كما يوضحه «تقتله الفئة الباغية». والمراد بالباغية: الخوارج، الذين خرجوا على الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، مما انتهى إلى قتله.

وقال بعضهم نقلا عن «تاريخ الطبري»، و«تاريخ ابن خلدون»: قتل البغاة عن غرةٍ عمارًا رضي الله عنه - الرسول المخلص والثقة لدى عثمان رضي الله عنه- وهو قافلٌ من مصر إلى المدينة خشية اكتشاف أسرارهم. ولم يشهد عمار الجملَ ولا صفين. وإنما قتل شهيدًا قبل أن يُقتل عثمان شهيدًا بعدة أشهرة.

«قالوا: نشير عليك (أي عثمان) أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة، وأرسل أسامة بن زيد إلى

البصرة، وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام، وفرق رجالا سواهم، فرجعوا جميعا قبل عمار، فقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئا، ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعا: الأمر أمر المسلمين، إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم واستبطأ الناس عمارًا حتى ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمارًا قد استماله قوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم عبد الله بن السوداء، وخالد بن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر».(تاريخ الطبري ٤/ ٣٤١، ط: دار التراث، بيروت)

وقال ابن خلدون: «فثبطوا عمارًا عن المسير إلى المدينة». (تاريخ ابن خلدون ١/ ٦٦٣، ط: المكبة العصرية)

تفيد هذه الرواية أن كل من أرسلهم عثمان إلى مختلف المدن لتقصي الأخبار رجعوا إلى المدينة بعد ما قاموا بأعمالهم في مدنهم إلا عمارًا، فظن الناس أن عمارا قُتِلَ.

ولم تصرح رواية الطبري وابن خلدون هذه بقتله في مصر أو هو قافل عنها إلى المدينة، في حين تفيد رواية البخاري بأن عمارًا شهد الجمل مع جماعة علي رضي الله عنه. وأن عليًّا رضي الله عنه أرسله والحسن رضي الله عنهما إلى الكوفة لحمل الناس على نصره وتأييده.

قال أبو وائل: لما بعث عليٌّ عمارًا والحسنَ إلى الكوفة ليستنفرهم، خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٧٢)

شرح معنى «ويح»:

أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار لفظة «ويح» بمعنى الأسف، أي: الأسف على أنه يُقتل بيد الفئة التي يراها على الحق. ويطلق لفظة «ويح» على التأسف. فورد في «سنن ابن ماجه» فيمن قتل مئة نفس ثم أتى عالما من العلماء ليتوب، ورد فيه :«ويحك ومن يحول بينك وبين التوبة». (سنن ابن ماجه، رقم:٢٦٢٢)

سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فقال:«ويحك، إن شأنَها شديد». (صحيح البخاري، باب زكاة الإبل، رقم:١٤٥٢)

قال العلامة العيني في «عمدة القارئ» تحت «ويحك»: «كلمة تقال عند الزجر، والموعظة، والكراهة لفعل المقول له». (عمدة القاري ٦/ ٤٤٦)، نقلًا عن الداودي)

مصداق «الفئة الباغية» هي الجماعة التي خرجت على عثمان رضي الله عنه:

نسوق بعض القرائن والشواهد التي توضح أن مصداق «الفئة الباغية» هي الفئة التي خرجت على عثمان وعارضت خلافته. وانضم هؤلاء إلى جيش علي رضي الله عنه. وهان عليهم قتل عمارٍ وتشويه سمعة جماعة معاوية رضي الله عنه إلى يوم القيامة. فقد شوهوا سمعة معاوية رضي الله عنه تشويهًا جعل كبار المحققين يرون معاوية رضي الله عنه من الفئة الباغية.

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقتله الفئة الباغئة»، وهذا يبين أن المراد بها الطائفة التي اتفق المسلمون على خروجها، وبغيها، وهم قتلة عثمان رضي الله عنه، واتفق الصحابة على أن ما قاموا به بغي وخروج عليه. وأرسل علي رضي الله عنه أبناءه ليذودوا عن عثمان رضي الله عنه. قال ابن كثير: «ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. لما وقع ما وقع يوم الجمعة...، ولزم كثير من الصحابة بيوتهم، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة، عن أمر آبائهم، منهم الحسن والحسين، وعبد الله بن الزبير- وكان أمير الدار- وعبد الله بن عمرو بن العاص، وصاروا، يحاجون عنه، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم». (البداية والنهاية ٧/ ١٧٦)

و وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بالشهادة، فعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجَف بهم، فقال: «اثبُتْ أحدُ فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان». (صحيح البخاري، رقم: ٣٦٧٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ياعثمان، إن أراد المنافقون خلع قميصك فلا تخلعه».

عن النعمان بن بشير، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عثمان، إن ولاك الله هذا الأمر يومًا، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله، فلا تخلعه»، يقول: ذلك ثلاث مرات، قال النعمان: فقلت لعائشة: ما منعك أن تعلمي الناس بهذا؟ قالت: أُنسِيتُه. (سنن ابن ماجه، رقم:١١٢. وسنن الترمذي، رقم:٣٧٠. وقال الترمذي: حديث حسن. ومسند أحمد، رقم:٢٤٥٦٦، وإسناده صحيح)

(٢) وأشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر إلى الفئة الباغية، وذلك أنه طعن

طاعن في قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأراد بعض الصحابة قتله، فمنعه النبي صلى الله عليه و سلم، وقال: «دعوه سيكفِيكُموه غيرُكم، يُقتَل في الفئة الباغية، يَمرُقون من الدِّين كما يَمرُق السهمُ من الرَّمِيَّة، قتالُهم حقٌّ على كل مسلم» . (السنة لابن أبي عاصم، رقم:٩١١)

كان هذا الرجل من الخوارج، وقتل في حربه ضد علي رضي الله عنه، فتبين أن «الفئة الباغية» هي الخوارج. وكان أصلهم متواجد من ذي قبلُ وإن سموا بذلك فيما بعد. فكانوا خوارج بدرجة واحدة بقتل عثمان رضي الله عنه، ثم صاروا خوارج بدرجتين بالخروج على علي رضي الله عنه. كانوا يسمون أولًا بالفئة الباغية، ثم سموا بالخوارج حينما قاتلوا عليا رضي الله عنه.

(٣) يفيد ما رواه الحاكم في «المستدرك» أن ابن عباس رضي الله عنهما بعث ابنه: عليًّا وعكرمة إلى أبي سعيد الخدري ليسمعا هذا الحديث الخاص بالخوارج:

عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال له ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا منه حديثه في شأن الخوارج، فانطلقا فإذا هو في حائط له يصلح، فلما رآنا أخذ رداءه، ثم احتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى علا ذكره في المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عن رأسه، ويقول: «يا عمار ألا تحمل لبنة لبنة كما يحمل أصحابك؟» قال: إني أريد الأجر عند الله، قال: فجعل ينفض ويقول: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية». قال: ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. (المستدرك للحاكم، رقم:٢٦٥٣، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي)

فعلم أن الفئة الباغية كانت هي الخوارج، وأن الخوارج -وهم الفئة الباغية- قتلوا عمارًا رضي الله عنه.

(٤) وفي رواية:«وذلك فعل الأشقياء الأشرار» .

عن مجاهد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وذلك فعل الأشقياء الأشرار» . (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٣/ ٤٠٢، و٤٠٣. وفي «المصنف» لابن أبي شيبة (رقم:٣٢٩١٣) بلفظ: «وكذلك دأب الأشقياء الفجار». قال الشيخ محمد عوامة: هذا من مراسيل مجاهد برجال ثقات» .

وفي رواية: «لا يقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة الباغية».(وفاء الوفاء ١/ ٢٥٤) فعلم أنها فعلة الأشقياء ولم تدنس أيدي الصحابة الكرام بقتله.

حكى العلامة العيني في شرح البخاري عن ابن بطال: «إنما يصح هذا في الخوارج الذين بعث إليهم عليٌّ عمارًا يدعوهم إلى الجماعة». (عمدة القاري ٤/ ٢٠٩)

وهذا الجواب غير صحيح، وهذا العلامة العيني قال بدوره بعد سرد الجواب: «ولكن لا يصح هذا؛ لأن الخوارج إنما خرجوا على عليٍّ رضي الله تعالى عنه بعد قتل عمار بلا خلاف بين أهل العلم بذلك؛ لأن ابتداء أمرهم كان عقيب التحكيم بين عليٍّ ومعاويةَ، ولم يكن التحكيم إلا بعد انتهاء القتال بصفين، وكان قتل عمار قبل ذلك قطعًا». (عمدة القاري ٤/ ٢٠٩)

ويحتمل أن عليًّا رضي الله عنه شارك عثمان رضي الله عنه في إرسال عمار رضي الله عنه إلى مصر.

(٥) وكيف نصب علي رضي الله عنه الحكَم لإجراء الصلح مع معاوية رضي الله عنه – مما ترتب عليه وقف القتال– إذا كانت جماعة معاوية هي الفئة الباغية؟ فإن القضاء القرآني كان متوفرا في حق البغاة﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الحجرات: ٩) وإنما يحتاج الناس إلى الحكَم فيما إذا كان الفريقان المتخاصمان يملكان من الدلائل التي تحول دون القطع بأن أي الفريقين على الحق. وكل يدعي أنه على الحق.

ثم إذا كان قد تقرر أن معاوية رضي الله عنه هو الباغي، فكيف تخلى الحسن رضي الله عنه عن الحكم لمعاوية بعد عهد علي رضي الله عنه؟ وإنما وجب عليه أن يقاتل، لا أن يكل أمر المسلمين إليه. ومن الطريف أن قرار الحسن رضي الله عنه لقي تأييدا وتصديقا من الأمة الإسلامية كلها، واحتفل الناس به، وسموه عام الجماعة.

هذا، وقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم بعمل الحسن هذا، فلو أن معاوية كان باغيا في الواقع لم يكن ليعجب قرارُ الحسن هذا المسلمين، ولا نوه به الرسول صلى الله عليه وسلم. ولو كان معاوية باغيا لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له: «اللهم اجعله هادًيا مهديًّا واهد به». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٤٢ . وقال الترمذي: حديث حسن غريب)

(٦) إن ثبت بعد قتل عمار رضي الله عنه أن جماعة معاوية هي القاتلة الباغية، لم يكن أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، وأم سلمة، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم– وهم رواة حديث «ويح عمار...»– قعدوا عن الحرب. وإنما كان عليهم أن يصطفوا لقتال البغاة.

كما أن ثلاثة من الصحابة: أبا قتادة، وخزيمة بن ثابت، وأبا اليسر رضي الله عنهم، الذين كانوا مع علي، و هم ممن رووا حديث «ويح عمار...» لم يثبت عن واحد منهم بإسناد صحيح أنهم ميزوا الحق من الباطل بناء على هذا الحديث فقط، وانضموا إلى علي رضي الله عنه ونصروه، كما لم يثبت عنهم أنهم وصفوا الفريق الآخر بالفئة الباغية استدلالًا بهذا الحديث، مع أن أبا قتادة رضي الله عنه -وهو واحد منهم- عاش إلى عام ٥٤هـ، وعاش واحد آخر منهم أيضًا -وهو أبو اليسر كعب بن عمرو- إلى ٥٥هـ.

كما تردد غير واحد من قِبَلِ علي، وهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وعبيدة السلماني، وأبومسلم الخولاني إلى معاوية للحوار حول الصلح، وكان عمار رضي الله عنه في جماعة علي رضي الله عنه، ولم يذكر أحد من أصحابه معاويةَ أو جماعتَه أن عمار في جيشنا، وسيقتله الفئة الباغية حسب تنبؤ الرسول صلى الله عليه وسلم. فربما يقتل على يدِ جماعتكم، فتكونوا فئةً باغية على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، فحذارِ أن تقاتلونا.

كما قعد معظم الصحابة عن القتال. فما سببه؟

جاء في شرح العقيدة الطحاوية: «وقعد عن القتال أكثر الأكابر لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربوا مفسدتها عن مصلحتها» . (شرح الطحاوية لابن أبي العز، ص٤٩٤) .

وكان طلحة والزبير بن العوام رضي الله عنهما -وهما من العشرة المبشرة- مع معاوية رضي الله عنه، ويرون رأيه، فكيف يكونون فئة باغية؟ وكيف استمر جرير رضي الله عنه- ذلك الصحابي الجليل- وغيره من الصحابة مع معاوية رضي الله عنه؟هل وافقوا الموصوفين بالفئة الباغية؟ أنى ذلك؟

وهذا عقيل بن أبي طالب -الأخ الأكبر لعلي رضي الله عنه- فارق عليا رضي الله عنه وتوجه إلى الشام ووافق معاوية رضي الله عنه، قال المؤرخ الشيعي: «وفارق (عقيل) أخاه عليًّا أمير المؤمنين في أيام خلافته، وهرب إلى معاوية وشهد صفين معه».(عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص١٥)

(٧) قيل لمعاوية رضي الله عنه: قتلت جماعتُك عمارًا؟ فقال معاوية: إنما قتله من جاء به، أي: لم يقتله أحد من جماعتنا، بل قتله البغاة والمنافقون، المتواجدون في جيش علي رضي

الله عنه. هم الذين قتلوا عمارا، حيث ألقوه بين رماحنا. فلما بلغ علي ذلك قال: إذن قاتل سيد الشهداء حمزة هو الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه هو الذي جاء به إلى أحد. وإنما أراد معاويةُ البغاةَ والخوارجَ، ولم يرد عليًّا والمؤمنين المخلصين. والبغاة هم الذين قتلوا عثمان رضي الله عنه، ثم أغاروا في جنح الليل على جيش طلحة والزبير، وعائشة، وخيبوا مساعي المصالحة؛ بل هذا التنبؤ إعجاز مزدوج لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أحدهما: سيقتل عمار. وليس قاتله من يبدو أنه قتله، وإنما قتله البغاة، الذين اتفقوا على بغيهم.

عن محمد بن عمرو بن حزم، قال: لما قُتِل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص، فقال: قُتِل عمار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقتله الفئة الباغية»، فقام عمرو بن العاص فزِعًا يُرَجِّع حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟ قال: قُتِل عمار، فقال معاوية: قد قتل عمار، فماذا؟ قال عمرو: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقتله الفئة الباغية» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أونحن قتلناه؟ إنما قتله علي وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، – أو قال: بين سيوفنا». (مسند أحمد، رقم:١٧٧٧٨. والمستدرك للحاكم، رقم:٢٦٦٣. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها. قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية» . (التذكرة للقرطبي، ص٦٢٧. وانظر أيضًا: فيض القدير٦/ ٣٦٥. والبدر المنير٨/ ٥٤٨)

والحق أن قتلة عمار هم الخوارج الذين تصدوا لإثارة الفتنة في المسلمين، وتشويه سمعة معاوية رضي الله عنه، وإنما نسب معاوية رضي الله عنه قتل عمارٍ إلى علي وجيشه؛ لأن الخوارج –قتلة عمار– اندسوا إلى جيش علي رضي الله ابتغاء الفتنة والفساد، ولم يقصد معاوية عليا وأصحابه المخلصين، ولا أن عليا قتل عمارا، ولامعاوية قتله، ولا مَن في جماعتهما من الصحابة الكرام. ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم جماعتي معاوية وعلي بـ«فئتين عظيمتين من المسلمين».(صحيح البخاري، رقم:٢٧٠٤). والبغاة على الإسلام يجتثون جذور الإسلام، فكيف يصدق عليهم وصف «المسلمين»!! وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاوية:«اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به».(سنن الترمذي، رقم:٣٨٤٢)، فهل يكون الهادي

والمهدي باغيًا وداعيًا إلى النار؟!!

فإن قيل: كيف قتل الأشرار عمارًا، وهو مع علي رضي الله عنه؟ قلنا: إنما فعلوه ليشوهوا سمعة معاوية رضي الله عنه وجماعته إلى يوم القيامة، ويجعلوا الناس يسيئون الظن بهم، وليختموا عليهم بالبغي. ومن فعلات المفسدين أن جعل معظم المتخصصين في التاريخ مصداق «الفئة الباغية» معاويةَ وجماعته. فوا أسفى على هذا.

وهذا كما يقال: إن يهود أمريكا هجموا على المركز التجاري العالمي لهم في ١١/ سبتمبر عام ٢٠٠١م، ليشوهوا وجه الجهاد، وبدأوا الإجراءات ضده. وما أكثر ما يقوم الأشرارُ بمثل هذه الأعمالِ حتى أصبحت لا تكاد تحصى.

(٨) الشطر الثاني من هذا الحديث: «يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار». هذا الشطر رواه عكرمة عن أبي سعيد الخدري، وأما غيره من الصحابة الذين رووا هذا الحديث، فلم يرد هذا الشطر عنهم مرفوعًا، اللهم إلا في رواية ابن عمر، وفي إسناده عبد النور، متهم بالوضع.

هذا الحديث رواه مسلم في «صحيحه» (كتاب الفتن)، والترمذي في مناقب عمار، وأبوداود الطيالسي في أحاديث زيد بن ثابت، وابن أبي شيبة في «المصنف» باب ماجاء في صفين، والنسائي في خصائص علي، وابن حبان في «صحيحه»، والنسائي في «السنن»، وأحمد في «المسند»، وعبد الرزاق في «المصنف»، وأبو يعلى في «المسند»، والبزار في «مسنده»، والحميدي في «مسنده»، والحاكم في «مستدركه»، والطبراني في «معاجمه». ولم يزد واحد منهم لفظة «يدعوهم...»الخ إلا ما جاء عن عكرمة.

روي هذا الحديث – علاوة على عكرمة عن أبي سعيد الخدري– عن كل من أبي قتادة، وعمرو بن العاص، وأم سلمة، وخزيمة بن ثابت، وأبي هريرة، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبي أيوب، وأبي رافع، وأبي اليسر رضي الله عنهم، وليس في حديث أحد منهم: «يدعوهم إلى الجنة...» الخ. فعلم منه أن عكرمة زاده باجتهاد منه. وهو مدرج.

عكرمة متهم بأنه يرى رأي الخوارج رغم ثقته:

اتُّهِمَ عكرمة –وإن كان ثقة– بأنه يرى رأي الخوارج: قال علي بن المديني: «كان عكرمة

يرى رأي نجدة الحروري». (كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي٢/ ٧). وفي موضع آخر: «وكان عكرمة يرى رأي الإباضية». (كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي٢/ ١٢). قال الذهبي: «عكرمة مولى ابن عباس من أوعية العلم تكلموا فيه لرأيه لا لحفظه، اتهم برأي الخوارج، وثَّقه غير واحد». (المغني في الضعفاء ٢/ ٤٣٨)

جاء في تهذيب الكمال: عن عطاء: «كان عكرمة إباضيًّا». قال الإمام أحمد بن حنبل: «كان يرى رأي الإباضية». قال يحيى بن معين: «إنما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة؛ لأن عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية». والصفرية فرقة من الخوارج. (تهذيب الكمال٢٠/ ٢٧٨)

والخوارج وإن كانوا يخالفون عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما إلا أن أصل خلافهم كان مع معاوية رضي الله عنه، فلما نصب علي رضي الله عنه الحكَمَ خالفوه أيضًا. فقوله: «يدعوهم إلى الجنة...» التي كانت تخص في الأصل مشركي مكة، ربطوها بها ههنا، ليتبادر الذهن إلى معاوية رضي الله عنه. وهذا إدراج، وليس افتراء. كما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال في معاوية رضي الله عنه: «مِن أين ترى أخذها الحمار». (شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي، أبواب الوتر، رقم:١٧١٩ . وفي إسناده عبد الوهاب بن عطاء، قيل: لين. وقيل: ثقة).

أي أوتر معاوية رضي الله عنه فقال ابن عباس: من أين أخذها الحمار. في حين روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: «دَعْهُ؛ فإنه قد صحِب رسول الله صلى الله عليه وسلم»، وفي رواية: «أصاب؛ إنّه فقيهٌ». فإطلاق «الحمار» على معاوية رضي الله عنه هنا أيضًا يبدو تداعيات خارجية عكرمة؛ فإن قوله: «دعه» معناه: اتركه وشأنه، ولا تتعرض له، كما يترك الأحمق وشأنه، والعياذ بالله. ثم في إسناد: «مِن أين ترى أخذها الحمار» عند الطحاوي عبد الوهاب بن عطاء، وهو ضعيف. والله أعلم.

ويحتمل قوله احتمالًا قويًّا أن يكون خاطب به ابنُ عباس عكرمةَ، وذلك بأن «أخذها» مصدر لا فعل، بعد قوله: (ترى)، وبتقدير أداة النداء (يا أيها)، والمعنى: من أين أخذت يا حمار، أن معاوية أوتر بواحدة؟ أي: أين رأيته يوتر بواحدة؟وهَبْ أنه أوتر بواحدة فإنه مجتهد، أخذ بما أداه إليه اجتهاده.

وبغضِّ النظر عن اتهام عكرمة بالخارجية، يبدو أنه –عكرمة– ذكر هنا ما حصل لعمار في أول حالاته مع المشركين. فقد كانت قريش تؤذي عمارًا في بدء الإسلام، وتدعوه إلى النار،

أي، الارتداد عن الدين، وكان عمار يدعو قريشًا إلى الجنة. هذا ما قاله العلامة أنور شاه الكشميري في «فيض الباري». قال: «أما قوله: «يدعوهم إلى الجنة» فاستيناف لحاله مع المشركين، وإشارة إلى المصائب التي أتت عليه من جهة قريش وتعذيبهم وإلجائهم إياه على أن يكفر ربه، فأبى إلا أن يقول «الله أحد». (فيض الباري ٢/ ٥٢)

والحق أن عمارا لاقى الشدائد في سبيل الدعوة إلى الدين في مكة المكرمة. ثم إن كلمة «الدعوة» تطلق عامة على دعوة غير المسلمين، وأما المسلمون فيطلق عليهم التذكير. قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات: ٥٥)

(٩) ويمكن أن يكون المراد بالجنة الصلح، والمراد بالنار الحرب. وقد أطلق القرآن النار على الحرب، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ (المائدة: ٦٤) فدعاهم عمار في مصر إلى الصلح والطاعة، ودعاه الأشرار إلى الحرب والقتال، والخروج على عثمان رضي الله عنه. ولكن عمارا تأثر بقول الأشرار -كما يقول المؤرخون-، وبقي عندهم في مصر، ثم انضم إلى جيش علي رضي الله عنه، أي: كان يدعوهم إلى الجنة، أي: الصلح، ويدعونه إلى النار، أي: الحرب.

بعض الروايات التي تتضمن اتهام بعض الصحابة بقتل عمار رضي الله عنهم، وتحقيقه:

روى الحاكم في «المستدرك» بإسناد الواقدي أن عقبة بن عامر الجهني، وعمر بن الحارث الخولاني، وشريك بن سلمة هجموا معًا على عمار وقتلوه. (المستدرك، رقم:٥٦٥٧)

ثم روى الحاكم بإسناد الواقدي أن الذي قتل عمارا هو أبو غادية المزني، وقطع رأسه رجل آخر، وقدما على عمرو بن العاص يختصمون، كل يقول: أنا قتلت عمارًا.(المستدرك، رقم: ٥٦٥٧).

والروايتان غير صحيحتين؛ لأن الواقدي متروك، ومتهم بالكذب. قال الحافظ ابن حجر في الواقدي :«متروك مع سعة علمه».(تقريب التهذيب)

وحكى العلامة الذهبي في «ميزان الاعتدال» عن بعض المحدثين توثيقه، وعن عدد من المحدثين أنه متروك، كذاب وواضع الحديث. قال أحمد بن حنبل: هو كذاب. وقال

البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم والنسائي وابن المديني وابن راهويه: الواقدي يضع الحديث. قال العلامة الذهبي في نهاية ترجمة الواقدي:«واستقر الإجماع على وهن الواقدي». (ميزان الاعتدال ٣/ ٦٦٥-٦٦٦)

فهذا الواقدي الكذاب يتهم أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: عقبة بن عامر، وعمرو بن الحارث، وشريك بن سلمة، وأبا غادية المزني رضي الله عنهم.

اتهام أبي الغادية بقتل عمار رضي الله عنهما؟:

قال ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢٦٠): أخبرنا عفان بن مسلم (ثقة ثبت) قال: أخبرنا حماد بن سلمة (ثقة) قال: أخبرنا أبو حفص (شيخ لا يحتج به)، وكلثوم بن جبر (صدوق يخطئ يروي المراسيل. وقال الذهبي: إسناده فيه انقطاع، كما سيأتي)، عن أبي غادية قال: سمعت عمار بن ياسر يقع في عثمان يشتمه بالمدينة. قال: فتوعدته بالقتل، قلت: لئن أمكنني الله منك لأفعلن، فلما كان يوم صفين جعل عمار يحمل على الناس، فقيل: هذا عمار، فرأيت فرجة بين الرِّئَتَين وبين الساقين، قال: فحملت عليه فطعنته في ركبته، قال: فوقع فقتلته، فقيل: قتلتَ عمار بن ياسر. وأُخْبِر عمرو بن العاص، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قاتله وسالبه في النار»، فقيل لعمرو بن العاص: هو ذا أنت تُقاتِلُه، فقال: إنما قال: «قاتله وسالبه».

وأخرجه أحمد بنفس إسناد ابن سعد ولم يذكر زيادة قتل أبي الغادية لعمار، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: أخبرنا أبو حفص، وكلثوم بن جبر، عن أبي غادية، قال: قُتِل عمارُ بن ياسر، فأُخبِر عمرُو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قاتله، وسالبه في النار»، فقيل لعمرو: فإنك هو ذا تقاتله، قال: إنما قال: «قاتله، وسالبه». (مسند الإمام أحمد، رقم:١٧٧٧٦)

وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات أو صدوق، إلا أن كلثوم بن جبر يروي المراسيل، كما صرَّح به ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٣٥٦) حيث قال: «كلثوم بن جبر والد ربيعة بن كلثوم كنيته أبو محمد يروى المراسيل، روى عنه بن عون، مات سنة ثلاثين ومئة». ولذلك قال الذهبي في «السير» (٢/ ٥٤٤): «إسناده فيه انقطاع». وزيادة قتل أبي الغادية لعمار أعرض عنها الإمام أحمد، وإعراضه عنها يدل على إنكاره لها، لاسيما أن أول إسناده عند أحمد

وابن سعد متفق بينهما، وإنما المخالفة وقعت في المتن.

وأبو حفص، قال عنه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقات «مسند الإمام أحمد»: «لم نتبيَّنه». (٢٩/ ٣١١)

نقول بتوفيق الله تعالى: لعله سعيد بن جمهان البصري، قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٤٦٢)، وابن مندة في «فتح الباب في الكنى والألقاب»، (ص٢١٠): «أبو حفص: سعيد بن جمهان سمع سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم. روى عنه: عبد الوارث بن سعيد، وحمَّاد بن سلمة».

ولكن لا يعرف لأبي حفص سعيد بن جمهان سماع عن أبي غادية المزني، ولم يروى عن أبي حفص عن أبي غادية حديثٌ غير هذا. ويظهر من كلام يحيى بن معين أن أبا حفص هذا مجهول. قال الإمام أحمد بن حنبل: «قلت ليحيى: حمَّاد بن سلمة عن أبي حفص عن أبي الغادية؟ قال: ما أعرفه، ما أعلم روى عنه غير حماد بن سلمة. قلت ليحيى: يُسَمَّى؟ قال: لا». (العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، برواية ابنه عبد الله ٢/ ٦٠٢)

وسعيد بن جمهان وثَّقه بعضهم، ولم يعتد به كثير من ناقدي الرجال: فقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: «شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال الذهبي في «المغني في الضعفاء»: «شيخ لا يحتج به». وقال الإمام البخاري: «وفي حديثه عجائب». وقال الساجي: «لا يتابع على حديثه».

وأما رواية ابن أبي حاتم في «العلل» (٢٧٦٩) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٣) قال: أنا القاسم بن الليث الرسعني بتنيس، وعبد الصمد بن عبد الله الدمشقي، قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا سعيد بن يحيى، حدثنا الحسن بن دينار (متروك، متهم بالكذب والوضع) عن كلثوم بن جبر المرادي، عن أبي الغادية، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قاتل عمار في النار»، وهو الذي قتل عمار.

وهذا الحديث من هذا الطريق لا يعرف إلا بالحسن بن دينار، قال ابن حبان عنه: يحدث الموضوعات عن الأثبات. تركه وكيع وابن المبارك، فأما أحمد ويحيى فكانا يكذبانه.(المجروحين ١/ ٢٣١). وقال البخاري: تركه يحيى، وعبد الرحمن، وابن المبارك، ووكيع.(ميزان الاعتدال ١/ ٤٨٧)

وروى عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٦٦٩٨) قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو موسى العنزي محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن ابن عون، عن كلثوم بن جَبْر، قال: كنا بواسط القصَب عند عبدالأعلى بن عبد الله بن عامر، قال: فإذا عنده رجل يقال له أبو الغادية، استسقى ماء فأتي بإناء مُفَضَّضٍ فأبى أن يشرب، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر هذا الحديث: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضُكم رقاب بعض»، فإذا رجل يسُبُّ فلانًا، فقلت: والله لئن أمكنني الله منه في كَتِيبة، فلما كان يوم صفين إذا أنا به وعليه دِرعٌ، قال: ففطِنتُ إلى الفُرجة في جُرَبَّان الدِّرع، فطعنتُه فقتلتُه، فإذا هو عمار بن ياسر، قال: قلتُ: وأيَّ يدٍ كفتاه، يَكرَه أن يشرَب في إناء مفَضَّض، وقد قتل عمارَ بنَ ياسر.

وأخرجه البخاري في «التاريخ الأوسط» (٧٢٩) من طريق ابن عون، به.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٢٦٠) قال: أخبرنا عفان بن مسلم أخبرنا حماد بن سلمة أخبرنا أبو حفص وكلثوم بن جبر عن أبي الغادية فذكره.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٦٣/ ٩١٢) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، وأبو مسلم الكشي، قالا: ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا ربيعة بن كلثوم، ثنا أبي، قال: كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فقال الآذِن: هذا أبو غادية الجهني فقال عبد الأعلى: أدخلوه، فدخل وعليه مقطعات له رجل طوال ضرب من الرجال كأنه ليس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال: بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: بيمينك، قال: نعم، خطبنا يوم العقبة، فقال: «يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم قال: «اللهم اشهد» قال: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» قال: وكنا نعد عمار بن ياسر من خيارنا، قال: فلما كان يوم صفين أقبل يمشي أول الكتيبة راجلا حتى إذا كان من الصفين طعن رجلا في ركبته بالرمح، فعثر فانكفأ المغفر عنه فضربته، فإذا هو رأس عمار قال: يقول مولى لنا: «أي يد كفتاه؟» قال: «فلم أر رجلا أبين ضلالة عندي منه أنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ما سمع، ثم قتل عمارا».

وأخرجه أيضًا في «الكبير» (٢٢/ ٣٦٣/ ٩١٣) : قال: حدثنا أحمد بن داود المكي ثنا يحيى بن عمر الليثي ثنا عبد الله بن كلثوم بن جبر قال سمعت أبي: فذكر القصة بنحو ما

تقدم.

وهذه القصة الإسناد فيها إلى كلثوم بن جبر صحيح، فقد وثقه أحمد وابن معين، وقال النسائي عنه: ليس بالقوي. وقال ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٣٥٦): «كلثوم بن جبر يروي المراسيل». فإتيانه بحديث فيه نكارة لا يقبل، فهو يعارض مطلق عدالة الصحابة، إذ لا يجوز دفع اليقين المقطوع به من ذلك بمثل هذه الآثار المشكوك في صحتها، والنكارة في المتن بيِّنة، إذ كيف يروي أبو الغادية حديث «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، ثم هو يقتل عمار!؟ ولذلك قال عبد الأعلى راوي الحديث بعد أن ساق الرواية: «فلم أر رجلًا أبين ضلالة عندي منه، إنه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ما سمع، ثم قتل عمارًا». ولهذا فإن الإمام أحمد أعرض في روايته عن زيادة قتل أبي الغادية لعمار، وهذا يدل على أن هذه الزيادة (وهي قتل أبي غادية لعمار) منكرة ولا تصح. والإمام أحمد قال عنه الحافظ في «التقريب»: «أحد الأئمة ثقة حافظ فقيه حجة». وابن سعد قال عنه الحافظ في «التقريب»: «صدوق فاضل».

وإليكم رواية أحمد، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث (ثقة)، قال: حدثنا ربيعة بن كلثوم (صدوق يهم)، قال: حدثني أبي (صدوق يخطئ)، عن أبي غادية الجهني، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فقال: «يا أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم. قال: «اللهم هل بلغت؟». (مسند أحمد، رقم:١٦٦٩٩، وأخرجه أيضًا من طريق عفان بن مسلم، عن ربيعة، به. رقم:١٦٧٠٠)

وأما ذكر ابن معين (تاريخ ابن معين ١/ ١٢٥)، ومسلم (الأسماء والكنى ٢/ ٦٦٩)، والدارقطني (المؤتلف والمختلف ٤/ ١٧٩٣) بأنه قاتل عمار، فلم نجد روايةً ثابتةً جاءت من طريق صحيح تدل على قتل أبي الغادية لعمار رضي الله عنهما.

ثم إن سياق القصة لا يخلو من نكارة، إذ كيف يشتم عمار بن ياسر رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه وهو في المدينة تحت إمرته وسطوته. وفي «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٦٠) صرح بلفظ الشتم، وهوقوله: «فبينا أنا في مسجد قباء إذ هو يقول: ألا إن نعثلا هذا لعثمان»، وهل هذا إلا منافٍ للرشاد، وعمار رضي الله عنه قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خيِّر عمار

بين أمرين إلا اختار أرشدهما». (رواه الترمذي (رقم:٣٧٩٩)، وابن ماجه (رقم:١٤٨)، وأحمد (رقم:٢٤٨٢٠)، وإسناده صحيح).

وقد قال ابن معين: «كل من شتم عثمان أو أحدًا من الصحابة لا يكتب حديثه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». (مختصر الكامل في الضعفاء، ترجمة تليد بن سليمان، ص٢٠٤)

وخلاصة الكلام أن في ثبوت الحديث (الذي فيه: أن عمارا شاتم عثمان، وأبا الغادية قاتل عمار) نظرًا، لاسيما وأن الأصل المتيقن عدالة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يعدل عن هذا الأصل بأثر مشكوك في صحته، بل كيف يعدل وظاهر الحديث الضعف والنكارة.

وفي بعض الروايات قال عمرو بن العاص: «قد والله قتلناه» (أي: عمارَ بن ياسر). أخرجه السنائي في «السنن الكبرى» (رقم:٨٢١٦)، وفي «فضائل الصحابة» (رقم:١٦٩)، وعبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (رقم:١٦٠٦)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٦٣)، والحاكم في «المستدرك» (رقم:٥٦٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٣٩٨) من طريق عبد الله بن عون، عن الحسن قال: قال عمرو بن العاص: «إني لأرجو أن لا يكون النبي صلى الله عليه وسلم مات يوم مات وهو يحب رجلا، فيدخله الله النار» قالوا: قد كنا نراه يحبك، قد كان يستعملك قال: «الله أعلم، أحبني أم تألفني، ولكنا قد كنا نراه يحب رجلا» قالوا: من ذاك الرجل؟ قال: «عمار بن ياسر» قالوا: فذاك قتيلكم يوم صفين قال: «قد والله قتلناه».

وأخرجه أيضًا ابن سعد «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٦٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٣٩٧)، من طريق جرير بن حازم قال: أخبرنا الحسن قال: قيل لعمرو بن العاص: قد كان رسول الله يحبك ويستعملك قال: قد كان والله يفعل، فلا أدري أحب أم تألف يتألفني، ولكني أشهد على رجلين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحبهما: عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر، قالوا: فذاك والله قتيلكم يوم صفين قال: «صدقتم والله، لقد قتلناه».

قلت: هذا مرسل، ومرسل الحسن البصري أضعف المراسيل.

قال الذهبي في تلخيص «المستدرك»: «مرسل». وقال أحمد: «ليس في المرسلات

أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح؛ فإنهما كانا يأخذان عن كل أحد». (الكفاية في علم الرواية ١/ ٣٨٦). وفي «تدريب الراوي»: قال الإمام أحمد بن حنبل: «ليس في المرسلات أضعف من الحسن». (تدريب الراوي ١/ ٢٣٠)

وفي رواية: أن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه سل سيفه حني قتل عمار بصفين، فقاتل حتى قُتِل. أخرجه أحمد (٢١٨٧٣)، قال: حدثنا يونس، وخلف بن الوليد، قالا: حدثنا أبو معشر (ضعيف)، عن محمد بن عمارة بن خزيمة بن ثابت (مجهول)، قال: ما زال جدي، كافًّا سلاحه يوم الجمل حتى قُتِل عمار بصفين، فسلَّ سيفه، فقاتل حتى قُتِل. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « تقتل عمارا الفئة الباغية».

أبو معشر، هو نجيح بن عبد الرحمن ضعفه القطان وابن معين وأبو داود والنسائي وابن عدي. وقال أبو زرعة صدوق.(لسان الميزان ٧/ ٤٨٤)

ومحمد بن عمارة بن خزيمة مجهول؛ قال الحافظ ابن حجر: «لا يكاد يعرف».(تعجيل المنفعة ٢/ ٢٠٠)

ومحمد بن عمارة لم يشهد القصة، فحديثه هذا منقطع.

وقال الحافظ ابن حجر: وأخرج ابن أبي الدّنيا، عن محمد بن أبي معشر، عن أبيه، قال: بينما الحجاج جالس إذ أقبل رجل يقارب الخطا. فلما رآه الحجاج قال: مرحبا بأبي غادية، وأجلسه على سريره، وقال: أنت قتلت ابن سميّة؟ قال: نعم. قال: كيف صنعت؟ قال: فعلت كذا وكذا حتى قتلته، فقال الحجاج: يا أهل الشام، من سره أن ينظر إلى رجل طويل الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا، ثم سارّه أبو الغادية، فسأله شيئا، فأبى عليه، فقال أبو الغادية: نوطئ لهم الدنيا ثم نسألهم منها فلا يعطوننا، ويزعم أني طويل الباع يوم القيامة، أجل، واللهِّ إن من ضرسه مثل أحد، وفخذه مثل وَرِقان (جبل بين المدينة ومكة)، ومجلسه ما بين المدينة والرّبذة لعظيم الباع يوم القيامة. (الإصابة ٧/ ٢٦٠)

قال ابن حجر: «قلت: وهذا منقطع، وأبو معشر فيه تشيع مع ضعفه، وفي هذه الزيادة تشنيع صعب». (الإصابة ٧/ ٢٦٠)

ونُنهي الكلام بما قاله الشيخ محمد سرفراز صفدر رحمه الله.قال الشيخ: «لاشك أن معاوية رضي الله عنه وأصحابه والصحابة الكرام برآء من قتل عمار رضي الله عنه. فلم يقتلوا

عمارا، ولا كانوا بغاة أو دعاةً إلى النار...، وكل ذلك من فعلات ابن سبا وجماعته، ممن كانوا يدَّعون الإسلام بلسانهم، وينقضون الإسلام عروة عروة من الداخل،...ولم يكن أحد من قتلة عمار صحابيًّا أو داعيًا إلى الجنة؛ بل كان القتلة كلهم من الأشرار والمفسدين يجتثون جذور الإسلام. فلم يقتل صحابي عمارًا ولا قُتِلَ رضي الله عنه بأمر معاوية رضي الله عنه أو رضاه».

ساق الشيخ محمد صفدر رحمه الله أدلة وشواهد وقرائن على ذلك ثم قال: «هذه القرائن والشواهد الداخلة والخارجة تبين بجلاء أن قاتل عمار لم يكن معاوية وجيشه الشامي، أو أحد من الصحابة؛ بل جماعة ابن سبا الشريرة، المعادية للإسلام وأهله، واستماتوا في القضاء على الإسلام». (مباحث ضرورية من صحيح البخاري، من إفادات شيخ الحديث محمد سرفراز صفدر،ص ٤-١٣).

توضيح مراد ابن عمر بالفئة الباغية:

إيراد: قال ابن عمر رضي الله عنهما: «لم أجد آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي». دلت هذه الرواية على أن جماعة معاوية كانت الباغية.

الجواب: روي عن عبد الله بن عمر أنه وصف ثلاث جماعات بالفئة الباغية:

١- جماعة عبد الله بن الزبير.

٢- جماعة الحجاج. ولم يسم ابن عمر الحجاج.

٣- لم يرد منه توضيح للجماعة الثالثة، فحملها البعض على جماعة معاوية رضي الله عنه، والصحيح أن المراد به جماعة الخوارج، التي اتفقوا على بغيها وخروجها. وقام علي رضي الله عنه بمقاومتها.

١- الزهري: عن حمزة بن عبد الله، قال: أقبل ابن عمر علينا، فقال: «ما وجدت في نفسي شيئا من أمر هذه الأمة، ما وجدت في نفسي من أن أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله». قلنا: ومن ترى الفئة الباغية؟ قال: «ابن الزبير، بغى على هؤلاء القوم، فأخرجهم من ديارهم، ونكث عهدهم». (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣١)

دلت هذه الرواية على أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يعد جماعةَ عبد الله بن

الزبير فئة باغية. ويتمنى القتال ضدها. وقال الشيخ كفايت الله السنابلي: «كما ذمَّ عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم موقفَ ابن الزبير رضي الله عنهما. وروي أن عبد الله بن عمر كان يعد ابن الزبير رضي الله عنهما وأصحابه فئة باغية، ويتأسف على عدم قتاله ضدهم؛ لأن القتال ضد البغاة مأمور به. وحكى ذلك الإمام الذهبي أيضًا. واعلم أن ما كان يتمناه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما –ذلك الصحابي الجليل– قام به أهل الشام. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين بلغه قتلُ عبد الله بن الزبير شهيدا: «أما والله لأمَّةٌ أَنْتَ أشرُّها لأُمَّةٌ خَيْرٌ».(صحيح مسلم، رقم:٢٥٤٥) (حادثة كربلاء والمكيدة السبائية، ص ٩٧-٩٨).

٢- اندلعت الفتنة على عهد الحجاج أيام الحج، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حاجا حينئذ، فأصابه سهم فجأة، فجرح، وتفاقم مرضه، بلغ ذلك الحجاجَ فعاد ابن عمررضي الله عنهما، وقال: لوعلمت مَن جرحك، لعاقبته عقابًا شديدًا. فقال ابن عمر: أنت الذي جرحتني، وحملت السلاح في أيام الحج. وأدخلته إلى الحرم.

قال ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا العوام بن حوشب، قال: حدثني عياش العامري، عن سعيد بن جبير، قال: لما أصاب ابن عمر الخبل الذي أصابه بمكة فرمي حتى أصاب الأرض فخاف أن يمنعه الألم، فقال: يا ابن أم الدهماء اقض بي المناسك. فلما اشتد وجعه بلغ الحجاج فأتاه يعوده فجعل يقول: لو أعلم من أصابك لفعلت وفعلت. فلما أكثر عليه قال: أنت أصبتني. حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح. فلما خرج الحجاج، قال ابن عمر: ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأِ الهواجر، ومكابدة الليل، وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١٨٥، ط: دار صادر، بيروت، وإسناده صحيح)

ساق العلامة الذهبي هذه الرواية بلفظ: «لما احتضر ابن عمر، قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأِ الهواجر، ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل الفئة الباغية التي نزلت بنا –يعني: الحجاج». (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣١)

وقيل: تفيد هذه الرواية أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يعد جماعة الحجاج فئة باغية. ولكن لم يصرح باسم الحجاج في هذه الرواية العلامة الذهبي أو غيره، كما لم يصرح ابن عمر

أيضًا. فلوكان ابن عمر يعد الحجاج باغيًا وظالما لما كان معه؛ بل كان ابن عمر مع الحكومة التي يمثلها الحجاج، ويراعي البيعة عليها.

ساق ابن سعد عدة روايات تخص قصة ابن عمر رضي الله عنهما والحجاج المذكورة، ثم حكى قول ابن عمر رضي الله عنهما: «ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/ ١٨٥. وإسناده منقطع بين حبيب وابن عمر)

ذكر العلامة الذهبي هذه الرواية في «سير أعلام النبلاء» عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر. فهو متصل، وإسناده صحيح.

٣- والرواية الثالثة التي لم توضِّح مراد ابن عمر رضي الله عنهما بالفئة الباغية، إلا أن القرائن تؤكد أن الفئة الباغية هم الخوارج.

عن شريك، عن فطر بن خليفة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر، قال: «ما أجدني آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي».(المعجم الكبير للطبراني، رقم:١٣٨٢٤)

قال ابن سعد في فطر بن خليفة: «وكان ثقة إن شاء الله. ومن الناس من يستضعفه». (الطبقات الكبرى ٦/ ٣٤٤)

وقال الشيخ بشار عواد وشعيب الأرناؤوط في شريك بن عبد الله: «خلاصة القول فيه أنه يتعين تتبع ما توبع عليه، فإنه يخاف أن يكون ضعيفًا عند التفرد لسوء حفظه وغلطه، ولم يحتج به مسلم، وإنما أخرج له في المتابعات» . (تحرير تقريب التهذيب ٢/ ١١٤)

ذكر الطبراني إسنادًا آخر لهذا الحديث: عن سنان بن هارون، عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، قال: سمعت ابن عمر يقول: ما آسى على شيء فاتني إلا الصوم والصلاة، وتَرْكي الفئةَ الباغية ألا أكون قاتلتها، واستِقالتي عليًّا البيعةَ». (المعجم الكبير للطبراني، رقم:١٣٨٢٥)

قال الشيخ بشار عواد وشعيب الأرناؤوط في سنان بن هارون: «ضعيف،ضعَّفه يحيى بن معين، وأبو داود، والنسائي، والساجي، وابن حبان، وقال: منكر الحديث جدًّا، يروي المناكير عن المشاهير...». (تحرير تقريب التهذيب٢/ ٨٤)

وفي إسنادي الطبراني رواة ضعفاء، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه الطبراني بأسانيدَ، وأحدُها رجالُه رجالُ الصّحيح». (مجمع الزوائد ٧/ ٢٤٢)

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب»، والعلامة الذهبي في «سير أعلام النبلاء» هذه الرواية بإسناد آخر وهو متصل وصحيح:

حدثنا أبو أحمد، حدثنا عبد الجبار بن العباس، عن أبي العنبس، عن أبي بكر بن أبي الجهم، قال: سمعت ابن عمر يقول: «ما آسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي». (الاستيعاب ٣/ ٩٥٣. سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٣٢)

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» أسانيد أخرى لهذه الرواية، ولكنها لا توضح الجماعة التي أراد ابن عمر بالفئة الباغية، وهذه الألفاظ صارخة بأن المراد بها «الخوارج».

الاستدلال برواية حذيفة على أن عليًّا رضي الله عنه كان على الحق، ومعارضيه كانوا على الباطل، والجواب عنها:

إيراد: قال حذيفة رضي الله عنه: «انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي رضي الله عنه فالزموها، فإنها على الهدى». (مسند البزار، رقم: ٢٨١٠. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد٧/ ٢٣٦: رجاله ثقات)

دلت هذه الرواية على أن عليًّا رضي الله عنه كان على الحق، ومعارضيه على الباطل.

الجواب: إسناده ضعيف، وسنده هكذا: حدثنا أحمد بن يحيى الكوفي، قال: أخبرنا أبو غسان، قال: أخبرنا عَمْرو بن حريث، عن طارق بن عبد الرحمن، عن زيد بن وهب، قال: بينما نحن حول حذيفة إذ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيكم في فئتين يضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف؟ فقلنا: يا أبا عبد الله وإن ذلك لكائن؟ قال: أي والذي بعث محمدًا بالحق أن ذلك لكائن. فقال بعض أصحابه: يا أبا عبد الله فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان؟ قال: انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي رضي الله عنه فالزموها فإنها على الهدى». (مسند البزار، رقم: ٢٨١٠)

في إسناده عمرو بن حريث، مجهول. (لسان الميزان٤/ ٣٤٠) ويفيد قوله: «وقد خرج أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم في فئتين» أن حذيفة أشار إلى حرب الجمل، لا إلى حرب صفين؛ لأن معاوية رضي الله عنه ليس من أهل البيت.

ثم إن من الدعاة إلى علي رضي الله عنه قتلة عثمان رضي الله عنه أيضًا، فهل كانوا على هدى؟ نعم كان علي على الحق بإزاء الخوارج وهو واضح ومنصوص عليه.

اتهام معاوية رضي الله عنه بأنه أمر بالسب والشتم:

اتهم الشيخُ عبد الله الهرري في «إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٣٢) بناء على ماروواه مسلم في «صحيحه» معاويةَ رضي الله عنه بأنه كان يأمر سعدًا رضي الله عنه بأن يسب عليا رضي الله عنه: عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟...». (صحيح مسلم، رقم: ٢٤٠٤)

الجواب:

لا تفيد هذه الرواية إلا أن معاوية رضي الله عنه سأل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن امتناعه عن سب علي رضي الله عنه. ثم إن «السَّب» لا يطلق دائمًا على الشتام، بل له معانٍ عدة: منها: التعيير، والاعتراض، وإعجاب المرء برأيه وتخطئة رأي غيره. قال أبوذر رضي الله عنه ذات مرة لبعض الصحابة تعييرًا له: يا ابن السوداء. وعبر عنه بالسب، قال أبو ذر رضي الله عنه: «إني ساببت رجلا فعيرته بأمه...». (صحيح البخاري، رقم: ٣٠)

قال العلامة محمد طاهر الفتني: «هذا لا يستلزم أمر معاوية بالسب، بل سؤال عن سبب امتناعه عنه أنه تورع، أو إجلال، أو غير ذلك، أو المعنى ما منعك أن تخطئه في اجتهاده». (مجمع بحار الأنوار٣/ ١٤). وهذا ما حمله عليه العلامة النووي، والقاضي عياض، وغيرهما. (شرح النووي على مسلم١٥/ ١٧٥. إكمال المعلم ٧/ ٢١٠)

أو كان معاوية رضي الله عنه يريد أن يسمع من سعد رضي الله عنه بعض فضائل علي رضي الله عنه، وموقفه منه – علي رضي الله عنه–، أي: سأله امتحانًا ليعلم ما يجيب به سعد رضي الله عنه. وكان سعد رضي الله عنه ممن اعتزل الفتنة، ومعاوية رضي الله عنه من الأذكياء يحب أن يعلم رأي الناس. ومثله ما قال ذات مرة لابن عباس على سبيل المزاح: «أنت على ملة عليٍّ؟»، فقال ابن عباس رضي الله عنه: «ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم». (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، رقم:١٣٣. وانظر: الانتصار للصحب والآل من افتراء ات السماوي الضال، ص٢٤٧)

وعن أبي قبيل، عن معاوية بن أبي سفيان، أنه صعد المنبر يوم الجمعة فقال عند خطبته: إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن شئنا أعطيناه، ومن شئنا منعناه، فلم يجبه أحد، فلما كان

الجمعة الثانية قال مثل ذلك، فلم يجبه أحد، فلما كان الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممن حضر المسجد، فقال: كلا، إنما المال مالنا والفيء فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا، فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخله فقال القوم: هلك الرجل، ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير، فقال معاوية للناس: إن هذا الرجل أحياني أحياه الله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون أئمة من بعدي يقولون ولا يرد عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة»، وإني تكلمت أول جمعة فلم يرد عليَّ أحد، فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت في الجمعة الثانية فلم يرد عليَّ أحد، فقلت في نفسي: إني من القوم، ثم تكلمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد عليَّ، فأحياني أحياه **الله**. (المعجم الكبير للطبراني، رقم:١٩/ ٣٩٣/ ٩٢٥. ومسند أبي يعلى، رقم:٧٣٨٢، وزاد أبو يعلى قوله: «ورجوت أن لا يجعلني الله منهم». والمطالب العالية، رقم:٤٣٤٨. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١/ ٤٨٦): رواه الطبراني في الكبير والاوسط وأبو يعلى ورجاله ثقات)

دلت هذه الرواية على أن معاوية رضي الله عنه لم يقل: «إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن شاء أعطيناه ومن شئنا منعناه» إلا امتحانا للناس، فأثنى على من عارضه وانتقده، وأجلسه معه وأكرمه.

ثم إن السب بين الصحابة مما ينافي مكانتهم من الصحبة. وأما معاملة معاوية مع أهل البيت بالأخلاق الحسنة فقد أثنى عليها بذلك المؤرخون الشيعة أنفسهم، فيقول أبو حنيفة الدينوري- أحد قدماء المؤرخين الشيعة- في «الأخبار الطوال»: «قالوا: ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءًا في أنفسهما ولا مكروهًا، ولا قطع عنهما شيئًا مما كان شرط لهما، ولا تغير لهما عن بر». (الأخبار الطوال، ص٢٢٥)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لله دَرُّ ابن هند ولينا عشرين سنة فما آذانا على ظهر منبر ولا بساط، صيانةً منه لعرضه وأعراضنا، ولقد كان يحسن صلتنا ويقضي حوائجنا». (أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٨٣)

وكيف يأمر معاوية رضي الله عنه بسب علي رضي الله عنه، وقد كان يراه أفضل من نفسه. فقال لأبي مسلم الخولاني في علي رضي الله عنه: «إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر». (فتح الباري ١٣/ ٨٤. وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٠١. وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٤٠)

بلغ معاوية رضي الله عنه استشهادُ علي رضي الله عنه فبكى وقال لأهله: «إنكِ لا

تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم». (البداية النهاية ٨/ ١٣٠)

ومادام لم يسب معاوية رضي الله عنه عليًّا رضي الله عنه في حرب صفين فما باله يسبه بعد وفاته؟!

نسبة تخطئة اجتهاد معاوية رضي الله عنه وإبطاله وإنكاره وبغيه إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:

حكى الشيخ عبد الله الهرري في «إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية» (ص ٣٤٩) عن «مقالات الأشعري» لصاحبه ابن فورك: كان خروج معاوية على علي رضي الله عنه خروجًا خاطئًا، وباطلًا ومنكرًا وبغيًا. «كان يقول (أي: أبو الحسن الأشعري) في حرب معاوية: إنه كان باجتهاد منه، وإن ذلك كان خطأ وباطلا ومنكرًا وبغيًا على معنى أنه خروج عن إمام عادل». (إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٤٩)

ولا يصح نسبة هذا النص إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فإنه رحمه الله قال في نهاية آخر تصانيفه: «الإبانة في أصول الديانة»: «وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي صلى اللهُ عليه وسلم بالجنة، والشهادة تدل على أنَّ كلهم كانوا على الحق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبَّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري مِن كل من ينقص أحدًا منهم، رضي الله عنه جميعهم». (الإبانة عن أصول الديانة، ص١٩٠، ط: مكتبة دار البيان، دمشق).

عمل صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي في كتاب «الإبانة» رسالة الدكتوراه، وقام بتصحيح نصه بالمقارنة مع نصوص خمس نسخ مطبوعة، وست مخطوطات، جاء النص المذكور في ص٥٧٣ من هذه النسخة.

ونص الإمام الأشعري هذا يوافق عقيدة أهل السنة والجماعة.

وليس كتاب «مقالات الأشعري» من عمل الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله، فالظاهر أن قوله: «وإن ذلك كان خطأً وباطلًا ومنكرًا وبغيًا على معنى أنه خروج عن إمام

عادل» بعد قوله: «إنه كان باجتهاد منه» زيادة من ابن فورك أو غيره. قال ابن تيمية: أدخل ابن فورك الزيادة والحذف في كلام أبي الحسن الأشعري «وكذلك فيما نقله من كلام الأشعري كيف زاد فيه ونقص...». (بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٤٦)

نسبة كتاب «الإبانة عن أصول الديانة» إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:

شكك البعض في نسبة «الإبانة في أصول الديانة» إلى الإمام الأشعري، وذلك لأن ابن فورك لم يذكر هذا الكتاب في مؤلفات الإمام الأشعري.

وعدم تعرض ابن فورك له يرجع إلى أنه إنما ذكر مؤلفات الإمام الأشعري التي عملها قبل عام ٣٢٠هـ، وأما كتاب «الإبانة» فآخر تأليفات الإمام الأشعري، وقد ألفه بعد عام ٣٢٠هـ في بغداد، كما في بيان تلبيس الجهمية: «إن هذا الكتاب ونحوه صنفه ببغداد في آخر عمره».(بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٤٣)

قال ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»: «قال ابن فورك: قد عاش بعد ذلك إلى سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وصنف فيها كتبا...».

ثم سرد ابن عساكر أسماء الكتب التي ذكرها ابن فورك، وقال:«وقد وقع إليَّ أشياءً لم يذكرها في تسمية تواليفه». (تبيين كذب المفتري، ص١٣٥-١٣٦)

دل النص السابق على أن ابن فورك عدَّد مؤلفاته حتى عام ٣٢٠هـ، ولم يذكر ما ألفه الأشعري فيما بعد، وأما كتاب الإبانة فآخر تأليفات الإمام الأشعري، فلا يستلزم عدم ذكر ابن فورك «الإبانة» في مؤلفات الإمام الأشعري أنه ليس من تأليف الأشعري، في حين نسبه كثير من العلماء إلى الإمام الأشعري.

ذكر ابن عساكر في غير موضع من كتابه «تبيين كذب المفتري» كتاب الإبانة للإمام الأشعري، و حكى قول بعضهم في موضع منه:

لو لم يصنف عمره ❁ غير الإبانة و اللمع
لكفى فكيف وقد تفنْـ ❁ نَنَ في العلوم بما جمع

(تبيين كذب المفتري، ص١٧١)

وقال في موضع آخر ثناء على كتاب «الإبانة»: «في صحة عقيدته في أصول الديانة

اسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سماه بالإبانة». (تبيين كذب المفتري، ص١٥٢)

قال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد: «وبمعناه ذكره أيضًا علي بن إسماعيل في كتابه الإبانة». (الاعتقاد للبيهقي، ص١٠٧)

وقال الإمام الذهبي: «وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن». (العلو، ص٢١٩)

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة عبد الله بن سعيد بن كلاب: «وعلى طريقته مشى الأشعري في كتاب الإبانة». (لسان الميزان٣/ ٢١٩)

قال ابن العماد الحنبلي في ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري: «قال في كتابه «الإبانة في أصول الديانة» وهو آخر كتاب صنّفه». (شذرات الذهب ٤/ ١٣١)

وقال ابن تيمية في «الإبانة»: «وهذا الكتاب هو من أشهر تآليف الأشعري، وآخرها». (بيان تلبيس الجهمية ١/ ١٣٥. مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٩)

وقال النعمان الآلوسي: قال شيخنا خالد النقشبندي الشافعي: «الإبانة في أصول الديانة» الذي هو آخر مؤلفاته وعليه التعويل في مذهب الأشعري». (جلاء العينين، ص١٥٠)

كما أن معظم مواد كتاب الإبانة موجودة في كتابه «مقالات الإسلاميين»، وكتابه «رسالة إلى أهل الثغر».

وأعد صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي رسالة الدكتوراه على هذا الكتاب، وسرد أسماء خمسة وثلاثين من أهل العلم، الذين نسبوا الإبانة إلى الإمام الأشعري، كما كشف شبهات المشككين في نسبة هذا الكتاب إلى الإمام الأشعري، والكتاب في (٦٥٠) صفحة.

إلا أن بعض نسخ الإبانة المطبوعة قد تطرقت إليها يد التحريف والتصحيف، فقد سرد الإمام الأشعري أسماء نحو ثلاثين من كبار أهل العلم الذين قالوا: «القرآن غير مخلوق» في نهاية «الباب الثالث في ذكر الرواية في القرآن»، جاء اسم الإمام أبي حنيفة أيضًا في بعض النسخ دون البعض. وتتضمن النسخ المطبوعة للكتاب بتحقيق كل من الدكتور/ عباس صباح، والدكتورة فوقية حسين محمود اسم الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله، وأما النسخ المطبوعة بتحقيق كل من عبد القادر الأرناؤوط، وصالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي فلا تتضمن فهارسها اسم الإمام أبي حنيفة، مما يدل على أن بعض نسخ الإبانة قد تطرقت إليه يد التحريف.

وسيق في هذا الباب الثالث عن أبي حنيفة رحمه الله ثلاث روايات فيما يخص مسألة خلق القرآن، تضمت الروايات الثلاث الأول أن الإمام أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن، وأفادت الرواية الرابعة أنه رجع عنه بعد ما ناظر أبا يوسف في هذه المسألة.

يبدو أن هذه الروايات الأربع مدرجة في هذا الكتاب، روى الأولى والثالثة هارونُ بن إسحاق الهمداني (م:٢٥٠هـ)، وروى الثانية سفيان بن وكيع (م: ٢٤٧هـ)، في حين ولِدَ الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله (عام ٢٥٨هـ) بعد وفاة الهمداني بثماني سنوات، وبعد وفاة وكيع بعشر سنوات، فهذه الروايات مردودة للانقطاع في الإسناد.

وكان كل من هارون بن إسحاق، وسفيان بن وكيع على مذهب الإمام أبي حنيفة، ويفتيان بمذهبه، فمن المستحيل أن يروي هؤلاء ما يقدح في الإمام أبي حنيفة.

وذُكِر الرواية الرابعة بغير إسناد، فلاعبرة بها أيضًا.

وروى الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات»عن الإمام أبي يوسف بإسناد صحيح أن الإمام أبا حنيفة لم يكن يقول بخلق القرآن. (الأسماء والصفات ١/ ٦١١، ط: مكتبة السوادي، جدة)

قال العلامة زاهد الكوثري: «والنسخة المطبوعة في الهند من الإبانة نسخة مصحفة محرفة تلاعبت بها الأيادي الأثيمة فتجب إعادة طبعها من أصل وثيق».(تعليق تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، ص٣٥)

وساق وهبي سليمان غاوجي في «نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام أبي الحسن الأشعري»، وحمد السنان، وفوزي العنجري في ص ٦٢-٧٢ من كتاب «أهل السنة الأشاعرة» بعض الأمثلة على التحريفات.

و ردَّ الشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي في الفصل الثالث من كتاب «عقيدة الإمام الأشعري أين هي من عقائد السلف» على كل من العلامة الكوثري، والشيخ وهبي سليمان غاوجي ثم قال: «ونعتقد أنه لم يحصل إلحاق للكتاب في ما يتعلق بها». (ص٨٠)، يقول الشيخ: «تشكيكهما في نسبة كتاب الإبانة بكامله إلى الإمام الأشعري يرجع إلى أمرين: أحدهما: أنه لا يتضمن تأويل الصفات الخبرية على وفق متأخري الأشاعرة، والثاني: نسبة خلق القرآن إلى أبي حنيفة رحمه الله». ثم قال الشيخ: «ليست عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري في الصفات الخبرية على وفق متأخري الأشاعرة، وكان أبوحنيفة يقول بخلق

القرآن في أول أمره».

ثم قال الشيخ في نهاية هذا المبحث: «نعم، صحيح أن نسخ الإبانة المطبوعة فيها زيادات قد تكون هذه الزيادات كلمات، وقد تكون جملا، وقد تكون فقرات، وقد قابلت ست نسخ مطبوعة منها بالقسم الذي أخذه ابن عساكر منها، فوجدت فيها هذه الزيادات، ولكنها زيادات لا تخالف المزيد عليه...».(عقيدة الإمام الأشعري أين هي من عقائد السلف، للشيخ محمد صالح بن أحمد الغرسي، ص٨٤، ط: دار الإرشاد، استانبول)

استدلال الشيخ الهرري على معاوية بعدم بيعة علي رضي الله عنه بحديث رواه مسلم، والجواب عنه:

أورد الشيخ عبد الله الهرري في «إظهارالعقيدة السنية» (ص٣٥٤) حديث عبد الله بن عمررضي الله عنهما: «من خلع يدا من طاعة لقي الله لا حجة له يوم القيامة، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» في معارضة معاوية رضي الله عنه.

١- الحديث الذي أورده الشيخ الهرري رواه عبد الله بن عمر رضي الله، ولم يذكر الشيخ هذه الرواية بكاملها، لأنه جاء فيها أن عبد الله بن عمر كان يعنف عبد الله بن مطيع على نقض البيعة ليزيد بن معاوية، ويهدده به، وبلغ عبد الله بن عمر من الغضب ما جعل عبد الله بن مطيع يطرح له الوسادة، ولكن أبى ابن عمر الجلوس عليه، وقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث الذي ساقه الشيخ الهرري ردًّا على معاوية رضي الله عنه.

فهل يرضى الشيخ الهرري أن يعدَّ خلافة يزيد خلافة شرعية؟ ولن يرضى به أبدًا، وكان عليه أن يقبل خلافة يزيد نزولًا عند قرار ابن عمر رضي الله عنه، ولكن الشيخ الهرري لايرضى بمعاوية كاتب الوحي، فكيف يرضى بابنه؟

وطمأنةً للقراء الكرام نسوق الحديث بكامله: روى الإمام مسلم بإسناده فقال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة

لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية». (صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة، رقم:١٨٥١)

وساقه العلامة التفتازاني بلفظ: «من مات من أهل القبلة ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». (شرح العقائد النسفية، ص١٥٢، ط: مكتبة خير كثير، كراتشي)

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاوية رضي الله عنه بلفظ: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية».(مسند أحمد، رقم:١٦٨٧٦، وإسناده حسن)

قال الشيخ حسين أحمد المدني في لفظة العلامة التفتازاني: الحاصل أن كتب الحديث المعتبرة لا تروي الحديث بهذا اللفظ، هذا أولًا، وثانيًا: لو وجد حديث قريب المعنى، فأسانيده جميعها ضعيفة، ولا يحتج بها، والحاصل: لا أصل لهذه الرواية. (مكتوبات شيخ الإسلام ٤/ ٣٨٧، رقم المكتوب:١٧١).

وقال العلامة الذهبي في هذه اللفظة: «وأما قولك في الحديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» فنقول: من روى هذا؟ وأين إسناده؟ بل والله ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم هكذا». (المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٢٨)

٢- سبق أن ذكرنا موثّقًا بالمصادر أن معاوية رضي الله عنه كان يرى عليا رضي الله عنه أحق بالخلافة من نفسه، ولم يكن يأبى بيعة علي رضي الله عنه، وإنما كان يقول بتأخير البيعة له حتى يأخذ الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه، وشتان بين رفض البيعة وتأخيرها، ولم يكن معاوية رضي الله عنه – الذي يعتبره الشيخ الهرري فاسقا ظالما- متفردا بتأخير البيعة؛ بل كان يقول به بعض أجلة الصحابة رضي الله عنهم، فهذا سلمة بن الأكوع من أجلة الصحابة رضي الله عنهم، أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم البيعة منه في مجلس واحدٍ ثلاث مرات، فحين يقول أبو سلمة رضي الله عنه: يا رسول الله! قد بايعتك، فيقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: بايعني مرة أخرى.(صحيح مسلم، رقم: ١٨٠٧)، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما: عن سلمة بن الأكوع: أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع، ارتدَدتَ على عقبيك، تَعَرَّبتَ؟ قال: لا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو.

عن يزيد بن أبي عبيد، قال: لما قتل عثمان بن عفان، خرج سلمة بن الأكوع إلى الربذة، وتزوج هناك امرأة، وولدت له أولادًا، فلم يزل بها، حتى قبل أن يموت بليال، فنزل المدينة. (صحيح البخاري، باب التعرب في الفتنة، رقم:٧٠٨٧. صحيح مسلم، رقم:١٨٦٢)

نصت هذه الرواية على اعتزال سلمة بن الأكوع اعتزالًا كليًّا، في حين يرى الشيخ الهرري أن معارضي علي رضي الله عنه كانوا على باطل، فكيف اعتزل سلمة بن الأكوع الحق، وهو الصحابي الذي كان التابعون يقبلون يده؛ لأنه بايع بها الرسول صلى الله عليه وسلم في مجلس واحد أكثر من مرة.(الأدب المفرد، باب تقبيل اليد، رقم:٩٧٣)

ويفيد قول علي رضي الله عنه أيضًا أن كثيرا من الناس لم يبايعوا، قال الإمام القرطبي: «فقال لهم علي: ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه». (تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٨)

٣- إذا اعتزل بعض الناس بيعة الإمام أيام الفتنة مخافة الوقوع في الشر لم يكن ذلك معارضة للإمام، فإن ابن عمر ومحمد بن مسلمة، وأبا بكرة وغيرهم اعتزلوا القتال مع الفريقين.(فتح الباري ١٣/ ٣١)، بل قال الحافظ: الاعتزال خير إذا لم يتفقوا على إمام واحد.(فتح الباري١٣/ ٣٥-٣٦)

روى البخاري ومسلم حديث: «قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». (صحيح البخاري، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة رقم:٣٦٠٦. وصحيح مسلم، رقم:١٨٤٧)

لم يختلف الصحابة رضي الله عنهم في فضل علي وكماله وصلاحه، إلا أن قضية ثأر عثمان رضي الله عنه، وتواجد الأشرار أمثال مالك الأشتر، وعبد الله بن سبا، وكنانة بن بشر، والخافقي بن حرب وغيرهم ممن تولوا قتل عثمان رضي الله عنه الأمر الذي حمل جماعةً من الصحابة على التخلف عن علي رضي الله عنه. وقد صرح علي رضي الله عنه بدوره لطالبي الثأر لعثمان رضي الله عنه: «إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم». (تجارب الأمم وتعاقب الهمم لابن مسكويه ١/ ٤٦٠. المنتظم لابن الجوزي ٥/ ٧٠. الكامل لابن الأثير ٢/ ٥٥٨)

قال ابن جرير الطبري: «أخذوا أهل المدينة بالاجتماع على علي، والقوم الغالبون على المدينة». (تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٨)

فاعتزلت عائشة رضي الله عنها، والزبير، وعبد الله بن الزبير، وطلحة، ومحمد بن طلحة، وسعيد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، والنعمان بن بشير، ومعاوية بن خديج وغيرهم رضي الله عنهم.

قال ابن خلدون: «ورأى الآخرون أنّ بيعته لم تنعقد لافتراق الصّحابة أهل الحلّ

والعقد بالآفاق ولم يحضر إلا قليل، ولا تكون البيعة إلا باتّفاق أهل الحلّ والعقد ولا تلزم بعقد من تولاها من غيرهم أو من القليل منهم، وإنّ المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون أوّلا بدم عثمان ثمّ يجتمعون على إمام، وذهب إلى هذا معاوية، وعمرو بن العاص، وأمّ المؤمنين عائشة، والزّبير، وابنه عبد الله، وطلحة، وابنه محمّد، وسعد، وسعيد، والنّعمان بن بشير، ومعاوية بن خديج، ومن كان على رأيهم من الصّحابة الّذين تخلّفوا عن بيعة عليّ بالمدينة». (تاريخ ابن خلدون، الفصل الثلاثون في ولاية العهد ١/ ٢٦٧)

وقال ابن خلدون في موضع آخر: «وبايعت الأنصار، وتأخّر منهم حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدريّ، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وسلمة بن سلامة بن وقش، وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة». (تاريخ ابن خلدون، بيعة علي رضي الله عنه ٢/ ٦٠٢-٦٠٣. ومثله في تاريخ ابن الوردي ١/ ١٤٧)

وقال أبو الفداء عماد الدين بن إسماعيل بن علي: «وجاءوا بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، فقال له علي: بايع، فقال: لا، حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس فقال خلوا سبيله. وكذلك تأخر عن البيعة عبد الله بن عمر، وبايعته الأنصار إلا نفرًا قليلًا، منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، والنعمان بن بشير، ومحمد بن مسلمة، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وزيد بن ثابت، وكان هؤلاء قد ولاهم عثمان على الصدقات وغيرها، وكذلك لم يبايع عليًّا سعيد بن زيد، وعبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مطعون، والمغيرة بن شعبة». (المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء إسماعيل بن علي (م:٧٣٢). أخبار علي بن أبي طالب، ١/ ١٧١)

هذا، ويقول الشيخ الهرري: «ما خالفه أحد غير معاوية ومن تبعه من أهل الشام». (الدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم علي من صحابي أو تابعي، ص٢١)

وسبق أن حكينا ثلاثة أقوال في بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهما: لم يبايعا، أو بايعا عن كره، أو بايعا بشرط. فإن كانا بايعا عن رضى وطواعية فقد كان هؤلاء طالبين دم عثمان لا طالبي الخلافة، ولم يرغبوا في القتال، وإنما سلطه عليهم المفسدون.

يقول الشيخ عبدالله الهرري: واجتهاد معاوية لم يكن اجتهادًا يؤجر عليه، أي: كان

اجتهادا عناديا لا خطأً اجتهاديا.

قال الشيخ الهرري في «الدرة البهية شرح العقيدة الطحاوية» في أصحاب الجمل وصفين: «وأما من يقول إنهم مأجورون فأبعد عن الحق». (ص١٠٣).

وقال في ص ١٠٢: «وهذان أدرى بحال معاوية ممن قال: إنه اجتهد فأخطأ فله أجر واحد».

ويقول كبار علماء أهل السنة والجماعة: هو خطأ اجتهادي. إذا اعتبرناه خطأ. قال الحافظ ابن حجر: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين». (فتح الباري ١٣/ ٣٤)

قال العلامة شمس الدين السفاريني في شرح الدرر المضيئة: «التخاصم، والنزاع، والتقاتل، والدفاع الذي جرى بينهم، كان عن اجتهاد قد صدر من كل واحد من رؤوس الفريقين، ومقصد سائغ لكل فرقة من الطائفتين، وإن كان المصيب في ذلك للصواب واحدًا، وهو علي رضوان الله عليه ومن والاه، والمخطئ هو من نازعه وعاداه، غير أن للمخطئ في الاجتهاد أجرًا وثوابًا، خلافًا لأهل الجفاء والعناد، فكل ما صح مما جرى بين الصحابة الكرام وجب حمله على وجه ينفي عنهم الذنوب والآثام». (لوامع الأنوار البهية ٢/ ٣٨٦)

وقال العلامة ابن حزم: «فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه، وصحة إمامته، وأنه صاحب الحق، وأن له أجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وقطعنا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرًا واحدًا». (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٢٥)

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًّا هو المصيب، وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور إن شاء الله». (البداية والنهاية٧/ ٢٧٩)

وقال العلامة ابن حجر الهيثمي: «ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضًا أن معاوية رضي الله عنه لم يكن في أيام عليٍّ خليفة وإنما كان من الملوك، وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده، وأما علي رضي الله عنه فكان له أجران أجر على اجتهاده وأجر على

إصابته». (الصواعق المحرقة ٢/ ٦٢٣)

وقال الإمام القرطبي: «لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم». (الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٢١)

وقال العلامة ابن الأثير الجزري: «وذهب جمهور المعتزلة إلى أن عائشة وطلحة والزبير ومعاوية، وجميع أهل العراق والشام فُسَّاق بقتالهم الإمام الحق، يعنون عليًا كرم الله وجهه... وكل هذا جُرأة على السلف تخالف السنة، فإن ما جرى بينهم كان مبنيًا على الاجتهاد». (جامع الأصول ١/ ١٣٣)

فعلم أن الشيخ الهرري خالف أهل السنة ووافق المعتزلة في هذه القضية.

قال العلامة ابن خلدون: «كان طريقهم فيها الحقّ والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيويّ أو لإيثار باطل أو لاستشعار حقد كما قد يتوهّمه متوهّم، وينزع إليه ملحد». (تاريخ ابن خلدون ١/ ٢٥٧، الفصل الثامن والعشرون).

واعتبر الشيخ عبد الله الهرري في تصانيفه كلَّ من قاتل عليًّا رضي الله من طلاب الدنيا وفسقة، وعصاة، وآثمين، وبغاة. قال الشيخ الهرري في «الدرة البهية» في معاوية رضي الله عنه: «ثم هو –أي: معاوية رضي الله عنه– بعد أن حصل على مطلوبه كفَّ يدَه عن أولئك الذين قتلوا عثمان، فعُلِم بذلك أنه كان يطلب الدنيا».(الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، ص١٠٥)

وقال في «المقالات السنية»: «إنه –أي: معاوية رضي الله عنه– كان في الباطن باغيًا، وفي الظاهر مستسترًا بدم عثمان مراعيًا مرائيًا». (المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ١/ ٣٢٤)

وقال في موضع آخر: «أما زعم ابن تيمية أن معاوية ارتكب ما فعله عن اجتهاد فهو مردود، إنما قاتل للدنيا والملك». (المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية ١/ ٣٢٧)

ثم قال عقب صفحات: «ثم ليعلم أن معاوية كان قصده من هذا القتال الدنيا، فلقد كان به الطمع في الملك، وفرط الغرام في الرئاسة». (المقالات السنية ١/ ٣٣٢. والدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم عليٌّ من صحابي أو تابعي، ص٥٢)

يقول الشيخ الهرري: كان بعض الصحابة مرتكبي الآثام، ودعاة إلى النار: «والحاصل أنه ليس كل فرد منهم كان تقيًّا صالحًا. ثم قوله صلى الله عليه وسلم في أهل صفين الذين

قاتلوا عليًّا إنهم دعاة إلى النار، يشمل عددًا قليلًا من الصحابة». (الدرالبهية، ص٩٥)

وقال في «المقالات السنية»: «فهو-أي علي- وجيشه دعاة إلى الجنة، ومقاتلوهم دعاة إلى النار». (المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية ١/ ٣٢٢)

كما فسَّق أصحابَ الجمل من الصحابة والتابعين كلهم إلا عائشة، وطلحة، والزبير. «فهؤلاء الثلاثة بريئون من الفسق، والباقون من أتباعهم الذين قاتلوا عليًّا فسقة. وأما أصحاب معاوية فإنهم بغوا». (الدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم عليٌّ من صحابي أو تابعي، ص٣١)

وجعل في موضع آخر مقاتلي علي رضي الله عنه من الصحابة كلهم من الدعاة إلى النار، وبغاة، وآثمين من غير استثناء أحد منهم: «والمقاتلون لعلي دعاة إلى النار».(الدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم عليٌّ من صحابي أو تابعي، ص٣٤)

وقال في موضع آخر: «المقاتلون لعلي بغاة آثمون». (الدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم علي من صحابي أو تابعي، ص٣٧)

وعمل الشيخ الهرري كتابًا في إثبات عصيان جميع الصحابة الذين قاتلوا عليا رضي الله عنه، سماه «الدليل الشرعي على إثبات عصيان من قاتلهم عليٌّ من صحابي أو تابعي». وسرد الشيخ الهرري في كتابه هذا الروايات الضعيفة والموضوعة سردًا يوحي إلى أنها روايات على غاية من الصحة. وقد أجبنا عن الأدلة التي ساقها الشيخ الهرري في «ذكر الصحابة رضي الله عنهم» من هذا الشرح، وكذلك في «بدر الليالي شرح بدء الأمالي».

ندعو الله تعالى أن يجعل دفاعنا عن الصحابة منجاةً لنا في الآخرة.

تحقيق حديث: «أمرتُ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين»:

روي هذا الحديث بطرق عدة عن علي، وأبي سعيد الخدري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهم، ولايصح شيء من هذه الطرق، واستدل الشيخ الهرري بهذه الرواية أيضًا على ظلم معاوية رضي الله عنه، وعدَّ من خالف عليًّا رضي الله عنه ناكثي البيعة، والظالمين، والخارجين؛ بل مردة وطغاة: «فقاتل (عليٌّ) المتمردين في وقعة الجمل وصفين». (إظهارالعقيدة السنية، ص٢٧٤).

حديث علي رضي الله عنه، وله عدة طرق:

الطريق الأول: عن أبي الجارود (رافضي كذاب)، عن زيد بن علي بن الحسين بن علي

(ثقة)، عن أبيه (ثقة ثبت)، عن جده (صحابي)، عن علي قال: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٤٦٨)

وأبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني الكوفي رافضي كذاب، قال يحيى بن معين: «أبو الجارود زياد بن المنذر كذاب خبيث». (تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري ٣/ ٤٥٦)

وقال ابن حبان: «كان رافضيا يضع الحديث في مثالب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم». (المجروحين ١/ ٣٠٦)

والطريق الثاني: عن جعفر الأحمر(صالح شيعي)، عن يونس بن أرقم(ضعيف)، عن أبان (كذاب)، عن خليد القصري قال: سمعت أمير المؤمنين عليا يقول يوم النهروان: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٤٧٠)

قال الإمام أحمد ويحيى بن معين، والإمام النسائي: أبان بن أبي عياش متروك. وقال شعبة: كذاب.(ميزان الاعتدال ١/ ١٠-١٤)

وجعفر بن زياد الأحمر شيعي. قال أبو داود: صدوق شيعي. وقال الجوزجاني: مائل عن الطريق. وقال ابن عدي: هو صالح شيعي. (ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٧)

والطريق الثالث: عن عبد الجبار الهمداني(شيعي كذاب)، عن أنس بن عمرو (مجهول)، عن أبيه (مجهول) عن علي قال: «أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين». (تاريخ دمشق، لابن عساكر ٤٢/ ٤٦٣)

عبد الجبار الهمداني: هو عبد الجبار بن العباس كوفي كذاب من غلاة الشيعة. قال أبو نعيم: لم يكن بالكوفة أكذب منه. وقال الجوزجاني: كان غاليا في سوء مذهبه- يعنى التشيع. (ميزان الاعتدال ٢/ ٥٣٣)

والطريق الرابع: عن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي (ضعيف لم يصح حديثه)، حدثني أبي(ضعيف)، حدثني عمي عمرو بن عطية بن سعد (ضعيف)، عن أخيه الحسن بن عطية بن سعد (ضعيف)، عن ابن عطية (ضعيف)، حدثني جدي سعد بن جنادة (صحابي)، عن علي قال: «أمرت بقتل ثلاثة القاسطين والناكثين والمارقين، فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فذكرهم، وأما المارقون فأهل النهروان، يعني الحرورية». (تاريخ دمشق (٤٢/ ٤٦٩)

هذا إسناد مسلسل بالضعفاء.

قال الإمام البخاري في محمد بن الحسن: «لم يصح حديثه». (ميزان الاعتدال ٣/ ٥١٤)

وقال أبوحاتم وغيره: الحسن بن عطية ضعيف.(المغني في الضعفاء١/ ١٦٢) وقال الدارقطني وغيره : عمرو بن عطية ضعيف.(ميزان الاعتدال٣/ ٢٦١) قال ابن رجب: «من البيوت الضعفاء، عطية بن سعد العوفي، وأولاده». (شرح علل الترمذي ٢/ ٨٨٤)

والطريق الخامس: عن فطر بن خليفة (شيعي)، عن حكيم بن جبير(كذاب)، عن إبراهيم(ثقة)، عن علقمة(ثقة)، عن علي قال: «أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين». (السنة لابن أبي عاصم، رقم:٩٠٧. مسند البزار، رقم:٦٠٤. الكامل لابن عدي ٢/ ٥١٠. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٤٦٩).

حكيم بن جبير متروك وكذاب. قال الدارقطني: متروك. قال شعبة: أخاف النار إن أحدث عنه. وقال الجوزجاني: حكيم بن جبير كذاب. (ميزان الاعتدال ١/ ٥٨٣-٥٨٤)

وفطر بن خليفة ثقة، ولكنه شيعي. قال ابن معين: ثقة شيعي. وقال أحمد: حديثه حديث رجل كيس إلا أنه يتشيع. وقال الجوزجاني: زائغ غير ثقة». (ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦٤)

والطريق السادس: حدثنا إسماعيل بن موسى (شيعي غالي)، حدثنا الربيع بن سهل الفزاري (ضعيف)، عن سعيد بن عبيد (ثقة)، عن علي بن ربيعة الوالبي(ثقة)، قال: سمعت عليا على منبركم هذا يقول: «عهد إلي النبي عليه السلام أني مقاتل بعده القاسطين، والناكثين والمارقين». (مسند أبي يعلى، رقم:٥١٩. الضعفاء الكبير ٢/ ٥١).

ربيع بن سهل الفزاري ضعيف. قال يحيى: ليس بشئ. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. وقال البخاري: يخالف في حديثه. (ميزان الاعتدال ٢/ ٤١)

وإسماعيل بن موسى الفزاري من غلاة الشيعة. قال ابن عدى: أنكروا منه غلوا في التشيع. وقال عبدان: أنكر علينا هناد وابن أبي شيبة ذهابنا إليه، وقال: إيش عملتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف. (ميزان الاعتدال ١/ ٢٥١)

وأخرجه البزار وابن المقرئ من طريق عباد بن يعقوب (من غلاة الشيعة)، ثنا الربيع بن سهل الفزازي، به. (مسند البزار، رقم:٧٧٤. معجم ابن المقرئ، رقم:٦٧٩).

وعباد بن يعقوب من غلاة الشيعة، قال العلامة الذهبي: «عباد بن يعقوب من غلاة الشيعة ورؤوس البدع. قال ابن حبان: كان داعية إلى الرفض، ومع ذلك يروي المناكير عن

المشاهير، فاستحق الترك». (ميزان الاعتدال ٢/ ٣٧٩)

والطريق السابع: عن يحيى بن سلمة بن كهيل(متروك من غلاة الشيعة)، عن أبيه(ثقة)، عن أبي صادق (الأزدي صدوق)، عن ربيعة بن ناجد (مجهول)، قال: سمعت عليا، يقول: «أمرت بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٨٤٣٣. معجم ابن المقرئ، رقم:١٣١٩).

يحيى بن سلمة منكر الحديث، من غلاة الشيعة. قال أبو حاتم: منكر الحديث، وتركه النسائي، وقال العقيلي: ضعيف ويغلو في التشيع. (المغني في الضعفاء ٢/ ٧٣٦)

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

عن إسحاق بن إبراهيم الأزدي (شيعي)، عن أبي هارون العبدي (كذاب)، عن أبي سعيد الخدري قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن ياسر». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٤٧١)

أبوهارون العبدي عمارة بن جوين كذاب. كذبه حماد بن زيد. وقال النسائي: متروك الحديث. قال الجوزجاني: أبو هارون كذاب مفتر. وقال أبو صالح بن محمد: أكذب من فرعون». (ميزان الاعتدال ٣/ ١٧٣)

وإسحاق بن إبراهيم من الشيعة، قال ابن حجر: «إسحاق بن إبراهيم الأزدي أبو يعقوب الكوفي من رجال الشيعة ذكره الطوسي». (لسان الميزان ٢/ ٢٦)

حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه:

عن جعفر بن سليمان (شيعي)، حدثنا الخليل بن مرة، عن القاسم بن سليمان، عن أبيه، عن جده قال: سمعت عمار بن ياسر يقول: «أمرت أن أقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين». (مسند أبي يعلى، رقم:١٦٢٣. تاريخ دمشق لابن عساكر، رقم:٤٣/ ٤٥٦)

جعفر بن سليمان شيعي. قال ابن سعد: ثقة فيه ضعف، وكان يتشيع. وقال أحمد بن المقدام: كان جعفر ينسب إلى الرفض. وقال جرير بن يزيد بن هارون: بعثني أبي إلى جعفر الضبعي، فقلت له: بلغني أنك تسب أبا بكر وعمر! قال: أما السب فلا، ولكن البغض ما

شئت، فإذا هو رافضي مثل الحمار». (ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٨)

وخليل بن مرة الضبي أيضًا ضعيف. قال البخاري: منكر الحديث. (ميزان الاعتدال ١/ ٦٦٧). وقال العقيلي: القاسم بن سليمان: لايصح حديثه. (الضعفاء الكبير ٣/ ٤٨٠)

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

عن مسلم الملائي (متروك)، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: «أمر علي بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين». (المعجم الأوسط، رقم: ٩٤٣٤)

مسلم بن كيسان الملائي متروك. قال الفلاس: متروك الحديث. وقال أحمد: لايكتب حديثه. وقال النسائي وغيره: متروك. (ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٦)

في الحديث علة أخرى، و هي أن الحسن بن عمرو الفقيمي رواه عن علي موصولًا لا عن عبد الله بن مسعود، والصحيح أنه مرسل عن علي رضي الله عنه، قال الدارقطني: «يرويه مسلم الأعور عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله. وخالفه الحسن بن عمرو الفقيمي فرواه عن إبراهيم، عن علقمة، عن علي. ومنهم من أرسله عنه، وهو الصحيح عن إبراهيم، عن علي مرسلا ». (العلل للدارقطني ٥/ ١٤٨)

حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

الطريق الأول: عن محمد بن حميد (كذاب)، ثنا سلمة بن الفضل (مختلف فيه)، حدثني أبو زيد الأحول، عن عتاب بن ثعلبة (مجهول)، حدثني أبو أيوب الأنصاري، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين». (المستدرك للحاكم، رقم: ٤٦٧٤)

ولا تصح هذه الرواية، سكت عليها الحاكم، وقال الذهبي: «لم يصح».

قال العلامة الذهبي، والحافظ ابن حجر في عتاب بن ثعلبة: «روى عنه أبو زيد الأحول حديث: قتال الناكثين، والإسناد مظلم، والمتن منكر». (ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧. لسان الميزان ٥/ ٣٦٧)

ووثق البعض سلمة بن الفضل الأبرش، وضعفه بعضهم، وثَّقه أبو داود وغيره، وضعفه ابن راهوية وغيره. وقال البخاري: عنده مناكير. (المغني في الضعفاء ١/ ٢٧٥)

ومحمد بن حميد الرازي كذاب. قال ابن خراش: حدثنا ابن حميد – وكان والله يكذب.

وجاء عن غير واحد أن ابن حميد كان يسرق الحديث. وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب من ابن حميد ومن ابن الشاذكوني. وقال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك الرازي يقول: دخلت على محمد بن حميد وهو يركب الأسانيد على المتون. (ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٣)

والطريق الثاني: عن محمد بن يونس القرشي (متهم بالكذب والوضع)، ثنا عبد العزيز بن الخطاب(ثقة)، ثنا علي بن غراب بن أبي فاطمة (من غلاة الشيعة)، عن الأصبغ بن نباتة (كذاب)، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي بن أبي طالب: «تقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين بالطرقات، والنهروانات، وبالشعفات». قال أبو أيوب: قلت يا رسول الله، مع من تقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: «مع علي بن أبي طالب». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٦٧٥)

الأصبغ بن نباتة كذاب. قال أبو بكر بن عياش: كذاب. وقال النسائي وابن حبان: متروك». (ميزان الاعتدال ١/ ٢٧١).

وعلي بن غراب من غلاة الشيعة. قال ابن حبان: حدث بالموضوعات، وكان غاليا في التشيع. (ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٩).

ومحمد بن يونس متهم بالكذب والوضع. قال ابن عدي: قد اتهم الكديمى بالوضع. وقال ابن حبان: لعله قد وضع أكثر من ألف حديث. وقال ابن عدي: ادعى الرواية عمن لم يرهم، ترك عامة مشايخنا الرواية عنه. وقال أبو عبيد الآجرى: رأيت أبا داود يطلق في الكديمى الكذب، وكذا كذبه موسى بن هارون، والقاسم المطرز. (ميزان الاعتدال ٤/ ٧٤)

والطريق الثالث: عن محمد بن كثير (شيعي متهم بالوضع)، عن الحارث بن حصيرة (شيعي)، عن أبي صادق (مسلم بن نذير، وُثق)، عن مخنف بن سليم(صحابي)، قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلا له بصَعْنَبَى، فقلنا عنده، فقلت له: أبا أيوب قاتلت المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جئت تقاتل المسلمين، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بقتال ثلاثة الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقد قاتلت الناكثين، وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالشعفات بالطرقات بالنهراوات وما أدري ما هم؟». (المعجم الكبير للطبراني، رقم:٤٠٤٩. الكامل لابن عدي ٢/ ٤٥٣. تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٧١ و٤٧٣)

الحارث بن حصيرة من الشيعةژ قال ابن عدي: يكتب حديثه على ضعفه. وهو من

المتحرقين بالكوفة في التشيع». (ميزان الاعتدال ١/ ٤٣٢). وقال العلامة الذهبي في «المغني»: أبو صادق عن مخنف بن سليم، وعنه الحارث بن حصيرة إسناده مظلم. (المغني في الضعفاء ٢/ ٧٩١)

محمد بن كثير القرشي الكوفي من الشيعة متهم بالكذب. ذكر ابن الجوزي حديثًا في فضل علي، ثم قال: فيه محمد بن كثير وهو المتهم بوضعه، فإنه كان شيعيًا، ثم ذكر عن أحمد أنه قال: خرقنا حديثه. (الكشف الحثيث، ص٢٤٦).

والطريق الرابع: عن المعلى بن عبد الرحمن (كذاب)، ببغداد، قال: حدثنا شريك، عن سليمان بن مهران الأعمش، قال: حدثنا إبراهيم، عن علقمة والأسود، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أبا أيوب، إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وسلم وبمجيء ناقته تفضلا من الله وإكراما لك، حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله؟ فقال: «يا هذا، إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة مع علي: بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فأما الناكثون: فقد قاتلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون: فهذا منصرفنا من عندهم، يعني: معاوية وعمروا، وأما المارقون: فهم أهل الطرفاوات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم، ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله».(تاريخ بغداد ١٥/ ٢٤٣؛ تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٧٢؛ بغية الطلب في تاريخ حلب ١/ ٢٩٢).

معلمي بن عبد الرحمن متهم بالكذب والوضع، اعترف بوضع سبعين حديثًا في فضل علي رضي الله عنه عند موته.(تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٣٨). قال الدارقطني وابن المديني وغيرهما: كذاب وواضع الحديث. وقال أبو حاتم: متروك الحديث. وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث. (ميزان الاعتدال ٤/ ١٤٩).

والحاصل أن هذا الحديث مروي بعدة طرق عن كثير من الصحابة، وفي معظم طرقه رواة كذابون وشيعة، وفي بعضها رواة ضعفاء، فلا يصح هذا الحديث.

ولو سلمنا صحة الرواية، فالمراد بالمارقين والناكثين هم الخوارج، الذين سعوا سعيهم أولًا في تولية علي الخلافة، وحملوا الناس على البيعة له، ولما أراد علي عقد الصلح مع معاوية رضي الله عنه جمعًا لكلمة الأمة المسلمة، خرجوا عليه وأبوا طاعته، وقُتِلَ علي رضي الله عنه بأيديهم الآثمة الظالمة.

ولو كان محمل هذه الرواية معاوية رضي الله عنه وأصحابه، فما أعجب أن يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم عليًا بقتاله، وهو مستعد لعقد الصلح معه.

فتتفق هذه الروايات والأحاديث التي ترغب في قتال الخوارج، وأما زيادة أهل الشام فمن مزاعم الروافض.

وصف الشيخ الهرري معاوية رضي الله عنه بالتمرد وطلب الملك:

وصف الشيخ عبد الله الهرري معاوية رضي الله عنه بالتمرد وطلب الملك بناء على رواية ضعيفة منكرة عن علي رضي الله عنه، ورواية موضوعة عن عمار بن ياسر رضي الله عنه. قال الشيخ الهرري: «وكذلك تمرد معاوية على علي ليس مبنيًّا على اجتهاد شرعي بدليل ما تقدم من قول علي رضي الله عنه: «إن بني أمية يقاتلونني يزعمون أنني قتلت عثمان، وكذبوا، وإنما يريدون الملك». وكذلك قال أبو اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما». (إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية، ص٣٤٨)

أي: أن بني أمية إنما يقاتلونني – في زعمه – لأني قتلت عثمان، وهم يرغبون في الحكم والسلطة.

ثم علق عليه: «الصواب أنه لم يكن باجتهاد؛ بل كان لأجل الملك كما قال علي رضي الله عنه». (إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية، حاشية صفحة ٣٤٩)

الجواب:

قول علي رضي الله عنه: «إن بني أمية يقاتلونني ...» مروي بأسانيد عدة، ولم يرد هذا اللفظ إلا في إسناد مسدد، وإسناده ضعيف لجهالة ثلاثة رواة تباعا، وأما الأسانيد الأخرى فصحيحة، وجاء فيها :«والله ما قتلتُ، ولا أمرتُ ، ولكن غُلِبتُ» أو ما في معناها.

قال مسدد: حدثنا عبد الله، عن ربيح، عن أبي موسى، عن عبد الله بن أبي سفيان، قال: إن عليًّا رضي الله عنه قال: «إن بني أمية يقاتلونني، يزعمون أني قتلت عثمان رضي الله عنه، وكذبوا، إنما يريدون الملك، ولو أعلم أنه يذهب ما في قلوبهم أني أحلف لهم عند المقام: والله ما قتلت عثمان رضي الله عنه، ولا أمرت بقتله، لفعلت، ولكن إنما يريدون الملك وإني لأرجو أن أكون أنا وعثمان رضي الله عنه ممن قال الله تعالى:﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ الآية». (المطالب العالية، رقم:٤٣٩٣. تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤٥٢)

هذا الإسناد مسلسل بالمجهولين، قال أبو حاتم في عبد الله بن سفيان: «لا أعرفه». (الجرح والتعديل٥/ ٦٧) وقال في أبي موسى الهمداني: «هو مجهول».(الجرح والتعديل ٩/ ٤٣٩) وقال أبوزرعة في رمح بن نفيل الكلابي- وقيل: ربيح بن نفيل-:«لا أعرفه إلا برواية عبد الله بن داود عنه». (الجرح والتعديل ٣/ ٥٢٢)

وهذه الرواية لها أسانيد أخرى متعددة، جاء فيها: «والله ما قتلتُ، ولا أمرتُ، ولكن غُلِبتُ» أو ما في معناها، نكتفي هنا – رغبة في الاختصار- بذكر الألفاظ والمصادر بعد حذف الإسناد. وللاستزادة منه راجع: تعليقات المطالب العالية (١٨/ ٩٨-١٠٠).

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « لو أعلم بني أمية يقبلون مني لنفلتُهم خمسين يمينًا قسامةً من بني هاشم، ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله» . (تاريخ المدينة لابن شبة ٤/ ١٢٦٩. تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤٥٢).

هذا إسناد صحيح، ورواته كلهم ثقات.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: «والله ما قتلتُ ولا أمرت، ولكن غُلِبتُ». (تاريخ المدينة لابن شبة ٤/ ١٢٦٠و١٢٦٧ . تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤٥١)

هذا إسناد صحيح، ورواته كلهم ثقات إلا عبد الله بن رجاء، وهو صدوق، وله متابع أيضًا.

٣- عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم فحلفت لهم بالله: ما قتلتُ عثمان، ولا أمرت بقتله، ولقد نهيتهم فعصوني». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤٥١)

٤- عن علي بن أبي طالب – وهو على منبر الكوفة- يقول: «أي بني أمية من شاء نفلتُ له يميني بين المقام والركن، ما قتلتُ عثمان، ولا شركتُ في دمه».(تاريخ دمشق لابن عساكر٣٩/ ٤٥٢)

٥- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «ما قتلتُ عثمان، ولا شايعتُ في قتله، ولا مالأت، ولقد غمني». (تاريخ دمشق٣٩/ ٤٥٢)

٦- عن أبي خلدة الحنفي قال: سمعت عليًّا يخطب فذكر عثمان في خطبته فقال: «ألا إن الناس يزعمون أني قتلت عثمان، ولا والله الذي لا إله إلا هو ما قتلتُ ولا مالأت». (تاريخ دمشق ٣٩/ ٤٥٢)

ونسب تاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير إلى عمار بن ياسر أنه قال: لم يكن بنو أمية في الواقع يطلبون دم عثمان، وإنما تذرعوا به إلى بسط سيطرتهم.

اقرأ رواية ابن جرير الطبري بالإسناد: قال ابن جرير:حدثني محمد، عن خلف، قال: حدثنا منصور بن أبي نويرة، عن أبي مخنف وحدثت عن هشام بن الكلبي، عن أبي مخنف، قال: حدثني مالك بن أعين الجهني، عن زيد بن وهب الجهني، أن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال يومئذ (أي يوم صفين): أين من يبتغي رضوان الله عليه، ولا يئوب إلى مال ولا ولد! فأتته عصابة من الناس، فقال: أيها الناس، اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان، ويزعمون أنه قُتِل مظلومًا، والله ما طلبتهم بدمه، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرءوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها طاعة الناس والولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا: إمامنا قُتِل مظلوما، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكًا، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما تبعهم من الناس رجلان». (تاريخ الطبري ٥/ ٣٩، مقتل عمار بن ياسر، ط: دارالتراث، بيروت. الكامل لابن الأثير ٢/ ٦٦٠، ذكر تتمة أمر صفين، ط: دار الكتاب العربي، بيروت)

استدل الشيخ عبد الله الهرري بهذه الرواية على أن مطالبة دم عثمان رضي الله عنه كان يكمن فيها رغبةُ بني أمية في الحكم والسلطة، وفي إسناده أبو مخنف، كذاب ومن غلاة الشيعة، و الراوي الآخر: هشام بن محمد الكلبي، وهو متروك الحديث ومن غلاة الشيعة.

أبو مخنف لوط بن يحيى:

قال العلامة الذهبي والحافظ ابن حجر في أبي مخنف: «أخباريٌّ تالف لا يوثَق به». وقال العلامة الذهبي في موضع آخر: «الرافضي الأخباري». وقال أبوحاتم: «متروك الحديث». وقال الآجري : «سألت أبا داود عنه، فنفض يده وقال: أحد يسأل عن هذا؟» أي: لا يستحق أن يُسأل عنه. قال ابن معين:«ليس بثقة». وقال مرة: «ليس بشيء».قال ابن عدي:«شيعي محترق، صاحب أخبارهم». قال ابن عراق:«كذَّاب تالف». قال ابن الجوزي: «أبوصالح الكلبي وأبو مخنف كلهم كذابون». قال السيوطي:«لوط والكلبي كذابان». قال الزركلي: «إماميٌّ من أهل الكوفة». (انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٩. وتاريخ الإسلام، للذهبي ٤/ ١٨٩. والجرح والتعديل ٧/ ١٨٢. ولسان الميزان ٦/ ٤٣٠-٤٣١، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. وتنزيه الشريعة المرفوعة، ص٩٨. والموضوعات، لابن الجوزي ١/ ٤٠٦. واللآلي المصنوعة ١/ ٣٥٥. والأعلام، للزركلي ٥/ ٢٤٥)

وقال عثمان الخميس في أبي مخنف: «ولوط بن يحيى هذا روى عنه الطبري خمس مئة وسبعًا وثمانين رواية، وهذه الروايات تبدأ من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتنتهي إلى خلافة يزيد، وهي الفترة التي سنتكلم عنها في كتابنا هذا، منها سقيفة بني ساعدة، قصة الشورى... قتل الحسين، في كل هذه تجد لأبي مخنف رواية، وهذه هي التي يعتمدها أهل البدع ويحرصون عليها. وليس أبو منخف وحده، أبو مخنف أشهرهم، وإلا فهناك غيره كالواقدي مثلاً، وهو متروك متهم بالكذب، ولا شك أنه مؤرخ كبير حافظ عالم بالتاريخ، ولكنه غير ثقة. والثالث سيف بن عمر التميمي وهو أيضًا مؤرخ معروف، ولكنه متروك متهم بالكذب أيضًا. وكذلك الكلبي (أي: محمد بن السائب الكلبي) وهو كذاب مشهور».

ثم قال: «وأبو مخنف هذا جمع بين البدعة والكذب وكثرة الرواية، مبتدع كذاب، مكثر من الرواية ».(حقبة من التاريخ، ص٣٦)

أبو مخنف كما يراه المؤرخون الشيعة:

ذكره الشيعة المؤرخون وخاصة مؤلفو كتب الرجال: محسن أمين، وشرف الدين، وآغا بزرك الطهراني، وعباس القمي، ومحمد المهدي الطباطبائي، والخوئي، والخاقاني، والنجاشي، والحلي، و الطوسي، وغيرهم في كتبهم على أنه مؤرخ شيعي، بل يُعَدُّ من أكابر مؤرخي الشيعة. (أعيان الشيعة، ص ١٢٧. أعلام الشيعة١/ ١٦. الكنى والألقاب ١/ ١٤٨. الفهرست للطوسي٢/ ٢٢٠. الفوائد الرجالية لبحر العلوم ١/ ٣٧٥-٣٧٩. الكنى والألقاب ١/ ١٦٩. المراجعات ١/ ١٦٩. حلية الأبرار٤/ ١٤٦. رجال الخاقاني ١/ ١٧٧. رجال الطوسي١/ ٤٥٩. رجال النجاشي ١/ ٣٢١. معجم رجال الحديث ١١/ ١٣٦-١٣٨. الاحتجاج للطبرسي ١/ ٤٥٦. خلاصة الأقوال ١/ ٣٨٩. نقد الرجال ٧/ ١٤٠-١٤٢)

أضف إلى ذلك أن الطباطبائي -صاحب الفوائد الرجالية- قال: «لا يرتاب في أنه من الشيعة، كما صرح به جماعة من أصحاب المعاجم».(الفوائد الرجالية ١/ ٣٧٩).

كتب أبي مخنف الكاذبة في الموضوعات الساخنة:

وأبو مخنف هذا مؤرخ شيعي خبيث أَلَّف كتبا مليئة بالكذب والافتراء حول أهم الأحداث التي وقعت في خير القرون، منها: بيعة أبي بكر رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة، والشورى، والشورى التي عقدها عمر فيما يخص الخلافة، ومقتل عثمان رضي الله عنه، ومقتل علي رضي الله عنه، وحرب الجمل وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه، ووفاة

معاوية رضي الله عنه، وولاية يزيد، ومقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وسليمان بن صُرَد رضي الله عنه، و عين الوردة، ونحوها.(فوات الوفيات لمحمد بن شاكر، ص٢٢٥. الأعلام للزركلي ٥/ ٢٤٥. الفهرست لابن نديم، ص ١٠٥-١٠٦. معجم الأدباء ٦/ ٦٧٠. معجم المؤلفين ٨/ ١٥٧).

قال العباس القمي الشيعي في «الكنى والألقاب»: «وكان أبو مخنف من أعاظم مؤرخي الشيعة، ومع اشتهار تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه كالطبري، وابن الأثير، وغيرهما».(الكنى والألقاب ١/ ١٦٩)

وصرح المستشرق الشهير(أي بيل) في «دائرة المعارف الإسلامية» بأن أبا مخنف عمل (٣٢) رسالة في الأحداث التي وقعت في القرون الأولى، ساق معظمها الطبري، وأما الكتب المنسوبة إلى أبي مخنف والتي وصلت إلينا فهي من عمل الشيعة المتأخرين. (مجلة دار العلوم/ ديوبند، شهر يونيه، ٢٠١٣هـ)

أبو المنذر بن هشام بن محمد الكلبي:

قال العلامة الذهبي في أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب: «العلامة الأخباري النسابة الأوحد أبو المنذر هشام بن الأخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي الشيعي أحد المتروكين كأبيه. قال أحمد: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننتُ أن أحدًا يحدث عنه. وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث. وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة». (سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٠١)

وقال ابن حبان: «كان غاليًا في التشيع أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها». (المجروحين٣/ ١٩)

خلاصة القول أن الألفاظ التي حكاها الشيخ الهرري عن علي رضي الله عنه في إسنادها ثلاثة رواة ضعاف على التوالي، وبإزاء ذلك روي عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة عدة ألفاظ لا تذكر أن مطالبة دم عثمان كان وراءها رغبة بني أمية في الحكومة والسلطة، فلا يصح استدلال الشيخ الهرري بهذه الرواية؛ بل تدل روايات أخرى على أن عليا رضي الله عنه قال خيرًا فيما يخص معاوية وأصحابه، وردَّ على الذين يذمون معاوية رضي الله عنه.

فيما يلي بعض الأقوال على سبيل المثال:

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال سمع علي يوم الجمل أو يوم صفين رجلا يغلو في القول بقول الكفرة قال: «لا تقولوا فإنهم زعموا أنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا». (تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٣٤٣. تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزى، رقم:٥٩٤)

سأل رجل عليا رضي الله عنه عن المقتولين، فقال: «قتلانا وقتلاهم في الجنة». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٩٠٣٥)

عن سعد بن إبراهيم قال خرج علي وهم يذكرون قتلى علي بن أبي طالب ذات يوم ومعه عدي بن حاتم الطائي فإذا رجل من طيئ قتيل قد قتله أصحاب علي فقال عدي: يا ويح هذا كان أمس مسلما واليوم كافرا، فقال علي: «مهلا كان أمس مؤمنا وهو اليوم مؤمن». (تاريخ دمشق ١/ ٣٤٤)

وفي رواية أخرى: عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عن من قُتِلوا من أصحاب معاوية؟ قال: «هم المؤمنون». (تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٣٤٤. بغية الطلب في تاريخ حلب١/ ٩٩٢)

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه: «لم يكن قتال لغرض دنيوي، ونصرةً للباطل». (مقدمة ابن خلدون، ص ٣٦٤).

عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكون بين ناسٍ من أصحابي فتنةٌ يغفِرها الله لهم بصحبتهم إيايَّ، يستن بهم فيها ناس بعدهم يدخلهم الله بها النار». (تفسير القرطبي، الأنفال:٢٥. والمعجم الأوسط للطبراني، رقم:٣٢١)

قال علي رضي الله عنه مقفله من صفين: «أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتموه لقد رأيتم الرؤوس تندر من كواهلها كالحنظل». (المصنف لابن أبي شيبة، رقم:٣٩٠٠٩)

وساق علماء الشيعة عن علي كلمات طيبة في خصوص معاوية وأصحابه، فروى جعفر، عن أبيه: أنَّ عليًّا عليه السلام كان يقول لأهل حربه: «إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنا على حق، ورأوا أنهم على حق». (قرب الإسناد لأبي العباس الحميري الشيعي ١/ ٢٢٨)

وجاء في «نهج البلاغة»، و«شرح نهج البلاغة» عن علي رضي الله عنه قوله: «والظاهر أنَّ ربنا واحدٌ، ونبينا واحدٌ، ودعوتنا في الإسلام واحدةٌ، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحدٌ إلا ما اختلفنا من دم عثمان، ونحن منه براء». (نهج البلاغة ٢/ ١١٤. وشرح نهج البلاغة ٥/ ١٩٤)

وقال الإمام السيوطي في عدالة الصحابة بغير استثناء: «الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به... وقالت المعتزلة: عدول إلا من قاتل عليا». (تدريب الراوي ٢/ ٦٧٤، ط: دار طيبة)

فعُلِمَ منه أن الشيخ الهرري يأبى عقيدة أهل السنة والجماعة، ويتبع عقيدة المعتزلة فيما يخص الصحابة رضي الله عنهم.

فضل معاوية رضي الله عنه في ضوء القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (التوبة: ٢٥ - ٢٦)

تتحدث الآية عن غزوة حنين، وقد شهد معاوية رضي الله عنه هذه الغزوة، وكان من الصحابة الذين أنزل الله تعالى عليهم السكينة، ومن المؤمنين.

٢- وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ (الحديد: ١٠)

وعد الله تعالى في هذه الآية الكريمة مَن جاهد وأنفق قبل فتح مكة وبعده بالجنة، وأسلم معاوية رضي الله عنه -كما صرح به الحافظ ابن حجر- قبل فتح مكة. (تقريب التهذيب).

ولو سلمنا أن معاوية أسلم عند فتح مكة كما تفيده بعض الروايات، فلا خلاف في أنه ممن شهد حنينًا و الطائف، وأنفق في سبيل الله. وقد وعده الله تعالى بالجنة في القرآن الكريم.

٣- قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٧)

المراد بـ ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ غزوة تبوك. وشهد معاوية رضي الله غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم. كما في «منهاج السنة» (٤/ ٤٢٩)

ونظرًا إلى كثرة فضل هذه الغزوة قال يعلى بن أمية رضي الله عنه: «غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم جيش العسرة، فكان من أوثق أعمالي في نفسي». (صحيح البخاري، رقم:٢٢٦٥)

بعض الروايات في مناقب معاوية رضي الله عنه:

قيل: ليس في فضل معاوية رضي الله عنه حديث. وهذا غير صحيح، وفيما يلي بعض الروايات:

١- عن عبد الرحمن بن أبي عميرة، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهد به». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٤٢، باب مناقب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب)

قال أبوحاتم الرازي: لم يسمع عبد الرحمن هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الدكتور بشار تعليقًا على هذا الحديث: «لكن البخاري ساق هذا الحديث في تاريخه الكبير، وقد صرَّح فيه عبد الرحمن بالسماع». وهو كما قال. راجع: التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٢٧، رقم:١٤٠٥، ترجمة معاوية بن أبي سفيان.

٢- في صحيح البخاري: عن أم حرام: أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا». (كتاب الجهاد، باب ما قيل في قتال الروم، رقم:٢٩٢٤)

وقال العلامة العيني والحافظ ابن حجر تعليقًا على هذا الحديث: «قال المُهَلَّب: في هذا الحديث منقبةٌ لمعاوية؛ لأنه أول من غزا البحر». (فتح الباري ٦/ ١٠٢. عمدة القاري ١٤/ ٢٣٩)

٣- عن عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية: «اللهم علِّمه الكتابَ والحسابَ وقِهِ العذابَ». (مسند الشاميين، للطبراني، رقم:٣٣٣)

قال الإمام الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «هذا الحديث رواته ثقات، لكن اختلفوا في صحبة عبد الرحمن، والأظهر أنه صحابي، وروي نحوه من وجوه أخر». (٢/ ٥٤٠، ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما)

٤- عن عرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم علِّم معاوية الكتابَ والحسابَ وقِهِ العذاب». (مسند أحمد، رقم:١٧٥٢؛صحيح ابن خزيمة، رقم:١٩٣٨؛ صحيح ابن حبان، رقم:٧٢١. وهو حديث صحيح لغيره. وقد روي من حديث العرباض بن سارية، وعبد الله بن عباس، وعبد الرحمن بن أبي عميرة المزني، ومسلمة بن مُخَلَّد، ومرسل شُريح بن عُبيد، ومرسل حَرِيز بن عثمان).

٥- عن ابن عباس عن معاوية قال: «قصَّرتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِشقَصٍ». (صحيح البخاري، رقم:١٧٣٠)

قال عطاء-تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما- لابن عباس: لم يرو هذا الحديث إلا معاوية، فقال ابن عباس: «ماكان معاوية على رسول الله صلى الله عليه وسلم متهمًا». (مسند أحمد، رقم:١٦٩٣٨، وهو حديث صحيح)

٦- وعن سهل ابن الحنظلية الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن عيينة، والأقرع سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا، فأمر معاويةَ أن يكتب به لهما، ففعل وختمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بدفعه إليهما. الحديث. (مسند أحمد، رقم:١٧٦٢٥. وصحيح ابن حبان، رقم:٥٤٥. وسنده صحيح)

٧- وعن عائشة قالت: لما كان يوم أم حبيبة من النبي صلى الله عليه وسلم، دق الباب داق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «انظروا مَن هذا؟» قالوا: معاوية، فقال: «ائذنوا له» ودخل، وعلى أذنه قلم له يخط به، فقال: «ما هذا القلم على أذنك يا معاوية؟» قال: قلم أعددته لله ولرسوله. قال: «جزاك الله عن نبيك خيرا، والله ما استكْتَبْتُك إلا بوحي من الله عز وجل، وما أفعل من صغيرة ولا كبيرة إلا بوحي من الله عز وجل، كيف بك لو قد قمصك الله قميصا؟» يعني: الخلافة. فقامت أم حبيبة: فجلست بين يديه، فقالت: يا رسول الله، وإن الله مقمصٌ أخي قميصًا؟ قال: «نعم، ولكن فيه هنات، وهنات، وهنات». فقالت: يا رسول الله، فادع له. فقال: «اللهم اهده بالهدى، وجنبه الردى، واغفر له في الآخرة والأولى». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:١٨٣٨. وفي إسناده السري بن عاصم، وهو ضعيف، كذا في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٦)

٨- عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: أن معاوية أخذ الإداوة بعد أبي هريرة يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى أبو هريرة، فبينا هو يوضئ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال: «يا معاوية إن وليتَ أمرًا فاتق الله واعدل». قال: فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتُلِيتُ». (مسند أحمد، رقم:١٦٩٣٣. ومسند أبي يعلى، رقم:٧٣٨٠. ولفظه: «حتى وُلِّيتُ». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٦): رواه أحمد وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى عن سعيد عن معاوية فوصله، ورجاله رجال الصحيح).

٩- عن عبد الملك بن عمير قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا معاوية، إنْ ملكتَ فأحسِنْ». (مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الأمراء، رقم:٣١٣٥٨. والمعجم الكبير للطبراني، رقم:١٦٢١٢. دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٤٦. وقال البيهقي: لهذا الحديث شواهد)

١٠- قال عمير بن سعد رضي الله عنه: «لا تذكروا معاوية إلا بخير، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اهده». (التاريخ الكبير للإمام البخاري ٧/ ٣٢٧، ترجمة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما)

مناقب معاوية رضي الله عنه في ضوء أقوال الصحابة الكرام رضي الله عنهم:

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إن معاوية كان يكتبُ بين يَدَي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم». (المعجم الكبير للطبراني ١٣/ ٥٥٤/ ١٤٤٤٦. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٧): رواه الطبراني، وإسنادُه حسن.)

٢- قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟ قال: «أصاب، إنه فقيه». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٦٥، باب ذكر معاوية رضي الله عنه)

وفي بعض كتب الحديث بلفظ: «أصاب أي بنيَّ! ليس منا أحد أعلم من معاوية». (مصنف عبد الرزاق، رقم:٤٦٤١ . السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٢٦. معرفة السنن والآثار ٤/ ٢٣٢. مسند الشافعي، رقم:٣٩٤)

٣- قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله من أميركم هذا- يعني معاوية».(رواه البغوي في معجم الصحابة، رقم:٢١٩٠. والطبراني في مسند الشاميين، رقم:٢٨٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحارث المذحجي، وهو ثقة).

ساق العلامة ابن تيمية أقوال ابن عباس، وأبي الدرداء هذه ثم قال: «فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه، والشاهد بالفقه ابن عباس، وبحسن الصلاة أبو الدرداء، وهما هما. والآثار الموافقة لهذا كثيرة».(منهاج السنة ٦/ ٢٣٥)

٤- قال علي رضي الله عنه مقفله من صفين: «أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو قد فقدتموه لقد رأيتم الرؤوس تندر من كواهلها كالحنظل». (المصنف لابن أبي شيبة، رقم:٣٩٠٠٩. دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤٦٦، وفيه «تنزو» بدل «تندر». وفضائل الصحابة لأبي نعيم، رقم:٦٠٣٦، ولفظه: «والله لئن فقدتموه لكأني أنظر إلى الرءوس تندر عن كواهلها كالحنظل». والسنة لعبد الله بن أحمد ، رقم:١٢٨٣، ولفظه: «لا تكرهوا إمارة معاوية رضي الله عنه، والذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجال تندر عن كواهلها كأنها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية».)

٥- قال ابن عباس رضي الله عنها: «ما رأيت رجلا كان أخلق للملك من معاوية». (مصنف عبد الرزاق، ١١/ ٤٥٣، رقم:٢٠٩٨٥، ط: المكتب الإسلامي، بيروت. التاريخ الكبير للبخاري ٧/ ٣٢٧، ترجمة معاوية بن أبي سفيان. السنة لأبي بكر الخلال، رقم:٦٧٧. تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ١٧٤).

٦- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «والله ما كان مثل من قبله، ولا يأتي بعده مثله». (أنساب الأشراف، للبلاذري ٥/ ٢٩٠، أمر يزيد بن معاوية، ط: دار الفكر، بيروت)

٧- قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «ما رأيت أحدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود من معاوية، فقيل: ولا أبوك؟ قال: أبي عمر رحمه الله خير من معاوية، وكان معاوية أسود منه». (السنة لأبي بكر الخلال، رقم:٦٨٠، ط: دار الراية، الرياض. معجم الصحابة للبغوي، رقم:٢١٩٤، ط: مكتبة دار البيان، الكويت. تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ١٧٣)

قال الحافظ ابن عبد البر: قيل لابن عمر رضي الله عنهما: «فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي! فقال: كانوا والله خيرا من معاوية، وكان معاوية أسود منهم». (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١٤١٨، ط: دار الجيل، بيروت. ومثله في أسد الغابة ٥/ ٢٠١،ط: دار الكتب العلمية)

٨- عن كعب بن مالك رضي الله عنه: «لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية». (تاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ٣١٤. وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٣)

٩- عن قبيصة بن جابر رضي الله عنه أنه قال: «صحبت معاوية بن أبي سفيان فما رأيت رجلا أثقل حلما ولا أبطأ جهلا ولا أبعد أناة منه».

رواه ابن عساكر ٥٩/ ١٧٨. والفسوي في المعرفة والتاريخ ١/ ٤٥٨. والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ١٥٣. وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، رقم:٥٠٩ كلهم من طرق عن مُجالد، عن الشعبي، عن قبيصة. ومجالد ضعيف، وله طريق أخرى يتقوى بها:

فرواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٧٥) والطبراني في «الزيادات في كتاب الجود والسخا»، رقم:٤. وابن عساكر (٥٩/ ١٧٨) من طريقين عن عبد الملك بن عمير، عن قَبِيصة. وسنده جيد).

١٠- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيتُ أحدًا بعدَ عثمان أَقضَى بحقٍ مِن صاحِبِ هذا الباب، يعني معاوية». (رواه ابن عساكر في التاريخ ٥٩/ ١٦١. وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٣١٣. وابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٣٣)

١١- عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما زال بي ما رأيتُ من أمر الناس في الفتنة، حتى إني لأتمنى أن يزيد الله عز وجل معاوية من عمري في عمره». (الطبقات لأبي عروبة، ص٤١، ط: دار البشائر. وإسناده صحيح)

مناقب معاوية رضي الله عنه في ضوء أقوال السلف الصالح:

١- قال قتادة رحمه الله: «لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم: هذا المهدي». (رواه الخلال في السنة، رقم:٦٦٨، من طريق محمد بن عمرو بن عباد بن جبلة، ثنا محمد بن مروان، عن يونس، عن قتادة. وسنده جيد)

٢- قال أبوإسحاق السبيعي الكوفي: «كان معاوية وكان وكان، وما رأينا بعده مثله». (الطبقات الكبرى ١/ ١٢٢، ترجمة معاوية بن أبي سفيان. تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ١٧٢. وإسناده صحيح)

٣- قال إبراهيم بن ميسرة: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب أحدًا في خلافته غير رجل واحد تناول من معاوية فضربه ثلاثة أسواط». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٢٣١؛ طبقات ابن سعد ٥/ ٣٨٤ ترجمة عمر بن عبد العزيز؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص١٧٧، ترجمة عمر بن عبد العزيز)

٤- عن مالك عن الزهري قال: سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال لي: «اسمع يا زهري! من مات محبا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وشهد للعشرة بالجنة وترحم على معاوية كان حقيقًا على الله أن لا يناقشه الحساب». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٧/ ٢٠٧، وإسناده صحيح).

٥- قال مجاهد: «لو رأيتم معاوية لقُلْتم هذا المهدي من فضله». (رواه الخلال في السنة، رقم:٦٦٩. والبغوي في المعجم (٥/ ٣٦٨). وأبو عروبة في الطبقات، ص٤١. والآجري في الشريعة، رقم:١٩٥٣. وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ١٧٢) كلهم من طريق الأعمش، عن مجاهد. وسنده صحيح، رجاله ثقات».

قيل: لم يسمع الأعمش من مجاهد إلا أربعة أحاديث، قال الإمام البخاري: هذا غير صحيح ، فقد سمع الأعمش من مجاهد أحاديث كثيرة. قال الترمذي: قلت لمحمد: يقولون: لم يسمع الأعمش من مجاهد إلا أربعة أحاديث، قال: «ريح ليس بشيء لقد عددت له أحاديث كثيرة نحوا من ثلاثين أو أقل أو أكثر يقول فيها: حدثنا مجاهد». (علل الترمذي، ص٣٨٨، ط: عالم الكتب، بيروت)

٦- قال أبو هريرة حُباب المُكتِب: «كنا عند الأعمش؛ فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدلَه، فقال الأعمش: فكيف لو أدركتُم معاوية؟ قالوا: في حِلمه؟ قال: لا والله! بَلْ في عَدله». (رواه الخلال في السنة، رقم:٦٦٧، وحباب المكتب من مشايخ أحمد بن جوّاس، ذكره الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (١/ ٤٧٩). وابن ماكولا في «الإكمال» (٢/ ١٤١). ولم نجد فيه جرحًا ولا تعديلًا).

٧- روى أبو الأشهب جعفر بن حيان عن الحسن البصري: قيل للحسن: يا أبا سعيد، إن ههنا قوما يَشتمون -أو يلعنون- معاوية وابن الزبير! فقال: «على أولئك الذين يلعنون

لعنةُ الله». (رواه ابن عساكر في التاريخ ٥٩/ ٢٠٦. وسنده صحيح، رجاله كلهم ثقات).

٨- قال الإمام أحمد رحمه الله: «معاوية خال المؤمنين». (رواه الخلال في السنة، رقم:٦٥٧. وسنده صحيح)

٩- قال الخلال: أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، قال: قلت لأحمد بن حنبل: أليس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كل صهر ونسب ينقطع إلا صهري ونسبي»؟ قال: بلى، قلت: وهذه لمعاوية؟ قال: نعم، له صهر ونسب. قال: وسمعت ابن حنبل يقول: «ما لهم ولمعاوية، نسأل الله العافية». (السنة لأبي بكر الخلال، رقم:٥٦٤، وإسناده صحيح)

١٠-قال الإمام النووي: «أما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء، والصحابة النجباء رضي الله عنه». (شرح النووي على مسلم١٥/ ١٤٩، باب من فضل أبي بكر الصديق)

١١- قال الملا علي القاري: «وأما معاوية، فهو من العدول الفضلاء، والصحابة الأخيار». (مرقاة المفاتيح، باب مناقب الصحابة)

١٢- قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «وفضائل معاوية في حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة».(منهاج السنة ٦/ ٢٣٥)

١٣- قال ابن تيمية في موضع آخر: «وكانت سيرة معاوية مع رعيته من خيار سير الولاة، وكانت رعيته يحبونه. و قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». (منهاج السنة ٦/ ٢٤٧)

١٤- قال ابن العربي: «وأما معاوية فعمر ولاه، وجمع له الشامات كلها، وأقرَّه عثمان، بل إنما ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأنه ولى أخاه يزيد، واستخلفه يزيد، فأقره عمر لتعلقه بولاية أبي بكر لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقرّه. فانظروا إلى هذه السلسلة ما أوثق عراها... ولن يأتي أحد مثلها أبدا بعدها». (العواصم من القواصم، ص٩٥، ط: دار الجيل)

١٥- قال ابن خلدون: «وقد كان ينبغي أن تلحق دولة معاوية وأخباره بدول الخلفاء وأخبارهم، فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصحبة... والحق إن معاوية في عداد الخلفاء». (تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٥٠، ط: دار الفكر، بيروت)

اعتبار الشيخ عبد الله الهرري مخالفي علي رضي الله عنه بلا استثناء: طلحة والزبير، وعائشة، ومعاوية رضي الله عنهم فسقةً وآثمين بناء على روايةٍ ضعيفةٍ جدًّا:

اعتبر الشيخ عبد الله الهرري –بناء على رواية ضعيفة جدا– مخالفي علي رضي الله عنه بلا استثناء فسقةً وآثمين، ولكن لا يصفهم بفسقٍ يمنع قبول روايتهم، ويقول في طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم: إنهم تابوا.

قال الشيخ الهرري: «ولا نعتقد نحن أنهم فسقوا فسقًا يمنع قبول روايتهم للحديث، بل نعتقد أنهم آثمون بلا استثناء، والدليل عليه حديث النبي صلى الله عليه وسلم للزبير: «إنك لتقاتلن عليًّا وأنت ظالم له». (إظهار العقيدة السنية شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٥١)

وقال في موضع آخر: «وأن طلحة والزبير وعائشة تابوا من ذلك جزمًا، وأما الآخرون فهم تحت المشيئة يجوز أن يغفر الله لمن شاء منهم». (إظهار العقيدة السنية شرح العقيدة الطحاوية، ص٣٥٠)

والحق أن الرواية التي بنى عليها الشيخ الهرري قولَه في مخالفي عليٍّ من الصحابة بأنهم آثمون، روايةٌ ضعيفةٌ جدًّا، والروايات التي بنى عليها يقينه بأن طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم تابوا روايةٌ ضعيفةٌ جدًّا أيضًا.

قال أبو حرب بن أبي الأسود الديلي: «شهدت الزبير حتى خرج يريد عليًّا، فقال له عليٌّ أنشدك الله: هل سمعتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقاتله وأنت له ظالم» فقال: لم أذكر، ثم مضى الزبير منصرفًا. (المستدرك للحاكم، رقم:٥٥٧٤. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح. ووافقه الذهبي)

سرد له الحاكم أربعة أسانيد، وصحَّح الحديث بعد ذكر إسنادٍ واحدٍ منها، ووافقه الذهبي عليه، ولكن ضعَّفه عدد من المحدثين، وكيف يصِحُّ هذا الحديث! وأحد رواته مجهول، وآخر ضعيف، و ثالث مختلف فيه، ورابع ضعيف أيضًا.

والإسناد الذي صحَّح الحاكم والذهبي هذا الحديث بعد سوقه هو: أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري، ببغداد، ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا أبو عاصم، ثنا عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي، عن جده عبد الملك، عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي، قال:...

قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب»: عبد الملك بن مسلم الرقاشي لين

الحديث. و علق عليه الشيخ بشار عواد وشعيب الأرناؤوط: «بل: مجهول، تفرد بالرواية عنه ابن ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الملك، ولم يوثِّقه أحد، وقال البخاري: لم يصح حديثه». (تحرير تقريب التهذيب ٢/ ٣٩٠. وانظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٦٤)

وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ بشار عواد في عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي: «ضعيف، قال أبو حاتم الرازي: في حديثه نظر. وقال البخاري: فيه نظر. وذكره العقيلي، وابن عدي، والذهبي في «الضعفاء»، ولا نعلم أحدًا وثَّقه». (تحرير تقريب التهذيب ٢/ ٣٩٠)

وقال الحافظ ابن حجر في أبي قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي: «صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد». (تقريب التهذيب) ويُستظهر من الإسناد أنه حدث هذا الحديث في بغداد.

وقال ابن أبي الفوارس في أبي الحسين محمد بن أحمد القنطري-شيخ الحاكم-: «كان فيه لين». وقال زين الدين العراقي: «سماع القنطري من أبي قلابة بعد اختلاطه ليس بصحيح. قال ابن خزيمة في «صحيحه»: ثنا أبو قلابة بالبصرة قبل أن يختلط ويخرج إلى بغداد». (ذيل ميزان الاعتدال، ص١٧٨)

فعلِمَ منه أن أبا الحسين القنطري اختلط بعد توجهه إلى بغداد، وأوضح الحاكم في الإسناد بأنه سمع هذا الحديث من شيخه أبي الحسين القنطري في بغداد.

ومن العجب تصحيح الحاكم والذهبي هذا الحديث رغم تضمنه أربعة رواة ضعاف.

وفي الإسناد الآخر عند الحاكم راوٍ مجهول وهو محمد بن سليمان العابد. وسكت عليه الحاكم، ولكن قال الذهبي: «العابد لا يعرف، والحديث فيه نظر». (تعليق المستدرك، رقم:٥٥٧٣)

وفي الإسناد الثالث عند الحاكم راوٍ مجهول وهو فضل بن فضالة. و راوٍ آخر: أجلح بن عبد الله ضعيف مع تشيعه. قال الحافظ ابن حجر: «صدوق شيعي». قال الشيخ بشار عواد وشعيب الأرناؤوط تعليقًا عليه: «بل ضعيف يعتبر به، ضعَّفه أحمد بن حنبل، وأبو داود، والنسائي، وابن سعد، والجوزجاني، والساجي، وابن حبان...». (تحرير تقريب التهذيب ١/ ١٠٦) وقال الجوزجاني: مفتر. (ميزان الاعتدال ١/ ٧٨) والراوي الثالث أبو الأسود أيضًا شيعي كما مر.

وفي الإسناد الرابع عند الحاكم جعفر بن سليمان شيعي. قال الحافظ ابن حجر: «جعفر بن سليمان الضُّبعي صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع». (تقريب التهذيب) وأبو جرو المازني مجهول.

قال الذهبي: «أبو جرو المازني عن عليٍّ والزبير مجهول». (المغني في الضعفاء ٢/ ٧٧٧) وعبد الملك بن محمد الرقاشي وحفيده عبد الله بن محمد كلاهما ضعيفان كما مر في الإسناد الأول.

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (رقم:٣٨٩٨٢) هذا الحديث، وإسناده منقطع، وفيه راوٍ مجهول. وروى العقيلي هذا الحديث في «الضعفاء» (٣/ ٦٥) بإسناد ابن أبي شيبة، ثم قال: «لا يُروى هذا المتن من وجه يثبت». وقال الشيخ عوامة تعليقًا على حديث ابن أبي شيبة هذا: «والحق أنه لا يخلو طريق من مقال».

وساق ابن أبي شيبة هذا الحديث (رقم:٣٨٩٨٢) بإسناد آخر، أحد رواته شريك بن عبد الله مجهول، وراوٍ آخر مبهم.

حاصل القول أن هذه الرواية وإن كان لها طرق متعددة، ولكن ليس شيء منها مما يحتج به.

مقاتلو علي رضي الله عنه في زعم الشيخ عبد الله الهرري عصاةٌ، مرتكبو المعصية، ومخالفون للنصوص، ومسؤولون عن قتل آلاف المسلمين:

قال الشيخ عبد الله الهرري في «المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية»: «فكيف يكون من قاتل عليًّا مجتهدًا مأجورًا وقد خرج عن طاعة أمير المؤمنين، ونازعه في إمارته، وخالف النصوص، وكذا أريق بهذا القتال دماء ألوف مؤلفة من المسلمين، منهم جماعة من خيار الصحابة والتابعين، فكيف يجتمع الأجر والمعصية». (المقالات السنية، ص٣٣٠)

هذا النص يصرح بأنه يعتبر مقاتلي علي عصاة ومرتكبي الذنب؛ بل هم مخالفون للنصوص، ومسؤولون عن قتل آلاف المسلمين، وحمل الهرريَّ حماسُه الخطابي على نسج أبيات مخالفة لمعاوية رضي الله عنه، نورد منهما بيتين:

إن الذين قاتلوا عليا ❁ من الصحابة أثموا جليا

لكن منهم ذنبهم مغفور ❁ عائشة طلحة والزبير

استدل عبد الله الهرري على فسق معاوية وغيره بما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢١/ ٤٠٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، قال فيه عمار رضي الله عنه: «لا تقولوا ذلك (أي كفروا)، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق». (مصنف ابن أبي شيبة، ٢١/ ٤٠٧، رقم:٣٨٩٩٦).

وجاء في «فتح الباري» (١٣/ ٨٦) بلفظ: «حادوا عن الحق». وفي رواية: «ولكن قولوا: فسقوا، أو ظلموا». (السنن الكبرى ٨/ ١٧٤).

والجمع بين هذه الروايات يفيد أن عمارا رضي الله عنه كان يقصد أن الجيش المعارض لعلي رضي الله عنه كان قد انحرف عن الحق، وصرحت الروايات الأخرى بفسقهم. وكيف قاتلهم عمار رضي الله عنه إذا لم ينحرفوا عن الحق في رأيه رضي الله عنه؟

الفسق لغة: الخروج، قال الشيخ محمد طاهر الفتني: «خمسٌ فواسق، يقتلن في الحرم». (صحيح مسلم، رقم:١١٩٨) أصله الخروج عن الاستقامة، وسميت بها على الاستعارة لخبثهن، وقيل: لخروجهن من الحرمة في الحل والحرم...، إنه سمى الفأرة فويسقة، لخروجها من حجرها على الناس وإفسادها. ومنه الغراب: ومن يأكله بعد قوله: فاسق! أراد بتفسيقها تحريم أكلها». (مجمع بحار الأنوار٤/ ١٤٣)

بما أن عمارًا رضي الله عنه كان يرى أن الجيش المعارض لعلي رضي الله عنه قد انحرف عن الخلافة المستقيمة، فأطلق عليه الفسق لغة، لا عرفًا، فإنه لو أراد المعنى المعروف بالفسق لم يصح أن يكون طلحة والزبير رضي الله عنهما- وهما من العشرة المبشرة بالجنة- فسقة؟ وأما القول بأنهم تابوا في آخرته، و رضوا بالبيعة لعلي رضي الله عنه فباطل كما سيأتي.

ولو ذهبنا إلى إطلاق الفسق والإثم على الصحابة رضي الله عنهم بناء على ما صدر منهم حالة الغضب أو الشقاق بينهم، فإن العباس رضي الله عنه قال لعمر رضي الله عنه في حق علي رضي الله عنه: «يا أمير المؤمنين، اقض بيني وبين هذا الكاذب، الآثم، الغادر، الخائن، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين».(صحيح مسلم، رقم:١٧٥٧،باب حكم الفيء) فلو ذهب أحد النواصب إلى وصف علي رضي الله عنه بالإثم والغدر والخيانة بناء على هذه الكلمات، فلا نقول إلا أن عليًّا رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين، ومن المبشرين بالجنة، ولاخلاف في عدالته وثقته، والعباس رضي الله عنه بمنزلة الأب لعلي رضي الله عنه.

حمل الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٩٠، ط: المطبعة القديمة، كراتشي) هذه الكلمات على الزجر، وقيل: معناه: أن عليًّا رضي الله عنه ظالم وخائن إن لم ينصف.

فكيف نرضى بالازدواجية فيما يخص الصحابة رضي الله عنه، فنجرح ثقة أحدهم وعدله بناء على كلمات عنيفة صادرة من بعض الصحابة، بينما نؤول الكلمات الشديدة

الواردة في حق بعضهم الآخرين، فوا عجبًا على هذا. فلابد أن نراعي علو مكانة الصحابة كلهم وسمو شأنهم.

هل ندم طلحة رضي الله عنه على معارضة علي رضي الله عنه؟:

تفيد بعض الروايات أن عليا رضي الله عنه قال لطلحة رضي الله عنه يوم الجمل: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقي: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه». قال: بلى قال: فذكره وانصرف.(مسند البزار، رقم:٩٥٨)

وفي إسناده: الحسين بن الحسن قال الحافظ فيه: من غلاة الشيعة. وقال أبومعمر الذهلي: كذاب.(تحرير تقريب التهذيب ١/ ٢٨٧) و راوٍ آخر: إياس بن نذير مجهول. (ميزان الاعتدال ١/ ٢٨٣). وساق ابن كثير في «البداية والنهاية» هذه الرواية، ثم قال: «وقد استغربه البزار، وهو جدير بذلك». (البداية والنهاية ١٠/ ٤٦١)

وساق الشيخ عبد الله الهرري في «المقالات السنية» (ص٣٥٠) رواية أخرى، هي أن طلحة رضي الله عنه بايع في آخرته أحد الموالين لعلي رضي الله عنه، فلما بلغ عليًّا رضي الله عنه ذلك قال: «أبى الله أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه». وفيما يلي النص بكامله:

أخبرنا علي بن المؤمل بن الحسن بن عيسى، ثنا محمد بن يونس، ثنا جندل بن والق، ثنا محمد بن عمر المازني، عن أبي عامر الأنصاري، عن ثور بن مجزأة، قال: مررت بطلحة بن عبيد الله يوم الجمل وهو صريع في آخر رمق، فوقفت عليه فرفع رأسه، فقال: إني لأرى وجه رجل كأنه القمر، ممن أنت؟ فقلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي، فقال: ابسط يدك أبايعك، فبسطت يدي وبايعني، ففاضت نفسه، فأتيت عليًّا فأخبرته بقول طلحة، فقال: «الله أكبر، الله أكبر، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الله أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتي في عنقه». (المستدرك للحاكم، رقم: ٥٦٠١)

في إسناده مجاهيل إلا جندل بن والق. قال الحافظ ابن حجر: «إسناده ضعيف جدًّا». (إتحاف المهرة، رقم:١٤٠٧٢)

ندم عائشة رضي الله عنها:

قال الباقلاني في «تمهيد الأوائل»: إن عائشة كانت تذكر يوم الجمل وتبكي حتى تبل

خمارها، وتقول: «وددت أن لو كان لي عشرون ولدًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأني ثكلتهم ولم يكن ما كان مني يوم الجمل». (تمهيد الأوائل، ص٥٥٢)

ساق الباقلاني هذه الرواية بغير إسناد، وساق البيهقي في «دلائل النبوة» لها إسنادًا، قال: «... أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم عن عائشة قالت: «وددتُ أني ثكلت عشرة مثل ولد الحارث بن هشام وأني لم أسر مسيري الذي سرت».(دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٤١١)

وقال أبوزرعة في «تحفة التحصيل»: «إسماعيل بن أبي خالد عن قيس غير صحيح، والصحيح: إسماعيل عن رجل آخر غير قيس.(تحفة التحصيل لأبي زرعة، ص٢٨ . وكذا في سؤالات ابن الجنيد، ص٤٢٨). و «رجل آخر» مجهول.

وقال أبوحيان الأندلسي، والقرطبي أن عائشة كانت تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ (الأحزاب: ٣٣) فتبكي، حتى تبل خمارها. (البحر المحيط ٧/ ٢٣٠. الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٨٠)

استدل الشيخ عبد الله الهرري بندم عائشة رضي الله عنها على واقعة الجمل- على أن عليًّا كان على الحق، وعائشة على الباطل.

والحق أن ندم عائشة رضي الله عنها لم يكن على خطإِ موقفها، وإنما ندمت على خروجها ووقوع واقعة الجمل به، ولم يخطر ببالها وقوعها، قال العلامة الذهبي: «ولا ريب أن عائشة ندمت ندامةً كليةً على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنتْ أن الأمر يبلغ ما بلغ». (سير أعلام النبلاء ٢/ ١٧٧).

ولم تنفرد عائشة رضي الله عنها بوقوع هذه الفتن، فقد كان علي رضي الله عنه على غاية من الندم والحسرة على وقوعها، فقال: «لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة». (الفتن لنعيم بن حماد، رقم: ١٧٠)

وقال يوم صفين: «يا ليت أمي لم تلدني، وليت إني مت قبل اليوم». (التاريخ الكبير، للإمام البخاري ٦/ ٣٨٤)

وعن سليمان بن مهران قال: حدثني من سمع عليًّا يوم صفين وهو عاض على شفتيه: «لو علمتُ أن الأمر يكون هكذا ما خرجتُ، اذهب يا أبا موسى فاحكم ولو حزَّ عنقي». (المصنف لابن أبي شيبة، رقم:٣٩٠٠٧)

وعن موسى بن أبي كثير عن علي رضي الله عنه أنه قال لأبي موسى رضي الله عنه حين

حكمه: «خلصني منها ولو بعرق رقبتي». (كتاب الآرثار، لأبي يوسف، ص٢٠٨، رقم:٩٢٩)

قال علي رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري: تولَّ الحكمَ في هذا الأمر، وخلِّصني منه، ولو ضرِبَ له عنقي.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ندم على أمور فعلها من القتال وغيره، وكان يقول:

لقد عَجَزتُ عَجزةً لا أعتذِر ۞ سوف أكِيسُ بعدَها وأَستمِر

(منهاج السنة النبوية ٦/ ٢٠٩)

هل كان عليٌّ رضي الله عنه على الحق، أم معاوية رضي الله عنه فيما يخص دم عثمان رضي الله عنه؟:

كانت دعوى علي ومعاوية رضي الله عنهما قائمة على دليل صحيح، وأما القول بأن معاوية أخطأ، فهو خطأ اجتهادي، يؤجر عليه.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»: «وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي صلى اللهُ عليه وسلم بالجنة، والشهادة تدل على أنَّ كلهم كانوا على الحق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية كان على تأويل واجتهاد». (الإبانة في أصول الديانة، ص١٩٠، ط: مكتبة دار البيان، دمشق).

وقال بعضهم: كان علي رضي الله عنه على الحق، وأخطأ معاوية رضي الله عنه خطأ اجتهاديًّا، وهما مأجوران، ومصيبان في ظنهما، والحق واحد عند الله تعالى، ويجوز الأخذ بأمرين مختلفين في الدنيا على أنهما حق، كما يقولون: مذهب أبي حنيفة حق، يحتمل الخطأ، ويقول الشافعية: مذهبهم حق يحتمل الخطأ.

قال الشيخ محمد عوامة: «قال الطحطاوي في أوائل حاشيته على «الدر المختار» بعد أن حكى القول المذكور في الشبهة: «المراد أن ما ذهب إليه إمامنا صوابٌ عنده مع احتمال الخطأ، إذ كل مجتهد يصيب وقد يخطئ في نفس الأمر، وأما بالنظر إلينا فكل واحد من الأربعة مصيب في اجتهاد». (أدب الاختلاف، ص١٢٩)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام فله أجران». (البداية والنهاية ٧/ ٢٧٩)

وقال العلامة الذهبي في «المنتقى»: «إن معاوية بقي على دمشق وغيرها عشرين سنة أميرًا، وعشرين سنة خليفةً، ورعيته يحبونه لإحسانه، وحسن سياسته، وتأليفه لقلوبهم، حتى أنَّهم قاتلوا معه عليًّا، وعليٌّ أفضل منه وأولى بالحق منه، وهذا يعترف به غالبُ جند معاوية، ولكنهم قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر عليٍّ فيه قتلة عثمان». (المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٢٦١)

وقال الإمام النووي: «ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ، لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة». (شرح النووي علي مسلم ١٨/ ١١)

أقول: وفيه نظر؛ فإنَّ عليًّا كان أولى بالخلافة، وأما الحروب، فمن اجتنب عن القتال فهو أقرب إلى الحق.

إذا كان المراد بالحق –في نص الإمام النووي هذا– الخلافة، فلاشك أن عليارضي الله عنه كان أحق، وإن كان المراد: أيهما أحق، أي: الاستعجالُ في الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه، أو التأجيل فيه؟ فلا يعلمه إلا الله تعالى. وطالب كبار الصحابة عليًّا رضي الله عنه بدم عثمان رضي الله عنه، وروي عنه ثلاثة أمور:

١. أن القتلة لهم أعوان كثيرون، فيصعب الثأر فورًا.
٢. أن القصاص يؤدي إلى فتنة أشد من الأولى.
٣. لو ادعوا على شخص بعينه، أو جماعة بعينها لجرى القصاص. (سيرة علي لمولانا محمد نافع، ص ٢٣١).

هل كان معاوية وارثًا لعثمان رضي الله عنه؟:

إيراد: كيف جاز لمعاوية رضي الله عنه مطالبة القصاص؟ ولم يكن وارثًا لعثمان رضي الله عنه؟

الجواب: كان أبناء عثمان رضي الله عنه – وخاصة أبان بن عثمان – مع معاوية رضي الله عنه في مطالبة الثأر لعثمان رضي الله عنه، ذكر كبار أهل العلم أنه–أبان بن عثمان– كان مع

معاوية في هذه القضية، فقد كشف كبار علماء الشيعة ومصنفيهم هذا الإيراد بالتصريح بهذه المسألة، قال سليم بن الهلال الشيعي: «إن معاوية يطلب بدم عثمان، ومعه أبان بن عثمان، وولد عثمان». (كتاب سليم بن قيس الكوفي الهلالي العامري الشيعي، ص١٥٣، ط: نجف أشرف)

وقال المؤرخون: أوضح معاوية رضي الله عنه –وهو يتحدث مع أبي مسلم الخولاني وأصحابه في هذه المسألة– «...أنا ابن عمه وأنا أطلب بدمه وأمره إليَّ». (البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦٨)

كان علي رضي الله عنه يستحق الخلافة، وأما معاوية رضي الله عنه فكان يطلب القصاص، لا الخلافة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تمرُق مارِقةٌ عند فُرقَة من المسلمين يقتُلها أَولى الطائفتَين بالحق».(صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج، رقم:١٠٦٤)

المراد بهذا الحق هو الخلافة. وكان رئيس هذه الطائفةِ عليٌّ رضي الله عنه أحق بالخلافة. وقد اتفقوا على أنه –عليًّا رضي الله– كان يستحق الخلافة يومئذ، وكان أحق به. ولم يدَّعِ معاويةُ رضي الله عنه الخلافةَ في أول أمره، وإنما طالب بدم عثمان رضي الله عنه، ولم ينفرد بهذه المطالبة؛ بل كان معه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

قال الحافظ ابن كثير: «قام في الناس معاوية، وجماعة من الصحابة يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ممن قتله من أولئك الخوارج، منهم: عبادة بن الصامت، وأبوالدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عنبسة، وغيرهم من الصحابة». (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٧)

وجاء في تاريخ ابن عساكر: «عن ابن شهاب الزهري قال: لما بلغ معاوية وأهل الشام قتل طلحة والزبير، وهزيمة أهل البصرة، وظهور عليٍّ عليهم دعا أهل الشام معاويةُ للقتال معه على الشورى، والطلب بدم عثمان، فبايع معاوية أهل الشام على ذلك أميرًا غير خليفةٍ». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٩/ ١٢٦. وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٠١)

وكان جيشُ علي رضي الله عنه وأصحابه يعتبرون معاوية رضي الله عنه خارجًا على الدولة، ولم يكن خارجًا عليها؛ بل كان يطالب بدم عثمان رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر: «حجة معاوية ومن معه ما وقع من قتل عثمان مظلومًا ووُجود قتلتِه بأعيانهم في

العسكر العراقي». (فتح الباري ١٣/ ٢٨٨)

قال زَهدَم الجَرمي: «خطبنا ابن عباس فقال: «لو أن النّاس لم يطلبوا بدم عثمان لرُجِموا بالحجارة من السماء». (قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال الكبير رجال الصحيح، كذا في مجمع الزوائد للهيثمي، رقم:١٤٥٦٥)

وقال الحافظ ابن حجر: «عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنتَ تنازع عليًّا في الخلافة، أو أنت مثله؟ قال: لا، وإني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر؛ ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتِل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه». (فتح الباري١٣/ ٨٦. وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٠١. وسير أعلام النبلاء ٣/ ١٤٠. وهكذا في أغاليط المؤرخين للسيد أبي يسر عابدين، ص١٥٧)

وفي «البداية والنهاية»: لما دخل أبو الدرداء وأبو أمامة على معاوية قائلين على ما تقاتل هذا الرجل (أي: عليًّا)... فقال: أُقاتله على دم عثمان، وأنه آوَى قتَلتَه، فاذهبا إليه فقولا له: فَلْيُقِدْنا مِن قَتَلَةِ عثمان، ثم أنا أوَّل من بايعه من أهل الشام. (البداية والنهاية ٧/ ٢٦٠)

ما الذي منع معاوية رضي الله عنه من البيعة لعلي رضي الله عنه، إذا كان يرى أن عليًّا رضي الله عنه أفضل وأحق بالخلافة؟:

يعترض بعض الناس على معاوية رضي الله عنه بأن عليا رضي الله عنه كان أهلا للخلافة عنده، وكان يراه أحق بها، فتخلفُه عن البيعة لعلي رضي الله عنه يعتبر خروجًا عليه، فيترددون في وصف معاوية بالبغي والخروج.

الجواب:

لاشك أن عليًّا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة، ولكن خلافته والبيعة له لم يتفقوا عليها نظرًا إلى نشاطات البغاة، وتقدمهم في أمرالبيعة. فتخلف معاويةُ وكثير من كبار الصحابة عن البيعة له، ولك أن تقول حسب مصطلح علم المنطق: كان خليفةً بالقوة، لا بالفعل.

فكانت خلافة علي رضي الله عنه قد انعقدت عنده وعند أصحابه في هذه الأوضاع، ولم تنعقد بيعته عند عائشة، ومعاوية، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم بيعةً اتفقوا عليها، فكيف يكون موقف معاوية وهؤلاء الصحابة من السابقين الأولين، وأصحاب بيعة العقبة

وأصحاب بدر خروجًا وبغيًا؟

وزامن اختيار علي رضي الله عنه للخلافة مع أيام الحج، وكان كثير من الصحابة في رحلة الحج. وبايع طلحة والزبير رضي الله عنهما له بيعة مقيدة بشروط، كما في بعض الأقوال. وكان كثير من الصحابة على الثغور، و أول من بايع على يده مالك الأشتر، رئيس البغاة، وكان يؤم الناس يومئذ أحد البغاة، وهو: غافقي بن حرب، كما في «البداية والنهاية»: «وأهل الكوفة يقولون: أول من بايعه الأشتر النخعي...، بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان، وأميرها الغافقي بن حرب».(البداية والنهاية ٧/ ٢٢٦).

هل بايع عليًّارضي الله عنه الأنصارُ، والمهاجرون، وجميعُ الناس، أم لم يباعه جمع من الصحابة، وكثير من الناس؟:

وردت في هذا الصدد روايات، وعبارات كتب التاريخ من ثلاثة أصناف:

(١) في بعضها أنه لم يبايع عليًّا رضي الله عنه جمع من الصحابة، وكثير من الناس:

قال الحافظ ابن كثير: «ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار، منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة...، قال الزهري: هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليًّا، ولم يبايعه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن سلام، والمغيرة بن شعبة، قلت: وهرب مروان بن الحكم، والوليد بن عقبة، وآخرون إلى الشام. وقال الواقدي: بايع الناس عليًّا بالمدينة، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا، منهم ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وصهيب، وزيد بن ثابت، ومحمد بن أبى مسلمة، وسلمة بن سلامة بن وقش، وأسامة بن زيد...، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان، ممن قتله من أولئك الخوارج: منهم عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو أمامة، وعمرو بن عنبسة وغيرهم من الصحابة ». (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٦. وانظر: تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٠٢).

وكذالك لم تبايع منطقةُ الشام كلها؛ «فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل

قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه». (البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣)

ولم يبايع عشرة آلاف من أهل مصر؛ «لم يبايع عليًّا ولم يأتمر بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف». (البداية والنهاية ٧/ ٣١٣)

كما لم يبايعه بعض أهل البصرة؛ «وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر، فبايع له الجمهور، وقالت طائفة: لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان، وكذلك أهل البصرة». (البداية والنهاية ٧/ ٤٠٣)

ولم يبايع عليا رضي الله عنه كثير من الصحابة الذين وردوا للحج من مختلف المدن؛ «فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة، وأمهات المؤمنين، فقامت عائشة رضي الله عنها في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان، وذكرت ما افتاتَ به أولئك من قتلِه في بلدٍ حرامٍ وشهرٍ حرامٍ، ولم يراقبوا جوارَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سفكوا الدماء، وأخذوا الأموال. فاستجاب الناس لها، وطاوعوها». (البداية والنهاية ٧/ ٤٠٥)

(٢) وفي بعضها أن عليًّا رضي الله عنه بايعه الأنصارُ، والمهاجرون، وجميع الناس:

عن سيف بن عمر: «بايع الناسُ كلهم». (تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٥. وسيف بن عمر متروك متهم بالكذب).

وقال ابن سعد: «قالوا: ... بايعه طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرهم». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٣١، ط: دار صادر)

وعن الزهري، قال: «فبايعه الناس ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره». (الاعتقاد، للبيهقي، ص ٣٧٠). والزهري ولد سنة ٥٨، أي: بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ٢٢ عامًا).

وعن محمد بن الحنفية قال: «... وأبى هو (أي: علي) إلا المسجد، فلما دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم بايعه الناس». (تاريخ الطبري ٤/ ٢٢٧. قال بعض الناس: «إسناده صحيح». والحق أن إسناده مسلسل بالمجهولين: شيخ الطبري: جعفر بن عبد الله المحمدي مجهول. وشيخه: عمرو بن حماد رافضي. وشيخه: علي بن حسين مجهول. وشيخه: حسين مجهول، عن أبيه، وهو مجهول أيضًا).

(٣) وفي بعض الروايات بإسناد صحيح أن عليًّا رضي الله عنه بايعه الناس من أهل

المدينة، ولم تصرح هذه الروايات أنه بايعه الناس جميعًا، وكذا لم يذكر فيها استثناء بعض الناس:

عن محمد بن الحنفية قال: قال علي: «... إن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني. قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس».(فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، رقم: ٩٦٩. الشريعة للآجري، رقم:١٢١٥. وإسناده صحيح).

وعن الشعبي، قال: «لما قتل عثمان رضي الله عنه أتى الناسُ عليًّا... فبايعته العامة، وأهل الكوفة يقولون: إن أول من بايعه الأشتر».(تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٣، وإسناده صحيح)

وعن الزهري: «حتى اذا قُتِل عثمان رحمه الله بايع الناسُ عليَّ بن أبي طالب».(مصنف عبد الرزاق، رقم: ٩٧٧٠. والزهري ولد سنة ٥٨، أي: بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ٢٢ عامًا).

وخلاصة القول أن عليًّا رضي الله عنه بايعه من أهل المدينة أكثرهم، وأما من أهل مصر فلم يبايعه جمع، وكذا طائفة من أهل البصرة، وكذا لم يبايعه كثير من الصحابة الذين وردوا للحج من مختلف المدن، ولم تبايع منطقةُ الشام كلها. فكانت خلافة علي رضي الله عنه قد انعقدت عنده وعند أصحابه، ولم تنعقد بيعته عند عائشة، ومعاوية، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم بيعةً اتفقوا عليها.

ثم الإيراد بما في «صحيح مسلم»: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية». (صحيح مسلم، رقم:١٨٥١)

فإن الحديث دل على أن معرفة إمام الزمان لازم، ويؤخذ الجواب عنه بهذا الحديث نفسه، فقد قال الشيخ عبد الحي اللكنوي في شرح هذا الحديث: «من لم يعرف إمام زمانه مع أنه في ظل إمامه، فقد عاش عيش الجاهلية، فيموت ميتة الجاهلية».

وقال في موضع آخر: «من لم يعرف إمام زمانه الذي بايعه المسلمون وأهل الحل والعقد وجعلوه إمامًا، فمن لم يعرف أنه إمام، وأنكر إمامته، وتخلف عن بيعته، فقد مات ميتة جاهلية». (فتاوى عبد الحي، ص٩٥)

خلاصة الجواب أن من مات من غير بيعة وهو يعيش في ظل إمام بايعه أهل الحل والعقد وعامة المسلمين في غير زمان الفتنة فقد مات ميتة جاهلية. وليس الأمر كذلك فيما نحن فيه.

هل كان علي ومعاوية رضي الله عنهما كلاهما على الحق؟ أم كان علي رضي الله عنه على الحق، ومعاوية رضي الله عنه على الخطأِ قطعًا؟:

للأصوليين كلام طويل فيما إذا اجتهد اثنان فأكثر، وأشهرُ المذاهبِ اثنان:

الأول: كلاهما على الحق، والحق متعدد عند الله تعالى. ويطلق على أصحاب هذا الرأي: المصوبة.

والثاني: أحدهما على الحق، والآخر على الخطأ، ويطلق عليه الأصوليون: المخطئة.

وكون أحدهما على الحق والآخر على الخطأ قد يكون واضحًا جليًّا. ولا يؤجَر أهلُ الخطأ الذين يجتهدون في مقابل النص؛ بل هؤلاء معذَّبون، أمثال المعتزلة، والخوارج، النافين لرؤية الله تعالى باجتهادهم الباطل في مقابل نصوص الرؤية.

وأما إذا كانت المسألة غير منصوص عليها، أو تعارضت النصوص فيها، فقال الإمام أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد: أحدهما على الحق، والآخر على الخطأ، ويؤجر المخطئ أيضًا. ففي الحديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر». (صحيح البخاري، رقم:٧٣٥٢)

١- للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحدٌ، فمثلا: إذا جهلت القبلة لغيم في السماء، أو لأسباب أخرى، فصلى أربعة نفر في جهات مختلفة، كان أحدهم على الحق، ويثاب الآخرون على التفكير والتدبر، ومن صلى في جهة غير جهة القبلة لم يجب عليهم القضاء عند الأحناف إذا لم يوجد مسؤول عارف بالقبلة. ففي مسألة القبلةِ الحقُ واحد.

٢- بالنظر إلى الخلاف بين الأحناف وغيرهم هل الأفضل أربع بتسليمة واحدة أو ركعتان ركعتان؟ كلاهما على الحق. فكل مؤيد بالأحاديث، فمن صلى ركعتين تشهد مرتين مع الصلاة والدعاء، وفي الأربع تمديد للصلاة، فنصوص أهل العلم الكبار تؤيد الجانبين، وتذكر المصادر نصوصًا مزيجة تؤيد إصابة المجتهدَين، وكذلك ما يؤيد كون أحدهما على الخطأ.

قُطِعَت أشجار بني النظير المثمرة، واختلف الصحابة: هل كان قطعها أفضل أم لا؟ فصَوَّب الله تعالى الفريقين: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٥)

قال أبو بكر الجصاص في شرح سورة الحشر في كتابه أحكام القرآن: «صوَّب الله الذين قطعوا والذين أبوا، وكانوا فعلوا ذلك من طريق الاجتهاد، وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب». (أحكام القرآن ٥/ ٣٧١، الحشر:٥)

وقال الدكتور/ وهبة الزحيلي رحمه الله: «القائلون بأن كل مجتهد مصيب هم الأشاعرة، والمعتزلة، والقاضي الباقلاني، وصاحبا أبي حنيفة، وابن سريج».(أصول الفقه الإسلامي، للشيخ وهبة الزحيلي، ص١٠٩٧)

٣- قال الله تعالى:﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧٨)

نفشت غنم القوم، فقضى أو أراد أن يقضي فيه داود عليه السلام بأن القانون يقضي بدفع الغنم إلى صاحب الزرع، لأن خسارة الزرع كانت تعادل قيمة الغنم، وأما سليمان عليه السلام فسلك مسلك الصلح، فرضي به الفريقان، بأن تدفع الغنم إلى صاحب الزرع لمدة يستفيد فيها منها، ويقوم صاحب الغنم فيها على الزرع، فإذا عاد الزرع على حالته الأولى، دُفعَت الغنم إلى صاحبها، والزرع إلى صاحبه.

مال الشيخ أشرف علي التهانوي في هذه القصة إلى أن القرارَين كانا صائبَين، أولهما كان قائما على القانون، والآخر قائما على المصالحة والتيسير، و يؤيده قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ (الأنبياء: ٧٩). وأما المخطئة فذهبت إلى أن داود أخطأ خطأً اجتهاديًّا بناء على قوله تعالى:﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ (الأنبياء: ٧٩)

جعل بعض المفسرين قضاء سليمان عليه السلام ناسخًا، ومنهم من جعل كليهما صحيحًا، وقال بعضهم: إنما أراد داود أن يقضي، لا أنه قضى.

فدلت هذه الروايات على أن الذين يعتبرون عليًّا ومعاويةَ رضي الله عنهما على الحق، لم يكونون متفردين بهذا الرأي؛ بل كان كثير من السلف يذهبون هذا المذهب.

ومعنى كون الفريقين على الحق أنهم لو أخذوا باجتهاد علي رضي الله عنه وبايعه الناس كلهم، لَقُضِيَ على قتلة عثمان والبغاة كلهم بعد مدة قليلة نظرًا إلى الحكومة القوية لأهل الحق، ولو أخذوا برأي معاوية رضي الله عنه وأصحابه، واجتهادهم، وأقبل أهل الحق كلهم على قتل البغاة، تكونت بعده حكومة وخلافة قويةٌ لأهل الحق. وذهب الإمام أبو الحسن

الأشعري إلى أن الفريقين على الحق، وكانا يقصدان إعلاء كلمة الدين. والذين يعتبرون معاويةَ رضي الله عنه طالبًا للخلافة، ينسون مكانته العالية، وما قام به من الخدمات الإسلامية.

لِـمَ لم يعاقب عليٌّ ومعاويةُ رضي الله عنهما قتلةَ عثمان رضي الله عنه؟:

يتهم بعضُ الناس عليا ومعاوية رضي الله عنهما بأنهما لم يعاقبا قتلة عثمان رضي الله عنه، في حين أن عثمان رضي الله عنه قتِلَ ظلما، كما يدل عليه الحديث النبوي.

عن مرة بن كعب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن فقربها، فمر رجل مقنع في ثوب فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. قال: فأقبلت عليه بوجهه، فقلت: هذا؟ قال: «نعم». (سنن الترمذي، رقم:٣٧٠٤. المستدرك للحاكم، رقم:٤٥٥٢. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يشير إلى عثمان رضي الله عنه في فتنة من الفتن: «يقتل هذا فيها مظلومًا».(سنن الترمذي، رقم:٣٧٠٨. مسند أحمد، رقم:٥٩٥٣. فضائل الصحابة للإمام أحمد، رقم:٧٢٤، ٧٩٦. قال الترمذي: حسن غريب. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد: صحيح لغيره. وله شاهد عند ابن ماجة، رقم:١١٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عثمان! إن الله يقمِّصُك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم» . (سنن الترمذي، رقم:٣٧٠٥ . مسند أحمد، رقم:٢٥١٦٢ . سنن ابن ماجه، رقم:١١٢ . وهو حديث صحيح)

الجواب:

كان علي رضي الله عنه ينتظر هدوء الأوضاع، ويود معاقبة الظالمين بعد استقرار الحكومة، فلما قيل في علي رضي الله عنه أقاويل، قال: «اللهم إني أبرء إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتِل عثمان».وقال أيضًا: «وأنكرتُ نفسي وجاءوني للبيعة، فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا أستحيي مِمَّن تستحيي منه الملائكة». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٥٢٧ . وتاريخ دمشق لابن عساكر٣٩/ ٤٥٠. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

ولـمَّا أراد علي رضي الله عنه إجراء الصلح والحوار مع معاوية رضي الله عنه، عارضه هؤلاء المنافقون في صورة الخوارج، وقتلوا وغُلبُوا. وقتِل بعض قتلة عثمان رضي الله عنه

هؤلاء على يد غلمان عثمان رضي الله عنه كما يقول بعض المؤرخين. وتقول كتب التاريخ: إن معاوية رضي الله عنه نصب من يقتلهم حيث ثقفوهم، وبقية القاتلون قُتِلُوا على عهد عبدالملك بن مروان.

وتفصيلا لهذا الإجمال نذكر بعض الأمور في النقاط التالية:

١- إن قتلة عثمان رضي الله عنه هم الذين تأثروا بالفتنة السبائية وخرجوا على عثمان رضي الله عنه، حتى قُتِل شهيدا. وكان هؤلاء معارضين للخلافة الإسلامية، وإن كان معظمهم موالين – في الظاهر- لعلي رضي الله عنه، وصرحوا بمعارضتهم لعلي بعد ما أعلن علي رضي الله عنه التحكيم. وكانوا من قبل يعتبرون عثمانَ رضي الله عنه ومَن يعدُّه على الحق، وكذلك معاويةَ وعمرو بن العاص رضي الله عنهما – معرضين عن الإيمان. فلما قبل عليٌّ التحكيم، عدوا عليا رضي الله عنه ومن والاه من الصحابة خارجين من الإيمان. وكان عددهم في وقعة صفين ما بين اثني عشر ألفا إلى ستة عشر ألفا، أو أقل منه بقليلٍ، قال ابن كثير: «إنَّ عليًّا رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين، ذهب إلى الكوفة، فلما دخلها انعزل عنه طائفة من جيشه، قيل: ستة عشر ألفا، وقيل: اثنى عشر ألفا، وقيل: أقل من ذلك». (البداية والنهاية٧/ ٢٧٩)

٢- قتِلَ ثلاثة منهم يوم قُتِل عثمان رضي الله عنه على يد غلمانه؛ «ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فمنعته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجيزتها بيده وقال: إنها لكبيرة العجيزة. وضرب عثمان فقتله، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله، فضرب الغلامَ رجل يقال له قترة فقتله...، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قترة فقتله، وجعلوا لا يمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبي، ملاءة نائلة، فضربه غلام لعثمان فقتله، وقُتِل الغلام أيضًا». (البداية والنهاية ٧/ ١٨٨-١٨٩)

٣- قتِل سبعون ممن شارك في قتل عثمان رضي الله عنه من أهل البصرة قبل وقعة الجمل على يدي جيش طلحة والزبير رضي الله عنهما؛ «فحمِيَ لذلك جماعةٌ من قومٍ قتلة عثمان وأنصارهم، فركبوا في جيش قريب من ثلاث مئة، ومقدمهم حكيم بن جبلة، وهو أحد من باشر قتل عثمان، فبارزوا وقاتلوا...، ثم مات حكيم قتيلًا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٢)

٤- لما تفرقوا عن علي رضي الله عنه بعد وقعة التحكيم، قاتلهم علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما كانوا عليه من الأفكار الباطلة، وكانت مناوشات حربية عدة، وأما وقعة النهروان فقد قُتِل كثير من الخوارج فيها؛ قال ابن كثير: «وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة، فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة، والميسرة ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول، وقتل أمراؤهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخبرة السلمي، قبحهم الله». (البداية والنهاية ٧/ ٢٨٨. تاريخ خليفة بن خياط، ص١٩٧)

روى الإمام البخاري، والإمام أحمد في مسنده أن بعض الناس ارتابوا في الخوارج الذين قُتِلوا يوم النهروان، فقال علي رضي الله عنه: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لايرجعون فيه أبدا، حتى يرجع السهم على فوقه، وإن آية ذلك أن فيهم رجلا أسود مخدج اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، حوله سبع هلبات». ثم قال علي رضي الله عنه: ابحثوا عنه فإنه في هؤلاء القتلى، فلما طلبوه وجدوا رجلا على هذه الصفة تحت القتلى الآخرين، فقال علي رضي الله عنه: «الله أكبر، صدق الله ورسوله»، فكبر الناس معه، فزالت الشبهة العالقة بقلوب الناس في القتال. (صحيح البخاري، رقم: ٦١٦٣، و٦٩٣٣؛ مسند الحميدي، رقم:٥٩؛ ومسند الإمام أحمد، رقم: ٦٧٢)

٥- في أعقاب يوم النهروان خرج الحارث بن راشد الخارجي-رئيس قبيلة الناجية- وانضوى تحت لوائه كثير من قبيلة الناجية وغيرها، فبعث علي رضي الله عنه معقل بن قيس الرماحي لقتالهم، فقتل كثيرا منهم، وسبى خمس مئة منهم؛ «خرج على علي بعد النهروان رجل يقال له: الحارث بن راشد الناجي...، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه- بني ناجية وغيرهم- وتحيزوا ناحية، فبعث إليهم عليٌّ معقل بن قيس الرماحى في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلا ذريعا، وسبى من بني ناجية خمس مئة أهل بيت...، وعن أبي الطفيل أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم: معقل بن قيس فسباهم». (البداية والنهاية ٧/ ٣٠٨-٣٠٩)

٦- وخرج على علي رضي الله عنه بعد الحارث بن راشد: عدي بن حاتم (وليس هو

الصحابي الشهير عدي بن حاتم)، والأشرس بن عوف الشيباني، والأشهب بن بشر البجلي، وسعيد بن نغد التميمي وغيرهم من الخوارج واحد بعد الآخر، وقتل هؤلاء كلهم على أيدي أصحابهم . للاستزادة منه راجع: البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٠٨-٣٠٩.

٧- قال ابن كثير في الأشتر النخعي صاحب الفتن الشهيرة: مات في طريق مصر، أو سقاه بعض الناس السم؛ «بعث عليٌّ على إمرة مصر الأشتر النخعي، فسار إليها الأشتر النخعي فلما بلغ القُلزم شرب شربة من عسل فكان فيها حتفه». (البداية والنهاية ٧/ ٢٥٢)

٨- كنانة بن شر أيضًا من قتلة عثمان، وقتِل في مواجهة مع عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ «فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن خديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾. الآية، ثم قاتل حتى قُتِل». (البداية والنهاية ٧/ ٣١٤)

٩- قُتِلَ كثير من الخوارج وصناديدهم قبل تولي معاوية رضي الله عنه الخلافة، كما رأيتَ آنفًا. ولكن لم يُستأصلوا، فلما ولي معاوية رضي الله عنه الخلافة، بدأ بمتابعتهم، فبعث معاوية رضي الله عنه خالد بن عرفطة العذري في جماعة معه في٤١هـ لقتال جماعة من الخوارج بقيادة عبد الله بن أبي الحوساء الخارجي، فقاتلوهم وقُتِلَ رئيسهم أبوالحوساء.

«خرج عليه (أي: معاوية) عبدُ الله بن أبي الحوساء بالنخيلة، فبعث إليه معاويةُ خالدَ بن عرفطة العذري حليف بني زهرة في جمع من أهل الكوفة، فقُتِل ابن أبي الحوساء في جمادى سنة إحدى وأربعين». (تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٠٣)

١٠- وبعث معاوية رضي الله عنه عوف بن الأحمر في جيش قوامه ألف مقاتل لقتال فئة أخرى من الخوارج رئيسهم حوثرة بن ذراع بعد مقتل ابن أبي الحوساء، فقتِلَ حوثرة بن ذراع.

«لما قُتِل ابن أبي الحوساء خرج حوثرة بن ذراع، فسرع إليه معاويةُ عبدَ الله بن عوف بن أحمر في ألف، فقُتِل حوثرة» . (تاريخ خليفة بن خياط، ص٢٠٤)

١١- كما بعث المغيرة بن شعبة -الذي ولاه معاوية الكوفة- شبثَ بن ربعي أو معقل بن قيس لقتال فئة من الخوارج بقيادة فروة بن نوفل، فقُتِلَ فروة بن نوفل.

«إن فروة بن نوفل الأشجعي خرج على المغيرة بن شعبة بعد مسير معاوية (من

الكوفة)، فوجه إليه المغيرة خيلا عليه شبث بن ربعي، و يقال: معقل بن قيس، فلقيه بشهرزور فقتله». (الكامل لابن الأثير ٣/ ١١).

١٢- بعث المغيرة رضي الله عنه خالدَ بن عرفطة أو معقلَ بن قيس لقتال شبيب بن بجرة الخارجي-الذي شارك ابنَ ملجم في قتل علي رضي الله عنه-، فقُتلَ مع أصحابه.

«كان شبيب مع ابن ملجم حين قتل عليًّا...، فبعث إليه المغيرة خيلا عليها خالد بن عرفطة، وقيل: معقل بن قيس، فاقتتلوا، فقُتل شبيب وأصحابه». (الكامل لابن الأثير٣/ ١١).

١٣- في عام ٤٣هـ تجمع كثير من الخوارج بقيادة المستورد بن علقمة الخارجي، ونصبوا المستورد أميرا عليهم، وبايعوه. فبعث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه – الذي أمَّره معاوية رضي الله عنه على الكوفة- معقل بن قيس في جيش لقتاله، فواجهوا مواجهة عنيفة مع الخوارج، حتى انهزمت الخوارج شر هزيمة.

«وقد كانت في هذه السنة - أعني سنة ثلاث وأربعين- وقعة عظيمة بين الخوارج وجند الكوفة...».(البداية والنهاية ٨/ ٢٤) فَصَّل ابن كثير الكلام على هذه الوقعة، وإنما اقتصرنا على هذا النص.

١٤- كان عمير بن ضابي كسر ضلوع عثمان رضي الله عنه بعد قتله، فقتله الحجاج بن يوسف في السجن. «وقد قتل الحجاج فيما بعد عمير بن ضابي هذا».(البداية والنهاية ٧/ ١٩١)

نافلة القول أن قتلة عثمان والخوارج المثيرين الفتنَ، قتَلَ بعضَهم بعضُ غلمان عثمان رضي الله عنه عند مقتله، وقُتِلَ كثير منهم في خلافة علي رضي الله عنه، وبقية السيف منهم قُتِلوا على عهد معاوية رضي الله عنه في مختلف الوقائع، وتم دحض هذه الفتنة. وقُتِل من تبقى منهم على عهد عبد الملك بن مروان. وفيما يلي بعض الأحداث على سبيل المثال، وللاستزادة منه راجع: «تاريخ خليفة بن خياط»، و«الكامل» لابن الأثير، و«البداية والنهاية» لابن كثير، عام ٤١هـ وما بعده من الأحداث.

قال عثمان الخميس: «نعم معاوية أرسل في قتل بعضهم، لكن بقي آخرون إلى زمن الحجاج، يعني إلى زمن عبد الملك بن مروان حتى قتل آخرهم». (حقبة من التاريخ، ص٧٧)

قال الحافظ ابن كثير: «وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولًا...، وقال بعضهم: ما مات أحد منهم حتى جُنَّ».(البداية والنهاية ٧/ ١٨٩).

من كان على الحق في قتال علي ومعاوية رضي الله عنهما؟ علي رضي الله عنه، أم معاوية رضي الله عنه، أم من تخلف من الصحابة رضي الله عنهم عن القتال؟:

تفيد الأحاديث أن الصحابة الذين قعدوا عن القتال كانوا أقرب إلى الحق، أو على الحق في القتال، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: «وقعد من القتال أكثر الأكابر لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود». (فتح الباري ٣/ ٥٠)

وفي الصحيحين: «ستكون فِتَنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٠١. صحيح مسلم، رقم:٢٨٨٦)

قال عثمان الخميس: «وفي رواية «أولى الطائفتين بالحق»، فالحديثان ينصّان على أن عليًّا كان أقرب للحق من مخالفيه في الجمل، وكذلك في صفين، ولكن لم يصب الحق كله؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «الأقرب إلى الحق»، «الأولى بالحق» لا أنه على الحق كله، وليس هذا طعنًا في عليٍّ رضي الله عنه، ولكن لبيان أن الذين امتنعوا عن المشاركة في الفتنة هم الذين كانو على الحق» الخ . (حقبة من التاريخ، ص٩٥).

ويفيد حديث آخر أيضًا أن القاعدين عن القتال كانوا على الحق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُهلِك الناسَ هذا الحيُّ من قريش». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «لو أنَّ الناس اعتزلوهم». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلاك أمتي على يدَي غِلمة من قريش» فقال مروان:غلمةٌ؟ قال أبو هريرة: إن شئت أُسميهم بني فلان، وبني فلان. (صحيح البخاري، رقم:٣٦٠٤، و٣٦٠٥).

يحمل الشراح هذه الرواية على ذم بني أمية، وأرى أن المراد به بنو هاشم وبنو أمية. وأما من قصره على بني أمية، فلا ينسجم مع «بني فلان، وبني فلان»، فالمعنى: أن الصراع بين بني أمية وبني هاشم مما يُهلك هذه الأمة. ونظر الحسن رضي الله عنه في هذا الدمار، ومهد الطريق إلى الصلح مع معاوية رضي الله عنه، فاستفاد منه الأمة المحمدية كثيرا، ولمع نجم فتوحات المسلمين، فجزاه الله تعالى عن جميع الأمة.

يقول معظم السلف والمصنفين: علي رضي الله عنه على الحق، ومعاوية رضي الله عنه مخطئ مجتهد. وعدَّ صاحب الهداية في أبواب القضاء معاوية رضي الله عنه من الجائرين. يقول: «ثم يجوز التقلد من السلطان الجائر كما يجوز من العادل؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم

تقلدوه من معاوية رضي الله عنه، والحق كان بيد علي رضي الله عنه». ومعنى الجور أقله الانحراف عن الحق.

وأوَّل الشيخ مجدد الألف الثاني في مكتوباته لفظة «جائر»، ثم حذر من استخدام أمثال هذه الكلمات. قال الشيخ:

«أطلق بعض الفقهاء لفظة «الجائر» على معاوية رضي الله عنه، وقال: معاوية إمام جائر، فالمراد بهذا الجور أنه لم يكن يستحق الخلافة على عهد علي رضي الله عنهما، وليس المراد به الجور الذي نهايته الفسق والضلال، وذلك ليكون هذا القول موافقًا لما عليه أهل السنة والجماعة. وإن أهل الاستقامة يحذرون إطلاق الكلمات التي توهم خلاف المقصود، ولا يحبون تجاوز إطلاق الخطأ، وكيف يجوز ذلك، وقد كان إمامًا عادلًا في حق الله تعالى، وفي حقوق المسلمين. وأما إطلاق المولانا الجامي «الخطأ المنكر»، فقد اعتدى، وكل ما زيد على الخطأِ خطأٌ.(مكتوبات الإمام الرباني ١/ ٤٤٠-٤٤١، رقم المكتوب: ٢٥١).

إطلاق الخطأِ على معاوية على ثلاثة معانٍ:

إطلاق الخطأ على معاوية رضي الله عنه يحتمل ثلاثة وجوه:

١. مخطئ في دعوى الخلافة.
٢. مخطئ في القتال.
٣. في استعجال الثأر لعثمان رضي الله عنه.

أما الوجه الأول فنقول: إن معاوية رضي الله عنه لم يدَّعِ الخلافة قبل ٣٧هـ، أو ٤٠هـ، في معارضة علي رضي الله عنه؛ بل تصرح كتب الشيعة أنفسهم بأن معاوية رضي الله عنه لم يكن راغبًا في الخلافة، فقد قال رضي الله عنه: «وأما الخلافة فلسنا نطلبها». (شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٣/ ١٧٨. مواقف الشيعة، للميانجي ٢/ ١٤٤. وقعة صفين، لابن مزاحم المنقري، ص٥٢)

قال سليم بن قيس الهلالي- الذي يعده الشيعة من أخص أصحاب علي رضي الله عنه-: «إن معاوية يطلب بدم عثمان، ومعه أبان بن عثمان، وولد عثمان».(كتاب سليم بن قيس الهلالي ١/ ٤١١)

جاء في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ١٣٢)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/ ٣٠١) أن معاوية رضي الله عنه لم يطلب الخلافة، وكان يرى عليًّا رضي الله عنه أحق بها.

واعلم أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن وصيًّا و معينا للخلافة، ولكن كان أحق بها، ولذا لما جاءه الناس يطلبون منه أن يتولى الخلافة أرشدهم إلى طلحة والزبير رضي الله عنهما، فلما أبيا بايع الناس عليا رضي الله عنه. (راجع: الفتنة بين الصحابة، لمحمد حسان، ص ١٧٦-١٧٩)

متى بُويع بالخلافة لمعاوية؟:

فيه قولان:

الأول: بايع أهل الشام في ٣٧هـ بالخلافة لمعاوية رضي الله عنه.

الثاني: بويع له سنة ٤٠هـ بعد استشهاد علي رضي الله عنه.

وربما بويع له بالإمارة عام ٣٧هـ، وبالخلافة عام ٤٠هـ.

اختار خليفة بن خياط القول الأول، ومال الشيخ محمد نافع في «سيرة معاوية رضي الله عنه» إلى أن الحكمين لم يتفقا على أمر، فأخذ معاوية رضي الله عنه البيعة من أهل الشام بعد عام ٣٧هـ. قال خليفة بن خياط: «فلم يتفق الحكمان على شيء، وافترق الناس، وبايع أهل الشام لمعاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين». (تاريخ خليفة بن خياط، ص١٩٢)

وقال ابن جرير الطبري: «وحدثني عمر، قال: حدثنا عليٌّ، قال: بايع أهل الشام بالخلافة في سنة سبع وثلاثين في ذي القعدة حين تفرق الحكمان، وكانوا قبل بايعوه على الطلب بدم عثمان». (تاريخ الطبري ٥/ ٣٢٤)

وقال ابن جرير الطبري في موضع آخر: «فلما انصرفا وتفرقا (الحكمان) بايع أهل الشام معاوية بالخلافة، ولم يزدد إلا قوة، واختلف الناس بالعراق على عليٍّ». (تاريخ الطبري ٥/ ٩٧. وانظر: تاريخ ابن خلدون ٢/ ٦٤١. والمنتظم لابن الجوزي ٥/ ١٥٠)

وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» وهو يتحدث عن هذه المسألة: «وقد كان أهل الشام حين انقضتِ الحكومةُ بدومة الجندل سلَّموا على معاوية بالخلافة وقوِي أمرهم جدًّا». (البداية والنهاية ٧/ ٣١٣)

وحكى العلامة الذهبي عن الواقدي أن أهل الشام بايعوا معاوية رضي الله عنه عام ٣٨هـ، ثم ردَّه ورجَّح القول بأنها عام ٣٧هـ. «قال الواقدي: ورجع علي بالاختلاف والدغل من أصحابه، فخرج منهم الخوارج، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاوية بالألفة واجتماع الكلمة عليه. ثم بايع أهل الشام معاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمان

وثلاثين. كذا قال. وقال خليفة وغيره: إنهم بايعوه في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين، وهو أشبه؛ لأن ذلك كان إثر رجوع عمرو بن العاص من التحكيم». (تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٥٥٢)

والقول الثاني: بويع له عام ٤٠هـ، بعد مقتل علي رضي الله عنه، كما في كتاب «الوجيز في تاريخ الإسلام والمسلمين» لأمير عبد العزيز: «وبعد ذلك (أي: شهادة علي) بايع أهل العراق الحسن بن علي، وبايع أهل الشام معاوية». (التاريخ الإسلامي الوجيز، لمحمد سهيل طقوش، ص١١٢)

استشهد علي رضي الله عنه في ٢٠/ من رمضان عام ٤٠هـ.

«قال ابن جرير: وفي هذه السنة (٤٠) جرت بين علي ومعاوية المُهادَنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما، وأن يكون ملك العراق لعليٍّ، ولمعاوية الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزوة».(البداية والنهاية ٧/ ٣٢٢، تحت سنة٤٠)

قال ابن كثير في موضع آخر: «فلما امتنع معاوية من البيعة لعلي حتى يسلمه القتلة، كان من صفين ما قدمنا ذكره، ثم آل الأمر إلى التحكيم، فكان من أمر عمرو بن العاص وأبي موسى ما أسلفناه من قوة جانب أهل الشام في الصعدة الظاهرة، واستفحل أمر معاوية، ولم يزل أمر علي في اختلاف مع أصحابه حتى قتله ابن ملجم كما تقدم، فعند ذلك بايع أهل العراق الحسن بن على، وبايع أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان». (البداية والنهاية ٨/ ٢١)

٢- وإن قلنا: كان معاوية رضي الله عنه مخطئا في القتال، وعلي رضي الله عنه محقًّا فيه، كان من اعتزل القتال من الصحابة موقفهم صائبًا، جاء في كتاب «ا لفتنة بين الصحابة»:

«وكان قد اعتزل هذه الفتنة عدد من الصحابة اعتمادًا منهم على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى رأسهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عمر، وسلمة بن الأكوع، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد، وسعيد بن العاص الأموي، وعبد الله بن عمرو بن العاص؛ فإنه خرج طاعة لأبيه وما قاتل، وصهيب الرومي، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو بكرة، وحذيفة، وأبو هريرة رضوان الله عليهم جميعًا». (الفتنة بين الصحابة، ص٢٢٩-٢٣٠)

قال محمد بن سيرين: «ثارت الفتنة، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة

آلاف، لم يَخِفَّ منهم أربعون رجلا». (مصنف عبد الرزاق، رقم:٢٠٧٣٥، وإسناده صحيح)

وعن ابن سيرين، قال: «هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، فما حضر فيها مئة، بل لم يبلغوا ثلاثين». (السنة لأبي بكر الخلال، رقم:٧٢٨، وإسناده صحيح)

قال الشعبي: «لم يشهد الجمل من أصحاب النبي عليه السلام غير علي، وعمار، وطلحة، والزبير، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٣٦. السنة لأبي بكر الخلال، رقم:٧٢٩. العلل ومعرفة الرجال، رقم:٤٠٩٦. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٣/ ٤٦٠، وإسناده صحيح)

من شهد الجمل وصفين من الصحابة البدريين ستة: «عن الشعبي، قال: بالله الذي لا إله إلا هو، ما نهض في تلك الفتنة إلا سته بدريين ما لهم سابع، أو سبعة ما لهم ثامن». (تاريخ الطبري ٤/ ٤٤٧)

قال بكير بن عبد الله: «ما مات ناس من أهل بدر حتى لزموا البيوت بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فما خرجوا من بيوتهم إلا إلى قبورهم». (تاريخ المدينة لابن شبة ٤/ ١٢٤٢. العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا، رقم:٩. البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣. وإسناده حسن).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلحة رضي الله عنه: «شهيد يمشي على وجه الأرض». (سنن الترمذي، رقم:٣٧٣٩). وقال علي رضي الله عنه في الزبير: «بَشِّرْ قاتِل ابن صفيَّة بالنّار». (مسند أحمد، رقم:٦٨١)، فمن الصعوبة بمكان اعتبار الفريق المخالف لعلي رضي الله عنه مرتكبين خطأ مقطوعا به؛ بل قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه نظرًا إلى انحرافه عن القتال وسلوك سبيل الصلح: «إنَّ ابني هذا سيد ولعلّ الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». (صحيح البخاري، رقم:٢٧٠٤)؛ فقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على الحسن على تركه القتال، ولم يُثنِ على علي رضي الله عنه على قتاله لمن خالفه، نعم كان علي رضي الله عنه محقًّا في قتاله الخوارجَ، كذا في «حقبة من التاريخ» ص ٩٥. واستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم القعود في الفتنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قِسيَّكم، وقطِّعوا أوتارَكم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخل على أحدكم فليكن كخَير ابنَي آدم». (أخرجه أحمد في مسنده، رقم:١٧٩٣٠. وأبوداود، رقم:٤٢٥٩. وابن ماجه، رقم:٣٩٦١. والترمذي، رقم:٢١٩٤، وإسناده صحيح. وأخرجه البخاري إلى قوله: «والماشي فيها خير من الساعي». رقم:٧٠٨١).

وفي رواية أبي داود: «الزم بيتَك، وامْلِكْ عليك لسانك». (رقم:٤٣٤٣، وإسناده صحيح).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات: «إنَّ السعيد لَمَن جُنِّب الفتن». (سنن أبي داود، رقم:٤٢٦٣، وإسناده صحيح).

وروى ابن ماجه في «سننه» عن عديسة بنت أهبان: « لما جاء علي بن أبي طالب هاهنا البصرة، دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، قال: فدعا جارية له، فقال: يا جارية أخرجي سيفي، قال: فأخرجته، فسل منه قدر شبر، فإذا هو خشب، فقال: «إن خليلي وابن عمك صلى الله عليه وسلم، عهد إلي إذا كانت الفتنة بين المسلمين فأتخذ سيفا من خشب، فإن شئتَ خرجتُ معك» ، قال: لا حاجة لي فيك ولا في سيفك». (سنن ابن ماجه، رقم: ٣٩٦٠، وإسناده صحيح)

وجاء في صحيح البخاري، باب إثم من عاهد ثم غدر(رقم:٣١٨١) عن سهل بن سهيل قوله ما ملخصه: أيها المعارضون للتحكيم والصلح، اقبلوا الصلح، فإنه سيكون فيه خير، كما جعل الله تعالى الخير في صلح الحديبية.

٣- ويحتمل أن يرجع اعتبار علي رضي الله عنه مُحِقا ومعارضيه مخطئين إلى أن عليًّا رضي الله عنه كان يرى تأخير القتال، وإحكام الخلافة وقتئذ، وكان يرى معاوية الاستعجال في الثأر. ولا يعلم إلا الله تعالى هل كان التأخير حقًّا أو التعجيل؟ وربما يرجع اعتبار علي رضي الله عنه على الحق- إلى ما روي عن علي نفسه. ودخل كبار الصحابة على علي رضي الله عنه ليكلموه في الثأر لعثمان رضي الله عنه، فروي عنه ثلاث خصال:

الأول: إن قتلة عثمان رضي الله عنه لهم أعوان كثيرون من الناس والقبائل، فمن الصعوبة بمكان الثأر والانتقام منه حالًا.

والثاني: الثأر يؤدي إلى فتنة أشد من الأولى.

والثالث: إذا ادعى أولياء عثمان رضي الله عنه على شخص بعينه أو جماعة بعينها كان الأمر يسيرا. (سيرة سيدنا علي رضي الله عنه للشيخ محمد نافع،ص ٢٣١،نقلا عن كتب التاريخ).

وكان الفريق الثاني يقول: عدد القتلة مجهول، غير أن كبارهم ورؤساءهم معروفون، وهيهات أن تقوى الخلافةُ وهم مع الخليفة؛ فإنهم أعداء الخلافة. وقد اعتبر علي رضي الله عنه بدوره سبب مقتل عثمان رضي الله عنه الحسدَ على خلافته. قيل لعلي: «ما حملهم على قتل

عثمان؟ قال: الحسد». (كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ٢/ ٥٥٦، رقم:١١٨٦، وفي إسناده مضاب بن حزن، قال الحافظ في التقريب: مقبول)

ويمكن تشبيه تأخير علي الثأر من القتلة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أجل إخلاء الكعبة من الأصنام إلى فتح مكة، فلم يستطع أن يقوم به من قبلُ. والله أعلم.

أرى أن المراد بالحق هنا الخلافة. ولا شك أن عليًّا رضي الله عنه كان أقرب، أي: أحق بالخلافة. وحديث صحيح البخاري: «لا تقوم الساعة حتى تقتَتِل فئتان دعواهما واحدة». (رقم:٦٩٣٥) يشير إلى الفئتين: علي ومعاوية رضي الله عنهما. ومعنى «دعواهما واحدة» -فيما يبدو- أنهما كانا يدعيان إعلاء كلمة الإسلام، أو الثأر لعثمان رضي الله عنه، أحدهما على عجل، والآخر بالتأخير.

اعلم أن الحق قد يأتي بمعنى الخلافة، كما في بعض الأحاديث أن الخوارج يقتلهم من كان أولى بالحق، يعني أحق بالخلافة: «تمرُق مارِقةٌ عند فُرقةٍ مِن المسلمِين يقتُلها أَولَى الطائفتَين بالحق». (صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم:١٠٦٤) يراد به فئة علي رضي الله عنه، فقد أبى الخوارج الطاعة، وقتلهم علي رضي الله عنه في وقعة النهروان.

وكما في الرؤيا التي ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأَوَّلَهَا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، جاء فيه: «وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه...».(صحيح البخاري، رقم:٧٠٤٦) أي: المراد بالحبل الواصل من السماء: الإمارة الإسلامية التي كان عليها، وينالها بعده شخص وهو أبو بكر، ويليه شخص آخر وهو عمر رضي الله عنه، فالمراد فيه بالحق -فيما يبدو- الخلافة.

ويستدل بعض الناس بمشاركة عمار رضي الله عنه في حرب صفين على أن فئة علي رضي الله عنه كانت على الحق، وذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عمار أجاره الله من الشيطان». (صحيح البخاري، رقم:٣٢٨٧)

ولكن سبق أن شرحنا أن عليا رضي الله عنه كان أليق بالخلافة، وأما في القتال والحرب فكان الصحابة الذين اعتزلوه على الحق. ولم يكن عمار رضي الله عنه أقرب إلى الحق؛ لأنه شارك القتال. وأما الإجارة من الشيطان فيرجع إلى الذنوب، لا الخطأ الاجتهادي. فإن خطأ المجتهد ليس ذنبا شيطانيا؛ بل يجلب الأجر والثواب.

ويُستدل بحديث آخر فيما يخص مشاركة عمار رضي الله عنه في صفين على أن جيش علي كان على الحق، وهو: «عمار ما عُرِض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما» . (سنن ابن ماجه، رقم:١٤٨)

دل الحديث على أنه كان أرشد في صفين، بغض النظر عن أن في إسناده عبد العزيز بن سياه متهم بالتشيع، كما في «التقريب»: «صدوق يتشيع»، فالمراد بالأرشد هنا: الأيسر، وجاء شرحه في حاشية ابن ماجه بـ«أرفق» أي: كان عمار يختار أسهل الأمرين. فمثلا أكره على الكفر، فتفوه بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وجاء بيانه في حديث آخر: قال عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما خير ابن سمية بين أمرين إلا اختار أيسرهما». رواه الثوري وغيره عنه . (فيض القدير شرح الجامع الصغير ٧/ ٢٠). بغض النظر عن أن عمار الدهني صدوق متهم بالتشيع. قال عنه الحافظ ابن حجر: «صدوق يتشيع».(تقريب التهذيب). وقال الذهبي في «الكاشف» (٢/ ٥٢): «شيعي موثق». وقال: في «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٧٢): «لكنه شيعي». وذكره ابن نديم في «الفهرست» (ص٣٠٣) في فقهاء الشيعة. وقال علماء الشيعة: «عمار الدهني من أبطال الشيعة». كما في «المراجعات» لشرف الدين الموسوي، رقم الترجمة: ٧٠.

ولو ذهبنا إلى تصويب كل ما صدر عن عمار رضي الله عنه من قول وفعل في ضوء هذين الحديثين، فهل نصوبه في معارضته لعثمان رضي الله عنه في آخر خلافته؟ في حين أن كون عثمان رضي الله عنه على الحق أظهر من الشمس.

الخلافة على ثلاثة أقسام:

قسَّم الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء»- والشيخ عبد الشكور اللكنوي، والشيخ ظفر أحمد العثماني وغيرهم تبعًا له- الخلافة على ثلاثة أقسام، فيما يلي خلاصة هذه الأقسام مع بعض التعديل اللفظي، وذلك ليستوعب القراء الكرام معنى الخلافة.

١- الخلافة الراشدة الخاصة، أو الكاملة:

بدأت هذه الخلافة من أبي بكر الصديق رضي الله عنه وانتهت بعثمان رضي الله عنه.

وأشارت الأحاديث إلى هذه الخلافة الكاملة، روى أبو بكر رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم». (سنن الترمذي، رقم:٢٢٨٧؛ وسنن أبي داود، رقم:٤٦٣٤؛ وسنن الكبرى للنسائي، رقم:٨٠٨٠؛ والمستدرك للحاكم، رقم:٤٤٣٧، و٨١٨٩. وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. و وافقه الذهبي).

لعل الكراهية ترجع إلى أن الميزان هو المعيار، أن معيار الخلافة المستمر إلى عهد عثمان رضي الله عنه لن يبقى فيما بعدُ، وتنتهي الخلافة الخاصة. ويحدث القتال فيما بينهم. ويتصارع المسلمون فيما بينهم بدلا من السعي للقضاء على الباطل، وتتوقف الفتوحات الإسلامية لمدة، وهذه الخلافة يسميها الشاه ولي الله رحمه الله «الخلافة الخاصة».

والحديث الثاني أيضًا يؤيد هذه الخلافة الخاصة، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا نفاضل بينهم». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٩٧)

وزاد ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٩٦) بإسناد صحيح: «فيبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلا ينكره».

وفضل علي رضي الله عنه بعد الشيخين وعثمان رضي الله عنه مما لاخلاف فيه، ولكن هؤلاء الثلاثة كانوا على طراز فريد منذ أول أمرهم، وتمثل ذلك فيما بعد في الخلافة الراشدة الخاصة.

٢- الخلافة الراشدة العامة، أو العالية:

كان علي رضي الله عنه يستحق الخلافة بعد الخلفاء الثلاثة، وكان من المهاجرين الأولين. وعانى المصائب والمشقات في أول أمر الإسلام. نشأ في حضن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجانب مصاهرته، جاء في كتب السيرة: نام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة، ووكل إليه النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ الأمانات إلى أهلها. وشهد المشاهد، وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بأن قلعة «قموس»- آخر قلاع خيبر- سيتم فتحها على يده، وشهد بيعة الرضوان. كما أنه كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو

من العشرة المبشرة بالجنة، وُلِّي أبو بكر رضي الله عنه إمارة الحج عام ٩هـ، وأمِرَ عليٌّ رضي الله عنه بإعلان الحق، وتشرف بتمريض رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه. كما شارك في غسل النبي صلى الله عليه وسلم.(للاستزادة منه راجع: سيرة علي المرتضى، للشيخ محمد نافع، ص٤١٩-٤٢٠).

وعلي رضي الله عنه من الخلفاء الراشدين نظرًا إلى آية التمكين، فإنها تتضمن الوعد للخلفاء المهاجرين بتمكين الدين، وعلي رضي الله عنه من المهاجرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ (الحج: ٤٠-٤١)

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ (النور: ٥٥)

بناء عليه خلافةُ علي رضي الله عنه خلافة راشدة عالية. وإن توقفت الفتوحات الإسلامية في عهده، ولكن متابعة الخوارج، والصلح الذي انعقد بينه وبين معاوية رضي الله عنه عام ٤٠هـ، تضمن الأمور التالية: العراق وما حولها تخضع لعلي رضي الله عنه، وأما الشام وما حولها فتخضع لمعاوية رضي الله عنه، ولا يهجم فريق على آخر، ويتجنب القتال. وكان ابن عباس رضي الله عنه من الشهداء بهذا الصلح. (سيرة على المرتضى نقلا عن كتب التاريخ، ص ٤١٢).

ثم خلافة الحسن رضي الله عنه تتمة لخلافة علي رضي الله عنه؛ بل حكى إبراهيم علي شعوط عن بعض الكتب أن عليًّا رضي الله عنه استخلف بعده الحسن رضي الله عنه، وسلَّمَ الحسن الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، فقام بعمل عظيم جمع الأمة على رصيف واحد. وبدأت الفتوحات الإسلامية. وأثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه المصالحة بكلمات سامية، فقال: «إنَّ ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». (صحيح البخاري، رقم: ٢٧٠٤)

جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الفريقين عظيمين، وعلى غاية من الخضوع والاتباع

«من المسلمين»، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١)

قتلُ الخوارج، وقتلُ من تنبأ بقتله الرسول صلى الله عليه وسلم، مِن أعمال علي رضي الله عنه. ولما طعن ذو الخويصرة في قسمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، ثم قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «فأشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل، فالتُمِس، فوُجد، فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعت». (رواه مسلم، رقم: ١٠٦٤)

٣- الخلافة الراشدة العادلة:

كانت خلافة معاوية رضي الله عنه قائمة على العدل والإنصاف والتقوى وخوف الله تعالى، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَ إليه كتابة الوحي، والرسائل، وبما أن الله تعالى أضفى على الصحابة كلهم بلقب جليل، هو: ﴿ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات: ٧)، فكانت خلافة معاوية خلافة راشدة.

ساق القاضي مظهر حسين رحمه الله في «بشارات الدارين بالصبر على شهادة الحسين» نص مولانا أحمد رضا خان البريلوي، الذي قيل له: ما الخلافة الراشدة؟ فقال مولانا أحمد رضا خان البريلوي: خلافة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان الغني، ومولى علي، والإمام الحسن، و الأمير معاوية، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم خلافة راشدة. (ملفوظات ٣/ ٧١، نقلا عن بشارات الدارين، ص ٢٧٠).

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «ما رأيتُ أحدًا بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب، يعني معاوية». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٩/ ١٦١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ما رأيتُ أحدًا أحقَّ بالملك من معاوية». (أنساب الأشراف للبلاذري ٥/ ٤٨)

خلاصة القول أن خلافة معاوية رضي الله عنه حق وصحيحة بناء على إجماع الصحابة رضي الله عنهم، إلا أنها أقل درجة من خلافة الخلفاء السابقين، وقد توسع في المباحات لضعف همم الناس مع مرور الأيام، في حين اجتنبها الخلفاء السابقون، ولا عيب في التفريق بين المراتب، فإنه يتحقق بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا

بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣)

خلافة معاوية رضي الله عنه خلافة أم ملوكية:

الخلافة حكومة قائمة على الكتاب والسنة. والملوكية: حكومة يكون حق التشريع فيها للرئيس أو ممثلي الشعب، وفيها أبهة الملوك. وعرَّف الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله الخلافة بقوله: «هي الرياسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلق به من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيئ، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر نيابةً عن النبي صلى الله عليه وسلم». (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ١/ ١٣)

وبناء على هذا التعريف، خلافة بني أمية وخلافة بني العباس كلها خلافة على فرق بينهما في المراتب، فقد كان دستورها الإسلامَ، ولم تنفذ فيها إلا القوانين الإسلامية، وإن ضعف تنفيذ هذه القوانين في بعض العهود، واحتلت الملوكية في المسلمين محل الخلافة حين تولى الديلم والتتار والمغول وغيرهم الحكومات على مختلف البلدان. أما الديلم وآل بويه فكانوا شيعة، وروافض، تعمدوا تغيير القوانين الإسلامية، أما التتار والمغول وغيرهم فكانوا قد أسلموا، وقامت لهم حكومات، إلا أنهم لم يروجوا قوانين الإسلام؛ بل مشَّوا قوانين الحكومات السابقة عليهم، فتخلفت الخلافة وظهرت الملوكية، ثم ظهرت بعد مدة هذه الصور من الملوكية. (للاستزادة منه راجع: سيرة الأمير معاوية رضي الله عنه، للشيخ محمد نافع).

نعم تجلت بعض مظاهر عز الملوك في عهد معاوية رضي الله عنه وذلك لزرع الرعب في قلوب الروم، واتقاء الجواسيس. وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر ضمن الرد على الإيرادات.

أهلية معاوية رضي الله عنه لإدارة الحكومة، والفتوحات الإسلامية في عهده الذهبي:

ذكر ابن كثير أن معاوية رضي الله عنه خطب، فقال: «ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص خير مني، ولكن أرجو أن أكون أنفعهم للناس في إدارة الحكم، وأدرى بضرب

العدو، وخيرهم نافعًا». (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ص٢١٧)

قد قيض الله تعالى معاوية رضي الله عنه للفتوحات الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية كثيرًا، فخراسان، وتركستان، وسجستان، وطبرستان، وسمرقند، وبخارى وغيرها من البلاد فتحت في عهده الذهبي، وسخرت قلعة رودس ولمخ في أوربا، وفتوحات بلاد إفريقيا، وقيروان، وجلولا، وقرطاجنة- في إفريقيا- ترجع إلى عهده الذهبي.

قال العلامة الذهبي: «ثم بعد الأربعين صار ملك الدنيا تحت حكمه من حدود بخارى إلى قيروان من المغرب، ومن أقصى اليمن إلى حدود قسطنطينية، وذلك إقليم الحجاز، واليمن، والشام، ومصر، والمغرب، والعراق، والجزيرة، وإرمينية، والروم، وفارس، وخراسان، والجبال، وماوراء النهر». (دول الإسلام ١/ ٥٣)

وحفر الأنهار، ونظم العيون، كانت رسالته اتباع السنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. للاستزادة منه راجع: سيرة الأمير معاوية رضي الله عنه، للشيخ محمد نافع.

الاستدلال ببعض الروايات على أن إمارة معاوية رضي الله عنه كانت ظالمة ملوكية، والجواب عنها:

يرددون على رؤوس المنابر الاتهامَ بأنه أسس الملوكية الظالمة بعد نهاية الخلافة؛ كما في الحديث: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يكون ملكًا». ويصفون إمارته بـ«عضوضا»، ويحملونه على: الحكومة الظالمة. ويعتبرون معاوية رضي الله عنه أول من يصدق عليه هذا الحديث.

الجواب:

نقول في هذا الحديث بإيجاز ما يلي:

١- هذا الحديث بلفظ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا» رواه ابن حبان في «صحيحه» (رقم:٦٩٤٣)، وابن الجعد في «مسنده» (رقم:٣٣٢٣)، والبغوي في «شرح السنة» (رقم:٣٨٦٥)، وابن عساكر في «معجمه» (رقم:١٢٠)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (رقم:١٢٠٣)، وأحمد في «مسنده» (رقم:٢١٩١٩، و٢١٩٢٨)، والترمذي في «سننه» (رقم:٢٢٢٦)، و النسائي في «السنن الكبرى» (رقم:٨٠٩٩)، والطحاوي في «شرح مشكل

الآثار» (رقم:٣٣٤٩).

وفي أسانيد كلها سعيد بن جمهان، وثَّقه بعضهم، ولم يعتد به كثير من ناقدي الرجال: فقال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: «شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به». وقال الذهبي في «المغني في الضعفاء»: «شيخ لا يحتج به». وقال الإمام البخاري: «وفي حديثه عجائب». وفي «تهذيب التهذيب»: قال يحيى بن معين: «روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره». وقال الساجي: «لا يتابع على حديثه».

٢- قصرت هذه الرواية المشكوك فيها الخلافةَ على ثلاثين سنة، وأما الروايات الصحيحة فذكرت كثرة الخلفاء؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون». (صحيح البخاري، رقم:٣٤٥٥؛ صحيح مسلم، رقم: ١٨٤٢)

وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة». (صحيح مسلم، رقم:١٨٢١)

وعن جابر بن سمرة قال: انطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي أبي فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة» فقال كلمة صمَّنيها الناس، فقلتُ لأبي: ما ذا قال؟ قال: «كلهم من قريش». (صحيح مسلم، رقم:١٨٢١)

تعداد الخلفاء الاثني عشر وترتيبهم:

وفي حديث الخلفاء الاثني عشر هذا كلام طويل لأهل العلم، هل هم على التوالي، أو لا؟ فإن كانوا على التوالي فهل المراد بنو أمية، أو غيرهم أيضًا؟

فإن كان المراد خلفاء بني أمية كان عددهم ١٣، أو ١٤ خليفة، فإن كانوا ١٤ خليفة فيجب استثناء معاوية بن يزيد؛ لأنه لم يطلب الخلافة، وقيل: ولي الخلافة (٤٠) يومًا فقط، وإذا استثنينا آخر الخلفاء وهو مروان بن محمد – الذي اضطربت خلافته كثيرا- لم يبق إلا اثنا عشر منهم.

والأمر البسيط أن الخلافة انتقلت من أبي بكر رضي الله عنه وانتهت بعمر بن عبد العزيز متواصلة؛ لأنه لم تتحقق خلافة قوية متينة ذات فتوحات بعد. فكان العدد هكذا:

١-أبو بكر. ٢-عمر. ٣-عثمان. ٤-علي. ٥-الحسن. ٦-معاوية. ٧-يزيد بن معاوية.

٨-مروان بن الحكم. ٩-عبد الملك بن مروان. ١٠-الوليد بن عبد الملك. ١١- سليمان بن عبد الملك. ١٢- عمر بن عبد العزيز.

لم يرد فيه ذكر معاوية بن يزيد؛ لأنه لم يطلب الخلافة، واستقال عاجلا. ولم يُعدَّ فيه عبدالله بن الزبير، لأن إمارته كانت محدودة. وقد بايع عامة الناس والصحابة يزيد قبل ادعائه الخلافة. نعم بايع أهل الحجاز والعراق ابن الزبير رضي الله عنه بعد وفاة يزيد على قول بعض المؤرخين. «فبايعه (أي: عبد الله بن الزبير) أهل تهامة والحجاز باستثناء عبدالله بن عباس ومحمد بن الحنفية». (التاريخ الإسلام الوجيز، ص١٢٠)

«وعبد الله بن الزبير وكان يسيطر على الحجاز والعراق». (التاريخ الإسلامي الوجيز، ص١٢٣)

قال ابن حبان: «وآخر الاثني عشر من الخلفاء كان عمر بن عبد العزيز». (صحيح ابن حبان ١٥/ ٣٦)

٣- ويذم بعض الناس الملوكية نظرا إلى رواية سعيد بن جمهان هذه، وقد تكون الملوكية حسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ (البقرة: ٢٤٧)، وامتنَّ في آية أخرى بالملوكية، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٠) وقال تعالى في داود امتنانًا: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ (البقرة: ٢٥١) وجعل الله تعالى حكومة سليمان ملكا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ (البقرة: ١٠٢)

٤- يجعل بعض الناس الملوكية في هذا الحديث (والملوكية مصطلح اخترعه مولانا المودودي) ناقصة وقبيحة، في حين جعلها بعض الأحاديث رحمة: «حدثنا أحمد بن نضر العسكري: حدثنا سعيد بن حفص النفيلي: حدثنا موسى بن أعين، عن ابن شهاب (والصحيح أبو شهاب موسى بن نافع الأسدي)، عن فطر بن خليفة، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليه تكادم الحمر». (رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم:١١١٣٨. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٩٠: رجاله ثقات)

جعلت هذه الرواية الإمارة رحمة بعد الخلافة؛ فإن إمارة معاوية رضي الله عنه كانت كلها رحمة.

٥- وفي «سنن أبي داود» (رقم:٤٦٤٦)، و«دلائل النبوة» للبيهقي: «قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليًّا لم يكن بخليفة، قال: كذبت أستاه بني الزرقاء، يعنى بني مروان».

وفي «مسند الروياني» (رقم:٦٦٦): «فقلت: لا يعدون سني علي، فقال: كذبت أستاه بني الزرقاء».

وفي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (رقم:٢٦٥٥): «إن بعض الناس لا يعدون سني عليٍّ. قال: كذبت أستاه بني الزرقاء».

معنى روايات أبي داود، والروياني، واللالكائي أن من يستثني من بني أمية مدَّة خلافةِ علي رضي الله عنه من الخلافة الحقة، ويعدون خلافة بني أمية حقًّا بدلًا من خلافته، يصح أن نقول فيهم: ليس ذلك قولهم بأفواهم، بل من أستاههم، أي: في غير وجه، وباطلٌ.

وزاد فيها الحشرج بن نباتة عن سعيد بن جمهان: «قال سعيد بن جمهان: قلت لسفينة: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، قال: كذب بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك». (سنن الترمذي، رقم:٢٢٢٦) وزاد ابن أبي شيبة في المصنف: « بل هم ملوك من شر الملوك، وأول الملوك معاوية». (المصنف، لابن أبي شيبة، رقم: ٣٧١٥٧)

وهذه الزيادة من منكرات الحشرج بن نباتة، لم يروها عبد الوارث ولا العوام بن حوشب، وهو ثقتان ثبتان.

ثم إن سعيد بن جمهان سمع هذا الحديث من سفينة رضي الله عنه زمنَ الحجاج، فالأقرب إلى الصواب لفظ أحمد، فيما يبدو: «قلت لسعيد: أين لقيت سفينة؟ قال: لقيته ببطن نخلة في زمن الحجاج، فأقمت عنده ثمان ليال أسأله عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم». (مسند أحمد، تحت رقم:٢١٩٢٨)

وأما ما وراه الترمذي، وابن أبي شيبة في «المصنف»: «قال سعيد: فقلت له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم؟ قال: كذبوا بنو الزرقاء، بل هم ملوك من شر الملوك، وأول الملوك معاوية». ظاهر هذا اللفظ الاستخفاف بخلافة معاوية رضي الله عنه، وحكومته، فإن كان هذا هو المراد فليس ذلك إلا من خزعبلات الحشرج، أو سعيد بن جمهان، الذي سمعت قول المحدثين فيه أنه يروي ما لايخطر ببال غيره.

ومن مناكير الحشرج عن سعيد بن جمهان ما أخرجه أحمد في «مسنده» (رقم:٢١٩٢٩)

عن سفينة مرفوعًا: «إنه لم يكن نبي إلا وقد أنذر الدجال أمتَه»، وفيه: «معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء، لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما، واحد منهما عن يمينه والآخر عن شماله، وذلك فتنة، فيقول الدجال: ألست بربكم؟ ألست أحيي وأميت؟ فيقول له أحد الملكين: كذبت. ما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه، فيقول له: صدقت. فيسمعه الناس فيظنون إنما يصدق الدجال، وذلك فتنة، ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق».

وأورد الحديث الحافظ ابن كثير في «النهاية في الفتن» (١/ ١٣٨-١٣٩) وقال عقبه: «في متنه غرابة ونكارة».

وقال الشيخ شعيب الأرنؤط في تعليق هذا الحديث: «ضعيف بهذه السياقة، تفرد به حشرج بن نباتة، عن سعيد بن جمهان، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أنه يقع لهما في أحاديثهما غرائب ومناكير، وقد وقع لهما شيء من هذا في هذا الحديث كما سنبينه». ثم قال: «قلنا: وقصة الملكين تفرد بها حشرج عن سعيد بن جمهان، ولم نقف لهما على متابعة أو شاهد، فلا يعتبر بما تفردا به. وكذلك قصة هلاك الدجال عند عقبة أفيق تفردا بها أيضًا، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هلاكه سوف يكون بباب لد يقتله عيسى عليه السلام، وقد سلف عن النواس بن سمعان بسند صحيح برقم (١٧٦٢٩)».

ورواية الترمذي عن حشرج بن نباتة -صاحب سعيد بن جمهان- الذي قال فيه النسائي: «ليس بالقوي»، وقال أبو حاتم فيه: «يكتب حديثه ولا يحتج به»، تعارض ما رواه أبو داود، والبيهقي، واللالكائي، وغيرهم عن عبد الوارث بن سعيد، وعن العوام بن حوشب، وهما ثقتان ثبتان، فليست مقبولة.

روى أبو داود عن عبد الوارث بن سعيد (ثقة ثبت، كما قال الحافظ فيه في «تقريب التهذيب») بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء».(رقم:٤٦٤٦. ودلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٣٤١)

وروى حديث سعيد بن جمهان هذا أيضًا العوام بن حوشب (قال فيه الحافظ في «تقريب التهذيب»: «ثقة ثبت فاضل») بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء».(سنن أبي داود، رقم:٤٦٤٧؛ المعجم الكبير للطبراني، رقم:٦٤٤٤؛ الاعتقاد للبيهقي ١/ ٣٣٣، و٣٧٠. ومثله في المستدرك للحاكم، رقم:٤٦٩٧)

روى أبوداود والبيهقي وغيرهما من طريق عبد الوارث والعوام بن حوشب أن سفينة خالف الفئة التي استخفت بخلافة علي رضي الله عنه. ونال من خلافة بني أمية كلها في رواية حشرج، في حين كانت خلافة معاوية رضي الله عنه بعد الصلح مع الحسن رضي الله عنه مما اتفقوا وأجمعوا عليها، وكان سفينة رضي الله عنه –الذي توفي على عهد الحجاج– قد بايع معاوية، وأحبه.

وصرحت رواية أبي داود والبيهقي وغيرهما بأن المراد بالخلافة ثلاثون سنة: الخلافة على منهاج النبوة. وكانت خلافة معاوية والخلفاء بعده خلافةً قائمةً على الكتاب والسنة والعدل، إلا أنهم أعوزهم البساطة التي كانت عليها الخلافة ذات الثلاثين سنة على منهاج النبوة.

٦. لو جعلنا خلافة معاوية رضي الله عنه –بناء على هذا الراوي المتكلم فيه– في عداد الملوكية، لم يكن معناه إلا أن حكومته تجلى فيها شيء من عز السلطان وأبهته لمجاورته الروم، و ذلك ليرعب به الروم والوفود القادمة منهم إليه رضي الله عنه، مما لم يكن عليه الخلفاء الراشدون السابقون عليه.

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «لما قدم عمر بن الخطاب الشام تلقاه معاوية في موكب عظيم، فلما دنا من عمر قال له: أنت صاحب الموكب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: هذا حالك مع ما بلغني من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: هو ما بلغك من ذلك. قال: ولِـمَ تفعل هذا؟ لقد هممت أن آمرك بالمشي حافيًا إلى بلاد الحجاز، قال: يا أمير المؤمنين! إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عِزٌّ للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت...، قال: لا آمرك ولا أنهاك». (البداية والنهاهية ٨/ ١٢٤، ترجمة معاوية بن أبي سفيان)

٧. جاءت لفظة «العضوض» في «السنن الكبرى» للبيهقي(رقم:١٦٤٠٧)، ومسند أبي يعلى (رقم٨٧٣)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١٤/ ٢٤٥): عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوةً ورحمةً ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ مُلكًا عَضُوضًا، ثم كائنٌ عُتُوًّا وحربةً وفسادًا في الأمة...».

فيه الليث بن أبي سليم متروك، قال فيه في «تقريب التهذيب»: «صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فتُرِك».

في رواية صحيحة للطبراني «إمارة ورحمة» بعد: «خلافة ورحمة». تركه الليث بن سليم الضعيف والمتروك . زدناه، وهو يتناول حكومة معاوية رضي الله عنه.

من الفروق بين الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، وما بعدها من الخلافة في ضوء البيان السابق، ما يلي:

الفرق بين الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، والخلافة بعدها:

١- كان الخليفة في الخلافة الراشدة على منهاج النبوة يعيش حياة بسيطة للغاية، ولم يستمر ذلك فيما بعد.

٢- لم يدخروا المال لأنفسهم؛ بل لم يدخروا مال بيت المال أيضًا، ولم يستمر ذلك فيما بعد.

٣- الخلفاء الراشدون في الخلافة الراشدة على منهاج النبوة مبشرون بالجنة صراحةً، ومن السابقين الأولين من المهاجرين.

٤- لم يستخلف أحد من الخلفاء الراشدين في الخلافة الراشدة قريبًا له، لكن لم يستمر ذلك الطريق فيما بعد للظروف والأوضاع.

٥- لم يتخذ أحد من الخلفاء في الخلافة الراشدة حارسًا لنفسه، ثم مست الحاجة إليه فيما بعد للظروف والحالات.

شرح جديد لقوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»:

في «سنن الترمذي» بلفظ: «الخلافة في أمتي ثلاثون سنة»، وفي «صحيح ابن حبان» وغيره بلفظ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة». وبغض النظر عن أن الحديث فيه كلام لأجل سعيد بن جمهان وحشرج بن نباتة، وقد اطلع عليه القارئ، وبغض النظر عن أن جمهور أهل العلم يمددون الخلافة الكاملة إلى الحسن رضي الله عنه، يخطر ببال هذا العبد أن قوله: «بعدي» محمول على «بعد هجرتي». وبعد هجرته صلى الله عليه وسلم حياة مدنية استمرت عشر سنين، وسنتان خلافة أبي بكر الصديق، وعشر سنوات خلافة عمر رضي الله عنه، واثنا

عشر عامًا خلافة عثمان رضي الله عنه فكانت (٣٤)سنة، ونستثني منها أربع سنوات إلى غزوة الخندق سنة ٤هـ أو ٥هـ، لأن الإمارة والحكومة كانت ضعيفة إلى غزوة الخندق، وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم».(صحيح البخاري، رقم: ٤١١٠).

فكان معنى الحديث: الخلافة التي يكون المسلمون فيها كالبنيان المرصوص، وانتشر الإسلام، وتستمر الفتوحات، ويذوب فيها أعداء الإسلام غيظًا وغضبًا كما يذوب الملح في الماء، ثلاثون سنة، ثم يعقبها قتال فيما بينهم وتتوقف الفتوحات لدسائس الأعداء.

وهذا المعنى الذي حملت الحديث عليه يشهد له قرائن، هي ما يلي:

١- في أبي داود بلفظ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك، أو ملكه من يشاء».

اقترنت الخلافة في الحديث بالنبوة، فدل على أن هذه الخلافة تشمل زمن النبوة، غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان خليفة الله تعالى في تنفيذ الأحكام، وأما الخلفاء الراشدون فخلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أُطْلِقَتِ الخلافة على ما بعد الهجرة تغليبًا، أو وفق قاعدة « للأكثر حكم الكل».

معنى الخلافة: الرئاسة العامة للدين. أو نقول: إقامة الحكومة الإسلامية لتنفيذ الأحكام الشرعية، وحفظ الحقوق الإنسانية والحيوانية.

٢- بما أن الهجرة قامت بها الحكومة الإسلامية، وطُبِّقَت الأحكام الشرعية، وتوفرت فرص تنفيذ الإسلام، فالأحرى أن نقول: «الخلافة بعد هجرتي». كما أن التاريخ الإسلامي مبدؤه الهجرة النبوية إلى المدينة، ولأن الهجرة الإسلامية أساس الحكومة الإسلامية.

٣- روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم». (رقم: ٣٦٥٥)

وفي رواية أخرى بعدها: «ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، لا نفاضل بينهم» .(صحيح البخاري، رقم:٣٦٩٧)

وفي رواية: «فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ينكره».(فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل، رقم:٨٥٧)

هذه الرواية أيضًا تؤيد أن الخلافة ذات الثلاثين سنة أريد بها الخلافة الكاملة المتفق عليها، المحكمة التي انتهت بمقتل عثمان رضي الله عنه. ثم استمرت الخلافة الراشدة إلا أنها لم تكن على ذروة الخلافة، بل تطرق إليها الخلاف والشقاق بعض المدة.

٤- روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي بكرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا، رأيتُ كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ووزن عمر وأبو بكر، فرجح أبو بكر، و وزن عمر وعثمان، فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم».

الميزان علامة على العدل والإنصاف، ولقد جاء قتلةُ عثمان رضي الله عنه بِظلمٍ يُدمع العين، ثم راجت سوق القتال في المسلمين لدسائس المتآمرين، وضرب المسلمون بعضهم رقاب بعض.

٥- روى الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» بسند صحيح عن ثمامة بن عدي القرشي رضي الله عنه: لما جاءه قَتْلُ عثمان بكى فأطال، ثم قال: اليوم نزعت الخلافة من أمة محمَّد صلى الله عليه وسلم.(التاريخ الكبير ٢/ ١٧٦)

٦- ومما يؤيد توجيه العبد الضعيف حديث: «أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا ورحمةً...».(المعجم الكبير للطبراني ١١/ ٨٨/ ١١١٣٨. قال الهيثمي: رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٥/ ١٩٠)

ذكر هذا الحديث «خلافة ورحمة» بعد «نبوة ورحمة». وفي سنن أبي داود بلفظ «خلافة النبوة ثلاثون سنة»، فقَرَنَ الخلافة بالنبوة. و دل حديث أبي داود على أن ثلاثين سنة هذه يشمل الهجرة والخلافة كلتيهما. والله أعلم.

للاستزادة من تفاصيل هذا الحديث راجع: البيت رقم ٣٨ من «بدر الليالي شرح بدء الأمالي».

شرح آخر لقوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء، أو ملكه من يشاء».(سنن أبي داود، رقم:٤٦٤٧). وقال عليه الصلاة والسلام: «الخلافة بعدي ثلاثون

سنة».(صحيح ابن حبان، رقم:٦٩٤٣). والخلافة الرئاسة العامة لتنفيذ الأحكام الشرعية.

فنقول: الأولى أن يشرح هذا الحديث بغض النظر عن الكلام في إسناده بـ «بعد ظهور غلبتي وقوتي»، وذلك كان بعد الخندق، كما ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد انتهاء الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم». (صحيح البخاري، رقم:٤١١٠).

وعن عائشة: أن سعدا (أي: بن معاذ) قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليَّ أن أجاهدهم فيك، من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له، حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجُرها واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لَبَّتِه فلم يَرُعْهم، وفي المسجد خيمة من بني غِفار، إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دمًا، فمات منها رضي الله عنه». (صحيح البخاري، رقم:٤١٢٢).

فعلم أن ظهور الغلبة كان بعد الخندق، وغزوة الخندق وقعت سنة أربع، كما حكى الإمام البخاري في ترجمة بابه عن موسى بن عقبة. فلو عددنا من الخندق إلى آخر خلافة عثمان رضي الله عنه كانت المدة ثلاثين سنة تقريبًا، فست سنوات إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ومدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان بحذف الكسر، ومدة خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات بحذف الكسر، ومدة خلافة عثمان رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة. وبانتهاء خلافة عثمان رضي الله عنه انتهت الخلافة القوية المتحدة الغير المتنازعة التى لم يتقاتل فيها المسلمون فيما بينهم، وبعد شهادة عثمان رضي الله عنه توقفت الفتوحات الإسلامية، ثم بعد مصالحة الحسن رضي الله عنه مع معاوية رضي الله عنه جرى سيل الفتوحات في أكناف الأرض.

ويشهد لهذا التأويل ما ورد في «التاريخ الكبير» أن ثمامة بن عدي القرشي لما وصل إليه خبر شهادة عثمان بكى كثيرًا ثم قال : «اليوم نزعت الخلافة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم».(التاريخ الكبير ٢/ ١٧٦).

ويشهد له ما ورد في رؤيا قصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الميزان الذي وزن به النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ورجح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم وزن أبو بكر وعمر ورجح أبو بكر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فحزن النبي

صلى الله عليه وسلم بهذه الرؤيا.(سنن الترمذي، رقم:٢٢٨٧). فأشارت هذه الرؤيا إلى عهد الافتراق والحزن بعد شهادة عثمان رضي الله عنه، وانتهاء خلافة المسرة والفرح بشهادته.

وإن قال قائل: «الخلافة بعدي» يدل على بدئها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

قلنا: «بعدي» ليس نصًّا فيما بعد الوفاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥١)

واتخاذ العجل لم يكن بعد وفاة موسى عليه السلام، بل بعد ذهابه إلى ميقات الطور.

وقال الله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ (يوسف: ٩)

فـ«من بعده» شامل للطرح، وهو غير القتل.

وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ (الأعراف: ١٠٣) وذكر شعيب عليه السلام فيما قبل، وأكثر المفسرين قالوا: إن شعيبا عليه السلام كان صهر موسى عليه السلام، فلا يصح أن يكون معنى من بعدهم من بعد وفاة شعيب فمعناه من بعد نبوتهم. والله أعلم.

الطعن في معاوية رضي الله عنه بأنه غَيَّر سنةَ التلبية، والجواب عنه:

إيراد: روى النسائي في «سننه»، وصحَّح الشيخ الألباني وغيره عن سعيد بن جبير، قال: كنت مع ابن عباس، بعرفات، فقال:«ما لي لا أسمع الناس يلبون؟» قلت: يخافون من معاوية، فخرج ابن عباس، من فسطاطه، فقال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك. فإنهم قد تركوا السنة من بغض علي».

الجواب عنه: روى هذا الحديث النسائي في باب التلبية بعرفة من «سننه»، وابن خزيمة (رقم:٢٨٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (رقم:١٧٠٦)، والمقدسي في «الأحاديث المختارة» عن النسائي.

في أسانيد هذه الروايات خالد بن مخلد القطواني، وهو من غلاة الشيعة، وكيف تقبل رواية غلاة الشيعة في ذم معاوية رضي الله عنه؟ والروايات مع أسانيدها فيما يلي:

أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي، قال: حدثنا خالد بن مخلد، قال: حدثنا علي بن صالح، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: كنت مع ابن عباس بعرفات، فقال: «ما لي لا أسمع الناس يلبون؟» قلت: يخافون من معاوية، فخرج

ابن عباس، من فسطاطه، فقال: «لبيك اللهم لبيك، لبيك؛ فإنهم قد تركوا السنة من بغض علي». (سنن النسائي، باب التلبية بعرفة، رقم:٣٠٠٦)

وقال ابن خزيمة: ثنا عليُّ بنُ مسلِم، ثنا خالدُ بنُ مَخْلَد، ثنا عِليُّ بنُ صالح، به. (صحيح ابن خزيمه، رقم: ٢٨٣٠)

وقال الحاكم: أخبرنا إسحاق بن محمد بن خالد الهاشمي بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة الغفاري، ثنا خالد بن مخلد القطواني، وأخبرني أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد المؤذن، ثنا محمد بن إسحاق الإمام، ثنا علي بن مسلم، ثنا خالد بن مخلد، ثنا علي بن مسهر، به. (المستدرك، رقم:١٧٠٦)

وأخرجه المقدسي في «المختارة» من طريق النسائي. (الأحاديث المختارة، رقم: ٤٠٣)

في هذه الأسانيد كلها خالد بن مخلد القطواني، من غلاة الشعية؛ قال أحمد: له مناكير. وقال ابن سعد: كان منكر الحديث في التشيع مفرطًا وكتبوا عنه ضرورة. وقال الجوزجاني: كان شتاما معلِنًا بسوء مذهبه. وقال صالح جزرة على ما نقله الحاكم في «تاريخ نيسبور»: ثقة في الحديث إلا أنه كان متهما بالغلو. وذكره الساجي وأبو العرب القيرواني والعقيلي وغيرهم في جملة الضعفاء، وقال يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال أبو داود:صدوق يتشيع. (تحرير تقريب التهذيب، ص:٣٥٢)

قال الإمام الذهبي تحت: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب: «فهذا حديث غريب جدًّا، لولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد». (ميزان الاعتدال ١/ ٦٤١)

قال المتكلمون في الرجال: إذا روى المبتدع ما يؤيد عقيدته لم يُقبَل، وفيما يلي بعض نصوص المتكلمين:

قال الإمام أبو إسحاق الجوزجاني (م:٢٥٩هـ): تقبل رواية المبتدع إذا كان صادقًا. «إذا لم يقو به بدعته، فيتهم عند ذلك». (أحوال الرجال، لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوف الجوزجاني، ص١١)

وقال ابن حبان في «الثقات»: «فإذا دعا إلى بدعته سقط الاحتجاج بأخباره».(الثقات ٦/ ١٤٠)

وأما ما أخرجه البخاري عن خالد بن مخلد القطواني فليس فيه ما يؤيد عقيدته.

وفي هذه الرواية علة معنوية أخرى، وهي أن مالكًا رحمه الله روى في «الموطأ» عن علي رضي الله عنه أنه كان يقطع التلبية في عرفات بعد الزوال، وعليه الإمام مالك رحمه الله،

فكيف يكون قطع الناس التلبية في عرفة بعد الزوال دليلًا على حب معاوية وبغض علي رضي الله عنهما ؟

تذكر عدة كتب الفقه المالكي أنه تُقطع التلبية في عرفات بعد الزوال. ففي «الكافي في فقه أهل المدينة»: «إلا أن الاختيار عند مالك قطع التلبية للحاج عند زوال الشمس من يوم عرفة». (الكافي في فقه أهل المدينة لأبي عمرو القرطبي، ١/ ٣٧١)، وقال في موضع آخر: «إلا أن مذهبه ما قدمت لك لما ذكره في «موطئه» عن علي بن أبي طالب أنه كان يقطع التلبية في الحج إذا زاغت الشمس يوم عرفة. وعن عائشة أنها كانت تترك التلبية إذا راحت إلى الموقف».(١/ ٣٧٥)

فإذا كان الناس يقطعون التلبية خوفًا من معاوية رضي الله عنه، فإن معاوية وافق فيه عليًّا رضي الله عنه، فما للمعترض أن يقلق عليه؟ ونص الكتاب الشهير في فقه المالكية، وهو «المدونة» للإمام مالك على أنه «كان يقول: يقطع إذ زاغت الشمس».(١/ ٣٩٧) وحمل الإمام مالك رحمه الله الأحاديث الدالة على مواصلة التلبية إلى رمي جمرة العقبة- على الجواز.

لم ينصف العلامة التفتازاني معاوية رضي الله عنه:

كان العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى عام ٧٩٢هـ ، والمولود عام ٧١٢ أو ٧٢٢هـ من أهل تفتازان- قرية صغيرة في خراسان من إيران، بالقرب من تركمانستان - ، كان على ذروة في العلوم الآلية، وبعض العلوم العالية.

وكتابه «شرح العقائد النسفية» الشهير من مقرراتنا الدراسية، قد خلط فيه معظم مباحث المنطق والفلسفة حتى مبحث عذاب القبر، ويغلبه المواد الكلامية والدينية بعد مبحث عذاب القبر.

وكتاب آخر، وهو المشهور بـ«الخيالي» كان شطر منه ضمن مقرراتنا الدراسية القديمة، والكتاب مليء بالتدقيقات العلمية والفلسفية، ويتمثل الطلاب في حقه الأبيات الفارسية التالية:

خیالات خیالی بس بلند است ۞ دریں نے فکر قل احمد نہ جند است

ولے عبدالحکیم از رائے عالی ۞ چہ حل کردہ خیالاتِ خیالی

ما معناه: أفكار العلامة الخيالي سامية، لا ينفع فيه ذكاء «قل أحمد»، ولا حل «جند»، ونعم ما شرح العلامة عبد الحكيم السيالكوتي تحقيقات العلامة الخيالي.

وكان العلامة الخيالي من أهل «بورصة» من تركيا، قمت برحلة برفقة الشيخ شبير أحمد -مدير دارالعلوم زكريا/ جنوب إفريقية- إلى تركيا، و زرنا خلالها مدينة «عينة طاب»-مولد العلامة العيني شارح صحيح البخاري-، توجهنا للصلاة إلى مسجد صغير مجاور للفندق الذي نزلنا فيه، وبجوار المسجد مدرسة صغيرة، وجدنا بعض الطلاب يقرؤون المنهج الدراسي القديم، فسألت واحدا منهم: ماذا تقرأ؟ فقال: شرح الجامي. ثم لقينا مدير المدرسة ومدرسها، فأفاد أن العلامة الخيالي أعد كتابه «الخيالي» على رأس جبل، فلما نزل منه إلى بيته، شكا إلى أمه: لا أكاد أفهم ما ألفت من الشرح، فقالت أمه: عُد إلى الجبل، ستفهم الكتاب، فعاد إلى الجبل، وفعلا استوعب الكتاب. وكتاب «شرح العقائد» من كتب العلامة التفتازاني من مقرراتنا الدراسية في شبه القارة الهندية: الهند، وباكستان، وبنغلاديش.

١- كان العلامة التفتازاني رئيس مجلس الملك تيمور لنك، وكان تيمور رافضيًّا أو مصابا بالرفض، فلم يقدر العلامة بدوره على الإنصاف لبعض الصحابة وخاصة معاوية رضي الله عنهم. ومعاوية رضي الله عنه من أجلة الصحابة، وله منة على الإسلام، وهو كاتب الوحي، ومؤسس البحرية الإسلامية، من الهداة المهديين، فاتح الروم، وخال المؤمنين، ذو سياسة وتدبير دولة، من ثقات عمال عمر الفاروق رضي الله عنه، من الشخصيات الإسلامية السامية، ذو القدرات القيادية الفائقة، ولكن قال العلامة في «مختصر المعاني» (ص٧١، في أمثلة تعريف المسند إليه): «ركِب عليٌّ وهرب معاويةُ، فالتعظيم مأخوذ من لفظ علي، لأخذه من العلو، والإهانة مأخوذة من لفظ معاوية، لأنه مأخوذ من العَوي وهو صراح الذئب والكلب». (مختصر المعاني، ص٧١).

قال العلامة شيخ الهند: محمود حسن تعليقًا عليه: «ولا يخفَى ما فيه من سوء الأدب في حق سيدنا معاوية رضي الله عنه، والجرأة عليه بما لا يخفى»، ولوكان في اسم معاوية رضي الله عنه قبح لغيَّره النبي صلى الله عليه وسلم، و خُذِ الكتب المؤلفة في الصحابة تجد عددا من الصحابة اسمهم معاوية.

ذكر الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» عددا من الصحابة اسمهم معاوية، وجاء في معاجم اللغة: المعاوية -باللام- صغير الثعلب وجرو الكلب، وكذلك بمعنى الكلبة الغلمة، ومعاوية -بغير اللام- له معانٍ طيبة عديدة، تناسب مكانة الصحابة رضي الله عنهم.

وفي «القاموس الوحيد»: عوى: معناه: لفت، وكان الصحابة رضي الله عنهم يلفتون الناس إلى الحق، ومن معانيه: المناداة، وكان الصحابة ينادي بعضهم بعضًا إلى نصرة الدين، ومن معانيه: تولي الإجابة عن أحد، وكان الصحابة رضي الله عنهم يدفعون عن الدين. وإن كان من «عوة» فمعناه: معلم الطريق، وكان الصحابة رضي الله عنهم معالم على الجنة، والحق. وكلها معانٍ حسنة. (القاموس الوحيد، مادة: عوى)

وفي «تاج العروس»: «المسمى بمعاوية سواه (أي: معاوية بن أبي سفيان ﷺ) من الصحابة سبعة عشر رجلا، ومن المحدثين كثيرون». (تحت: عوى).

وزاد الشيخ محمد نافع رحمه الله في كتابه «سيرة الأمير معاوية رضي الله عنه» (ص٦٥٦-٦٦٠) الأمر توضيحًا أكثر، وراجع: «الجواب العلمي عن الاعتراضات على معاوية رضي الله عنه» للأستاذ القاضي محمد طاهر علي الهاشمي، و«فتاوى دارالعلوم زكريا» (١/ ١٦٤-١٦٥).

واعلم أن التاء في «معاوية» للمبالغة، كما في «العلامة».

٢- يعدُّ العلامة التفتازاني معاويةَ رضي الله عنه باغيًا، نعم تكرم عليه وعلى أصحابه بأنه لا يلعنهم، قال العلامة: «وبالجملة لم ينقل عن السلف المجتهدين والعلماء الصالحين جواز اللعن على معاوية وأحزابه، غاية أمرهم البغي والخروج على الإمام، وهو لا يوجب اللعن». (شرح العقائد، تحت قول الماتن: «ونكف عن ذكر الصحابة إلا بخير»)

وكان عليه أن يقول: الصحابة رضي الله عنهم محمل قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ (المجادلة: ٢٢) ونال معاوية رضي الله عنه شهادة «الرشد والهداية» على يد الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أعرب النبي صلى الله عليه وسلم عن فرحه بالجيش الذي كان معاوية رضي الله عنه أميرًا عليه، ولكن العلامة التفتازاني غاية ما فعل أن استثناه من اللعن. وقال العلامة عبد العزيز الفرهاوي رحمه الله في حق هذا الشرح في «النبراس»: اكتفى العلامة التفتازاني بعدم جواز اللعن، وقد أساء بذلك إلى الصحابي الجليل، وهو صحابي عظيم الشأن مجتهد؛ بل لو كان من أصاغر الصحابة لاستحق الاحترام أيضًا. هذه خلاصة ما جاء في نص «النبراس» الطويل (ص٥٥٠).

وقال العلامة التفتازاني في «شرح المقاصد»: «ويتأول تأويلا فاسدًا، ولهذا ذهب

الأكثرون إلى أنه أول من بغى في الإسلام». (شرح المقاصد ٥/ ٣٠٩، ط: عالم الكتب، بيروت).

وتجنب العلامة التفتازاني اللعن على معاوية رضي الله عنه، ولكنه انهال على ابنه يزيد، وقال في «شرح العقائد»: كان يزيد فرحا بمقتل الحسين رضي الله عنه، واستخف بأهل البيت، وقد تواتر -على حد قول العلامة التفتازاني-، فنحن لا نتوقف في شأنه؛ بل في إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه».

وفيما يلي شطر مما قاله العلامة الشيخ محمد عدنان درويش تعليقًا عليه: «بل وكيف يلعن وقد شهد له بحسن الحال بعض الأحاديث الصحيحة، كيف يلعن ولم يلعنه أحد من السلف سوى الذين أكثروا القول في التحريض على لعنه، وبالغوا في أمره، كالرافضة والخوارج وبعض المعتزلة، بأن قالوا: رضاه بقتل الحسين كفر. قال العلامة القاري في شرحه على بدء الأمالي، ص١٢٣: و استبشاره وإهانة أهل بيت النبوة لم يثبت بطريق الآحاد، فكيف يدعي التواتر في مقام المراد، مع أنه نقل في «التمهيد» عن بعضهم أن يزيد لم يأمر بقتل الحسين، وإنما أمرهم بطلب البيعة، أو بأخذه وحمله إليه. إلى آخر ما قال».

ثم ساق الشيخ محمد عدنان نص الإمام الغزالي وابن خلكان. (شرح العقائد النسفية، ص٢٤٨-٢٤٩)

٣- قد انحرف العلامة التفتازاني عن مذهب المحققين من أهل السنة والجماعة في تفضيل عثمان رضي الله عنه على علي رضي الله عنه، وقد رتب العلامة النسفي في المتن الخلفاء الراشدين على وفق ترتيب أهل السنة والجماعة، وفضَّل عثمان على علي رضي الله عنهما، وقال العلامة التفتازاني في شرحه: لقد تعارضت الأدلة في تفضيل عثمان وعلي بعضها على بعض، وتوقف أهل السنة في المسألة، وقد اعتُبِرَ تفضل الشيخين- أبي بكر و عمر رضي الله عنهما- وحب الختنين-عثمان وعلي رضي الله عنهما- من علامات أهل السنة والجماعة.

ثم قال: إن كان معنى الفضل: زيادة الثواب، فالتوقف معقول، ويجب التوقف، وأما إذا كان معناه: كثرة المناقب والفضائل فلا يجوز التوقف، أي: يجب تفضيل علي حينئذ. (شرح العقائد النسفية، تحت قول الماتن: «ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى»)

رغم أن العلامة التفتازني حنفي، وذكرت كتب الأحناف المتقدمين منهم والمتأخرين فضل عثمان على علي رضي الله عنهما.

قال الإمام الطحاوي في بدء «العقيدة الطحاوية»: «هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة

والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين، ويدينون به رب العالمين». وقال في الصفحة الأخيرة: «ونثبت الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أوّلًا لأبي بكر الصديق تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان بن عفان، ثم لعلي بن أبي طالب».

هذا النص ذكر ترتيب الخلافة بجانب الأفضلية.

وقال الإمام أبوحنيفة في «الفقه الأكبر»: «أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين». (الفقه الأكبر مع شرحه منح الروض الأزهر، للعلامة القاري، ص١٩٢-١٩٣)

ومن غير المعقول الاستدلالُ بنص مبهم رغم توفر هذا النص الصريح. والنص المبهم هو: «سئل أبو حنيفة عن مذهب أهل السنة والجماعة؟ فقال: أن تفضل الشيخين، وتحب الختنين، وترى المسح على الخفين». (شرح العقائد النسفية، مع تعليقات الشيخ محمد عدنان درويش، ص٢٢٩)

وقد جاء في «وصايا الإمام أبي حنيفة» مع شرح العلامة أكمل الدين البابرتي صريحا: «نقر بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين». (ص٩٨، ط: دار الفتح، عمان)

وقال الحافظ ابن كثير: «قد قال غير واحد من العلماء كأيوب والدارقطني: من قدم عليًّا على عثمان فقد أزْرَى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حقٌّ وصدقٌ وصحيحٌ ومليحٌ». (البداية و النهاية ٨/ ١٢، و١٠/ ٢٧٧. ورواه الخلال في «السنة»، رقم:٥٥٨)

حكى العلامة ابن تيمية عن أيوب السختياني، والإمام أحمد بن حنبل، والدارقطني هذا النص. (مجموع الفتاوى ٤/ ٣٥). أي: إذا كان جميع العلماء أمثال أيوب السختياني، والدارقطني يقولون: من قدم عليًّا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح.

علاوة على ذلك تفيد رواية ابن عمر رضي الله عنهما أن من المسلَّم فضل عثمان على علي رضي الله عنهما. قال ابن عمر: «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان». زاد الطبراني في رواية «فيسمع

النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره». وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر: «كنا نقول إذا ذهب أبوبكر وعمر وعثمان استوى الناس».(فتح الباري ٧/ ١١٦).

ثم قال الحافظ ابن حجر: اتفقوا على تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما.(فتح الباري ٧/ ١١٦)

ومما يبعث على العجب توقفُ العلامة التفتازاني، وقولُه: «توقف أهل السنة في المسألة» رغم هذه النصوص الصريحة والأقوال الواضحة لعلماء الأحناف، والعلامة التفتازاني على مذهب الأحناف، ومن عدَّه من الشوافع لا يقبل قوله.

العلامة التفتازاني حنفي:

وهذا كتاب التلويح –من مشاهير كتب العلامة التفتازني، وقد أشار إليه في كتابه «شرح العقائد» أيضًا- حكى فيه العلامة مذهب الأحناف بقوله: «عندنا»، وفيما يلي أمثلة على ذلك:

«وإذا ثبت هذا، أي: كون العام قطعيًّا عندنا، خلافًا للشافعي».(شرح التلويح على التوضيح، للتفتازاني، ط: مكتبة صبيح بمصر ١/ ٧٤)

وقال في موضع آخر: «أما عندنا فلأن المشترك لا عموم له، وأما عند الشافعي فلأن المجاز لا عموم له».(١/ ١٧٥)

وقال في موضع آخر: «هذا ما يقال: إن حسن المأمور به عندنا من مدلولات الأمر، وعند الأشعري من موجباته».(١/ ٣٧٧).

وقال في موضع آخر: «وعندنا يقبل (المرسل)؛ بل يقدم على المسند، استدل الشافعي». الخ. (٢/ ١٣).

وقال في موضع آخر: «إن الخلاف مبني على أن التخصيص بالمستقل بيان تغيير عندنا، وبيان تفسير عند الشافعي». (٢/ ٣٨)

وقال في مبحث استصحاب الحال: «وهو حجة عند الشافعي» ثم قال:«وعندنا حجة للدفع دون الإثبات». (٢/ ٢٠٢)

فكل هذه الإحالات تدل على أن العلامة التفتازاني حنفي المذهب.

معنى قول أبي حنيفة رحمه الله: «وتحب الختنين»:

والنص الذي استدل به العلامة التفتازاني على التوقف في تفضيل عثمان وعلي بعضهما على بعض، هو: «سئل أبو حنيفة عن مذهب أهل السنة والجماعة؟ فقال: أن تفضل الشيخين، وتحب الختنين، وترى المسح على الخفين». (شرح العقائد النسفية، مع تعليقات الشيخ محمد عدنان درويش، ص٢٢٩)

١- فيما يخص هذا النص اعلمْ أولًا أن العلماء قالوا: رواه نوح بن أبي مريم، وقد تكلم فيه الناقدون كثيرا: ضعَّفه أحمد بن حنبل، وابن عدي، وقال مسلم وغيره: متروك الحديث. وقال الحاكم: وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن المبارك: كان يضع. (ميزان الاعتدال ٤/ ٢٧٩. تقريب التهذيب)

وقال العلامة الكوثري في تعليقه على «كتاب الأسماء والصفات»: نعيم بن حماد ربيب لنوح بن أبي مريم، وكذلك نوح بن أبي مريم ربيب لمقاتل بن سليمان، وكان مقاتل بن سليمان مصابا بالتجسيم فتعدى المرض منه إلى نوح بن أبي مريم، ومنه إلى نعيم بن حماد، وفيما يلي نصه: «نعيم بن حماد مجسم، وكذا زوج أمه نوح بن أبي مريم ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة». (الأسماء والصفات، للبيهقي، ص٣٩٦)

قال الإمام السرخسي في «شرح السير الكبير»: «وهكذا فيما رواه نوح بن أبي مريم عن أبي حنيفة رضي الله عنه، قال: سألته عن مذهب أهل السنة، فقال: أن تفضل أبا بكر وعمر، وتحب عليًّا وعثمانَ». (شرح السير الكبير١/ ١٥٧-١٥٨، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد)

دل نص الإمام السرخسي على أن راوي هذا القول هو نوح بن أبي مريم.

٢- لو ثبت هذا النص عن أبي حنيفة رحمه الله فمعناه أنه كان يسكن الكوفة، وحولها روافض وخوارج، وكانت «حروراء» -بالقرب من الكوفة- مقر الخوارج. و«حروراء» شهدت أول مجلس عقَده الخوارج للتشاور، فإنما قال أبوحنيفة ذلك ردًّا على الفريقين هذين، وكان الخوارج أعداء لعثمان و علي رضي الله عنهما، فمعنى قول الإمام أبي حنيفة: نحن أهل السنة والجماعة برآء من مذهب الروافض والخوارج كليهما، ونحب عثمان وعليا رضي الله عنهما. وكان الروافض يفضلون عليا رضي الله عنه على الشيخين، فذكر تفضيل الشيخين ردًّا عليهم، وليس معناه: لا نفضل أبا بكر على عمر رضي الله عنه؛ بل ذُكِرَ فضلُ أبي بكر رضي

الله عنه في موضع آخر بصراحة.

ونظيره أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله لايعد العمل جزءًا من الإيمان، لأن المعتزلة والخوارج يعدون العمل جزءًا من الإيمان، حيث إن ترك العمل يؤدي إلى خروج الإيمان، وقد تكلم المفتي العام للخوارج الشيخ الخليلي-من أهل مسقط- في كفر مرتكب الكبيرة في كتابه «الحق الدامغ» بالبسط و التفصيل، وزعم أن مرتكب الكبيرة كافر.

سبب غضب العلامة التفتازاني على معاوية رضي الله عنه وبني أمية:

يقول مترجمو العلامة التفتازاني: كان العلامة التفتازاني مصاحِبًا وجليسًا للملك تيمور لنك؛ بل رئيس مجلسه، واتفق المؤرخون على أن تيمور لنك كان يشمئز قلبه من معاوية رضي الله عنه وأولاده، بل ذهب الأكثرون إلى أنه رافضيٌّ. وقال بعض المؤرخين: كان أسماء أحفاده أبا بكر وعمر، فربما لم يكن يكره الشيخين، أو كان يستخدم التقية، ولكن لم يرض أن يسمع اسم معاوية رضي الله عنه.

و«تيمور» أصله «تمر» أو«تمور» انحرف إلى«تيمور»، من سكان المنطقة الشمالية، وينسب نفسه إلى جنكيرخان، أصيب بالعرج حين نشب سهم في فخذه، فقيل له: تيمور، أي: الأعرج، اكتسح البلاد الإسلامية كريح صرصر عاتية، وفتحها فتحًا سريعًا، ولم يتعرض للنصارى.

خاض تيمور حربًا ضد «بايزيد يلدرم» الذي كان يخافه ملوك أوربا، ومنِيَ بايزيد بالهزيمة، وتنفست أوربا الصعداء، وأسِرَ با يزيد، ثم توفي في السجن، أو بمرض ضيق التنفس، أو في القفص الحديدي، سمي «يلدرم» لسرعة هجومه على الأعداء.

قال الشيخ المفتي تقي العثماني في كتابه «جهانِ ديده»: «السلطان بايزيد يلدرم هو أول سلاطين آل عثمان الذي حاصر القسطنطينية بكل قوة بعد أن كسب النجاح في عدد من المهمات الحربية حولها، ولم يكن بايزيد يقل عن صاعقة سماوية لأوربا نظرًا إلى شجاعته وبسالته، ومكائده الحربية. وعليه سمي بـ«يلدرم»، ومعناه الصاعقة. فكان يملك كل القدرات لفتح القسطنطينية نظرًا إلى الأسباب الظاهرة، وكاد يكسب النجاح في هذه المهمة. ولكن هجم تيمور الأعرج على أقطاره من ورائه لأسباب سياسية وقتل أحد أبنائه، فاضطر بايزيد يلدرم إلى رفع الحصار عن القسطنطينية، والعودة منها، ومما يؤسف له أن بايزيد يلدرم

-بدلا من أن يخوض معركة فاصلة مع الروم- اضطر إلى خوض حرب ضد تيمور الأعرج في «أنقرة»، وكسب تيمور الحرب، وأسر بايزيد يلدرم، وسجنه في محفة من حديد، وتوفي فيها، وبالتالي تأخر فتح القسطينية لمدة نحو خمسين سنة.

وحاصر أبناء بايزيد يلدرم وأحفاده من بعده في عهودهم القسطنطينية، ولكن فوجئوا بالبغي والخروج عليهم إبان المحاصرة، فلم يكسبوا النجاح في فتحها. (جهانِ ديده، ص ٣٢٢)

قتَل تيمور السفاك مليون ومئتي ألف مسلم، وحكم البلاد مدة ٣٦ عامًا، وتوفي في ١٧/ شعبان عام٨٠٧. وكان أول ما فتح بلخ، ثم جرجان، ومازندران، وسيستان، وفارس، والعراق، وآذربيجان، وغيرها من الدول، وفتح دهلي عام ٨٠٧، ثم أخضع لنفسه الشام وحلب، وحمص، وحماة، وبعلبك، ودمشق وغيرها. للاستزادة منه راجع: دائرة المعارف العربية (٢/ ٢٢٥-٢٩٩)، ودائرة المعارف الأردية.

وتفيد بعض المصادر التاريخية أن تيمور كان رافضيًّا، وتمالأ مع قيصر الروم، ونال من المسلمين نيلا عظيمًا. وجرى بين العلامة التفتازاني وبين «ميرسيد مسند» مناظرة في بلاط تيمور، قضى فيه النعمان المعتزلي بانتصار «مير سيد»، وصدم ذلك العلامة التفتازاني صدمة أدت إلى وفاته بعد ذلك بأيام في ٢٢/ المحرم الحرام عام ٧٢٢. ونقل جثمانه بعده بشهرين وسبعة عشر يومًا إلى سرخس.

قال الشيخ محمد درويش في تعليقاته على المقدمة: «وجرى بينهما مباحثات في مجلس تيمور لنك، واختلف الناس في عصرهما وفيما بعده من العصور من المحق منهما، ومازال الاختلاف بين العلماء في ذلك دائرًا في جميع الأزمنة». (مقدمة تعليقات شرح العقائد، ص١٨)

نبذة من ترجمة السلطان تيمور لنك:

قال الإمام السخاوي في «الضوء اللامع»: كان تيمور ظلومًا سفاكًا، قتل ما لا يحصى من الناس. وكان يعتمد قواعد جنكزخان ويجعلها أصلا، ولذلك أفتى جمع جم بكفره». (الضوء اللامع ٣/ ٤٩)

وقال أمين غالب الطويل في تاريخ العلويين: «والسلطان تيمور الأعرج في كل البلدان كان يسترضي علماء أهل السنة بعد أن يجادلهم في وجوب لعن معاوية وابنه يزيد».(تاريخ العلويين، ص٣٣٧)

وجاء في «عجائب المقدور في أخبار تيمور»: «كلهم يمشون قواعد الملعون جنكيز خان على قواعد الإسلام، ومن هذه الجهة أفتى كل من مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله، ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين محمد البخاري أبقاه الله، وغيرهما من العلماء الأعلام، وأئمة الإسلام، بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية على الشريعة الإسلامية». (عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص٤٤٥، طبع كلكته، الهند)

وقال تقي الدين المقريزي: «وكان له عدة المنجمين فلا يتحرك حركة إلا باختيار نجومي». (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ص٥٥٧)

ذكر عبد الملك بن الحسين في «سمط النجوم العوالي» قصةً ملخصها: لما كان يوم الخميس تاسع ربيع الأول من عام ثمان وثمان مئة أخذ يعني تيمور قلعة حلب بالأمان والأيمان التي ليس معها أيمان فاستحضر علماءها وقضاتها فحضروا إليه، وطلب من معه من أهل العلم فقال لكبيرهم عنده وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفي: قل لهم: إني سائلهم عن مسائل سألت عنها علماء سمرقند وبخارى وهراة وخراسان وسائر البلاد التي افتتحتها فلم يفصحوا الجواب فلا تكونوا مثلهم، وهبوا أني طالب من طلاب العلم. قال القاضي أبو الوليد محمد بن محمد بن محمود القاضي المعروف بابن الشحنة: فقال القاضي شرف الدين موسى الأنصاري الشافعي: هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها مشيرا إليَّ: سلوه، قال: فقال لي قاضيه: عبد الجبار: سلطاننا يقول: إنه بالأمس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا أم قتيلكم؟ فوجم الجميع، و قلنا في أنفسنا: هذا الذي كان يبلغنا عنه من التعنت وسكت القوم. قال ابن شحنة: ففتح الله عليَّ بجواب سريع بديع فقلت: هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألقى إليَّ تيمور سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله عن هذا وكيف أجاب؟ فقلت: جاء أعرابي إلى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن الرجل يقاتل حمية ويقاتل ليري مكانه من الشجاعة فأيُّنا الشهيد في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد». فقال تيمور لنك: خوب خوب.

قال القاضي شرف الدين لي بعد أن انقضت المحادثة: والله العظيم لما قلت: هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا محدث زماني قلت: عالمنا قد اختل

عقله، فإن هذا سؤال لايمكن الجواب عنه في هذا المقام.

فانفتح باب المؤانسة فكثر منه السؤال وكثر مني الجواب. وكان آخر ما سأل أن قال: ما تقولون في علي ومعاوية ويزيد؟ فأسر إلى القاضي شرف الدين أن اعرف كيف تجاوبه فإنه شيعي؟ فلم أفرغ من سماع كلامه إلا وقد قال القاضي علم الدين القفصي المالكي كلاما معناه: إن الكل مجتهدون، فغضب لذلك غضبًا شديدًا، وقال: علي على الحق، ومعاوية ظالم، ويزيد فاسق، وأنتم حلبيون تبع لأهل دمشق، وهم يزيديون قتلوا الحسين. قال ابن شحنة: فأخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بأنه أجاب بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه، فعاد إلى دون ما كان عليه من البسط.

قال ابن الشحنة: ولما كان آخر شهر ربيع المذكور طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين وأعاد السؤال عن علي ومعاوية، فقلت: لا شك أن الحق كان مع علي في نوبته، وليس معاوية من الخلفاء؛ فإنه صح عن رسول الله أنه قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة» وقد تمت بعلي وابنه الحسن. فقال تيمور لنك: قل: علي على الحق ومعاوية ظالم. (كذا في سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل و التوالي ٤/ ٧٤-٧٧)

ثم قال: أشار ابن الشحنة إلى أن صاحب الهداية قال: علي على الحق، ومعاوية جائر.

هذا يدل على أن مشايخ حلب وقضاتها ومفتيها قد شاهدوا تيمور بأم أعينهم، وتحدثوا إليه شفاهًا. وكانوا يرونه شيعيا. وليس الخبر كالمعاينة.

قال عصريُّنا الأستاذ/ محمد طاهر علي الهاشمي في كتاب «ناقدو سيدنا معاوية رضي الله عنه»: أصرَّ السلطان با يزيد خان الأول -فاتح أوربا- على رفع راية الإسلام واستئصال حكم النصارى، فتحرك العرق السبائي في تيمور لنك، فتمالأ مع قيصر الروم وشنَّ حربا ضد بايزيد، يذكرها التاريخ بـ«حرب الأنكوره» انهزم فيها با يزيد، وأُسِرَ، وتنفس النصارى الصعداء.

وقال العالم الشيعي: غلام أحمد الكاكوري: أول من وضع تابوت العزاء هو الأمير تيمور، وأرجعوا ذلك إلى أنه كان مولِعًا بالحسين رضي الله عنه، وكان يزور الكربلاء المعلاة والروضة المطهرة كل عام، واشتغل عاما في الحرب اشتغالا لم يتمكن من الزيارة، فطلب «شبيها بالروضة المقدسة»، وجعله على صورة تابوت العزاء، فطاب نفسًا بزيارته.(مجلة معرفت،حيدرآباد، عام ١٣٨٩هـ)

نافلة القول أن عهد الأمير تيمور وخلفائه الممتد على (٢٦)عاما اعتبارا من ٧٨٢هـ – ٩٠٦هـ، ازدهر الشيعة، والمذهب الشيعي كثيرًا.(ص ١١١-١١٢).

مشاجرات الصحابة رضي الله عنهم، وقتالهم:

إيراد: يورد بعض الناس على ما يتعلق بقتال الصحابة ومشاجراتهم فيما بينهم بأنه يعارض قوله تعالى:﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)؛ فقد ذهب آلاف من الصحابة والتابعين ضحية هذه الحروب؟

الجواب:

(١) كان الصحابة متحابين، وما شجر بينهم من القتال لم يغنموا فيه أموال بعضهم، ولا سبوا نساءهم، وبما أن كل فريق منهم كان يرى نفسه على الحق وغيرَه على خلاف ذلك، ومع كل فريق من يحرض على القتال، فقاتلوا عقابًا لهم، كما أن الطبيب يكمن في قلبه حب تجاه المريض، ولكنه يُجري العملية الجراحية لاستئصال المادة الفاسدة، أو كما أن الوالد أو الشيخ يكنان في قلوبهما الحب للولد والطالب، ولكنهما قد يضربانهما ضربًا شديدًا لصرفهما إلى الصراط المستقيم، وكان موسى عليه السلام يكن في قلبه حبًّا لأخيه هارون عليه السلام، ولكن أخذ برأسه ولحيته يجره، تأديبًا له، والقاضي يكن حبًّا تجاه الرعية، ولكن ينفذ الحدود والقصاص تطهيرًا للمجتمع من الأدناس.

وحاصل القول أن بعض الصور مستثناة من الشفقة والرحمة لأوضاع اضطرارية، وكما يقول البعض: ليست شفقة الأكابر عبارة عن الرفق في كل وجه، بل الرفق في وجهه، والشدة في وجهها يدخلان في نطاق الشفقة. شرب أبو شحمة بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نبيذًا، فسكر، فضربه عمرو بن العاص في مصر خفيةً، فلم يرضَ به عمر رضي الله عنه، وأعاد الضرب عليه احترامًا لسيادة القانون. وكان عمر بن الخطاب يكن في قلبه حبا لولده، ولكن عاقبه احترامًا للحكم الشرعي. (فتح الباري ١٢/ ٦٥. وفتاوى دارالعلوم زكريا ١/ ١٦٩.

سئل علي رضي الله عنه:«ما تقول في قتلانا وقتلاهم؟ فقال: «من قُتِل منّا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة».(سنن سعيد بن منصور٣/ ٣٧٤، رقم:٢٩٦٨)

وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن علي رضي الله عنه: «قتلانا وقتلاهم في الجنة». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٩٠٣٥)

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» عن أبي ميسرة رؤياه، فقال: عن أبي وائل، قال: رأى في المنام أبو الميسرة عمرو بن شرحبيل، وكان من أفضل أصحاب عبد الله، قال: رأيت كأني أدخلت الجنة، فرأيت قبابا مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: هذه لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل مع معاوية يوم صفين، قال: قلت: فأين عمار وأصحابه، قالوا: أمامك، قلت: وكيف وقد قتل بعضُهم بعضًا، قال: قيل: إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة. (المصنف لابن أبي شيبة، باب ما ذكر في صفين، رقم:٣٨٩٩٩؛ وسنن سعيد بن منصور، رقم:٢٩٥٥؛ والسنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٧٤؛وتاريخ دمشق لابن عساكر١٥/ ٣٤٧)

ورويتْ رؤيا مماثلة لعلي ومعاوية رضي الله عنهما. فروى ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست فبينا أنا جالس إذ أتي بعلي، ومعاوية فأدخلا بيتا وأجيف عليهما الباب، وأنا أنظر إليهما، فما كان بأسرع أن خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع أن خرج معاوية على إثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة». (المنامات، لابن أبي الدنيا، رقم:١٢٤ . وأخرجه بإسناده ابن شبة في تاريخ المدينة ٤/ ١٢٥٤. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٣٨. وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٣/ ١٠٠ من طريق أبي نعيم . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ١٣٠)

(٢) ويجاب ثانيًا عن هذا الإيراد بأن الصحابة كان بعضهم من بعضهم، غير أن الأشرار الذين اندسوا إلى جيشهم، كانوا يثيرون الحرب، فيقع الفريقان في حبالهم، وإلا كانوا يأبون القتال و الحرب، ففي حرب الجمل أعلن علي رضي الله عنه تمييز قتلة عثمان رضي الله عنه نتيجة مساعي الصلح التي بذلها قعقاع بن عمرو رضي الله عنه، ولكن كيف يرضى الأشرار بهذا الإعلان، فتشاوروا فيما بينهم -أولا- في قتل علي رضي الله عنه، ثم ردوا هذا الرأي لأسباب عدة. ثم استغلوا ظلمة الليل وهجموا على خصمهم، وأشعلوا نار الحرب، وتنفسوا الصعداء بقتل عظماء المسلمين، أمثال طلحة والزبير رضي الله عنهما. فصَّل الكلام على هذه الفواجع الشيخ محمد نافع في «سيرة علي المرتضى»(ص ٢٥٠- ٢٦٢).

وقس عليه حرب صفين، فقد كان بعض الناس حريصًا على الحرب، وأما أجلة الصحابة رضي الله عنهم فقد طووا كشحهم عنها، وتفيد بعض روايات صحيح البخاري أن جيش علي كان فيه بعض من يحرض على القتال. قال الأعمش: سألت أبا وائل: شهدت صفين؟ قال: نعم، فسمعت سهل بن حنيف-وكان مع علي رضي الله عنه-، يقول

للمحرضين على القتال: «اتهموا رأيكم، إذا كان الصلح مع المشركين يوم الحديبية خيرا، فلأن يكون الصلح بين المسلمين خيرًا أولى». انتهى ملخص رواية صحيح البخاري. (صحيح البخاري، رقم: ٣١٨١، باب اثم من عاهد ثم غدر)

واعلم أن سهل بن حنيف رضي الله عنه كان يحظى بثقة علي رضي الله عنه، أراد علي رضي الله عنه أن يوليه الشام بدلًا من معاوية رضي الله عنه، ولم يقبله الناس، فرده من تبوك.

وتدل رواية أخرى عند صحيح البخاري على أن بدء القتال كان من جيش علي رضي الله عنه. (صحيح البخاري، رقم: ٣٠٨١، باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة)

توجيهات السلف فيما يخص مشاجرات الصحابة:

احترز السلف الصالح من الطعن وإبداء الرأي والتعليق على ما شجر بين الصحابة وخاصة على من شارك من الصحابة في وقعة الجمل وصفين. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «اتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا وأن المصيب يؤجر أجرين». (فتح الباري ١٣/ ٣٤)

قال الحافظ ابن حجر في »الإصابة«: «والظنّ بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا فيها متأوّلين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس، فثبوته للصحابة بالطريق الأولى». (الإصابة ٧/ ٢٦٠)

وأوضح الشيخ مجدد الألف الثاني رحمه الله في غير موضع من «مكتوباته» عقيدة أهل السنة و الجماعة فيما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، وقال: لا يُحمل ما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم من الخلاف والنزاع على هوى النفس، فإن نفوسهم قد تزكت في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخلصت من الأمارة بالسوء».(مكتوبات الإمام الرباني ١/ ٢٨، رقم المكتوب: ٥٤).

وقال في موضع آخر: وما شجر بينهم من النزاع والخلاف يحمل على الحِكَم الصالحة والظنون الحسنة، ولم يصدر عن حرص وهوى وجهل، بل عن اجتهاد وعلم، فإن أخطأ أحد منهم في الاجتهاد فللمخطئ أجر واحد عند الله تعالى، وهذا هو الطريق القويم الوسط بين

الإفراط والتفريط، سلكه أهل السنة والجماعة.(مكتوبات الإمام الرباني ١/ ١٣٤، رقم المكتوب:٥٩).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: «واتفق أهل السنة على وجوب الكف عما شجر بينهم، والإمساك عن مساويهم، وإظهار فضائلهم ومحاسنهم، وتسليم أمرهم إلى الله عز وجل». (الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل ١/ ١١٣، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت).

وقال أبو نعيم الأصفهاني: « فمن سبَّهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحُروبهم على غير الجميل الحسَن فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيَّته فيهم، ولا يبسُط لسانَه فيهم إلا من سوء طَوِيَّتِه في النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والإسلام والمسلمين». (تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة، لأبي نعيم الأصبهاني، ص٣٧٥)

وقال الإمام القرطبي: «لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه، وأرادوا الله عز وجل، وهم كلهم لنا أئمة، وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر، لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم. هذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهيدًا». (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٢١)

وقال العلامة الشعراني: «قال الكمال بن أبي شريف: وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الإمارة، كما توهمه بعضهم، وإنما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان إلى عشيرته ليقتصوا منهم، لأن عليا رضي الله عنه رأى أن تأخير تسليمهم أصوب إذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علي يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العامة، فإن بعضهم عزم على الخروج على الإمام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان، ورأى معاوية أن المبادرة إلى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب. فكل منهما مجتهد مأجور».(اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، ص٣٣٤، ط: دار الكتب العلمية. وانظر: المسامرة بشرح المسايرة، ص١٣٢، باب فضل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين).

وعن أبي نضرة قال: ذكروا عليًّا وعثمانَ وطلحةَ والزبيرَ عند أبي سعيد، فقال: أقوام سبقت لهم سوابق وأصابتهم فتنة، فردوا أمرهم إلى الله». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٥٦. ومثله في الفتن، لنعيم بن حماد، رقم:١٨٤ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، رقم:٢٣٥٢)

وعن محمد بن النضر قال: ذكروا اختلاف أصحاب محمد عند عمر بن عبد العزيز فقال: «أمرٌ أخرج الله أيديكم منه ما تُعْمِلُون ألسِنتَكم فيه». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٩٧)

وسئل عمر بن عبد العزيز عن علي وعثمان والجمل وصفين ما كان بينهم، فقال: «تلك دماءٌ كف الله يديَّ عنها وأنا أكره أن أغمس لساني فيها». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/ ٢٩٧. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ١٣٣)

وسئل الحسن البصري عما شجر بين الصحابة فقال: «قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا». (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٢٢)

وقال أبو عبد الله المحاسبي:«فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل، إذ كانوا غير متهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق». (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٢٢)

فإمساك هؤلاء عما شجر بين الصحابة وحيادهم فيه أسوة حسنة لنا في كف اللسان في مثل هذه القضايا، والاحتراز من معارضتهم، والتعليقات من جديد.

تحقيق بعض الروايات الخاصة ببني أمية، التي تتضمن استخفافَ وازدراء بعض الصحابة أمثال معاوية بن أبي سفيان، ومروان، وغيرهما رضي الله عنهم:

تحقيق حديث: «أُريت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة»:

للحديث ثلاثة أسانيد:

١ - قال الحاكم: حدثنا أبو أحمد علي بن محمد الأزرقي بمرو(كذاب)، ثنا أبو جعفر محمد بن إسماعيل بن سالم الصائغ (ثقة) بمكة، ثنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي، مؤذن المسجد الحرام(ثقة)، ثنا مسلم بن خالد الزنجي(ضعيف، منكر الحديث)، عن العلاء بن

عبد الرحمن (صدوق أُنكِر من حديثه أشياء)، عن أبيه (ثقة)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:«إني أُرِيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة». قال: فما رئي النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى توفي. (المستدرك للحاكم، رقم: ٨٤٨١).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرط مسلم.

من العجب تصحيح الحاكم والذهبي؛ فإن الحاكم قال في شيخه أبي أحمد بن علي بن محمد: كذاب. وساق الذهبي قول الحاكم هذا في «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٥٥). وقال في سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٨): «قال الحاكم: يكذب مثل السكر». وانظر: تاريخ الإسلام للذهبي ٨/ ٣٥.

وقال أبو يعلى الخليلي: «له معرفة وحفظ، لكنه روى نسخا، وأحاديث مناكير لا يتابع عليها، وهو مشهور بذلك، حدثنا عنه الحاكم أبو عبد الله، وسألته عنه فقال: هو أشهر في اللين من أن تسألني عنه». (الإرشاد في معرفة علماء الحديث ٣/ ٩٠٦)

مسلم بن خالد الزنجي ضعيف. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط، وبشار عواد:«ضعفه أبو جعفر النفيلي، وأبوداود، وعلي ابن المديني، والنسائي، والبخاري، وقال: منكر الحديث، ذاهب الحديث، وأبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي، وابن نمير، والبزار، والذهبي، بعد أن ساق له عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث وأمثالها تُرد بها قوة الرجل ويُضَعف. واختلف فيه قول ابن معين والدارقطني فوثقاه مرة، وضعفاه مرة أخرى، وقال ابن عدي: حسن الحديث، وأرجو أنه لا بأس به، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، كثير الغلط والخطأ في حديثه».(تحرير تقريب التهذيب٣/ ٣٧٢)

وقال أبو زرعة الرازي: مسلم بن خالد الزنجي منكر الحديث. (الأباطيل والمناكير للجوزقاني ١/ ٤١١)

والعلاء بن عبد الرحمن وثقه بعضهم، وضعفه بعضهم، وقال أبوحاتم الرازي: «هو صالح الحديث أنكر من حديثه أشياء». (ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٣. سير أعلام النبلاء ٦/ ١٨٧).

وقال ابن الجوزي: «قال يحيى: ليس حديثه بحجة، مضطرب الحديث، لم يزل الناس يتقون حديثه». (العلل المتناهية ٢/ ٢١٣)

روى هذا الحديث يعقوب بن سفيان الفسوي أيضًا من طريق أحمد بن محمد الأزرقي (ثقة) عن الزنجي، به. (مشيخة يعقوب بن سفيان الفسوي، رقم:٣)

وسبق الكلام في الزنجي، والعلاء.

وروى هذا الحديث كل من ابن كثير، وابن عساكر، والجوزقاني أيضًا بإسناد يعقوب بن سفيان الفسوي، وقال الجوزقاني: «باطل». (دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥١١؛ البداية والنهاية ٦/ ٢٤٣؛ تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٦٥؛ الأباطيل والمناكير للجوزقانى ١/ ٤١٠)

٢- قال أبو يعلى: حدثنا مصعب بن عبد الله، قال: حدثني ابن أبي حازم، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام كأن بني الحكم ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتغيظ وقال: «ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة؟» قال: فما رئي رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا بعد ذلك حتى مات صلى الله عليه وسلم. (مسند أبي يعلى، رقم: ٦٤٦١؛ المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، رقم: ١٧٨٩؛ المطالب العالية، رقم: ٤٤٦٤؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧/ ٢٦٦؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٤) وقال: رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير مصعب بن عبد الله بن الزبير، وهو ثقة).

وأخرجه الجوزقاني من طريق أبي عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحيري، قال: حدثنا أبو يعلى الموصلي، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري، به. (الأباطيل والمناكير للجوزقاني ١/ ٤١١)

وساق الجوزقاني بإسناده هذا الحديث ثم قال: «هذا حديث لا يرجع منه إلى صحة، وليس لهذا الحديث أصل من حديث عبد العزيز بن أبي حازم، عن العلاء بن عبد الرحمن، وإنما هو مشهور من حديث الزنجي، عن العلاء، سألت الإمام أبا الفضل المقدسي، عن أبي عمرو الحيري، فقال: كان يميل إلى التشيع». (الأباطيل والمناكير للجوزقانى ١/ ٤١٢)

فعُلِمَ أن هذا الإسناد أيضًا غير صحيح.

٣- عن سليمان بن داود الشاذكوني (متهم بالكذب والوضع)، عن يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن علي بن زيد (ضعيف)، عن سعيد بن المسيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «أريت بني أمية في صورة القردة والخنازير، يصعدون منبري، فشق ذلك علي، فأنزلت: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر: ١) (العلل المتناهية ٢/ ٢١٢؛ الأباطيل والمناكير للجوزقاني ١/ ٤١٠)

في هذا الإسناد سليمان بن داود الشاكوني متهم بالكذب والوضع. وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف.

قال الجوزقاني بعد ذكر هذا الحديث: «هذا حديث موضوع باطل، قال إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين وذكر الشاذكوني، فقال: قد سمع إلا أنه يكذب ويضع الحديث».

وساق ابن الجوزي هذا الحديث بأسانيده الثلاثة ثم قال: «هذا حديث لا أصل له، أما الطريق الأول ففيه الزنجي بن خالد، قال أبو زرعة: منكر الحديث. وقال علي بن المديني: ليس بشيء، وفيه العلاء بن عبد الرحمن، قال يحيى: ليس حديثه بحجة مضطرب الحديث لم يزل الناس يتقون حديثه. وأما الطريق الثاني ففيه العلاء أيضًا، وقد ذكرناه، وفيه أبو عمرو الحيري وكان متشيعا، كذلك قال أبو الفضل المقدسي. وأما الطريق الثالث ففيه علي بن زيد قال أحمد ويحيى: ليس بشيء. وفيه الشاذ كوني وهو كذاب، وقال يحيى: ليس بشيء. وقال البخاري: هو أضعف من كل ضعيف». (العلل المتناهية ٢/ ٢١٣)

وتذكر كتب الحديث والتاريخ أحاديث أخرى مماثلة في ذم بني أمية؛ ولايصح شيء منها.

روايات أخرى في معنى هذه الروايات:

١- عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال: رأى ناسًا من بني أمية على المنابر فساءه ذلك، فقيل له: إنما هي دنيا يعطونها فسري عنه. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧/ ٣٤١).

سنده مرسل، وعلي بن زيد بن جدعان ضعيف. وتفسير الآية الكريمة هذا يعارض تفسيرها في كتب الحديث والتفسير. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠) قال: «هي رؤيا عين، أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾(الإسراء: ٦٠): شجرة الزقوم». (صحيح البخاري، رقم:٤٧١٦).

٢- عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي (شيعي محترق)، أنا يونس بن بكير، عن أبي جعفر الرازي عيسى بن عبد الله التميمي (سيئ الحفظ، كثير الوهم)، عن الربيع بن أنس

البكري (رُمِي بالتشيع)، قال: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم رأى فلانًا وهو بعض بني أمية على المنبر يخطب الناس فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الأنبياء: ١١١) يقول: هذا الملك فتنة لكم ومتاع إلى حين. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧/ ٣٤١)

في إسنادها راوٍ منكر الحديث، وآخر متهم بالتشيع، وثالث من غلاة الشيعة.

قال الحافظ ابن حجر في الربيع بن أنس: «صدوق له أوهام رُمِي بالتشيع». (تقريب التهذيب)

وأبو جعفر عيسى بن عبد الله وثقه بعضهم، وقال بعضهم: سيئ الحفظ، كثير الوهم. وقال ابن حبان: «ينفرد بالمناكير عن المشاهير». (ميزان الاعتدال ٣/ ٣١٩)

وقال ابن حبان في «الثقات»: «الناس يتقون حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه؛ لأن فيها اضطراب كثير». (الثقات لابن حبان ٤/ ٢٢٨)

وقال ابن حبان في موضع آخر: «وكل ما في أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبى جعفر الرازي». (مشاهير علماء الأمصار ١/ ٢٠٣)

وقال العلامة الذهبي في عبد الرحمن بن صالح الأزدي: «قال موسى بن هارون: كان يحدث بمثالب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، شيعي محترق». (تاريخ الإسلام ٥/ ٨٦٣)

وقال العلامة الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «قال أبو داود: ألف كتابًا في مثالب الصحابة، رجل سوء. وقال ابن عدي: احترق بالتشيع». (ميزان الاعتدال ٢/ ٥٦٩)

وروايات أمثالها تذكرها كتب التاريخ، وهي كاذبة ومنكرة عن آخرها. قال العلامة ابن القيم: «كل حديث في ذم بني أمية فهو كذب». (المنار المنيف، ص١١٧)

تحقيق حديث: «لعن الله الحكم وما ولد»:

رواه عدد من المحدثين بألفاظ مختلفة ومن طرق مختلفة:

(١) قال أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الرزاق (ثقة رُمي بالتشيع)، أخبرنا ابن عيينة (ثقة حافظ، ربما يدلس عن الثقات)، عن إسماعيل بن أبي خالد (ثقة ثبت، كان يدلس، وربما يهم)، عن الشعبي (ثقة مشهور)، قال: سمعت عبد الله بن الزبير، وهو مستند إلى الكعبة،

وهو يقول: «ورب هذه الكعبة، لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا، وما ولد من صلبه». (مسند أحمد، رقم:١٦١٢٨)

وأخرجه البزار من طريق أحمد بن منصور بن سيار (ثقة حافظ)، قال: نا عبد الرزاق، به، بلفظ: «ورب هذا البيت لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه». (مسند البزار٢١٩٧).

رجال هذا الإسناد كلهم ثقات، بل هو على شرط الشيخين، إلا إسماعيل بن أبي خالد فإنه مدلس، ويروي عن الشعبي ما لم يسمعه، ولم يروِ له الإمام البخاري ومسلم، ولا أحد من أصحاب كتب السنن والصحاح: أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وابن خزيمة، وغيرهم في صحاحهم، بل لم يروِ له عبد الرزاق في مصنفه، فعلم منه أن في الحديث علة خفية أمسك عن روايته أصحاب الصحاح والسنن في كتبهم رغم أن رجاله على أعلى مراتب الثقة والاعتبار.

والعلة الخفية في هذا الحديث قد تكون بسبب إسماعيل بن خالد وهو مدلس، وقد يروي عن الشعبي ما لم يسمعه منه، قال العلامة العلائي في «جامع التحصيل» في إسماعيل بن خالد: «كان يدلس... قال يحيى القطان: سألت إسماعيل بن أبي خالد عن حديث رواه عنه ابن أبي عروبة عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أربع ليس عليهن جناية»، فقال: ليس من حديثي. وذكر عند يحيى بن سعيد القطان شيء يروى عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي أن المغيرة بن شعبة لما شهد عليه الثلاثة. الحديث، فقال يحيى: ليس بصحيح. وذكر عنده قول الشعبي في الجراحات أخماس، فقال يحيى: كان معي فلم يصححه إسماعيل. وذكر يحيى حديث إسماعيل بن أبي خالد عن عامر يعني الشعبي عن أيمن بن خريم، وفيه شعر، فقال: قال لي إسماعيل: لم أسمع هذا الشعر من عامر. وقال ابن المديني: قلت ليحيى يعني القطان: ما حملت عن إسماعيل عن عامر هي صحاح؟ قال: نعم إلا أن فيها حديثين أخاف أن لا يكون سمعهما، قلت ليحيى: ما هما؟ قال: قال عامر في رجل خير امرأته فلم تختر حتى تفرقا، والآخر قول علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة على أن يعتق أباها». (جامع التحصيل،ص ٤٥)

والعلة الأخرى في هذا الحديث أن عبد الرزاق متهم بالتشيع، وإن قال الشيخ شعيب

الأرناؤوط وبشار عواد في «تحرير تقريب التهذيب»(٢/ ٣٦٠): «لم يثبت تشيعه»؛ ولكن الذين اتهموه بالتشيع ليس اتهامهم منقوض الأساس، وحكى الحافظ ابن حجر عن عدد من أهل العلم تشيع عبد الرزاق، قال ابن حبان: «كان ممن يخطىء إذا حدث من حفظه على تشيع فيه». (الثقات٨/ ٤١٢)

وقال العلامة الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: «نقموا عليه التشيع، وما كان يغلو فيه بل كان يحب عليا رضي الله عنه ويبغض من قاتله». (تذكرة الحفاظ١/ ٢٦٦)

وقال العجلي في «الثقات»:«ثقة، وكان يتشيع». (الثقات للعجلي ١/ ٣٠٢)

وحكى علاء الدين المغلطائي، عن الإمام أبي داود: «كان عبد الرزاق يعرض بمعاوية، أخذ التشيع من جعفر». (إكمال تهذيب الكمال ٨/ ٢٦٦)

وحكى ابن حجر عن محمد بن أبي بكر المقدمي: «وجدت عبد الرزاق ما أفسد جعفر غيره، يعني في التشيع». (تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٣)

وذكر ابن عدي في ترجمة عبد الرزاق أحاديث عدة، يتجلى فيها تشيع عبد الرزاق، قال ابن عدي في نهاية ترجمته ملخصًا: «ولعبد الرزاق بن همام أصناف وحديث كثير، وقد رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه ولم يروا بحديثه بأسا إلا أنهم نسبوه إلى التشيع، وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقه عليها أحد من الثقات، فهذا أعظم ما رموه به من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه في مثالب غيرهم مما لم أذكره في كتابي هذا، وأما في باب الصدق فأرجو أنه لا بأس به إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير». (الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٥٤٥)

وقال العلامة الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «حديثه محتج به في الصحاح، ولكن ما هو ممن إذا تفرد بشيء عُد صحيحًا غريبًا. بل إذا تفرد بشيء عد منكرًا». (تاريخ الإسلام ٥/ ٣٧٤)

وذكر آخرون عللا أخرى، منها:

١- اختلط حفظ الإمام عبد الرزاق في آخرته، وهذه العلة مفقودة هنا؛ لأن الإمام أحمد سمع منه قبل الاختلاط.

٢- سفيان بن عيينة متهم بالتدليس، وهذه العلة أيضًا مفقودة هنا؛ لأنه كان لا يدلس إلا عن ثقة، كما في «التقريب».

ومن الملاحظ في الحديث شيء آخر وهو أنه أبهم في رواية مسند أحمد «فلانا»، وفي مسند البزار «الحكم» بدلا من «فلانا»، وهذا الخطأ من عبد الرزاق فيما يبدو؛ لأنه تفرد به عبدالرزاق، قال العلامة الذهبي: إذا تفرد عبد الرزاق بحديث فهو منكر. «قلت (أي: الذهبي): عبد الرزاق راوية الإسلام، وهو صدوق في نفسه. وحديثه محتج به في الصحاح، ولكن ما هو ممن إذا تفرد بشيء عد صحيحًا غريبًا. بل إذا تفرد بشيء عد منكرًا». (تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ٣٧٤، تحقيق: بشار)

فعلم أن الحديث منكر، وقد شهد بنكارته العلامة الذهبي ذلك العالم المتبحر.

وعليه يقول الإمام الذهبي في ترجمة الحكم بن العاص رضي الله عنه: «ويروى في سبه أحاديث لم تصح».(سير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٨، ط: الرسالة)

وقال في «تاريخ الإسلام»: «وقد رويت أحاديث منكرة في لعنه لا يجوز الاحتجاج بها». (تاريخ الإسلام، للذهبي ٢/ ١٩٨، تحقيق: بشار)

(٢) قال الطبراني: حدثنا أحمد بن رشدين المصري (متهم بالكذب)، قال: حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي(ثقة ربما أغرب)، قال: حدثنا أبو الفضل(هو محمد بن فضيل صدوق شيعي)، عن ابن شبرمة (ثقة فقيه)، عن الشعبي(ثقة فاضل)، عن عبد الله بن الزبير، قال: «أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن الحكم وما ولد». (المعجم الكبير ١٣/ ١٢٢/ ٣٠١).

وهذا الإسناد غير صحيح؛ لأن شيخ الطبراني: أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين متهم بالكذب. (لسان الميزان١/ ٥٩٤، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة)

و«أبو الفضل» من خطإ النساخ، والصحيح: «ابن فضيل»، كما في رواية الطبراني اللاحقة، وجاء في «جامع المسانيد والسنن» لابن كثير (٥/ ٢٠٤/ ٦٣٦٨) أيضًا «ابن فضيل». واسمه كاملا: أبو عبد الرحمن بن محمد بن فضيل بن غزوان. قال ابن حجر في «تقريب التهذيب»: «صدوق عارف، رمي بالتشيع». وقال العجلي: «ثقة، كان يتشيع».(الثقات، ص٤١١) وقال أحمد بن حنبل: «هو حسن الحديث، شيعي منحرف». (الوافي بالوفيات٤/ ٢٢٨) وقال ابن حبان: «كان يغلو في التشيع». (تهذيب التهذيب ٩/ ٤٠٥) وقال أبو داود السجستاني: «كان شيعيا، مُتَحَرِّقًا».(سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٣) وقال الذهبي: «صدوق شيعي». (ميزان الاعتدال ٤/ ٥٩٥) وقال

الدارقطني: «كان ثبتا في الحديث، إلا أنه كان منحرفا عن عثمان، رضي الله عنه، بلغني أن أباه ضربه من أول الليل إلى آخره ليترحم على عثمان فلم يفعل». (موسوعة أقوال الدارقطني ٢/ ٦١٥، ط: عالم الكتب، بيروت)

وقال ابن سعد ويعقوب بن سفيان أيضًا: محمد بن فضيل بن غزوان شيعي.(الطبقات الكبرى ٦/ ٣٨٩؛ إكمال تهذيب الكمال ١٠/ ٣١٢)

روى الحاكم في «المستدرك» (٨٤٨٥) هذا الحديث من طريق أحمد بن رشدين، وصححه، وقال الذهبي تعليقا عليه: «الرشدينيُّ ضعفه ابن عدي».

ورواه الطبراني بإسناد آخر أيضًا:حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي (صدوق) ، قال:حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي(ثقة ربما أغرب)، قال: حدثنا محمد بن فضيل (صدوق شيعي)، وأحمد بن بشير(المخزومي صدوق له مناكير)، عن إسماعيل بن أبي خالد(ثقة ثبت، كان يدلس، وربما يهم)، عن عامر الشعبي (ثقة مشهور)، قال: سمعت عبد الله بن الزبير، وهو يطوف بالكعبة وهو يقول: «ورب هذه البنية للعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم وما ولد». (المعجم الكبير للطبراني ١٣/ ١٢١/ ٢٩٩)

ورواه المقدسي في «المختارة» (٩/ ٣١٠/ ٢٦٨) بإسناد الطبراني.

وهذا الحديث أيضًا منكر.

في إسناده يحيى بن سليمان الجعفي مختلف فيه، قال النسائي: ليس بثقة. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما أغرب. وقال الدارقطني: ثقة، وقال مسلمة بن قاسم: لا بأس به، وكان عند العقيلي ثقة، وله أحاديث مناكير». (تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢٧).

وسبق الكلام في محمد بن فضيل بن عزوان.

وأحمد بن بشير أيضا منكر الحديث. في «تحرير تقريب التهذيب» (١/ ٥٨): «صدوق له مناكير».

ورواه الطبراني بإسناد آخر أيضًا:حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان(ثقة)، قال: حدثنا محمد بن عبيد المحاربي(ثقة)، قال: حدثنا أبو مالك الجنبي(ضعيف)، عن إسماعيل بن أبي خالد(ثقة ثبت، كان يدلس، وربما يهم)، عن الشعبي (ثقة مشهور)، عن عبد الله بن الزبير، أنه قال وهو على المنبر: «ورب هذا البيت الحرام، والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاص

وولده ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم». (المعجم الكبير للطبراني ١٣/ ١٢١/ ٣٠٠)

ورواه المقدسي أيضًا في «المختارة» (٩/ ٣١١/ ٢٦٩) بإسناد الطبراني.

وهذا الحديث أيضًا منكر، وأبو مالك الجنبي عمرو بن هاشم ضعيف.«قال البخاري: فيه نظر. وقال مسلم: ضعيف. وقال أحمد: صدوق، لم يكن صاحب حديث. وقال أبو حاتم: لين الحديث». (ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٠)

وسبق الكلام في إسماعيل بن أبي خالد.

(٣) قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير (ثقة ربما يهم)، حدثنا عثمان بن حكيم (ثقة)، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف (له رؤية)، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقني، فقال ونحن عنده: «ليدخلن عليكم رجل لعين» فوالله ما زلت وجلا، أتشوف داخلا وخارجا، حتى دخل فلان، يعني الحكم. (مسند أحمد، رقم: ٦٥٢٠)

وقال البزار: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد (القطان ثقة)، قال: أخبرنا عبد الله بن نمير، به، بلفظ: «ليدخلن عليكم رجل لعين» وكنت تركت عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقني فما زلت أنظر وأخاف حتى دخل الحكم بن أبي العاص. (مسند البزار، رقم: ٢٣٥٢)

ومدار هذا الإسناد على عبد الله بن نمير، وابن نمير وإن كان ثقة لكنه يهم، ذكر الدارقطني في «العلل» أوهامه في غير موضع، قال الدارقطني في موضع: «وفي هذا الموضع وهم من ابن نمير على إسرائيل، ... وتقديم ابن نمير لغسل الوجه على المضمضة والاستنشاق فيه، وهم منه على إسرائيل لمخالفة الأثبات عن إسرائيل، قوله». (العلل للدارقطني ٣/ ٣٤، ط: دار طيبة، الرياض)

قال الدارقطني في موضع آخر: «ورواه ابن نمير، عن مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، عن علي. وغيرُه يرويه عن مجالد، عن الشعبي، عن الحارث، عن علي، وهو المحفوظ». (العلل للدارقطني ٣/ ١٥٥)

أي: ترك ابن نمير الراوي بين الشعبي وعلي.

وقال الدارقطني في موضع ثالث: «ورواه عبد الله بن نمير، عن الزهري، عن أبي إدريس، أنه بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا... ووهم فيه. والصواب عن

الزهري، عن أبي إدريس، عن أبي هريرة». (العلل للدارقطني ٨/ ٢٩٨)

وقال الدارقطني في موضع رابع: «ورواه ابن نمير، عن الثوري، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أنس، ولم يتابع على هذه الرواية. والصحيح: عن الثوري، عن يونس، عن ابن سيرين».(العلل للدارقطني ١٢/ ٢٣٤)

وقال الدارقطني في موضع خامس في ابن نمير وراوٍ آخر: «وكلاهما وهم في إسناده على قلة وهمهما وكثرة ضبطه». (العلل للدارقطني ١٤/ ٤٤٥).

وقال الإمام الترمذي في «سننه» (حديث رقم:١١١٩): «قد وهم فيه ابن نمير».

وتفرد عبد الله بن نمير من بين تلامذة عثمان بن حكيم- برواية ما فيه لعن على الصحابي، مما يدل على وهمه، وتلامذة عثمان بن حكيم: الثوري، وعيسى بن يونس، والسبيعي، وهشيم، ومروان بن معاوية، وغيرهم أوثق من ابن نمير. ولم يروِ أحد منهم هذا الحديث، فدل على أنه منكر.

وتبدو علة أخرى في هذا الحديث وهي أن قوله: «يعني الحكم»مدرج من الراوي، بعد قوله: «حتى دخل فلان». وشطب بعض الرواة قوله: «يعني»، وقال: «حتى دخل الحكم».

(٤) قال أبو يعلى:حدثنا محمد بن عقبة(صدوق يخطئ كثيرا)، ثنا جعفر بن سليمان (صدوق شيعي)، ثنا شعبة (ثقة)، عن علي بن الحكم(ثقة)، عن أبي الحسن الجزري (مجهول)، عن عمرو بن مرة (ثقة عابد رُمي بالإرجاء)، قال: استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف كلامه، فقال: «ائذنوا له، لعنه الله وكل ما خرج من صلبه إلا مؤمنيهم، وقليل ما هم، يسرفون في الدنيا، ويوضعون في الآخرة، ذو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق». (المطالب العالية، رقم:٤٤٥٤)

ورواه الحاكم في «المستدرك» من طريق أبي الجزري بلفظ: «أن الحكم بن أبي العاص استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم صوته وكلامه، فقال: «ائذنوا له عليه لعنة الله، وعلى من يخرج من صلبه، إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق». (المستدرك للحاكم، رقم: ٨٤٨٤)

إسناده ضعيف، أبو الحسن الجزري مجهول. كذا في «التقريب».

وصحح الحاكم إسناده. وقال الذهبي: «لا والله، فأبو الحسن من المجاهيل».

وجعفر بن سليمان وإن كان من رواة البخاري، ولكن حديثه هذا غير مقبول لأجل تشيعه. قال الحافظ ابن حجر: «صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع». (تقريب التهذيب)

حكى العلامة الذهبي عن عدد من أهل العلم تشيع جعفر بن سليمان، «قال يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد لا يكتب حديثه ويستضعفه. وقال ابن سعد: ثقة فيه ضعف، وكان يتشيع. وقال أحمد بن المقدام: كنا في مجلس يزيد بن زريع فقال: من أتى جعفر بن سليمان، وعبد الوارث، فلا يقربني، وكان عبد الوارث ينسب إلى الاعتزال، وجعفر ينسب إلى الرفض. قال سهل بن أبي خدوية: قلت لجعفر بن سليمان: بلغني أنك تشتم أبا بكر وعمر! فقال: أما الشتم فلا، و لكن البغض ما شئت. قال جرير بن يزيد بن هارون بين يدي لجعفر الضبعي،: بلغني أنك تسب أبا بكر وعمر! قال: أما السب فلا، ولكن البغض ما شئت، فإذًا هو رافضي مثل الحمار. وقال حماد بن زيد: كان يتشيع، يحدث بأحاديث في علي، وأهل البصرة يغلون في علي». (ميزان الاعتدال ١/ ٤٠٨-٤١٠)

وقال ابن حجر في محمد بن عقبة السدوسي: «صدوق يخطىء كثيرا». (تقريب التهذيب).

وقال العلامة الذهبي: «روى عنه: أبو زرعة وأبو حاتم، ثم تركه أبو زرعة وأبوحاتم؛ فما حدثا عنه لضعفه». (تاريخ الإسلام ٥/ ٦٨٠)

(٥) حدثنا عبد الرزاق بن همام الإمام (ثقة رمي بالتشيع)، قال: حدثني أبي(مقبول)، عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف (متهم بالكذب)، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: «هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون». (المستدرك للحاكم، رقم: ٨٤٧٧).

هذا حديث موضوع، وإن صححه الحاكم. قال العلامة الذهبي في رده: «لا والله وميناء كذبه أبو حاتم».

نقد الإمام الذهبي للمستدرك على الصحيحين، وصاحبه الحاكم:

ساق الحاكم في «المستدرك» عددًا من الأحاديث في ذم بني أمية، وصححها رغم

ضعف رواتها وكذبهم. قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» في الحاكم وكتابه «المستدرك»: «إمام صدوق؛ لكنه يصحح في «مستدركه» أحاديث ساقطة، ويكثر من ذلك، فما أدرى هل خفيت عليه فما هو ممن يجهل ذلك، وإن علم فهذه خيانة عظيمة، ثم هو شيعي مشهور بذلك من غير تعرض للشيخين. وقد قال ابن طاهر: سألت أبا إسماعيل عبد الله الأنصاري عن الحاكم أبي عبد الله، فقال: إمام في الحديث رافضي خبيث. قلت: الله يحب الانصاف، ما الرجل برافضي، بل شيعي فقط». (ميزان الاعتدال ٣/ ٦٠٨).

وحكى في «تذكرة الحفاظ» عن محمد بن طاهر المقدسي: «قال ابن طاهر: كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفًا عن معاوية وآله، متظاهرًا بذلك ولا يعتذر منه. قلت: أما انحرافه عن خصوم علي فظاهر، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال فهو شيعي لا رافضي، وليته لم يصنِّف «المستدرك»؛ فإنه غض من فضائله بسوء تصرفه». (تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٦٥-١٦٦)

وحكى صلاح الدين الصفدي عن محمد بن طاهر المقدسي: «قال ابن طاهر: ومن بحث عن تصانيفه رأى فيها العجائب من هذا المعنى خاصة الكتاب الذي صنفه وسماه فيما زعم «المستدرك على الصحيحين» لعل أكثره إنما قصد به ثلب أقوام، ومدح أقوام».(الوافي بالوفيات ٣/ ٢٦٠)

(٦) عن معاذ بن خالد (لين الحديث) قال: نا زهير بن محمد (حديثه منكر إذا روى عنه أهل الشام) قال: نا صالح بن أبي صالح (بن مهران ضعيف)، أنه سمع نافع بن جبير (ثقة) يحدث عن أبيه قال: بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحجر إذ مر الحكم بن أبي العاص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل لأمتي مما في صلب هذا». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم: ١٥٢٠، و٦٦٦٧)

هذا حديث منكر، قال الذهبي في معاذ بن خالد العسقلاني:«له مناكير».وقال الحافظ ابن حجر:«لين الحديث».(ميزان الاعتدال ٤/ ١٣٢؛ تقريب التهذيب).

وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» في زهير بن محمد التميمي: «روى عنه أهل الشام أحاديث مناكير».(التاريخ الكبير ٣/ ٤٢٧)، ومعاذ بن خالد العسقلاني شامي، وعسقلان: هي مدينة بالشام من أعمال فلسطين». (معجم البلدان ٤/ ١٢٢)،وهي اليوم في إسرائيل أي فلسطين المحتلة.

وقال العلامة الذهبي:«ثِقَة لَهُ غرائب ضعفه ابْن معِين». (المغني في الضعفاء ١/ ٢٤١)

وحكى العلامة الذهبي في «تاريخ الإسلام» أقوال عدد من أهل العلم في زهير بن محمد، ثم قال : «قلت: له مناكير فليحذر منها».(تاريخ الإسلام ٤/ ٣٧٦)

(٧) حدثنا إبراهيم بن الحجاج السامي (ثقة يهم قليلا) حدثنا حماد بن سلمة (ثقة) عن عطاء بن السائب (صدوق اختلط) عن أبي يحيى (مجهول) قال: كنت بين الحسين والحسن ومروان يتشاتمان، فجعل الحسن يكف الحسين، فقال مروان: أهل بيت ملعونون. فغضب الحسن فقال: أقلت: أهل بيت ملعونون؟ فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وأنت في صلب أبيك. (مسند أبي يعلى، رقم:٦٧٦٤؛ المطالب العالية، رقم:٤٤٥٥؛ تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٣٦٦).

إسناده ضعيف لجهل أبي يحيى، قال الذهبي:«أبويحيى مجهول».(تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٣٦٦).

(٨) حدثنا الحسن بن العباس الرازي (ثقة)، قال: حدثنا محمد بن حميد (متروك)، قال: حدثنا هارون بن المغيرة (ثقة يتشيع)، عن عمرو بن أبي قيس(وُثِّق وله أوهام)، عن يزيد بن أبي زياد (ضعيف وكان شيعيا)، عن البهي (صدوق يخطئ)، عن ابن الزبير: «أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فلانا وولده على هذا المنبر». (المعجم الكبير للطبراني ١٣/ ١١٨/ ٢٨٩)

قال العلامة الذهبي في محمد بن حميد الرازي: «وثقه جماعة، والأولى تركه. قال يعقوب بن شيبة: كثير المناكير. وقال البخاري: فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة». (الكاشف ٢/ ١٦٦)

وقال العلامة الذهبي في هارون بن المغيرة: «ثقة يتشيع».(الكاشف٢/ ٣٣١)، وقال في «ميزان الاعتدال»: «وثقه النسائي وغيره. وقال أبو داود: ليس به بأس، هو من الشيعة. وقال السليماني: فيه نظر».(ميزان الاعتدال٤/ ٢٨٧)

وقال الحافظ ابن حجر في عبد الله البهي:«صدوق يخطئ » كذا في «التقريب».

وفي هذا الحديث علة أخرى ستأتي لاحقًا.

روى البزار في «مسنده» حديث عبد الله البهي بلفظ:... عن عبد الله البهي، مولى الزبير، قال: كنت في المسجد ومروانُ يخطُب، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: والله ما استَخلَفَ أحدًا مِن أهله، فقال مروانُ: أنت الذي نزلتْ فيك:﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾، فقال

عبدالرحمن: كذبتَ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك. (مسند البزار، رقم:٢٢٧٣)

وروى الإمام النسائي والحاكم هذا الحديث من طريق محمد بن زياد بلفظ:... عن محمد بن زياد، قال: لما بايع معاوية لابنه، قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله فيه:﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾ الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: «كذب والله، ما هو به، وإن شئت أن أسمي الذي أنزلت فيه لسميته، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان، ومروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة الله».(السنن الكبرى للنسائي، رقم:١١٤٢٧؛ المستدرك للحاكم، رقم:٨٤٨٣).

سنده منقطع، لم يثبت سماع محمد بن زياد من عائشة رضي الله عنها. قال الذهبي:«فيه انقطاع محمد لم يسمع من عائشة».(تعليق الذهبي على المستدرك للحاكم ٤/ ٤٨١)

في هذين الحديثين علة أخرى، وهي أن الإمام البخاري رواهما في صحيحه (٤٨٢٧)، ولم يذكر الحكمَ أصلا، وإنما جاء فيه تبرؤ عائشة رضي الله عنها، وهو دليل واضح على أن حديث عبد الله البهي، ومحمد بن زياد منكر.

خلاصة القول أن حديث اللعن على الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه منكر، وليس من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، أو عائشة، أو عبد الله بن الزبير، وقول الإمام الذهبي: «وقد رُوِيت أحاديث منكرة في لعنه لا يجوز الاحتجاج بها». (تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٩٨)، وكذلك قوله: «ويروى في سبه أحاديث لم تصح».(سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٠٧، ط: الرسالة) حق وصحيح.

وحكى الحافظ ابن حجر في «الإصابة» عن ابن السكن: «يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليه، ولم يثبت ذلك». (الإصابة ٢/ ٩١، ط: دار الكتب العلمية، بيروت)

لم تذكر هذه الروايات سبب اللعن، ولم نجده إلا في حديث واحد، رواه ابن عدي، وابن عساكر من طريق سليمان بن قرم: حدثنا سليمان بن قرم (غالي في الرفض)، عن الأعمش (ثقة حافظ، وكان يدلس) عن عمرو بن مرة (ثقة) عن عبد الله بن الحارث (المكتب ثقة) عن زهير بن الأقمر (ثقة) عن عبد الله بن عمرو، قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقل حديثه إلى قريش، فلعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يخرج من صلبه إلى يوم القيامة. (الكامل لابن عدي ٤/ ٢٣٩؛ تاريخ دمشق لابن

عساكر ٥٧/ ٢٧٠).

هذا الحديث موضوع، سليمان بن قرم من غلاة الروافض. قال ابن حبان: «كان رافضيا غاليا في الرفض». (المجروحين١/ ٣٣٢).

ولو سلمنا فرضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الحكم قبل إسلامه بسبب من الأسباب، كما في حديث عائشة رضي الله عنه: «ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان، ومروان في صلبه»؛ فإن مروان ولد عام ٢ هـ، وأسلم مروان وأبوه الحكم في ٨ هـ، في فتح مكة، وقوله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يهدم ما كان قبله».(صحيح مسلم، رقم:١٢١) يقتضي عفو الذنوب الماضية بعد الإسلام.

ثم إن اللعن على أولاد أحد بسبب خطئه، يعارض قوله تعالى:﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، ويبعد صدور مثل هذا الفعل من نبي الرحمة. وكيف يكون النبي لعانًا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصديق: «لاينبغي لصديق أن يكون لعانا».(صحيح مسلم، رقم:٢٥٩٧)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن اللعانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء يوم القيامة». (صحيح مسلم، رقم:٢٥٨٩)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولعن المؤمن كقتله». (صحيح البخاري، رقم:٦١٠٥)

وكيف يلعن الرسول صلى الله عليه وسلم مؤمنًا، واللعن معصية كبيرة. وقال صلى الله عليه و سلم: «ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء». (شعب الإيمان للبيهقي، رقم:٦٢٤٩، وإسناده حسن).

وقال أنس رضي الله عنه وهو يصف النبي صلى الله عليه وسلم بصفات حميدة: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابًا، ولا فحاشًا، ولا لعانًا، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ما له ترب جبينه».(صحيح البخاري، رقم:٦٠٣١).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحق في رضاه وغضبه، ومزاحه وجده، قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق». (مسند أحمد، رقم:٦٥١٠، وإسناده صحيح)

ومما لاخلاف فيه أن الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه وولده مروان كلاهما من الصحابة، أسلما في فتح مكة، ومروان يومئذ ابن ست سنوات.

قال الحافظ ابن كثير: «وهو صحابي عند طائفة كثيرة، لأنه ولد في حياة النبي صلى الله عليه و سلم، وروى عنه في حديث صلح الحديبية». (البداية والنهاية ٨/ ٢٥٧)

ولو حملنا قوله: «وما ولد» على الذرية، فهل يستحق عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمه الله اللعن، في حين يعدُّه معارضو بني أمية درة يتيمة فيهم، ويعتبره أهل العلم خليفة راشدًا؟!

قد قيض الله تعالى بني أمية لنشر الإسلام في العالم مما لم يقم به من جاء بعدهم. قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «فكانت سوق الجهاد قائمة في بنى أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعبًا، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه.

فقتيبة بن مسلم يفتح في بلاد الترك، يقتل ويسبي ويغنم، حتى وصل إلى تخوم الصين، وأرسل إلى ملكه يدعوه، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفًا وأموالا كثيرة هدية، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده، بحيث إن ملوك تلك النواحي كلها تؤدى إليه الخراج خوفًا منه. ولو عاش الحجاج لما أقلع عن بلاد الصين، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر. ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك، قتله بعض المسلمين.

ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية، وبنى بها مسلمة جامعًا يعبد الله فيه، وامتلأت قلوب الفرنج منهم رعبًا.

ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم.

وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم.

وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الإسلام وتركوا عبادة الأوثان. وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها، بعد هذه

الأقاليم الكبار، مثل الشام، ومصر، والعراق، واليمن، وأوائل بلاد الترك، ودخلوا إلى ما وراء النهر، وأوائل بلاد المغرب، وأوائل بلاد الهند. فكان سوق الجهاد قائمًا في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بنى أمية». (البداية والنهاية ٩/ ٨٦-٨٧، ط: دار الفكر)

وقال جهاد الترباني في كتابه: «مئة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ»: لا أعرف عائلة في تاريخ هذه الأمة كان لها فضلٌ على الإسلام والمسلمين أكثر من عائلة بني أمية البطلة، بل إنني لا أبالغ إذا قلت: أنني لا أعرف عائلةً حاكمة كان لها فضلٌ على بني الإنسان مثل عائلة بني أمية! والدارس لتاريخ هذه العائلة القرشية بإنصاف يجد أن لبني أمية أيادٍ بيضاء على أمة الإسلام منذ فجر الدعوة وحتى يوم القيامة، فعثمان ابن عفان الأموي هو الذي جمع القرآن لنا، وأم المؤمنين الأموية أم حبيبة بنت أبي سفيان عليها السلام ضحت بكل شيء في سبيل الإسلام، ومعاوية بن أبي سفيان الأموي هو الذي كتب الوحي من صدر رسول اللهّ، وعمرو بن العاص الأموي هو الذي فتح فلسطين، ومصر، وليبيا، وعُمان للمسلمين، وعبد الله بن عمرو بن العاص الأموي كان أول إنسانٍ كتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحفظه لنا، وعبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية كان أحد شهداء بدر الثلاثة عشر، والصحابي الجليل أبو سفيان بن حرب الأموي رضي الله عنه وأرضاه قدَّم عينيه الاثنتين في سبيل الله ورسوله، ويزيد بن أبي سفيان الأموي هو فاتح لبنان، وقائد جيوش الشام، ويزيد بن معاوية الأموي هو الذي دأب على إكرام أبناء عمومته محمد بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين وعبد الله ابن جعفر بعد أن غدر الشيعة الخونة بآبائهم.

وبنو أمية فيهم خالد بن يزيد الأموي مكتشف علم الكيمياء، وبنو أمية فيهم فاتح الشمال الأفريقي عقبة بن نافع الأموي رحمه الله، وبنو أمية فيهم عمر بن عبد العزيز الأموي، وبنو أمية هم من أنهوا الإمبراطورية الفارسية إلى الأبد في معركة «نهاوند» فقضوا على كسرى بعد أن شرَّده عمر بن الخطاب قبل ذلك في جبال آسيا، والقدس فتحت بعد حصار عمرو بن العاص الأموي لها، والوثيقة العمرية كتبت بخط يد معاوية الأموي، وقبة الصخرة بناها عبد الملك بن مروان الأموي، والأندلس فتحها الأمويون، وأرمينيا وأذربيجان وجورجيا فتحت على أيدٍ أموية، والقسطنطينية حاصرها لأول مرة يزيد بن معاوية الأموي، وتركيا فتحها الأمويون، وأفغانستان وباكستان والهند وأوزباكستان وتركمانستان وكازخستان كلها

دخلت الإسلام من على ظهور خيولٍ أموية، وحمل بنو أمية الإسلام إلى أوروبا، فالأندلس فتحها الأمويون، وجنوب فرنسا أصبح أرضًا إسلامية فقط في زمن مجاهدي بني أمية، ووصلت الجيوش الأموية إلى القرب من باريس، وأنقذ عبد الرحمن الداخل الأموي الأندلس من الدمار، وكان عبد الرحمن الناصر الأموي أعظم ملوك الأرض، ونشر بنو أمية رسلهم في أصقاع الأرض يدعون الناس إلى دين الله، فوصلت رسل الأمويين إلى الصينيين الذين أسموهم بـ «أصحاب الملابس البيضاء».

وفي عهد بني أمية انتشر العلم وساد العدل أرجاء الخلافة، ودخل الإسلام للسودان والحبشة على أيدٍ أموية، وقاد محمد بن أمية الأموي انتفاضة المورسكيين الأندلسيين بعد سقوط الأندلس، وبدأ جمع الحديث النبوي في حكم بني أمية، وبنو أمية هم الذين عرَّبوا الدواوين، وبنو أمية هم الذين صكوا العملة الإسلامية، وبنو أمية هم بناة أول أسطول إسلامي في التاريخ، ونقَّط عبد الملك بن مروان الأموي القرآن، ووصلت الخلافة الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي إلى أكبر اتساع لها في تاريخ الإسلام، فكان الأذان في عهد بني أمية يُرفع في جبال الهملايا في الصين، وفي أدغال أفريقيا السوداء، وفي أحراش الهند، وعند حصون القسطنطينية، وعند أبواب باريس، وفي مرتفعات البرتغال، وعلى شواطئ بحر الظلمات، وعند سهول جورجيا، وعند سواحل قبرص، ترفرف على قلاع تلك البلدان راياتٌ بيضاء مكتوب عليها «لا إله إلَّا الله، محمدٌ رسول الله»، هي رايات بني أمية، فجزاكم الله كل خير يا آل أمية بن حرب لما قدمتموه للإسلام.

ولا أحسب أنني الآن في حاجة لكي أوضح سبب التشويه الضخم الذي يتعرض له تاريخ هذه العائلة البطلة بعد كل ما قدموه للإسلام، فعهد بني أمية هو العهد الذي ظهرت به الدولة الإسلامية بكل ملامحها، وهو العهد الذي جمعت فيه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا شكك غزاة التاريخ في ذمة هذه العائلة المجاهدة، فعندها تكون أحاديث محمد صلى اللهَّ عليه وسلم التي بين أيدينا كلها باطلة، ويكون هذا الإسلام الذي بين أيدينا إسلامًا مزيفًا، وعندها نكون أنا وأنت بلا قيمة، وعندها نكون أنا وأنت بلا كيان!

وإذا جاء ذكر بني أمية دمعت العين لذكر بطل أموي ما عرفت الأرض مثله، دمعت العين لثالث أعظم مخلوق بعد الأنبياء، دمعت العين لإنسان قدم أعظم أسطورة حياة

للتضحية والفداء. (مئة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، ص١٧٣-١٧٥، ط: دار التقوى، شبر الخيمة، مصر).

والظاهر أنها أحاديث وضعها أعداء الإسلام، الذين لم يدخروا جهدًا في تشويه سمعة بني أمية وآبائهم الذين سعدوا بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شغل لهم في حياتهم إلا نشر الإسلام.

قال أبو اليسر عابدين بعد سوق بعض الروايات في الحكم وبني الحكم: «وإن هذه الأحاديث والأخبار ليغنينا ظاهرها الدال على الكذب عن مناقشة سندها، فكم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اللعن، وكم أنزل أصحابه عن الإبل التي كانوا يلعنونها، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما بُعِثتُ لعّانًا»... فمن أين هذه الأحاديث التي كثر اللعن في روايتها لبني أمية التي لم يدر مثلها في حق أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط... وغيرهم من رؤساء المشركين مع شدة كفرهم وعنادهم، ومع قوة إسلام هؤلاء الحامين لبيضة الدين، والذين فتحوا أقاليم الدنيا وأعلنوا الإسلام في كل مكان، فما الداعي لكثرة اللعن فيهم والإعراض عمن هو أشد وأقبح فعلًا وعملًا واعتقادًا منه؟ فلا شك في وضع هذه الأحاديث ولا حول ولا قوة إلا بالله». (أغاليط المؤرخين، ص١٢٦؛ وانظر: المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٤١٠ بتحقيق محب الدين الخطيب؛ والعواصم من القواصم، ومختصر التحفة الاثني عشرية).

ولوسلمنا فرضًا صحة هذه الروايات فإن الحكم وابنه: مروان كليهما صحابي، كما سبق، فليس ذلك ذمًّا لهما وانتقاصا منهما؛ بل هو أجر وزلفى لهم إلى الله تعالى؛ لأن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة». (صحيح مسلم، رقم:٢٦٠١).

يستهدف حملة خلافة بني أمية بصفة عامة بالطعن والتشنيع، رغم أن راية الإسلام ترفرف على العالم في خلافتهم، وخاصة عهد الوليد بن عبد الملك عهد ذهبي في الإسلام، الذي غيَّرت فتوحاتهم قسمةَ المسلمين، ولكن يتغاضى الناس عن هذه الحقائق على أرض الواقع، ويمزقون عباء خلافتهم بسهام الطعون والاعتراضات، ولا شك أن آخر عهد بني أمية قد تسرب إليه الضعف والفساد.

ومن بين هذه الطعون طعنٌ لم يتعرض له الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وهو أن معاوية رضي الله عنه قال لابن عمر رضي الله عنهما: «نحن أحق بهذا الأمر منك، ومن

أبيك». رواه البخاري في «صحيحه» وغيره من أصحاب الكتب.

ولم نطلع على الجواب عن هذا الاعتراض فيما وصلت إليه يدنا من الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، فاستعرضناه بشيء من التفصيل.

تحقيق قول معاوية رضي الله عنه: «من أحق بهذا الأمر منا»، وقوله: «نحن أحق به منه، ومن أبيه»، ومعناه الصحيح أن المراد بقوله: «هذا الأمر» الثأر لعثمان، لا الخلافة:

روي عن معاوية رضي الله عنه قوله: «من أحق بهذا الأمر منا؟» بثلاثة أسانيد، كلها منقطعة.

١- حدثنا سعيد (صاحب السنن) قال: نا إسماعيل بن إبراهيم (حافظ، وهو ابن علية)، قال: نا أيوب (من كبار الفقهاء العباد، وهو السختياني)، قال: نُبِّئْتُ أن ابن عمر، كان عند معاوية، فقال: «من أحق بهذا الأمر منا، ومن ينازعنا في هذا الأمر»؟ قال: «فهممت أن أقول: الذين قاتلوك وأباك على الإسلام، فخشيت أن يكون في قولي هذا هراقة الدماء، وأن يحمل قولي على غير الذي أردت، وذكرت ما عند الله من الجنان». (سنن سعيد بن منصور ٢/ ٣٩٩)

إسناده منقطع، أيوب السختياني ولد في ٦٦هـ، وتوفي معاوية رضي الله عنه عام ٦٠هـ، والراوي بين أيوب السختياني وابن عمر رضي الله عنهما مجهول.

٢- حدثنا علي (هو أبو الحسن علي بن محمد الحميري، الحافظ الثقة)، حدثنا محمد بن العلاء (ثقة، حافظ)، حدثنا ابن إدريس (ثقة، فقيه، وهو عبد الله بن إدريس أبو محمد الكوفي)، عن مسعر (أحد الأعلام)، عن أبي حصين (ثقة، ثبت، سني، وربما دلس، وهو عثمان بن عاصم الكوفي)، قال: قال معاوية رضي الله عنه: «من أحق بهذا الأمر منا»؟، قال: وابن عمر شاهده، قال: «فأردت أن أقول: أحق منك من ضربك عليه وأباك، فذكرت ما أعد الله في الخلاف، فخفت أن يكون كلامي فسادًا ». (جزء علي بن محمد الحميري ١/ ٥٤؛ تاريخ دمشق ٣١/ ١٨٣).

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي (صدوق، وهو ابن كناسة) قال: أخبرنا مسعر بن كدام (أحد الأعلام)، عن أبي حصين (ثقة، ثبت، سني، وربما دلس، وهو

عثمان بن عاصم الكوفي) أن معاوية قال: «ومن أحق بهذا الأمر منا»؟ فقال عبد الله بن عمر: «فأردت أن أقول: أحق منك من ضربك وأباك عليه، ثم ذكرت ما في الجنان، فخشيت أن يكون في ذاك فساد». (الطبقات الكبرى ٤/ ١٨٢)

إسناده أيضا منقطع، ولم يشهد أبوحصين هذه الوقعة، قال ابن حجر في أبي حصين عثمان بن عاصم في «تقريب التهذيب»: «ثقة ثبت سني ربما دلس».

رواه أبو حصين (م:١٢٨هـ) عن معاوية رضي الله عنه(م:٦٠هـ)، وتوفي أبوحصين عام ١٢٧، أو ١٢٨هـ، وصوب الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤١٢) الأخيرَ. وروى العلامة المزي في «تهذيب الكمال» عن بعض متأخري الوفاة من الصحابة أمثال: أنس بن مالك (م:٩٣هـ)، وسمرة (م:٧٤هـ) وغيرهما رضي الله عنهم، في حين عدَّ ابن حبان أبا حصين من التابعين، قال علاء الدين المغلطائي في «تهذيب الكمال»: «ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات» في الذين رووا عن التابعين كأنه لم يصحح روايته عن الصحابة الذين ذكرهم المزي، وقال: مات سنة ثمان وعشرين. وقد قيل: سنة سبع وعشرين و مئة». (إكمال تهذيب الكمال ٩/ ١٥٦)

ووافق الحافظ ابن حجر ابن حبان، قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» في ترجمة أبي حصين عثمان بن عاصم: «قلت: وذكره ابن حبان في الثقات في أتباع التابعين، وقال: مات سنة ٢٨ وقد قيل سنة ٢٧، فروايته عن الصحابة عند ابن حبان مرسلة. وهو الذي يظهر لي».(تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٨).

كما يدل بعض أقوال أبي حصين على أنه كان يسيء الظن بني أمية؛ «قال أبو بكر بن عياش: دخلت على أبي حصين وهو مختف من بني أمية، فقال: إن هؤلاء يريدوني عن ديني، والله لا أعطيهم إياه أبدا». (تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٧)

٣- قال ابن سعد: أخبرنا عارم بن الفضل(ثقة، تغير في آخر عمره، وهو محمد بن الفضل السدوسي) قال: حدثنا حماد بن زيد (أحد الأعلام)، عن معمر (ثقة، ثبت)، عن الزهري (أحد الأعلام) قال: لما اجتمع على معاوية قام، فقال: «ومن كان أحق بهذا الأمر مني»؟ قال ابن عمر: «فتهيأت أن أقوم فأقول: أحق به من ضربك وأباك على الكفر، فخشيت أن يظن بي غير الذي بي». (الطبقات الكبرى ٤/ ١٨٢).

هذا حديث مرسل، ولم يعتد المحدثون مراسيل الزهري. «قال يحيى بن معين: مراسيل

الزهري ليس بشيء». (المراسيل لابن أبي حاتم، ص٣)

فعُلِمَ منه أن هذه الروايات الثلاث لا يحتج بها لانقطاعها، نعم وردت ألفاظ في معناها في بعض الصحاح:

٤- قال ابن سعد:أخبرنا يزيد بن هارون(أحد الأعلام) قال: أخبرنا العوام بن حوشب(ثقة، ثبت)، عن حبيب بن أبي ثابت (ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس)، عن ابن عمر قال: لما كان من موعد علي ومعاوية بدومة الجندل، ما كان أشفق معاوية أن يخرج هو وعلي منها، فجاء معاوية يومئذ على بختي عظيم طويل، فقال: «ومن هذا الذي يطمع في هذا الأمر أو يمد إليه عنقه»؟ قال ابن عمر: «فما حدثت نفسي بالدنيا إلا يومئذ، فإني هممت أن أقول: يطمع فيه من ضربك وأباك عليه حتى أدخلكما فيه، ثم ذكرت الجنة ونعيمها وثمارها، فأعرضت عنه». (الطبقات الكبرى ٤/ ١٨٢).

ورواه الطبراني بإسناد آخر: قال الطبراني: حدثنا أسلم بن سهل الواسطي (الحافظ، وهو بحشل)، ثنا وهب بن بقية (ثقة)، أنبأنا محمد بن الحسن المري (ثقة، وهو الواسطي)، عن العوام بن حوشب (ثقة، ثبت)، عن حبيب بن أبي ثابت (ثقة فقيه جليل، و كان كثير الإرسال والتدليس)، عن ابن عمر، قال: «لما كان اليوم الذي اجتمع فيه علي ومعاوية بدومة الجندل، قالت لي حفصة: إنه لايجمل بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أنت صهر رسول الله وابن عمر بن الخطاب، فأقبل يومئذ معاوية على بختي عظيم، فقال: من يطمع في هذا الأمر أو يرجوه أو يمد إليه عنقه»؟ قال ابن عمر: «فما حدثت نفسي بالدنيا قبل يومئذ، فهممت أن أقول: يطمع فيه من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه، فذكرت الجنة و نعيمها فأعرضت عنه».(المعجم الكبير:١٣/ ١٥١. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٠٨) ،وقال:«رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله ثقات، والظاهر أنه أراد: صلح الحسن بن علي، و وهم الراوي».

إسناده منقطع، لم يسمع حبيب بن أبي ثابت من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلا ثلاثة أحاديث، وليس هذا الحديث منها، قال الإمام أحمد رحمه الله: «حدثني ابن خلاد قال: سمعت يحيى القطان يقول: عدَّ عليَّ سفيانُ عن حبيب بن أبي ثابت: سمعت ابن عمر ثلاثة يعني حديث الضالة، وتأتونا بالمعضلات، وسئل ابن عمر وأنا أسمع عن رجل وهب لابنه ناقة، ثم قال: ليس غير هذه عن ابن عمر». (العلل ومعرفة الرجال ٣/ ٢٢٠)

٦- عبد الرزاق (ثقة رُمي بالتشيع)، عن معمر (ثقة، ثبت)، عن الزهري (أحد الأعلام)، عن سالم (أحد الفقهاء السبعة)، عن ابن عمر؛ قال معمر: وأخبرني ابن طاووس (ثقة، فاضل)، عن عكرمة بن خالد (ثقة)، عن ابن عمر قال: «دخلت على حفصة ونوساتها تنطف، فقلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، ولم يجعل لي من الأمر شيء». قالت: «فالحق بهم، فإنهم ينتظرونك، والذي أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى يذهب. فلما تفرق الحكمان خطب معاوية فقال: «من كان متكلما فليطلع قرنه». (مصنف عبدالرزاق، رقم:٩٧٧٩)

رجال هذا الإسناد كلهم ثقات، إلا أن عبد الرزاق اتُّهِمَ بالتشيع. وسبق تفصيله في موضع آخر.

قال عبد الرزاق بعد حكاية كلام الحكمين عند التحكيم:

٧- قال عبد الرزاق: قال الزهري: عن سالم، عن ابن عمر؛ قال معمر(ثقة): وأخبرني ابن طاووس (ثقة، فاضل)، عن عكرمة بن خالد(ثقة)، عن ابن عمر قال: «فقام معاوية عشية فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد، فمن كان متكلما في هذا الأمر، فليطلع لي قرنه، فوالله لايطلع فيه أحد إلا كنت أحق به منه ومن أبيه». قال: يعرض بعبد الله بن عمر، قال عبد الله بن عمر: «فأطلقت حبوتي فأردت أن أقوم إليه فأقول: يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك فيه الدماء، وأحمل فيه على غير رأي، فكان ما وعد الله تبارك وتعالى في الجنان أحب إلي من ذلك»، قال: «فلما انطلقت إلى منزلي أتاني حبيب بن مسلمة فقال: ما الذي منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل أن يتكلم فقلت له: لقد أردت ذلك ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك فيها الدماء، وأحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله تبارك وتعالى في الجنان أحب إلي من ذلك كله، فقال حبيب بن مسلمة لعبد الله بن عمر: فداك أبي وأمي، فإنك عصمت، وحفظت مما خفت عُرَّتَه». (مصنف عبد الرزاق ٥/ ٤٦٥)

٨- حدثني إبراهيم بن موسى (الحافظ)، أخبرنا هشام (ثقة وهو ابن يوسف الصنعاني)، عن معمر (ثقة، ثبت)، عن الزهري (أحد الأعلام)، عن سالم (أحد الفقهاء السبعة)، عن ابن عمر. قال: وأخبرني ابن طاووس (ثقة، فاضل)، عن عكرمة بن خالد

(ثقة)، عن ابن عمر، قال: «دخلت على حفصة و نسواتها تنطف، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين، فلم يجعل لي من الأمر شيء، فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: «من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه»، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: «فحللت حبوتي، وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان»، قال حبيب: حفظت وعصمت. قال محمود، عن عبد الرزاق: ونوساتها. (صحيح البخاري، رقم:٤١٠٨)

٩- نا أبو يحيى زكريا بن يحيى الناقد (ثقة)، نا صالح بن عبد الله الترمذي (ثقة)، نا محمد بن الحسن (ثقة، وهو الواسطي)، عن العوام بن حوشب (ثقة، ثبت)، عن جبلة بن سحيم (ثقة)، عن ابن عمر قال: «لما كان أمر الحكمين قالت لي حفصة: إنه لا يجمل بك إلا الصلح، يصلح الله بك بين هذه الأمة، أنت صهر رسول الله، وابن عمر بن الخطاب»، قال: «فخرجت فانتهيت إليهم وقد اجتمعوا على أن يولوني، فخرج معاوية فظن أني قدمت لذلك على جمل أحمر جسيم، فجعل يقول: مَن ثَمَّ ذكَر كلمةَ هذا الأمر «من يرجو هذا الأمر»، فأردت أن أقول: «من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه كرها، ثم ذكرت الجنة ونعيمها فانصرفت عنه». (معجم ابن الأعرابي: ٢/ ٨٠٠؛ تاريخ دمشق: ٣١/ ١٨٢)

ومحمد بن الحسن إن كان تلميذ العوام بن حوشب فهو الواسطي ثقة، ولم نجد في تلاميذه من اسمه صالح بن عبد الله الترمذي. وإن كان أستاذ صالح بن عبد الله فهو أبو جعفر محبوب ضعيف، ولم نجده في تلاميذ العوام بن الحوشب. ولم نجد أيضًا أن زكريا بن يحيى سمع من صالح بن عبدالله أم لا.

ملخص هذه الروايات أن الروايات الثلاث الأول التي أسانيدها منقطعة، وردت بلفظ «من أحق بهذا الأمر منا»، ووردت الرواية الرابعة والرواية الخامسة بلفظ: «ومن هذا الذي يطمع في هذا الأمر، أو يمد إليه عنقه»؟، وإسناد هذه الرواية منقطع أيضًا، والرواية السادسة وردت بلفظ:«من كان متكلما فليطلع قرنه»، ورواتها كلهم ثقات غير عبد الرزاق فمتهم بالتشيع، والرواية السابعة وردت بلفظ : «لايطلع فيه أحد إلا كنت أحق به منه ومن

أبيه»، والرواية الثامنة بلفظ: «نحن أحق به منه ومن أبيه»، وإسنادها صحيح. والرواية التاسعة قال فيها ابن عمر: ظن معاوية أني جئت أطلب الإمارة، فقال: «من يرجو هذا الأمر».

اختلفت آراء المحققين في المناسبة التي قال فيها معاوية هذا الكلام:

١- قال العلامة ابن الجوزي: الشطر الأول من الرواية التي ورد فيها أن ابن عمر دخل على أخته حفصة رضي الله عنها، وكان ذلك بعد وفاة عمر رضي الله عنه، ولم يكن ابن عمر من الستة المنصوبين للخلافة. فقال: «لم يجعل لي من الأمر شيء». والشطر الثاني من الرواية وفيه ذكر خطبة معاوية رضي الله عنه، كان وقت نصب يزيد بن معاوية وليًّا للعهد.

ورأي ابن الجوزي هذا غير صحيح.

٢- خطب معاوية في ذلك حين انعقد الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما. وهذا رأي العلامة نور الدين الهيثمي، وهذا أيضًا غير وجيه.

٣- خطب معاوية حين نصب ابنه يزيد وليًّا للعهد. وهذا رأي غير سديد.

٤- خطب بعد يوم صفين عند التحكيم، فقول عبد الرزاق في «مصنفه»: «فلما تفرق الحكمان خطب معاوية» يدل عليه بصراحة. وهذا هو القول الصحيح المناسب.

فقول معاوية في هذه الخطبة: «هذا الأمر» المراد به طلب الثأر لعثمان رضي الله عنه، وكان معاوية رضي الله عنه أقرب نسبًا إلى عثمان، ومعه ابنه: أبان بن عثمان، فوصف معاوية نفسه بأنه «أحق»، وحمل ابن عمر قولَه: «هذا الأمر» على الخلافة، فأراد أن يرد عليه، لكنه التزم الصبر، ولم يردَّ . ونظيره أن معاوية رضي الله عنه قال بعد مقتل عمار رضي الله عنه: «إنما قتله الذين جاءوا به»، أي: قتله أهل الفتنة. وظن علي رضي الله عنه أنه أراد به «المخلصين»، فقال: إذًا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة؟! وكان معاوية أراد به أن قاتليه هم المفسدون وقتلة عثمان رضي الله عنه. وكنا تحدثنا كثيرًا في تفصيل مصادر هذه الآراء، ثم شطبنا هذه التفاصيل للاختصار.

١٠٦- وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا[١] لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - تَفْضِيْلًا لَهُ[٢] وَتَقْدِيْمًا عَلَى جَمِيْعِ الْأُمَّةِ[٣]، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-[٤] وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّوْنَ[٥].

نبذة عن الخلفاء الراشدين، وخلافتهم:

ثبتت خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصوص تصريحًا وإشارةً، كما أن أهل الإيمان كلهم اعتبروه عن رضا وطواعية –خليفةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الأمة المحمدية اتفقت على أن أفضل الناس في الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضي الله عنه، ولا ينكر فضله إلا منافق أو كافر .

ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة سنتين وثلاثة أشهر على منهاج النبوة، فلما دنا أجل رحيله من هذه الدنيا الفانية استخلف عمر رضي الله عنه، واعترفت الأمة كلها بعد وفاته بخلافة عمر رضي الله عنه؛ لأنه أفضل الناس بعد أبي بكر رضي الله عنه، وأعلاهم منزلةً.

استمرت خلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر على منهاج النبوة، فلما طعنه أبو لؤلؤ المجوسي ودنا أجله جعل خلافته في ستة نفر: عثمان، و علي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين.

جعل ثلاثة منهم أمرهم إلى ثلاثة، فجعل الزبير أمره إلى علي، وطلحة إلى عثمان، وسعد إلى عبد الرحمن، ثم تنازل عبد الرحمن، فلم يبق إلا عثمان وعلي رضي الله عنهما،

(١) قوله «أولا» سقط من ٢، ٢٤. والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قوله «له» سقط من ١، ٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) سقط من ٦ من قوله «تفضيلا» إلى قوله «الأمة». والمثبت من بقية النسخ.

(٤) قوله «ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه» سقط من ٤. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) في ٥ «المهتدون». وسقط من ٩، ٣٤ قوله «والأئمة المهديون». وسقط من ١٤ قوله «والأئمة». والمثبت من بقية النسخ. وفي ١، ١٢ بعد قوله «المهديون» زيادة «الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون». والمفهوم سواء.

وجعلا أمر الاختيار إلى عبد الرحمن رضي الله عنه.

وكان ذلك أيام الحج، والناس في المدينة المنورة، فاستشار عبد الرحمن رضي الله عنه أهل الحل والعقد وأهل الرأي واحدًا واحدًا، ثلاثة أيام، وكلهم يشير عليه بأن يختار عثمان رضي الله عنه، وبعد ثلاثة أيام أرسل عبد الرحمن إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وإلى أمراء الأجناد فلما حضروا صعد إلى المنبر فتشهد، ثم قال: يا علي، إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلا» أي: يعدون عثمان أفضل الناس، وأحقهم بالخلافة، فأختار عثمان خليفة، ولا تجعل اختياري هذا اجتهادًا مني، فلم آتِ شيئًا برأي مني؛ بل بالتشاور مع الناس، ثم التفت عبد الرحمن إلى عثمان رضي الله عنه، فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله، والخليفتين من بعده. فقال عثمان: نعم، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد، والمسلمون.(صحيح البخاري، باب كيف يبايع الإمام الناس، رقم:٧٢٠٧)

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «لم يتفق الناس على بيعةٍ كما اتفقوا على بيعةِ **عثمان**». (المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي، ص٤٠٢)

وقال عبد الرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنه: «يا علي! إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يَعدِلون بعثمان».(صحيح البخاري، رقم:٧٢٠٧)

استمرت خلافته اثني عشر عامًا إلا اثني عشر يومًا، وفي آخر خلافته بدأ عبد الله بن سبا- رئيس الأشرار، وكان يتظاهر بالإسلام- يستغل رفق عثمان رضي الله عنه، ويطعن فيه، و لم يأت عثمان رضي الله عنه شيئا يوجب ذمَّه شرعًا. وبدأ المنافقون وبعض الناس السذج الذين أثرت فيهم أقوال المنافقين المعسولة يتهمون عثمان رضي الله عنه تهمًا كثيرة، مما لا أصل له، وكانوا يطلبون من عثمان أن يتنازل عن الخلافة، ويتولوا أمر عزل العمال و نصبهم.

وهددوه بأنهم سيقتلونه إن لم يخضع لمطالبهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عثمان بألا ينزع القميص-الخلافة- الذي يلبسه الله تعالى، فرد عثمان رضي الله عنه مطالبهم. واستمرت مطالبهم ومعارضتهم حتى خرج عليه بعض أوباش مصر، وقدموا المدينة وحاصروا بيت عثمان رضي الله عنه، وقطعوا الماء إليه، وأراد الصحابة المتواجدون في المدينة المنورة القضاء عليهم، ولكن حال دون ذلك عثمان رضي الله عنه وقال: لا أرضى أن

يُقتل المسلمون لأجلي. وفي نهاية المطاف قتل الأشرار عثمانَ رضي الله عنه. إنا لله وإنا إليه راجعون.

بدأ أهل الفتنة وقتلةُ عثمان رضي الله عنه، القادمين من مختلف المدن إلى المدينة المنورة يبحثون عمن يبايعونه بعد مقتل عثمان ليكون لهم ملاذا سياسيًّا، فرأى أهل البصرة منهم مبايعة طلحة رضي الله عنه، وذهب الكوفيون إلى استخلاف الزبير رضي الله عنه، وقال أهل المصر باستخلاف علي رضي الله عنه، وأبى طلحة والزبير رضي الله عنهما البيعة لهما كل الإباء، كما أن عليا رضي الله عنه أبى في أول أمره الخلافةَ، فلما لم يجد هؤلاء من ينصبونه خليفة طلبوا من علي مرةً أخرى قبولها، وأخذوا معهم طلحة والزبير إليه، وقالوا: لا تُترك الأمة بغير أمير لها، فرضي علي رضي الله عنه قبول الخلافة في مثل هذه الأوضاع.

والحق أنه لم يكن أحدٌ أفضل من علي رضي الله عنه يومئذ، فبايعه طلحة، والزبير، وغيرهما من أهل المدينة في عدد كبير في المسجد النبوي، وروي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما في بيعتهما لعلي رضي الله عنه عدد من الروايات، كما سيأتي تفصيلها لاحقا.

وكان فيمن بايع عليا رضي الله عنه قتلةُ عثمان رضي الله عنه، ولم يكن لعلي رضي الله عنه أن يأبى بيعتهم نظرًا لاستيلائهم على أهل المدينة والأوضاع المقلقلة فيها، فاضطر إلى قبول بيعتهم، فتحقق لأهل الفتنة ملاذ سياسيٌّ.

فلما انتهى عليٌّ رضي الله عنه من بيعة أهل المدينة بخلافته، دخل طلحة والزبير وكبار الصحابة عليه، وقالوا له: لقد توليت الخلافة، فنفِّذ في قتلة عثمان حكم الله تعالى، فاعتذر علي رضي الله عنه بأن أهل الفتنة قد غلبوا واستولوا، فلا يمكن الثأر منهم، وسيفتح الثأر منهم بابًا أوسع من الفتنة.

إن مقتل عثمان المفاجئ، واعتذار علي عن الثأر من قتلة عثمان، وتجول القتلة وأهل الفتنة في المدينة من غير خوف ولا وجل؛ بل تغلبهم واستيلاؤهم عليها مما أقلق الصحابة والتابعين وأقض مضاجعهم كثيرا، وتوجه طلحة والزبير-بإذن من علي رضي الله عنه- إلى مكة للعمرة، وصحبه كثير من الناس، وعمد النعمان بن بشير رضي الله عنه وآخرون الشامَ.

وصل طلحة والزبير بمن معهما إلى مكة المكرمة، وبها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مسبقا، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد توجهوا إلى مكة يعتمرون. وكلهم

في غم وحزن على قتل عثمان رضي الله عنه ظلما، يريدون التعجل في الثأر له. وفي جانب آخر كان معاوية رضي الله عنه وجماعة عظيمة من الصحابة رضي الله عنهم معه يطلبون من علي رضي الله عنه الثأر لعثمان، ويرون أن البيعة لعلي رضي الله عنه مع تواجد القتلة في صفه؛ بل تغلبهم لا يجدي كثيرا.

وكان علي رضي الله عنه قد اعتذر إلى طلحة والزبير عن الاستعجال في أمر الثأر، فتوجها هما وعائشة رضي الله عنهم إلى البصرة لتعزيز أمر الثأر، وسعيا في الصلح بين الفريقين، وانضم إليهم آخرون في الطريق، فلما بلغ ذلك عليا رضي الله عنه توجه إلى البصرة، ومعه أصحاب الفتنة الذين شاركوا في قتل عثمان رضي الله عنه، فلما بلغ البصرة جرى الحوار بينهما، فرضيت عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ومن معهم بالبيعة لعلي رضي الله عنه، ورضي علي رضي الله عنه بأخذ الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه، وأعلن في حزبه أن يفارقه قتلة عثمان. فسقط في أيدي أهل الفتنة بهذا الإعلان، وطار لبهم، وتشاوروا فيما بينهم خفية، وتفرقوا على مجموعتين: مجموعة اندست إلى جماعة علي رضي الله عنه وأخرى انسلت إلى جماعة طلحة والزبير رضي الله عنهما في جنح من الليل، وهجم بعضهما على بعض، ونادوا بأن الفريق الآخر خان وغدر، فحوَّلت مكيدة أهل الفتنة هذه صلحَ الفريقين إلى حرب، حتى قُتِل كثير من الصحابة بمن فيهم طلحة والزبير رضي الله عنهما، وراجت مكيدتهم. و أرسل علي رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها في حفظ وأمان، وشد رحاله إلى الكوفة، وهو يعض بنان الندم والأسف على قتل المبشرين بالجنة من طلحة والزبير وغيرهما من الصحابة.

دخل علي رضي الله عنه الكوفة في ١٢/ رجب عام ٣٦هـ، واتخذها مقرا لخلافته بدلا من المدينة المنورة، واستقر بها المقام، ثم أقبل على تدبير شؤون الدولة في مختلف أنحائها، وعزلَ عمال عثمان رضي الله عنه ونصب عمالًا آخرين مكانهم، وعزل معاوية وولى سهل بن حنيف مكانه، ولكن ردَّه أهل الشام من تبوك.

وأقبل علي رضي الله عنه غير مرة على أهل الشام، وحمل الناس على مساعدته في أخذ البيعة من أهل الشام له، فنصب عقبة بن عامر نائبا له وتوجه إلى الشام، ونزل في ذي الحجة عام ٣٦هـ قرب نهر الفرات.

فلما بلغ معاوية ذلك أخذ من أهل الشام – بعد التشاور من أكابرها و وجوها– البيعة لطلب دم عثمان رضي الله عنه، والتقى الفريقان في المحرم عام ٣٧هـ في «صفين». وحاول غير واحد من الناس عقد الصلح بينهما، ولكن ثبت الفريقان على موقفهما. وكان علي يقول :يجب أن يدخل أهل الشام في بيعتي، ثم يطلبوا بدم عثمان، وكان معاوية وجماعته يقولون: لا نرضى بالبيعة لعلي مادام قتلة عثمان معه، فإما أن يتولى هو قتلهم، أو يدفعهم إلينا، فإننا نحن ورثة عثمان.

لم يتزحزح أحد من الفريقين عن موقفه، فثبت معاوية على طلب دم عثمان، ولم ير أصحاب علي مطالبته تستحق العناية. وكان في الفريقين –بجانب المخلصين والأوفياء– أصحاب النوايا الخبيثة من عامة الناس، والذين شاركوا في قتل عثمان رضي الله عنه، فلم يرعوِ هؤلاء عما طبعوا عليه من الشر والفتنة، حتى بدأ القتال بين الفريقين، وقتل أناس كثيرون من الفريقين في الحرب.

ودبَّر أهل الشام لإنهاء القتال أن قالوا: يجب قبول كل فريق لحكم كتاب الله تعالى، فلبى علي رضي الله عنه دعوة الصلح هذه، واختار له أبا موسى الأشعري رضي الله عنه. واختار معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه، فاجتمع الحكمان بعد ستة أشهر على الموعد المحدد في رمضان عام ٣٧هـ بدومة الجندل، وتوصل الحكمان إلى أنه يجب الثأر لعثمان رضي الله عنه، وخلافة علي رضي الله عنه صحيحة فعلا، وأما لجوء أحدهما إلى السيف لفرض خلافته الشرعية، وتولي الآخر الثأر لعثمان رضي الله عنه فخطأ اجتهادي. فيجب أن يغمد علي سيفه، ولا يتولى معاوية الثأر من قتلة عثمان بنفسه، وما لم يتم فصل القضاء الواضح في جمع من عامة الصحابة رضي الله عنهم يدير الفريقان شؤون المناطق الخاضعة لهما، ويحذران –كل الحذر– الاعتداءَ والهجوم بعضهما على بعض.

وزال الخلاف بين المسلمين لحد كبير بعد قصة التحكيم هذه، وتنفس المسلمون الصعداء، ولكن اعتبر قتلةُ عثمان وأهلُ الفتنة الآخرون المندسون في جماعة علي رضي الله عنه التحكيمَ أمرًا غير شرعي، وخرجوا عليه، وقاتلهم علي رضي الله عنه على بغيهم، وقتِل غير واحد من شجعان الخوارج في هذه الحرب.

وفي أعقاب حرب نهروان، اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم،

وبرك بن عبد الله، وعمر بن بكر التميمي في مكة المكرمة، وندبوا إخوانَهم المقتولين في حرب نهروان، وزعموا أن هدفهم لن يتحقق مادام علي ومعاوية وعمرو بن العاص على قيد الحياة، فولي عبد الرحمن بن ملجم قتلَ علي رضي الله عنه، وولي برك بن عبد الله قتل معاوية رضي الله عنه، و ولي عمرو بن بكر التميمي قتلَ عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقرروا الهجوم عليهم يومًا واحدًا في وقت واحد وهو وقت صلاة الفجر من ١٧/ رمضان المبارك. وكان معاوية رضي الله عنه أصيب في وركه بجرح، فنجا، ومرض عمرو بن العاص رضي الله عنه، فبعث من يؤم الناس مكانه، فقتِل، وقتِل علي رضي الله عنه بيد عبد الرحمن بن ملجم. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

يقال: قتل عليًّا رضي الله عنه ابنُ ملجم الخارجي، ويقول محمد الباقر المجلسي في «جلاء العيون»: كان عبد الرحمن بن ملجم من شيعة علي، وبايعه، وأخذ عليه عليٌّ العهد الموثق بعدم نقض البيعة.

وبعد مقتل علي رضي الله عنه دعا الحسين رضي الله عنه الناس إلى بيعته، وولي الخلافة ستة أشهر، فلما ضاق ذرعًا من شر أهل الكوفة، عَرَضَ على معاوية رضي الله عنه الصلح، فأرسل معاوية رضي الله عنه عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز إلى الحسن رضي الله عنه لعقد الصلح، وقال لهما: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فدخلا عليه فتكلما، وقالا له: فطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب، قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك قال: فقال الحسن: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئا إلا قالا: نحن لك به، فتنازل الحسن عن الخلافة، فسمي عام الجماعة، ثم أقبل المسلمون على فتح البلاد، فجزاه الله عن جميع الأمة. وإلى هذا الصلح أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». (صحيح البخاري، رقم:٢٧٠٤)

فهؤلاء الخلفاء الأربعة كانوا منارة الهدى والرشد، وكانت خلافة الحسن رضي الله عنه تكملة للخلافة على منهاج النبوة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ». (سنن الترمذي، رقم:٢٦٧٦، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح)

وتفاصيل ما تقدم ستأتي في الصفحات التالية.

سبب التكني بـ أبي بكر الصديق:

قال الشيخ محمد أحمد كنعان في «جامع اللآلي»: «ولم أجد فيما رجعت إليه من المراجع، وهي كثيرة من ذكر سبب تكنيته، أو تسميته مع شهرته». (جامع اللآلي شرح بدء الأمالي، ص٢٥٠)

وقد وجدنا سببين لتكنيه به:

١- يفيد ما رواه البخاري أن أبا بكر تزوج امرأة قبل الهجرة، اسمها أم بكر، وكان أبو بكر طلقها قبل الهجرة، ثم تزوجها ابن عمها: شداد بن الأسود، فالظاهر أن الأم لما كانت أم بكر كان الأب أبا بكر. ذكره البخاري في باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم و أصحابه (١/ ٥٥٨)، وابن حجر في «الإصابة» (٧/ ٣٨). والزوج الآخر لأم بكر اسمه شداد.

٢- قال علي الطنطاوي في كتابه «أبو بكر الصديق» (ص٤٦): البكر هو الجمل الشاب، وكان بكر سيد قبيلة عربية كبيرة، وأولاده بنو بكر، فمعنى «أبو بكر» والد الرئيس.

سبب تسمية أبي بكر بـ «الصديق»:

الصديق: لقب لأبي بكر رضي الله عنه، لقَّبه به الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك لما عُرِجَ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بأن يخبر الناس به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن قومي لا يصدقوني». فقال جبريل عليه السلام: «يُصدّقك أبوبكر، وهو الصدّيق». (أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم:٧١٧٣. وأحمد في فضائل الصحابة، رقم:١١٦، و٥٤٠، وإسناده ضعيف).

قال علي رضي الله عنه: «لأنزل الله تعالى اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء صديقًا». (المستدرك للحاكم ٣/ ٦٢، وقال الحاكم: لولا مكان محمد بن سليمان السعيدي من الجهالة لحكمت لهذا الإسناد بالصحة. ووافقه الذهبي)

وقال ابن شهاب: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: فتجهز ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك في صاحبك يزعم أنه قد جاء بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال فأشهد، لئن كان قال ذلك لقد صدق.

قالوا: فتصدقه بأن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني أصدقه بأبعد من ذلك: أصدقه بخبر السماء، قال أبو سلمة: فبها سمي أبو بكر «الصديق»، رضي الله عنه. (دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٦٣٠، وهذا سند صحيح مرسل)

الصديق: معناه كثير الصدق، أي: صادق القول.

ذكرت كتب الحديث والتراجم عددًا من الوجوه لتسمية أبي بكر بالصديق. قال محب الدين الطبري (م:٦٩٤هـ): «كان هذا اللقب قد غلب عليه في الجاهلية؛ لأنه كان في الجاهلية وجيهًا رئيسًا من رؤساء قريش، وكانت إليه الأشناق، وهي الديات، كان إذا تحمل شنقًا قالت قريش: صدقوه، وأمضوا حمالته وحملها من قام معه، وإذا تحملها غيره خذلوه ولم يصدقوه. قال الجوهري: الشنق ما دون الدية. وقيل: سمي صديقًا؛ لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء...، وقيل: سمي صديقًا لبداره إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به عمومًا، ويشهد لراجحية هذا القول أن الصديق في اللغة -فعيل- معناها المبالغة في التصديق، أي: يصدق بكل شيء أول وهلة. (ثم ذكر الأحاديث لتأييد ذلك، ثم قال:) ولا حجة في هذه الأحاديث لأحد المعنيين بعينه، بل يجوز أن يكون سماه الله ورسوله صديقًا لهما، ويجوز أن يكون لأحدهما، ويجوز أن يكون سمي بذلك مبالغة في وصفه بالصدق، ويشهد لذلك ما رواه أبو الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي بكر». (الرياض النضرة ١/ ٧٩-٨٢، ذكر اسمه الصديق)

خبر ارتداد الصحابة حين سمعوا قصة المعراج، باطل:

قالت عائشة رضي الله عنه: «لما أسرِي بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدَّث الناس بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسرِي به الليلة إلى بيت المقدس، قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تُصَدِّقُه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبِح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، فلذلك سمي أبو بكر الصديق». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٤٥٨. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين)

وهذا الحديث -وإن صححه الحاكم، والذهبي- لا يصح في الواقع سندًا ولامتنًا. وأما سندًا فلا يصح، لأن فيه راويا: محمد بن كثير الصنعاني، قال الحافظ ابن حجر في «تقريب التهذيب» فيه: «صدوق كثير الغلط». وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط وبشار عواد: «بل ضعيف يعتبر به في المتابعات والشواهد، فقد ضعفه أحمد جدًّا، وقال البخاري: لين جدًّا، وقال أبو داود: لم يكن يفهم الحديث، وقال في موضع آخر: هو دون بقية، وقال النسائي وأبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي. وضعَّفه علي ابن المديني والعقيلي. ووثَّقه الحسن بن الربيع وابن سعد، وقال صالح جزرة: صدوق كثير الخطأ، وقال ابن معين: ثقة، وقال مرة: صدوق. وقال أبو حاتم: كان رجلا صالحا... وفي حديثه بعض الإنكار. وقال ابن عدي: له روايات عن معمر والأوزاعي خاصَّة عداد لا يتابعه عليها أحد».(تحرير تقريب التهذيب ٣/ ٣١١)

وأما أنه لا يصح متنًا فلأن قصة الإسراء والمعراج وقعت في مكة عام ١١هـ قبل الهجرة إلى المدينة، وهو بدء عهد الإسلام، الذي كان المسلمون فيه على إيمان راسخ يستحيل معه أن يتطرق الشك والريب إليه بلهَ الارتداد؛ رغم المصائب والآلام الجسام. فالكتب المؤلفة في تراجم الصحابة مليئة بمثل هذه القصص، ولا مجال للتفصيل هنا.

وقد ذكرنا حديثًا عن دلائل النبوة للبيهقي في هذا المعنى ولم يرد فيه ذكر ارتداد الصحابة رضي الله عنهم.

نبذة من ترجمة أبي بكر رضي الله عنه:

اسمه: عبد الله بن عثمان، وعثمان اشتهر بأبي قحافة. وقيل: اسمه الأول: عبد الكعبة، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم «عبد الله». وقيل: اسمه الأول: عتيق، إلا أنه لقب له، وليس اسم علمٍ، والعتيق: هو الشريف، وشريف النسب، والعتيق من النار.

ولدَ رضي الله عنه قبل عام الفيل بسنتين،وهو أول الناس الأحرار إسلامًا، لم يتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم يومًا، قبل النبوة وبعدها، شهد المشاهد كلها، ولي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامين وشهرين، صدَّق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقصة المعراج، فلقِّبَ بالصديق.(راجع: الإصابة٤/ ١٤٤؛ تاريخ الخلفاء، ص ٣١؛ الاستيعاب ٣/ ٩٦٣).

قال علي رضي الله عنه: أبو بكر أفضلنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال عمر

رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا، وأفضلنا، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يأبى الشيعة والمعتزلة فضل أبي بكر رضي الله عنه:

يأبى الشيعة وأكثر المعتزلة فضل أبي بكر رضي الله عنه، ويقولون: علي أفضل الناس، وأما قدماء المعتزلة فقالوا بتفضيل أبي بكررضي الله عنه.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «إن المتقدمين من المعتزلة ذهبوا إلى أن أفضل الناس بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ عليه السلام، إلا واصل بن عطاء فإنه يفضل أمير المؤمنين على عثمان، فلذلك سموه شيعيًّا...، وأما أبو علي وأبو هاشم فقد توقفا في ذلك...، وأما شيخنا أبو عبد الله البصري فقد قال: إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب...، وأما عندنا: فإن أفضل الصحابة أمير المؤمنين علي، ثم الحسن ثم الحسين عليهم السلام». (شرح الأصول الخمسة، ص٧٦٦-٧٦٧)

لقد علمت بهذا النص أن الاعتزال فرع من التشيع والرفض، وإنما اتخذوا الاعتزال جنة لتغطية الرفض.

وجوه الخلافة:

قال أهل العلم: الاستخلاف على أربعة وجوه:

(١) بيعة الخواص والعوام.

(٢) وصية الخليفة الأول، كما استخلف أبو بكر رضي الله عنه عمرَ رضي الله عنه. جاء في طبقات ابن سعد: جعل أبو بكر رضي الله عنه اختيار الخليفة إلى أهل الحل والعقد، فلما لم يتفقوا على أحد، استشار أبوبكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين والأنصار عامة، وعبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وأسيد بن حضير وغيرهم بصفة خاصة، واستخلف عمرَ رضي الله عنه. (الطبقات الكبرى لابن سعد٣/ ١٤٩، ذكر وصية أبي بكر رضي الله عنه، ط: دار الكتب العلمية، بيروت)

(٣) جعل الخليفة الشورَى بينهم. نصب عمر رضي الله عنه ستة نفر يختارون واحدًا منهم خليفة بعد التشاور، فلما جعل أهل الشورى أمر الاختيار إلى عبد الرحمن بن عوف، لم

يكتحل النوم عينيه ثلاث ليالٍ، واستشار الناس جماعات ووحدانا حتى خلص إلى النسوة وأهل البوادي، حتى سأل الأطفال، والمسافرين القادمين فاتفقوا جميعا على فضل عثمان واستحقاقه للخلافة، جاء في «البداية والنهاية»: «ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأى المسلمين برأي رؤوس الناس وأقيادهم جميعًا وأشتاتًا، مثنى وفرادى، ومجتمعين، سرًّا وجهرًا، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة، في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدم عثمان بن عفان». (البداية والنهاية ٧/ ١٤٦، خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، ط: دار الفكر)

(٤) استيلاء رجل يكون أهلاً للخلافة. (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ١/ ٢٣-٢٤)

قال ابن كثير: «والإمامة تنال بالنص، كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل الحل والعقد على مبايعته أو بمبايعة واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع، والله أعلم، أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف، وقد نص عليه الشافعي». (تفسير ابن كثير ١/ ٢٢١، البقرة:٣٠)

مفهوم الخلافة:

(١) الرئاسة العامّة للدين.

(٢) إقامة الدين بتنفيذ الأحكام الشرعيَّة.

قال الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله في تعريف الخلافة العامة: «هي الرياسة العامة في التصدي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام والقيام بالجهاد وما يتعلق به من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نيابةً عن النبي صلى الله عليه وسلم». (إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء ١/ ١٣)

وقال الإمام البيجوري: «الخلافة العظمى وهي: النيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في عموم مصالح المسلمين». (تحفة المريد، ص٢٣٧ . ومثله في شرح المقاصد ٥/ ٢٣٢)

إطلاق «خليفة الله» على البشر:

يصح إطلاق «خليفة الله» على البشر عند أكثر أهل العلم، وقال بعضهم: لا يصح.

أدلة المجوِّزين:

(١) قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (ص: ٢٦)، لم تصرح الآية بمن كان خليفةً قبل داود عليه السلام، حتى استخْلِفَ عنه داود. وداود عليه السلام أول نبي جمع بين الخلافة والنبوة.

(٢) قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ١٦٥)

(٣) وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)

(٤) وقال تعالى: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩)

(٥) وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)

(٦) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون». الحديث. (صحيح مسلم، رقم:٢٧٤٢)

(٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...فإنه خليفة الله المهدي». (سنن ابن ماجه، باب خروج المهدي، رقم:٤٠٨٤. والمستدرك للحاكم، رقم:٨٤٣٢. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

(٨) قال كميل بن زياد: «أخذ عليُّ بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا حبس، ثم تنفس، ثم قال: يا كميل... أولئك خلفاء الله في بلاده». (حلية الأولياء ١/ ٧٩. وتهذيب الكمال ٢٤/ ٢٢١. وتذكرة الحفاظ ١/ ١٥. وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٤/ ١٨)

في إسناده ثابت بن صفية أبو حمزة الثمالي ضعيف. وكميل بن زياد متهم بالرفض.

نبذة عن كميل بن زياد بن نهيك، والدعاء المنسوب إليه:

وثق بعض نقاد الرجال كميلَ بن زياد، وقال أكثرهم: هو مِن رؤساء الشيعة، وكان بلاء من البلاء. وقال ابن حبان: «كان من المفرطين في عليٍّ، ممَّن يروي عنه المعضلات، منكر

الحديث جدًّا، تتقى روايته ولا يحتج به». وقال العلامة الذهبي: «من كبار شيعة علي». (انظر: تهذيب الكمال ٢٤/ ٢١٨. وميزان الاعتدال ٤/ ٣٣٥. وتاريخ الإسلام، للذهبي ٢/ ٨٧٧)

ينسب إلى كميل دعاء باسم «دعاء الخضر»، يطبعه الناس ويدعون به، أورد هذا الدعاء كتب الشيعة، أمثال: «مصباح المجتهد» للطوسي(٣/ ٣٢١)، و«إقبال الأعمال» لابن طاووس الحسيني (٦/ ١٩)، و غيرهما من كتبهم، وذكر من فضائله أن عليا رضي الله عنه قال: يا كميل، إذا حفظت هذا الدعاء، فادع به كل ليلة جمعة، أوفي الشهر مرة، أو في السنة مرة، أو في عمرك مرة، تكف، وتنصر، وترزق، ولن تعدم المغفرة. ويستغرق الدعاء ثماني صفحات. وقد عرف حال كميل.

(٩) قال الراعي يخاطب أبا بكر رضي الله عنه:

أ خليفة الرَّحْمٰنِ إنّا معشرٌ ✽ حُنفاءَ نسجُد بكرةً وأصيلا
عَرَبٌ نرَى لله مِن أموالنا ✽ حقَّ الزَّكاة منزَّلًا تنزيلا

(تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم، ص١٦٢. الباب التاسع، الفصل الرابع)

دلائل المانعين من إطلاق «خليفة الله» على البشر:

(١) عن ابن أبي مليكة، قال: قيل لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال: أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا راض به. (مسند أحمد، رقم:٤٩، وإسناده ضعيف لانقطاعه؛ فإن ابن أبي مليكة –واسمه عبد الله بن عبيد الله – لم يدرك أبا بكر)

(٢) الخليفة لمن غاب، والله تعالى شاهد غير غائب، بل هو خليفة لعباده المؤمنين، كما ورد في حديث الدجال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وإنْ يخرجْ ولستُ فيكم فامْرُؤٌ حَجِيجُ نفسِه واللهُ خليفتي على كل مسلم». (صحيح مسلم، رقم: ٢٩٣٧)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا استوى على بعيره: «... اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل». (صحيح مسلم، رقم:١٣٤٢)

قال ابن القيم رحمه الله: وإن أريد بالإضافة أن الله اسْتَخْلَفَهُ عن غيره ممن كان قبله فهذا لايمتنع فيه الإضافة، وحقيقتها خليفة الله الذي جعله الله خلفًا عن غيره، و بهذا يخرج الجواب عن قول أمير المؤمنين: «أولئك خلفاء الله فِي أرضه»، وإن كانت الإضافة إلى الله تعالى، أي: خليفة الله، فلا يصح. (مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٢، ١٦٢).

والصحيح أنه يمكن أن يكون الرجل خليفة الله في تنفيذ الأحكام الشرعية، وقد استمر ذلك.

أقسام الخلافة:

الخلافة على قسمين: الأول: خلافة تكوينية، والثاني: خلافة شرعية.

(١) الخلافة التكوينية: الخلافة في تحقق شيء وعدمه، ولم يكل الله سبحانه تعالى هذه الخلافة إلى أحد، بحيث يمنح أحد غيره الولد، أو يُمرضه، أو يشفيه بما يفوق الأسباب، ولا يصح إطلاق «خليفة الله» على أحد بهذا المعنى.

(٢) الخلافة الشرعية، أو تنفيذ الأحكام الشرعية: تنفيذ الأوامر والنواهي التي أنزلها الله تعالى في الدنيا. ولاحرج في إطلاق «خليفة الله» على أحد بهذا المعنى.

قال الشيخ ابن علان المالكي رحمه الله: «وعلى ثبوت مستند إطلاق خليفة الله على كل منهما (أي: آدم، وداود عليهما السلام) فالإضافة للتعظيم، فلا يراد من الخليفة ما تقدم (أي: الذي يستخلف من يغيب أو يموت)؛ بل يراد به أن جعله قائمًا في تنفيذ أحكامه في عباده». (الفتوحات الربانية ٧/ ٨٣)

أما القول بأنه لا يصح إطلاق «خليفة الله» لأن الخليفة إنما يكون عن غائب، والله تعالى ليس غائبًا، فالجواب عنه أن الله تعالى غير غائب، ولكنه غيب، والغائب معناه: «ما لا يراك، و لاتراه»، ومعنى الغيب: «ما لا تراه أنت». فمعنى خليفة الله: أن الإنسان خليفة الله تعالى الذي هو غيب- في تنفيذ الأحكام الشرعية.

قال شهاب الدين الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي: «وفي بعض الحواشي فرَّق بعضُ أهل العلم بين الغيب والغائب، فيقولون: الله غيب، وليس بغائب، ويعنون بالغائب: ما لا يراك ولا تراه، وبالغيب: ما لا تراه أنت». (حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١/ ٢١٥)

للاستزادة من هذا الموضوع راجع: زاد المعاد ٢/ ٤٣٤؛ ومفتاح دارالسعادة ١/ ٤٦٩؛ والأذكار للنووي، ص٤١٤؛ والفتوحات الإلهية ٧/ ٨٢؛ والفتاوى الحديثة، ص٩٩؛ ومعجم المناهي اللفظية، ص ٢٥٢).

سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة:

سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الأمة، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا، وثاني اثنين في غار ثور، وثاني اثنين في الهجرة، وثاني اثنين في الصلاة، وثاني اثنين في الخلافة، وثاني اثنين في الدفن.

قال بعض أهل العلم: اللوم في قوله تعالى:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة: ٤٠) يعم الناس إلا أبا بكر رضي الله عنه.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي: «أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رضي الله عنهم أجمعين». (سنن أبي داود، رقم:٤٦٢٨ . ومثله في سنن الترمذي، رقم:٣٧٠٧، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)

وقام علي رضي الله عنه على المنبر فقال: «ألا أنبئكم بخير هذه الأمة بعد نبيها؟ أبو بكر، ثم عمر». (مسند أحمد، رقم:٩٣٣، وإسناده صحيح)

ثبوت خلافة أبي بكر رضي الله عنه بالنصوص، والبيعة العامة:

من المقرر المسلَّم أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثبتت بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والبيعة العامة.

(١) عن جبير بن مطعم، قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأةٌ، فكلمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله، أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تريد الموت، قال: «إن لم تجديني، فأتي أبا بكر». (صحيح البخاري، رقم:٧٢٢٠)

(٢) استخلف النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر في الإمامة الصغرى، أي: الصلاة، فكان أحق بالخلافة الكبرى، وهي الخلافة. وكانت الخلافتان: الصغرى والكبرى لرجل واحد.

(٣) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ولو كنتُ متَّخذًا خليلًا مِن أُمتي لاتَّخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن أخوَّةُ الإسلام ومودَّته، لا يبقيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر». (صحيح البخاري، رقم:٤٦٦)

(٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه لعائشة رضي الله عنها: «ادعِي لي أبا بكر، أباكِ، وأخاكِ، حتَّى أكتب كتابًا، فإنِّي أخاف أن يتمنَّى مُتَمَنٍّ ويقول قائل:

أنا أولَى، ويأبى الله والمؤمنونَ إلا أبا بكر». (صحيح مسلم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، رقم:٢٣٨٧)

إيراد:

تفيد بعض النصوص أن إعلان الخلافة قد تم تقريبًا، كما يدل عليه الحديث السابق، وتفيد بعض الأحاديث أن الاستخلاف لم يتم إعلانه، كما يدل عليه حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها، قالت عائشة رضي الله عنها: «قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف أحدًا». الحديث. (مسند أحمد، رقم:٢٤٣٤٦، وإسناده صحيح)

كما روي عن عمر رضي الله عنه: «إنْ أستخلِفْ فقد استخلفَ من هو خير مني أبو بكر، وإنْ أترك فقد ترك من هو خير مني، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم». (صحيح البخاري، رقم:٧٢١٨)

الجواب:

الاستخلاف على قسمين: (١) الاستخلاف بالقول. (٢)الاستخلاف بالكتابة.

نقول: قد وقع الاستخلاف بالقول، وأما الاستخلاف الذي نفاه عمر وعائشة رضي الله عنهما، فهو الاستخلاف بالكتابة. وعليه اتفق الصحابة رضي الله عنهم كلهم على بيعة أبي بكر.

قال الملا علي القاري: «وأما قول عمر: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ...، فلعل مراده لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبي بكر؛ بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر». فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإنه دلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر بالفعل والقول، واختاره لخلافته اختيار راض بذلك، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا هنالك، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتابة اكتفاءً بإرادة الله تعالى واختيار الأمة».(منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر، ص ١٨٣، ط: دار البشائر)

هل بايع علي رضي الله عنه أبا بكر على الفور، أم بعد ستة أشهر؟:

إيراد: لِـمَ تأخر علي عن بيعة أبي بكر رضي الله عنهما مادامت خلافته منصوصًا عليها؟

الجواب: (١) بايع علي رضي الله عنه مرتين: مرة على الفور، وثانية: بعد ستة أشهر. وذكر بيعتَه على الفور الحاكم في «المستدرك»، وعبد الرزاق في «المصنف»، وابن أبي شيبة في «المصنف»، ومن كتب المذهب الشيعي: «الاحتجاج» للطبرسي(ص٥٠)، و«فروع الكافي» (٣/ ١٥)، و«الروضة من الكافي» (٢/ ٨٥) أيضًا.

قال الطبرسي: بايع علي رضي الله عنه أبا بكر الصديق خلال يوم أو يومين، ولم تتأخر بيعته لمدة ستة أشهر؛ « فلما ورد الكتاب على أسامة انصرف بمن معه حتى دخل المدينة، فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له:ما هذا؟ قال له عليٌّ: هذا ما ترى.قال له أسامة: فهل بايعته؟ فقال: نعم يا أسامة».(الاحتجاج للطبرسي١/ ١٣١)

اكتفينا بحكاية نص الطبرسي خشية الإطالة، وذكر بيعة علي رضي الله عنه لأبي بكر على الفور المصادرُ التالية:

«المستدرك» للحاكم(٣/ ٩٣) كتاب معرفة الصحابة. «المصنف» لعبد الرزاق (٥/ ٤٥٠) تحت بيعة أبي بكر الصديق. «السنن الكبرى» للبيهقي(٨/ ١٤٣) باب قتال أهل البغي. «الاعتقاد» للبيهقي(١/ ٣٤٩) باب اجتماع المسلمين على بيعة أبي بكر الصديق. «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٠/ ٢٧٧) تحت ترجمة أبي بكر الصديق. «البداية والنهاية» (٥/ ٢٤٩) تحت ذكر اعتراف سعد بن عبادة. «فتح الباري» (٧/ ٣٩٩) آخر غزوة خيبر. «إرشاد الساري» للقسطلاني (٨/ ١٥٨)؛ «كتاب السنة» لعبد الله بن أحمد (١/ ١٩٦)، وإسناده صحيح، ورجاله رجال مسلم.

ومن الكتب الأردية: «رحماء بينهم» (ص ٢٤٨-٢٦٢)، و«سيرة سيدنا علي رضي الله عنه»، للشيخ محمد نافع، وغيرهما.

اتهام الإمام الحاكم وعبد الرزاق بالتشيع:

يندفع بعض الناس إلى اتهام الإمام الحاكم بالتشيع، وهذا غير صحيح، فقد ذكر الخلفاء الراشدين في كتابه «المستدرك» على ترتيب أهل السنة والجماعة، وقدم مناقب عثمان رضي الله عنه على مناقب علي رضي الله عنه، إلا أنه يؤخذ على الحاكم أنه غضب على معاوية

رضي الله عنه بسبب الدعايات التاريخية ضده، ولم يعقد في كتابه باب مناقب معاوية أو باب مناقب عمرو بن العاص رضي الله عنهما، كان يغلو في حب علي رضي الله عنه، ولا يحب معاوية رضي الله عنه، وهذا هو تشيع الحاكم. قال في تاريخ بغداد: «كان يميل إلى التشيع». ورفض الذهبي في ميزان الاعتدال أن يكون رافضيًّا. للاستزادة منه راجع: «طبقات الحفاظ»، للسيوطي، و«تاريخ بغداد»، للخطيب، و«ميزان الاعتدال» للذهبي.

وقال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «وكان منحرفًا غاليًا عن معاوية رضي الله عنه وعن أهل بيته، يتظاهر بذلك ولا يعتذر منه».(سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٧٥، ط: الرسالة)

وقال ابن طاهر المقدسي: «سألت أبا إسماعيل الأنصاري عن الحاكم فقال: ثقة في الحديث رافضي خبيث». ثم قال ابن طاهر: «كان شديد التعصب للشيعة في الباطن، وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة، وكان منحرفًا عن معاوية وآله، متظاهرًا بذلك ولا يعتذر منه». (تذكرة الحفاظ ٣/ ١٦٥)

وقال العلامة الذهبي: «أما انحرافه عن خصوم علي فظاهرٌ، وأما أمر الشيخين فمعظم لهما بكل حال، فهو شيعي لا رافضي، وليته لم يصنف «المستدرك» فإنه غض من فضائله بسوء تصرفه».(تذكرة الحفاظ ٣/ ١٦٥)

كما ردَّ بعض المحققين أن عبد الرزاق شيعي، قال الدكتور/ بشار عواد، والشيخ شعيب الأرناؤوط في «تحرير تقريب التهذيب» (٢/ ٣٦٠): «لم يثبت تشيعه، ولا وجدنا ذلك في كتابه العظيم «المصنف»، ولم نجد له رواية عند الشيعة، فلو كان شيعيًا لرووا عنه».

ويقول من يَسِمُه بالتشيع:

١- قال مخلد الشعيري: «كنت عند عبد الرزاق فذكر رجل معاوية، فقال: لا تقذِّر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان».(الضعفاء الكبير للعقيلي ٣/ ١٠٧. ميزان الاعتدال ٢/ ٦١٠)

٢- قال في «ميزان الاعتدال»: جاء علي والعباس عمرَ رضي الله عنه يطلبان قسمة ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: جئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجاء هذا يطلب ميراث امرأته من أبيها.

أطلق عبد الرزاق بهذه المناسبة على عمر رضي الله عنه «الأنوك»، أي: الأحمق، وهو علامة على التشيع؛ بل الرفض لو ثبت.

قال زيد بن المبارك: «قال عبد الرزاق: انظر إلى هذا الأنوك يقول: من ابن أخيك، من أبيها! لا يقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم». (الضعفاء الكبير ٣/ ١٠٧؛ ميزان الاعتدال ٢/ ٦١١)

ولا يصح نسبة هذين الأمرين إلى عبد الرزاق.

١-ما ينسب إلى عبد الرزاق من القول: «لا تقذِّر مجلسنا بذكر ولد أبي سفيان» لايصح سندًا ولامتنًا، أما سندًا ففيه أحمد بن أبي يحيى زكير الحضرمي، قال فيه ابن يونس في تاريخ مصر: «لم يكن بذاك، فيه نكرة». (تاريخ ابن يونس ١/ ٢٤، ط: دار الكتب العلمية، بيروت) وقال الذهبي: «لينه ابن يونس». (المغني في الضعفاء ١/ ٦٢)

وفي بعض الكتب اسم الراوي: أحمد بن بكير.

وراوٍ آخر في السند: محمد بن إسحاق بن يزيد البصري مجهول، لم نعثر على ترجمته في كتب التاريخ والتراجم رغم البحث الشديد.

وأما متنًا فلا يصح، لأن مجرد ذكر معاوية لو قَذَّرَ المجلس لم يذكره في كتابه، وقد ساق عبد الرزاق أحاديث كثيرة في مناقب معاوية رضي الله عنه في «مصنفه»، وروى له أكثر من مئة حديث.

وحكى عبد الرزاق في «مصنفه» قولَ ابن عباس رضي الله عنهما في معاوية رضي الله عنه: «قال ابن عباس: ما رأيت رجلا كان أخلق للملك من معاوية، كان الناس يردون بيته على أرجاء وادي». (مصنف عبد الرزاق ١١/ ٤٥٣)

وروى عبد الرزاق أيضًا: «عن عبيد الله بن أبي يزيد قال: رأيت معاوية صلى العشاء، ثم أوتر بعدها بركعة، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: أصاب». (مصنف عبد الرزاق ٣/ ٢٤)

وساق عبد الرزاق في مصنفه أحاديث كثيرة في الأخلاق الحميدة لمعاوية رضي الله عنه لا مجال لتفصيلها هنا.

وسأل عبد الله بن أحمد أباه أحمد بن حنبل عن القول المنسوب إلى عبد الرزاق فقال الإمام أحمد: لم أسمع من عبد الرزاق هذا أو شيئا مثله.

قال سبط ابن الجوزي شمس الدين أبو المظفر (م:٦٥٤هـ): «وذكروا يومًا عنده معاوية، فقال: لا تقذّروا مجالسنا بذكره. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وسألت أبي عن

هذا، فقال: أمّا أنا فلم أسمع منه هذا، ولم أسمع منه شيئا من هذا».(مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ١٤/ ١١٨، ط:الرسالة العالمية)

٢-كذلك لا يصح ما ينسب إلى عبد الرزاق من قوله: «انظر إلى هذا الأنوك» سندًا ولامتنا. أما أنه لايصح سندًا فلأن فيه إرسالا، قال الذهبي بعد ذكر هذه القصة: «قلت: في هذه الحكاية إرسال، والله أعلم بصحتها».(ميزان الاعتدال ٢/ ٦١١)

كما أننا لم نعثر على ترجمة أحد رواته وهو شيخ العقيلي: علي بن عبد الله بن المبارك الصنعاني في كتب التراجم، وذكر العلامة الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٦/ ٧٨٤) علي بن المبارك الصنعاني، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

أما أنه لا يصح متنًا فلأن عبد الرزاق نفسه يقول: «ما انشرح صدري قط أن أفضل عليًّا على أبي بكر وعمر، فرحمهما الله، ورحم عثمان وعليًّا، من لم يحبهم، فما هو بمؤمن، أوثق عملي حبي إياهم».(سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٧٢)

قيل: لا يتجاوز تشيع عبد الرزاق أنه كان يفضل عليا رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه؛ في حين يدل قوله: «رحم عثمان، وعليًّا» على أنه كان يفضل عثمان على علي رضي الله عنهما.

نعم، عدَّ بعض المصنفين الشيعة عبدَ الرزاق من الإمامية، قال عبد الحسين الشبستري الشيعي: «أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع اليماني، الصنعاني، الحميري بالولاء من حسان محدثي الإمامية، وكان عالما جليلا، فقيها، حافظًا، مفسرًا، روى عن الإمام الجواد عليه السلام أيضا». (أصحاب الإمام الصادق لعبد الحسين الشبستري ٣/ ٢١٢، رقم الترجمة:١٨٢٥)

وقال مصطفى الحسيني في «نقد الرجال»: «عبد الرزاق بن همام اليماني: من أصحاب الباقر، والصادق عليهما السلام». (نقد الرجال ٥/ ١١٠، لمصطفى بن الحسين الحسيني)

ولكن القول بأن عبد الرزاق من تلامذة محمد الباقر(م:١١٤هـ) غير معقول؛ لأن عبدالرزاق ولد عام ١٢٦هـ، أي: بعد وفاة محمد الباقر باثني عشر عاما.

حكى عباس القمي في «الكنى والألقاب» في ترجمة مفصلة لعبد الرزاق، عن أحمد بن مابنداذ قوله: «أظهر لي عبد الرزاق بن همام محبة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيمهم والبراءة من عدوهم والقول بإمامتهم».(الكنى والألقاب للقمي ٢/ ٤٨٠-٤٨٢. رجال النجاشي ١/ ٣٨٢)

وروى له كثير من كتب الشيعة أمثال «الكافي» للكليني، و«تهذيب الأحكام» للطوسي، و«من لا يحضره الفقيه» لأبي جعفر القمي. فلايصح قول الشيخ شعيب الأرناؤوط وبشار عواد في «تحرير تقريب التهذيب»: «لم نجد له رواية عند الشيعة، فلو كان شيعيًا لرووا عنه».

وذكر آقا بزرك الطهراني في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» مصنف عبد الرزاق ومسنده، وقال في ذكر التفسير: «هو مع كونه من دعاة الشيعة المصنفين لم يعقد له ترجمة في كتبنا كما لم يترجم والده همام بن نافع أيضًا مع كونه من رواة كتب الشيعة وأصولهم، مثل أصل سليم بن قيس الهلالي الذى رواه همام عن أبان بن أبى عياش، ورواه عن همام ابنه عبدالرزاق...، وبالجملة فالرجل ممن لم يؤد حقه في كتب رجال الشيعة مع أن تفسيره هذا من أقدم تفاسيرنا الموجودة في العالم، ويعد من مفاخر الشيعة وآثارها الخالدة الباقية حتى اليوم...». (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢١/ ٣٢٤)

علاوة على هذه ذكر كثير من كتب المصنفين الشيعة في التراجم عبدَ الرزاق، وأرجع عبد الحسين الشبستري الشيعي في كتابه «أصحاب الإمام الصادق» لترجمة عبد الرزاق إلى (١٧) من كتب الشيعة.

وعلل الحافظ المزي اتهام عبد الرزاق بالتشيع بأنه روى أحاديث في فضل آل البيت ومثالب الآخرين؛ «وقد روى أحاديث في الفضائل مما لا يوافقه عليه أحد من الثقات، فهذا أعظم ما ذموه من روايته لهذه الأحاديث، ولما رواه في مثالب غيرهم، وأما في باب الصدق فإني أرجو إنه لابأس به إلا أنه قد سبق منه أحاديث في فضائل أهل البيت ومثالب آخرين مناكير». (تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢)

ولعل هذا ما حمل المصنفين الشيعة على عدَّ عبد الرزاق من المحدثين الشيعة، وقد يكون السبب في ذلك أن بعض المصنفين الشيعة عدَّ عبدَ الرزاق من أصحاب جعفر الصادق، ومحمد الجواد، كما سبق. ويعتبرهما الشيعة من الأئمة الاثني عشر، فيعدون أصحابهما من شيعتهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه طلب عليا رضي الله عنه، فقال له: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٤٥٧).

وكان علي رضي الله عنه يتخلف عن المجالس العامة كثيرا، فبايع مرة أخرى بعد ستة أشهر نفيًا لشغب المنافقين، وكشفًا لوهم عامة الناس. وكان علي رضي الله عنه يصلي خلفه، ويشهد الجهاد معه.

شهد علي رضي الله عنه غزوة اليمامة، وكان في سهمه خولة الشهيرة بالحنفية، ومتى كانت غزوة اليمامة؟ اختلف فيه على أقوال: الأول: في شهر ربيع الأول سنة ١١هـ، أي: بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيام، وشهدها علي رضي الله عنه، فَعُلِمَ أن عليا رضي الله عنه قد اعترف بخلافة أبي بكر رضي الله عنه منذ اليوم الأول، حكى الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»عن خليفة بن خياط قوله: «وقد قال خليفة بن خياط ومحمد بن جرير وخلق من السلف: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة». (البداية والنهاية ٦/ ٣٢٦، ط: دار الفكر).

وفي «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ١١٣)، وتاريخ الخميس (٢/ ٢١٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٧١٩) أنها وقعت في شهر ربيع الأول. وهذا أقرب إلى القياس من التواريخ الأخرى؛ لأن فتنة الارتداد رفعت رأسها عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد علي رضي الله عنه غزوة اليمامة، ووقعت خولة المعروفة بالحنفية من اليمامة في سهمه، وهذا مما يدل على أنه كان بايع أبا بكر منذ اليوم الأول. ولدت خولة ولده محمد بن الحنفية. وإنما سمي «محمد بن الحنفية» بدلا من «محمد بن علي» ردًّا على الروافض، بأنه ابن زوجة علي، التي وقعت في سهمه على عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأنه –عليًّا– كان يسلِّم خلافة أبي بكر من قرارة نفسه، وأما الشيعة فينكرون ذلك. فوا أسفَى على ذلك.

إشكال: يفيد حديث رواه البخاري في «صحيحه» أن عليًّا رضي الله عنه بايع أبا بكر بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها، وتوفيت فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر: عن عائشة، أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المال»،... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر،... فلما توفيت استنكر عليٌّ وجوه الناس،

فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر...الحديث. (صحيح البخاري، رقم:٤٢٤٠. صحيح مسلم، رقم:١٧٥٩)

الجواب: تذكر عدة مصادر بيعة علي رضي الله عنه على الفور، كما سبق، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث: «وقد تمسك الرافضة بتأخر علي عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة وهذيانهم في ذلك مشهور، وفي هذا الحديث ما يدفع في حجتهم، وقد صحَّح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيد الخدري وغيره أن عليًّا بايع أبا بكر في أول الأمر، وأما ما وقع في مسلم عن الزهري أن رجلا قال له: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة، قال: لا ولا أحد من بني هاشم، فقد ضعفه البيهقي بأن الزهري لم يسنده، وأن الرواية الموصولة عن أبي سعيد أصح. وجمع غيره بأنه بايعه بيعة ثانية مؤكدة للأولى لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم، وعلى هذا فيحمل قول الزهري لم يبايعه علي في تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده وما أشبه ذلك، فإن في انقطاع مثله عن مثله ما يوهم من لا يعرف باطن الأمر أنه بسبب عدم الرضا بخلافته فأطلق من أطلق ذلك، وبسبب ذلك أظهر علي المبايعة التي بعد موت فاطمة عليها السلام لإزالة هذه الشبهة». (فتح الباري ٧/ ٤٩٥)

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:... ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبى بكر فقال هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر رضى الله عنه على المنبر نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا رضي الله عنه، فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر رضى الله عنه: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه. الحديث. (السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٤٣)

ساق الإمام البيهقي هذه الرواية، ثم حكى عن شيخه أبي علي الحافظ قوله: «قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يسوي بدنة، فقلت: يسوي بدنة؛ بل هو يسوي بدرة». (السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٤٣)

يدل هذا الحديث على أن الإمام مسلما وإن روى في «صحيحه» عن الزهري هذه الرواية، ولكنه اغتنم حديث أبي سعيد الخدري، ورجحه على رواية الزهري. (وانظر: تكلمة فتح الملهم ٣/ ١٠٦)

وقال الإمام البيهقي في موضع آخر من «السنن الكبرى»: «وقول الزهري في قعود علي عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى توفيت فاطمة رضي الله عنها منقطع، وحديث أبي سعيد رضي الله عنه في مبايعته إياه حين بويع بيعة العامة بعد السقيفة أصح. ولعل الزهري أراد قعوده عنها بعد البيعة ثم نهوضه إليها ثانيًا وقيامه بواجباتها. والله أعلم». (السنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٣٠٠)

وقال الإمام البيهقي في «الاعتقاد»: «والذي روي أن عليا لم يبايع أبا بكر ستة أشهر ليس من قول عائشة، إنما هو من قول الزهري، فأدرجه بعض الرواة في الحديث في قصة فاطمة رضي الله عنهم، وحفظه معمر بن راشد فرواه مفصلا وجعله من قول الزهري منقطعًا من الحديث. وقد روينا في الحديث الموصول، عن أبي سعيد الخدري ومن تابعه من أهل المغازي أن عليا بايعه في بيعة العامة التي جرت في السقيفة، ويحتمل أن عليا بايعه بيعة العامة، كما روينا في حديث أبي سعيد الخدري وغيره ثم شجر بين فاطمة وأبي بكر كلام بسبب الميراث إذ لم تسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الميراث ما سمعه أبو بكر وغيره فكانت معذورة فيما طلبته، وكان أبوبكر معذورا فيما منع، فتخلف علي عن حضور أبي بكر حتى توفيت، ثم كان منه تجديد البيعة والقيام بواجباتها كما قال الزهري، ولا يجوز أن يكون قعود علي في بيته على وجه الكراهية لإمارته، ففي رواية الزهري: أنه بايعه بعد وعظم حقه». (الاعتقاد للبيهقي، ص٣٥٢، باب اجتماع المسلمين على بيعة أبي بكر)

قال هشام بن عروة: ورد في ترجمة الزهري أنه كان يدرج في الرواية الطويلة كلامَه على أنه شرحه لها، ويبدو أنه جزء من الرواية، فسمع الزهري هذا الكلام من أحد، فأدرجه في الرواية، فهو من قبيل مدرج الراوي، قال الإمام أحمد رحمه الله: «كان الزهري يفسر الأحاديث كثيرا وربما أسقط أداة التفسير، فكان بعض أقرانه ربما يقول له: افصل كلامك من كلام النبي صلى الله عليه وسلم». (النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر ٢/ ٨٢٩. وفتح المغيث ١/ ٣٠٣)

وقال الخطيب البغدادي: «قال ربيعة لابن شهاب: «يا أبا بكر! إذا حدثت الناس برأيك فأخبرهم أنه رأيك، وإذا حدثت الناس بشيء من السنة فأخبرهم أنه سنة لا يظنون أنه رأيك». (الفقيه والمتفقه ٢/ ٣١٢، تنبيه الفقيه على مراتب أصحابه)

وقال علي رضي الله عنه في حديث آخر عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «إنا نرى أبا

بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٤٢٢، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٥٠: إسناده جيد)

قال المفتي محمد تقي حفظه الله بعد أن ساق هذه الرواية وأمثالها: «فهذه الروايات تدل على أن عليًّا رضي الله عنه لم يؤخر البيعة إلى ستة أشهر، والذي يرى أنه رضي الله عنه إنما تأخر قليلًا إما لحفظ القرآن، أو لانقباضه اليسير في أنه لم يدع عند المشاورة، (والعذر لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما في ذلك أن الأمر كان أعجل من ذلك)، ولكنه بايع الصديق رضي الله عنه في خلال يوم أو يومين. وإن حديث أبي سعيد الخدري عند البيهقي وغيره، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عند الحاكم أقوى الأحاديث إسنادًا، وحديث أبي سعيد موصول، فيرجح على مرسل الزهري في الباب، ويمكن أن يكون علي رضي الله عنه جدد بيعته بعد ستة أشهر لسبب من الأسباب، فتوهم بذلك بعضهم أنه لم يبايع طوال ستة أشهر، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب». (تكملة فتح الملهم ٣/ ١٠٩، باب مبايعة عليٍّ أبا بكر)

ساق علماء الشيعة رواية علي رضي الله عنه في كتبهم، «وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا في المشورة، وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنه، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة وهو حي». (السقيفة وفدك، للجوهري (م:٣٢٣) ١/ ٦٤، ط: شركة الكتبي، بيروت. الغدير، لعبد الحسين أحمد الأميني النجفي ٥/ ٦٨، ط: دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الرابعة. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٢/ ٨١، و٦/ ٦٠، ط: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي).

كما حكى الطبرسي عن محمد الباقر أن عليا رضي الله عنه كان يعترف بخلافة أبي بكر وإمارته، وبايعه: «قال: فلما وردت الكتب على أسامة انصرف بمن معه حتى دخل المدينة، فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: ماهذا ؟ قال له علي: هذا ما ترى. قال له أسامة: فهل بايعته؟ فقال: نعم يا أسامة». (الاحتجاج للطبرسي ١/ ٢١٣، ط: مطابع النعمان النجف الأشرف)

إيراد: لِـمَ لمْ يبايع سعد بن عبادة رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه، وانطلق إلى الشام، وقال: منا -الأنصار- أمير، ومن المهاجرين أمير، وقد اتفق الصحابة كلهم على بيعته؟

الجواب: لا يصح أنه لم يبايع، ذكر ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» أنه بايعه في أول الأمر، وكان يندم على ما صدر منه من الرأي، فانطلق إلى الشام في أول الأمر. قال ابن كثير: «وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت...؛ عن أبي سعيد الخدري قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة، وفيهم أبو بكر وعمر قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره، قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم ولو قلتم غير هذا لم نبايعكم فأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه، فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار». (البداية والنهاية ٦/ ٣٠١)

وعن حميد بن عبد الرحمن، قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة...، قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر...، وقال:... ولقد علمت يا سعد! أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». قال: فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء». (مسند أحمد، رقم:١٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه: صحيح لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين، وهو مرسل).

هل همَّ عمر رضي الله عنه بتحريق بيت فاطمة رضي الله عنها؟:

قال ابن أبي شيبة: حدثنا محمد بن بشر نا عبيد الله بن عمر حدثنا زيد بن أسلم عن أبيه أسلم أنه: حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم. فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب، خرج حتى دخل على فاطمة فقال: «يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما من أحدٍ أحبُّ إلينا من أبيكِ، وما من أحدٌ أَحَبُّ إلينا بعد أبيك منكِ. وأيم الله، ما ذاك بمانعي -إن اجتمع هؤلاء النفر عندك- أن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت». فلما خرج عمر، جاؤوها، فقالت: «تعلمون أن عمر قد جاءني. وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت. وأيم الله ليمضين لما حلف عليه. فانصرفوا راشدين. فروا رأيكم ولا ترجعوا إلي». فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر.

رواها ابن أبي شيبة برقم (٣٨٢٠٠) بهذا اللفظ والإسناد؛ وإسنادها إلى أسلم مولى عمر بن الخطاب صحيح؛ إلا أنَّ له عِلَّة؛ وهو أن أسلم مولى عمر لم يكن شاهدًا تلك الحادثة؛ فقد قال محمد بن إسحاق: بعث أبو بكر عمر سنة إحدى عشرة، فأقام للناس الحج، وابتاع فيها أسلم مولاه. ذكره المزي في «تهذيب الكمال» في ترجمة أسلم (٢/ ٥٣٠).

ولم يصرح بسماعه هذه الواقعة عمن حضرها، فلا ندي ممن سمعها.

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في ربيع الأول، ولم يحج عمر بالناس إلا في ذي الحجة من ذلك العام؛ أي: بعد ٨ أشهر من وفاة النبي. وعلى هذا فلا يُعلَم عمَّن أخذ هذه الرواية، والله تعالى أعلم.

وقد جاءت قصة بيعة علي أبا بكر رضي الله عنهما على الفور في عدة روايات ذكرناها قبل صفحات تحت عنوان: «هل بايع علي رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه على الفور، أم بعد ستة أشهر؟»، ولم يذكر في واحد منها مضمون القصة التي رواها أسلم، فعلم منه أن رواية أسلم متنه منكر.

قال الحافظ ابن كثير: «وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على بيعة الصديق في ذلك الوقت حتى علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما». (البداية والنهاية ٦/ ٣٠١ - ٣٠٢).

واستدل ابن كثير على ذلك بحديث صحيح، قال عنه الإمام مسلم بن الحجاج: «هذا حديث يساوي بدنة»، فقال ابن خزيمة: «بل هذا يسوي بدرة». وقال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان المنذري ».(للتفصيل راجع: البداية والنهاية ٦/ ٣٠٢، ط: دار الفكر، بيروت).

رواية مقتل سعد بن عبادة رضي الله عنه ضعيفة:

اشتهر عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أن الجن قتلوه، وقالوا فيه من الأبيات ما روِيَ:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ۞ و رميناه بسهمين فلم تخط فؤاده

(مصنف عبد الرزاق، رقم:٢٠٩٣١. المستدرك للحاكم، رقم:٥١٠٢. المعجم الكبير للطبراني، رقم:٥٣٥٩. وإسناده ضعيف)

إسناد هذه القصة مرسل، ففيه نظر، وقد حسَّنه بعضهم نظرًا إلى تعدد طرقه.

طعون الشيعة في أبي بكر رضي الله عنه، والجواب عنها:

(١) قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالكَ بن نويرة، وأخطأ ثانيًا أنه نكح زوجة مالك بن نويرة، وذلك في اليوم التالي من قتله، أي: لم ينتظر مضي عدتها، ولم يعاقب أبو بكر خالدَ بن الوليد بشيء.

حكى ابن سعد عن أبي قتادة رضي الله عنه أن مالك بن نويرة رفض ارتداده، وقال: أنا على الإسلام، ولم أبدل تبديلا فيه، وشهد أبو قتادة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم بإسلام مالك بن نويرة، ورغم ذلك كله أمر خالد بن الوليد ضرار بن الأزور الأسدي بقتل مالك بن نويرة، وفض ضرار عنقه. (الطبقات الكبرى، لابن سعد ١/ ٥٣٤، رقم:٢٣٥)

الجواب:

مالك بن نويرة أخو متمم بن نويرة، وكان متمم بن نويرة يحبه، ورثاه على وفاته:

وكُنَّا كنَدْمَانَيْ جَذِيْمَةَ حِقْبَةً ۞ مِن الدَّهر حتَّى قيل لن يَتصَدَّعا

فلمَّا تَفَرَّقْنا كَأَنِّي و مالِكًا ۞ لِطُولِ اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا

(تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء الراشدين، مقتل مالك بن نويرة، ٣/ ٣٧)

قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالكَ بن نويرة لردته عن الإسلام، وقد اعترف بارتداده أخوه، ولم يقتص أبو بكر من خالد بن الوليد لأجل القرائن على ارتداد مالك بن نويرة، منها: أنه أبدى الفرح بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: لقد زال عنكم العنت. وانضم مالك بن نويرة إلى سجاح التي ادعت النبوة، كما أنه قال في النبي صلى الله عليه وسلم: «رجل منا»، وأطلق عليه «صاحبكم»، و«رجلكم»، بدلا من «نبينا»، مما يدل على ارتداده،ثم إنه استعد لقتال الصحابة رضي الله عنه.

والقول بأن خالد بن الوليد تزوج امرأته في العدة باطل، فإن في الاستبراء كفاية إذا ثبت الارتداد، ورغم ذلك انتظر خالد بن الوليد حتى انتهت عدتها، ثم تزوجها، رضي الله عنه و عن جميع الصحابة.(انظر: أغاليط المؤرخين ١٩٧-٢٠١؛ ومختصر التحفة الاثني عشرية، ص٢٣٨-٢٤٠).

«وكان من الذين جاءَهم خالدُ بن الوليد قوم مالك بن نويرة، وكانوا قد منعوا زكاة أموالهم لم يدفعوها لأبي بكر الصديق، بل لم يدفعوها أبدًا فجاءهم خالد بن الوليد، فقال لهم: أين زكاة الأموال؟ ما لكم فرقتم بين الصلاة والزكاة؟ فقال مالك بن نويرة: إن هذا المال كنا

ندفعه لصاحبكم في حياته، فلما مات ما بال أبي بكر، فغضب خالد بن الوليد وقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك، فأمر ضرار بن الأزور بضرب عنقه. وقيل: إن مالك بن نويرة قد تابع سجاح التي ادعت النبوة».(حقبة من التاريخ للشيخ عثمان الخميس، ص١٣٨. وانظر: البداية والنهاية ٦/ ٣٢٦)

وقد ذكر ارتدادَ مالك بن نويرة كتب الشيعة أيضًا، قال ابن طاووس العالم الشيعي: «ارتدت بنو تميم والزَّيات، واجتمعوا على مالك بن نويرة اليربوعي».(فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، ص١٠٥)

وأما ما رواه ابن سعد من أن مالك بن نويرة رفض ارتداده، ففي إسناده من الرواة مجهول ومتروك، ومتهم بالكذب، فلا يحتج به، وإليك إسناده: «أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة، عن أمه، عن أبيه، عن أبي قتادة قال: كنا مع خالد بن الوليد...». (الطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٥٣٤، رقم: ٢٣٥)

يحيى بن عبد الله مجهول الحال. وأمه :حديدة بنت نضلة بن عبد الله بن خراش أيضًا مجهولة، لم نعثر على ترجمتها في كتب الرجال وغيرها، وقال الحافظ ابن حجر في محمد بن عمر الواقدي: «متروك مع سعة علمه».(تقريب التهذيب)، وساق العلامة الذهبي في «ميزان الاعتدال» عن بعض المحدثين توثيقه، وعن عدد من المحدثين قولهم بأنه متروك، كذاب، وواضع الحديث. «قال أحمد بن حنبل: هو كذاب. وقال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم أيضًا والنسائي: يضع الحديث. وقال ابن المديني: الواقدي يضع الحديث. وقال ابن راهويه: هو عندي ممن يضع الحديث». وقال العلامة الذهبي في آخر ترجمة الواقدي: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي». (ميزان الاعتدال٣/ ٦٦٥-٦٦٦)

(٢) يعترض الشيعة على أبي بكر رضي الله عنه أيضًا بأنه أبى أن يدفع إلى فاطمة رضي الله عنها حقها من ميراث أبيها، مع أن قوله تعالى:﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ (النساء: ١١) عام، فكان يجب على أبي بكر أن يقسم ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه اختلق حديثَ «لا نُورث ما تركناه صدقة».

الجواب:

(١) السياق يشير إلى أن الخطاب في قوله:﴿ يُوصِيكُمُ﴾ للأمة.

(٢) هذا عام مخصوص منه البعض، أي: يستثنى الكافر، والقاتل من إرث المسلم، وكذلك يستثنى منه الأنبياء بناء على خبر الواحد، فلا يرثهم من بعدهم.

(٣) إذا كان ما عندهم من المال بمنزلة الصدقة والوقف لله تعالى انتهت قضية التوارث، فإن التوارث يجري فيما يُملكُ.

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما، وغيرهما في كتب الحديث بإسناد صحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «لا نُورث ما تركناه صدقة». وروى الإمام أحمد في «مسنده» هذا الحديث عن عدد من الصحابة: عبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد، وعمر، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. (صحيح البخاري، رقم:٣٠٩٣؛ وصحيح مسلم، رقم:١٧٥٧؛ ومسند أحمد، رقم:١٧٢، ٣٣٦)

وكانت فدك وقفًا، فلا يجري فيها التوارث، ثم إنه استرضى فاطمة رضي الله عنها. جاء في طبقات ابن سعد وغيره: «اعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه».

قال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن نمير، حدثنا إسماعيل، عن عامر قال: «جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن، فقال علي: هذا أبو بكر على الباب فإن شئت أن تأذني له، قالت: وذلك أحب إليك؟ قال: نعم، فدخل عليها واعتذر إليها وكلمها فرضيت عنه». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ٢٧، ط: دار صادر؛ والرياض النضرة ١/ ١٧٦؛ والبداية والنهاية ٥/ ٢٨٩؛ وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٢٩. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه: وإسناده صحيح، لكنه مرسل. وقال الحافظ في الفتح (٦/ ١٣٩): وهو وإن كان مرسلا فإسناده إلى الشعبي صحيح)

وحكى الكليني في «الكافي» عن جعفر الصادق: «إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنّما ورثوا الأحاديث مِن أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظًّا وافرًا». (الكافي لأبي جعفر الكليني ١/ ١٤٩)

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ (النمل: ١٦): الوراثة في العلم والنبوّة، لا في المال، وإلا فكيف قصر الوراثة على سليمان مع أنه كان لداود أولاد آخرون غير سليمان كما نص عليه التوراة.

وقس عليه أن زكريا عليه السلام طلب من الله تعالى ولدًا وقال: ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ (مريم: ٦)، والمراد به الوراثة في العلم، وإلا كيف يكون أولاده ورثة لمال آل يعقوب كلهم؟

(٣) يعترض الشيعة بأن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يخرج مع جيش أسامة؟

الجواب: حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه في الإمامة وغيرها من الشؤون، فقد خُصَّ من الخروج معه.

أجاب عنه الشاه عبد العزيز في «التحفة الاثني عشرية» مفصلًا. (راجع:مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٢٤٤؛ وإرشاد الشيعة للشيخ محمد سرفراز صفدر، ص ٩٧-١٢٤؛ ورحماء بينهم للشيخ محمد نافع)

منكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كافر:

قال العلامة ابن نجيم: «الرافضي إن فضل عليًّا على غيره فهو مبتدع، وإن أنكر خلافة الصديق فهو كافر». (البحر الرائق ١/ ٣٧٠، ط: دار الكتاب الإسلامي. ومثله في مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ١/ ١٠٨، لشيخ زاده، المعروف بداماد أفندي، ط: دار إحياء التراث العربي).

وقال الطحطاوي: «وإن أنكر خلافة الصديق كفر».(حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ص٣٠٣، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وفي «الفتاوى الهندية»: «من أنكر إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهو كافر، وعلى قول بعضهم هو مبتدع وليس بكافر، والصحيح أنه كافر، وكذلك من أنكر خلافة عمر رضي الله عنه في أصح الأقوال، كذا في الظهيرية». (الفتاوى الهندية ٢/ ٢٦٤، ط: دار الفكر. ومثله في بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، لأبي سعيد الخادمي الحنفي، م: ١١٥٦هـ).

وقال شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي: «مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أن من أنكر خلافة الصديق أو عمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم، وقال: الصحيح أنه كافر. والمسالة مذكورة في كتبهم: في «الغاية» للسروجي، و«الفتاوى الظهيرية»، و«الأصل» لمحمد بن الحسن، وفي «الفتاوى البديعية». (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ١/ ١٣٨، ط: مؤسسة الرسالة، لبنان).

وقال تقي الدين المقريزي: «مذهب أبي حنيفة رحمه الله أن من أنكر خلافة الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه، فهو كافر، وكذلك من أنكر خلافة عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه، ومنهم من لم يحك في ذلك خلافًا، ومنهم من ذكر في ذلك خلافًا، وقال: الصحيح أنه كافر. والمسألة مذكورة في «الغاية» للسروجى، وفي «الفتاوى الطهيرية»، وفي «الأصل» لمحمد بن الحسن رحمه الله. والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبي حنيفة، وهو أعلم بالروافض؛

لأنه كوفي، والكوفة منبع الروافض». (إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأبي العباس تقي الدين المقريزي (م: ٨٤٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وقال الإمام القرطبي: «وقد جاء في السنة أحاديث صحيحة، يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده، وقد انعقد الإجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف. والقادح في خلافته مقطوع بخطئه وتفسيقه. وهل يكفر أم لا، يختلف فيه، والأظهر تكفيره». (تفسير القرطبي، التوبة:٤٠، ٨/ ١٤٨، ط: دار الكتب المصرية، القاهرة).

وقال العلامة ابن الهمام: «من فضل عليًّا على الثلاثة فمبتدع، وإن أنكر خلافة الصديق أو عمر رضي الله عنهما فهو كافر». (فتح القدير ١/ ٣٥٠، ط: دار الفكر. ومثله في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي ١/ ٣٤٧، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وقال ابن عابدين الشامي: «وفي الفتح عن الخلاصة: ومن أنكر خلافة الصديق أو عمر فهو كافر اهـ، ولعل المراد إنكار استحقاقهما الخلافة، فهو مخالف لإجماع الصحابة». (رد المحتار ١/ ٥٦١، ط: دار الفكر، بيروت).

وقال العلامة محمد أنور شاه الكشميري: «قلت: والأكثر على تكفير منكر خلافة الشيخين، وفي «الدر المنتقى» عن «الوهبانية» وشرحها: وصحح تكفير نكير خلافة العتيق وفي الفاروق ذاك الأظهر، بل في «الخلاصة» و«الصواعق» أنه صرح به محمد بن الحسن رحمه الله تعالى في «الأصل»، وكذا صححه في «الظهيرية»، كما في «الهندية»، فما في «رد المحتار» تساهل، وقد صحَّحه في «خزانة المفتيين» أيضًا، كما في الأنقروية، وكذا نقله في «الفتاوى العزيزية» عن «البرهان»، وعن «الفتاوى البديعية»، وعن كتب أخر، وعن بعض الشافعية والحنابلة. (إكفار الملحدين في ضروريات الدين، ص٥١، ط: المجلس العلمي، الهند).

نبذة من ترجمة عمر الفاروق رضي الله عنه:

اسمه: عمر، وكنيته: أبو حفص. ومعنى الحفص: الأسد، أو المراد: أبوحفصة، وقيل: أبو حفص مرخما، كما في الحديث: «يا عائش» مكان «يا عائشة» على الترخيم. (صحيح البخاري، رقم:٣٧٤٨) واسم والده: الخطاب، وهو من قبيلة قريش، وولد بعد قصة الفيل بثلاثة عشر عاما. هو أول من نودي بـ«أمير المؤمنين». طعنه أبو لؤلؤ فيروز –غلام للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه– في صلاة الصبح في ٢٦/ من ذي الحجة عام ٢٣هـ بخنجر مسموم، ومات بعد ذلك بثلاثة أيام، ويطلق عليه «شهيد المحراب»، لأنه قتل وهو يصلي. وكان عمره

عند موته ٦٣ عاما. في عهده فتحت الشام، ومصر، والعراق.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبِهِ». (سنن الترمذي، رقم:٣٦٨٢ . وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح)

أسلم رضي الله عنه بعد أربعين أو خمسة وأربعين شخصًا، روي أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «يا محمد! لقد استبشر أهلُ السماء بإسلام عمر». (سنن ابن ماجه، رقم:١٠٣. وإسناده ضعيف جدًّا، في إسناده عبد الله بن خراش مجمع على ضعفه)

أعز الله تعالى الإسلام به؛ عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب». قال: وكان أحبهما إليه عمر.(سنن الترمذي، رقم:٣٦٨١، وقال: هذا حديث حسن صحيح)

وجه تسميته بالفاروق:

(١) صلى المسلمون في الكعبة جهرًا وعلنًا بعد إسلامه، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم فاروقًا بين الحق والباطل.(الرياض النضرة ٢/ ٢٧٢)

(٢) اختصم رجل من المنافقين ويهوديٌّ، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي، فلم يرض المنافق به، فلما خرج قال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلا إليه فقصا عليه القصة، فلما سمع عمر ذلك ضرب عنقه، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء النبي- صلى الله عليه وسلم- فنزل جبريل فقال: إن عمر فرق بين الحق والباطل، فسمي الفاروق. (الرياض النضرة ٢/ ٢٧٢) ولا منافاة بين القصتين.

وذكر ابن حجر رحمه الله وجهًا آخر في تسميته بذلك، قال: أخرج محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «تاريخه» بسند فيه إسحاق بن أبي فروة، عن ابن عباس: أنه سأل عمر عن إسلامه، فذكر قصته بطولها، وفيها أنه خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين حمزة، وأصحابه الذين كانوا اختفوا في دار الأرقم، فعلمت قريش أنه امتنع فلم تصبهم كآبة مثلها، قال: فسمّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق. (الإصابة في تمييزالصحابة ٥/ ٥. وانظر أيضًا: الطبقات الكبرى ٣/ ٢٧٠. وتاريخ الطبري ٤/ ١٤٧)

لقبه: أمير المؤمنين:

هو أول من نودي بأمير المؤمنين، عن ابن شهاب، أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر

بن سليمان بن أبي حثمة: لأي شيء كان يكتب من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم كان عمر يكتب أولًا من خليفة أبي بكر، فمن أول من كتب من أمير المؤمنين؟ قال: حدثتني الشفاء، وكانت من المهاجرات الأول، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامل العراق بأن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث عامل العراق بلبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد، فإذا هما بعمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا يا عمرو، على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه هو الأمير ونحن المؤمنون، فوثب عمرو فدخل على عمر أمير المؤمنين، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص، ربي يعلم لتخرجن مما قلت، قال: إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قدما فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا عليَّ فقالا لي: استأذن لنا يا عمرو، على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا اسمك، نحن المؤمنون وأنت أميرنا، قال: فمضى به الكتاب من يومئذ. وكانت الشفاء جدة أبي بكر بن سليمان. (أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم:٤٤٨٠، واللفظ له. و انظر: المعجم الكبير للطبراني ١/ ٦٤/ ٤٨؛ والأدب المفرد، رقم:١٠٢٣؛ ومعجم الصحابة لأبي نعيم ، رقم٢١٠؛ وتاريخ المدينة لابن شبة ٢/ ٦٧٨؛ والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، رقم:٦٨. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٦١): رجاله رجال الصحيح. وقال الذهبي في تعليق المستدرك: صحيح)

قال علي بن إبراهيم الحلبي في «السيرة الحلبية»: «فبعث عليهم عبد الله (بن جحش) وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين، أي: فهو أول من تسمى في الإسلام بأمير المؤمنين، ثم بعده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ولا ينافي ذلك قول بعضهم: أول من تسمى في الإسلام بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، لأن المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء أو أن هذا أمير جميع، وذاك أمير من معه من المؤمنين خاصة». (السيرة الحلبية ٣/ ٢١٧، سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه)

مقتل عمر رضي الله عنه:

يرى البعض أن مقتله حدث بالصدفة، ولم يكن مؤامرة مخططة، وذلك أن أبا لؤلؤ المجوسي-غلام المغيرة بن شعبة- شكا إلى عمر رضي الله عنه أن مولاه زاد في خراجه، فسأله عمر عن مقداره فذكره، وكانوا يعاملون العبيد يؤميئذ على وجهين: الأول: أن يكون كل ما

يكسبه العبد لمولاه، والثاني: يرد العبد بعض ما كسبه إلى مولاه وما بقي فهو له. فلما ذكر العبد مقدار خراجه، قال له عمر: ما عملك؟ فقال: أعمل رحا، فقال عمر: هل يعمل أحد غيرك في المدينة، فقال: لا. فقال عمر رضي الله عنه: ما أرى خراجك بكثير. فكره أبو لؤلؤ ذلك، وقال: أما والله لأعملن لك رحا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغارب. فقال عمر رضي الله عنه حين سمعه: لقد توعدني العبد آنفا.(البداية والنهاية ٧/ ١٤٧)

ويرى المحققون من أهل العلم أنه ليس حدث وقع بالصدفة، وإنما هو مؤامرة مخططة. وذلك أن هرمزان المجوسي الذي قيد به ثم عفي عنه وأسلم، قال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه: رأيت هرمزان ونصرانيًّا وأبا لؤلؤ يتناجون، فلما رأوني تفرقوا، وكان معهم خنجر ذو راسين، هجم به أبو لؤلؤ المجوسي في صلاة الفجر على عمر رضي الله عنه، وحاول الصحابة إمساكه، فتضاربوا، وجرح (١٣) من الصحابة. وغطوه بكساء، فلما رأى أبو لؤلؤ أنه لا يخلص من أيديهم، قتل نفسه بالخنجر، وبلغ جرح أمير المؤمنين من العمق ما لا يمسك معه ما يتناوله من الغذاء، وتوفي بعده بثلاثة أيام. (انظر: تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٠. وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٥٧٠)

اعتراضات الشيعة على عمر رضي الله عنه، والجواب عنها:

اعتراض: طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بأيام القلمَ والورق، ليملي ما شاء لأمته، ورأى عمر رضي الله عنه ما برسول الله صلى الله عليه وسلم من الألم، فأشار نظرًا إلى ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا: حسبنا كتاب الله، وكان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بناء على الوحي، فقد ردَّ عمر الوحي بمعارضته ذلك؟

وحاصل اعتراض الروافض أن عمر رضي الله عنه قال: «أهجر رسول الله صلى الله عليه و سلم»، ومعناه الهذيان، وهو إساءة أدب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن عمر رفع صوته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ورد النهي عنه في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)، وإنه ردَّ الوحي، وأنكر حجية الحديث بقوله: «حسبنا كتاب الله»، أي: ١- رد الوحي. ٢- ونسب الهجر والهذيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ٣- ورفع صوته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ٤- وأنكر الأحاديث بقوله: حسبنا كتاب الله.

الجواب: (١) حصل لعلي رضي الله عنه في صلح الحديبية موقف مماثل لموقف عمر رضي الله عنه، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه أن يمحو «رسول الله» لما عارض المشركون كتابته في وثيقة صلح الحديبية- إذ لو اعترفوا برسالته لما قاتلوه- فأبى عليٌّ رضي الله عنه أن يمحوه.

قال البراء بن عازِبٍ: لما صالَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الحديبية كتَب عليُّ بنُ أبي طالب بينهم كتابًا، فكتب محمدٌ رسولُ الله، فقال المشركون: لا تكتب محمدٌ رسولُ الله، لو كنتَ رسولًا لم نُقاتلك، فقال لعليٍّ: امْحُه، فقال عليٌّ: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده. (صحيح البخاري، رقم:٢٦٩٨)

وذات مرة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإتيان الطبق ليكتب عليه، فقال علي رضي الله عنه: لاحاجة لنا إليه، نخشى أن يفوتنا كلامك، فقل بلسانك، نعيه ونحفظ:

عن علي بن أبي طالب قال: أمرني النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتُب فيه ما لا تضِلُّ أمتُّه مِن بعده، قال: فخشيتُ أن تفوتني نفسُه، قال: قلتُ: إني أحفظُ وأعِي، قال: «أوصِي الصلاة، والزكاة، وما ملكتْ أيمانكم». (مسند أحمد، رقم:٦٩٣. وإسناده ضعيف، فيه نعيم بن يزيد لم يرو عنه غير عمر بن الفضل، وقال أبو حاتم: مجهول)

إذا كان إباء علي رضي الله عنه إتيان الطبق على سبيل المشورة، لم يكن معارضة وسوء أدب إليه صلى الله عليه وسلم، فإن إباء عمر رضي الله عنه كان شفقة ورفقًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يقول الصحابة رفقًا برسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعله سكت». وحمل عمر رضي الله عنه قولَ الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستحباب اجتهادًا منه، لا على الوجوب، وذلك رفقًا به صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لي وزيران في السماء: جبريل، وميكائيل عليهما السلام؛ و وزيران في الأرض: أبو بكر، وعمر.(سنن الترمذي، ٣٦٨٠). وما يشير به الوزير قد يرده الملك وقد يقبله. وقد أمرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يشاور في الأمر، ثم كان الأمر إليه، وكان يقبل المشورة حينًا، ويردها حينا آخر.

نهى عمر رضي الله عنه عبد الله بن رواحة عن إنشاد الشعر في المسجد، ولم يقبله النبي صلى الله عليه وسلم.

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ✽ اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ✽ و يذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل». (سنن الترمذي، رقم:٢٨٤٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب)

و ردَّ النبي صلى الله عليه وسلم مشورة عمر رضي الله عنه أحيانا، وقبلها في معظم الأحيان، وهو ما يطلق عليه «موافقات عمر».

وصل الشاه ولي الله رحمه الله بموافقات عمر رضي الله عنه إلى (٢١) موافقة، منها قبوله رأيه في فرض الحجاب، وفي اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، كما نزل الوحي بتأييده في عدم الصلاة على المنافقين. (إزالة الخفاء ٤/ ٧٠-٨٦. وذكر الإمام السيوطي موافقاته أيضًا في «تاريخ الخلفاء»، ص١١٠-١١٣. وانظر أيضًا: «الدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب» للعمادي؛ و«قطف الثمر في موافقات عمر» للعلامة السيوطي)

حاصل السؤال أن عمر رضي الله عنه ردَّ قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وحي.

حاصل الجواب أن عمر رضي الله عنه كان وزيرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار عليه بعدم الكتابة؛ لأن في الإملاء أذى له صلى الله عليه وسلم، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشورته، ثم عاش بعد ذلك خمسة أيام، ولم يذكر الإملاء، بل قال في المجلس نفسه: «قوموا عني»، ومن معانيه: لا تهموا أمر الكتابة، كما ورد في الحديث: «اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبُكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه». (صحيح البخاري، رقم:٥٠٦٠)

بل صرح البخاري في موضع آخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «ذروني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه». (صحيح البخاري، رقم:٣١٦٨، باب إخراج اليهود من جزيزرة العرب).

يقول الشيعة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد كتابة خلافة علي رضي الله عنه، فحال عمر دون ذلك. فنقول ردًّا عليهم: الظاهر أنه كان يريد كتابة خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كما يتضح ذلك بما رواه مسلم في «صحيحه» من قوله: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

ويصر الشيعة على أنه كان يريد كتابة خلافة علي رضي الله عنه، فنُلزمهم القولَ بأنه كان يريد كتابة خلافة عمر بعد أبي بكر رضي الله عنه، ولكن أشار عمر بتأخير كتابتها. وهذا جواب إلزامي.

(٢) ولم يقل عمررضي الله عنه: «أهجر»، وإنما قال ذلك من يميل إلى الكتابة. و«الهجر» بمعنى الهذيان قليل الاستعمال. وأصله لغة: الترك، أي: ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إرادة الكتابة. أو أنه تارك الدنيا. وفي الحديث: «والمهاجر من هجر ما نَهَى اللهُ عنه». أي: من ترك ما نهى الله عنه. ولو سلمنا أن «أهجر» بمعنى «هذى» وهو ما يخرج من فم النائم في الحلم، فالهمزة للاستفهام، أي: هل يهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ كلا.

(٣) وأما الإيراد بأنه رفع صوته، فلا يصح، لأن معنى رفع الصوت، رفع الصوت على صوته صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساكتًا. ولم ينفرد عمر برفع الصوت، وإنما ارتفع الصوت بأصوات الجميع.

(٤) مما يجاب به عن قوله: «حسبنا كتاب الله»:حسبنا كتاب الله في كونه مكتوبًا. أي: واجب الكتابة. والحديث يجوز كتابته، لا تجب. وجواب ثان عنه: حسبنا كتاب الله في إنشاء الاتحاد بين المسلمين حيث قال تعالى:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣) وغيرها من الآيات.

إيراد: أن عمررضي الله عنه أنكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من قال: إن محمدًا مات ضربت عنقه.

الجواب: لا يخفى ما آتاه الله تعالى عمر رضي الله عنه من الفراسة، وقد رأى عمر رضي الله عنه كثيرين يموتون، فكيف ينكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وأراد عمر بقوله هذا أن موت النبي صلى الله عليه وسلم ليس كعامة الأموات. توفي يوم الاثنين، ودفن يوم الأربعاء، دون أن يتغير جسده المبارك، ولذا قال أبوبكر رضي الله عنه حين رآه: «طِبتَ حيًّا ومَيِّتًا». (صحيح البخاري، رقم:٣٦٦٧)

وعن علي بن أبي طالب قال: لـمَّا غسَّل النبيَّ صلى الله عليه وسلم ذهَب يلتمِس منه ما يلتمس من الميت فلم يجده فقال: بأبي الطَّيِّبُ، طِبْتَ حَيًا، وطِبْتَ مَيِّتًا. (سنن ابن ماجه، رقم:١٤٦٧، وإسناده صحيح)

ولم يصلوا عليه صلى الله عليه وسلم صلاة عامة الناس، ولا غسلوه كعامتهم، ولا دفنوه كعامتهم، فإن الأنبياء يدفنون حيث يموتون.

إيراد: الموت ثابت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)

الجواب: لم يصبر على هذه الصدمة لشدة حبه، وغاية صلته به صلى الله عليه وسلم.

ثبوت حياة الأنبياء في قبورهم:

ترى طائفة في باكستان حياةَ النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأموات في القبر حياةً برزخيةً. ولا تقول بعلاقة الروح بجسده صلى الله عليه وسلم علاقة تسمح له بسماع السلام عليه، والجواب عنه، أو الشفاعة، أو الدعاء له، في حين أن حياة الأنبياء ثابتة عندنا.

وقد أعدوا عشرات الرسائل في هذه المسألة في باكستان، ولخصنا بعض المباحث تحت قول المؤلف: «وسُؤال مُنْكِرٍ ونَكِيرٍ في قبره عن ربِّه، ودِيْنِه، ونبيِّه...».

تحقيق «لولا علي لهلك عمر»:

إيراد: يرى الشيعة والروافض أن عمر رضي الله عنه كان قليل العلم قليل الفهم، ويستندون إلى المثل المشتهر على ألسنة الناس، ويسوقه كتب النحو على سبيل المثال: «لولا عليٌّ لهلك عمر».

الجواب: لم تذكر كتب الحديث هذه المقولة، نعم ساقها ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٣) بغير إسناد، وإنما اشتهر لأجل النحويين، يذكرها النحاة مثالًا على كلمة «لو».

تذكر كتب الحديث قصتين في هذا الموضوع:

(١) أمر عمر رضي الله عنه بإيقاع حد الزنا على مجنونة، فقال علي رضي الله عنه: «رُفع القلم عن ثلاث: الصبيُّ، والنائمُ، والمجنون». فاسترجع عمر رضي الله عنه عن ذلك. (سنن سعيد بن منصور ٢/ ٦٧؛ والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٢٩٦)

روى ابن عبد البر هذه القصة بإسناد آخر –علاوة على إسناد سعيد بن منصور– في كتابه: «الاستيعاب» (٣/ ١١٠٢)، وقال في نهاية القصة: «الحديث». ثم قال: «فكان عمر رضي الله عنه يقول: لولا عليٌّ لهلك عمر»، عُلِمَ منه أن نص ابن عبد البر هذا ليس جزءا من الحديث، فقد قال العلامة ابن تيمية في هذه الزيادة :«إن هذه الزيادة ليست معروفة في هذا

الحديث». (منهاج السنة ٦/ ٤٥)

(٢) أقرت امرأة بالزنا أربع مرات، فأراد عمر رضي الله عنه أن يضربها الحد، فقال علي رضي الله عنه: لعل بها عذرا؟ فلما سألوها قالت: أصابني عطش شديد، فطلبت من رجل ماء، فأبى إلا أن أمكنه من نفسي. فدرأ عمر رضي الله عنه الحد عنها.(سنن سعيد بن منصور٢/ ٦٨)

وليس في الرايتين «لولا علي لهلك عمر».

تحقيق «لولا معاذ لهلك عمر»:

قصة شهيرة أخرى، تقول: إن عمر رضي الله عنه قال: «لولا معاذٌ لهَلك عمر». ساقها ابن حزم في «المحلى» (١٠/ ١٣٢)، وقال: باطلة؛ لأن أحد رواتها -أبا سفيان- ضعيف وشيوخه مجاهيل. وقال ابن حجر: أبو سفيان صدوق. فلا يصح اعتبار هذه القصة باطلة، والقصة كما يلي:

«إِنَّ امرأة غاب عنها زوجها، ثم جاء وهي حامل، فرفعها إلى عمر، فأمر برجمها، فقال: معاذ: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها، فقال عمر: احبسوها حتى تضع، فولدت غلاما له ثنيتان، فلما رآه أبوه قال: ابني، ابني! فبلغ ذلك عمر، فقال: عجزت النساء أن تلدن مثل معاذ، لولا معاذ هلك عمر». (المصنف لابن أبي شيبة، رقم:٢٩٤٠٨)

للاستزادة من تحقيق هذه المقولة المنسوبة إلى عمر رضي الله عنه راجع: المجلد الأول من «فتاوى دارالعلوم زكريا».

وأورد المعترضون إيرادات أخرى، منها: أنه ابتدع التراويح عشرين ركعة، وجعل الطلقة الواحدة ثلاثا، ونهى عن متعة النساء.

للاستزادة من الإيرادات والجواب عنها راجع: إرشاد الشيعة للشيخ محمد سرفراز خان صفدر رحمه الله، ص١٣٠-١٥٧؛ مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ٢٤٨-٢٥٦.

وأفرد العلماء عددا من الكتب في عدد ركعات التراويح، والطلقات الثلاث، والمتعة. يرجع إليها للاستزادة منها.

تنقيح مسألة المتعة:

الاعتراضات على المتعة من بين هذه الاعتراضات أجدر بالبحث، والجواب عنها

اليوم؛ فإن محاولات حثيثة تجري لإيقاع شباب السنة في حبائل المتعة.

نعرض عن الاعتراضات الفقهية الشيعية على عمررضي الله عنه، فإن كتب علم الكلام لا يحسن ذكرها فيها. نعم سنتعرض لمسألة المتعة باختصار، فإنها كثيرة الدوران في شباب المجتمع، وتمتلئ كتب علمائنا السنة بالاضطراب في هذه المسألة، فيرى كاتب هذه السطور الحاجةَ ماسة إلى تنقيح هذه المسألة.

يعترض الشيعة بأن عمر رضي الله عنه حرم المتعة فغيَّرَ الشريعة الإسلامية، وقد أحل الرسول صلى الله عليه وسلم المتعة، ثم يذكر الشيعة ما لا يحصى من الفضائل والأجر على المتعة لا مجال ولا حاجة لذكرها هنا. ووردت في كتبهم: «الاستبصار»، و«التهذيب» وغيرهما تحريم المتعة عن علي رضي الله عنه؛ «روي عن علي عليه السلام قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة». (الاستبصار، لأبي جعفر الطوسي٥/ ٢٦٦؛ تهذيب الأحكام، للطوسي ١٥/ ٤٥١؛ وسائل الشيعة، للعاملي ١٤/ ٣٨١؛ الغدير، للأميني ٦/ ٣٦٤؛ خلاصة الإيجاز في المتعة، للمفيد، ص٤٧ . وانظر: بطلان عقائد الشيعة، للشيخ عبد الستار التونسوي، ص٩٤ . ولله ثم للتاريخ ،لحسين الموسوي)

اعلم أولًا، أن النكاح المؤبد، والنكاح الموقت، والمتعة يختلف بعضها عن بعض. فالنكاح المؤبد هوالسائد في المسلمين، والفرق بين النكاح الموقت والمتعة: أن النكاح الموقت يتضمن الميراث والعدة، وثبوت النسب، والشهود، والنفقة، والسكنى كلها، وله أجل محدد. وأما المتعة فلا تتضمن إلا الأجر والوقت، ولاشيء بعدهما.

كانت المتعة في الجاهلية، وتمتع بعض الناس بعد الإسلام، ثم حرمت المتعة إلى يوم القيامة. وحرمت سورةُ المؤمنون وسورةُ المعارج -من السور المكية- النساءَ إلا الأزواج- النكاح المؤبد- والإماء. وتم الإعلان بحرمتها في المدينة المنورة في أوقات مناسبة، كما أعلن حرمة المتعة –نظرًا إلى جمال نسوة اليهود- والحمر الأهلية في خيبر، كيلا يقدم عليها أحد. وأعلن بحرمتها في حجة الوداع، وغزوة تبوك أيضًا، بجانب الغزوات الأخرى، وأبيح النكاح الموقت في غزوة أوطاس لثلاثة أيام فقط، ثم أعلن حرمتها.

كان من الناس من يتمتع متعة الجاهلية، وحرمها الإسلام، روى مسلم في صحيحه: «قال ابن أبي عمرة: إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير، ثم أحكم الله الدين ونهى عنها». (صحيح مسلم، رقم:١٤٠٦)

وعن ابن عباس قال: «إنما كانت المتعة أول الإسلام كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم، فتحفظ له متاعه، وتصلح له شيئَه، حتى إذا نزلت الآية: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ قال ابن عباس: فكل فرْج سوى هذين فهو حرام». (سنن الترمذي، رقم:١١٢٢. قال بشار عواد في تعليقه (٣/ ٤١٦): وهو حديث ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي. وكذلك ضعَّفه في تحرير تقريب التهذيب ٣/ ٤٣٥)

الآيات المكية الدالة على حرمة المتعة هي في سورة المؤمنون، وسورة المعارج: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠﴾ (المعارج: ٢٩ – ٣٠. المؤمنون: ٥ – ٦)

دلت هذه الآيات على حرمة النساء إلا الزوجة والأمة المملوكة، والمتمتع بها ليست زوجة ولا أمة.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (النور: ٣٣)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٢٥)

تدل هذه الآيات على حرمة المتعة.

ويقول الله تعالى أيضًا: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ (النساء: ٢٤)

ذكر الله تعالى في هذه الآية المنكوحة من النساء، وجاء مقيدا بقيدين. قال الشيخ سرفراز في « إرشاد الشيعة»: القيد الأول: (مُّحْصِنِينَ)، أي: إمساك هذه النسوة في القيد، والمتعة ليس قيدًا وإمساكًا. والقيد الثاني: (غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ)، أي: لا تريدون قضاء الشهوة، والمتعة عبارة عن قضاء الشهوة لا غير. (إرشاد الشيعة، ص ١٣٦).

فعلم أن المراد بالأجور في هذه الآية المهور، فقد سبق ذكر النكاح قبلُ.

واعلم أنها أعلنت حرمةُ المتعة في غزوة خيبر، وعمرة القضاء، وغزوة تبوك، وحجة الوداع.

علاوة على حرمة المتعة، يحرم النكاح الموقت أيضًا، فإن نكح نكاحًا موقتًا لم ينعقد في

ظاهر الرواية عند الأحناف، وينعقد عند الإمام زفر، ويبطل التوقيت، وعليه الفتوى.

ورد ذكر هذا النكاح الموقت في حديث سبرة، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فقالوا: يا رسول الله! إن العزبة قد اشتدت علينا، قال: «فاستمتعوا من هذه النساء» .[أي فانكحوا نكاحًا مؤبدًا] فأتيناهن فأبين أن ينكحننا إلا أن نجعل بيننا وبينهن أجلًا، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «اجعلوا بينكم وبينهن أجلا»، فخرجت أنا وابن عم لي، معه بُردٌ ومعي بُردٌ، وبرده أجود من بردي، وأنا أشب منه، فأتينا على امرأة، فقالت: برد كبرد، فتزوجتها، فمكثت عندها تلك الليلة، ثم غدوت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بين الركن والباب، وهو يقول:«أيها الناس! إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع، ألا وإن الله قد حرمها إلى يوم القيامة». (سن ابن ماجه، رقم:١٩٦٢، وإسناده صحيح)

هذه القصة في غزوة الأوطاس، و وهم بعض الرواة فجعلها في حجة الوداع، وبما أن فتح مكة وغزوة الأوطاس كانا في عام واحد، فذكر بعض الرواة فتح مكة.

وهو في الواقع النكاح الموقت، نص الحديث: «فأبين أن ينكحننا إلا أن نجعل بيننا وبينهن أجلا، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اجعلوا بينكم وبينهن أجلا» ثم قال سبرة: «فتزوّجتُها». (سنن ابن ماجه، رقم:١٩٦٢).

وفي رواية عن عبد الله قال: «كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل». (صحيح مسلم، رقم:١٤٠٤)

هذه الألفاظ صريحة في النكاح الموقت، وجعل البرد مهرًا.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة (أي: النكاح الموقت) ثلاثًا، ثم نهى عنها». (صحيح مسلم، رقم:١٤٠٥)

وعن سبرة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع (أي: النكاح الموقت) من النساء وإن الله قد حرَّم ذلك إلى يوم القيامة». (صحيح مسلم، رقم:١٤٠٦)

نسبة إباحة المتعة إلى ابن عباس رضي الله عنهما:

إيراد: روي عن ابن عباس إباحة المتعة؟

الجواب: كان ابن عباس رضي الله عنهما يرى إباحة المتعة –النكاح الموقت– للمضطر، ثم رجع عنه. قال القاضي أبو بكر الجصاص: «ولا نعلم أحدًا من الصحابة رُوي عنه تجريدُ القول في إباحة المتعة غير ابن عباس، وقد رجع عنه حين استقر عنده تحريمها بتواتر الأخبار من جهة الصحابة». (أحكام القرآن٢/ ١٥٢) علِمَ منه أن ابن عباس كان يرى إباحة النكاح الموقت للمضطر، ثم تأمل فيه و رجع عنه، بأنه لا يتحقق فيه الاضطرار، وليس ذلك كالخنزير للمضطر.

قال سعيد بن جبير لابن عباس رضي الله عنهما: لقد سارت بفتياك الركبان. فقال ابن عباس: «سبحان الله! والله ما بهذا أفتيت، إنما هي كالميتة والدم ولحم الخنزير، لا تحل إلا للمضطر». (نصب الراية٣/ ١٨١)

وتقدير النص هكذا: إنما هي كالميتة الخ لا تحل إلا للمضطر، فما أفتيت بها إلا للمضطر، ولا اضطرار فيها بحيث يموت إن لم يتمتع.

و ردَّ علي رضي الله عنه قولَ ابن عباس رضي الله عنهما، كما في صحيح مسلم، ولو سلمنا أنه لم يرجع عن قوله، وتجوز المتعة عند ابن عباس رضي الله عنهما للمضطر، فهو متفرد بذلك، وخالفه علي وعمر وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أشد الخلاف. قال علي رضي الله عنه: «مهلا يا ابن عباس، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر». (صحيح مسلم، رقم:١٤٠٧)

كذلك ما روي من إباحة المتعة عن غيره من الصحابة أمثال جابر رضي الله عنه، فهو محمول على النكاح الموقت للمضطر، أو على أنه لم يبلغهم النسخ. فإن كان هؤلاء قائلين بإباحة النكاح الموقت للمضطر، فقد ردَّ جمهور الصحابة قولهم. ونهى عمر رضي الله عنه عنها في عهده نهيا شديدًا.

ورويت أحاديث كثيرة في حرمة المتعة. قال الشاه عبد العزيز رحمه الله في «فتاوى عزيزية» (٢/ ٣٩)، والشيخ محمد أنور شاه الكشميري في «فيض الباري» (٤/ ١٣٧): المتعة

المصطلح عليها لم تحل يومًا، نعم أذن بالنكاح الموقت في بعض الغزوات.(درس ترمذي ٣/ ٤٠٣).

لا يطمئن المفتي محمد تقي حفظه الله بحمل المتعة على النكاح الموقت، ويعتبره ادعاء محضًا، ولكن الروايات السابقة تفيد بأن ما أبيح ثم نسخ هو النكاح الموقت، وما سبق من لفظ «فأبين أن ينكحننا إلا أن نجعل بيننا وبينهن أجلا».(سنن ابن ماجه، رقم:١٩٦٢)، ولفظ صحيح مسلم: «ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل». (صحيح مسلم، رقم:١٤٠٤)، تصرح هذه الروايات بأن أمر الناسخ والمنسوخ جرى في النكاح الموقت.

ويستدل الشيعة أيضًا بقراءة: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾إلى أجل مسمى).

والجواب عنه أن هذه القراءة غير متواترة؛ بل رُويت عن بعض الصحابة- مثل ابن عباس رضي الله عنه، وغيره- تفسيرًا للآية. أضف إلى ذلك أنه محمول على النكاح المؤجل، الذي حُرِّمَ فيها بعدُ. قال القاضي الشوكاني في «نيل الأوطار»: «وأما قراءة ابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ ﴾ إلى أجل مسمى) فليست بقرآن عند مشترِطي التواتر، ولا سنةٍ لأجل روايتها قرآنا، فيكون من قبيل تفسير الآية، وليس ذلك بحجة». (نيل الأوطار ٤/ ١٤٨)

سبب تسمية عثمان بـ ذي النورين:

كان عثمان رضي الله عنه ذا النورين، وسمي به، لأنه تزوج ببنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم: رقية، وأم كلثوم رضي الله عنهما، واحدة بعد الأخرى. وبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم نور، دينًا ونسبًا أيضًا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجلَّ أوحى إليَّ أن أُزوِّج كريمَتَيَّ عثمانَ». (المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٣٥٠١؛ وفضائل الصحابة للإمام أحمد، رقم: ٨٣٧. وفي إسناده عمير بن عمران الحنفي، وهوضعيف، قال ابن عدي: حدَّث بالبواطيل)

لفظة «كريمتين» تطلق على العيون، وفيها النور والضوء.

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توفي بنته الثانية قال: «زوِّجوا عثمانَ، لو كان لي ثالثة لزوجتُه، وما زوَّجتُه إلا بالوحي من الله عز وجلَّ». (المعجم الكبير للطبراني١٧/ ١٨٤/ ٤٩٠، وفي إسناده الفضل بن المختار، وهوضعيف)

وفي رواية : لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم رضي الله عنه – بعد رقية

رضي الله عنها- عثمان قال: «لو كان لي عشرٌ لزَوَّجتُكَهُنّ». (المعجم الكبير للطبراني٢٢/ ٤٣٦/ ١٠٦١، وإسناده منقطع. وأخرجه الطبراني في الأوسط، رقم:٦١١٦، بإسناد آخر، وفيه محمد بن زكريا الغلابي، وهو ضعيف)

نبذة من ترجمة عثمان رضي الله عنه:

نسبه: عثمان بن عفان بن العاص بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف بن قصي القرشي. اسم أمه: أروى. ولد بعد وقعة الفيل بست سنوات. أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، وتخلف عن غزوة بدر بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمريض زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد بيعة الرضوان، أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة رسولًا، ووضع إحدى يديه على الأخرى عند البيعة وقال: هذا لعثمان، فجعل يده يدَ عثمان. استُخْلِفَ رضي الله عنه غرة المحرم الحرام عام ٢٤هـ، واستمرت خلافته اثني عشر عامًا. قُتِلَ على يد الأسود التجيبي وأصحابه في ١٨/ ذي الحجة عام ٣٥هـ، عن عمر يبلغ ٨٢ عامًا. (راجع:الإصابة٤/ ٣٧٧؛ وأسد الغابة٣/ ٥٧٨. والاستيعاب٣/ ١٠٣٧)

كان من قتلته: حكيم بن جبلة، وعبد الرحمن بن عديس، والأشتر مالك بن حارث النخعي، وكنانة بن بشر. وآخر هجمة عليه قام بها الأسود التجيبي.(تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٤٢)

نقول: عبد الرحمن بن عديس صحابي، ولم يثبت كونه من قتلة عثمان رضي الله عنه.

بحث في الصحابي عبد الرحمن بن عديس البلوي رضي الله عنه، ودعوى كونه من قتلة عثمان رضي الله عنه مع أنه من أصحاب الشجرة:

أما كونه صحابيًّا، فقد روى عنه البغوي في «معجم الصحابة» (رقم:١٩٤٣)، قال: حدثنا أحمد بن منصور (بن بكار- صدوق)، نا نعيم بن حماد (وثقه أحمد وغيره، وضعفه الآخرون)، نا ابن وهب (ثقة حافظ)، عن عمرو بن الحارث (ثقة حافظ)، عن يزيد بن أبي حبيب (ثقة فقيه)، عن عبد الرحمن بن عديس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يخرج ناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون بجبل لبنان أو الجليل [أو بالجليل أو بحبل] لبنان».

وأما كونه من أصحاب الشجرة، ومع ذلك كان في قتلة عثمان رضي الله عنه، فروي من حديث ابن لهيعة (وهو مع ضعفه مفرط في التشيع)، وسيف بن عمر التميمي (متروك، كذاب)، ومحمد بن عمر الواقدي (كذاب).

أما حديث ابن لهيعة: فأخرج البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٩٤) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، أن معاوية بن أبي سفيان، أخذ ابن عديس في زمن أهل مصر فجعله في بعلبك، فهرب منه فطلبه سفيان بن مجيب، فأدركه رجل رام من قريش فأشار إليه بنشابة، فقال ابن عديس: أنشدك الله في دمي فإني ممن بايع تحت الشجرة. فقال: إن الشجر كثير في الجبل، أو قال: الجليل، فقتله. قال ابن لهيعة: كان عبد الرحمن بن عديس البلوي سار بأهل مصر إلى عثمان فقتلوه، ثم قتل ابن عديس بعد ذلك بعام أو اثنين بجبل لبنان أو بالجليل. ورواه عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن عياش بن عباس عن أبي الحصين عن عبد الرحمن بن عديس بمعنى الحديث المرفوع، ثم في قتله.

وأخرج مثله أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٦٩)، والبغوي في «معجم الصحابة» (رقم:١٩٤٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١٠٨) من طريق ابن لهيعة، ثنا عياش بن عباس به.

وأخرج مثله ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١١٤) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب قوله.

وأخرج مثله ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (رقم:١٢٧٦، و٢٦١٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (رقم:٤٦٦٨) من طريق ابن لهيعة، نا يزيد بن عمرو المعافري، به.

وأخرج ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم:١٣٠٨)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (٤/ ١٥٦) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ١١٣) من طريق ابن لهيعة، عن يزيد بن عمرو المعافري أنه سمع أبا ثور التميمي قال: قدمت على عثمان بن عفان رضي الله عنه فبينما أنا عنده خرجت فإذا أنا بوفد أهل مصر، فرجعت إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقلت: أرى وفد أهل مصر قد رجعوا، خمسين عليهم ابن عديس، قال: كيف رأيتهم؟ قلت: رأيت قوما في وجوههم الشر. قال: فطلع ابن عديس منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطب الناس وصلى لأهل المدينة الجمعة، وقال في خطبته: ألا إن ابن مسعود حدثني أنه سمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن عثمان بن عفان كذا وكذا»، وتكلم بكلمة أكره ذكرها، فدخلت على عثمان رضي الله عنه وهو محصور، فحدثته أن ابن عديس صلى بهم. فسألني ماذا قال لهم؟ فأخبرته، فقال: «كذب والله ابن عديس ما سمعها من ابن مسعود، ولا سمعها ابن مسعود من رسول الله صلى الله عليه وسلم قط، ولقد اختبأت عند ربي عشرا، فلولا ما ذكر ما ذكرت، إني لرابع أربعة في الإسلام، وجهزت جيش العسرة، ولقد ائتمني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنته، ثم توفيت فأنكحني الأخرى، والله ما زنيت، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت، ولا تمنيت، ولا مسست بيميني فرجي مذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مرت بي جمعة إلا وأنا أعتق رقبة مذ أسلمت، إلا أن لا أجد في تلك الجمعة، ثم أعتق لتلك الجمعة بعد».

وأخرج البزار مثله في «مسنده» (رقم:٤٤٨)، وزاد: «وكان ممن بايع تحت الشجرة».

وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٣٥) وقال: «هذا حديث لا نشك في أنه كذب، ولسنا نحتاج إلى الطعن في الرواة».

وقال الذهبي في «تلخيص الموضوعات» (ص١٠٨، رقم:٢٣٩): «وابن لهيعة مع ضعفه فيه تشيع قوي».

وقال ابن عدي: «ابن لهيعة شديد الإفراط في التشيع، وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف». (الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٣٨٩)

والحاصل أن مدار الحديث على ابن لهيعة، وهو مع ضعفه مفرط في التشيع، والرواية مما يوافق هواه، فلا تقبل منه.

وأما حديث سيف بن عمر: فأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٧٤)، قال: « كتب إليّ السريّ، عن شعيب عن سيف (متهم بالوضع)، عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان، قالوا: لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء؛ المقلّل يقول: ستمائة، والمكثّر يقول: ألف. على الرّفاق عبد الرحمن بن عديس البلويّ».

وسيف بن عمر التميمي متروك، متهم بالوضع والزندقة. قال أبو حاتم: متروك. وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة. و قال ابن نمير:كان سيف يضع الحديث، وقد اتهم

بالزندقة.(ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٥)

وأما حديث محمد بن عمر الواقدي : فأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٦٥) قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إبراهيم بن جعفر، عن أم الربيع بنت عبد الرحمن بن محمد بن مسلمة، عن أبيها. (ح) قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يحيى بن عبد العزيز، عن جعفر بن محمود، عن محمد بن مسلمة. (ح) قال: وأخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني ابن جريج ، وداود بن عبد الرحمن العطار، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله: أن المصريين لما أقبلوا من مصر يريدون عثمان ونزلوا بذي خشب دعا عثمان محمد بن مسلمة فقال: «اذهب إليهم، فارددهم عني، وأعطهم الرضى، وأخبرهم أني فاعل بالأمور التي طلبوا، ونازع عن كذا، بالأمور التي تكلموا فيها» ، فركب محمد بن مسلمة إليهم إلى ذي خشب. قال جابر: وأرسل معه عثمان خمسين راكبا من الأنصار أنا فيهم، وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وسودان بن حمران المرادي، وابن البياع، وعمرو بن الحمق الخزاعي...».

وقال أيضًا: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبي جعفر القارئ مولى ابن عباس المخزومي قال: «كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة، رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر بن عتاب الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي...».(الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٧١)

ومحمد بن عمر الواقدي متروك، كذاب. قال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم، والنسائي، وابن المديني، وابن راهويه: يضع الحديث. وقال أحمد بن حنبل: هو كذاب. وقال الذهبي في آخر ترجمته: واستقر الاجماع على وهن الواقدي. (ميزان الاعتدال ٣/ ٦٦٢-٦٦٦).

وللواقدي أخبار أخرى في أمر مقتل عثمان، وفيها ذكر عبد الرحمن بن عديس جمعها الطبري في «تاريخه».

واعتمد جمع من أصحاب كتب التاريخ والتراجم على الروايات المذكورة فقالوا: ابن عديس من أصحاب الشجرة وكان في قتلة عثمان رضي الله عنه، مع أن ابن لهيعة مع ضعفه مفرط في التشيع، وسيف بن عمر التميمي متروك، متهم بوضع الحديث، ومحمد بن عمر

الواقدي متروك، كذاب.

لم يشارك صحابي في قتل عثمان رضي الله عنه، وإنما قتله الأوباش:

قال الحسن رضي الله عنه: لم يكن في قتلة عثمان أحد من الأنصار والمهاجرين، وإنما قتله الأوباش من أهل مصر.

قال خليفة بن خياط: «ثنا عبد الأعلى بن الهيثم قال: حدثني أبي قال: قلت للحسن: أكان في من قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا! كانوا أعلاجا من أهل مصر». (تاريخ خليفة بن خياط، ص١٧٦).

قال الإمام النووي رحمه الله: «ولم يشارك في قتله أحدٌ من الصحابة، وإنما قتَله هَمَجٌ ورُعاعٌ من غَوغَاء القبائل، وسفلة الأطراف، والأرذال، تحزبوا وقصدوه من مصر، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه». (شرح النووي على مسلم ١٥/ ١٤٨)

قال ابن تيمية رحمه الله: «إن أخيار المسلمين لم يدخل واحد منهم دم عثمان، لا قتل، ولا أمر بقتله، وإنما قتله طائفة من المفسدين في الأرض من أوباش القبائل، وأهل الفتن». (منهاج السنة ٤/ ٣٢٣. المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٢٢٥. المسامرة، ص١٥٩، ط: مصر)

لم يشارك محمد بن أبي بكر ولا عمرو بن الحمق رضي الله عنهما في قتل عثمان رضي الله عنه:

اعلم أن محمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق يُعَدَّان من الصحابة، ولم يشارك أحد من الصحابة في قتل عثمان رضي الله عنه على رأي المحققين. نعم كان عمرو بن الحمق يرى أن يتنازل عثمان رضي الله عنه عن منصبه، ولم يشارك في قتله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٧): «وأما ما ذكره بعض الناس من أن بعضَ الصحابة أسلمه ورضي بقتله، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه، بل كلهم كرِهَه ومقَتَه، وسبَّ من فعله، ولكن بعضهم كان يوَدُّ لو خلع نفسه من الأمر؛ كعمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، وعمرو بن الحَمِق، وغيرهم». (البداية والنهاية ٧/ ١٩٨، ط: دار الفكر).

والحق أن كبار الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرون عثمان رضي الله عنه على الحق، و المطالبة بالتخلي عن الخلافة باطلة على الإطلاق.

صرَّح أبو المشكور السالمي في «التمهيد» (ص ١٦٤)، والقاضي أبوبكرابن العربي في «العواصم من القواصم» (ص ١٣٦)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٥) قول من ذهب إلى أن عمرو بن الحمق من قتلة عثمان، مرجوح .(سيرة علي المرتضى رضي الله عنه، للشيخ محمد نافع، ص ٢١٥).

وممن دخل على عثمان رضي الله عنه محمد بن أبي بكر مع جماعة البغاة، ولكن قال له عثمان رضي الله عنه: لو كان أبوك حيا لما أقبلتَ. فندم وخرج من البيت. وفي رواية: ضرب محمد بن أبي بكر عثمان رضي الله عنه في حلقه بخنجر. ولكن كل هذا لا أساس له. والحق أن السبائيين أغروه بعثمان، فلما قدم المدينة ودخل على عثمان، ولقيه تفطن لمكيدة المنافقين، فندم وخرج من عند عثمان رضي الله عنه ولم يضرب بخنجر، ولا أمسك لحيته، ولا هجم عليه. وأراد المنافقون أن يُقتلَ قرشي على يد قرشي، ويخلصوا من بينهم. ولم يتحقق ذلك. ثم دخل قتيرة السكوني وسودان بن حمران وغيرهما، وقتلوا عثمان رضي الله عنه. «قالوا: فلمّا خرَج محمدُ بن أبي بكر وعرفوا انكسارَه، ثار قتيرةُ وسودانُ بنُ حُمران السَّكُونِيّان والغافِقيُّ بحديدة معه». (تاريخ الطبري٤/ ٣٩١)

قال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»: «وروى أسدُ بن موسى قال: حدثنا محمد بن طلحة قال: حدثنا كنانة مولى صفية بنت حُيَيٍّ وكان شهِد يوم الدار إنه لم ينل محمدُ بن أبي بكر من دم عثمان، فقال محمد بن طلحة: فقلت لكنانة: فلم قيل إنه قتله؟ قال: معاذ الله أن يكون قتله، إنما دخل عليه فقال له عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، وكلَّمه بكلام، فخرج ولم ينل من دمه بشيء». (الاستيعاب ٣/ ١٣٦٧)

وأخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: «شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة. قلت: هل أندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي. فخرج ولم يند من دمه بشيء». (تاريخ دمشق لابن عساكر٣٩/ ٤٠٧)

وروى خليفة بن خياط، وابن جرير الطبري، عن الحسن البصري: «أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذا أو قعدت مني مقعدًا ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه». (تاريخ خليفة بن خياط، ص١٧٤. تاريخ الطبري٣/ ٣٨٣-٣٨٤)

ولا تصح الروايات التي تفيد أن محمد بن أبي بكر شارك في قتل عثمان رضي الله عنه.

١- روى الطبراني في «معجمه الكبير» عن الحسن البصري: «فوجأه في نحره بمشاقص كانت في يده». (المعجم الكبير للطبراني ١/ ٨٣/ ١١٨)

في إسناده مبارك بن فضالة ضعيف، وسيَّافُ عثمان مجهول.

٢- وروى الطبراني في رواية أخرى عن وثاب مولى عثمان رضي الله عنه: «فقام إليه بمشقص حتى وجأه به في رأسه». (المعجم الكبير للطبراني ١/ ٨٢/ ١١٦)

في إسناده وثاب مولى عثمان مستور الحال.

٣- وروى خليفة بن خياط عن ابن عمر رضي الله عنهما: «ضربه ابن أبي بكر بمشاقص في أوداجه». (تاريخ خليفة بن خياط، ص١٧٥)

في إسناده أبو زكريا العجلاني مجهول، قال محمد بن عبد الله الصحبي: «إسناده ضعيف: لجهالة أبي زكريا العجلاني، ومتنه شاذ لمخالفته الرواية الصحيحة التي فيها أن محمد بن أبي بكر خرج من عند عثمان بعد ما وعظه». (فتنة مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه٢/ ٦٠٦، ط: عمادة البحث العلمي المدينة المنورة)

٤- وروى الطبراني في«المعجم الكبير» عن طَلْق بن خُشَّاف عن عائشة رضي الله عنها قولَها: «قُتِل والله مظلومًا، لعن الله قتلته، أقاد الله ابن أبي بكر به». (المعجم الكبير للطبراني ١/ ٨٨/ ١٣٣)

وطلق بن خشاف ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٥٨) ولم يورد فيه جرحًا ولاتعديلًا، وتبعه على ذلك ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٤٩٠)، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٤/ ٣٩٦). ولا يعرف طلق بن خشاف إلا بهذه الرواية، لم نجد له رواية غيرها في كتب الحديث، والتاريخ، والتراجم، وغيرها من المراجع، وهي كثيرة.

وأما متنه فغريب، قال راويه: طليق بن خشاف:«وفدنا إلى المدينة لننظر فيم قتل عثمان، فلما قدمنا مر منا بعض إلى علي، وبعض إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبعض إلى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فانطلقت حتى أتيت عائشة...».

رغم أنه لم يجتمع علي وعائشة رضي الله عنهما في المدينة أبدًا بعد مقتل عثمان رضي الله عنه. وكانت عائشة رضي الله عنها في مكة حين قُتِل عثمان رضي الله عنه.

وجمع الشيخ يحيى بن إبراهيم في «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» (ص ٢٤٣-٢٤٥) عدة أدلة وقرائن على عدم مشاركة محمد بن أبي بكر في قتل عثمان رضي الله عنه.

مقتل عثمان رضي الله عنه:

شهد الإسلام انتشارًا واسعًا على عهد عثمان رضي الله عنه، وكانت الفتوحات الإسلامية توقفت بمقتل عمر رضي الله عنه، وتم تداركُها على عهد عثمان رضي الله عنه، ونظرا إلى عز الحكومة الإسلامية ضمَّ اليهودُ والنصارى والمنافقون بعض المسلمين السذج إليهم، وبدؤوا يوجهون طعونا واعترضات لا أساس لها، وطالبوا عثمان بالتخلي عن منصبه، وأراد عثمان أن يتخلى عن منصبه لقطع الفتنة، ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «يا عثمانُ، إنه لعل اللهَ يُقَمِّصُك قميصًا، فإن أرادوك على خلعِه فلا تخلعْه لهم». (سنن الترمذي، رقم:٣٧٠٥ . ومسند أحمد، رقم:٢٥١٦٢ . وقال الترمذي: حديث حسن)

وكان عثمان رضي الله عنه يريد إطفاء نار الفتنة، التي أثارها عبد الله بن سبا في مصر، فلما طرده أمير مصر منها لجأ إلى الكوفة وأثار الفتنة إثارة، وكان من يهود صنعاء، تظاهر بالإسلام، وأراد أن يتقرب إلى عثمان وينقض الحكومة عروة عروة، فلم يُقِم عثمان رضي الله عنه له وزنا، فأثار الناسَ ضده انتقامًا منه. وأرسل علي رضي الله عنه الحسنين رضي الله عنهما ليقوما على الباب، ولا يدعا أحدًا يدخل عليه، ولم يرغب عثمان رضي الله عنه أن يفتح باب الفتنة، فرد كل من جاء ليدافع عنه، إنما بقي عبد الله بن الزبير ومروان رغمًا عنه، وفتح عثمان الباب ووضع المصحف بين يديه فدخلوا عليه فقتلوه. وعجز عبد الله بن الزبير ومروان عن مقاومتهم، ولم يأذن عثمان رضي الله عنه لعامة الصحابة بالقتال، فإنه لم يرض أن يُسلَّ السيف في المسلمين بسببه، وقُتِلَ وهو يتلو القرآن الكريم، ووقع دمه على الآية القرآنية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧) (شعب الإيمان، رقم:٢٠٣٤؛ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، رقم:٨١٧)

ولازالت آثار دم عثمان رضي الله عنه على النسخة التي يحتفظ بها متحفُ إسطنبول.

وكان معظم الصحابة خرجوا للحج، وكثير من الصحابة والتابعين كانوا على الثغور لإعلاء كلمة الله تعالى، والجهاد في سبيله، ووصل المفسدون بالآلاف إلى المدينة المنورة، وصعب على الصحابة المتواجدين في المدينة المنورة مقاومتهم، ولكنهم استماتوا في

مواجهتهم، لكن نهاهم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه عن المقاومة نهيًا شديدًا.

وأجاب الشيخ عثمان الخميس عن الاعتراض القائل: لمَ لم يدافع الصحابة عن عثمان رضي الله عنه؟ - أجاب عنه بثلاثة وجوه:

١- نهى عثمان رضي الله عنه عنه نهيًا شديدًا.

٢- كان عدد الصحابة في المدينة أقل بكثير من عدد الخوارج عليه، وكان كثير من الصحابة خرجوا للحج. واستوطن بعضهم مصر، والشام، والكوفة، والبصرة، والعراق، وغيرها.

٣- أرسل بعض الصحابة أبناءهم للذود عن عثمان رضي الله عنه، ولكن لم يخطر ببالهم أن الأمر يصل إلى قتل عثمان رضي الله عنه.

وتفيد الروايات أن عثمان رضي الله عنه كان صائما عند مقتله، ورأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن قاتلتهم انتصرت، وإلا أفطرت عندنا اليوم. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٣٨٨. البداية والنهاية ٧/ ١٨٣)

وتعلل البغاة بأنهم خُدعوا. والأصل أن عثمان ولى محمد بن أبي بكر مصر، وكتب له كتابًا فيه: هذا واليكم محمد بن أبي بكر. فلقيه في الطريق رجل، على راحلة سريعة، وقال: أرسلني عثمان بكتاب، فيه: إذا بلغكم محمد بن أبي بكر فاقتلوه. فكتبوا: «فاقتلوه»مكان «فاقبلوه». وعليه خاتم الخليفة، فرجع البغاة، وقالوا وقد عرضوا عليه الكتاب: قد خُدِعنا.

بعض الروايات الباطلة في محمد بن أبي بكر:

تذكر كتب التاريخ أن محمد بن أبي بكر قُتِل، ثم وضع جسده في إهاب حمار، وأحرق. ولا يصح وضعه في جلد حمار، وإحراقه. في إسناده أبو مخنف كذاب شيعي غالٍ.

وصح أن محمد بن أبي بكرٍ قُتِل، روى خليفة بن خياط عن عمرو بن دينار المكي قال: « أتي عمرو بن العاص بمحمد بن أبي بكر أسيرًا، فقال: هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟ قال: لا . فأمر به، فقُتِل». (تاريخ خليفة، ص١٩٢، ورجال إسناده ثقات)

وأما وضع جسده في جلد حمار، وإحراقه فلا يصح. في إسناده أبومخنف كذاب شيعي غالٍ.

روى ابن جرير حديثًا طويلًا عن أبي مخنف، جاء فيه قوله: «فغضب معاوية [بن

حديج] فقدمه فقتله، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه بالنار». (تاريخ الطبري ٥/ ١٠٢-١٠٥)

ساق رواية أبي مخنف هذه عدد من المؤرخين في كتبهم، مفصلًا أو مختصرًا، منهم: اليعقوبي في «تاريخ اليعقوبي» (٢/ ١٩٤)، والمسعودي في «مروج الذهب» (٢/ ٤٢٠)، وابن حبان في «الثقات» (٣/ ٣٦٨)، وابن الأثير في «الكامل» (٢/ ٧٠٧-٧٠٩)، والنويري في «نهاية الأرب» (٢٠/ ٢٥١)، وابن خلدون في «تاريخ ابن خلدون» (٢/ ٦٤٢)، وابن تغرى بردي في «النجوم الزاهرة» (١/ ١١٠)، ومطهر بن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٥/ ٢٢٦)، وابن الوردي في «تاريخ ابن الوردي» (١/ ١٥٤)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣١٤)، والسيوطي في «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١/ ٥٨٤)، وعبد الملك الأسامي في «سمط النجوم العوالي» (٣/ ١٥)، والذهبي في «سيرأعلام النبلاء» (٣/ ٤٨٢)، وابن عبد البرفي «الاستيعاب» (٣/ ١٣٦٦).

ولم يدخر أبو مخنف الكذاب جهدًا في تشوية صورة التاريخ الإسلامي، وسيرة الصحابة الكرام، وساق عدد من المؤرخين رواياته في كتبهم من غير تعليق، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم حتى عن مثلة الكفار، وإحراقهم بالنار، فهل يظن بالصحابة الكرام أنهم خالفوا الأمر النبوي؟ وقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

(جامع بيان العلم وفضله، رقم: ١٨١٠. ومثله في مشكاة المصابيح، رقم:١٩٣، باب الاعتصام بالكتاب والسنة، الفصل الثالث. وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٠٥ عن ابن عمر)

وقال ابن أبي حاتم في مقدمة «الجرح والتعديل»: «ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم والجري على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم فقال: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥)(مقدمة الجرح والتعديل ١/ ٧)

علاوة على رواية أبي مخنف توجد رواية أخرى تفيد وضع محمد بن أبي بكر في جوف حمار، وإحراقه: أخرج الطبراني عن الحسن البصري قال: «أُخِذ هذا الفاسقُ محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فأدخِل في جوف حمار فأُحرِق». (المعجم الكبير، رقم: ١/ ٨٤/ ١٢٣)

وهذه الرواية مرسلة؛ لأن الحسن البصري لم يشهد هذا الحدثَ، ولم يذكر من حدثه بذلك. و وصف الحسن البصري محمد بن أبي بكر بالفسق يستبعده العقل، وقد قال ابن عبدالبر في محمد بن أبي بكر رضي الله عنه: «كان علي بن أبي طالب يثني على محمد بن أبي بكر ويفضله؛ لأنه كانت له عبادة واجتهاد». (الاستعاب ٣/ ١٣٦٦، ترجمة محمد بن أبي بكر الصديق)

نسبة الكتاب المزور بقتل محمد بن أبي بكر إلى مروان:

قيل: كتب مروان الكتاب المزور بقتل محمد بن أبي بكر. وهذا باطل، فإن مروان كان من موالي عثمان رضي الله عنه، ويسعي وقايته وحفظه.

قال محب الدين الخطيب في تعليقه على «العواصم من القواصم»: «ولا يعقل أن يكون تدبير هذا الدور التمثيلي صادرًا عن عثمان أو مروان أو أي إنسان يتصل بهما، لأنه لا مصلحة لهما في تجديد الفتنة بعد أن صرفها الله، وإنما المصلحة في ذلك للدعاة الأولين إلى إحداث هذا الشغب، ومنهم الأشتر، وحكيم بن جبلة اللَّذان لم يسافرا مع جماعتهما إلى بلديهما؛ بل تخلفا في المدينة».(تاريخ الطبري٥/ ١٢)، ولم يكن لهما أي عمل يتخلفان في المدينة لأجله إلا مثل هذه الخطط والتدابير التي لا يفكران يومئذ في غيرها». (حاشية العواصم من القواصم، ص١٣٣)

وقال محب الدين الخطيب في حاشيته على «المنتقى من منهاج الاعتدال»: «لا سيما وأن عثمان ومروان يعلمان أن ابن أبي سرح ليس في مصر، وأنه استأذن الخليفة بالمجيء إلى المدينة، فكيف يكتب إليه عثمان أو مروان إلى مصر وهما يعلمان أنه ليس في مصر؟ ومروان أنبل من أن يخون أمانة أدنى الناس، فكيف يخون أمانة أمير المؤمنين عثمان في خاتمه وأدق شؤن خلافته».(حاشية «المنتقى من منهاج الاعتدال»، ص٣٩٣)

والظاهر أن هذا الكتاب عمله البغاة، تمهيدًا لقتل عثمان رضي الله عنه، قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: «كتبوا من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج كتُبًا مُزوَّرةً أنكروها، وهكذا زُوِّر هذا الكتاب على عثمان». (البداية النهاية ٧/ ١٧٥)

وزوروا كتبًا على علي رضي الله عنه أيضًا، روى ابن أبي شيبة في «المصنف» أن أهل الشغب رجعوا إلى مصر، ثم عادوا من بعض طريقهم وقالوا لعلي: إن عثمان غدر بنا وأمر بقتلنا، فانطلق معنا، وتحدث مع عثمان في هذا الأمر، فقال علي رضي الله عنه: «لا والله، لا

أقوم معكم، قالوا: فلم كتبتَ إلينا، قال: لا والله ما كتبت إليكم كتابًا قط».(مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ٢١٧)

قال مسروق-أحد مشاهير التابعين- لعائشة رضي الله عنها: يقولون: إنك حملت الناس على الخروج على عثمان، فتبرأت عائشة منه وقالت: «لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبتُ لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا». قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتِب على لسانها. وهذا إسناد صحيح إليها. (البداية والنهاية ٧/ ١٩٥)

قال ابن كثير: «وزُوِّرت كتُب على لسان الصحابة الذين بالمدينة، وعلى لسان علي وطلحة والزبير، يدعون الناس إلى قتال عثمان». (البداية والنهاية ٧/ ١٧٣)

قال ابن كثير في موضع آخر: «إن هؤلاء الخوارج قبحهم الله، زوروا كتبًا على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان». (البداية والنهاية ٧/ ١٩٥)

عدالة مروان في نظر أهل العلم:

حاول بعض المؤرخين تقديم صورة مشوهة لمروان، وقد كان مشتهرا بين الصحابة والتابعين بعلمه وفقهه وعدالته، قال علي رضي الله عنه فيه: «سيد من شباب قريش».(تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٨٣. تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٧٠٤). وقال معاوية رضي الله عنه فيه: «أما القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله، فمروان بن الحكم».(تاريخ دمشق ٢١/ ١١٨. تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٧٠٤). واستدل مالك رحمه الله في غير موضع من «موطئه» بقضائه وفتاواه. وقال الإمام أحمد رحمه الله: «كان عند مروان قضاء، وكان يتبع قضاء عمر». (تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٣٩. تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٧٠٦). روى عن بعض مشاهير الصحابة، و روى عنه الصحابة والتابعون.(تهذيب التهذيب ١٠/ ٩١-٩٢) للاستزادة مما كان عليه مروان من التقوى، والعفاف، والعدالة، والثقة، واتباع السنة راجع: «الدولة الأموية المفترى عليها» (ص١٩٩-٢٠١).

قال محب الدين الخطيب في حاشيته على «المنتقى من منهاج الاعتدال»: «الرافضة تعلم أن مروان موضع ثقة أمثال زين العابدين علي بن الحسين في أحكام الدين، وزين العابدين أحد الذين يروون عن مروان، روى ذلك الحفاظ والأئمة، وآخرهم الحافظ ابن حجر في الإصابة، وترى تفصيل ذلك في «طبقات الشافعية الكبرى» للتاج السبكي في ترجمة اللغوي الشهير أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر صاحب تهذيب اللغة (٢٨٢-٣٧٠)، وممن نص

الحافظ ابن حجر على روايته عن مروان: سعيد بن المسيب رأس علماء التابعين، وإخوانه من الفقهاء السبعة أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعروة بن الزبير، وأضرابهم كعراك بن مالك الغفاري المدني فقيه أهل دهلك، وكان ممن يصوم الدهر، وكعبد الله بن شداد بن الهاد أحد الرواة عن عمر وعلي ومعاذ، وإن رواية عروة بن الزبير عن مروان في كتاب الوكالة من «صحيح البخاري» (ك٤٠ ب٧ص٦٢) وفي مسند الإمام أحمد (٣: ٣٢١، ٣٢٣، و٣٢٦، و٣٢٨، و٥: ١٨٩) ورواية عراك عن مروان نقلها إمام أهل مصر الليث بن سعد، عن يزيد بن حبيبة في «مسند أحمد» (٤: ٣٢٨)، ورواية عبد الله بن شداد بن الهاد عن مروان في «مسند أحمد» (٦: ٣١٧، و٣٢٣).

بل في رواة أحاديث مروان عبدُ الرزاق إمام اليمن، وكانت فيه نزعة تشيع، فإذا كان مروان موضع ثقة عند جميع هؤلاء الأئمة الأعلام من زين العابدين علي بن الحسين إلى عبدالزراق بن همام الصنعاني، فما على أي مسلم إذا سمع من رافضي قالة السوء في مروان إلا أن يضرب بها وجهه ويمضي في سبيله». (حاشية «المنتقى من منهاج الاعتدال»، ص٣٩٣-٣٩٤)

ولد مروان في٢هـ، وكان ابن ثماني سنين عند وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم، أضف إلى ذلك أنه كان مميزا عند فتح مكة وحجة الوداع، فهو وإن اختلفوا في سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم، قد ثبت له الرؤية، ورؤية المميز تكفي في الصحبة، فهو عند الأكثرين من الصحابة، كما صرح به ابن كثير: «وهو صحابي عند طائفة كثيرة، لأنه ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه في حديث صلح الحديبية». (البداية والنهاية ٨/ ٢٥٧)

وقال الإمام الذهبي: «لم يصح له سماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن له رؤية». (تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٧٠٦)

وقال العلامة العيني والحافظ ابن حجر: «توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين». (عمدة القاري ٤/ ٢٩١. الإصابة ٦/ ٢٠)

وقال ابن العربي في «العواصم»: «مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة، والتابعين، وفقهاء المسلمين. أما الصحابة فإن سهل بن الساعدي روى عنه. وأما التابعون فأصحابه في السن وإن كان جازهم باسم الصحبة في أحد القولين. وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه، واعتبار خلافته، والتلفت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته. وأما السفهاء

من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم». (العواصم من القواصم، ص١٠١-١٠٢)

اعتراضات على عثمان رضي الله عنه والجواب عنها:

اتهام الوليد بن عقبة بشرب الخمر، وتولية عثمان إياه:

(١) كان الوليد بن عقبة شارب خمر، فصلى بالناس الفجر أربعًا مكان ركعتين وهو سكران، و ولى عثمان رضي الله عنه مثله.

الجواب: كان الوليد بن عقبة رجلًا صالحًا، ومن سوء الحظ أنه ولي الكوفة، وأهل الكوفة الأشرار لم يتسامحوا مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وشكوه في غير وجه. فسحب عمر رضي الله عنه سعدًا. وولى أبو بكر رضي الله عنه الوليد بن عقبة رضي الله عنه العراق والأردن، وبعث لقتال نصارى بني تغلب، وظل على الإمارة منذ أيام أبي بكر رضي الله عنه، وإن كان حديث السن، ثم ولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة نظرًا إلى كفاءته، ومما يضفي على الكوفة أهمية أن آذربيجان وآرمينيا تقعان على أطرافها. وكانت مركز القيادة.

وأما قصة شرب الخمر فيذكرون أن بعض الشباب: زهير بن جندب، ومورع بن أبي مورع، وشبيل بن أبي الأزدي قتلوا حيسمان، فقلتهم الوليد بن عقبة رضي الله عنه قصاصًا، فغضب آباءهم وذووهم، وأصروا على الانتقام من الوليد بن عقبة رضي الله عنه، وكان الوليد بن عقبة رجلا شجاعًا نقي السريرة، ولم يكن على بيته باب، وذات يوم كان الوليد بن عقبة يأكل العنب مع رجل نصراني أسلم على يده في عهد عمر رضي الله عنه، فاستغل أولياء المقتول: جندب، وأبو مورع، وأبو زينب الفرصة، واتهموا الوليد بن عقبة بشرب الخمر. وحملوا الناس عليه، فاقتحم الناس عليه بيته، ولم يبق في الطبق إلا بعض الأعناب، فدفع الوليد بن عقبة الطبق تحت السرير، فأدخل بعضهم يده تحته، فلم يجد إلا بعض الأعناب فيه، أخفاه الوليد بن عقبة استحياء، فلام الناس جندبًا وأبا مورع، وأبا زينب، ولعنوه على اتهامه الأمير، واشتاطوا غبضًا وغيظًا. وذات مرة وجدو الوليد نائما، فنزعوا خاتمه وأرسلوه على يد رجل إلى عثمان رضي الله عنه، وقالوا: كان سكرانا، فنزعنا عنه خاتمه، فكأنهم شهدوا على الوليد بن عقبة بشرب الخمر، فطلب عثمان الوليد بن عقبة، فأبى الوليد أن يكون شرب الخمر، وأقام عثمان رضي الله عنه الحد عليه بناء على الشهود، وقال: نقيم الحدود ويبوء

شاهدُ الزور بالنار، فاصبر يا أُخَيَّ. (تكملة فتح الملهم ٢/ ٤٩٩-٥٠٠)

وأما صلاته أربع ركعات مكان ركعتين في الفجر، فرواه مسلم في صحيحه، وذلك أن حضين بن المنذر دخل على عثمان رضي الله عنه، وشهد رجلان عنده بشرب الوليد بن عقبة الخمر، وأنه صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟. (صحيح مسلم، باب حد الخمر، رقم:١٧٠٧)

أي: لم يكن حضين بن المنذر شاهدًا بشرب الخمر، وإنما حكى شهادة الشاهدين، وشاهده.

ورواته إلى حضين بن المنذر وإن كانوا ثقات، وإسناده صحيح، ولكن الحديث مضطرب. وشاهدا شرب الخمر اللذين ذكرهما حضين بن المنذر أحدهما مجهول، والآخر حمران بن الأعين رافضي.

ورواية أخرى ذكرها ابن عبد البر في «الاستيعاب» يصل سندها إلى عبد الله بن شوذب، وابن شوذب لم يولد إلا بعد هذه القصة بـ(٥٦) سنة، فكيف يصح اتهام صحابي برواية منقطعة؟ يا ترى، للاستزادة منه راجع: «عثمان ذو النورين» للشيخ بشير أحمد الحصاري، ص ٢٧٦-٣٠١.

وهذه القصة مشتهرة على الألسنة ورواها الإمام مسلم في «صحيحه»، فنفصلها بعض التفصيل:

اتُّهِمَ الوليد بن عقبة رضي الله عنه بشرب الخمر، اتهمه به خبثاء الطوية من الكوفة، الذين أصروا على مخالفة هذا الأمير المظلوم. «كتب عثمان في رسالته إلى أهل الكوفة: إني استعملت عليكم الوليد بن عقبة حتى تولَّتْ منعتُه واستقامت طريقتُه، وكان من صالحي أهله... طعنتُم في سريرته». (تاريخ المدينة لابن شبة ٣/ ٩٧٤)

فحلف له الوليد وأخبره خبرهم، فقال عثمان رضي الله عنه له: نقيم الحدود ويبوء شاهدُ الزور بالنار، فاصبر يا أُخَيَّ. (تاريخ الطبري ٤/ ٢٧٤)

وفصلت رواية صحيح مسلم شهادة شرب الخمر هذه بعض التفصيل: عن حضين بن المنذر شهدت عند عثمان وأتي بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم، فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ». (صحيح مسلم، رقم:١٧٠٧).

أحد هذين الشاهدين مجهول، والآخر حمران بن الأعين، قال أحمد: «يتشيع هو وأخوه». وقال الآجري عن أبي داود: «كان رافضيًّا». وقال ابن معين: «ضعيف». (تهذيب التهذيب ٣/ ٢٥)

وتذكر روايات أخرى شاهدين آخرين بشرب الخمر: أبو زينب وأبومروع، جندب وسعد بن مالك، وهم أقارب لمن قتِلوا بقتل أبي جيسمان، فشهادتهم مردودة.

والحاصل أن رواية اتهام الوليد بن عقبة رضي الله عنه بشرب الخمر معلولة للوجوه التالية:

(١) فيها اضطراب: صلى ركعتين، ثم قال: أزيدكم، أو صلى أربعًا.

(٢) قرأت حال حمران بن الأعين من الشهود، والآخر مجهول.

(٣) في بعض الروايات: أربعين سوطًا، وفي بعضها: ثمانين سوطًا، وإن جمع بينهما الشراح.

(٤) يقول أحد الشاهدين: شرب الخمر، ويقول الآخر: قاء.

(٤) أحد أسانيدها ينتهي إلى عبد الله بن شوذب الذي ولد بعد هذه الوقعة بـ (٥٦) سنة. والإسناد الآخر المذكور في صحيح مسلم، ينتهي إلى حضين بن المنذر، وليس من شهود قصة شرب الخمر، وإنما شهد مجلس عثمان رضي الله عنه، الذي شهد فيه حمران وآخر، أي كان من شهود مجلس الشهادة، ولم يشهد بشرب الخمر أو الصلاة، بل ليس كوفيا.

(٦) كان عثمان رضي الله عنه جازما بكذب هذه الشهادة، ولذا قال: نقيم الحدود ويبوء شاهدُ الزور.

(٧) ولو حصلت قصة الصلاة لشهد بها المصلون كلهم، ولم يشهد هنا إلا رافضي ومجهول.

راجع للاستزادة من هذه القصة، والنقد عليها «تكملة فتح الملهم» (٢/ ٤٩٩-٥٠٢)؛ وكتاب الشيخ بشير أحمد الحصاري في السيرة (ص ٢٨٤-٣٠٠)، و«العواصم من القواصم» مع التعليقات، ص ٩٣-٩٤.

وضرب عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة حد الشرب، ليسكت الناس عليه، وكان ممن ضرب الحد علي رضي الله عنه.

ويمكن تنفيذ قضاء القاضي بشهادة الزور إذا كانوا عادلين في نظر القاضي في الظاهر.

وصف الشيخ ابن أبي العز الصحابي الوليد بن عقبة رضي الله عنه بالفسق بناء على الرواية المعلولة المفيدة شرب الوليد بن عقبة الخمر. وأورد هذه الرواية دليلا على جواز الصلاة خلف الفاسق. «وكذلك كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر».(شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز٢/ ٢٣٥، ط: الرسالة)

اتهام الوليد بن عقبة بالفسق:

استُهدفَ الوليد بن عقبة رضي الله عنه من قبل المعترضين، لأنه كان أخا للأم لسيدنا عثمان رضي الله عنه، وقال بعض المفسرين: المراد بالفاسق في قوله تعالى:﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ (الحجرات: ٦) هو الوليد بن عقبة رضي الله عنه، ويقولون: بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة مصدِّقا إلى قوم فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم ظنًّا منه أنهم يريدون قتله، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا، وعزم على قتالهم، إذ جاء بعضهم وقالوا: بعثت إلينا مصدقا، فأقبلنا إليه إكرامًا ولنقدم إليه الصدقات، فرجع. وبلغنا أنه ظن أننا أقبلنا إليه نَهُمُّ قتلَه، ويعلم الله تعالى أننا لم نهمَّ قتله. فنزل قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات: ٦) والمراد بالفاسق هو الوليد بن عقبة رضي الله عنه.(تفسير الطبري ٢٢/ ٢٨٨، ت: أحمد شاكر)

وهذا غير صحيح لأسباب تالية:

١- روى أبوداود في «سننه» عن الوليد بن عقبة رضي الله عنه، قال: «لما فتح نبي الله صلى الله عليه وسلم مكة، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم، فيدعو لهم بالبركة، ويمسح رؤوسهم»، قال: «فجيء بي إليه وأنا مخلق، فلم يمسني من أجل الخلوق» (سنن أبي داود، باب في الخلوق للرجال، رقم:٤١٨١، وفي إسناده مقال)

من غير المعقول أن يرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدِّقا من كان في هذه السن المبكرة، في فتح مكة، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة بعامين.

ورواية سنن أبي داود غير صحيحة لوجوه عدة: ١-إسنادها ضعيف. ٢-أسلمت

أخته وهاجرت فخرج مع أخيه ليرجعوا بها.(المستدرك للحاكم، رقم:٦٩٢٧) ومن المستبعد إرسال ولد في هذه السن الصغيرة ليرجع بأخته. وفي إسنادها الواقدي متروك، والحسين بن فرج متهم بالكذب. ٣- تفيد رواية تاريخ الطبري أن الوليد بن عقبة كان عاملا على بلاد قضاعة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.(تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٩-٣٩٠، سنة ثلاث عشرة).

٢- ما يذكره المفسرون من الروايات الخاصة بالوليد بن عقبة ضعيفة، فلا عبرة بها. معظمهم موقوفة على مجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى، وفي المرفوع منها في إسناده رواة ضعاف، مثلا: في أحد أسانيد الطبراني: يعقوب بن حميد، يقول معظم المحدثين: ضعيف.(مجمع الزوائد ٧/ ١١٠، ط: دار الفكر) وفي الإسناد الآخر: عبد الله بن عبد القدوس التميمي، يضعفه معظم المحدثين.(مجمع الزوائد ٧/ ١١٠) وفي الإسناد الثالث موسى بن عبيد، وهو أيضًا ضعيف.(مجمع الزوائد ٧/ ١١٠). والإسناد الرابع الذي صححه بعضهم ضعيف أيضًا لجهالة دينار والد عيسى.

٣- يطلق القرآن الكريم الفاسق على الكافر في معظم الاستعمالات، إلا إذا دلت قرينة على تركه، ويحمل الفقهاء الفاسق على من فيه الفسق والفجور، فلا يقبلون شهادة الفاسق. والفاسق بمعنى الكافر في الآيات التالية:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ (الكهف: ٥٠) وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة: ١٠٨) وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ (السجدة: ١٨) وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ (السجدة: ٢٠)

٤- لو كان المراد بالفاسق في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ هو الوليد بن عقبة رضي الله عنه، لقيل: «يا أيها النبي إن جاءك فاسق بنبإ...»؛ لأن المفسرين يقولون: قد شكا الوليد بن عقبة رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن القوم الذين أرسلتَني إليهم مصدِّقا يهمّون قتلي.

٥- الوليد بن عقبة رضي الله عنه صحابي، فكيف يكون فاسقًا! والصحابة كلهم عدول بتعديل الله تعالى، والقرآن والحديث مصرحان بعدالتهم وجلالتهم. وهذا أمر مجمع عليه.

٦- الروايات التي تنسب الفسق في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ﴾ إلى الوليد بن عقبة رضي الله عنه ضعيفة أو مرسلة، ولاعبرة بها في العقائد.

٧- لم يثبت فسق الوليد بن عقبة رضي الله عنه قبل إخباره بما أخبر، فلا يكون هو المراد بـ ﴿ فَاسِقُۢ ﴾ في قوله تعالى، ولو سلمنا أنه كان فاسقًا من ذي قبلُ، فهل يتصور تولية الفاسق مثل هذا المنصب الهام!!

٨- الروايات التي تدل على أنه المراد بالآية الكريمة تذكر أيضًا أنه رجع ظنًّا منه أن الذين أقبلوا إليه أعداء له، وهو خطأ اجتهادي، ولا يوصف أحد بالفسق بالخطأ الاجتهادي.

٩- في الروايات اضطراب، فقيل: بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة رضي الله عنه، وفي بعضها: رجل، وفي بعضها: أرسل خالد بن الوليد ليتأكد من الأمر، فانطلق، وسمع الأذان في القرية، وتقول بعض الروايات: قدموا هم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعرضوا عليه صدقاتهم. وتقول بعض الروايات: جاء رئيسهم: الحارث بن ضرار الخزاعي وقدم صدقاته، وقدم مع قبيلته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واضطراب **الروايات دليل على ضعفها**. (راجع هذه الروايات في: الدر المنثور ج ٧ ؛ وتاريخ ابن عساكر ج ٦٣؛ والمعجم الكبير للطبراني ج٣؛ ومجمع الزوائد ج ٧).

إيراد: فإن قيل: هذه الروايات وإن كانت مضطربة وضعيفة، ولكن كثرة الطرق تؤكد أن الآية الكريمة نزلت في قصة الوليد بن عقبة رضي الله عنه.

الجواب: إن كان المراد بالآية الكريمة هو الوليد بن عقبة رضي الله عنه، فمعناه: أن الوليد مصداق قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وأما قوله: ﴿فَاسِقُۢ﴾ فالمراد به من أخبر وليدًا خبرًا باطلًا بأن أصحاب القبيلة يريدون قتله، فأخبر الوليد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. كما جاء في «الدر المنثور» عن أم سلمة رضي الله عنها.

١٠- إن كان المراد بالفاسق هو الوليد رضي الله عنه، فإن الآية اللاحقة في الصحابة رضي الله عنه وهي قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات: ٧) تنافي ذلك.

أي: ليس الصحابة بفسقة، وكانوا يكرهون الفسق، فقبول الوليد بن عقبة رضي الله

عنه الصحابي خبر الرجل الفاسق ذي الخصال الشيطانية لم يصدر عن حبه للفسق، بل خطأ اجتهادي منه.

وإذا حملناها على هذا المعنى اتضح الاستدراك في «لكن»؛ لأن «لكن» ينافي ما بعدها ما قبلها. كما أن «لكن» تأتي لنفي الوهم الناشئ عما سبق، أي: لم يكن قبول الوليد بن عقبة رضي الله عنه لخبر الفاسق ناشئًا عن حبه للفسق، بل خطأ اجتهادي منه، فإن الله تعالى حبب الإيمان إلى قلوب الصحابة، وكره إليها الكفر والفسوق.

والحاصل أنه لاعبرة بالروايات الضعيفة في الطعن في الصحابة، ولا يجوز الحكم بالفسق على الصحابي عند أهل السنة. قال الإمام الرازي رحمه الله: «ويتأكَّد ما ذكرنا أن إطلاق لفظ الفاسق على الوليد شيء بعيد، لأنه توهَّم وظنَّ فأخطأ، والمخطئ لا يسمى فاسقًا». (التفسير الكبير ٢٨/ ١١٩)

وقال الشيخ عبد الرحمن محمد سعيد في كتابه: «أحاديث يحتج بها الشيعة» (ص٥٣٧): «أورد ابن كثير أقوالًا لمجاهد، وقتادة، وابن أبي ليلى، ولكنها روايات مرسلة، وهذه المرسلات لا تصح لإثبات تهمة الفسق على صحابي، فإننا لا نقبلها في أحكام الطهارة ولا الصلاة، فكيف نقبلها في جرح خيار هذه الأمة».

للاستزادة من اتهام الوليد بن عقبة رضي الله عنه والرد المفصل عنه راجع: «فتاوى دارالعلوم زكريا» ١/ ١٤٩-١٥٨، كتاب الإيمان والعقائد؛ و«الجزء اللطيف في الاستدلال بالحديث الضعيف»، ص ١٦٤-١٧٨.

اتهام عثمان رضي الله عنه بمحاباة ذوي قرباه:

إيراد: أخذ عثمان رضي الله عنه مال بيت المال وقسمه على ذوي قرباه.

الجواب: لا شك أنه قسم على ذوي قرباه، ولكنه بذل ماله، لا مال بيت المال، و كان على ذلك قبل أن يتولى الخلافة. قال الشاه عبد العزيز في «التحفة الاثني عشرية»: «والجواب على فرض التسليم أن عثمان رضي الله تعالى عنه بذل ذلك من كسبه، لا من بيت المال، فإنه كان من المتمولين قبل أن يكون خليفة، ومن راجع كتب السير أقرَّ بهذا الأمر، فقد كان رضي الله عنه يعتق في كل جمعة رقبةً، ويضيف المهاجرين والأنصار ويطعمهم في كل يوم، وقد

روي عن الإمام الحسن البصري أنه قال: إني شهدت منادي عثمان ينادي: «يا أيها الناس! اغدوا على أعطياتكم» فيغدون فيأخذونها وافرةً، «يا أيها الناس! اغدوا على أرزاقكم» فيغدون فيأخذونها وافيةً، حتى والله لقد سمعته أذناي يقول: «اغدوا على كسوتكم» فيأخذون الحلل. ومن راجع كتب التواريخ علم درجة سخائه رضي الله تعالى عنه، ولم ينقل عن أحدٍ أن الإنفاق في سبيل الله تعالى موجب للطعن، والله تعالى الهادي». (مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٢٦٢-٢٦٣)

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: طعن أهل الفتنة على عثمان رضي الله عنه: فقالوا: يحب أهله وينفق عليهم، فقال: «قالوا: إني أحب أهل بيتي وأعطيهم. فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور، بل أحمل الحقوق عليهم، وأما إعطاؤهم فإني إنما أعطيهم من مالي، ولا أستحل أموال المسلمين لنفسي ولا لأحد من الناس، ولقد كنت أعطي العطية والرغيبة من صلب مالي أزمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي وفني عمري ووزعت الذي لي في أهلي قال الملحدون ما قالوا!... وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولده كبعض من يعطي، فبدأ ببني أبي العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب». (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٣١٤)

اتهام عثمان رضي الله عنه بالشفاعة لعبد الله بن أبي السرح رغم ارتداده:

إيراد: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح مرتدا، وأهدر دمه يوم فتح مكة، وكان أمويًّا، وأخا للرضاعة لعثمان رضي الله عنه، فشفع له عثمان رضي الله عنه، فعفي عنه؛ بل أكرمه بتوليته مصر.

الجواب: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح (م:٣٧هـ) من عظماء قريش وعقلائهم، أسلم قبل فتح مكة، وكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ارتد عن الإسلام، وكان أحد الأربعة الذين أهدرت دماؤهم. وأخذ عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتاب، وأعلن إسلامه من جديد، وشفع له عثمان رضي

الله عنه،حتى قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامه بعد تأمل وتردد، وعفا عنه. (أسد الغابة ٣/ ٢٦٠. وسنن أبي داود، رقم:٤٣٥٨ و٤٣٥٩)

أرأيت هل في هذه القصة شيء يطعن به في عثمان رضي الله عنه، أليس ترغيب المرتد في الإسلام من جديد، وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم من الحسنات؟ أليس يمحو التوبة ما تقدم من الذنوب؟ وتاريخ الإسلام ملآن بمن لم يدخر جهدًا في العداء للإسلام، فلما أسلموا من قرار نفوسهم، عفي عنهم ذنوبهم.

و ولى عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد رضي الله عنه مصر، وكان ولي صعيد مصر على عهد عمر رضي الله عنه، فما ذنب عثمان يا ترى؟ وكان عبد الله بن سعد أكبر قواد الإسلام وأميرا للبحرية على عهد معاوية رضي الله عنه، فاختيار عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد لهذا المنصب دليل على غاية فطنته رضي الله عنه، وأما أمر القرابة، فهل توجب الشريعة أو الأخلاق والأمانة اجتناب تولية القريب- مهما بلغ من الكفاءة والقدرة الفائقة – خدمة قومية؟ سبق أن عليا رضي الله عنه ولى غير واحد من أقاربه. (راجع: عثمان ذو النورين، للشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي، ص ١٩٢-١٩٤).

اتهام عثمان رضي الله عنه بتولية أقاربه بسخاء:

من الاعتراضات الباطلة على عثمان رضي الله عنه أنه ولَّى بني أمية المناصبَ بسخاء، وقد درس الشيخ بشير أحمد الحصاري في كتابه في «سيرة عثمان رضي الله عنه» هذه المسألة ص٢١٩- ٢٢٥. وقال: لقد منح الله تعالى عثمان رضي الله عنه مملكةً واسعةً ممتدةً من خراسان إلى شمال إفريقيا، وكان له (٢٦) عاملًا عند مقتله، وليس فيهم إلا ثلاثة من أقاربه رضي الله عنه، ١- عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله –وهو أخو عثمان رضي الله عنه من الرضاعة، وليس من عائلته-، ٢-معاوية رضي الله عنه، وهو ابن عمه. ٣-عبد الله بن عامر رضي الله عنه، وهو ابن خاله. ولم يوَلَّ عثمان رضي الله عنه إلا الأخير نظرًا إلى كفاءاته المميزة، وأما الأولان منهم فكانا على العمل حين ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة؛ بل ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو عشرة من رجال بني أمية، وظل بنو أمية على عهد الرسالة وعهد أبي بكر وعهد عمر رضي الله عنه على مناصب هامة. للاستزادة منه راجع

كتاب «عثمان ذو النورين» للشيخ بشير أحمد الحصاري، وكتاب «سيدنا مروان بن الحكم» للأستاذ القاضي طاهر علي الهاشمي.

وقد ولى علي رضي الله عنه بعض أقاربه نظرًا إلى كفاءتهم، فولى قثم بن عباس مكةَ والطائف وضواحيها، وولى تمام بن عباس المدينةَ المنورةَ، وولى عبيد الله بن عباس اليمن والبحرين، وولى محمد بن أبي بكر مصر، وولى عبد الله بن عباس، وولى جعدة بن هبيرة خراسان. (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لعلي محمد الصلابي، ص٤٢٩-٤٦١)

وكان قائد الجيش ابنه: محمد بن الحنفية. (تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٤٨٥)

إعطاء عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه خمس الخمس:

إيراد: لمَ أعطى عثمان رضي الله عنه عبد اللهَ بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه – الذي فتح إفريقيا وليبيا وغيرها- خمس الخمس من الغنيمة؟

الجواب: كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح مشتغلا في فتح إفريقيا، فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه: أمسك خمس الخمس مما غنمت، وأرسل ما بقي إليَّ. فشكا من جاء بالباقي إلى عثمان رضي الله عنه أنه أمسك خمس الخمس، واعترض الناس بذلك، فاسترده منه عثمان رضي الله عنه، فرده عبد الله بن سعد من غير شكوى أو تردد.

قال الشيخ محب الدين الخطيب: «والذي صحَّ هو إعطاؤه خمس الخمس لعبد الله بن أبي سرح جزاء جهاده المشكور، ثم عاد فاستردَّه منه. جاء في حوادث سنة ٢٧ من «تاريخ الطبري» (٥/ ٢٩، مصر، ١/ ٢٨١٤-٢٨١٥، طبع أوربا) أن عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالزحف من مصر على تونس لفتحها قال له: «إن فتح الله عليك غدًا إفريقية فلك مما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلًا». فخرج بجيشه حتى قطعوا أرض مصر وأوغلوا في أرض إفريقية وفتحوها سهلها وجبلها، وقسم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم، وأخذ خمس الخمس وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع وثيمة النصريِّ، فشكا وفد ممن معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله بن سعد، فقال لهم عثمان: أنا أمرتُ له بذلك، فإن سخطتم فهو رد. قالوا: إنا نسخطه، فأمر عثمان عبد الله بن سعد بأن يرَّده، فردَّه، ورجع عبد الله بن سعد إلى مصر وقد فتح إفريقية». (حاشية «العواصم من القواصم» ص١١١، حاشية:١٢٣)

عدم اقتصاص عثمان رضي الله عنه من عبيد الله بن عمر رضي الله عنهما:

إيراد: لم يقتص عثمان رضي الله عنه من عبيد الله بن عمر رضي الله عنه على قتله هرمزان؟

الجواب: كان ذلك قبل أن يتولى عثمان الخلافة، ورغم ذلك وداه عثمان، وعفا ابن هرمزان عنه.

قال ابن العربي: «وأما امتناعه عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان، فإن ذلك باطل». (العواصم من القواصم، ص١١٦-١١٧)

قال الشيخ محب الدين الخطيب تعليقًا عليه: «ابن الهرمزان: القماذان. روى الطبري (٥/ ٤٣، مصر. و١/ ٢٨٠١، طبعة أوربا) عن سيف بن عمر بسنده إلى أبي منصور قال: سمعت القماذان يحدث عن قتل أبيه... قال: فلما ولي عثمان دعاني فأمكنني منه (أي من عبيد الله بن عمر بن الخطاب) ثم قال: «يا بني هذا قاتل أبيك وأنت أولى به منا فاذهب فاقتله». فخرجت به وما في الأرض أحد إلا معي، إلا أنهم يطلبون إليَّ فيه، فقلت لهم: إلي قتله؟ قالوا: نعم، وسبوا عبيد الله، فقلت: أفلكم أن تمنعوه؟ قالوا: لا، وسبوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرجال وأكفهم».

هذا كلام ابن الهرمزان وأن كل منصف يعتقد (ولعل ابن الهرمزان أيضًا كان يعتقد) أن دم أمير المؤمنين في عنق الهرمزان وأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا آلة في يد هذا الفارسي، وأن موقف عثمان وإخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الحادث لا نظير له في تاريخ العدالة الإنسانية». (حاشية العواصم من القواصم، ص١١٧، حاشية:١٣٧)

وقال ابن العربي: «وإن كان لم يفعل، فالصحابة متوافرون والأمر في أوله. وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر رضي الله عنه، وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد. ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقًّا لما ثبت من حال الهرمزان وفعله». (العواصم من القواصم، ص١١٧-١١٨)

قال الشيخ محب الدين الخطيب تعليقًا عليه:«وقد تصرَّف عثمان في هذا الأمر بعد أن ذاكر الصحابة فيه، قال الطبري (٥/ ٤١): «جلس عثمان في جانب المسجد ودعا عبيد الله

وكان محبوسًا في دار سعد بن أبي وقاص وهو الذي نزع السيف من يديه... فقال عثمان لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا في هذا الذي فتق في الإسلام ما فتق. فقال عليٌّ: أرى أن تقتله. فقال بعض المهاجرين: قتِل عمر أمس ويُقتَل ابنه اليوم! فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إن الله أعفاك أن يكون هذا الحدث ولا سلطان لك، قال عثمان: أنا وليهم وقد جعلتها ديةً واحتملتها في مالي». (حاشية العواصم من القواصم، ص١١٨، حاشية:١٣٨)

هل أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مروان ووالده من المدينة؟:

إيراد: طعنوا في عثمان رضي الله عنه أنه ولى مروان بن الحكم منصبًا هامًّا وهو أمانة الخليفة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج مروان ووالده من المدينة المنورة؟

الجواب: لم يثبت ذلك في مروان ووالده، ذكرت عدة كتب هذه القصة، وأكثرها بلا إسناد، وأما الكتب التي ذكرت إسنادها؛ فلا يحتج بها للانقطاع، أو لأن راويها من غلاة الشيعة.

ذكر الفاكهي في «أخبار مكة» (٥/ ٢٢٦)، عن الزهري، وعطاء الخراساني مرسلا إجلاء الحكم -والد مروان-، وعزاه ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٢٤٤)؛ و«الإصابة» (٢/ ٩١) إلى «أخبار مكة»، ورواه القسطلاني في «إرشاد الساري» (١٠/ ٦٧) نقلًا عن «فتح الباري».

وإسناد الفاكهي هذا مرسل، أي: منقطع، وقال الشيخ شعيب الارناؤوط وبشار عواد في عطاء الخراساني: «إن الرجل كان يرسل، فروايته عن جميع الصحابة مرسلة (منقطعة) إذ لم يسمع من أحد منهم». (تحرير تقريب التهذيب ٣/ ١٧)

وقال ابن معين ويحيى بن سعيد القطان في مراسيل الزهري: «مراسيل الزهري ليس بشيء». (تدريب الراوي، حكم المرسل ١/ ٢٣٢)

وكذلك ذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٢٧٢) بإسناده من طريق عبادة بن زيادة جلاء الحكم والد مروان. وهذه الرواية لا يحتج بها؛ لأن عبادة بن زياد من غلاة الشيعة. قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٩٧): «عبادة بن زياد الأسدي كوفي من رؤساء الشيعة».

وساق الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢/ ١٩٨) رواية عبادة بن زياد هذه ثم قال: «وقد رُويتْ أحاديث منكرة في لعنه (أي: الحكم) لا يجوز الاحتجاج بها».

أضف إلى ذلك أن رواية الفاكهي أو رواية ابن عساكر لم تذكر من أين أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم وإلى أين؟ أما ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٩١)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٧١)، وابن الأثير في «الكامل» (٣/ ٢٧٥)، ويوسف بن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» (١/ ٨٩)، وابن عماد في «شذرات الذهب» (١/ ٣٥٠)، وآخرون فقد ذكروا بلا إسناد جلاء الحَكم من المدينة المنورة إلى الطائف، ثم عاد إلى المدينة على عهد عثمان رضي الله عنه.

ويشير نص طبقات ابن سعد إلى أن مروان والحكم كانا يسكنان في المدينة، واستقرا بها للأبد. «قالوا: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومروان بن الحكم ابن ثماني سنين فلم يزل مع أبيه بالمدينة حتى مات أبوه الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفان».(الطقبات الكبرى لابن سعد٥/ ٢٧. وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر٥٧/ ٢٥٨. والمنتظم لابن الجوزي٦/ ٤٧)

ويفيد نص آخر من طبقات ابن سعد أن الحكم أسلم يوم فتح مكة، وأقام بها، ثم قدم المدينة على عهد عثمان رضي الله عنه، وبها توفي؛ «أسلم يوم فتح مكة ولم يزل بها حتى كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فأذن له فدخل المدينة فمات بها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه». (الطبقات الكبرى ٥/ ٦)

ورؤساء مكة الذين أسلموا يوم فتحها لم يهاجروا إلى المدينة؛ لأن الهجرة وجبت قبل فتح مكة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا هجرة بعد الفتح». (صحيح البخاري، رقم:٢٧٨٣)

قال العلامة ابن تيمية: لم يثبت جلاء الحكم أصلًا، ويخالفه العقل أيضًا، والنفي قد جاءت به السنة في الزاني وفي المخنثين،..ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفيا دائمًا. فإن قيل: قد نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعزيرًا، وجب أن يسقط التعزير بالتوبة، أو على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على أقل تقدير. وقد ذكروا امتداد جلائه إلى زمن عثمان رضي الله عنه. وإذا كان عبد الله بن أبي السرح ارتد عن الإسلام، وشفع له عثمان رضي الله عنه، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يقبل شفاعته في حق الحكم؟والحاصل

أن معظم الروايات في القصة مرسلة، وقد ذكرها المؤرخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه، وقل أن يسلم لهم نقلهم من الزيادة والنقصان. (منهاج السنة ٦/ ٢٦٥، الرد على زعم الرافضي أن الرسول عليه السلام طرد الحكم وابنه عن المدينة، وردهما عثمان وأكرمهما)

ساق أبو اليسر عابدين في الحكم وبني الحكم بعض الروايات ثم قال: «وإن هذه الأحاديث والأخبار ليغنينا ظاهرها الدال على الكذب عن مناقشة سندها...، فلا شك في وضع هذه الأحاديث ولا حول ولا قوة إلا بالله». (أغاليط المؤرخين، ص١٢٦. وانظر: المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٤١٠ بتحقيق محب الدين الخطيب. والعواصم من القواصم، ومختصر التحفة الاثني عشرية)

وقد اتفق المحدثون والفقهاء على أن مروان ثقة عدل، كما سبق قبل صفحات.

مناقب علي رضي الله عنه:

مناقب علي رضي الله عنه يحتاج بيانها إلى كتاب برأسه، ونشير إلى بعضها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية:

١- علي رضي الله عنه من المهاجرين السابقين الذين منحهم الله تعالى شهاد رضاه والجنة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)

٢- خلَّفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في المدينة المنورة ليقوم على أهله، ونصبه حارسًا عليهم، وشكا علي رضي الله عنه إليه حرمانه من الجهاد فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي». (صحيح البخاري، رقم:٤٤١٦)

٣- وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في حقه: «أنت مني وأنا منك». (صحيح البخاري، رقم:٢٤٩٩)

شكا بعض الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما في علي رضي الله عنه، قال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه». (سنن الترمذي، رقم:٣٧١٣. ومسند أحمد، رقم:٢٣١٠٧. وإسناده صحيح)

٤- امتدت مدة محاصرة بعض قلاع خيبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، قال عمر: لم أحب الإمارة إلا يومئذ، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: «أين علي؟»، فقيل يشتكي عينيه، فطلبه، وبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه،

وفتحت قلعة قموص على يديه.(صحيح البخاري، ، رقم:٣٠٠٩. صحيح مسلم، ، رقم:٢٤٠٤)

٥- علي رضي الله عنه رابع العشرة المبشرة بالجنة.

٦- شهد بدرا وأحدا والخندق، وفرض على الأعداء شجاعته، وألقى عليهم الرعب.

٧- تشرف بكتابة الوحي.

٨- كان أبو بكر رضي الله عنه عام ٩هـ أميرا للحج، وكان علي رضي الله عنه مبلغًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالته.

٩- كان صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجانب ذلك تشرف بتمريضه صلى الله عليه وسلم وخدمته أيام مرضه.

١٠- شارك في غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكفينه ودفنه بعد وفاته.

وجوه وصفه بـ «كرم الله وجهه»، وقصة خلع باب خيبر:

١- كان الخوارج يقرنون باسم علي رضي الله عنه : «سود الله وجهه»، فقيل: كرم الله وجهه، ردًّا عليهم. هذا ما قاله الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي رحمه الله في «فتاوى رشيدية» ص ٩٧. وقال الشيخ محمد يونس في «اليواقيت الغالية» في هذا التوجيه: لم أطلع عليه في كلام المتقدمين. والله أعلم.(اليواقيت الغالية ٢/ ٣٤٤).

ثم إن الخوارج إذا كانوا يقولون: سود الله وجهه، كان الأنسب أن يقال: بيَّض الله وجهه. وكان الخوارج أشد الناس عداء لمعاوية رضي الله عنه فكان الأنسب أن يقترن باسمه «كرم الله وجهه».

٢- قال الشيخ شمس الدين السخاوي رحمه الله في «فتح المغيث» نقلًا عن تاريخ إربل، في إشارة إلى منام بعضهم أن الله تعالى وقاه أن يسجد لصنم، قال: «لأنه لم يسجد لصنم قط».(٢/ ١٦٤). أورد الشيخ يونس على هذا التوجيه بأن كثيرا من الصحابة لم يسجدوا لصنم، ولم يقترن باسمهم «كرم الله وجهه». فهؤلاء الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير، والنعمان بن بشير وغيرهم من صغار الصحابة لم يسجدوا لصنم قط.

٣- ويحتمل أنه قيل ذلك؛ لأن الله تعالى أسعده بفتح مركز اليهود: خيبر على يديه، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتح خيبر من يحب الله ويحبه الله تعالى. وكان الصحابة رضي الله عنه يترقبون هذه البشارة الكريمة لأنفسهم، ولكن وفق الله تعالى لذلك

عليًّا رضي الله عنه، كرم الله وجهه، أي وفَّقه الله تعالى للفتح.

أما أن عليا رضي الله عنه قلع باب قلعة خيبر: قموص، واتخذ منه جنَّةً، وكان يبوء به ثمانية رجال، وقيل: أربعون رجلا، وقيل: ثمانون رجلا، فقد ردَّه أهل العلم المحققون. ردَّه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٨٩-١٩٠، تحت فتح خيبر)، والديار بكري في «تاريخ الخميس» (٢/ ٥١)، وعلي بن إبراهيم الحلبي في «السيرة الحلبية» (٣/ ٤٣-٤٤)، والشيخ محمد نافع في «سيرة سيدنا علي رضي الله عنه» (ص٨١)، نسوق هنا نص «المقاصد الحسنة» للعلامة السخاوي: «فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب. وعلقه البيهقي مضعَّفًا له. قلت: بل كلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء». (المقاصد الحسنة، في باب الحاء، تحت حمل علي باب خيبر، ص٢٣٠)

وساق الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله هذه الروايات في «المرتضى» (ص ٨٠-٨٢) من غير تعليق عليها، وعليه بأنه مشهور، واعتبره كرامةً لعلي رضي الله عنه. وقال الشيخ زين العابدين رحمه الله باستعراض علمي لكتاب الشيخ أبي الحسن سماه «محاسبة علمية لكتاب «المرتضى» وغيره»، رد فيه (ص ١٤-١٧) قصة قلع علي رضي الله عنه باب قلعة قموص، واعتبارَه من كرامات علي رضي الله عنه.

قال عثمان الخميس في «حقبة من التاريخ»: « أما علي فلا شك أن الله كرَّم وجهه، ولكن الكلام في التخصيص». (حقبة من التاريخ، ص٢٠٥). وقال قبله: لم تلَقَّب فاطمة رضي الله عنها بـ «الزهراء» على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عهد فاطمة رضي الله عنها.

يصح وصف علي رضي الله عنه بـ أسد الله:

يصح إطلاق «أسد الله» على علي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حمزة رضي الله عنه: «أسد الله، وأسد رسوله»، وهذا صحيح في محله، ولكن سمى علي رضي الله عنه نفسه أسدًا؛ ساق مسلم في «صحيحه» في قصة غزوة خيبر شعر علي رضي الله عنه:

أنا الذي سَمَّتْني أُمي حيدرهْ ❁ كلَيْثِ غاباتٍ كريه المَنْظَرَهْ

(صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، رقم:١٨٠٧)

ذكر في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٥/ ١٦٣) وجوهًا أخرى لتسمية علي بـ «الأسد».

بيعة طلحة والزبير لعلي رضي الله عنهم:

ورد أن عليا رضي الله عنه لم يرض بتولي الخلافة في أول الأمر، ثم أصر عليه الناس به إصرارًا، فرضي ببيعة الخلافة، وبويع له في المسجد النبوي عام ٣٥هـ.

عن محمد ابن الحنفية قال: كنت مع علي، وعثمان محصور، قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول، ثم جاء آخر فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام علي، قال محمد: فأخذت بوسطه تخوفًا عليه، فقال: خل لا أم لك، قال: فأتى عليٌّ الدار، وقد قتل الرجل، فأتى داره فدخلها، وأغلق عليه بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب، فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتِل ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدًا أحق بها منك، فقال لهم علي: لا تريدوني، فإني لكم وزير خير مني لكم أمير، فقالوا: لا والله ما نعلم أحدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم عليَّ فإن بيعتي لاتكون سرًّا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني، قال: فخرج إلى المسجد فبايعه الناس. (فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، رقم:٩٦٩، وإسناده صحيح؛ والشريعة لآجري، رقم:١٢١٥؛ والسنة للخلال، رقم:٦٢٠. وانظر: الغدير، للأميني ٩/ ٤٥٩)

وقال ابن الأثير في «أسد الغابة»: «وبويع له بالمدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قتل عثمان، في ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين». (أسد الغابة ٤/ ١٠٢)

وروي في بيعة طلحة والزبير لعلي رضي الله عنهم ست روايات:

١- لم يبايعا؛ بل لم يشهدا البيعة. (تاريخ الطبري ٤/ ٣٩٢، و٤/ ٤٣٣، ط: دار التراث، بيروت)

٢- شهدا البيعة، وتوقفا فيها، «قال عليٌّ لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان».(مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ٢٨٦، تحقيق: محمد عوامة)، وليس ذلك لأنهما لم يقبلا خلافة علي رضي الله عنه، أو لم يقولا بفضل علي رضي الله عنه، بل لأن قتلة عثمان كانوا مع علي وكان القتلة على رأس القائمة في أمر البيعة، فتوقفا فيها.

٣- وفي رواية: حُمِلا على البيعة: «قال طلحة: بايعت والسيف فوق رأسي». (تاريخ الطبري ٤/ ٤٣١، وفي إسناده الواقدي وهو متروك. و ٤/ ٤٢٩، من طريق الزهري، وإسناده ضعيف مرسل).

«قال الزبير: إنما بايعت عليا واللج على عنقي». (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٦)

٤- وفي رواية: بايعا عن رضى؛ بل كانا في أوائل من بايعوه؛ «قال علي: إن طلحة والزبير قد بايعا طائعين غير مكرهين». (مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ٢٧٣، رقم:٣٨٩٥٤)

«فكان أول من صعد طلحة فبايعه بيده، ثم بايعه الزبير، وسعد، والصحابة جميعا». (تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٢٥٢. وتاريخ دمشق لابن عساكر ٣٩/ ٤١٩)

٥- وفي رواية: بايعا واشترطا؛ «واجتمع إلى علي بعد ما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا: يا علي، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود...».(تاريخ الطبري ٤/٤٣٧، وإسناده ضعيف)

٦- وفي رواية: رضيا بالبيعة، ولم يخرجا لقتال علي رضي الله عنه؛ وإنما كانا يطلبان دم عثمان، وكانا يتفاوضان في الصلح إذ سُلِّط عليهما القتال؛ «وقال علي لطلحة والزبير: ألم تبايعاني؟ فقالا: نطلب دم عثمان، فقال علي: ليس عندي دم عثمان...». (المصنف لابن أبي شيبة ١٥/ ٢٨٦ ، تحقيق: محمد عوامة)

ولم يخرج طلحة والزبير رضي الله عنهما إلى البصرة لقتال علي رضي الله عنه، وإنما صارا إلى حيث يكثر المطالبون بدم عثمان رضي الله عنه، وذلك لتتقوى الدعوة إلى الثأر لعثمان رضي الله عنه.

القول الراجح في بيعة طلحة والزبير لعلي رضي الله عنهم:

ولا تصح –سندًا– الروايات التي تفيد إكراه طلحة والزبير على البيعة، والراجح الصحيح من الأقوال أنهما من أوائل من بايعوا عليا رضي الله عنه، نعم كانا يكرهان البيعة على معنى أنهما كانا يقدمان الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة. قال علي رضي الله عنه: «إن طلحة والزبير قد بايعا طائعين غير مكرهين». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٥٤، وإسناده صحيح)

«قال إبراهيم: بلغ علي بن أبي طالب أنَّ طلحة يقول: إنما بايعتُ واللَّجُّ على قفاي، قال: فأرسل ابنَ عباس فسألهم، قال: فقال أسامة بن زيد: أما واللج على قفاه فلا، ولكن قد بايع وهو كاره». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٣٨، وإسناده صحيح)

توقف عائشة رضي الله عنها عن بيعة علي رضي الله عنه:

كذلك توصلت عائشة رضي الله عنها ومعاوية رضي الله عنه باجتهادهما إلى أن الثأر من قتلة عثمان مقدم على البيعة، وكانت عائشة، والزبير، وطلحة، ومعاوية رضي الله عنهم يقولون: عقوبة من هدم الخلافة حق ولا بد منه. وكان علي وأصحابه يقولون: استحكام

الخلافة قبل عقوبة البغاة أمر لازم. وكان معاوية وطلحة رضي الله عنهما وغيرهما يرون أن الخلافة لا تستحكم مع تواجد هؤلاء المفسدين.

قال الدكتور/ محمد أمحزون: من المعروف والمتفق عليه بين الإخباريين والمؤرخين أن الخلاف بين علي ومعاوية كالخلاف بين علي من جهة وطلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، كان سببه طلب تعجيل القصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خروج طلحة والزبير وأم المؤمنين إلى البصرة إلا لهذا الغرض». (تحقيق مواقف الصحابة ٢/ ١٣٤. وانظر: الصواعق المحرقة ٢/ ٦٢٢. وتاريخ الطبري ٤/ ٤٤٩، ٤٦٢، ٤٨٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٤، ٤٦٤)

وقال الدكتور/ محمد أمحزون: «ومن الملاحظ أن الصحابة رضوان الله عليهم متفقون على إقامة حد القصاص على قتلة عثمان، ولكن الخلاف بينهم وقع في مسألة التقديم أو التأخير، فطلحة والزبير وعائشة ومعاوية كانوا يرون تعجيل أخذ القصاص من الذين حصروا الخليفة حتى قُتِل، وأن البداءة بقتلهم أولى، بينما رأي أمير المؤمنين علي ومن معه تأخيره حتى يتوطد مركز الخلافة ويتقدم أولياء عثمان بالدعوى عنده على معينين، فيحكم لهم بعد إقامة البينة عليهم، لأن هؤلاء المحاصرين لأمير المؤمنين عثمان ليسو نفرا من قبيلة معينة، بل من قبائل مختلفة». (تحقيق مواقف الصحابة ٢/ ١٣٧)

وقعة الجمل:

تأخر القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه بعد البيعة لعلي رضي الله عنه، وبدأ القتلة يجوسون خلال المدينة المنورة من غير خوف ولا وجل، وخرج طلحة والزبير إلى مكة يريدان العمرة، وصحبهما كثير من يرون رأيهم، ولقوا بمكة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن سبقنهم إليها للحج، ثم قدم مكة عبد الله بن عمر، ويعلى بن أمية –والي اليمن–، وعبد الله بن عامر والي البصرة، «فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة وأمهات المؤمنين». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠)

تحاور هؤلاء فيما بينهم، ورأوا أن عثمان رضي الله عنه قتل ظلما، فلابد من القصاص من القتلة في أول فرصة تسنح، وكان هؤلاء المفسدون بايعوا عليا رضي الله عنه، وانضموا إليه، واجتمعوا ولاذوا إلى علي رضي الله عنه، وكان ذلك حيلة سياسية تحفظهم، ولم يكونوا أوفياء له.

وكان علي رضي الله عنه بدوره يكره تواجدهم في جماعته، وشق عليه طردهم منها للظروف الآنية، وكان يرغب من أعماق قلبه أن يقتص منهم لقتلهم عثمان رضي الله عنه فور قدرته عليهم. (تاريخ الطبري ٤/ ٤٣٧)

وهنا في مكة اجتمع الصحابة وأمهات المؤمنين وغيرهم، ورأوا أن أمر الاقتصاص من القتلة يجب أن يُبَتَّ فيه أولا، واستمروا في التشاور بينهم في ذلك، واختلفت الآراء، ورأى بعضهم أنه لابد من التوجه إلى الشام، وقال بعضهم: يجب السير إلى المدينة المنورة ومطالبة علي رضي الله عنه بأن يسلم قتلةَ عثمان إليهم. ورأي ثالث يقول: لابد من السير إلى البصرة، واستمالة أناس آخرين، ثم البدء بطلب الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه. واتفق الجميع على الرأي الثالث هذا، وكانت أمهات المؤمنين غير عائشة رضي الله عنهن يرين الرأي الثاني، فرجعن إلى المدينة.

اتفقوا على الرأي الثالث فخرج أهل مكة والمدينة معها في ألف أو تسعة مئة نفر إلى البصرة، وانضم إليهم آخرون في الطريق، وبلغ عددهم ثلاثة آلاف.(البداية والنهاية ٧/ ٢٢٩-٢٣٠. روح المعاني ١١/ ١٩٠)

كانت عائشة رضي الله عنها، ومن يرى رأيها هدفهم الإصلاح بين المسلمين:

قصدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومن رافقها في السفر: طلحة والزبير رضي الله عنهما وغيرهما الإصلاح بين المسلمين، ورفع الفتنة، وانتظام أمور الخلافة.

قال العلامة الآلوسي: «وألحوا على أمهم رضي الله تعالى عنها أن تكون معهم إلى أن ترتفع الفتنة، ويحصل الأمن، وتنتظم أمور الخلافة...، فصارت معهم بقصد الإصلاح، وانتظام الأمور، وحفظ عدة نفوس من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وكان معها ابن أختها عبد الله بن الزبير، وغيره من أبناء أخواتها أم كلثوم، وزوج طلحة، وأسماء زوج الزبير؛ بل كل من معها بمنزلة الأبناء في المحرمية، وكانت في هودج من حديد». (روح المعاني ١١/ ١٩٠)

وقال ابن حبان في «الثقات»: «ومضت عائشة وهي تقول: اللهم إنك تعلم إني لا أريد إلا الاصلاح فاصلح بينهم». (الثقات لابن حبان ٢/ ٢٨٠)

وقال العلامة الذهبي: «إنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظننت أن في

خروجها مصلحة للمسلمين». (المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٢٢٢)

وكان مروان بن الحكم يؤذن للصلاة أثناء السفر، ويؤم الناسَ عبد الله بن الزبير، واستمر هذا السفر على ذلك حتى بلغوا مكانًا قرب البصرة.(البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠)

بلغ عليًّا رضي الله عنه أن عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم انطلقوا مع أصحابهم إلى البصرة، فعزم على التوجه إليها، وطلب من أهل المدينة السيرَ معه، ولكن ثقل على معظمهم ذلك. قال الحافظ ابن كثير: «فتثاقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٣)

بدأ علي رضي الله عنه رحلته في أواخر ربيع الآخر عام ٣٦هـ، وصحبه غير واحد من الصحابة وغيرهم ممن رضوا بالسفر معه، وكذلك الجماعات والأحزاب التي رافقته بنفسها، ممن قتلوا الخليفة الحق عثمان رضي الله عنه، وكانوا يتسابقون في نصر علي رضي الله عنه فيما يبدو، وكانوا مطبوعين على الشر والفساد.

خرج من المدينة ووصل إلى الربذة فلقيه عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهو بالربذة، فأخذ بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فو الله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبدًا». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٠)

وكان علي قد عزم على السفر، فواصله إلى الكوفة، وكان يريد البحث عن سيبل إلى الإصلاح بين الناس. وبلغ عمار بن ياسر والحسن بن علي رضي الله عنهما خلال ذلك الكوفةَ، ودعوا الناسَ إلى النفير إلى أمير المؤمنين؛ قال ابن كثير:« ثم قام عمار والحسن بن علي في الناس على المنبر يدعوان الناس إلى النفير إلى أمير المؤمنين، فإنه إنما يريد الإصلاح بين الناس». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٤)

نزل الفريقان في منازلهما قرب البصرة، وحاول غير واحد من كبارهم كشف الشكوك والشبهات ورفع سوء الظن، فانطلق القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه من قبَلِ علي رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها ومن والاها، وتحدث معهم في الصلح، وقال: «أي أماه! ما أقدمك هذا البلد؟ قالت: أي بنيَّ! الإصلاح بين الناس».(البداية والنهاية ٧/ ٢٣٧)

ثم تحدث القعقاع بن عمرو في ذلك مع طلحة والزبير رضي الله عنهما، فقالا مثل قول عائشة رضي الله عنها، وذكرا أنهما أتيا للإصلاح بين الناس.

ثم تحدث القعقاع رضي الله عنه حديثًا طويلا مع هؤلاء، خلاصته: أن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، وتهيئة جو السلم والصلح، وجمع كلمة المسلمين، فإن أنتم بايعتموا عليًّا فعلامة خير وتباشير رحمة، ويسهل أخذ الثأر من قتلة عثمان رضي الله عنه، وفيه جمع كلمة الأمة وسلامتها، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له.

فقالت عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم: قد أصبت، وأحسنت فارجع. فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر.(البداية والنهاية ٧/ ٢٣٧)

ثم رجع القعقاع رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه وأخبره به، فأعجبه ذلك، أشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه. وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاء ت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٧)

بعد محاورة القعقاع بن عمرو في الصلح قام علي في الناس خطيبًا فذكر الإسلام وسعادة أهله، وقال: ثم أحدث هذا الحدث الذي جرى على الأمة أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها، وعلى الفضيلة التي من الله بها.

وقال: ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا، ولايرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس». (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٧)

وبلغت عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير مع أصحابهم «زابوقة»، وبلغ علي رضي الله عنه مع أصحابه «ذا قار». «وهم لا يشكون في الصلح... ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح». (تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٥)

أي: رضيت عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ومن معهم بالبيعة لعلي رضي الله عنه، ورضي علي رضي الله عنه بتنفيذ الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه، وأعلن طرد قتلة عثمان من جماعته.

فلما سمع إعلان علي هذا رؤوسُ أهل الفتنة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن الهيثم، وغيرهم، وليس فيهم صحابي ولله الحمد، قلقوا قلقًا شديدًا، وأدركوا سوء عاقبتهم؛ وقالوا: «رأي الناس فينا

والله واحد، وإن يصطلحوا وعلي فعلى دمائنا». (تاريخ الطبري ٤/ ٤٩٣)

وتشاور أهل الفتنة في تحويل الصلح فسادًا وفتنةً، فقال الأشتر: قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم، فإن كان قد اصطلح معهم فإنما اصطلحوا على دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان، فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت. ورأى غلاب بن هيثم رأيًا آخر، رده ابن سبا، وأشار بالهجوم على الجماعتين في جنح الليل على غرة منهما، واتفقوا على ذلك. (البداية والنهاية ٧/ ٢٣٨)

«فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، ... وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم». (تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٦)

فاضطرب الناس بهذا الهجوم المباغت الذي لم يكن بحسبانهم، وأخبر بعض المفسدين طلحةَ والزبير بأن عليا رضي الله عنه هجم عليهم، وكانوا قد نصبوا واحدا منهم عند علي رضي الله عنه، بأن يخبره بأن أهل الجمل هجموا عليهم حين يسمع ضوضاء الحرب. «قال (طلحة والزبير): ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلًا...، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت، وقد وضعوا (المفسدون) رجلًا قريبًا من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال: ذاك الرجل ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا». (تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٧)

وهكذا ظن الفريقان أن خصمه غدروا وهجموا عليهم، خاضوا حربًا شعواء، وكل يريد الدفاع عن نفسه، فقُتِلَ كثير من المسلمين من جراء ظن السوء هذا الناشئ عن مكيدة المفسدين. وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

فرقت مكيدة المفسدين هذه المسلمين الذين كانت كلمتهم واحدة، وتأكد بينهم الصلح، على فرقتين، ونالت من وحدة كلمتهم نيلا عظيما، لا يمكن تداركه، وقامت الفرقة والاختلاف بين المسلمين للأبد، وانقسم الناس وتفرقوا في أحزاب شتى في أفكارهم ورؤاهم.

قال الإمام القرطبي في قصة الجمل هذه: هذا هو الصحيح المشهور: « قال جلة من أهل العلم: إن الوقعة بالبصرة بينهم كان على غير عزيمة منهم على الحرب، بل فجأة،

وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به، لأن الأمر كان قد انتظم بينهم، وتم الصلح والتفرق على الرضا. فخاف قتلة عثمان رضي الله عنه من التمكين منهم والإحاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين، ويبدءُوا بالحرب سحرة في العسكرين، وتختلف السهام بينهم، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير، والفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي. فتم لهم ذلك على ما دبروه. ونشبت الحرب، فكان كل فريق دافعًا لمكرته عند نفسه، ومانعًا من الإشاطة بدمه. وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى، إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذه السبيل. وهذا هو الصحيح المشهور. والله أعلم». (تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٨)

انتصر علي رضي الله عنه في حرب الجمل، وقُتِلَ من الفريق الآخر كبارهم: طلحة والزبير رضي الله عنهم، وأول ما بدأ به علي رضي الله عنه توفير أسباب السلامة والصيانة لعائشة رضي الله عنه. «وأمر عليٌّ نفرًا أن يحملوا الهودج من بين القتلى، وأمر محمد بن أبي بكر وعمارا أن يضربا عليها قبة، وجاء إليها أخوها محمد فسألها: هل وصل إليك شيء من الجراح؟ فقالت: لا،... وجاء إليها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلِّمًا فقال: كيف أنت يا أمة؟ قالت: بخير. فقال يغفر الله لكِ. وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رضي الله عنها». (البداية والنهاية ٧/ ٢٤٤)

ومكثت عائشة رضي الله عنه أيامًا في البصرة بعد وقعة الجمل، ثم ارتحلت إلى الحجاز، وهيأ لها علي رضي الله عنه أسباب السفر من الراحلة والزاد وغيرها،وأعدَّ –تكريما لها– بعض النسوة الصالحات من أهل البصرة، وأرسل معها محمد بن أبي بكر، وشيعها علي وغيره، وقال علي يومئذ تكريمًا لعائشة رضي الله عنها: «إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة. وسار عليٌّ معها مودعا ومشيعًا أميالًا، وسرَّح بنيه معها بقية ذلك اليوم، وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين». (البداية والنهاية ٧/ ٢٤٥-٢٤٦)

انطباع علي رضي الله عنه وأقواله:

أصاب عليا رضي الله عنه قلق واضطراب بما اضطر إليه من القتال بسبب مخادعة المفسدين في وقعة الجمل، وكان يندم عليه ويقول:

١- حدث حبيب بن أبي ثابت أن عليًا قال يوم الجمل: «اللهم ليس هذا أردت، اللهم ليس هذا أردت». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٥٧)

٢- وعن أبي صالح قال: قال علي يوم الجمل: «ودِدت أني كنت مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٧٩)

٣- وقال الحسن: لقد رأيته حين اشتد القتال يلوذ بي ويقول: «يا حسن! لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٩٠)

٤- وعن قيس بن عبادة قال: قال علي يوم الجمل: «يا حسن! ليت أباك مات منذ عشرين سنة. فقال له: يا أبتِ! قد كنتُ أنهاك عن هذا، قال: يا بني! لم أر أن الأمر يبلغ هذا». (تاريخ الإسلام، للذهبي ٣/ ٤٨٨. البداية والنهاية ٧/ ٢٤)

٥- وعن جون بن قتادة قال: دُفن الزبير بوادي السباع، وجلس عليٌّ يبكي عليه هو وأصحابه. (تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٢١١)

٦- وعن طلحة بن مصرِّف: إن عليًّا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو ترحم عليه ويقول: يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة». (تاريخ الإسلام، للذهبي ٣/ ٥٢٧)

٧- وعن أبي جعفر، قال: جلس عليٌّ وأصحابه يوم الجمل يبكون على طلحة والزبير. (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٢٩)

والحاصل أن الفريقين كانوا يكنون في أنفسهم عواطف الاحترام بعضهم تجاه بعض، ولم تنطوِ قلوبهم على العناد والفساد، ويراعون حقوق بعضهم نحو بعض.

ودعا علي رضي الله عنه بهذه المناسبة للفريق الآخر، ودعا على قتلة عثمان رضي الله عنه.

عن عبد الله بن محمد قال: مر عليٌّ على قتلى من أهل البصرة فقال: «اللهم اغفر لهم». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣٨٩٨٤)

وعن محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية وكان صاحب لواء علي بن أبي طالب يوم الجمل قال: قال علي رضى الله عنه: «اللهم اكبب قتلة عثمان لمناخرهم الغداة». (التاريخ الكبير للبخاري، رقم: ٣٢٥٤)

مكث علي رضي الله عنه ثلاثة أيام بعده في منطقة الجمل، قرب البصرة، وصلى على

قتلى الفريقين، وأمر بحمل ما خلفوا في حرب الجمل وما تم ضبطه من الأموال إلى مسجد الكوفة، ثم رد هذه الأموال إلا سلاحًا إلى ورثتها بعد تعريفها. «وأقام عليٌّ بظاهر البصرة ثلاثًا، ثم صلى على القتلى من الفريقين، وخص قريشًا بصلاة من بينهم، ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر، وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة، فمن عرف شيئًا هو لأهلهم فليأخذه، إلا سلاحًا كان في الخزائن عليه سمة السلطان». (البداية والنهاية ٧/ ٢٤٤)

للاستزادة من وقعة الجمل راجع: كتاب «الفتنة ووقعة الجمل» لسيف بن عمر الضبي، و«تاريخ الأمم والملوك» لابن جرير الطبري، و«الإحكام في الأحكام» لابن حزم، و«الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و«البداية والنهاية» لابن كثير. وقد صرح أهل العلم بأن القتال بين كبار الصحابة نشب عن غرة، ولم يقصدوا الحرب بينهم.

اتهام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه:

أصح ما روي فيه حديث قيس بن أبي حازِم، أخرجه ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٦٠، رقم:١٢٢١٢)، (٧/ ٥٣٦، رقم:٣٨٧٦٦) عن أبي أسامة حمَّاد بن أسامة، عن إسْماعيل بن أبي خالد، أخبرنا قيس بن أبي حازم، قال: «رَمَى مروانُ بنُ الحكم يومَ الجمل طلحةَ بسهم في ركبته، قال: فجعل الدمُ يغدو يسيلُ، قال: فإذا أمسكوه استمسك، وإذا ترَكوه سال، قال: فقال: دعوه، قال: وجعلوا إذا أمسكوا فم الجرْح انتفختْ رُكبتُه، فقال: دعوه، فإنما هو سهمٌ أرسله الله، قال: فمات، قال: فدفناه على شاطِئ الكلاء، فرأى بعضُ أهله أنَّه قال: ألا تُريحونني من الماء، فإني قد غرقتُ - ثلاثَ مِرار يقولها - قال: فنبشوه فإذا هو أخضرُ كالسلق، فنَزفوا عنه الماءَ ثم استخرجوه، فإذَا ما يلي الأرض مِن لحيته ووجهه قد أكلتْه الأرض فاشتروا له دارًا من دور آل أبي بكر بعشرة آلاف فدفنوه فيها».

ومن طريق ابن سعد أخرجه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٢٤).

وأخْرَجه ابنُ أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٩٠، رقم:٣١٠٩٦)، (٧/ ٥٤٢، رقم:٣٨٧٩٩)، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (١/ ٣١١ - ٣١٢)، والخلاَّل في «السنة» (٣ / ٥١٧ - ٥١٨، رقم:٨٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١١٣/ ٢٠١)، والحاكم في

«المستدرك» (٣/ ٣٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١١٢) من طريق إسْماعيل بن أبي خالد، به.

وقال الحافظُ ابنُ حجر في «الإصابة» (٣/ ٥٣٢): أخْرَجه يعقوبُ بن سفيان بسندٍ صحيح عن قيس بن أبي حازم، بِه.

قلت: وسندُه صحيح إلى قيس بن أبي حازم، ولكنه معلول. قيس بن أبي حازم هو تابعيٌّ ثِقة، لكنَّه جاوز المئة حتى تغيَّر- كما يذكر إسماعيل راوي الخبر - وقال ابنُ المدينيِّ عن يحيَى بن سعيد: منكر الحديث، ثم ذكَر له يحيى أحاديث مناكير، منها حديث الحَوْأب، وقيس هذا لم يَشهدِ الجملَ، كما نصَّ عليه الإمامُ ابن المديني صراحةً في «العلل» (ص٤٩): «قيل له: شهِد الجمل؟ قال: لا». فمن المحال العادي أن يشاهد مِن أين جاء السَّهم، ومن رماه.

مع أنَّ أحدًا لم يتَّهمْ طلحةَ بدمِ عثمان، ثم كيف بقِي مرْوان فقيهًا يرجِع الناس إليه ويَروون عنه الحديثَ، ولا نعلم أنَّ بني طلحة ولا غيرهم مِن المسلمين طالبوا قطُّ بدمه؟ وطلحةُ هو مِن العشرة المبشَّرين بالجنةِ، ومِن خيرِ أهلِ الأرض آنذاك، فكيف لا يُطالِب أحدٌ بدمه؟! هذا محال.

ثانيًا: حديث عكراش بن ذؤيب:

أخْرجَه الحاكمُ في «المستدرَك» (٣/ ٤١٧) عن محمد بن يعقوب الحافظ، أنا محمد بن إسحاق الثقفيُّ، ثنا عَبَّادُ بن الوليد العنزيُّ، ثنا حِبَّانُ بن هلال، ثنا شَريكُ بن الحُباب (مجهول الحال)، حدثني عُتبةُ بنُ صَعصعةَ بنِ الأحنف (مجهول الحال)، عن عكراش بن ذؤيب [صحابي]، قال: كنا نُقاتِل عليًّا مع طلحةَ ومعنا مَرْوان، قال: فانهزمْنا، قال: فقال مَرْوانُ: لا أُدرك بثأري بعدَ اليوم مِن طلحة، قال: فرَماه بسهمٍ فقتَلَه.

وأخْرَجه البخاريُّ في «التاريخ الكبير» (٧/ ٨٩) عن حِبَّان بن هلال، عن شَريك بن الخَطَّاب، به مُعلَّقًا.

وهذا إسنادٌ ضعيف؛ فيه شريك بن الحُباب، وعُتبة بن صَعصعَة، مجهولا الحال.

ثالثًا: حديث يحيَى بن سعيد الأنصاري عن عمِّه:

أخْرَجه خليفةُ بنُ خيَّاط في «تاريخه» (١/ ١٨١، ١٨٥)، ومن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨/ ٤١٦)، (٢٥/ ١١٣)، وعمر بن شبَّة في "تاريخ المدينة" (٢/ ٢٢٢ رقم

٢٠٣٤، ٢٠٣٥) جميعهم مختصرًا، والحاكِم في «المستدرك» (٣/ ٣٧٠) مطولًا من طريق جُويريةَ بنِ أسماء، عن يَحيى بن سعيد، عن عمِّه.

وإسناده ضعيف: عمَّ يَحيَى بنِ سعيدٍ الأنصاري مجهول.

رابعًا: حديث شيخ مِن كلب عن عبدالملك بن مروان:

أخْرَجه ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣)، ومِن طريقِه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٨/ ١٥٥)، أخبَرني مَن سمع أبا جناب الكَلبي، يقول: حدَّثني شيخٌ مِن كلب، قال: سمعتُ عبدالملك بن مَرْوان؛ يقول: «لولا أنَّ أميرَ المؤمنين مَرْوان أخبرني أنَّه هو الذي قتَل طلحةَ، ما تركتُ مِن ولد طلحة أحدًا إلاَّ قتَلته بعثمانَ بنِ عفَّان».

وإسناده ضعيف؛ فيه مجهولان، وهما (شيخ ابن سعد، وشيخ من كلب)، وأبو جناب الكلبي ضعيف.

خامسًا: حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى:

أخْرَجَه عمرُ بن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٣٠٦) عن عبدِالله بن عمرٍو، قال، حَدَّثَنا عمرو بن ثابت (رافضي خبيث)، عن أبي فَزارة (راشد بن كيسان)، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى.

قلت: عمرو بن ثابت، قال فيه ابنُ المبارك: لا تُحدِّثوا عن عمرِو بن ثابت؛ فإنَّه كان يسبُّ السَّلَف، وقال أبو حاتم: كان رَديء الرأي، شديدَ التشيُّع. وقال أبو داود: رافِضي خبيث. وقال النَّسائي: متروك الحديث.(تهذيب التهذيب ٨/ ٩)

أمَّا مَن رَوى تلك القصة غير هؤلاء، فكلُّهم كانوا صِغارًا لم يُدرِكوا المعركة أصلًا، فمرويَّاتهم منقطعة، منهم:

أولاً: حديث محمد بن سيرين:

أخرجه ابنُ سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣) عن سليمانَ بنِ حَرْبٍ، قال: أخبرنا حمَّادُ بن زيد عن قُرَّة بن خالد عن محمد بن سيرين.

قلت: رُواته كلهم ثقات، غير أني لم أَجِدْ حمادَ بن زيد فيمَن روَى عن قُرَّة بنِ خالد. ومحمد بنُ سيرين لم يُدرِك الفتنةَ.

وأَخْرَجه خليفة بن خيَّاط في «تاريخه» (١/ ١٨٥)، ومِن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١١٣)، عن أبي عبدالرحمن القُرَشي، والخلاَّل في «السنة» (٣/ ٥١٨، رقم: ٨٤٠) مِن طريقِ محمَّد بن أبي بكر بن عليٍّ بن مُقدّم، كلاهما (أبو عبدالرحمن القرشي، ومحمد بن أبي بكر) عن حمَّاد بن زيد، به.

قلت: محمد بنُ سيرين لم يُدرِك الفتنةَ؛ قال إسماعيل بن عُليَّة: «كنَّا نسمع أنَّ ابن سيرين وُلِد في سنتين بقيتَا مِن إمارة عثمان، وقال ابن حبَّان: مولدُه لسنتين بقيتَا مِن خلافة عثمان»؛ أي: سَنة ٣٣ هـ، فلا تقبل هذه الرِّواية كما هو معلوم؛ لأنَّه كان طفلاً رضيعًا لم يدركِ الأحداث، ولم يَذكُر مَن الذي حَدَّثَه بهذا الخبر. (التاريخ الكبير ١/ ٩١. والتاريخ الصغير ١/ ٢٤٥. والثقات لابن حِبَّان ٥/ ٣٤٩. وتهذيب الكمال ٢٥/ ٣٥٢).

ثانيًا: حديث الجارود بن أبي سبرة الهذلي:

أَخْرَجه أبو القاسم البغويُّ في «معجم الصحابة» (٣/ ٤١١) عن عليِّ بن مسلم، نا أبو داود الطيالسيُّ، عن عِمْرَان الْقَطَّان، عن قتادةَ بنِ دِعامة، عن الجارود بن أبي سبرة.

قال الحافظُ ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٥٣٢): أخرجه أبو القاسم البغويُّ بسندٍ صحيح عن الجارود بن أبي سبرة.

قلت: رُواته كلُّهم ثِقات، غير أنَّ قتادة بن دعامة مدلِّس ولم يُصرِّح في أحدٍ مِن طرقه بالسماع.

والجارود بن أبي سبرة: هذا قدْ تُوفِّي سنة ١٢٠هـ؛ أي: لو كان عمره ٨٤ سنة يومَ مات، لكان رضيعًا، يوم الجَمَل، فلا قِيمةَ لرِوايته.

وأخرجه خليفةُ بن خيَّاط في «تاريخه» (١/ ١٨١، ١٨٥)، وابن أبي خَيْثَمة في «تاريخه» (٢/ ٧٦، رقم: ١٨٠٠)، والخلاَّل في «السُّنة» (٣/ ٥١٧ – ٥١٨، رقم: ٨٣٩)، وابن عساكِر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١١٢) مِن طريقِ قتادة بن دعامة، به.

ثالثًا: حديث عوف الأعرابي:

أَخْرَجه ابنُ سعدٍ في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣)، ومِن طريقِه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١١٣)، عن رَوْحِ بنِ عُبادة، قال: أخبَرَنا عوفُ بن أبي جميلة الأعرابي، قال: «بلغَني أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكَم رمَى طلحةَ يومَ الجمل ...».

وهذا منقطِع؛ فإنَّ عوفًا الأعرابيَّ بعيدُ العهد بواقعةِ الجَمل، فإنَّه وُلِد في حدود سنة ٦٠ هـ، وواقعة الجَمَل كانت سنة ٣٦ هـ؛ قال أبو عاصم: دخلنا على عوفٍ الأعرابي سنَة ست وأربعين ومائة، فقلنا: كم أتَى لك؟ قال: ستٌّ وثمانون سَنَة. (تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤٠. وتهذيب التهذيب ٨/ ١٤٨).

رابعًا: حديث نافعٍ مولَى عبدالله بن عمر:

أخرجه ابنُ سعدٍ في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣)، والحاكِم في «المستدرك» (٣/ ٣٧٠) مِن طريق عن عبدالله بن عون، عن نافِع.

وأخرجه عمرُ بن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٣٠٦) مِن طريق قُرَّة بن خالد، عن نافع.

قلت: إسنادُه صحيحٌ إلى نافعٍ، لكنَّه معلول: فنافِع مولَى ابنِ عُمر: تُوفِّي في حدودِ سنة ١١٦ أو بعدَها، فعَلَى هذا يكون الأغلبُ في سماعِه لهذا الحديثِ أنَّه مِن قبيل المنقطع.

خامسًا: حديث إسحاق بن طلحة:

أخرَجه أبو نُعيمٍ في «معرفة الصحابة» (١/ ٩٨): حدَّثَنا أبو مُحمَّد بنِ حيَّان، ثنا محمد بن عبدالله بن رُسته، قال: ثَنا أبو أيُّوب، ثنا الواقِدي، عن إسحاق بن طلْحَة.

ومحمد بن عمر الواقدي متروك، كذاب. قال البخاري وأبو حاتم: متروك. وقال أبو حاتم، والنسائي، وابن المديني، وابن راهويه: يضع الحديث. وقال أحمد بن حنبل: هو كذاب. وقال الذهبي في آخر ترجمته: واستقر الاجماع على وهن الواقدي. (ميزان الاعتدال ٣/ ٦٦٢-٦٦٦)

سادسًا: حديث عوانة بن الحكم:

أخرج أبو العرب التميميُّ في «المحن» (١/ ١٠٧): وحَدَّثني غيرُ واحدٍ عن أسد (هو ابنُ الفُرات) عن زِياد (هو ابن عبدالله)، عن عوانة (هو ابنُ الحَكم).

وإسنادُه ضعيفٌ؛ لجهالةِ شيخ أبي العرب التميمي، كما أنَّ عوانةَ بن الحَكم مُتَّهم بوضعِ الأخبارِ. (لسان الميزان ٤/ ٣٨٦).

سابعًا: حديث عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله:

وأَخْرَج ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ٢٦١) في ترجمة عائشةَ بنتِ موسى بنِ

طلحة بنِ عُبيدِالله: قرأتُ في كتابٍ عن عبدالصمد بن عبدالله بن عبدالصمد، بن أبي يَزيد الدمشقي، نا معاويةُ بنُ صالح الأشعريُّ، حدَّثني عبدالرحمن بن شريك، نا أبو بكر بن عِيسى بن موسى بن طلحة، قال: سمعتُ عائشةَ بنت موسى - وكانتْ تحتَ عبدالملك بن مَرْوان - قالت: قال لي عبدُالملك: «يا عائشةُ، لولا أنَّ مَرْوانَ قتَل طلحةَ، ما تركتُ على ظهرِها طلحيًّا إلا قتلتُه».

وإسناده ضعيف. أولًا: ليس فيه تحديثٌ ما بيْن ابن عساكِر وعبد الصمد، وقدْ تُوفِّي عبد الصمد سنة (٣٠٤هـ)، وابنُ عساكر ٥٧١ هـ، فبينهما أكثر مِن ٢٥٠ عام.

ثانيًا: الكِتاب الذي قرَأه ووجَد فيه هذا الخبر لا نَعرِفه.

ثالثًا: عائشةُ بنت موسى بن طلحة مجهولة.

رابعًا: الرَّاوي عنها أبو بكر بن عيسى بن موسى بن طلحة؛ مجهول.

خامسًا: عبدالرحمن بن شريك؛ مجهول العين، ليس له ترجمة، وهو غيرُ النَّخَعيِّ الضعيف لاختلافِ الطبقة، والنتيجة أنَّ خبَر عبدالملك بْن مَرْوان غير صحيح، ولا يجوز التعويلُ عليه.

وقِصَّة اتِّهام مَرْوان بقَتْل طلحة يَلزم منها أمورٌ خطيرة، منها أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكم مجرِم وقاتِل عمدًا مِن غير تأويل، فهو ساقطُ العدالة، فلا يجوز أن تُقبَل له رِواية، ومع هذا فقدْ رَوَى له علماءُ الحديث جميعَ مرويَّاتِه، واحتجَّ به جميعُ فقهاء الأمصار؛ فكيف يحتجُّون بقاتلِ أحدِ العشرةِ المبشَّرين بالجَنَّة؟! وكذلك فيه تُهمة لأمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - حيث جَعَله أمينَ سِرِّه وكاتبَه، وهو لا يستحقُّ ذلك! وفيه تهمة لطلحةَ - رضي الله عنه - أنَّه كان ممَّن أعان على عثمانَ - رضي الله عنه - أو ألَّبَ عليه! وفيه تُهمةٌ خطيرةٌ لمعاوية - رضي الله عنه - إذ كيف يُولِّي قاتلاً فاسقًا على خيرِ بلادِ المسلمين، وهي المدينة المنوَّرة؟!

والقِصَّة على نَكارتها ليس فيها ولا حديثٌ متَّصل واحد، إلاَّ الذي ذَكَره ابنُ شبة عن رجل مجهول، لا أحد يعرِف اسمَه أصلًا.

كما أنَّ قصَّة رمْي مَرْوان لطلحة رضي الله عنهما يومَ الجمل، مستنكَرة عندَ ذوي العقول، فوجودُ طلحةَ في الجيش كان مُحرِّضًا للناس على الالتِحاق به، ومُشكِّكًا للطرَف الآخر في شرعيةِ القِتال؛ فكيف يَقتُل مَرْوانُ (وهو صاحِب عقل وفَهم) صحابيًّا جليلاً في

صفِّه مِن خِيرة قادة المسلمين؟! لو كان طلحة في صفِّ قتَلَةِ عثمان، لكان في قتْله مبرِّر، لكن أنْ يكون واقفًا مع مَرْوانَ في نفسِ الجيش مطالبًا بالقصاص مِن قتَلَةِ عثمان، فقِصَّة قتلِه مستبعَدة.

كما جاءت بعضُ الآثار بسِياق تلك القصَّة بصيغة التمريض والضَّعْف، مثل: يُقَال، ذُكِرَ، وهكذا:

• أخرج أبو العرب في «المحن» (١/ ١١١ - ١١٢): وحَدَّثَني محمَّدُ بنُ عمر، عن أبي الطاهِر، وحدَّثَنا عيسى بن مِسكين، عن سحنون، عن ابنِ وهب، عن يونس، عن ابنِ شِهاب، قال: «رُمِي طلحةُ بنُ عبيدالله بسهمٍ فقَطع لطاة في ظهرِه...». ويقال: «إنَّ الذي رَماه مَرْوان بن الحَكم...».

• وأخْرج ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٢٢): أخبَرَنا أبو البركاتِ الأنماطيُّ، أبو عبدالله البلخي، قالا: أنا أبو الحسينِ بن الطيوري، وثابِت بن بُندار، قالا: أنبأ أبو عبدالله الحسين بن جَعْفر، وأبو نَصْرٍ محمَّدُ بن الحسن، قالا: أنا الوليد بن بَكْر، أنا عليُّ بن أحمد بن زكريا، أنبأ صالِح بنُ أحمد بنِ صالح، حدَّثَني أبي، قال: طلحةُ بن عبيدالله قُتِل يوم الجمل، يُقال: إنَّ مَرْوانَ قتَلَه.

• وأخْرَج ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٢٢) قرأتُ على أبي مُحمَّدٍ السُّلمي عن أبي محمَّدٍ التميمي، أنا مكيُّ بن محمَّد، أنا أبو سليمان بن زَبْر، قال: وفيها - يعني: سَنة ستٍّ وثلاثين - كانتْ وقعة الجَمل، وقُتِل طلحةُ بن عبيدالله في المعركة، ذُكِرَ أنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكم قتَلَه.

الخلاصة: إنَّ الآثار التي جاءتْ في قِصَّة رمْي مَرْوانَ لطلحةَ لا تَثبُت، وكيف يكون هو بِجيشِ طلحةَ وكِلاهما يُقاتِل دفاعًا عن دمِ عثمانَ، فيقوم ويغدِر به فيقتله؟ ومَرْوان يَعلَم عِلمَ اليَقين أنَّ طلحةَ بن عُبيدالله لم يشارِكْ في دمِ عثمان، خاصَّة أنَّ مَرْوانَ كان يدافع عن عثمانَ بالدار، وقد شاهَد بعينه قتلةَ عثمان الذين حاصروه ودَخَلوا عليه، ومعلومٌ عندَ الجميع أنَّ طلحة لم يُحرِّض على عثمانَ أبدًا، بل أَرْسل ولدَه محمَّدًا؛ ليدافعَ عن عثمانَ مِن القتلَة، ولما قُتِلَ عثمانُ كان طلحةُ مِن أشدِّ الناس سخطًا لمقتله، فخرَج يُطالِب بدمِه بعدَ ذلك، ويبذل في ذلك رُوحَه، وهذه الكذبة السَّمجة تُريد الترويجَ لفِكرة شيعيَّة شيطانيَّة، هي أنَّ الصحابة هم

الذين تآمَروا على عثمانَ بنِ عفَّانَ؛ ليقتلوه، والله أعلم.

كما جاءتْ بعضُ الآثار بأنَّ قتْل طلحة بن عبيد الله كان بسهمٍ غرب:

أخْرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٢٣)، قال: أخبَرَنا رَوحُ بنُ عُبادة، قال: أخبَرَنا سعيدُ بن أبي عَروبة، عن قتادةَ، قال: رُمِي طلحة فأعنق فرسه فرَكَض، فمات في بَني تميم، فقال: بالله مَصْرَع شيخ أَضيع.

وإسنادُه صحيح إلى قتادة.

وأخْرَج أبو العرب التميميُّ في «المحن» (١/ ١١٠) قال: أخبَرَنا أصبغ (هو ابن الفرج)، عنِ ابن وهْب (هو عبدالله)، عن يونس (هو ابنُ يَزيد الأيلي)، عن ابنِ شِهاب، قال: «رُمِي طلحةُ وهو مُعتدِل في بعضِ الصُّفوفِ بسهمٍ غرب، فقطع مِن رجله عرقَ النَّسا، فنشجَ حتى نزَف فمات، ويُقال: إنَّه كان يومَ قُتِل ابنَ خمس وسَبعين».

وإسنادُه صحيحٌ إلى ابن شِهاب.

وردَّ الحافظ ابن كثير نسبةَ قتل مروان طلحة رضي الله عنه ثم قال:«ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم، وقال لأبان بن عثمان: قد كفيتك رجالا من قتلة عثمان، وقد قيل: إن الذي رماه غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهورًا، والله أعلم». (البداية والنهاية ٧/ ٢٤٧)

والذي نميل إليه أنه مات مِن سهم البغاة والخوارج المندسين في جيش علي رضي الله عنه. قال محمد بن سعد في الطبقات (٣/ ٢٢٥): أخبرنا الفضل بن دكين (ثقة ثبت)، قال: أخبرنا أبان بن عبد الله البجلي(ثقة)، قال: حدثني نعيم بن أبي هند (ثقة)، قال: حدثني ربعي بن حراش(ثقة عابد مخضرم) قال: إني لعند علي جالس إذ جاء ابن طلحة فسلم على علي، فرحب به علي، فقال: ترحب بي يا أمير المؤمنين وقد قتلت والدي وأخذت مالي، قال: «أما مالك فهو معزول في بيت المال، فاغد إلى مالك فخذه، وأما قولك: قتلت أبي، فإني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧)». فقال رجل من همدان أعور: الله أعدل من ذلك، فصاح عليٌّ صيحةً تداعى لها القصر قال: «فمن ذاك إذا لم نكن نحن أولئك؟». (الطبقات الكبرى، ترجمة طلحة بن عبيد الله، ط: دار صادر، بيروت)

وهذا إسناده جيد، وهو أقوى حديث وأصرحه أن الذي قتل طلحة هو جماعة علي.

وعلي رضي الله عنه لم ينكر ذلك. وهذا يُكذّب الخبر الشائع والمشهور عند المؤرخين أن قاتله هو مروان بن الحكم. وهو نصٌّ في محل النزاع. وكل ما سواه باطل لا يُعَوَّلُ عليه كما بَيَّنا سابقًا.

مسير علي رضي الله عنه إلى الكوفة بعد حرب الجمل:

ارتحل علي رضي الله عنه إلى الكوفة بعد تدبير شؤون البصرة، وولاها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ونصب زياد بن أبيه على جباية الخراج ونظارة بيت المال. ثم سار إلى الكوفة، ودخلها يوم الاثنين١٢/ رجب عام ٣٦هـ. «فدخلها عليٌّ يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين».(البداية والنهاية ٧/ ٢٤٤)

واستقر علي رضي الله عنه في الكوفة، واستوطنها، واتخذ منها دارا لخلافته مكان المدينة المنورة. وقام علي رضي الله عنه بعد نزوله بالكوفة -خطيبا في مسجد الكوفة، ورغب الناس في الخير، وحذرهم الفتنة والفسادَ، وشجع أهل الكوفة.

وأقبل علي رضي الله عنه على تدبير شؤون أطراف الدولة المختلفة، وعزل ولاة عثمان رضي الله عنه، وولى عبيد الله بن عباس اليمن، وولى سمرة بن جندب البصرة، وعمارةَ بن شهاب الكوفةَ، وقيسَ بن سعد بن عبادة مصرَ. وبعث رسله إلى جرير بن عبد الله في همذان، والأشعث بن قيس في آذربيجان بأن يأخذوا البيعة من عامة الناس ورؤسائهم في مناطقهم، فبايعه بعضهم على الفور دون بعض، وقدَّموا الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه عليها.

وعزل معاوية رضي الله عنه من الشام، وولى مكانه سهل بن حنيف رضي الله عنه، ولم يكد يصل هؤلاء العمال الجدد إلى تبوك حتى لقيه كتيبة من خيول الشام، وقالوا لهم: إن كنتم أتيتم من قبلِ عثمان فأهلًا وسهلًا، وإلا فارجعوا. (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٧-٢٢٨) وما ذلك إلا لأن معاوية رضي الله عنه لم يعتبر خلافة علي رضي الله عنه على صفة قانونية، وإن كان يراه أحق الناس بالخلافة. «قال معاوية: لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله». (البداية والنهاية ٧/ ٢٧٧)

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة أشار على علي رضي الله عنه بعدم عزل ولاة عثمان عمومًا، ومعاوية رضي الله عنه من الشام خاصةً.

«ثم إن ابن عباس أشار على عليٍّ باستمرار نوابه في البلاد، إلى أن يتمكن الأمر، وأن يُقِرَّ معاوية خصوصًا على الشام». (البداية والنهاية ٧/ ٢٢٨)

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «أشار عليه الحسن بأمور، مثل أن لا يخرج من المدينة دون المبايعة، وأن لا يخرج إلى الكوفة، وأن لا يقاتل بصفين، وأشار عليه أن لا يعزل معاوية، وغير ذلك من الأمور». (منهاج السنة ٥/ ٤٦٦)

ولم يفعل علي رضي الله عنه ذلك، لأن تولية علي رضي الله عنه الخلافة كان للبغاة مدخل كبير فيها، وكان لهم أكبر يدٍ على مركز الخلافة فعلا حتى بعد توليه الخلافة، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن من كان خلافته حقًّا لن يستعجل في عزل الولاة السابقين، فلابد أن لأولئك البغاة الذين قتلوا عثمان- يدًا فيه. والتخلي عن الولاية في مثل هذه الأوضاع يظهر الخضوع والاستسلام للبغاة، ولم يكن ظنُّ معاوية هذا قائما على مجرد التخمين؛ بل على الواقع والحقيقة. فقد مارس البغاة الضغوطَ على علي رضي الله بعزل معاوية رضي الله عنه؛ «ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة أشار عليه كثير من أُمَرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهلَ بن حنيف، فعزله».(البداية والنهاية ٨/ ٢١)

لم يقبل علي رضي الله عنه ما أشار به عليه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصحابة، وربما رأى علي رضي الله عنه إلغاء النظام السابق رأسًا لإخضاع الناس للنظام والحكم الجديد.

وكان يرى ابن عباس رضي الله عنه أنه مما يسهل أمر البيعة لعلي رضي الله عنه في جميع الأصقاع والنواحي. كما يستتب به الأمن والسلم في البلاد، ويسود الناس الهدوء، و تجلى إصابة هذا الرأي في الأحداث التي نشأت في الأيام اللاحقة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «قد أشار عليه من أشار أن يقر معاوية على إمارته في ابتداء الأمر، حتى يستقيم له الأمر، وكان هذا الرأي أحزم عند الذين ينصحونه ويحبونه». (منهاج السنة ٨/ ١٤٠)

وقال العلامة ابن تيمية في موضع آخر: «فدل هذا وغيره على أن الذين أشاروا على أمير المؤمنين كانو حازمين. وعليٌّ إمام مجتهد، لم يفعل إلا ما رآه مصلحة. لكن المقصود أنه لو

كان يعلم الكوائن كان قد علم أن إقراره على الولاية أصلح له من حرب صفين، التي لم يحصل بها إلا زيادة الشر وتضاعفه، ولم يحصل بها من المصلحة شيء، وكانت ولايته أكثر خيرًا وأقل شرًّا من محاربته، وكل ما يظن في ولايته من الشر فقد كان في محاربته أعظم منه». (منهاج السنة ٨/ ١٤٣)

وقعة صفين:

أقبل علي رضي الله عنه على أهل الشام، ورأى دعوتهم إلى بيعة الخلافة، وأن يبايع معاوية رضي الله عنه له، ويحمل العمال كلهم أهل المناطق الخاضعة لهم على البيعة لعلي رضي الله عنه، وأراد علي رضي الله عنه غير مرة أن يتوجه إلى أهل الشام، ورغب الناس في حمل أهل الشام على البيعة له.

وأخيرًا انطلق علي من الكوفة إلى الشام، ونزل بـ«النخيلة»، ونظم بها شؤون الجيوش و العساكر، وولى عقبة بن عامر الكوفة مكانه، ثم انطلق علي رضي الله عنه مع العساكر من النخيلة إلى الشام، ونزل قرب نهر الفرات في ذي الحجة عام ٣٦هـ.

«قال الزهري: لما بلغ معاوية وأهلَ الشام قتل طلحة والزبير وهزيمة أهل البصرة وظهور عليٍّ عليهم دعا أهل الشام معاويةُ للقتال معه على الشورى والطلب بدم عثمان، فبايع معاوية أهل الشام على ذلك أميرًا غير خليفة». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٩/ ١٢٤، تحت ترجمة معاوية بن أبي سفيان)

واجتمع الفريقان في صفين شرقي بلاد الشام، وذلك في المحرم الحرام عام ٣٧هـ. (البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣-٢٥٤)

موقف الفريقين في صفين:

موقف علي رضي الله عنه:

١- كان علي رضي الله عنه يرى أن معظم المهاجرين والأنصار قد قبلوا بيعته، فعلى أهل الشام أن يدخلوا في بيعته، وإلا لزم قتالهم. «وكتب (علي) معه كتابًا إلى معاوية يذكر له فيه أنه قد لزمته بيعته، لأنه قد بايعه المهاجرون والأنصار، فإن لم تبايع استعنت بالله عليك وقاتلتك». (البداية والنهاية ٨/ ١٢٧)

٢- وكان يرى علي رضي الله عنه أيضًا في هذا الأمر أن الوجه الصحيح لمطالبة الفريق الآخر بدم عثمان رضي الله عنه أن يبدؤوا بالدخول في بيعته، ثم يعرضوا مطالبتهم بدم عثمان على مجلس الخليفة، ثم يقضى فيها بما يوجب الشريعة الإسلامية. فكتب علي رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه: «ادخل فيما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليَّ أحملك وإياهم على كتاب الله». (البداية والنهاية ٨/ ١٢٧)

قال ابن العربي في شرح الترمذي: «وكان علي يقول: ادخل في البيعة، واحضر مجلس الحكم، واطلب الحق تبلغه». (شرح الترمذي، لابن العربي ١٣/ ٢٢٩)

قال الإمام القرطبي: «فقال لهم علي: ادخلوا في البيعة، واطلبوا الحق تصلوا إليه». (تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٨)

٣- وقال الحافظ ابن حجر، وأبو الشكور السلمي، وآخرون من أهل العلم: كان علي ومعه يرون أن مخالفيهم بغاة، فما لم يرجعوا إلى الحق لزم قتالهم؛ «إذ حجة علي ومن معه ما شرع لهم من قتال أهل البغي حتى يرجعوا إلى الحق». (فتح الباري ١٣/ ٢٤٦. والتمهيد لأبي الشكور السالمي، ص١٦٦-١٦٧، القول السابع في خروج معاوية)

موقف معاوية رضي الله عنه وأصحابه:

١- كان معاوية رضي الله عنه، ومن معه- وفيهم عدد من الصحابة- يرون أن عثمان رضي الله عنه قتِلَ ظلما، وقتلتهم في جيش علي رضي الله عنه، فوجب الاقتصاص منهم، ولا يطلبون إلا الثأر لعثمان رضي الله عنه، ولاينازعونه على الخلافة.

٢- لا يسع البيعة لعلي رضي الله عنه ما دام قتلة عثمان رضي الله عنه معه، فإما أن يعاقبهم عقابًا شرعيًّا، أو يسلمهم إليهم ليقتصوا منهم.

قال الحافظ ابن حجر: «حجة معاوية ومن معه ما وقع من قتل عثمان مظلومًا، ووجود قتلته بأعيانهم في العسكر العراقي». (فتح الباري ١٣/ ٢٤٦)

وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني، والعلامة كمال بن أبي شريف: «وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الإمارة، كما توهمه بعضهم، وإنما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله تعالى عنه إلى عشيرته ليقتصوا منهم». (اليواقيت والجواهر للشعراني، ص٣٣٤. المسامرة، للكمال بن أبي شريف، ص١٥٨-١٥٩)

وروى ابن أبي شيبة في المصف: «قال معاوية: ما قاتلت عليًّا إلا في أمر عثمان». (مصنف ابن أبي شيبة، رقم:٣١١٩٣)

وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ١٣٢)، وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢/ ٣٠) أن معاوية لم يطلب الخلافة، وكان يرى عليًّا أحق بها.

وصرحت كتب الشيعة أيضًا بأن معاوية لم يطلب الخلافة، فقال رضي الله عنه: «وأما الخلافة فلسنا نطلبها». (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ١٧٨. مواقف الشيعة للميانجي ٢/ ١٤٤. وقعة صفين لابن مزاحم المنقري، ص٥٢)

وقال سليم بن قيس الهلالي- الذي يعده الشيعة من خاصة الأصحاب-: «إن معاوية يطلب بدم عثمان، ومعه أبان بن عثمان، وولد عثمان». (كتاب سليم بن قيس الهلالي ١/ ٤١١)

واعتذروا من قبل علي رضي الله عنه عن عدم تحقيق ما طالب به معاوية رضي الله عنه أن معاقبة قتلة عثمان رضي الله عنه، أو تسليمهم إلى الفريق الآخر، مما يفتح بابًا للشر والفساد، ويؤدي إلى الاضطراب والتفرق في القبائل، ويفلت زمام الأمر من اليد.

قال الإمام الشعراني: «لأن عليًّا كان رأى أن تأخير تسليمهم أصوب إذا المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم، واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة العامة». (اليواقيت والجواهر للشعراني، ص٣٣٤. الصواعق المحرقة ٢/ ٤٢٢)

ولم ينفرد معاوية رضي الله عنه بطلب دم عثمان رضي الله عنه؛ بل أشار عليه جميع رؤساء الشام به.(البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣)

ووقف معه في المطالبة بدم عثمان رضي الله جماعةٌ من الصحابة. «وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان».(البداية والنهاية ٧/ ٢٢٧)

كما رأى هؤلاء أن الخليفة يبدي عجزَه عن الاقتصاص من قتلة عثمان، وعن تسليمهم إلى الأولياء، هذا في جانب، وفي جانب آخر: يقاتل المطالبين بدم عثمان، فتبين أن الاستعداد للحرب والقتال هذا جاء بإيماء من هؤلاء القتلة. وهذه الشكوك وأمثالها مما منع هؤلاء وآلافا آخرين من البيعة لعلي رضي الله عنه. ولم يكونوا ينكرون فضل علي رضي الله عنه، ولا يأبون البيعة له.

عرضنا على القارئ موقف الفريقين وأدلتهم، وأصرَّ الفريقان على موقفهما إصرارًا شديدًا، ولم يتوصلوا إلى أمر فصل.

محاولة استئصال النزاع:

وحاول بعض كبار الناس استئصال الخلاف بين الفريقين، فأرسل علي رضي الله عنه الصحابي الشهير جرير بن عبد الله رضي الله عنه بكتابٍ إلى معاوية رضي الله عنه، بأن المهاجرين والأنصار بايعوه، وحدثت وقعة الجمل من جراء ذلك، فعليك ومن معك أن تدخلوا في بيعتي.

انطلق جرير بن عبد الله رضي الله عنه إلى الشام ودخل على معاوية وعرض عليه الكتاب، فأطلع معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه ورؤساء الشام على ذلك واستشارهم. واتفق عمرو بن العاص رضي الله عنه وجميع رؤساء الشام على أن يقتص علي رضي الله عنه من قتلة عثمان رضي الله عنه أو يسلمهم إليهم، وإلا فإنهم لا يبايعونه، ويقاتلونه حتى يلقى قتلة عثمان رضي الله عنه مصيرهم. فعاد جرير بن عبد الله إلى علي رضي الله عنه، وأخبره به.

قال ابن كثير: «وبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس. فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب، فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى قتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه، ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه». (البداية والنهاية ٧/ ٢٥٣)

فشل جرير بن عبد الله رضي الله عنه في هذه المهمة، فيئس وعاد، واعتزل الفريقين في «قرقيسا».

وحاول تابعي جليل آخر وهو عبيدة السلماني رحمه الله مع أصحابه: علقمة بن قيس، وعامر بن عبد قيس، وعبد الله بن عتبة بن مسعود وغيرهم إنهاء الخلاف، ودخلوا على معاوية وعلي رضي الله عنهم، ولكن لم يتوصلوا إلى ما يتفق عليه الفريقان وينتهي النزاع. (البداية والنهاية ٧/ ٢٥٨)

قال العلامة الذهبي: «جاء أبو مسلم الخولاني، وأناس إلى معاوية، وقالوا: أنت تنازع

عليًّا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتِل مظلومًا، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه، فقولوا له: فليدفع إليَّ قتلة عثمان، وأسلم له. فأتوا عليًّا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه». (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٢٠؛ تاريخ الإسلام، للذهبي ٣/ ٥٤٠؛ تاريخ دمشق، لابن عساكر ٥٩/ ١٣٢؛ البداية والنهاية ٨/ ١٢٩)

وفي بعض الروايات علاوة على ماسبق: «فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليّ، فامتنع معاوية». (فتح الباري ١٣/ ٨٦)

ولم تُثمر هذه الجهود المخلصة التي بذلها جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وعبيدة السلماني، وأبومسلم الخولاني، ومن معهم، ولم يرض أحد الفريقين بالتزحزح عن موقفهما، وثبت معاوية رضي الله عنه على طلب دم عثمان، وكان أمرًا طبيعيًّا، ومعه فيه عدد لابأس به من كبار الصحابة رضي الله عنهم، ولم يولِ علي رضي الله عنه هذه المطالبة عنايةً.

وكان في الفريقين -بجانب المخلصين – عامة الناس والمفسدون، وفيهم من شاركوا في قتل عثمان رضي الله عنه، والذين حولوا الصلح المؤكد في وقعة الجمل إلى قتال وحرب عن غرة. فلم يرعوِ هؤلاء عما جبلوا عليه من الفتنة والفساد، فوسعوا الفجوة بين الفريقين بنشر سوء الظن بينهم بدلًا من أن يجسروا هذه الهوة، وزادوا الأمر تعقيدًا بدلًا أن يحلوا عقدته، وحملوا على القتال بدلًا من المصالحة، حتى نشب بين الفريقين قتال عنيف، ذهب ضحيته الآلاف من الفريقين. وسبق تفصيله. والحاصل أن جيش علي رضي الله عنه كان فيهم من يحرض على القتال، وقد أقر به سهل بن حنيف رضي الله عنه، وكان مع علي رضي الله عنه. (صحيح البخاري، رقم:٣١٨١)

من كان على الحق في قتال صفين؟:

ساق العلامة ابن تيمية في هذا أربعة أقوال:

١- منهم من يقول: كلاهما كان مجتهدًا مصيبًا. وهو قول طائفة من أصحاب أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وغيرهم.

٢- ومنهم من يقول: بل المصيب أحدهما لا بعينه. وهذا قول طائفة منهم.

٣- ومنهم من يقول: علي هو المصيب وحده، ومعاوية مجتهد مخطئ، كما يقول ذلك

طوائف من أهل الكلام، والفقهاء أهل المذاهب الأربعة.

٤- ومنهم من يقول: كان الصواب أن لا يكون قتال، وكان ترك القتال خيرًا للطائفتين، فليس في الاقتتال صواب، ولكن علي كان أقرب إلى الحق من معاوية. وهذا هو قول أحمد، وأكثر أهل الحديث، وأكثر أئمة الفقهاء، وهو قول أكابر الصحابة والتابعين». (منهاج السنة ٤/ ٤٤٧-٤٤٨، بحذف يسير)

ومما يجدر ملاحظته هنا أن القتال بدأه أصحاب علي رضي الله عنه في صفين، وكان فيهم عدد لا بأس به من قتلة عثمان رضي الله عنه، ممن جُبِلوا على الفتنة والشر. وبلغ معاوية رضي الله عنه هجوم علي رضي الله عنه، فاستعد معاوية رضي الله عنه وأهل الشام له، فكأن معاوية رضي الله عنه اضطر إلى الاستعداد للحرب دفاعًا عن النفس. ولم يرغب في الحرب. قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «اقتتل العسكران: عسكر علي ومعاوية بصفين، ولم يكن معاوية ممن يختار الحرب ابتداءً، بل كان من أشد الناس حرصًا على أن لا يكون قتال، وكان غيره أحرص على القتال منه». (منهاج السنة ٤/ ٤٤٧)

قطع الماء في وقعة صفين:

طعنوا في معاوية رضي الله عنه أنه قطع ماء الفرات على جيش علي رضي الله عنه بإشارة من الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، حتى قاتلهم جيش علي وطردوهم منه.

الجواب: هذه القصة رواها الطبري في «تاريخه» بإسناد أبي مخنف وهو شيعي غالٍ. وسبق الكلام عليه مفصلا.

وصرح عدد من المؤرخين بأنه لم يشهد الوليد بن عقبة وعبد الله بن سعد بن أبي السرح وقعة صفين. قال ابن الأثير: «وقد قيل: إن الوليد وابن أبي سرح لم يشهدا صفين». (الكامل في التاريخ ٣/ ٣٥١، ط: دار صادر، بيروت)

وصحح ابن الأثير في موضع آخر عدم شهود عبد الله بن سعد بن أبي السرح حرب صفين، قال: «وفي هذه السنة توفي عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعسقلان فجأة وهو في الصلاة، وكره الخروج مع معاوية إلى صفين، وقيل: شهدها، ولا يصح». (الكامل في التاريخ ٣/ ٢٨٧)

وصرح بعدم شهود الوليد بن عقبة رضي الله عنه صفين: ابن سعد، وابن عبد البر، وابن حجر، وابن كثير أيضًا. كما صرح ابن كثير، وابن عبد البر بعدم شهود عبد الله بن سعد رضي الله عنه صفين.(الطقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥؛ الاستيعاب ١/ ٣٨٢؛ الإصابة ٦/ ٣٢٢؛ البداية والنهاية ٧/ ٣١١، ٨/ ٢١٤)

عدد القتلى في صفين:

اختلفت أقوال المؤرخين في تعداد قتلى صفين، والله أعلم بعدد من قُتِل فيها. قال الحافظ ابن كثير: «فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله، وقتل من العراقيين خلق كثير أيضًا». (البداية والنهاية ٧/ ٢٧١)

وقال الحافظ ابن كثير في موضع آخر: «فقتل خلق كثير من الأعيان من الفريقين، فإنا لله وإنا إليه راجعون». (البداية والنهاية ٧/ ٢٦٥)

وفصل الشيخ محمد نافع الكلام على وقعة الجمل وصفين في كتابه «سيرة سيدنا علي المرتضى»، والشيخ صلاح الدين يوسف في كتابه «الخلافة والملوكية–في التاريخ والشريعة»، وقد لخصنا الوقعتين هنا.

قضية التحكيم:

نشبت حرب عنيفة بين الفريقين في صفين، واحتال أهل الشام لإنهاء الحرب بأن يتحاكم الفريقان إلى كتاب الله تعالى. فعرض ذلك على علي رضي الله عنه، فقبل علي رضي الله عنه الدعوة إلى المصالحة، وتوصلوا إلى اختيار حكم من كل فريق، ويجتمع الفريقان في رمضان في دومة الجندل، ويقضيان في الأمر، وإن لم يتمكنا منه اجتمعا في «الأذرح» في العام القادم.

قال ابن كثير: «وأجَّلا القضاء إلى رمضان، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك على تراض منهما، وكتِب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يُوافِيَ عليٌّ ومعاويةُ موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان،... فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح».(البداية والنهاية ٧/ ٢٧٦)

وتضمن عقد التحكيم أن يحافظ المؤمنون والمسلمون من الفريقين على الأمن والسلم

على كل الأحوال، ويحذرا استخدام الأسلحة، ولهم أن يتنقلوا حيث شاءوا، فنفوسهم وأموالهم، وذراريهم في أمن غيبًا وحضورًا.(تاريخ الطبري ٥/ ٥٤)

وجه تسمية الخوارج به:

جرى حوار الصلح بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، واعتزل الخوارج جيش علي رضي الله عنه ونادوا «إن الحكم إلا لله»، وسموا بالخوارج لخروجهم عن جماعة المسلمين.

قال ابن كثير: «اعتزل من جيشه قريب من اثني عشر ألفًا، وهم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا بمكان يقال له حروراء، وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها». (البداية والنهاية ٧/ ٢٧٨)

كانوا من شيعة علي رضي الله عنه، ثم صاروا خوارج عليه، ورغم أنهم صاروا خوارج لخروجهم على خلافة عثمان رضي الله عنه، ولكن أطلق عليهم هذه التسمية بعد خروجهم على علي رضي الله عنه، ويطلق عليهم «حرورية» نسبة إلى بلدة في الكوفة اسمها حروراء.(انظر: العواصم من القواصم مع تحقيق محب الدين الخطيب، ص١٧١. والفرق بين الفرق، ص٧٤. والملل والنحل، ص٧٦)

وفي الحديث: «تَمْرُق مارِقةٌ عندَ فُرقَةٍ مِن المسلمين يقتُلها أَولَى الطَّائفتَين بالحقِّ». (صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم:١٠٦٤)

رجع كل فريق إلى بلاده بعد أن اتفقا على مسألة التحكيم، وعاد علي رضي الله عنه إلى الكوفة، ورجع معاوية ومن معه إلى الشام، وكان جيش علي رضي الله عنه يشهد خلافًا وافتراقا بينهم في هذا الأمر، وساد الهدوء جيش معاوية رضي الله عنه، ولم يشهد اضطرابًا واختلافا. «ورجع علي الكوفة بأصحابه مختلفين عليه، ورجع معاوية إلى الشام بأصحابه متفقين عليه».(نصب الراية ٤/ ٧٠)

اجتماع الحكمين في دومة الجندل:

وردت روايات تاريخية فيما يخص التحكيم أن عليًّا رضي الله عنه اختار أبا موسى الأشعري رضي الله عنه حكما من قِبله، واختار معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه حكما من قِبله، واجتمع الحكمان في رمضان في دومة الجندل. ومعهما كثير من الشخصيات الهامة الموالية لهما. ثم وصف المؤرخون أبا موسى الأشعري ساذجا غرًّا،

ووصفوا عمرو بن العاص خادعًا، وقالوا: اتفق الحكمان على عزل علي ومعاوية كليهما، ثم أعلن أبو موسى الأشعري عزل علي رضي الله عنه، وقال: خلعته كما خلعت سيفي من عنقي. وأثبت عمرو بن العاص رضي الله عنه سيفه في الأرض، وقال: أثبتُّ معاوية على الخلافة كما أثبتُّ سيفي على الأرض.

وتقول كتب التاريخ أيضًا: لما أدرك معاوية فشل جيشه، أشار على عمرو بن العاص بأن يرفع المصحف على السيف، ويقول: نحتكم إلى كتاب الله.

وهذه الروايات التاريخية غير صحيحة، كلها أساطير اختلقها أبو مخنف والكلبي وأمثالهما، فأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما من أجلة الصحابة، وعلى غاية من العقل والأمانة والديانة. وسبق الكلام في أبي مخنف والكلبي.

قال الشيخ محب الدين الخطيب: وأصل المغالطة من تجاهل المغالطين أن معاوية لم يكن خليفة، ولا هو ادعى الخلافة يومئذ حتى يحتاج عمرو إلى خلعها عنه؛ بل إن أبا موسى وعمرًا اتفقا على أن يعهدا بأمر الخلافة على المسلمين إلى الموجودين على قيد الحياة من أعيان الصحابة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم.

ومتى أعلن عمرو رضي الله عنه خلافة معاوية؟ وهل ادعى معاوية رضي الله عنه بعد التحكيم خلافته في الدولة الإسلامية كلها؟ (حاشية العواصم من القواصم، لمحب الدين الخطيب، ص١٧٧)

قال خليفة بن خياط- المؤرخ القديم- في التحكيم: «لم يتفق الحكمان على شيء وافترق الناس، وبايع أهل الشام لمعاوية بالخلافة في ذي القعدة سنة سبع وثلاثين». (تاريخ خليفة بن خياط، ص١٩٢)

وقال عثمان الخميس في «حقبة من التاريخ»: «وقصة التحكيم المشهورة وهي أن عمرو بن العاص اتفق مع أبي موسى الأشعري على عزل علي ومعاوية، فصعد أبو موسى الأشعري المنبر وقال: إني أنزع عليًّا من الخلافة كما أنزع خاتمي هذا، ثم نزع خاتمه، وقام عمرو بن العاص وقال: وأنا أنزع عليًّا كذلك كما نزعه أبو موسى كما أنزع خاتمي هذا، وأثبت معاوية كما أثبت خاتمي هذا».

ثم قال بعد ذلك بسطرين: «هذه القصة مزورة مكذوبة، بطلها أبو مخنف الذي ذكرناه أكثر من مرة، والقصة الصحيحة كما رواها أهل الحق وهي بسند صحيح عند البخاري في

«التاريخ»: أن عمرو بن العاص لما جاء للتحكيم التقى مع أبي موسى الأشعري فقال: ما ترى في هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أرى أنه من النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راضٍ عنهم، فقال عمرو بن العاص: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ قال أبو موسى: إن يستعن بكما فعليكما المعونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما». (التاريخ الكبير ٥/ ٣٩٨). والرواية الأولى لا شك أنها باطلة لثلاثة أمور:

أولاً: السند ضعيف، فيه أبو مخنف الكذاب.

وثانيًا: خليفة المسلمين لا يعزله أبو موسى الأشعري ولا غيره...، والذي وقع في التحكيم هو أنهما اتفقا على أن يبقى عليٌّ في الكوفة وهو خليفة المسلمين، وأن يبقى معاوية في الشام أميرًا عليها.

وثالثًا: الرواية الصحيحة التي ذكرناها. (حقبة من التاريخ، ص١٠٨-١٠٩)

قال ابن كثير: «فلمّا اجتمع الحكمان تراوَضا على المصلحة للمسلمين، ونظرا في تقدير أمورٍ، ثم اتفقا على أن يعزلا عليًّا ومعاويةَ، ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليَتَّفِقُوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما». (البداية والنهاية ٧/ ٢٨٢، تحت صفة اجتماع الحكمين)

وعن حضين بن المنذر بسند صحيح أنه سأل عمرو بن العاص وقال: أخبرني عن الأمر الذي اجتمعتما فيه أنت وأبو موسى كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس ولا والله ما كان قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى، قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، قال: فقلت: فأين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما المعونة، وإن يستغنى عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما». (تاريخ دمشق لابن عساكر٤٦/ ١٧٥. وكذا في العواصم من القواصم، ص١٨٠)

تخلص من هذه النصوص أن أحد الحكمين: وهو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال:

١- يستمر علي ومعاوية رضي الله عنهما على أن ما في يد كل واحد منهما من المناطق يكون تحته إلى أن يتوصل كبار الصحابة إلى أمر فيه.

٢-يتوقف القتال بينهما.

٣- الخليفة هو من يختاره كبار الصحابة للخلافة.

٤-فإن تم استخلاف علي رضي الله عنه واستعان بمعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فلابد أن يعيناه.

ذكر الشيخ أحمد علي في كتابه «معاوية رضي الله عنه وحياته السياسية» تفاصيل حكم الحكمين في ضوء مختلف الأحوال والوقائع فقال:

١- يتفق الحكمان على أن الفريقين على الحق، فوجب الاقتصاص لسيدنا عثمان رضي الله عنه، وخلافة علي رضي الله عنه صحيحة فعلا.

٢- أخطأ الفريقان خطأ اجتهاديًّا، أحدهما: بسل السيف لفرض صفة خلافته الشرعية، والآخر بتولي أخذ ثأر عثمان رضي الله عنه بنفسه، فيُعزل الفريقان من هذا الموقف، أي: يغمط علي رضي الله عنه سيفه، ويمسك معاوية عن تولي أخذ القصاص بنفسه.

٣- يتم الفصل في الأمرين في جمع من الصحابة، ولا يحضره إلا من مات عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، أي: لا يحضر هذا الاجتماع إلا الصحابة رضي الله عنهم، ويتم تهيئة الجو العام لهذا الغرض، حتى إذا توصل أصحاب الحل والعقد المقبولين لدى العامة كان لهم ردءٌ، وظهير وراءهم.

٤- يستمر الفريقان على إدارة المناطق الخاضعة لكل واحد منهما ما لم يتم الفصل في ذلك في جمع عام. ويوقفان الخطوات العدائية كل واحد ضد الآخر وقفًا تامًّا.(معاوية رضي الله عنه وحياته السياسية، ص ١٤٤).

والحاصل أن الحكمين لم يتفقا على أن موقف أحدهما حق، وإنما اتفقوا على اختيار شورى من الصحابة رضي الله عنهم، ووقف القتال، وإدارة كل واحد منهم المناطق الخاضعة له.

والاجتماع الذي أصدر الحكمان فيه هذا القرار شهده ثمان مئة من الفريقين بجانب غير واحد من أجلة الصحابة المحايدين، ولم يشهد الاجتماع بعد ما أعلن الحكمان قرارهما شغبا أو هيجان العواطف؛ بل رجع كل واحد إلى مستقره في أمن وهدوء، ولوأن الوضع كان كما يحكونه لم يشهد الاجتماع مثل هذا الهدوء.

من أوضح القرائن على ذلك أن القرار جاء منطقيًّا وآمنا حتى رضي به كل من الفريقين، وانفض المجلس بخير وسلام، وأما الصورة التي تقدمها كتب التاريخ للاجتماع فلا أساس له من الواقع على الإطلاق.

نبذة من ترجمة أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:

صوَّر بعض المؤرخين أبا موسى الأشعري رضي الله عنه رجلا ساذجًا غرًّا، وعمروَ بن العاص رضي الله عنه داهيةً خادعًا. ولبيان مكانة كل واحد منهما نقدم ترجمة موجزة لهما، تشرح ما كانا عليه من الأهلية، والقدرة، والديانة بصورة واضحة.

سيدنا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من أجلة الصحابة وأفاضلهم، ولي عددًا من المناصب الإسلامية، ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم بعض المناطق (زبيد، وعدن)، وولاه عمر رضي الله عنه البصرة، والكوفة.

قال العلامة الذهبي: «استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري على زبيد وعدن، ثم ولي الكوفة والبصرة لعمر». (تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٤٥١)

أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص منها لخلاف نشأ بينهم وبينه على عهد عثمان رضي الله عنه، وأمَّروا على أنفسهم أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، وطلبوا من عثمان رضي الله عنه أن يولي أبا موسى الأشعري الكوفة، فولاه عثمان رضي الله عنه الكوفة، وظل عليها حتى قتِلَ عثمان رضي الله عنه.

قال ابن عساكر: «أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص وولوا أبا موسى وكتبوا إلى عثمان وسألوه أن يولي أبا موسى فولاه فأقره عليها حتى قتِل». (تاريخ دمشق ٣٢/ ٨٣)

وقال ابن العربي: «كان أبو موسى رجلا تقيًّا فقيهًا عالِـمًا...، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مع معاذ، وقدَّمه عمر وأثنى عليه بالفهم».(العواصم من القواصم، ص١٧٦)

كل أولئك يدل على ما جبل عليه أبو موسى الأشعري من الأهلية والكفاءة، فمن العسير تولية شخص ساذج غر حكومة منطقة واسعة، أو تأميره عليها. ثم إن اختيار علي رضي الله عنه أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما حكما أقوى دليل على ما كان يتصف به من الأمانة والدين، والكفاءة.

عمرو بن العاص رضي الله عنه:

روى طلحة بن عبيد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن عمرو بن العاص من صالحي قريش». (سنن الترمذي، رقم:٣٨٤٥)

ومن أقوى الأدلة على دينه وأمانته أن النبي صلى الله عليه وسلم ولاه عمان، وأقره أبو بكر في عهده: «استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره عليها الصديق». (البداية والنهاية ٨/ ٢٥)

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه بدوره: أرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن اجمع عليك سلاحك وثيابك، ثم ائتني» قال: فأتيته وهو يتوضأ، فقال:«يا عمرو، إني أرسلت إليك لأبعثك في وجه يسلمك الله، ويغنمك، وأزعب لك زعبة من المال»، فقلت: يا رسول الله، ما كانت هجرتي للمال، وما كانت إلا لله ولرسوله، قال: فقال:«نعما بالمال الصالح للرجل الصالح».(شرح السنة للبغوي، رقم:٢٤٩٦، وإسناده صحيح)

وعن عمرو بن العاص قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمان يختصمان، فقال لعمرو: «اقض بينهما يا عمرو»، فقال: أنت أولى بذلك مني يا رسول الله، قال: «وإن كان»، قال: فإذا قضيتُ بينهما فما لي؟ قال: «إن أنت قضيت بينهما فأصبت القضاء فلك عشرة حسنات، وإن أنت اجتهدت وأخطأت فلك حسنة».(مسند أحمد، رقم:١٧٨٢٤، وإسناده ضعيف)

هذه الروايات تدل على أن عمرو بن العاص رضي الله عنه كان على غاية من الصلاح، والإخلاص، والدين في عين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الأشياء تدل على ما جبِلَ عليه من الصلاح والكفاءة والثقة في الدين. فصدرت له شهادة الإخلاص من الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان على ثقة عظيمة على عهد النبوة، لم يتطرق إليه الخداع، والنفاق، واستوي ظاهره وباطنه.

عن قبيسة بن جابر قال: «قد صحبت عمرو بن العاص فما رأيتُ رجلا أبين أو أنصع رأيا، ولا أكرم مجلسًا منه، ولا أشبه سريرة بعلانية منه». (سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٧)

ثبت مما سبق أن أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص كليهما من أجلة الصحابة رضي الله عنهم، وتوليا مناصب هامة منذ عهد الرسالة إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، و لهما دور بارز في الفتوحات الحربية، وكان إليهما شؤون الدولة الإدارية، وتوليا مدة طويلة الإمارة، ولم يكونا من عباد الصحابة وزهادهم الذين لازموا ناحية البيت،حتى يخفى على عامة الناس سيرتهم ودورهم؛ بل جمعوا بين الزهد، والعبادة، والعلم، والورع إلى جانب المهارة الحربية، والفروسية. والحاصل أن الناس عرفوا علمهم، وفضلهم، وزهدهم،

وتقواهم، وورعهم، ودورهم، وسيرتهم. ويستحيل أن نقول -نظرًا إلى ماضيهم- أن أحدهما كان غرا للغاية، والآخر -والعياذ بالله- ماكرا خادعا. ولا يتصور أن يكونا الحكمان على ذلك في الواقع، ثم يصر الناس على توليتهما مثل هذه المسؤولية الباهظة، دون أن يطعنوا في اختيارهما حكمين؟

إيراد على عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما بناء على رواية لايحتج بها:

حكى العلامة بدر عالم الميروتي في «فيض الباري» -أمالي العلامة محمد أنور شاه الكشميري- عن الحسن البصري قوله: «ما أفسد الناس إلا اثنان: عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة». (فيض الباري ٣/ ٣٨٦)

الجواب: هذا ملخص رواية طويلة، رواها ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وحاصلها أن عمروبن العاص رفع المصحف، وأشار المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بنصب يزيد وليًّا للعهد . (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٠/ ٢٨٦)

وإسناده مظلم، فيه:

١- عيسى بن علي بن عيسى، اتهم بمذهب الفلاسفة.

٢-وزكريا بن يحيى، له أوهام، روى له البخاري حديثًا واحدًا، وولد الراوي عن زكريا -أبو عبيد علي بن الحسين- بعد وفاته -زكريا- بـ (٢٢)عامًا، فالإسناد منقطع.

٣-عم أبي زحر بن حصن مجهول.

٤-جده حميد بن منهب لا يعرف.

والمتن أوله: «أصلح أمر الناس أربعة، وأفسده اثنان»، ثم سمى المفسدين: عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما، وقد توفي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عام نحو ٥٠ هـ، واستخلفَ يزيد عام ٥٦هـ.

أول من أسلم؟:

إيراد: تقول الشيعة: علي أول من أسلم؛ فيجب تفضيله على من سواه.

الجواب: اختلفوا في أول من أسلم: بلال، أو زيد بن حارثة، أو خديجة أو علي رضي الله عنهم، وادعى الثعلبي الاتفاق على أن أول من أسلم خديجة رضي الله عنها.

وجمع بعضهم بينه بقولهم:

أسلم أولًا من الأحرار: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ومن النساء: السيدة خديجة رضي الله عنها.

ومن الصبيان: علي رضي الله عنه.

ومن الموالي: زيد بن حارثة رضي الله عنه، اشتراه خديجة رضي الله عنها ووهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعتقه النبي صلى الله عليه وسلم وتبناه.

ومن العبيد الأجانب: بلال رضي الله عنه، وكان رقيقا لبني جمح.

قال القسطلاني في «المواهب اللدنية»: «وادعى الثعلبى اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو فى أول من أسلم بعدها». (الموهب اللدنية ١/ ٢١٨)

قال الحافظ ابن كثير: «والجمع بين الأقوال كلها أن خديجة أول من أسلم من النساء، وقَبْلَ الرِّجالِ أيضًا، وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب، فإنه كان صغيرًا دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت. وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرا معظما، ورئيسا في قريش مكرما، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام. وكان محببا متألفا يبذل المال في طاعة الله ورسوله». (البداية والنهاية ٣/ ٢٦)

وإسلام أبي بكر رضي الله عنه –لو تأملنا– أكمل من إسلام علي رضي الله عنه، و إيمان علي رضي الله عنه أيضًا كامل؛ وذلك لأن أبا بكر كان له شخصية مستقلة، وكان علي بمنزلة التابع، وكان في حضن رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي ينفقه عليه، وإن كان الإيمان في الصبا له فضل، وكان علي رضي الله عنه يفخر ويتحدث به.

محمّدٌ النبيُّ أخي و صِهري ❁ و حمزةُ سيِّدُ الشُّهَداء عمِّي
وجعفرٌ الّذي يُمسي ويُضحي ❁ يطير مع الملائكة ابنُ أُمِّي
وبنتُ محمّدٍ سَكنِي و عِرسي ❁ مَسُوطٌ لحمُها بدمي و لحمي

وسِبْطا أحمدَ وَلَدايَ منها ❁ فأيُّكم له سَهْمٌ كسهمي
سبقتُكم إلى الإسلام طُرًّا ❁ غلامًا ما بلغتُ أوان حُلْمِي
(تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٥٢١. البداية والنهاية ٨/ ٩، وقال ابن كثير: وهذا منقطع)

أين ولد وتوفي علي رضي الله عنه ؟ :

وما اشتهر على الألسنة أن عليا رضي الله عنه ولِدَ في الكعبة باطل، قال في «شرح النووي على مسلم»، و«شرح المهذب»، و«الاستيعاب» وغيرها: لم يولد في الكعبة إلا حكيم بن حزام رضي الله عنه، دخلت أمه الكعبة، ففاجأها المخاض، فولد بها حكيم بن حزام.

قال الإمام النووي: «وأما حكيم بن حزام، وكان ولد في جوف الكعبة ولم يصح أن غيره ولد في الكعبة». (المجموع شرح المهذب ٢/ ٦٦. ومثله في شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ١٤٢)

وذكر الحاكم في «المستدرك» (رقم:٦٠٤٤)، وعلي بن إبراهيم الحلبي في «السيرة الحلبية» (١/ ١٣٩) بلا إسناد أن عليا رضي الله عنه ولد في الكعبة، وزعم الحاكم أنه خبر متواتر. ولكنه قولٌ على غاية من الضعف.

قال ابن الملقن: «حكيم هذا وُلِد في جوف الكعبة، ولا يعرف أحد ولد فيها غيره، وأما ما روي عن علي رضي الله عنه أنه ولد فيها فضعيف، وخالف الحاكم في ذلك فقال في «المستدرك» في ترجمة علي أن الأخبار تواترت بذلك». (البدر المنير ٦/ ٤٨٩. وانظر: الاستيعاب ١/ ٣٢٠. والإصابة ٢/٩٨. وتاريخ دمشق لابن عساكر ١٥/٩٨. وتاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ١٨٩. وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٦٠. والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/ ١٤٦)

وهو رواية لبعض الشيعة، ولم يرد ذلك في كتبهم المعتبرة أمثال: «أصول الكافي». والصحيح أن عليا رضي الله عنه لم يولد في الكعبة، بل في «سوق الليل»، بالقرب من مكان ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. للاستزادة منه راجع: «فتاوى دارالعلوم زكريا» (١/ ١٣١-١٣٣).

كما لا يصح أن ضريحه في النجف، قال العلامة ابن تيمية، والعلامة الذهبي رحمهما الله: دفن في قصر الإمارة بالكوفة. فإنهم خافوا أن ينبش جسده الخوارج وينالوا منه، والضريح الذي يعتبره الشيعة قبر علي رضي الله عنه هو قبر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. (المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٤٤٢. ومنهاج السنة ٧/ ٤٣. وحاشية المنتقى، ص٤٤٢، لمحب الدين الخطيب)

مقتل علي رضي الله عنه على يد شيعته:

لما رضي الفريقان بالتحكيم في وقعة صفين، حارب عدد كبير من الخوارج والمفسدين الذين كانوا يقاتلون مع علي رضي الله عنه- حاربوه، فحاربهم علي رضي الله عنه وقُتِلَ كبارهم وصناديدهم.

رأى الخوارج والمفسدون -بعد وقعة صفين وحرب النهروان- المسلمين يزول خلافهم، وبدؤوا يتفقون على الخوارج والمفسدين، اجتمع ثلاثة من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم، وبرك بن عبد الله، وعمر بن بكر التميمي في مكة، ورأوا أنه لن يتحقق هدفهم مادام علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم على قيد الحياة. فقال ابن ملجم: أكفيكم عليًّا، وقال برك بن عبد الله: أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر التميمي: أكفيكم عمروبن العاص. وقرروا الهجوم عليهم جميعا في وقت واحد و يوم واحد: ١٧/ رمضان، وهو وقت الفجر منه. فأصيب معاوية رضي الله عنه في وركه، ونجا منه، وأخذ برك بن عبد الله وقُتِل. ثم عمل معاوية رضي الله عنه المحراب ونصب فيه حارسا يحرسه، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه مريضا، فاستخلف غيره ، فقتِلَ، وقُتِلَ علي رضي الله عنه بيد عبدالرحمن بن ملجم.

روى الطبراني عن إسماعيل بن راشد، قال: كان من حديث ابن ملجم لعنه الله وأصحابه، أن عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم، فقالوا: والله ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئا، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا، فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم إخواننا، قال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان، وقال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص...، فخرج علي رضي الله عنه لصلاة الغداة،... فشد عليه ابن ملجم فضربه بالسيف في قرنه، ...فقال علي للحسن رضي الله عنهما: إن بقيت رأيت فيه رأيي، وإن هلكت من ضربتي هذه فاضربه ضربة، ولا تمثل به، ...فلما قبض علي رضي الله عنه بعث الحسن

رضي الله عنه إلى ابن ملجم،... فقدمه فقتله، ...وأما البرك بن عبد الله فقعد لمعاوية رضي الله عنه فخرج لصلاة الغداة، فشد عليه بسيفه وأدبر معاوية هاربا، فوقع السيف في إليته، ...فأمر به معاوية رضي الله عنه فقتل، ...فأمر معاوية رضي الله عنه بعد ذلك بالمقصورات، وقيام الشرط على رأسه، ...وأما عمرو بن أبي بكر فقعد لعمرو بن العاص رحمه الله في تلك الليلة التي ضرب فيها معاوية، فلم يخرج وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن أبي حبيب، وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج يصلي بالناس، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو بن العاص فضربه بالسيف فقتله، فأخذ وأدخل على عمرو، ... فقدمه فقتله. الحديث. (المعجم الكبير للطبراني ١/ ٩٧/ ١٦٨. قال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٣٩-١٤٥): وهو مرسل، وإسناده حسن)

يذكر أن الذي قتل عليا رضي الله عنه هو ابن ملجم الخارجي، ولكن قال محمد الباقر المجلسي في «جلاء العيون»: بايع عبد الرحمن بن ملجم عليًّا رضي الله عنه، وأخذ علي منه العهد بعدم نقض البيعة. ولما بايع ابن ملجم عليا رضي الله عنه صار من شيعته. قال الملا باقر: روى الشيخ مفيد، وغيره بإسانيد معتبرة أن أمير المؤمنين عليه السلام لما أخذ البيعة من الرجال دخل عليه عبد الرحمن بن ملجم، وطلب منه أن يأخذ منه البيعة، فأبى عليه السلام ذلك حتى أتاه ثلاث مرات، وفي المرة الثالثة بايعه، فلما ولى طلبه عليه السلام، واستحلفه على ألا ينقض البيعة، وأخذ منه على ذلك عهدا موثقا.(جلاء العيون،ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، أخبار بشهادته، ١/ ٢٨١).

اتهام الشيعة عليًّا رضي الله عنه بأنه كان راضيًا بقتل عثمان رضي الله عنه:

قالت الشيعة: كان علي رضي الله عنه راضيًا بقتل عثمان رضي الله عنه ومسرورًا به، وليس ذلك إلا افتراء محضا، فإن عليًّا رضي الله عنه بعث ولديه الحسن والحسين إلى بابه ليدفعا عنه، وقال علي رضي الله عنه: «اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتِل عثمان». (المستدرك للحاكم، رقم:٤٥٢٧، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي). (وانظر: البداية والنهاية ٧/ ٢٠٦-٢٠٧. ومختصر التحفة الإثني عشرية، ص٢٦٦)

ولم يكن علي رضي الله عنه من هواةِ الخلافة؛ بل كان يختفي خوفًا من أن يوليه الناس الخلافة، ولكن حيث لم يبق من كان على مكانته ودرجته بايعه الناس.

استدلال الشيعة ببعض الروايات على أن عليًّا رضي الله عنه خليفة بلا فصل:

تقول الشيعة: إن عليًّا رضي الله عنه خليفة بلا فصل، أي: دون فصل بخلافة الخلفاء الثلاثة، فهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة، ويستدلون بحديث: «اللهم من كنتُ مولاه فعلِيٌّ مولاه، اللهم والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه». (مسند أحمد، رقم:٩٥٠، وإسناده صحيح، وقد روي من حديث زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسعد بن أبي وقاص، وأنس، وأبي هريرة وغيرهم. راجع: تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٢٣٤)

الجواب: الحديث ينص على الحب والمودة، فأنى يدل على الخلافة بلا فصل؟وإذا كان معنى الولي ما ترون، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن حارثة: «أنت أخونا ومولانا». (صحيح البخاري، رقم:٤٢٥١)

وفي رواية: شكا بريدة عليًّا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتبغض عليًّا؟» فقلت: نعم، فقال: «لا تبغضه وأحببه وازدد له حبا». قال بريدة: فما كان من الناس أحد أحب إلي من علي بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الاعتقاد للبيهقي ١/ ٣٥٤. مسند أحمد، رقم:٢٢٩٦٧. وأخرجه البخاري في «صحيحه» مختصرًا، رقم:٤٣٥٠)

وفي رواية أخرى: قال بريدة رضي الله عنه: شكوت عليًّا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فرفعت رأسي وكنت رجلا مكبابا. قال: فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قد احمر وجهه قال: وهو يقول: « من كنتُ وليُّه فعليٌّ وليّه».(مسند الإمام أحمد، رقم:٢٢٩٦١)

خلَّف النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه في المدينة ليقوم على أهله في غزوة تبوك، فقلق علي على تخلفه عنها، فقال: «ألا ترضَى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسَى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي». (صحيح البخاري، رقم:٤٤١٦)

يستدل الشيعة بهذه الرواية أيضًا، في حين أنه لا يصح استنباط الخلافة منها أصلا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمره بهذه المناسبة الخاصة بأن يقوم على أهله حتى يرجع، كما أن هارون عليه السلام تولى الأمور حتى يرجع موسى. وإذا كان الاستخلاف لمدة محدودة يدل على الاستخلاف بعد الوفاة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف عثمان رضي الله عنه في غزوة ذات الرقاع، واستخلف زيد بن حارثة رضي الله عنه في غزوة

المريسيع، هل يستحقان الخلافة بلا فصل أيضًا؟!.

وكيف تصح هذه الدعوى بسبب التشبيه بهارون عليه السلام وقد توفي هارون عليه السلام في حياة موسى عليه السلام، فأنى كانت الخلافة؟ وكان خليفة موسى عليه السلام هو يوشع بن نون.(انظر لتفصيل استدلال الشيعة بالآيات والأحاديث على تقديم علي رضي الله عنه في الإمامة، والرد عليهم: مختصر التحفة الإثني عشرية، ص١٣٨-١٧٥. والمنتقى من منهاج الاعتدال، الفصل الثالث. ومنهاج السنة)

خلافة الحسنﷺ بعد مقتل عليﷺ،ثم الصلح مع معاويةﷺ بعد ستة أشهر:

دعا الحسن رضي الله عنه الناس إلى بيعته بعد مقتل علي رضي الله عنه؛ قال الشعبي: «...ثم انصرف الحسن بن علي من دفنه فدعا الناس إلى بيعته، فبايعوه». (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧/٣)، واستمر الحسن رضي الله عنه ستة أشهر في الخلافة، فلما ضاق ذرعًا من شر أهل الكوفة، عرض على معاوية رضي الله عنه الصلح، وقال وهو يخاطب أهل الكوفة: «يا أهل الكوفة، لو لم تُذْهَلْ نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذُهِلت: مَقْتَلكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا». (مروج الذهب ٣٤٨/١. رجال الكشي، ص١٤٢)

عرض الحسن رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه الصلح، فأرسل عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كرز إلى الحسن رضي الله عنه للصلح، وقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فاعرضا عليه ما أراد، حتى تنتهي الفتنة. فقال الحسن: هل أنتما لي بهذا؟ فقالا: نحن لك به. فما طلب الحسن شيئًا إلا قالا: نحن لك به. فتخلى الحسن عن الخلافة. (صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي «ابني هذا سيد»، رقم:٢٧٠٤)

من قتلَ الحسنَ رضي الله عنه؟:

يتهم الشيعة معاوية رضي الله عنه بأنه سمَّ الحسن رضي الله عنه وقتله. وهذا غير صحيح، ومن غير المعقول أن يسمَّ من صالحه وأعطاه كل شيء.

ولم يذكر ابن جرير الطبري، والخطيب البغدادي، وغيرهما موت الحسن رضي الله عنه

بسب السمِّ، نعم ذكر الحاكم في «المستدرك» (رقم٤٨١٦)، وأبونعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٨٣) سقيَ السم، دون ذكر من سقاه ذلك. «قال الحسن بن علي: لقد ألقيتُ طائفةً من كبدي، وإني سُقيتُ السم مرارًا فلم أُسْق مثل هذه المرة». اللفظ لأبي نعيم. سكت عليه الحاكم، والذهبي.

وزاد ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٣٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٢٨٢)، والحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٦٦) على رواية الحاكم: «سئل الحسن:من سقاك؟ فأبى أن يسميه». ويفيد نص العلامة الذهبي في سير أعلام النبلاء(٣/ ٢٧٣) أن الحسن رضي الله عنه لم يجزم بمن سقاه السم. وعزا ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣) بلا إسناد سقي السم إلى زوجة الحسن: جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي. ولم يذكر أحدًا غيرها شاركها في سقي السم، وزاد ابن عبد البر في «الاستيعاب» (١/ ٣٩٠): «وقال طائفة: كان ذلك منها بتدسيس معاوية إليها وما بذل لها في ذلك، وكان لها ضرائر. والله أعلم». (الاستيعاب ١/ ٣٩٠)

و ردَّ العلامة الذهبي في «تاريخ الإسلام» على ابن عبد البر، وساق نصه السابق ثم قال: «قلتُ: هذا شيء لا يصح، فمن الذي اطلع عليه».(تاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ٤٠)

ومما يبعث على العجب أنه لو سلمنا صحة قصة سقي السم، فمن المسلم أن شهود هذه الواقعة وشقيقه الحسين رضي الله عنهم لم يطلعوا على من سقاه، أو أمر بسقيه السم، ولما سأله الحسين رضي الله عنه أبى أن يسميه، ولم يكن الحسن رضي الله عنه على علمٍ بمن سقاه السم، فلم يرض رضي الله عنه أن يُقتَل -من غير ذنب، وبمجرد الظن- غيرُ قاتله، ومن لا يد له في قتله، ثم يمضي على ذلك ثلاثة أو أربعة قرون، فينكشف على بعض الناس أن الذي سقاه السم هو معاوية رضي الله عنه!!، وليس ذلك إلا سوء الظن الذي وقع فيه الشيعة، ساقه بعض المصنفين بغير دليل وبلا إسناد، وهو مأخوذ من كتب الشيعة. وذكر الشيخ مفيد الشيعي في « الإرشاد» (٣/ ٢٤)، وأحمد الأميني الشيعي في «الغدير» (٥/ ٢٤)، وأبو الحسن الأربلي الشيعي في «كشف الغمة» (١/ ٢٠٨) هذه القصة، مما يدل على أنه من مختلقات الشيعة وافتراءاتهم الناشئة عن بغض بني أمية. فيقول المؤرخ الشهير ابن خلدون: «وما ينقل

أن معاوية دس إليه السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلك». (تاريخ ابن خلدون ٢/ ٩٤٦)

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «وأما قوله: إن معاوية سم الحسن، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم». (منهاج السنة ٤/ ٤٦٩)

ونسب بعضهم سقي السم إلى يزيد بن معاوية، قال محمد بن سلام الجمحي، عن ابن جعدبة: كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن علي، فدس إليها يزيد أن سمي حسنًا أنني زوجك، ففعلت، فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إنا والله لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا». (تهذيب الكمال ٦/ ٢٥٣)

وهذه النسبة غير صحيحة، وقائمة على مجرد الظن، ويزيد بن عياض بن جعدبة، قال فيه ابن معين، والإمام مالك، وغيرهما: كذاب.(ميزان الاعتدال ٤/ ٤٣٦)

وقال الحافظ ابن كثير: «وعندي أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى». (البداية والنهاية ٨/ ٣٤)

ولا تصح هذه الواقعة عقلا أيضًا؛ لأن يزيد أو معاوية رضي الله عنه لو أمرا بسقي الحسن السم، لم يكن الحسين رضي الله عنه، أو غيره من بني هاشم على صلة ببني أمية أبدًا، في حين كان الحسين رضي الله عنه يسير إلى معاوية رضي الله عنه كل عام، ويكرمه معاوية ويعطيه، وشهد غزوة القسطنطينية، وأميرها يزيد بن معاوية رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن كثير: «ولما تُوُفِّيَ الحسنُ كان الحسين يفِد إلى معاوية في كل عام فيُعطيه ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا القسطنطينيّة مع ابن معاوية يزيد في سنة إحدى وخمسين».(البداية والنهاية ٨/ ١٥١)

وقال المؤرخ الشيعي القديم: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: «ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءًا في أنفسهما، ولا مكروهًا، ولا قطع عنهما شيئا مما كان شرط لهما، ولا تغير لهما عن بر». (الأخبار الطوال، ص٢٢٥)

وكفى نص الدينوري هذا ردًّا على الشيعة، والصحيح أن الذي سقاه السم من كان معارضًا للصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما.

قال الدكتور علي محمد الصلابي: «فالمتهم الأول في نظري هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذين وجه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل لمعاوية ووضع حدًّا للصراع، ثم الخوارج الذين قتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهم الذين طعنوه في فخذه، فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم في النهروان وغيرها». (أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، ص٤٣٧. وانظر: مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية، ص١٤٨، لمحمد بن عبد الهادي الشيباني، ط: دار طيبة للنشر، الرياض)

وما روته امرأة من عائلة الحسن رضي الله عنه وهو أن الشيعة سقوا الحسن رضي الله عنه السمَّ، وكان الشيعة يشمئزون منه اشمئزازًا بعد أن صالح معاويةَ رضي الله عنه، وإن كانوا يتظاهرون بقبول إمامته. قالت سكينة بنت الحسين رضي الله عنه لما قتلَ السبائيون زوجها: «قتلتم أبي (أي: الحسين)، وجدي (أي: علي)، وأخي (أي: ابن الحسين)، وعمي (أي: الحسن)، وزوجي (أي: المصعب)، أيتمتموني صغيرةً، وأيَّمتموني كبيرة». (العقد الفريد ٧/ ٢٧٧)

وقيل: كان الحسن رضي الله عنه مطلاقًا، فسقته امرأة السم، وهي في العدة. قال الذهبي: «قال: وسم معاويةُ الحسنَ، فهذا قد قيل، ولم يثبت، فيقال: إن امرأته سمته وكان مطلاقا رضي الله عنه فلعلها سمته لغرض، والله أعلم بحقيقة الحال. وقد قيل: إن أباها الأشعث بن قيس أمرها بذلك، فإنه كان يتهم بالإنحراف في الباطن عن علي وابنه الحسن». (المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٢٧٧)

وأصح ما روي في كثرة تزوج الحسن رضي الله عنه ما أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»، قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل(الحارثي: صدوق)، عن جعفر (بن محمد بن علي بن الحسين: صدوق فقيه)، عن أبيه (ثقة فاضل) قال: قال علي: «يا أهل العراق، أو يا أهل الكوفة! لا تزوجوا حسنًا، فإنه رجل مِطلَاق».(المصنف، لابن أبي شيبة، رقم:١٩٥٣٨)

ثم أخرج بنفس الإسناد، قال علي : «ما زال الحسن يتزوج ويطلق حتى حسبت أن يكون عداوة في القبائل».(المصنف، لابن أبي شيبة، رقم:١٩٥٣٩)

وإسناده منطقع؛ محمد بن علي بن الحسين مولده سنة ستٍ وخمسين. أي: بعد وفاة علي

بن أبي طالب رضي الله عنه بخمسة عشر عامًا.

وأخرج البلاذري في أنساب الأشراب من طريق عباس بن هشام الكلبي(مجهول) عن أبيه (هشام بن محمد: رافضي متهم بالكذب) عن جده (محمد بن السائب: كذاب) عن أبي صالح قال: أحصن الحسن بن علي تسعين امرأة، فقال علي: «لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يجيء بذلك علينا عداوة أقوام».(أنساب الأشراف ٣/ ٢٥)

وفي «قوت القلوب» بدون إسناد: «تزوّج الحسن بن عليّ رضي الله عنهما مئتين وخمسين امرأة، وقيل: **ثلاث مئة**».(قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ) ت: عاصم إبراهيم الكيالي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وهذا أيضًا لا أساس له.

١٠٧- وَأَنَّ الْعَشَرَةَ[١] الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ[٢]، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ[٣]، عَلَى مَا شَهِدَ[٤] لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥]، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ[٦]، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِيْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ[٧]، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ.

مرَّ ذكر فضائل الخلفاء الأربعة من العشرة المبشرة بالجنة فيما مضى، ونسوق فيما يلي الأحاديث الدالة على فضائل البقية منهم، وفصلت كتب الحديث والفضائل والتاريخ والتراجم الكلام على تراجم هؤلاء، وأفرد بعض أهل العلم في تراجمهم وفضائلهم كتبا، كما فعل محب الدين الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة»، وفي اللغة الأردية «عشرة مبشرة» لصاحبه بشير ساجد، وغيره.

فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

١- قالت عائشة رضي الله عنها: أرق النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: «ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة» إذ سمعنا صوت السلاح، قال: «من هذا؟»، قال سعد: يا رسول الله، جئتُ أحرسك، فنام النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا

---

(١) في ١٠، ١٤، ٣٢، ٣٣ «ونشهد للعشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة». وفي ١٣ «ونشهد بالجنة للعشرة». وفي ١٢ «ونحب العشرة». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم واحد.

(٢) قوله «وبشرهم بالجنة» أثبتناه من ٢، ١١، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١. وهو ساقط من بقية النسخ. والمثبت أصح.

(٣) قوله «نشهد لهم بالجنة» سقط من ١٣. وفي ١٤ «وشهد لهم بالجنة». ولايتغير المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في ١، ٤، ٦، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٧ «كما شهد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٥) سقط من ١٤، ٣٢ قوله «على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم». وسقط من ٢ قوله «لهم». والمثبت من بقية النسخ.

(٦) قوله «وقوله الحق» سقط من ٣، ٦، ٢٣، ٢٥. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٧) في ٢، ٤، ٥، ٧، ١١، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٥ «وهم أمناء هذه الأمة». والمثبت من بقية النسخ.

غطيطه». (صحيح البخاري، رقم٧٢٣١. صحيح مسلم، رقم: ٢٤١٠).

وفي صحيح مسلم: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة، ليلة، فقال: «ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة» قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «من هذا؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نام. (صحيح مسلم، رقم: ٢٤١٠)

٢- عن قيس، قال: سمعت سعدا رضي الله عنه، يقول: «إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٢٨)

٣- عن عبد الله بن شداد، قال: سمعت عليا، يقول: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبويه لأحد، غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له يوم أحد: «ارم فداك أبي وأمي». (صحيح البخاري، رقم:٢٩٠٦. صحيح مسلم، رقم:٢٤١١)

إيراد: لم يكن والدا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيد الحياة حين قال ذلك، فما معنى الفداء؟ وهل يصح فداء الوالدين لو سلمنا أنهما كانا على قيد الحياة؟

الجواب: قوله: «فداك أبي وأمي» كناية عن غاية الرضا عن أحد، فمعناه: أنا راضٍ بك كل الرضا.

فضل طلحة رضي الله عنه:

١- عن قيس بن أبي حازم، قال: «رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم قد شلت». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٢٤)

٢- عن أبي عثمان، قال: «لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم، في بعض تلك الأيام التي قاتل فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير طلحة، وسعد». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٢٢. صحيح مسلم، رقم:٢٤١٤)

فضل الزبير رضي الله عنه:

١- جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس - قال صدقة: أظنه يوم الخندق - فانتدب الزبير، ثم ندب الناس، فانتدب الزبير، ثم ندب

الناس، فانتدب الزبير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:«إن لكل نبي حواريًّا، وإن حواري الزبير بن العوام».(صحيح البخاري، رقم: ٢٨٤٧. صحيح مسلم، رقم:٢٤١٥)

٢- عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم». فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال: «فداك أبي وأمي». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٢٠. صحيح مسلم، رقم:٢٤١٦).

فضل أبي عبيدة رضي الله عنه:

١- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل أمة أمينا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح». (صحيح البخاري، رقم:٣٧٤٤. صحيح مسلم، رقم:٢٤١٩)

٢- عن حذيفة رضي الله عنه، قال: جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ابعث لنا رجلًا أمينًا فقال: «لأبعثن إليكم رجلًا أمينًا حق أمين، فاستشرف له الناس فبعث أبا عبيدة بن الجراح». (صحيح البخاري، رقم: ٤٣٨١. صحيح مسلم، رقم: ٢٤٢٠)

فضل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

١- عن أم بكر، أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضًا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسم في فقراء بني زهرة، وفي ذي الحاجة من الناس، وفي أمهات المؤمنين. قال المسور: فدخلت على عائشة، بنصيبها من ذلك، فقالت: من أرسل بهذا؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَحِنُّ عليكن بعدي إلا الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة».(مسند أحمد، رقم:٢٥٠٣٢. وصحيح ابن حبان، رقم:٦٩٩٥. وهو حديث صحيح).

فضل سعيد بن زيد رضي الله عنه:

سعيد بن زيد رضي الله عنه ممن أسلم قديما، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا. قال ابن حبان: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيد بن زيد وطلحة بن عبدالله للتعرف على عير قريش، فلما رجعا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرغ من غزوة بدر، فضرب لهما صلى الله عليه وسلم بسهميهما وأجرهما. (مشاهير علماء الأمصار، لابن حبان، ص٢٦)

كان سعيد بن زيد مجاب الدعوة، روى ابن عبد البر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن أروى بنت أويس شكت إلى والي المدينة: مروان بن الحكم سعيد بن زيد زورا، فقال سعيد بن زيد: «اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها، وتجعل قبرها في بئر»، فعميت و وقعت في بئرها وماتت.(الاستيعاب ٢/ ٦١٩؛ تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١/ ٨٦؛ أسد الغابة ٢/ ٤٧٦)

بشَّره الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة وسماه، قال سعيد بن زيد رضي الله عنه:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص». قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله، أبو الأعور في الجنة. قال الترمذي: أبو الأعور هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.(سنن الترمذي، رقم:٣٧٤٨. سنن أبي داود، رقم:٤٦٤٩، وهو حديث صحيح)

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».(سنن الترمذي، رقم:٣٧٤٧. مسند أحمد، رقم:١٦٧٥. وهو حديث صحيح)

علاوة على هؤلاء العشرة المبشرة بالجنة آخرون سماهم النبي صلى الله عليه وسلم وبشرهم بالجنة، منهم:

١- خديجة رضي الله عنها. (صحيح البخاري، رقم:٥٢٢٩)

٢- قال صلى الله عليه وسلم: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.(صحيح البخاري، رقم:٣٦٢٤)

٣، ٤- الحسن والحسين، رضي الله عنهما، فهما سيدا شباب أهل الجنة.(سنن الترمذي، رقم:٣٧٦٨، وقال: حسن صحيح)

٥- ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه.(المعجم الأوسط للطبراني، رقم٢٢٤٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٢١: رجاله ثقات)

٦- عكاشة بن محصن الأسدي رضي الله عنه.(صحيح البخاري، رقم:٥٨١١)

٧- بلال بن رباح رضي الله عنه.(صحيح البخاري، رقم:١١٤٩)

٨- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.(صحيح البخاري، رقم:٢٦١٥)

٩- سلمان الفارسي رضي الله عنه.(سنن الترمذي، رقم:٣٧٩٧، وقال الترمذي: حسن غريب)

وردت بشارة العشرة بالجنة في المتن في حديث واحد، فاشتهرت بشارتهم بالجنة. وسموا بالعشرة المبشرة.

وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بعضهم بالجنة لفضل خاص، منهم حاطب بن أبي بلتعة، جاء عبد له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يشكوه، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدرا والحديبية». (صحيح مسلم، رقم:٢٤٩٥. سنن الترمذي، رقم:٣٨٦٤، وقال:حسن صحيح)

وقال فيمن شهد بدرًا والحديبية: هم من أهل الجنة. عن حفصة، قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا، والحديبية»، قالت: قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله:﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٧١) قال: «ألم تسمعيه يقول:﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (مريم: ٧٢). (سنن ابن ماجه، رقم:٤٢٨١، وهو حديث صحيح)

وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة». (سنن أبي داود، رقم:٤٦٥٣. سنن الترمذي، رقم:٣٨٦٠، وقال: حسن صحيح)

وأعلن الله تعالى رضاه بالصحابة عامة، فقال:﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠) ولايُدخِل الله النارَ من رضي عنه.

نشهد بالجنة لكل من بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وسماهم، واحدًا واحدًا، وأما من بشر جماعتهم من الصحابة مثل أصحاب بدر والحديبية، نشهد لهم بالجنة بالصفة الجماعية، ونشهد لجميع الصحابة رضي الله عنهم بالجنة لرضا الله تعالى عنهم، وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠٨- وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ[1]، وَذُرِّيَّاتِهِ[2]؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

برئ من النفاق من ذكر الصحابة وأهل البيت بالخير:

حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصةً أزواجه، وأبنائه الثلاثة، وبناته الأربع، وأحفاده، وحفيداته من علامة الإيمان. وبغض واحد منهم، والتبرؤ منه دليل على النفاق.

جعل المؤلف رحمه الله ذكر الأصحاب والأزواج علامة على البراءة من النفاق؛ لأن أول من طعن في الصحابة والأزواج المطهرات هم المنافقون.

عن عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران يقول: قال لي أحمد بن حنبل: «يا أبا الحسن! إذا رأيت رجلا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٩/٢٠٨. المخلصيات، لأبي طاهر المخلص (م:٣٩٣)، رقم:٢٦٠٤)

ذكر واحد من الصحابة بالسوء علامة على خبث الباطن، عن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له رافضي؟ قال: «إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما ينقص أحد أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وله داخِلَةُ سَوء». (تاريخ دمشق لابن عساكر٥٩/ ٢١٠. و السنة لأبي بكر بن الخلال، رقم:٦٩٠. وانظر: البداية والنهاية ٨/ ١٣٩)

وسبق بيان فضائل الصحابة ومناقبهم وثقتهم وعدلهم في ضوء الكتاب والسنة تحت قول المؤلف: «ونُحِبُّ أصحابَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم».

وذكر المؤلف رحمه الله تعالى الأزواجَ بعد الأصحاب من باب عطف الخاص على العام. فإن الأزواج المطهرات على شرف صحبة لأجل الزوجية ما ليس لغيرهن من الصحابيات.

---

(١) في أكثر المطبوعات بعده زيادة «الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ»، ولم نجدها في المخطوطات.

(٢) في أكثر المطبوعات بعده زيادة «الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ»، ولم نجدها في المخطوطات.

والمراد بالطاهرات: طاهرات من كل عيب، يقدح في شرفهن وفضلهن.

في نص المؤلف رحمه الله تعالى ردٌّ على الروافض، الذين يبغضون بعض الصحابة، وبعض الأزواج المطهرات وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولا يذكرون بالخير من بنات الرسول صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة رضي الله عنها، مع أن أزواجه وأولاده صلى الله عليه وسلم كلهم لهم فضل؛ لأنهم عانوا متاعب الهجرة الشديدة، قال النبي صلى الله عليه وسلم في زينب رضي الله عنه: «هي أفضل بناتي أصيبت في».(أخرجه البزار في مسند عائشة رضي الله عنها، رقم:٩٣. والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم:١٤٢؛ والحاكم في المستدرك، رقم:٦٨٣٦. وقال الحاكم: صحيح علي شرط الشيخين. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢١٣: رجال البزار رجال الصحيح)

وفي رواية «زينب خير بناتي أصيبت فيَّ».(المعجم الأوسط للطبراني، رقم:٤٧٢٧. والمعجم الكبير للطبراني، رقم:١٠٥١)

وجمع بعضهم بينهما أن زينب كانت أفضل، ما دامت على قيد الحياة، فلما ماتت كانت فاطمة رضي الله عنها خيرهن.

وذكر أهل العلم وجوهًا أخرى من الجمع بينهما، وقال بعضهم: ماتت بناته صلى الله عليه وسلم كلهن في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها وعاشت فاطمة بعد وفاته صلى الله عليه و سلم، وعانت فراقه صلى الله عليه وسلم، فكانت خيرهن. وقيل: لم يكن أولاد من بناته الأخريات، وولدت فاطمة سيدي أهل الجنة: الحسن والحسين، وولي الحسن خلافة المسلمين، وولي زوجها علي رضي الله عنه الخلافة، وثمة فضائل أخرى امتازت بها فاطمة عن أخواتها، فكانت أفضل. للاستزادة منه راجع: الروض الأنف٢/ ٢٧٩؛ والمعتصر من المختصر من مشكل الآثار ٢/ ٢٤٦.

قداسة أهل البيت:

أكد رسول صلى الله عليه وسلم على تعظيم أهل بيته، أي: أزواجه وذرياته؛ وحبهم.

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات: أذكركم الله في أهل بيتي: «وأهلُ بيتي أُذَكِّرُكُم اللهَ في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». فقال له (أي: زيد بن أرقم) حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته. (صحيح مسلم، رقم:٢٤٠٨)

٢- وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليَّ أن أصل من قرابتي». (صحيح البخاري، رقم:٤٠٣٥. صحيح مسلم، رقم:١٧٥٩)

٣- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي». (سنن الترمذي، رقم:٤٧١٦. وقال: هذا حديث حسن غريب. والمستدرك للحاكم، رقم:٤٧١٦، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي)

٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«و الذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت رجل إلا أدخله الله النار». (صحيح ابن حبان، رقم:٦٩٧٨. وإسناده حسن. وأخرجه الحاكم في المستدرك، رقم:٤٧١٧. وقال: صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي)

٥- وأخرج الحاكم من طريق قريش بن أنس، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي». قال قريش: فحدثني محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: أن أباه وصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بعده بأربعين ألف دينار. (المستدرك للحاكم، رقم:٥٣٥٩. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي)

حب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كلهن وتعظيمهن من علامات الإيمان؛ لأنهن أمهات حرمةً واحترامًا. قال تعالى:﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: ٦)

وقال تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٣)

وقد وصف الله تعالى الأزواج المطهرات بفضائل خاصة، ولهم من الفضل لصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس لغيرهن من النساء الصحابيات. قال تعالى:﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأحزاب)

« أَهْلَ ٱلْبَيْتِ» المذكور في الآية يشمل الأزواج المطهرات أيضًا، كما يدل عليه سياق الآية وسباقها، وأطلق القرآن الكريم «الأهل» على زوجة إبراهيم عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود: ٧٣)

المراد بأهل البيت في الآية زوجة إبراهيم عليه السلام.

وأول من يدخل في أهل البيت عرفًا هي الزوجة، وأما سائر أفراد البيت فيدخلون فيه لاحقًا.

أفضلية عائشة وخديجة رضي الله عنهما:

الأزواج المطهرات كلهن يشاركن في شرف الصحبة والزوجية، وأفضلهن عائشة وخديجة رضي الله عنهن.

حفظت عائشة رضي الله عنها علوم النبي صلى الله عليه وسلم، روي عنها (٢٢١٠) أحاديث.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة». (صحيح البخاري٣٦٦٢. صحيح مسلم، رقم:٢٣٨٤)

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فضل عائشة رضي الله عنها، فقال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».(صحيح البخاري٣٤٣٣. صحيح مسلم، رقم:٢٤٤٦)

وخديجة رضي الله عنها أول النساء إسلامًا؛ بل تدل قصة بدء الوحي على أنها أول المؤمنين إيمانًا، سلَّم الله تعالى وجبريل عليها، وبشرها بالجنة؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتتْ معها إناءٌ فيه إدامٌ، أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلامَ من ربِّها ومني، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيه، ولا نَصَبَ».(صحيح البخاري، رقم:٣٨٢٠. صحيح مسلم، رقم:٢٤٣٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة».(صحيح البخاري، رقم:٣٤٣٢. صحيح مسلم، رقم:٢٤٣٠)

خدمت خديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم في بدء الإسلام، وبذلت له نفسها ومالها، وسرَّت عنه في المصائب، وأكثر أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها كثيرا، ويذكرها بالخير بعد وفاتها. قالت عائشة رضي الله عنها: ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها

أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد». (صحيح البخاري، رقم:٣٨١٨)

اعتراض الروافض على عائشة رضي الله عنها بحديث كسر الإناء، والجواب عنها:

إيراد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها، وكانت صنعت له طعامًا، وصنعت له حفصة رضي الله عنها طعامًا، قالت: فسبقتني حفصة، فقلت للجارية: انطلقي فأكفئي قصعتها، فلحقتها، وقد همت أن تضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكفأتها فانكسرت القصعة، قالت: فجمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيها من الطعام على النَّطَع، فأكلوا، ثم بعث بقصعتي إلى حفصة، فقال: «خذوا ظرفًا مكان ظرفكم». رواها كتب الحديث. (سنن ابن ماجه، رقم:٢٣٣٣، باب الحكم فيمن كسر شيئًا)

يرى الروافض هذه القصة ثلمة في خلق عائشة رضي الله عنها، ويتهمونها بسوء الخلق.

الجواب:

١- رواه البخاري في «صحيحه» (رقم:٢٤٨١، باب إذا كسر قصعة أو شيئا لغيره)، ولم يرد فيه اسم من كسرت القصعة، وإنما ذكر «إحدى أمهات المؤمنين». وروى ابن ماجه حديثًا نسب الكسر إلى عائشة رضي الله عنها، وفي إسناده رجل من بني سُواءة مجهول.

ويرد عليه ثانيًا أنه فعل يثير الإشكال وإن كان من فعل زوجة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم غير عائشة رضي الله عنها.

٢- وقع ذلك بين يدي سيد المرسلين وإمام النبيين رحمة للعالمين، ولم يقل شيئا، وعفا عمن كسرت، فما للأمة أن تطعن في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لأجل هذه القصة. وهل أحد أعلم بأحكام الشرع وأسراره من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟وهو أغير خلق الله تعالى.

٣- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محببًا إلى الناس، وكانت أزواجه يحببنه كثيرا، وينتظرن نوبتهن، ويقدمن له ما توفر في البيت من الطعام، فلما أرسلت إحدى زوجاته طعامًا وهو على الطعام، اعتبرته الأخرى تدخلا في حقها، وحملها الحب الشديد على إزالة

تدخل الزوجة الأخرى بيدها، وذلك مثل أن يعد أحد طعامًا لضيف خاص، ثم يدخل عليه أجنبي ويقدم له طعامًا، ويبقى ما قدمه المضيف له، فإن المضيف يقلق عليه.

أو كما حمل الحب الشديد لدعوة التوحيد موسى عليه السلام على أن يأخذ بلحية أخيه هارون عليه السلام تنبيهًا له على ضرورة منع القوم بشدة عما وقعوا فيه.

وفي الحديث: «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أَيِسَ من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك».(صحيح مسلم، رقم: ٢٧٤٧) فصدرت هذه الكلمات منه من شدة الفرح.

وقِس عليه ما هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على فعلها لشدة الحب.

وقال عمر رضي الله عنه لحرارة إيمانه في صلح الحديبية:ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟! قال:«بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذًا؟ (صحيح البخاري، رقم:٢٧٣١) والصلح فتح بابًا إلى الفتوحات في واقع الأمر. ولم يعنِّفه الرسول صلى الله عليه وسلم.

وحملت حرارة إيمان عمر رضي الله عنه على أن يقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة عبد الله بن أبي بن سلول، ويمنع الرسولَ صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه، ويذكره بخبائث أعماله. (صحيح ابن حبان، رقم:٣١٧٦)؛ ولم يعنفه الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه صدر عن القوة الإيمانية، ثم نزل القرآن الكريم بما وافقه.

وما أكثر الأمثلة في الأحاديث على ذلك.

كشف الاعتراضات على عمر عائشة رضي الله عنها عند زواجها، وزفافها:

أقام بعض المتنورين وبعض العلماء من غير وعي منذ الأيام الأخيرة سوق المباحثة والجدال حول عمر عائشة رضي الله عنها، وتفيد عدة أحاديث صحيحة أن عمرها كان عند نكاحها ست سنوات، وعند زفافها تسع سنوات. وهذه القصة الصحيحة لايكاد يهضمها المتنورون، فيذهبون في تأويلها وشرحها مذاهب شتى، وفيما نورد باختصار شديدٍ

الأحاديثَ التي تفيد أن عمرها عند الزواج كان ست سنوات، وعند الزفاف تسع سنوات، ثم نتعرض لواحد من أهم اعتراضات المعترضين والجواب عنه:

عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين، وأدخلت عليه وهي بنت تسع سنين، ومكثت عنده تسع سنين. (صحيح البخاري، رقم: ٥١٣٣؛ صحيح مسلم، رقم:٣٥٤٥؛ سنن ابن ماجه، رقم: ١٨٧٦؛ السنن الكبرى للنسائي، رقم:٥٣٤٥).

ورواه أيضًا في مسند أبي يعلى، والمعجم الأوسط، والسنن الكبرى للبيهقي، وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدي، ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها.

ومن المؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنوات، وأدخلت عليه وهي بنت تسع سنوات، ومكثت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنوات. والحاصل أنها كانت بنت ست سنوات، وأدخلت عليه وهي بنت تسع سنوات.

يعتبر المتنورون هذه الرواية معارضةً للعقل، ويأبى العقل أن تجامع ابنة تسع سنوات.

والجواب عنه أن هذه الرواية تتحدث عن زفافها، أو إدخالها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا الجماع، وبما أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جامعة دينية لنساء الأمة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة إلى بنت ذكية فطنة حاضرة ممتازة بالحفظ والاستحضار. وكانت عائشة رضي الله عنها تجمع بين هذه الصفات على الكمال، ولا يتحقق الحضور إلا بالنكاح، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها و هي صغيرة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يود البقاء مع عائشة أكثر فأكثر، لتستمر الإفادة والاستفادة، ولذا وهبت سودة رضي الله عنها نوبتها لعائشة رضي الله عنها.

وتمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمكث عند عائشة وهو في مرضه الذي مات فيه، حتى توفي في بيت عائشة رضي الله عنها، وقد حققت عائشة رضي الله عنها هدف زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها، فالمكثرون من الصحابة الذين رووا أكثر من ألف حديث سبعة، رابعتهم عائشة رضي الله عنها، وهم:

١. أبو هريرة رضي الله عنه (٥٣٧٤).
٢. عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (٢٦٣٠).
٣. أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٢٨٦).

٤. عائشة رضي الله عنها (٢٢١٠).

٥. عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (١٦٦٠)،

٦. جابر بن عبد الله رضي الله عنه (١٥٤٠).

٧. أبو سعيد الخدري رضي الله عنه(١١٧٠).

لم نعثر على رواية تفيد إتيان رسول الله صلى الله عليه عائشة رضي الله عنها الليلة التي زفت فيها إليه صلى الله عليه وسلم. نعم، ثبت أنها ظلت أمينة على علوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إليها إذا حَزَبَهم أمرٌ.

ليكن المعترضون على علمٍ بنكتة، هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى للأمة كلها،وأسوة حسنة لهم جميعا:قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١). ومعظم أفراد الأمة يتزوجون البالغة من النساء، وذات سبعة عشر عامًا على قول المعترضين، وهذا ما تعوده عامة الناس. واتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع نسائه حاشا عائشة رضي الله عنهن، وقد جمع كاتب هذه السطور شهيرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (صاح أخ عز جسم».ص- صفية. ا- أم حبيبة، أ- أم سلمة. خ-خديجة. ع- عائشة. ز- زينب بنت جحش، زينب بنت خزيمة.ج: جويرية. س -سودة. م-ميمونة رضي الله عنهن.

لم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم إلا البالغات؛ بل ثيبات، عدا عائشة رضي الله عنها، وبه أخذ معظم الأمة، وتزوج عائشة وحدها وهي صغيرة، ليكون أسوة لفئة قليلة من الأمة. فإنها قد تبقى في الأمة الصغيرة، ويخاف على عرضها إذا لم تتزوج، فيتم زواجها حفاظًا عليها، وربما يرغب في نكاح البنت الجميلة أكثرُ من واحد، فتتخلص بتزويجها واحدًا منهم. وعليه أفرد القرآن الكريم زواج غير البالغة من البنات بالذكر، فقال:﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ (الطلاق: ٤)

قال المفسرون: هن غير البالغة من البنات. وحمل قوله:(وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ)على البالغة سبعة عشر أو ثمانية عشر عامًا من عمرها مبعث عجب وحيرة. فيصدق على هؤلاء وعلى غير البالغات من البنات.

إيراد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ (النساء: ٦)

المراد في الآية بالنكاح: البلوغ، فعلم أن البلوغ سن النكاح، وليس ما قبله سن النكاح.

الجواب: إنما أطلق النكاح على البلوغ، لأن لذة النكاح تقترن بالبلوغ، وقفز قطرة النطفة تكمل اللذة، فدلت الآية الأولى على أنه يجوز نكاح البالغة، ودلت الآية الثانية على أن لذة النكاح وثمراته تتحقق بالبلوغ.

حاصل الجواب أنه ورد ذكر الزفاف والخلوة –لا الجماع– وهي بنت تسع سنوات. والمراد بقول عائشة في الحديث: «أُدْخِلَتْ عليه» الزفاف والخلوة، وليس فيه ذكر الجماع، و كما لم تذكر الروايات غسل الجنابة أيضًا فيما نعلم.

تزوج هشام بن عروة فاطمة بنت المنذر وزفت إليه وهي بنت تسع سنوات.(تاريخ بغداد ١/ ٢٢١) و زُوِّجت بنتٌ لمعاوية رضي الله عنه بعبد الله بن عامر وهي بنت تسع سنوات.(تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٠/ ١٨٧)

ولو سلمنا الجماع وهي بنت تسع سنوات، فما أكثر نظائره في خلق الله تعالى المترامي الأطراف، قال شمس الأئمة السرخسي في المبسوط: أصبحت بنت ذات تسع عشر سنوات جدةً في عصرنا.(المبسوط ٤/ ٢٤٧)

وأصبحت بنت ذات ١٨ عامًا جدةً، ولدت بنتٌ –ولها تسع سنوات– بنتًا، ثم تزوجت بنتها وهي ذات تسع سنوات، وولدت بنتًا.(سنن دار قطني، رقم:٨٨١)

قال الإمام الشافعي: رأيت بنتًا أصبحت جدةً وهي ذات ٢١ عامًا.(فتح الباري ٥/ ٢٧٧)

اعتراض ثانٍ:

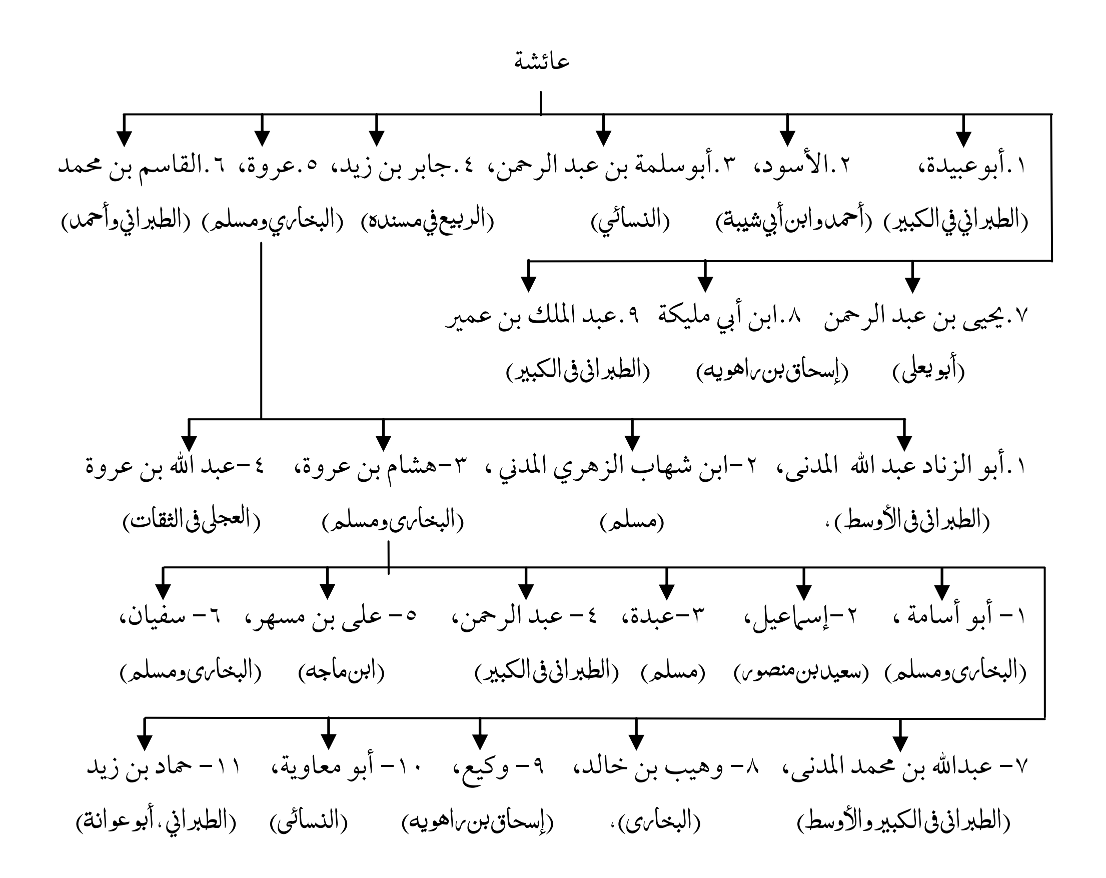
ويعترض المعترضون ثانيًا بأن راوي عُمرِ عائشة رضي الله عنها هذا هو هشام عن عروة، وما روي عن هشام في العهد المدني صحيح، وما روي عنه في العهد العراقي غير صحيح، فقد اختلط، وتغير حفظه في العراق.

الجواب: اعلم أن رواية عائشة هذه رواها –علاوة على عروة– الأسود، وجابر بن زيد، والقاسم بن محمد، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، وابن أبي مليكة، وأبوسلمة بن عبد الرحمن.

ثم روى عن عروة –علاوة على هشام– عبد الله بن عروة، ومسلم بن شهاب الزهري، وأبو الزناد.

ثم روى عن هشام أبو أسامة، وإسماعيل بن زكريا، وعبدة، وعبد الرحمن، وعلي بن مسهر، وسفيان، وعبد الله بن محمد بن يحيى، ووهيب بن خالد، ووكيع، وأبو معاوية، وحماد بن زيد.

وبغض النظر عن أن هشامًا اختلط في العهد العراقي كله أو في آخره، لوسلمنا أنه اختلط في العهد العراقي كله، فإن الراوي عن عروة ليس هشامًا وحده، فله رواة آخرون، وروى عن هشام الرواة المدنيون أيضًا، فالزهري مدني، وأبو الزناد، وعبد الرحمن بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن يحيى مدنيون. وثلاثهم يروون عن هشام. ولم يكن الرواة الكوفيون منحصرين في الكوفة؛ بل كانوا يرحلون إلى الحجاز ويأخذون العلم، وأسانيد الرواة عن عائشة رضي الله عنها -غير عروة- ما يلي:



واعترض المعترضون اعترضات أخرى على زفاف عائشة رضي الله عنها وهي بنت

تسع سنوات، وأجاب عنها علماؤنا إجابة شافية،أعرضنا عن بقية الاعتراضات والإجابات لزومًا لجانب الاختصار.

وممن أعرض عن الروايات الصحيحة في هذا الباب الحكيم نياز أحمد الذي ألف كتاب «تحقيق عمر عائشة»، وأعد حبيب الرحمن الكاندهلوي أيضًا كتاب «تحقيق عمر عائشة»، ومَثَّلَ الشيخ سيد سليمان الندوي رحمه الله مذهب الجمهور، وأورد الاعتراضات والجواب عنها في نهاية كتابه «سيرة عائشة رضي الله عنها»، وأعد الشيخ ظفر القادري كتيبا في (٤٨) صفحة باسم «زواج عائشة رضي الله عنها وزفافها»، و ردَّ اعتراضات حبيب الرحمن الكاندهلوي. وإنما كتبنا هذه السطور للفت انتباه القراء من أهل الحق إلى هذه المسألة.

١٠٩- وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ[1]، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ- لَا يُذْكَرُوْنَ إِلَّا بِالْجَمِيْلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوْءٍ[2] فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيْلِ.

قد تنكب الصراطَ السوي من ذكر علماء السلف بالسوء:

ذكرُ السلف الصالح من العلماء، والمحدثين، والفقهاء، وحملة الشريعة بالخير من سنة أهل الإيمان، واحترامُهم، وتعظيمهم من احترام الدين الإسلامي؛ فإنهم ورثة الأنبياء، ومبلغون الدين إلينا. وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير لهم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». (صحيح البخاري، رقم:٢٦٥٢)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «...وإن العالم ليستغفر له من في السماوات، ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب، إن

(١) أثبتناه من ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٩، ٢١، ٢٨، ٣٢، ٣٣. وفي ١، ٢، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥ «الصالحين والتابعين...» وفي ٣، ٣٣ «السلف والتابعين...». وفي ١٤ «وعلماؤنا من السلف الصالحين والتابعين...». وفي ١٦ «من السابقين ومن بعدهم...». وفي ٢٣ «الصحابة والتابعين...». وفي ٣٦ «من الصالحين والأئمة التابعين». والمفهوم واحد.

(٢) في ٢٧ «بِشَرٍّ». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر». (سنن الترمذي، رقم:٢٦٨٢. سنن أبي داود، ٣٦٤١. سنن ابن ماجه، رقم:٢٢٣. صحيح ابن حبان، رقم:٨٨. وهو حديث حسن لغيره)

ورغبنا الله تعالى في الدعاء والاستغفار لمن سبقنا من المؤمنين، فقال:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠)

فيجب علينا اتباعهم وذكرهم بالخير. والطاعن فيهم وذاكرُهم بالسوء منحرف عن طريق أهل الإيمان، وله وعيد شديد. قال تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء: ١١٥)

ذكرت آيات وأحاديث عديدة فضل أهل العلم، وأفرد بعضهم فضائل أهل العلم بكتب، ورسائل.

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعن في السلف الصالح ولعنهم من أشراط الساعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «...ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراءَ أو خسفًا ومسخًا».(سنن الترمذي، رقم: ٢٢١٠) وقد ظهرت هذه العلامة فيما ظهرت من العلامات على الساعة.

سبب اختلاف أهل العلم في بعض المسائل:

إذا كان قول أحد أهل العلم مخالفًا للحديث الصحيح، فيحتمل أنه لم يثبت عنده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، أو ليس معناه عنده ما فهمه غيره من أهل العلم، أو يكون الحديث منسوخًا عنده. وقد بلغ علماء السلف من العلم والعمل والتقوى وخشية الله تعالى منزلةً لا يرجى منهم معها مخالفة حديث صحيح من غير عذر منطقي. ويجب أن نحسن الظن بعلماء السلف، ونحترمهم من أعماق القلوب. ونعلم أنه ما من أحد إلا وقد تأمل في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة، ثم اختار ما ترجح عنده. وألف العلامة ابن تيمية رحمه الله في هذا رسالة سماها «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».وذكر فيها توجيهات وأعذارا لمخالفة بعض أهل العلم بعضَ النصوص.

معنى السلف والخلف:

أصحاب القرون الثلاثة: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين يطلق عليهم «السلف»، ومن بعدهم هم الخلف. وقيل: السلف إلى القرن الخامس، والخلف مَن بعدهم.

قال الإمام البيجوري: «السلف: وهم من كانوا قبل الخمس مئة. وقيل: القرون الثلاثة: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعون. والخلف: من كانوا بعد الخمس مئة. وقيل: من بعد القرون الثلاثة». (تحفة المريد، ص١٥٦)

وقال الإمام الذهبي: «الحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ثلاث مئة». (ميزان الاعتدال ١/ ٤)

وقال شهاب الدين المالكي(م:١١٢٦): «المراد بالسلف القرون الثلاث». (الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني ٢/ ٣٥٦)

امتد زمن الصحابة إلى ١١٠هـ، وآخرهم وفاة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني، الذي توفي عام ١٠٠هـ، أو ١٠٢هـ أو١٠٧هـ، أو ١١٠هـ.(الإصابة ٧/ ١٩٣)

وامتد عهد التابعين إلى ١٨١هـ، وآخرهم وفاة التابعيُّ خلف بن خليفة أبو أحمد الأشجعي، الذي توفي عام ١٨١هـ.(فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ٤/ ١٤٦، تعريف التابعي)

وامتد عهد أتباع التابعين إلى ٢٢٠هـ، قال الإمام السيوطي: «وقرن أتباع التابعين من ثم إلى نحو العشرين ومائتين». (مرقاة المفاتيح، باب مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)

١١- وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ[1] الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيْعِ الْأَوْلِيَاءِ.

تعريف الولي:

الولي: العارف بذات الله وصفاته، المواظِب على الطاعات، المجتنِبُ عن الكبائر، غير المنهمك في اللَّذّات. (شرح العقائد، ص٢٢٠. وانظر: ضوء المعالي، ص١٢٣؛ وحاشية الصاوي على جوهرة التوحيد، ص٣٤٤؛ والتعريفات، ص١١٢؛ وشرح المقاصد ٥/ ٧٢)

---

(١) قوله «أحد من» سقط من ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٥، ٢٦، ٣١، ٣٤. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

معنى الولي: الذي تولاه الله، أي: يحفظه. فهواسم مفعول، أومعناه: المتولي للطاعات، أو العامل بالطاعة، فهو بمعنى اسم الفاعل، أو من القرب، أي: القريب إلى الله.(١)

في هذا النص ردٌّ على الروافض الذين يرفعون الأئمة الاثني عشر إلى درجة الأنبياء. وأئمتهم الاثنا عشر هم:

١- سيدنا علي رضي الله عنه (م:٤٠هـ).

٢- سيدنا الحسن رضي الله عنه (م: ٥٠هـ)

٣- سيدنا الحسين رضي الله عنه (م:٦١).

٤- زين العابدين علي بن الحسين (م:٩٥هـ)، قال ابن حجر فيه:«ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور».(تقريب التهذيب)

٥- أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين (م:١١٤هـ)، قال الحافظ ابن حجر فيه: «ثقة فاضل».(تقريب التهذيب)

٦- جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين (م:١٤٨هـ)، قال الحافظ ابن حجر فيه: «صدوق فقيه إمام».(تقريب التهذيب)

٧- موسى الكاظم بن جعفر بن محمد (م:١٨٣هـ)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط فيه: «ثقة صدوق إمام من أئمة المسلمين. وما عرفنا أحدًا جرحه، وهو بريء مما يُنسب إليه، ويُدس عليه من الأكاذيب والأباطيل».(تحرير تقرير التهذيب ٣/ ٤٢٨)

٨- علي الرضا بن موسى بن جعفر (م:٢٠٣هـ)، قال الحافظ ابن حجر: «صدوق،

---

(١) في حاشية الصاوي على جوهرة التوحيد، ص٣٤٤: «وسمي وليًّا؛ لأنه تولى خدمة الله، أو لأنّ الله تولى أمرَه فلم يكِله لغيره طرفة عين.

وفي تفسير الخازن: «وأصل الولي من الولاء، وهو القرب والنصرة، فولي الله هو الذي يتقرب إلى الله بكل ما افترض عليه، ويكون مشتغلاً بالله مستغرقَ القلب في معرفة نور جلال الله، فإنْ رأى رأى دلائل قدرة الله، وإنْ سمع سمع آيات الله، وإن نطَق نطق بالثناء على الله، وإن تحرَّك تحرك في طاعة الله، وإن اجتهد اجتهد فيما يقرِّبه إلى الله، لا يفتر عن ذكر الله، ولا يرى بقلبه غير الله». (تفسير الخازن، يونس: ٦٤-٦٥، ٢/ ٤٥١)

وقال الرازي: « المقدمة الأولى في بيان أن الولي ما هو؟ فنقول: هاهنا وجهان: الأول أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير، فيكون معناه مَن توالت طاعاته من غير تخلل معصية. الثاني: أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح، وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالي عن كل أنواع المعاصي، ويديم توفيقه على الطاعات». (مفاتيح الغيب ٢١/ ٨٥-٨٦)

والخلل ممن روى عنه».(تقريب التهذيب)، وقال العلامة الذهبي: «وقد كذبت الرافضة على علي الرضا وآبائه أحاديث ونسخا هو بريء من عهدتها، ومنزه من قولها». (تاريخ الإسلام ٥/ ١٢٨)

٩- محمد التقي الجواد بن علي بن موسى(م:٢٢٠هـ)،قال الزركلي:«كان رفيع القدر كأسلافه، ذكيا، طلق اللسان، قوي البديهة». (الأعلام للزركلي ٦/ ٢٧١)

١٠- علي النقي الهادي بن محمد بن علي(م:٢٥٤هـ)،ق ال الذهبي:«توفي علي، رحمه الله، سنة أربع وخمسين، وله أربعون سنة».(تاريخ الإسلام ٦/ ١٣٠)، وقال اليافعي في «مرآة الجنان»: «كان متعبدًا فقيهًا إمامًا».(مرآة الجنان ٢/ ١١٩)

١١- الحسن العسكري بن علي بن محمد بن علي (م:٢٦٠)، قال الذهبي: «توفي إلى رضوان الله بسامراء». (تاريخ الإسلام٦/ ٦٩) قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٤١٥): ليس بشيء.

١٢- محمد المهدي بن الحسن العسكري، ولد –على زعم الشيعة- عام ٢٥٦أو ٢٥٨هـ، وغاب وهوابن سنتين. والحق أنه أسطورة من الأساطير، ويقول معظم الروافض: لم يعقب الحسين العسكري. فورثه أخوه، وإن كانت طائفة مصابة بالعصبية تثبت للحسن العسكري عَقِبًا. وضلَّلت فرقة من الشيعة جعفرًا لأخذ ميراث أخيه، واتخذته طائفة إمامًا. للاستزادة منه راجع: الصواعق المرسلة، لابن حجر الهيتمي(٢/ ٤٨٢).

قد رأيتم مكانة أئمة الشيعة عند أهل السنة والجماعة في ضوء كتب أهل السنة، وفيما يلي نسوق معتقدات الشيعة في أئمتهم في ضوء كتاباتهم:

قال الملا الباقر المجلسي: «منزلة الإمامة فوق منزلة النبوة».(حيات القلوب ٣/ ١٠)

قال الإمام الخميني في «الحكومة الإلهية»: «وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل». (ص٥٢، تحت «الولاية التكوينية»)

وفي «أصول الكافي»: الأئمة بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفوق غيره من الأنبياء، وتعرض على الأئمة أعمال العباد ليلاونهارا. تتعاقب الملائكة إلى الأئمة، وللأئمة معراج كل ليلة الجمعة، يصلون إلى العرش، ويعطَون ما لايحصى من العلوم.

للاستزادة من معتقداتهم هذه وأمثالها في أئمتهم راجع: «الثورة الإيرانية» للشيخ منظور النعماني، و«إرشاد الشيعة» للشيخ سرفراز خان، وكتب الشيخ عبد الستار التونسوي،

وغيرهم من الأكابر.

أقسام الولاية:

(١) الولاية الكاملة. (٢) الولاية غير الكاملة. فالولاية غير الكاملة قد تُسلَبُ، ومثاله بلعم بن باعوراء الذي سُلِبَ الولايةَ. وأما الولاية الكاملة فلا تُسلَبُ وإن أمكن سلبها. قال الملا علي القاري: «فمن رجع رجع عن الطريق، لا من وصل إلى الفريق». (ضوء المعالي، ص١١٧)

وفي الحديث: سأل هرقل أبا سفيان: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه؟ فقال أبو سفيان: لا. فقال هرقل: «وكذلك الإيمان إذا خالط بَشَاشَةَ القُلوب».(صحيح البخاري، رقم٤٥٥٣).

إيراد: يقول السلفيون: من الفساد في التوسل بولي أنا لا نعلمه هل مات على الكفر أو على الإيمان؟

الجواب: روى الترمذي في سننه: «إذا رأيتم الرجلَ يتعاهد المسجد، فاشهدوا له **بالإيمان**». (سنن الترمذي، رقم:٢٦١٧. قال الدكتور بشار عواد في تعليقاته عليه: إسناده ضعيف لضعف دراج أبي السمح، لا سيما في روايته عن أبي الهيثم (٤/ ٣٦٤).

أمر الحديث المذكور أعلاه بالشهادة بالإيمان ،ولم يقُل: لا يدرى ما عاقبته؟ قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة: ٢٥٦) كذلك إذا خالطت بشاشة الإيمان القلب لا ينفك منه، والتوسل في الحقيقة بالحب الذي يحصل لنا بالولي بصفته وليًّا.

الأدلة على فضل النبي على الولي:

(١) الولي تابع، والنبي متبوع، والتابع لا يكون أفضل من المتبوع.

(٢) الولي غير معصوم، والنبي معصوم، وغير المعصوم لا يفضل على المعصوم. فالنبي معصوم والولي غير معصوم إلا أنه محفوظ، والمعصوم أفضل من غير المعصوم.

الفرق بين عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء:

العِصمة: ملكة تمنع العبد من ارتكاب المعصية. (انظر: شرح المواقف ٨/ ٣٠٦. وتحرير التيسير ٣/ ٣٠. ومنح الروض الأزهر، ص١٧٧. تحفة المريد، ص٢٢٢)

الحفاظة: عدم ارتكاب المعصية عادةً، ولكن يمكن أحيانًا أن يرتكب المعصية. (انظر: تحفة الأعالي، ص٥٥؛ ومعارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ١/ ١٤٦).

وفرَّق الشاه ولي الله الدهلوي في رسالة مخطوطة له بين عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء فرقًا لطيفًا، وهو أن عدم العصمة يوجب قبحًا شرعيًّا، فإن الأنبياء إن لم يكونوا معصومين، بل فسقة كانوا -والعياذ بالله- مردودي الشهادة، ولم يجب اتباعهم. وأما عدم الحفظ فلا يوجب قبحًا شرعيًّا، فإن المعصية وإن صدرت -وهو ممكن- فإن الولي ليس واجب الاتباع.

قال العلامة شمس الحق الأفغاني رحمه الله: لم تذكر كتب المتكلمين الفرق بين العصمة والحفظ، نعم قال الشاه ولي الله الدهلوي في رسالة مخطوطة له، منشورة في مجلة «الرحيم» (العدد: أكتوبر عام ٦٥م): العصمة: التحفظ من الذنوب، ولزوم المحذورية الشرعية عند عدم العصمة». وبما أن الشرع أمر باتباع الرسول، فإن صدرت منه معصية لزم المحذور الشرعي، ولم يأمر باتباع الأولياء اتباعًا لازمًا، فلا يلزم المحذور الشرعي إذا صدرت المعصية من الأولياء. (عصمة الأنبياء، و حرمة صحابة، من أمالي الشيخ شمس الحق الأفغاني، ص ٤).

وقال العلامة يوسف البنوري: «حقَّقَ العلماءُ: أن ثمة قسمين: معصوم، وآخر محفوظ، فالمعصوم: من يستحيل صدرو المعصية والذنب منه، والمحفوظ: من لا يستحيل صدور المعصية منه، إلا أنها لا تصدر منه. وبتعبير أيسر: المعصوم من لايسعه المعصية، والمحفوظ: من يسعه المعصية ولكن لا يعصي. وعليه يقال: الأنبياء معصومون، والأولياء محفوظون. (عصمة أنبياء، وحرمة صحابة، ص ٥٠٦).

ويعتبر بعض أهل العلم المعصوم والمحفوظ واحدًا، ويقولون: الصحابة غير معصومين ولا محفوظين، ولكن يشير القرآن الكريم إلى أن العصمة مختصة بالأنبياء، قالت زليخا: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَ﴾ (يوسف: ٣٢) لم يتصور صدور المعصية منه. وأما الحفظ فيصدر الذنب فيه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ (المعارج: ٢٩) فيمكن صدور الذنب منهم.

وقال حذيفة رضي الله عنه: «لقد علِم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن ابنَ أم عبدٍ من أقربهم إلى الله وسيلة». (المستدرك للحاكم، رقم:٣٢١٦، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم. ووافقه الذهبي)

يدل هذا الأثر على أن الصحابة محفوظون، فما يتفوه به بعض الخطباء في باكستان أن لا

فرق بين المحفوظ والمعصوم، فالصحابة ليسوا معصومين ولا محفوظين. فما ذكرنا يكفي للردِّ عليهم.

يرى أهل السنة والجماعة أن الأنبياء عليهم السلام محفوظون من الصغائر والكبائر بعد البعثة، وقبلها. وقد شرحنا تفصيله في «بدر الليالي شرح بدء الأمالي» تحت البيت رقم ٢٩.

واختار ابن تيمية رحمه الله رأيًا يخصه، فيرى أنه لا يلزم عصمة الأنبياء عليهم السلام من الكبائر في غير ما يخص تبليغ الرسالة، نعم هم معصومون من البقاء على الذنوب.

قال ابن تيمية: «وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع، هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها، أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها؟ أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟ وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث، أم لا؟ والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع. والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقًا، والرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول. وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء». (الفتاوى الكبرى ٥/ ٢٥٨. ومجموع الفتاوى ١٠/ ٢٩٣)

معتقد ابن تيمية هذا في الأنبياء عليهم السلام بعيد كل البعد عما عليه أهل السنة والجماعة، وأقرب إلى ما ذكره التوراة المحرفة من معتقد اليهود في الأنبياء. للاستزادة من عقائد اليهود في الأنبياء راجع كتابنا: «إعلام الفئام بمحاسن الإسلام، وتنبيه البرية على مطاعن المسيحية»، ص ٤٢-٥١.

(٣) الولي خائف من سوء الخاتمة، وينبغي له أن يخاف، والنبي مأمون عن ذلك.

(٤) النبي مأمور بالتبليغ، والولي ليس بمأمور به.

(٥) النبي معلِّمٌ والولي عابدٌ، والمعلِّم أفضل من العابد.

(٦) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما طلعت الشمسُ ولا غربتْ علَى أحدٍ أفضلَ أو أخيرَ مِن أبي بكر إلا أن يكون نبيٌّ». (مسند عبد بن حميد، رقم:٢١٢)

(٧) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر، وعثمان، ويسمع ذلك النبيُّ صلى الله عليه

وسلم، ولا يُنكِره». (المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٢٨٥/ ١٣١٣٢)

وروى الإمام أبو داود حديث ابن عمر رضي الله عنهما هذا بلفظ: «كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ: أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رضي الله عنهم أجمعين». (سنن أبي داود باب في التفضيل، رقم:٤٦٢٨. ومثله في سنن الترمذي، رقم:٣٧٠٧، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح)

فإن قيل: أهل السنة والجماعة لا يسكتون بعد عثمان رضي الله عنه؛ بل يرون عليا رضي الله عنه بعده في المنزلة.

فالجواب: بما أن عليا رضي الله عنه أسلم قديما، وهاجر، ومن أهل البيت، وأحبه الله تعالى، فكان من الطبيعي أن يكون بعد عثمان رضي الله عنه منزلةً.

وأجيب ثانيًا: أراد ابن عمر بقوله هذا: أكابر أهل الشورى، وكان علي رضي الله عنه شابًّا بالنسبة إليهم، ولم يكن من الشورى، فلم يذكره.

الجواب الثالث: يحتمل أن المراد الخلافة الراشدة الكاملة بغيرخلاف ونزاع الذي انتهت بعثمان رضي الله عنه، وخلافة علي رضي الله عنه شابَهُ القتالُ والفساد، ولم يبايعه أهل الشام وغيرهم من بعض الأمصار لبعض الأسباب، فلم يحصل له فضل الخلافة الكاملة، وإن كان معدودًا من الخلفاء الراشدين. رضي الله عنه.

(٨) لابد لكل نبي من معجزة، ولا يلزم لكل ولي كرامة.(راجع: شرح العقائد، ص٢٥٦؛ البراس، ص٣٣٥؛ وعقائدِ اسلام، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، ص ٢٠٧).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما مِن الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطِيَ مِن الآيات ما مثله أُؤمِن، أو آمَن عليه البشرُ، وإنَّما كان الذي أُوتِيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنِّي أكثرُهم تابِعًا يومَ القيامة». (صحيح البخاري، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثتُ بجوامع الكلِم، رقم:٧٢٧٤)

قيل: معجزة نوح عليه السلام كامنة في طول عمره، فينقضي قرن ويدخل قرن آخر، ونوح عليه السلام يواصل اشتغاله بالدعوة. ويدل على طول عمر نوح عليه السلام من جميع الأنبياء ما رواه أبو داود عن سعيد بن زيد: «لمشهد رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَغبَرُّ فيه وجهُه خيرٌ من عمل أحدكم عُمُرَه ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوح». (سنن أبي داود، رقم:٤٦٥٠. وإسناده صحيح)

وأنكر المتنورون والمصابون بالفلسفة والمنطق في هذه الأيام: أمثال القادياني،

والبرويزي، والسيد أحمد خان كلهم الكرامات والمعجزات. والمعجزة تفوق الأسباب، وحاول هؤلاء إخضاعها للأسباب. فمثلا يحملون قوله تعالى:﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ (الأعراف: ١٦٠)على: ارتقِ معتمدا على عصاك، ستوافي عينًا فوقه. فلما بلغ قولَه تعالى: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ (الشعراء: ٦٣)أفحِمَ، فلعله قال بالمعجزة حينئذ. فيكون معناه على زعمه : ارتق على البحر معتمدًا على عصاك. فهل يسلِّم هذه المعجزة؟!

تقول الكرامية: الولي أفضل من النبي؛ لأن الولي يتلقى من الله مباشرة، والنبي يتلقى بواسطة الملك.

أدلة الكرامية على تفضيل الولي على النبي، والجواب عنها:

١- الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ عنه المَلَك، فالولي أفضل من النبيين بدرجتين.

الجواب: ١- هذا باطل، فالنبي يتلقى بالوحي، وهوقاطع، والولي يُلهَمُ، أو يكشَف له، وهو غير قاطع.

قال العلامة التفتازاني في «شرح العقائد»: «والإلهام المفسر بإلقاء معنى في القلب بطريق الفيض ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق...، ثم الظاهر أنه أراد أن الإلهام ليس سببًا يحصل به العلم لعامة الخلق، ويصلح للإلزام على الغير، وإلا فلا شكّ أنه قد يحصل به العلم، وقد ورد القول به في الخبر وحكي عن كثير من السلف».(شرح العقائد، ص٧٤. للاستزادة منه راجع: علم الكلام، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، ص٢٤٣)

كما أن بين كشف الأنبياء وكشف الأولياء فرقًا، فالأنبياء لا يرون إلا الحق، ولا يخطئون في التخمين وتعيين الزمان والمكان. والأولياء يرون الحق أحيانًا، لكن يحتمل خطؤهم في تعيين الزمان والمكان.

الفرق بين كشف الأنبياء، وكشف الأولياء:

سئل الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله: ما بال أولياء الله قد تتأخر تنبؤاتهم عن مواعيدها، وأنبياء الله تعالى لا تتأخر تنبؤاتهم عن مواعيدها، فهل يكشف للأولياء كشف خطأ؟ فقال الشيخ: ما هذا المبنى أمامك؟ قيل: سجن. قال: هل فيه شك؟ أو أمر قاطع؟ قيل: لا شك أنه سجن. قال: كم مسافة بينه وبينك؟ قال: نحو مئة قدم. قال: هل يحتمل أن

تكون المسافة خمسة وتسعين قدما، أو مئة وخمسة أقدام، بدلا من مئة قدم؟ قيل: يحتمل ذلك، فهذا تخمين ليس إلا، فقال: قِس عليه كشف الأولياء، فما يرونه حق، لاريب فيه، إلا أنهم يرونه من بعيد، فلا يعْمِلون في التوقيت -تحديد الزمان والمكان- إلا التخمين، والتخمين يحتمل الخطأ. ثم لما بلغ باب السجن، ولم يبق إلا قدمان، قال: ما هذا المبنى؟ قيل: سجن. قال: كم يبعد؟ قال: قدمان. قال: هل يحتمل أن يكون على مسافة ثلاثة أقدام أو قدم واحد بدلا من قدمين؟ قيل: قدمان قطعًا. فقال: هذا حال كشف الأنبياء، فلا يرون إلا الحق، فإنهم يُقامون على الشيء، فيرونه من قريب جدا، فلا يخطئون في التخمين والتوقيت.(الأرواح الثلاث، ص ٢١٩).

٢- الوحي بواسطة الملك، نوع من الوحي ذكره في قوله تعالى:﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى: ٥١)، وللوحي أقسام أخرى يدل عليها قوله تعالى:﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾. وقد يوحى إلى الأنبياء بغير واسطة ملك من الملائكة. وثمة وحي غير متلو، وهو أن يلقي الله تعالى في قلب النبي، ويعبر عنه النبي بلفظه.

(٢) الرسالة: هي العلاقة مع الخلق، والولاية هي العلاقة مع الخالق. والعلاقة مع الخالق أولى وأفضل من العلاقة مع الخلق.

الجواب: الولي على علاقة واحدة، وأما النبي فعلى علاقة مع الله وعلى علاقة مع الخلق أيضًا، والعلاقة مع الخلق بأمر الله تعالى، والله تعالى هو الذي يبعث النبي لهداية الخلق.

قال حسين بن محمد الدياربكري رحمه الله (م:٩٦٦): «فما نُقِل عن بعض الأولياء مِن أنَّ الولاية أفضل مِن النبوة، فمبنيٌّ على أن للنبيِّ جهتين: إحداهما جهة الولاية التي هي باطن النبوة، وثانيتهما جهة النبوة التي هي ظاهر الولاية، فالنبي بجهة الولاية يأخذ الفيض والعلى من الله تعالى، وبجهة النبوة تبليغه للخلق، ولا شكَّ في أن الوجه الذي إلى الحق أشرف وأفضل من الوجه الذي إلى الخلق، فالمراد أن جهة ولاية نبي أفضل من جهة نبوته، وهو من حيث أنه وليٌّ أفضل من حيث أنه نبيٌّ، لا أن ولاية وليٍّ تابعٍ أفضلُ مِن نبوة نبيٍّ متبوعٍ حتى يلزم أن يكون الوليُّ أفضل من النبيّ، كما يتوهم القاصرون». (تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ١/ ١٦)

قال العلامة الآلوسي: «ثم ما أراه أنا ولله الحمد أبعد عن القول بما نُقِل عن بعض

الصوفية من أن الولاية مطلقًا أفضل من نبوة وإن كان الولي لا يبلغ درجة النبيِّ، وهو مردود عند المحققين بلا تردد. نعم، قد يقع تردد في نبوة النبي وولايته، أيهما أفضل؟ فمِن قائل بأنَّ نبوته أفضل من ولايته، ومِن قائل بأن ولايته أفضل. واختار هذا بعض العرفاء معَلِّلًا له بأنَّ نبوة التشريع متعلقة بمصلحة الوقت، والولاية لا تعلق لها بوقت دون وقت، وهي في النبيِّ على غاية الكمال. والمختار عندي الأول». (روح المعاني، الكهف:٦٦، ١٥/ ٤٦٣)

قال الشيخ عبد الغني المجددي رحمه الله في التعليق على ابن ماجه: «حتى قال بعض الكبراء إن الولاية أفضل من النبوة، وأوّل الشرّاح كلامَه بأنّ ولاية ذلك النبي أفضل مِن نبوته؛ لأن الولي ملتفت إلى الله، والنبي ملتفت إلى الخلق. وقد بالغ شيخنا القطب الرباني المجدد للألف الثاني في شناعة هذا القول وأطال الكلام فيه وحاصله: أن التوجه إلى الخلق عينيٌّ ليس كتوجه العوام؛ فإنه بعد وصوله إلى مرتبة عين اليقين رجع إلى الخلق من الحكم الرباني، وهو مع ذلك كائن مع الناس، بائن عنهم، وهو يعطي كل ذي حق حقه، فكينونته مع الخلق مع هذه البينونة أرفع حالًا مِمّن كان مع الحق فقط. (إنجاح الحاجة على سنن ابن ماجه، ص١١٤، حاشية رقم:٤. وانظر أيضًا: التفسير المظهري، طه:٨٥. ومرقاة المفاتيح ٧/ ٢١٠. والنبراس، ص٣٣٦)

(٣) سيرُ موسى عليه السلام بأمر الله تعالى إلى الخضر يدل على أن الولي أفضل من النبي.

الجواب: الذين يعدون الخضر بشرًا، يعتبرونه نبيًّا، وقد حكى القرآن الكريم عن الخضر قوله:﴿ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾. (الكهف:٨٢) ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾.(الكهف:٦٥) الرحمة: النبوة أو الرسالة. كما في قوله تعالى:﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢) فالرحمة هي النبوة، ومثله قوله تعالى:﴿إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ (الدخان: ٥ – ٦) فالمراد بالرحمة هي النبوة. ويدل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ (الكهف: ٦٦) على أن الخضر كان نبيا تكوينيًّا. وكان أعلم من موسى بالعلوم التكوينية، وأما موسى عليه السلام فكان نبيا تشريعيا، وهو فوق الخضر عليه السلام بسب الشريعة. وقيل: كان ملكًا، والملك رسول من الله تعالى. ووحيه مقطوع به. ثم قوله: ﴿رَحۡمَةٗ ﴾ يفيد أنه علمٌ من لدنه سبحانه. وأطلِق العبد على الخضر عليه السلام، لأن الملائكة يطلق عليهم كلمة «العبد». قال تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ (الزخرف: ١٩)

وقال أبو سعيد الخادمي في «البريقة المحمودية»: «(ولا يبلغ) أي: لا يصل الولي (درجة النبي عليه الصلاة والسلام)... فما جوزه بعض الكرامية من تفضيل الولي كفر. نعم، قد يتردد بأن جهة الولاية من النبي أفضل، أو جهة نبوته، كما في شرح العقائد. وما احتج به بعض المتصوفة بتعلم موسى عليه الصلاة والسلام من الخضر ولا شك في فضل المعلم، فأجيب أولًا بكون الخضر نبيًّا، وثانيًا بأنه ابتلاء لموسى، ولو سلم فيمنع فضل المعلم على الاطلاق إذ قد يكون المتعلم أفضل، وثالثًا بمنع كون موسى هذا هو الذي كان نبيًّا؛ لأنّ أهل الكتاب يقولون: هو موسى بن ماثان، لا موسى بن عمران». (البريقة المحمودية١/ ٣٦٠)

والجواب الثالث من أبي سعيد الخادمي غير صحيح؛ لأنه يعارض الحديث النبوي. (صحيح البخاري، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم:٣٤٠١)

وروى الحاكم في «المستدرك» عن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما «إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بن عمران صاحب بني إسرائيل إنما هو موسى آخر، فقال ابن عباس: «كذب عدو الله». (المستدرك للحاكم ٢/ ٦٢٦، ط: دار الكتب العلمية، بيروت)

(٤) يستدل مَن يُفَضِّل الولي على النبي بقوله صلى الله عليه وسلم: «اتَّقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله». (سنن الترمذي، رقم:٣١٢٧، عن أبي سعيد الخدري، وقد روي من حديث ابن عمر، وأبي أمامة، وأبي هريرة، لكنها لا تخلوا من ضعف. راجع: المقاصد الحسنة، ص٤٢. وتنـزيه الشريعة ٢/ ٣٠٥-٣٠٦)

الجواب: فيه محمد بن كثير القرشي ضعيف. ولو سلمنا صحته فإن الفراسة لا تخص الولي؛ بل فراسة النبي أعلى من فراسة الولي، وخير دليل على ذلك قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر الأسود. وذلك أن قريشا أعادت بناء الكعبة في الجاهلية، ثم اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، وأراد رئيس كل قبيلة أن يتولى هو ذلك، وكادت تنشب بينهم حرب دامية، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود في رداء، وأمر رؤساء القبائل أن يمسك كل واحد منهم بطرف منه، ويقربوه إلى مكانه، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحجر من الرداء ووضعه في موضعه. وبهذه الفراسة النبوية انتهى الخلاف بين قريش. (للاستزادة منه راجع: سيرة ابن هشام ١/ ١٩٧؛ والروض الأنف ٢/ ١٨٣).

للاستزادة من قصص فراسة النبي صلى الله عليه وسلم راجع: التفسير العزيزي في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ (القلم: ٢)

أقسام الفراسة:

ذكر الملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر تحت كرامة الولي ثلاثة أقسام للفراسة، ملخصها ما يلي:

(١) الفراسة الإيمانية، يخلق الله تعالى في قلوب الأولياء ذكاء يدركون بها عجائب الحقائق وغرائبها.

سئل الشيخ دوست محمد القريشي عن قوله: «تخلقوا بأخلاق الله»[1] ما معناه؟ فقال: أخفى الله تعالى ذاته، وأظهر خلقه، فانشروا اسم الله تعالى والشريعة، وأخفوا أنفسكم.

(٢) الفراسة الرياضية: يُكشَف لبعض الناس بالرياضة والمشقة والخلوة عن النتائج، وهذه الفراسة تحصل للمؤمن والكافر.

(٣) الفراسة الخلقية: يخلق الله تعالى بعض الناس خلقًا يدل على الذكاء والفطنة، وإدراك حقائق الأشياء. (منح الروض الأزهر، ص ٢٣٩-٢٤٠ بتصرف وزيادة).

(٥) ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ (الأنعام: ١٢٥) وشرح الصدر هذا يحصل للولي.

الجواب: إذا كان الأولياء يحصل لهم شرح الصدر، فالنبي أولى.

نسبة تفضيل الولي على النبي:

حكى الحافظ ابن القيم رحمه الله في كتابه «إغاثة اللهفان عن مصايد الشيطان» عن الشيخ محي الدين ابن عربي قوله بأن الولي أفضل من النبي، ثم رد عليه فقال: «وزادت الاتحادية أتباع ابن العربي وابن سبعين والعفيف التلمساني، وأضرابهم على هؤلاء بما قاله شيخ الطائفة محمد بن عربي أن الولي أعلى درجة من الرسول؛ لأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إلى الرسول فهو أعلى منه بدرجتين. فجعل هؤلاء الملاحدة أنفسهم وشيوخهم أعلى فى التلقى من الرسل بدرجتين». (إغاثة اللهفان عن مصايد الشيطان ٢/ ٢٥٣، ط: مكتبة المعارف، الرياض)

---

(١) هذه الرواية ذكرها الصوفية، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: لا يعرف له أصل في شيء من الكتب الستة. (حاشية شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٨٨)

وكذلك أبو حيان الأندلسي نسب هذا القول إلى ابن عربي، ثم رده: «وهكذا سمعنا مَن يَحكي هذه المقالة عن بعض الضَّالِّين المضلِّين وهو ابن عربي الطائي الحاتميُّ صاحب «الفتوح المكية» فكان ينبغي أن يسمى بالقُبُوح الهَلَكِيّة، وإنه كان يزعم أن الولي خير من النبيِّ، قال: لأنّ الوليَّ يأخُذ عن الله بغير واسطة، والنبيُّ يأخُذ بواسطة عن الله، ولأن الولي قاعد في الحضرة الإلهية، والنبيُّ مرسل إلى قومٍ، ومن كان في الحضرةِ أفضلُ مِمَّن يُرسِلُه صاحبُ الحضرة». (البحر المحيط ٦/ ١٤٨، الكهف:٧٩-٨٢)

وعزا ابن تيمية في كتابه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص ١٢٧) هذا القول إلى ابن عربي، ثم ردَّه.

وذهب ابن أبي العز إلى القول بأن ابن عربي كافر، وزنديق، وملحد، ومنافق.(شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٧٤٥)

والحق أن ابن عربي قد تطرق كثير من التصرف إلى كتبه، وأدخل الناس إليها ما لا علاقة له بموقف ابن عربي.

قال العلامة الآلوسي رحمه الله: «ونُسِب إليه (ابن عربي) رضي الله عنه القول بتفضيل الولي على النبي والرسول، وخاض فيه كثير من المنكرين حتى كفروه -وحاشاه- بسبب ذلك، وقد صرَّح في غير موضع من «فتوحاته»، وكذا من سائر تأليفاته بما ينافي هذا القول حسبما فهمه المنكرون.

وقد ذكر في كتاب «القربة» أنه ينبغي لمن سمع لفظةً من عارفٍ متحققٍ مبهمةً كأن يقول: الولاية هي النبوة الكبرى، أو الولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول، أن يتحقق المراد منها ولا يبادر بالطعن. ثم ذكر في بيان ما ذكر ما نصه: اعلم أنه لا اعتبار للشخص من حيث ما هو إنسان فلا فضل ولا شرف في الجنس بالحكم الذاتي، وإنما يقع التفاضل بالمراتب، فالأنبياء صلوات الله تعالى عليهم ما فضلوا الخلق إلا بها، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم له مرتبة الولاية والمعرفة والرسالة، ومرتبة الولاية والمعرفة دائمة الوجود، ومرتبة الرسالة منقطعة؛ فإنها تنقطع بالتبليغ، والفضل للدائم الباقي، والولي العارف مقيم عنده سبحانه، والرسول خارج، وحالة الإقامة أعلى من حالة الخروج، فهو صلى الله عليه وسلم من حيث كونه وليًّا وعارفًا أعلى وأشرف من حيثية كونه رسولًا، وهو صلى الله عليه وسلم الشخص بعينه واختلفت مراتبه، لا أن الولي مِنَّا أرفع من الرسول. نعوذ بالله تعالى من

الخذلان...». (روح المعاني ١١/ ٢٦٩).

وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمه الله: «اعلم أن من جملة ما أشيع عن الشيخ محيي الدين أنه يقول: مقام الولاية أتمُّ من مقام الرسالة على الإطلاق، والشيخ رضي الله عنه بريءٌ من ذلك، فقد قال في الباب الرابع عشر من «الفتوحات»: اعلم أن الحق تعالى قصم ظهور الأولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم، ولو أن أحدا من الأولياء كان في مقام نبي فضلًا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره، ولا احتاج إلى وحي على لسان غيره، وإنما غاية لطف الله تعالى بالأولياء أنه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي. انتهى. وقال أيضًا في الكلام على التشهد من «الفتوحات»: اعلم أنّ الله تعالى قد سدَّ باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، وأنه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي أن تكون لنا. انتهى. وقال في «شرحه لترجمان الأشواق»: اعلم أن مقام النبي ممنوع لنا دخوله، وغاية معرفتنا به من طريق الإرث النظر إليه، كما ينظر من هو في أسفل الجنة إلى من هو في أعلى عليين، وكما ينظر أهل الأرض إلى كواكب السماء. وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد أنه فتح له من مقام النبوة قدر خرم إبرة تجليًا لا دخولًا فكاد أن يحترق. وقال في الباب الثاني والستين وأربع مئة من «الفتوحات»: اعلم أنه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه، وإنما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الإرث فقط؛ لأنه لا يصح لأحد منا دخول مقام النبوة، وإنما نراه كالنجوم على الماء. وقال في الباب السابع والستين وثلاث مئة: لقد أعطيتُ من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعتُ القيام به. انتهى. فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله، تكذب بمن افترى عليه أنه يقول: الولاية أعظم من النبوة. والله تعالى أعلم». (اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، المبحث الثاني والأربعون، ص٣٢٧)

قيل: النبي له صفتان: (١) نبوة ورسالة. (٢) نبوة وولاية. وبتعبير آخر: صفة العلاقة مع الله، وصفة العلاقة مع الخلق. فصفة العلاقة مع الله أرفع وأعلى من صفة العلاقة مع الخلق. و الأصل المقصود هو العلاقة مع الله تعالى. والعلاقة مع الخلق وسيلة. وحقق العلامة الشعراني أن ولاية النبي أعلى من ولي الأولياء، فالمقابلة بين نبوة النبي، وولاية النبي،

لا بين ولاية النبي و ولاية غيره من الأولياء.

قال الإمام عبد الوهاب الشعراني: «ومن قال من العارفين أنَّ مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرِّسالة، فمراده كما قاله الشيخ محيي الدين في «الفتوحات»: إنَّ مقام ولاية النبي في نفسه أتم وأكمل من مقام رسالته، وذلك لشرف التعلق ودوامه، فإن الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى ولها الدوام في الدنيا والآخرة، والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف، فليس مراد أحد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الأنبياء؛ فإن هذا لا يقوله إلا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها، وحاشا الأولياء من ذلك، وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح أنه تفضل ولاية نبي؟ فقال: لم يرد لنا في ذلك شيء، والذي نميل إليه أن ولاية كل نبيٍّ فاضلةٌ على ولاية أعظم الأولياء، وهو الذي يليق بمقامهم؛ لأن الولاية أخذت عن النبوة كما مر». (اليواقيت والجواهر، ص٣٢٧)

وقال الشيخ زروق: «التوقف في محل الاشتباه مطلوب كعدمه فيما تبين وجهه من خير أو شر، ومبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن عند موجبه وإن ظهر معارض...، فمن ثم اختلف في جماعة من الصوفية كابن الفارض، وابن أحلا، والعفيف التلمساني، وابن ذي سكين، وأبي إسحاق التجيبي، والتشتري، وابن سبعين، والحاتمي، وغيرهم. وقد سئل شيخنا أبو عبد الله القوري رحمه الله وأنا أسمع، فقيل له: ما تقول في ابن العربي الحاتمي؟ فقال: أعرف بكل فن من أهل كل فن. فقيل له: ما سألناك عن هذا؟ فقال: اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية. قيل له: فما ترجح؟ قال: التسلم. قلت: لأن في التكفير خطرًا، وتعظيمه ربما عاد على صاحبه بالضرر من جهة اتباع السامع لمبهماته وموهماته». (قواعد التصوف، لأبي العباس أحمد بن أحمد زورق الفاسي (م:٨٩٩هـ) ، ص٦٥-٦٦، قاعدة:٨٧، ط: دار الكتب العلمية، بيروت).

وردَّ الشيخ أشرف علي التهانوي على الاعتراضات الموجهة إلى ابن عربي في ضوء كلامه في رسالة «التنبيه الطربي في تنزيه ابن عربي». وقال الشيخ في نهاية الرسالة قولا ذهبيا، وهو: «موقفي من الشيخ قدس سره أني أعتقد شعبيته وولايته بناء على شهادة الجم الغفير من السلف، الأمر الذي ثبتت حجيته بقوله عليه السلام: «أنتم شهداء الله في الأرض». ولا آمر عقلا بإثبات معظم علوم الشيخ التي ترجع إلى الأسرار، وتفوق فهمي، امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦) ولا بنفيها، امتثالا لقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا

﴿لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩)، وأعتبر نشرَها والاشتغال بها من غير ضرورة شرعية ضارًّا لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (آل عمران: ٧)، ولا أطمئن طبعًا بالتوجه إلى أقواله، فلا أستحضرها وفقا لـ« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وأعذر العلماء الذين أنكروا أقوال الشيخ عليه متقيدين بالحدود الشرعية وحفاظًا عليها، وفقًا لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»، وأجد هذا الموقف المجمل على وفق موقف الشيخ مجدد الألف الثاني، كما يتجلى من بعض مكاتيبه. وسنذكر بعضًا منها في نهاية هذه الخاتمة. والزائد أن الشيخ المجدد يتكلم على أقواله؛ لأنه صاحب تحقيق وصاحب كشف، وحقَّ له ذلك. ولسنا بهذه المنزلة. (التنبيه الطربي في تنزيه ابن عربي، ص ١٤٨)

وأثنى العلامة عبد الوهاب الشعراني في معظم كتبه على ابن عربي. ومن رسائله: «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء». وأثنى الشامي في باب المرتد من كتاب الجهاد مطلب في حال الشيخ الأكبر (٤/ ٢٣٨-٢٤٠) على الشيخ الأكبر، وذكر العلامة ابن حجر المكي في «الفتاوى الحديثية» (ص ٧٢-٧٤) الشيخ الأكبر بالخير.

١١١- وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ[1]، وَصَحَّ[2] عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ[3].

تعريف الكرامة، والإرهاص، والمعجزة، والاستدراج، والإهانة، والسحر، والمعونة:

الكرامة: ظهور أمر خارق للعادة من قبل العارف بالله تعالى، بلا دعوى النبوة. (شرح المقاصد ٥/ ٧٢. وشرح العقائد، ص ٢٢٠)

---

(١) في ١٠ «في كراماتهم». وفي ١١، ١٥ «ونؤمن بجميع كراماتهم». وفي ٢٦، ٣١ «ونؤمن بجميع الأولياء وبجميع كراماتهم وبما صح...». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم واحد.

(٢) في ٣ «وبما صح». وفي ٦، ١٩ «وما صح». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) في ١٤ بعده زيادة «كما جاء به الأثر». وسقط من ٢٣ قوله «وصح عن الثقات من رواياتهم».

أي: فإن كان مع دعوة النبوة، ودعواه صحيحة فهي معجزة، وإن كانت دعواه باطلة فهو استدراج.

الإرهاص: أمر على خلاف العادة قبل النبوة، رهَص: بمعنى التأسيس.

قال العلامة التفتازاني: «والمحققون على أن خوارق العادات المتعلقة ببعثة النبي إذا كانت متقدمة، فإن ظهرت منه، فإن شاعت، وكان هو مظنة البعثة كما في حق نبينا عليه الصلاة والسلام حيث أخبر بذلك بعض أهل الكتاب والكهنة، فإرهاص. أي: تأسيس لقاعة البعثة». (شرح المقاصد ٥/ ١٣)

وقال الشيخ محمد أعلى التهانوي: «الإرهاص شرعًا: قسم من الخوارق، وهو الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة، سُمِّيَ به؛ لأنَّ الإرهاص في اللغة بناء البيت، فكأنّه بناء بيت إثبات النبوة. كذا في حواشي شرح العقائد». (كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ١٤١)

وقال العلامة الجرجاني في تعريف الإرهاص: «الإرهاص: إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته». (التعريفات، ص٧. وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي، ص١٦. ودستور العلماء ١/ ٤٩. والكليات، ص٧٨)

المعجزة: عبر القرآن الكريم عن خرق العادة بعد النبوة بالبينات.

فالمعجزة فعل، يعجز الإنسان عن تحديه، وهو يفوق الأسباب، فطيران الطائرة في الهواء بقوة المحرك(ENGINE) ليس معجزة؛ بل من باب العجائب. وأما طيران سرير سيدنا سليمان عليه السلام في الهواء فمعجزة؛ لأنه فوق الأسباب.

قال العلامة التفتازاني: «وهي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله». (شرح العقائد النسفية، ص٢٠٧-٢٠٨)

وقال العلامة الجرجاني: «المعجزة أمر خارق للعادة داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله». (التعريفات، ص٩٦. وانظر أيضًا: شرح المقاصد ٥/ ١١؛ وتحفة المريد، ص٢٢١؛ وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/ ١٥٧٥؛ ودستور العلماء ٣/ ٢٠٢)

حاصل القول أن ما يكون تحت الأسباب العامة فهو من العاديات، وما تحت الأسباب الخاصة فمن العجائب، وما ليس تحت الأسباب فهو معجزة.

الاستدراج: ما يظهر على يد كافر أو فاسق من خرق العادة الموافق للطبيعة والدعوى.

وقال العلامة الباجوري: «والاستدراج وهو ما يظهر على يد فاسق خديعةً ومكرًا به». (تحفة المريد، ص٢٢١)

وقال في «النبراس» (ص٢٩٥): «سواء صدر عن كافر أو عن مؤمن فاسق». (وانظر: شرح العقائد، ص٢٢٠. ودستور العلماء ٢/ ٥٠)

الإهانة: أن يأتي الكافر بما يخرق العادة، ولكن يخالف دعواه، كما ادعى مسيلمة الكذاب النبوة، فمسح بيده رأس صبي للبركة، فأصبح أصلع، وبصق في عين الأعور فأصبح أعمى.

قال الإمام الباجوري: «الإهانة وهو ما يظهر على يده (أي: فاسق) تكذيبًا له، كما وقع لمسيلمة الكذاب؛ فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة». (تحفة المريد، ص٢٢١. وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٢٨٦. وحاشية الخيالي على شرح العقائد، ص١٣٩)

السحر: ما يظهر على يد غير المسلم من خرق العادة تحت الأسباب الخفية.

قال العلامة التفتازاني: «السحر إظهار أمر خارق للعادة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعليم والتعلم، وتعين عليها شرة النفس، وتتأتى فيها المعارضة». (شرح المقاصد ٥/ ٧٩. ومثله في دستور العلماء ٢/ ١١٩)

وقال الإمام الباجوري: «السحر، ومنه الشعبذة، وهي: خفة اليد، يرى أن لها حقيقة، ولا حقيقة لها». (تحفة المريد، ص٢٢١. وانظر: المفردات للراغب. وكشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٩٣٥؛ ومعارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي؛ ومعارف القرآن، للشيخ المفتي محمد شفيع العماني١/ ٢٧٤).

أي لا تنقلب الحقيقة بالسحر، إلا أنه له تأثيرا.

قال المحققون من أهل العلم: لا تنقلب الحقيقة بالسحر.(للاستزادة منه راجع: فتح الباري، باب السحر ١/ ٢٢٢؛ ومعارف القرآن، للمفتي محمد شفيع ١/ ٢٧٥؛ ومعارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ٥/ ١٥٢).

المعونة: ما يظهر مما يخالف العادةَ لعامة المسلمين، مثل قبول الدعاء بالمطر.

قال الإمام الباجوري: «المعونة، وهي: ما يظهر على يد العوام تخليصًا لهم من شدة».(تحفة المريد، ص٢٢١ . وانظر: حاشية الخيالي على شرح العقائد، ص١٣٩. وشرح المقاصد ٥/ ٧٣)

الرد على المعتزلة، والفلاسفة:

في نص المؤلف هذا ردٌّ على المعتزلة، والفلاسفة النافين لكرامة الولي.

قال الفلاسفة: خلق الله تعالى العادات والأسباب لتؤدي إلى المسبب، فلا يمكن انتفاء المسبب مع وجود الأسباب. وهو خلاف التجربة.

ونحن نقول: تأثير الأسباب أمر أكثري، وليس كليا، مثل: ذو الروح يخرج من ذي الروح، ولكن حشرات الأرض تنشأ عن التراب، والدجاج تخرج من البيض، وأما الدجاج الأول فخرج بقدرة الله تعالى. والحب ينبت بإلقاء البذر في الأرض، وأما الحب الأول فخرج بقدرة الله تعالى. وعادة الملك مع خاصته خاصةٌ، ومع عامة الناس عامة. ومثال المعجزة أن يتخذ الملك ممثلا له، ليبلغ الناس رسالته، فيقول الممثل: ينكر الناس تمثيلي، فيقول الملك: أعطيك هذا القدح الملكي الخاص، فاعرضه عليهم، وقل: هذا قدح الملك أعطانيه، فيقبل الناس تمثيلك.

يعترف المعتزلة بالمعجزة، دون الكرامة، ويقولون: لو سلمنا ظهورالكرامة من الولي اختلطت المعجزة، ولا نميِّز النبي من الولي، ونحن نقول: ظهور الكرامة على يد الولي من بركات اتباع النبي، فالولي متبع للنبي. ويقول الولي بدوره: هذه الكرامة ببركة اتباع النبي. (انظر: شرح العقائد، ص٢٢٦؛ والنبراس، ص٢٩٨-٢٩٩؛ وتحفة المريد، ص٢٥٣؛ وشرح المقاصد ٥/ ٧٢).

قال العلامة عصام الدين: «ويمكن نقض استدلالهم بالسحر؛ فإنه يجري في السحر بأن يقال: لو كان السحر ثابتًا لالتبس بالمعجزة، فيفسد باب إثبات النبوة، فما هو جوابهم عنه فهو جوابنا. وينبغي أن لا يخص إنكار المعتزلة بالكرامة بل بمطلق خارق العادة كرامةً كانت أو استدراجًا». (شرح العلامة العصام على شرح العقائد، ص١٤٠)

وقال محمد بن خليل الهراس: «إنَّ وقوعَ كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصُل لهم إلا ببركة متابعتهم للأنبياء، وسَيرهم على هَدْيهم». (شرح العقيدة الواسطية، للهراس، ص ٢٥٢)

واختلفوا: هل يعلم الولي ولايته أم لا؟ فقيل: لا يعلم، وإلا دخله الكبر. وقيل: يعلم، والكبرياء تخالف الولاية. وإذا كانت الكبرياء معصية، اجتنبها الولي. (مفاتيح الغيب، الكهف:٩-١٢)

الفرق بين المعجزة والسحر:

(١) لا تقوم المعجزة على الأسباب؛ والسحر يخضع للأسباب الخفية.

(٢) ليس في المعجزة تعليم وتعلم، والسحر فيه تعليم وتعلم.

(٣) تظهر المعجزة على يد نبي، والسحر يظهر على يد الفاسق، والفاجر، والكافر.

(٤) تظهر المعجزة مع النبي في كل حال من الأحوال: الغفلة والنوم، واليقظة. وأما السحر فتظهر بالأسباب الخفية، والآلات، فإذا انعدمت هذه انعدم السحر.

(٥) المعجزة تزيد من العبودية لله تعالى، والسحر يزيد الكبر، والضلال، والقرب إلى الشياطين والجن.

(٦) المعجزة فيها دخل لقول الله تعالى، وأما السحر ففيه دخل من الشيطان، أي: المعجزة نور كله، والسحر ظلمة كلها.

(٧) لا يسع تحدي المعجزة، والسحر يسع تحديه، يقول الشاعر الفارسي:

سحر با معجزه پهلو نزند دل خوش دار ۞ سامری چیست زموسی ید بیضا ببرد

(لا تقلق، فإنه لا علاقة للسحر بالمعجزة، مَنِ السامري؟ بأن يأخذ اليد البيضاء من موسى. كلا لا يمكن ذلك). (معارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ٥/ ١٥٣؛ ومعارف القرآن، للمفتي شفيع رحمه الله ١/ ٢٧٧؛ علم الكلام، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، ص ٢٧٨-٢٨١).

ذكر مولانا الرومي قصة مفادها أن السحرة جلسوا على اثنين من كبار سحرتهم يراقبون: هل كانت عصا موسى معجزة أم لا؟ فقيل لهم: انطلقوا إلى العصا حين يكون موسى نائما، فلما تسللوا إلى العصا، انطلقت من مكانها، وتبعت السحرة، فالسحرة أمامها وهي تتبعهم، فعلموا أنها معجزة وليس سحرا.(المثنوي للرومي، الدفتر الثالث، ص٩٩، حكى هذه القصة الشيخ العلامة أنور الشاه الكشميري في فيض الباري٤/ ٣٩٠، والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي في معارف القرآن ٥/ ١٥٣-١٥٥أيضًا).

أدلة الكرامات:

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا﴾ (آل عمران: ٣٧) كرامة من الله تعالى لمريم رضي الله عنها.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾ (الكهف: ٩٦) فسدَّ الإسكندر ذو القرنين الطريق بإفراغ القطر على ما بين الجبلين ،ولم تتوفر حينئذ الآلات الجديدة، فكان كرامة له.

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ (النمل: ٤٠)، من كرامات آصف بن برخيا أن جاء بعرش بلقيس كلمح بالبصر. وقيل: المراد به سليمان نفسه، وهذا مخالف لظاهر الآية الكريمة: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾؛ فإنه تدل على أنه غير سليمان عليه السلام، وإلا لجاء «قال سليمان»، وكرامة الأمة في الواقع من بركات اتباع النبي، ففيه تعظيم أمر سليمان عليه السلام.

قال العلامة الآلوسي: «واختلف في تعيين هذا القائل، فالجمهور ومنهم ابن عباس، ويزيد بن رومان، والحسن على أنه آصف بن برخيا بن شمعيا بن منكيل، واسم أمه باطورا مِن بني إسرائيل». (روح المعاني، النمل: ٤٠، ١٩/ ٤٤٧)

(٤) نام أصحاب الكهف ثلاث مئة سنين، ولم يقل أحد بنبوتهم.

(٥) أرسل عمر رضي الله عنه جيشًا إلى نهاوند وهي في إيران، وأمَّر عليهم سارية بن زنيم رضي الله عنه، وكان عمر رضي الله عنه في المدينة يخطب على المنبر، فقال وهو يخطب: «يا سارية الجبل». فلما قفل الصحابة الذين شاركوا في هذه الغزوة، ذكروا أنهم سمعوا صوت عمر رضي الله عنه. ذكر أبو نعيم هذه الرواية بإسنادين في «دلائل النبوة»، أحدهما: حسن، ويعترف السلفيون بهذه القصة، وذكروها في كتبهم.[1]

(٦) سار خالد بن الوليد إلى الحيرة، فقيل له: احذر أن يسقيك العدو السم، وأفرغ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «أخرجها البيهقي في الدلائل، واللالكائي في شرح السنة، والزين عاقولي في فوائده، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر...ثم قال: هكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وهب، وهو إسناد حسن»

وكذا نقل السخاوي في المقاصد الحسنة عن الحافظ. ونقل ابن كثير هذه القصة في «البداية والنهاية» عن ابن عمر من نفس الطريق وقال بعد ذكرها: «وهذا إسناد جيد حسن». (البداية والنهاية ٧/ ١٤٠)

وذكرها أيضًا: ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٤٠-١٤١) من طُرُق أخرى وقال في آخره: «فهذه طرق يشد بعضها بعضًا». وقد ذكره أيضًا أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٧٩)، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص١٠١). والآجري في «الشريعة» (رقم: ١٣٦٠). وأحمد في «فضائل الصحابة» (رقم: ٣٥٥).

وذكرها أيضًا: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في «إتحاف السائل بما في الطحاوية من المسائل» (ص٦٧٨). والشيخ خالد المصلح في «شرح العقيدة الواسطية» (إيمان أهل السنة بكرامات الأولياء). والشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان في «شرح العقيدة الواسطية» (أنواع الكرامات). والشيخ عبد الرحيم السلمي في «شرح العقيدة الواسطية» (أقسام الكرامات). والشيخ عبد العزيز الراجي في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٨٦). وابن جبرين في «شرح العقيدة الطحاوية» (من كرامات الصحابة).

خالد بن الوليد قنينة السم الزعاف كلها في فيه، ولم يضره شيئًا.

(٧) وفي رواية أخرى: لقي خالد رئيس الحيرة: ابن بقيلة، وعنده قنينة، فسأل خالد: ما هي؟ فقال: قنينة من السم. لا يضع أحد قطرة منه على لسانه إلا أهلكته، فإن فشلت المحادثات تناولت ما فيها، وأهلكت نفسي، فقال خالد: ائتني بها، فشرب كلها، ولم يضره. وفي آخر إسناد هذه الرواية أبو السفر، لم يلق خالد بن الوليد، ولها أسانيد أخرى تؤكد القصة.

روى أبو يعلى بإسناده عن أبي السفر: قال أبو السفر: «نزل خالدُ بن الوليد الحِيْرَةَ على أمر بني المرازِبَة، فقالوا له: احْذَر السُّمَّ لا يَسقِيكه الأعاجمُ، فقال: ائْتُوني به، فأُتِيَ به، فأخذه بيده، ثم اقْتَحَمه، وقال: بسم الله، فلم يضُرَّه شيئًا». (مسند أبي يعلى، رقم:٧١٨٦. وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة في المصنف، رقم:٣٤٤١٩، بتحقيق الشيخ محمد عوامة. والإمام أحمد في فضائل الصحابة، رقم:١٤٧٨، ١٤٨١، ١٤٨٢).

رجال السند ثقات. ولم يدرك أبو السفر سعيد بن يُحمد خالدَ بن الوليد، فالإسناد منقطع. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ٣٨٠٨، ٣٨٠٩) بإسناد آخر، قال الشيخ محمد عوامة في حاشيته على «مصنف ابن أبي شيبة» (١٨/ ٢٥٨): «متصل صحيح». ولكن قال الهيثمي: منقطع. قال العلامة الهيثمي: «رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح وهو مرسل، ورجالهما ثقات إلا أنّ أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد». (مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٠)

للاستزادة منه راجع: «فتاوى دارالعلوم زكريا» (١/ ١٦١-١٦٢).

وفي بعض الروايات: قرأ خالد بن الوليد: «بسم الله خير الأسماء ربِّ الأرض والسماء الذي ليس يضرُّ مع اسمه داء، الرَّحمن الرَّحيم». (البداية والنهاية ٦:٧٤١)

(٨) في شرح العقائد: لما فتحت مصر، قالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك، فبعث عمر كتابًا إلى النيل: إن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله عز وجل يجريك، فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك، قال: فألقى البطاقة في النيل. فأجراه الله عز وجل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة، ولا يزال يجري. (انظر: العظمة، لأبي الشيخ ٤/ ١٤٢٤. وتاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر ٤٤/ ٣٣٧. والبداية والنهاية ١/ ٢٩، وفي إسناده رجل مبهم)

اعتراض بعض السلفين على كرامة الولي، والجواب عنه:

قال بعض السلفيين: لايعلم الولي الكرامة مسبقًا. ولكن هذه القصة دلت على أن عمر رضي الله عنه كان على علمٍ بأن الكرامة ستتحقق، وإلا كان قوله: «يا سارية الجبل»، وكان كتابه إلى النيل هزلًا وعبثًا. نعم كل فعل يخرق العادة- سواء كانت معجزة أو كرامة- فعل إلهي، يظهر على يد نبي أو ولي. كما قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (الأنفال: ١٧)

أساس خطأ السلفين والبريلويين في الكرامة:

يجب أن ننبه على خطأ أساسي، حمل السلفيين والبريلويين على إيقاع الأمة في الإفراط والتفريط فيما يخص الكرامة، فالبريلويون يعتبرونه فعل العبد، ويقولون: إن فلانا تنبأ بالمستقبل فتحقق على وفقه، فكيف لا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم عالم الغيب؟ ويقول السلفيون: إن الكرامات التي يذكرونها لبضعة الأولياء لم تثبت للصحابة الكرام بالمجموع، ولما كانت الكرامة والمعجزة من فعل الله تعالى في الأصل، فمن ذا الذي يسأله: لمَ أظهرها في أولئك أكثر، وفي هؤلاء أقل؟ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣) ألا ترى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخرج من عصاه النور، وخرج النور من عصا صحابيين.

(٩) أخرج مالك بإسناده عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: إنّ أبا بكر الصديق كان نحَلَها جادَّ عشرينَ وسْقًا مِن ماله بالغابَةِ، فلمّا حضرته الوفاةُ قال: والله يا بُنيَّةُ ما مِن الناس أحدٌ أحبَّ إليَّ غنًى بعدي منكِ، ولا أعزَّ عليَّ فقرًا بعدي منكِ، وإني كنتُ نحلتُكِ جادَّ عشرين وسْقًا فلو كنتِ جدَدتِيهِ واحتَزْتِيه كان لكِ، وإنّما هو اليوم مالُ وارثٍ، وإنما هما أخَواكِ وأُخْتاكِ، فاقتسموه على كتاب الله، قالت عائشةُ: فقلتُ يا أبتِ والله لو كان كذا وكذا لتركتُه إنّما هي أسماءُ، فمن الأخرَى؟ فقال: ذو بطن بنتِ خارِجةَ أراها جاريةً». (الموطأ للإمام مالك، رقم:٢٧٨٣)

فتحقق ذلك. وكان أبو بكر رضي الله عنه أُلْهِمَ ذلك، وهو كرامة له. فلو لم يكن أبوبكر على علم به لكان هزوا. وليس هذا من باب علم الغيب، وإنما هو علمٍ بواقعة بعينها، وليس مفتاحًا لعلم الغيب وعلم الغيب الكلي، فعلم الغيب خاص بالله تعالى.

(١٠) سار سعد رضي الله عنه لفتح المدائن، فكسر أهل فارس الجسر على نهر دجلة، وأبعدوا السفن، ونصبوا الحرس الشديد على الشاطئ، ليمنع جيش المسلمين من الدخول إلى المدائن. ولما بلغ سعد رض الله عنه نهرَ دجلة، لم يجد السفن، ولا الجسر، وكان النهر كثير المدود، فقام سعد رضي الله عنه خطيبًا في الناس، وأمر الجيش بإلقاء الخيول في النهر، وأمرهم أن ينزلوا النهر، ويقولوا: «نستعين بالله، ونتوكّل عليه، حسبُنا الله، ونعم الوكيل، والله لَينصُرنَّ اللهُ وليَّه، وليظهرنَّ دينَه، ولَيهزِمنَّ عدوَّه، لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيمِ». فلما رأى العدو عبورهم البحر بالبساطة أسلموا وهرب بعضهم وهو يقول: لقد أتى الغول. وقتِل من قاتلهم. وسقط قدح لمالك بن عامر فحزن، ثم ألقاه البحر إلى الساحل فأخذه. (انظر: الكامل ٢/ ٣٥٨، ذكر فتح المدائن التي فيها أيوان كسرى. والبداية والنهاية ٧/ ٧٠. وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٥٧٣، فتح المدائن)

(١١) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثا، وأرد فيها ثلثه».(صحيح مسلم، باب الصدقة في المساكين، رقم: ٢٩٨٤)

(١٢) أراد عقبة بن عامر أن يبني مدينة القيروان- وهي أجمة عظيمة-للمسلمين، فقالوا: هذه غيضة كثيرة السباع والهوام، وكان عقبة مستجاب الدعوة فجمع من كان في عسكره من الصحابة، وكانوا ثمانية عشر نفسًا، ونادى: أيتها السباع والحشرات، نحن أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ارحلوا عنا فإنا نازلون فمن وجدناه بعد قتلناه! فرأى الناس ذلك اليوم عجبًا لم يروه قبل ذلك، وكان السبع يحمل أشباله، والذئب أجراءه، والحية أولادها وهي خارجة سربًا سربًا، فحمل ذلك كثيرًا من البربر على الإسلام. (معجم البلدان ٤/ ٤٢١. آثار البلاد وأخبار العباد ١/ ٢٤٢. نهاية الأرب ٢٤/ ٢٣)

(١٣) عن أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم -أحدهما عباد بن بشير، والآخر أسيد بن حضر- خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما- أي كان يخرج من عصيهما النور- فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله. (صحيح البخاري، باب إدخال البعير في المسجد للعلة، رقم: ٤٦٥).

(١٤) ذات يوم خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم فقال: قم إلى هذه النار فقال: يا أمير المؤمنين من أنا؟ وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه قال: وتبعتهما فانطلقا إلى النار قال: فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها وجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير. (دلائل النبوة لأبى نعيم الأصفهاني، رقم: ٥٣٤. دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٨٠. تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ٣٤٤)

ذكر الشيخ بدر عالم الميروتي أمثال هذه القصص معزوة إلى الكتب المعتبرة. للاستزادة راجع: «ترجمان السنة» ٤/ ٣٣٣-٣٣٧١.

ذكر الكرامة في بعض كتب العلامة ابن تيمية رحمه الله:

قال العلامة ابن تيمية في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم: «وهذا ما جرى غير مرة له ولأمته من الآيات ما يطول وصفه، فكان بعض أتباعه يحيي اللهُ له الموتى من الناس والدواب، وبعض أتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحرحتى يعبروا إلى الناحية الأخرى، ومنهم من أُلقِي في النار فصارت عليه بردًا وسلامًا، وأمثال ذلك كثير». (الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، ص٤٠٢)

كما قال في «النبوات»: «وقد يمشي على الماء قوم بتأييد الله لهم، وإعانته إياهم بالملائكة، كما يحكى عن المسيح، وكما جرى للعلاء بن الحضرمي، ولأبي مسلم الخولاني في عبور الجيش، وذلك إعانة على الجهاد في سبيل الله، كما يؤيد الله المؤمنين، ليس هو من فعل الشيطان». (النبوات ٢/ ١٠٠٢)

عن عبد الله قال: «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفًا. كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقَلَّ الماءُ فقال: «اطلُبوا فَضْلَةً مِن ماءٍ» فجاءُوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ

فأدخل يدَه في الإناء، ثم قال: حيَّ على الطَّهُور المُبارَكِ، والبركةُ من الله». فلقد رأيتُ الماءَ يَنبُع من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيحَ الطعام وهو يُؤكَل».
(صحيح البخاري، رقم: ٣٠٧٩)

بعض كرامات العلامة ابن تيمية ذكرها بعض أخص أصحابه:

يحسن بنا أن نتعرج على كرامات العلامة ابن تيمية التي ذكرها أخص أصحابه، لأولئك الذين يحملون عقلية مصابة بالسلفية.

ألف عمر بن علي بن موسى البغدادي البزار –من أخص تلامذة العلامة ابن تيمية رحمه الله– رسالة في مناقبه سماها «الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، تم نشرها من القصيم في السعودية، ومن لبنان، اختصت الرسالة بابًا بكراماته، نسوق كرامتين منها:

١- جرى بين بعض تلامذة الشيخ حوار في مسألة من المسائل، ولما حضر الشيخ في اليوم التالي شرح مسألة مسألة وما يرد عليها وما يجاب به عنه، ولم يذكر التلامذة للشيخ ذلك، وإنما كشف له كشفا.

٢- كرامة أخرى: سافر الشيخ الصَّالح المقريء أحْمد إلى دمشق، ولم يكن يعرف أحدا من أهلها فجعل يمشي في زقاق منها كالحائر، فإذا بشيخ قد أقبل نحوه مسرعًا فسلم وهش في وجهه ووضع في يده صرة فيها دراهم صالحة. و كأنَّه ما جاء إلا من أجله. قال: قلت لبعض من رأيته من النَّاس: من هذا الشيخ فقال: وكأنك لا تعرفه، هذا ابن تيمية. قال صالح: وكان يتعاهدني فيما بعد.

فكأنه قصة من قصص كشف الصدور، وليس هذا من علم الغيب، فإنه يحصل أحيانا بإذن الله تعالى.

هذه القصص تبدأ من ص ٥٦ من الأعلام العلية من طبعة لبنان.

١١٢- وَنُؤْمِنُ بِخُرُوْجِ الدَّجَّالِ[١]، وَنُزُوْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنَ السَّمَاءِ[٢]، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا[٣]، وَيَأْجُوْجَ وَمَأْجُوْجَ وَسَائِرِ عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيْحَةُ[٤].

خمس من علامات الساعة الكبرى:

نؤمن بأشراط الساعة التي ورد بها القرآن والسنة. ذكر المؤلف خمسًا من علامات الساعة الكبرى، التي تشتمل على خرق العادة.

١- بلغت الأحاديث الخاصة بخروج الدجال التواترَ، وروى البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديثِ الأحاديثَ الخاصة بصفاته وأحواله مفصلةً.

٢- كذلك بلغت الأحاديث الخاصة بنزول عيسى عليه السلام التواترَ، ولا يسع تأويلها.

٣- وروى أبو هريرة رضي الله عنه فيما يخص طلوع الشمس من مغربها في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ (الأنعام: ١٥٨) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها» ثم قرأ الآية. (صحيح البخاري، رقم:٤٦٣٦. صحيح مسلم، رقم:١٥٧)

٤- ورد ذكر خروج دابة الأرض في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢)

---

(١) في ١ «نؤمن بأشراط الساعة، منها: خروج الدجال». وفي ٦، ١٩ «... وخروج الدجال». وفي ١٦، ٣٣ «... من خروج الدجال». وفي ١٧ «... بخروج الدجال». والمثبت من بقية النسخ. وفي ١٤ بعده زيادة «ونستعيذ بالله منه». وفي ١٢ بعده زيادة «اللعين». وفي ٢٨ بعده زيادة «الأعور العين». والمفهوم سواء.

(٢) في ٦، ١٩ بعده زيادة «وبخروج يأجوج ومأجوج».

(٣) قوله «من موضعها» سقط من ٢. والمثبت من بقية النسخ. وفي ٣١ بعده زيادة «ويأجوج ومأجوج وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة». ولا يتغير المفهوم.

(٤) قوله «ويأجوج ومأجوج» إلى قوله «الأخبار الصحيحة» أثبتناه من ٣١. وهذا تفصيل حسن. وهو ساقط من بقية النسخ.

٥- نزل القرآن الكريم بخروج يأجوج ومأجوج، قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٦)

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرًا من علامات الساعة الكبرى في سياق واحد: عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم». (صحيح مسلم، رقم: ٢٩٠١)

الدخان: هو الدخان الذي ينتشر قرب الساعة، فيأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيخرج من منخِرَيه، وأذنه، ودبره.

يرى ابن مسعود رضي الله عنه أن هذه العلامة – الدخان- قد مضى، حين أصاب الكفار قحط، فدارت رؤوسهم، وينظر الرجل إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد. ويرى جمهور أهل العلم أن علامة الساعة هذه ستأتي قرب الساعة. وجمع بعض أهل العلم بين القولين أن علامة الدخان قد مضت، وستأتي أيضًا. للاستزادة منه راجع: شروح الحديث، وخاصة: «تكملة فتح الملهم» (٢/ ١٣٢).

وأفرد غير واحد من أهل العلم أشراط الساعة بكتب مختصرة ومفصلة، منها: «أشراط الساعة» ليوسف الوابل، و«صحيح أشراط الساعة» لمصطفى شلبي، و«الإذاعة» لمحمد صديق الغماري، و«اليوم الآخر» لسليمان الأشقر. وألفوا في اللغة الأردية أيضًا كتبا عدة حول أشراط الساعة.

معنى الدجال:

خلاصة معنى الدجال: تلميع الباطل بالحق، وتغطية الحق. ويزخرف الدجال أفعاله الباطلة بالحق، ويضلل به الناس. وقبل ظهور الدجال، تسلك جماعته سيرته فتروج الباطلَ بتمويه بالحق. فتمويه مودة الروافض بالتصريحات المناوئة لهم، وتمويه باطل إزالة الخلافة

العثمانية بحب العرب وموالاتهم، وتمويه باطل الديون الربوية للمسلمين بالمساعدات، وتمويه باطل الاستيلاء على موارد العرب بادعاء تواجد الأسلحة النووية ومظالم القذافي. وتمويه باطل القضاء على حجاب النساء بادعاء انتهاك الحقوق الإنسانية، وتمويه باطل مواصلة مظالمهم واضطهادهم باتهام مخالفيهم بالإرهاب، وتمويه باطل التقليل من كثافة المسلمين السكانية بحجاب من تنظيم الأسرة، وتمويه محافل الضلال بحجاب مزين من الفنون اللطيفة. كذلك يموه الدجال شخصيته وبعض أعماله الخارقة للعادة بمزاعم الألوهية وادعاء الحق.

سبب تسمية الدجال بالمسيح:

يدعى الدجالُ بالمسيح أيضًا، ومسيح الوجه: من ليس في جانب من وجهه عين ولا حاجب. والدجال ممسوح العين، أي: أعور، أو لأنّه يمسح الأرض. (فتح الباري ٦/ ٤٧٢، و١٣/ ٩١. والنهاية في غريب الحديث والأثر (م س ح). ومرقاة المفاتيح ١٠/ ١٨٤، و١٨٧-١٨٨).

ستة أنواع من الخلق: ثلاثة مفردة، وثلاثة مركبة:

يرى كاتب هذه السطور أن الله تعالى خلق ستة أنواع من الخلق، ثلاثة منها مفردة، وثلاثة مركبة. فالمفردات: ١- الإنسان. ٢- الملائكة. ٣- الجن. تفيد الأحاديث النبوية أن البشر خلقوا من الطين، والملائكة من النور، والجن من النار.

وثلاثة أنواع أراها في البرزخ، هي:

الخضر عليه السلام:

الخضر ملك، لكنه مثل الإنسان، اختاره الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي في «حل القرآن». وراجع الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله هذا التفسير، وقرظ له. (حل القرآن ٢/ ٢).

قال الشيخ حبيب أحمد الكيرانوي: «سأذكر أمورا في هذا الصدد: الأول: سماه الحديث النبوي بالخضر، ولم يصرح القرآن الكريم ولا الحديث النبوي بأنه بشر، أو ملك. فلا يستبعد أن الله تعالى أرسل ملكا في صورة بشر، والأمور التكوينية متعلقة بالملائكة».

ثم قال: «وإن كان بشرا، كما هو المشهور، ولكنه لا دليل عليه».(حل القرآن ٢/ ٢).

وتقريظ الشيخ العلامة أشرف علي التهانوي له طبع في أوله، جاء فيه: «اطلعت على هذا التفسير حرفًا حرفًا من أوله إلى آخره». ثم ذكر الشيخ له عشر خصائص، واعتبره مفيدًا لعامة الناس وخاصتهم.

وإنما أوضحنا هذا الأمر؛ لأن أبا الأعلى المودودي أيضًا جعله ملكًا، وألف الشيخ المفتي عزيز الرحمن البجنوري كتابًا سماه «تقصيرات تفيهم»، تعقب فيه بعض مواضع من تفسير مولانا المودودي، وطعن في القول بأن الخضر ملك، وهذا الطعن يستغرق ١٧٥-١٨١ صفحة منه، ولم نتبع الشيخ المودودي، وإنما اخترنا هذا القول في ضوء كتاب «حل القرآن» وأدلة أخرى.

أما أنه طلب الطعام، فلا شك فيه، ولكن لم يثبت أكله من الطعام. ومما يؤيد ذلك قصة سفر الإمام أحمد مع الخضر للحج، وهو أن الإمام أحمد كان يتناول أطايب الطعام ولايتناول منها الخضر.

قال القاضي أبو يعلى في «طبقات الحنابلة»: «قال أبو الطيب: قال لي أبو القاسم البغوي، قال لي أحمد بن حنبل: خرجت أشيع الحاج إلى أن صرت في ظهر القادسية فوقع في نفسي اشتياق الحج ففكرت فقلت: بماذا أحج وليس معي إلا خمسة دراهم، أو قيمة ثيابي خمسة،- شك الراوي - فإذا أنا برجل قد عارضني وقال: يا أبا عبد الله اسم كبير ونية ضعيفة، عارضك كذا وكذا؟ فقلت: كان ذاك، فقال: تعزم على صحبتي؟ فقلت: نعم فأخذ بيدي وعارضنا القافلة فسرنا بسيرها إلى وقت الرواح وهو بين العشاء والعتمة ونزلنا، فقال: تعزم على الإفطار؟ فقلت: ما آبى ذلك، فقال: لي قم فأبصر أي شيء هناك فجيء به، فأصبت طبقا فيه خبز حار، وبقل، وقصعة فيها عراق يفور، وزق فيه ماء، فجئت به وهو قائم يصلي، فأوجز في صلاته فقال: يا أبا عبد الله! كل، فقلت: فأنت؟ فقال: كل ودعني أنا، فأكلت وعزمت على أن أدخر منه، فقال: لي يا أبا عبد الله إنه طعام لا يدخر، فكان هذا سبيلي معه كذلك، فقضينا حجنا وكان قوتي مثل ذلك حتى وافينا إلى الموضع الذي أخذني منه، فودعني وانصرف.

فقال: أبو الطيب للبغوي- رواي القصة: أتعرف الرجل؟ فقال: أظنه الخضر عليه السلام». (طبقات الحنابلة ١/ ١٩١-١٩٢)

أقول: إن لم يكن هو الخضر، فمن الصعوبة بمكان العيش هذه المدة الطويلة من غير طعام.

والمراد بالرحمة في قوله تعالى:﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ الوحي، ويطلق عليه «العلم اللدني»﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥)

وتنحل عما ذكرنا مشكلة حياته، ويزول العجب من لقائه أولياء الله إذا اعتبرناه من الملائكة. والله أعلم.

ويؤيده قصة موسى مع الخضر وهو أن الخضر خرق السفينة، ولم يرَ الركاب هذا التصرف الملكي، وإلا صاحوا، وضربوه، وفصل رأس الصبي، ولم يره الصبيان، وإلا صرخوا وصاحوا بقتل زميلهم، و ضربوه. وأقام الجدار، وهو يسيرٌ على الملك لكونه ملكًا، وثمة شواهد أخرى ليس هذا موضع بسطها. و لو سلمنا الأمر على هذا انحلت معضلة بقائه إلى قيام الساعة تلقائيا؛ فإن الملائكة يحيون إلى قيام الساعة.

الدجَّال:

الدجال في الأصل جني وشيطان، ولكن أشبه بالإنسان، أي: هو كالبرزخ، روي أنه من الجن عن كل من جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وأبي نعيم –شيخ الإمام البخاري– وغيرهم. قال محمد رسول البرزنجي: «وعليه فإما أنه شيطان موثق في بعض الجزائر، أو هو من أولاد شق الكاهن المشهور، أو هو شق نفسه، وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولد شقا». (الإشاعة لأشراط الساعة، ص ٢٥٨)

روى الإمام أحمد في «مسنده» أن عيسى عليه السلام يقول للمسلمين: قاتلوا الدجال، فيقولون: هذا جني، يصعب مقاتلته؛ «ثم يَنزِل عيسى بن مريم فيُنادي مِن السَّحَر فيقول: يا أيها الناسُ! ما يمنعكم أن تَخرُجوا إلى الكذَّاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجلٌ جِنِّيٌّ...». الحديث. (مسند أحمد، رقم:١٤٩٥٤. وشرح مشكل الآثار، رقم:٥٦٩٤ . قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم)

وإذا كان الأمر كذلك لم يرد ما أورده مولانا المودودي بأن الناس زاروا جزرا عدة، ولم يعثروا على الدجال. يرى مولانا المودودي أن الروايات الخاصة بالدجال –بما فيها رواية تميم الداري رضي الله عنه– قائمة على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم. ونحن نقول: ذكر النبي

صلى الله عليه وسلم قصة تميم الداري على المنبر، ثم لم ينزل الوحي بما يعارضه، كانت القصة قائمة على الوحي. وقد صرح المودودي برأيه في «رسائل ومسائل» ج٣.

إذا كان الدجال مزيجا من الجن، أو هو جني، كان ظهوره على تميم الداري خرقًا للعادة. والأصل خفاؤه. ويكثر ظهور العجائب قرب الساعة فيخرج الدجال، وتظهر عجائب كثيرة أخرى.

لو قلنا: إنه جني مشابه بالإنس، انحلت مشكلة اختلاف الروايات في صورته بكل يسر. فقد وردت روايات بأن طوله ٤٠ ذراعًا، وأخرى بأنه قصير القامة. وفي بعضها: أعور اليمنى، وفي بعضها أعور اليسرى. ومعه جند الشيطن. هذه القرائن كلها تفيد أنه جني في الأصل، يظهر في صورةٍ حينا، وفي أخرى حينًا آخر، نعم يعجز عن إزالة ما في عينه من العيب، ويخرج قرب الساعة في صورة الإنسان تمامًا. والروايات التي تفيد أن الدجال يقتل الخضرَ، ثم لا يقدر على قتله مرة أخرى، يؤخذ منها أن الدجال من المخلوقات البرزخية، والخضر أيضًا منها، فيقتله بدءًا، ثم يغلب البرزخيُّ الملكيُّ.

ورد في الدجال حديث يفيد أن حماره –مركبه– يضع إحدى قدميه على بعد ثلاثة أيام، أي: يقطع في ثانية واحدة مسافة (٨٢) كم. وتوجد في البحر الكاهل «الجزُرُ الشيطانية» وفي بحر الأوقيانوس «برمودا» حيث فقدت عدد من السفن البحرية والطائرات. وفي «برمودا» أكثر مما في «الجزر الشيطانية». و شوهدت بها عدة صحون طائرة. واحتفظ علماء الطبيعة أشعتها، وقالوا: لو ألقيت هذه الأشعة في سيارة ازداد سيره مئات آلاف ضعف. وغير بعيد أن يكون واحد من هذه الأمكنة وهو «برمودا» مقر الشيطان ودار إمارته، ونصب عليه الشيطان سريره، وفي المكان الآخر سجن الدجال أو مقره. وللاستزادة من الدجال تجدر مطالعة كتاب «الدجال» لأخينا أبي لبابة شاه منصور.

مَن ابن صياد؟ صحابيٌّ أو تابعيٌّ أو الدجال الأكبر، أو منافق، أو دجال من الدجاجلة؟:

اسم ابن صياد ونسبه:

اسمه «صاف»، يكنى بـ أبي يوسف، ويلقب بـ عبد الله، أو أنه سمى نفسه بعبد الله بعد

أن أظهر إسلامه. ولد ابن صياد في المدينة، وأبواه يهوديان، قال الإمام القرطبي: «اسمه صاف، ويكنى أبا يوسف». (التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص١٣١٧، ط: دار المنهاج)

وقال ابن كثير: «وقد كان ابن صياد من يهود المدينة، وقيل: كان من الأنصار. واسمه عبد الله، ويقال: صاف. وقد جاء هذا وهذا، وقد يكون أصل اسمه صاف، ثم تسمى لما أسلم بعبد الله». (البداية والنهاية ١٩/ ٢٠٤، ط: هجر)

كان ابن صياد يذكر الأحاديث الصادقة والكاذبة شأن الكهنة في صباه. لقيه النبي صلى الله عليه وسلم في صباه، فادعى الرسالة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم. عقد الإمام أبو داود «باب خبر ابن صياد»، وساق فيه حديثًا ملخصه: أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بابن صائد في نفر من أصحابه، فيهم عمر بن الخطاب، وهو يلعب مع الغلمان عند أطم بني مغالة، وهو غلام، فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده، ثم قال: «أتشهد أني رسول الله؟» قال: فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، ثم قال ابن صياد للنبي صلى الله عليه وسلم: أتشهد أني رسول الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «آمنت بالله ورسله»، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ما يأتيك؟» قال: يأتيني صادق وكاذب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خلط عليك الأمر»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني قد خبأت لك خبيئة» وخبأ له: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ (الدخان: ١٠)، قال ابن صياد: هو الدخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخسأ، فلن تعدو قدرك»، فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لي فأضرب عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يكن فلن تسلط عليه - يعني الدجال - وإلا يكن هو فلا خير في قتله». أي: نحن على عهد مع اليهود، فلم يقتل حتى بعد أن بلغ الحلم. ثم تظاهر بالإسلام فيما بعد.

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال لي ابن صائد: وأخذَتْني منه ذَمامةٌ: هذا عذرتُ الناسَ، ما لي ولكم؟ يا أصحاب محمد! ألم يقل نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنه (أي: الدجال) يهوديٌّ» وقد أسلمتُ،... وقيل له: أيسُرُّكَ أنك ذاك الرجل؟ (أي: الدجال)، قال: فقال: لو عُرِض عليَّ ما كرهتُ. (صحيح مسلم، رقم:٢٩٢٧)

وحكى شراح الحديث عن العلامة الخطابي قوله في ابن صياد: مات في المدينة. قال

العلامة الخطابي: «مات ابن صياد في المدينة، وصلى الناس عليه، وكُشِف عن وجهه ليراه الناس». (معالم السنن شرح سنن أبي داود ٤/ ٣٢٣)

وضعَّفه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٤٩) بقوله: «وهذا يُضَعِّف ما تقدم أنه مات بالمدينة وأنهم صلوا عليه وكشفوا عن وجهه».

وروى أبو داود في «سننه» عن جابر رضي الله عنه بإسناد صحيح، أن ابن صياد فقِدَ في واقعة الحرة حين بعث يزيد البعث إلى المدينة لقتال الذين نقضوا البيعة. والظاهر أنه مات في هجمة جيش يزيد.

عن جابر رضي الله عنه، قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة.(سنن أبي داود، رقم:٤٣٣٢. قال الشيخ شعيب الأرناؤوط:«حديث صحيح وهذا إسناد قوي».(٦/ ٣٨٩)

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأحوال الدجال بالوحي في أول الأمر، ولم يعين شخصه بالوحي، فيحتمل أن ابن صياد هو الدجال.

قال العلامة النووي في شرح صحيح مسلم: «قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولاغيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه: «إن يكن هو فلن تستطيع قتله». (شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٤٦)

واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قص على الناس على المنبر قصة تميم الداري أنه ركب البحر فتاهت به سفينته، فسقط إلى جزيرة، فلقيه بها الجساسة، وأبت الجساسة ذكر التفاصيل، وأرشدهم إلى الدجال الموثق في الجزيرة، فلقوا الدجال، فسأل أسئلة، فأجابوا عنه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدجال في بحر الشام، أو بحرِ اليمن». ثم قال: بل في جانب الشرق.(صحيح مسلم ، رقم:٢٩٤٢)

وبما أن الدجال –على قول بعض أهل العلم– من ذرية الجن، فلا يرى. ثم أري رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين الكشف في بحر الشام، وبحر اليمن، ثم أريه آخر مستقره وهو الشرق حيث يخرج منه، فقال: يخرج من الشرق، ويفسد في الأرض.

اختلفت الروايات في كتب الحديث عن ابن صياد، فاختلفت أقوال أهل العلم فيه،

ونسوق هذه الأقوال مرتبة، وانظر في ضعفها وصحتها في ضوء الأدلة.

١- ابن صياد صحابي:

عدَّه ابن جرير الطبري-المتهم بالتشيع- وابن شاهين من الصحابة، وهو باطل.

قال أبو العباس القرطبى: «ذكره ابن جرير وغيره في الصحابة». (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (م:٦٥٦ هـ) ٧/ ٢٦٩-٢٧٠، ط: دار ابن كثير)

وقال محمد الأمين الشافعي: «ذكره الطبري وغيره في عداد الصحابة». (الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٦/ ٢١٤، ط: دار المنهاج)

وقال العلامة العيني، وابن الملقن: «وأورده ابن شاهين في الصحابة، وقال: هو عبد الله بن صياد، كان أبوه يهوديًّا فولد عبد الله أعور مختونا».(عمدة القاري ٢٢/ ١٩٩. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن ٢٨/ ٥٨٩)

وقال الحافظ ابن حجر وهو يرد هذا القول: «لم يثبت أنه أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل في حدِّ الصحابي...، وفي الجملة لا معنى لذكر ابن صيّاد في الصحابة، لأنه إن كان الدجال فليس بصحابي قطعًا، لأنه يموت كافرًا، وإن كان غيره فهو حال لقيه النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مسلمًا». (الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ١٤٩، ترجمة عبد الله بن الصائد).

ملحوظة: لم يرد ترجمة عبد الله بن الصائد في بعض نسخ «الإصابة». وتوجد في النسخة المطبوعة من دارالجيل، ودار الكتب العلمية بيروت.

أدلة أخرى في ردِّ هذا القول ستأتي لاحقًا.

٢- ابن صياد تابعيٌّ:

عدَّ بعضهم ابن صياد في التابعين، وقيل: أسلم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن الملقن في شرح صحيح البخاري: « قيل أنه أسلم، قاله الداودي... وقيل: إنه الدجال ثم أسلم فهو تابعي له رؤية». (التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٨/ ٥٨٩-٥٩٠)

ساق العلامة العيني نص ابن الملقن هذا في «عمدة القاري» (٢٢/ ١٩٩).

قال الحافظ ابن كثير: «وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد، وأن ابن صياد كان دجالًا من الدجاجلة، ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام، والله أعلم بضميره وسيرته».(النهاية في الفتن والملاحم ١/ ١٧٣. البداية والنهاية ١٩/ ٢٠٤)

وقال الملا علي القاري: «كان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة ويكذب مرارًا، ثم أسلم لما كبر وظهرت منه علامات من الحج والجهاد مع المسلمين، ثم ظهرت منه أحوال، وسمعت منه أقوال تشعر بأنه الدجال. وقيل: إنه تاب ومات بالمدينة. وقيل: بل فقد يوم الحرة...». (مرقاة المفاتيح، باب قصة ابن صياد)

والقول بأن ابن صياد تابعي غير صحيح أيضًا؛ لأنه نطق بالكفر عند أبي سعيد الخدري، كما في «صحيح مسلم»، رقم:٢٩٢٧، ولا دليل على حسن حاله في الأخير.

٣- ابن صياد دجال أكبر:

ذهب عمر، وابن عمر، وجابر رضي الله عنهم من الصحابة إلى أن ابن صياد هو الدجال، كما في «سنن أبي داود». وكانوا يحلفون على أنه الدجال. ولكن بعد حديث تميم الداري، أي: بعد أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصته على المنبر وتصديقه إياها ثبت أن ابن صياد ليس الدجال الأكبر. نعم هو دجال من الدجاجلة؛ لكهانته الشيطانية.

إنما اعتبر بعضهم ابن صياد دجالًا؛ لأن عمر رضي الله عنه حلف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم على أنه الدجال، ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

عن محمد بن المنكدر، قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله: أن ابن الصائد الدجال، قلت: تحلف بالله؟ قال: «إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم، فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم».(صحيح البخاري، رقم:٧٣٥٥)

والجواب عنه أن عدم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم ذكر في أول الأمر بعض صفات الدجال، اتصف ببعضها ابن صياد، فشك في أن ابن صياد هو الدجال. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: «إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله».(صحيح البخاري، رقم:١٣٥٤)

ثم أخبرَ النبي صلى الله عليه وسلم عن المسيح الدجال ومقره وسجنه، وقص تميم الداري عليه صلى الله عليه وسلم ما شاهده بأم عينيه، على وفق ما أوحي إليه صلى الله عليه وسلم، روى مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الناس ثم قال بعد الصلاة: «إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيًّا، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافقَ الذي كنت أحدثكم عن مسيح

الدجال،... ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن». (صحيح مسلم، رقم:٢٩٤٢، باب قصة الجساسة)

وكان ابن صياد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وتوفي عام ٦٠هـ، في المدينة نفسها.

قال الملا علي القاري: «لعل عمر أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون، فيدعون النبوة، أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم، لا أنه المسيح الدجال، لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تردد، حيث قال: «إن يكن هو، وإن لم يكن هو»، ولكن فيه أن الظاهر المتبادر من إطلاق الدجال هو الفرد الأكمل، فالوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن، والله تعالى أعلم. ثم رأيت شارحًا قال: «قوله: فلم ينكره؛ لأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف أنه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله: «يخرج في أمتي دجالون كذابون قريبا من ثلاثين»، وابن صياد لم يكن خارجًا من جملتهم، لأنه ادعى النبوة بمحضر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن حلف عمر رضي الله تعالى عنه مخالفًا للحقيقة، أو يريد أن فيه صفة الدجال، والله تعالى أعلم بالحال». (مرقاة المفاتيح، كتاب الفتن، باب قصة ابن صياد)

٤- ابن صياد دجال من الدجاجلة، ومنافق:

قال الأكثرون: ابن صياد دجال من الدجاجلة، ومنافق. وهذا القول صحيح؛ لأنه تظاهر بالإسلام وأظهر الكفر. قال ابن صياد لأبي سعيد الخدري تأكيدًا لإسلامه: «يا أصحاب محمد ألم يقل نبي الله صلى الله عليه وسلم: «إنه (أي: الدجال) يهودي»، وقد أسلمتُ...»، ثم قيل له: «أيسُرُّك أنك ذاك الرجل (أي: الدجال؟) فقال: لو عُرِضَ عليَّ ما كرهتُ». (صحيح مسلم، رقم:٢٩٢٧) كأنه مع تأكيد إسلامه يحب أن يكون كافرًا ودجالًا أكر.

قال أبو العباس القرطبي: «وما لبس به من أنه مسلم فسيكفر، أو هو منافق كافر في الحال، وحجه وغيره محبط بكفره، أو لعله كان ذلك منه نفاقًا». (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٣/ ١٠٧)

وقال محمد أمين الشافعي: «وما لبس به من أنه أسلم فقد يكفر فيما يستقبل، أو يكون إسلامه تقيةً، وهو منافق». (الكوكب الوهاب شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢٦/ ٢١٤)

وقال الحافظ ابن حجر: «أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر صلى الله عليه وسلم بخروجهم، وقد

خرج أكثرهم، وكان الذين يجزمون بابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدًّا». (فتح الباري ١٣/ ٣٢٦)

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالًا كلهم، يكذب على الله ورسوله». (مسند أحمد، رقم:٩٨١٨، وهو حديث صحيح). ولاشك أن ابن صياد واحد من الدجاجلة الثلاثين، فقد ادعى النبوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ابن صياد دجال من الدجاجلة، ومنافق، لا الدجال الأكبر:

فيما يلي بعض الأدلة على أن ابن صياد ليس الدجال الأكبر:

١- ظهور الدجال من أشراط الساعة الكبرى، وهو في آخر الزمان؛ «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات -فذكر- الدخان، والدجال، والدابة...». (صحيح مسلم، رقم:٢٩٠١) وقد وُلِد ابن صياد في المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- يُقتل الدجال على يد عيسى عليه السلام قرب الساعة؛ «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد». (سنن الترمذي، رقم:٢٢٤٤، قال الترمذي: هذا حديث صحيح) وقد مات ابن صياد في المدينة المنورة عام ٦٠هـ.

٣- ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الدجال وصفاته بكل صراحة، مثلا: «ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر». (صحيح البخاري، رقم:٧١٣١) ولم يتصف ابن صياد بهذه الصفات.

٤- قال النبى صلى الله عليه وسلم: «هو عقيم لا يولد له». (صحيح مسلم، رقم:٢٩٢٧). وولد ابن صياد، وهو عمارة بن عبد الله بن الصياد من الأفاضل وثقات التابعين، وشيخ الإمام مالك، وكان مالك يحترمه كثيرًا. قال ابن حجر: «وكان مالك بن أنس لا يقدم عليه في الفضل أحدًا». (تهذيب التهذيب ٧/ ٤١٩)

٥- أفاد الحديث النبوي أن الدجال لا يدخل المدينة؛ «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة، والمدينة». (صحيح البخاري، رقم:١٨٨١)، وابن صياد وُلِدَ في المدينة، وحج إلى مكة؛ «قال ابن صياد: وقال (النبي صلى الله عليه وسلم): «إن الله قد حرم عليه مكة» وقد حججتُ». (صحيح مسلم، رقم:٢٩٢٧).

٦- في حديث تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأنه مقيد في جزيرة من

الجزر البحرية: «ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن».(صحيح مسلم، رقم:٢٩٤٢)، وكان ابن صياد حينئذ بالمدينة، واستقر إلى عام ٦٠هـ.

وأما قول ابن حجر: «يحتمل أن يكون ابن صياد شيطانًا تبدى مرة في صورة ابن صياد للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي صورة الدجال حينا لتميم الداري» فلا يصح؛ لأن والدي ابن صياد يهوديان ومن البشر من سكان المدينة، وولدُ ابن صياد: عمارةُ من أجلة التابعين، وشيخ الإمام مالك. ومن المستحيل أن يكون الوالد شيطانًا، وأولاده مسلمون من أجلة التابعين.

قال الحافظ: «وأقرب ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم وكون ابن صياد هو الدجال أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقًا وأن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان فاستتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدر الله تعالى خروجه فيها».(فتح الباري، ١٣/ ٣٢٨). ويتوجه عليه الإيراد السابق.

٧- «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم». (صحيح مسلم، رقم:٢٩٣٧) وكان ابن صياد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعده، ولم يتعرض له أحد.

٨- ورد عن الدجال أنه يظهر منه أمور عدة تخرق العادة؛ «ومعه جبال من خبز، والناس في جهد إلا من تبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه، نهر يقول الجنة، ونهر يقول النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة، فهو النار، ومن أدخل الذي يسميه النار، فهو الجنة، قال: ويبعث الله معه شياطين تكلم الناس، ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها فيما يرى الناس، لا يسلط على غيرها من الناس، ويقول: أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب». (مسند أحمد، رقم: ١٤٩٥٤،وإسناده صحيح على شرط مسلم).

ولم يظهر شيء من هذه الأمور على يد ابن صياد.

خلاصة القول أن ابن صياد منافق، وكاهن، وكذاب، ودجال من الدجاجلة. وليس الدجال الأكبر، ولا من الصحابة، أو التابعين.

ويرد عليه أنه إذا كان ابن صياد من المنافقين، واستمر حتى عام ٦٠هـ، هل يستمر النفاق أو المنافق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

هل يستمر النفاق، أو المنافق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟:

إيراد: روى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه أنه لا يبقى المنافق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلفظ: «إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان». (صحيح البخاري، رقم: ٧١١٤)

أجاب عنه الشراح من ثلاثة وجوه:

١- بما أن المنافق وُلِدَ على الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس منافقًا؛ بل مرتد.

٢- سماه الناس فيما بعد بـ «الزنديق».

٣- كان من الصعوبة بمكان إظهار الكفر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لجلاله ورعبه، فسمي منافقًا، وفيما بعد قد يظهر الكفر، فلم يكن منافقًا خالصًا، ويؤيد هذا الجواب ما روي عن حذيفة رضي الله عنه من قوله: «إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون». (صحيح البخاري، رقم: ٧١١٣)

دابة الأرض:

دابة الأرض مثل البرزخ بين الجن والحيوانات، تتصور صورة حيوانية، أو شيء يمشي ويسير، وهو معنى الدابة في اللغة. يخرج حين يترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢)

ورد أن الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام. عن أبي هريرة مرفوعًا: «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود، وعصا موسى بن عمران». الحديث. (سنن الترمذي، رقم: ٣١٨٧. وسنن ابن ماجه، رقم: ٤٠٦٦. وفي إسناده علي بن زيد، وهو ضعيف، وشيخه أوس بن خالد مجهول. تعليق سنن ابن ماجه، للدكتور بشار ٥/ ٥٢٢. وأما الحديث الذي جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أراهم خارج مكة المكرمة شبرًا من الأرض وأن دابة الأرض تخرج منها. (سنن ابن ماجه، رقم: ٤٠٦٧) ففي إسناده: خالد بن عبيد متروك ومتهم بالوضع).

خروج الدابة من الأرض، وتكليمها، وكون خاتم سليمان معه؛ كل أولئك يشير إلى

أنه جني. ثم ما ورد في صورتها من الأحاديث المختلفة، يبدو من العجائب. ويجعل عبد الله بن عمرو العاص الجساسة دابة الأرض. ولم ترد تفاصيل أكثر حول الدابة في الأحاديث الصحيحة، قال الشيخ محمد أحمد كنعان: «والصحيح أنه لا دليل يعتمد عليه بخصوص هذا الدابة غير ما جاء مجملا في القرآن الكريم». (قرة العينين على تفسير الجلالين، ص٥٠٤)

فيمكن أن تكون دابة الأرض صورة حيوانية للجن أو صورة روبوت(ROBOT) تقول: يا أيها الناس الأشقياء! تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركتم الطاعة، وغرق معظم الناس في الضلالات. وابتعدتم من اليقين كل البعد.

وهذا الحيوان العجيب الخلق كثير الشعر، يخاف الناس من صورته. ولا يضرونه، يعلن إتمامَ الحجة على الناس، وذلك قرب الساعة. وقد تنوعت وسائل عجيبة من الراديو والإنترنت وغيرهما لنشر الدين والدعوة إليه، فقد ظهر الشيء العجيب الخلقة لإتمام الحجة.

ويحتمل أن تكون دابة الأرض شيء جني يخرج من الأرض مثل روبوت(ROBOT) اليوم، أخرجها الله تعالى لتنبيه الناس وتحذيرهم. وأما الوسم فقد يكون مثل الشريحة(CHIP) اليوم. روى الإمام أحمد في مسنده: «تخرج الدابةُ فتَسِمُ الناسَ على خراطيمهم، ثم يُعَمَّرون فيكم حتى يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين».

(مسند أحمد، رقم:٢٢٧٣٩، طبع تحت إشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، مقابلة على نحو أربعين نسخة. قال الهيثمي: وفي رواية: «ثم يغمرون فيكم». رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية، وهو ثقة.مجمع الزوائد ٨/ ٦)

تخرج دابة الأرض فتسم خياشيم الناس. ويعيش الموسومون مدة قليلة. (وفي بعض نسخ مسند الإمام أحمد، وجمع الفوائد «يغمرون» بالغين، أي: يطلق عليهم: «الموسومون».

وحسَّن الحديثَ في تخريج «جامع الصغير». إن كان هذا صوابًا فمن الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان.

ثلاثة آراء في عيسى عليه السلام:

(١) تقول النصارى: قام عيسى عليه السلام بالدعوة والتبليغ في الدنيا، فعارضه اليهود. وفي رواية: ضيق اليهود الخناق على عيسى عليه السلام كثيرا، فدعا عليهم عيسى عليه السلام فتحولوا خنازير. فغضب من بقي منهم، ودبروا لقتله، وشكوا إلى ملك الروم بأنه يجب قتله. فأرسل واحدًا من المنافقين لاعتقال عيسى عليه السلام، وهكذا صُلِبَ

عيسى عليه السلام. ثم خرج –على حد قولهم– بعد دفنه بثلاثة أيام، من قبره، ولقى مريم المقدونية، ثم صعد إلى السماء، ويعود إلى الدنيا في الزمن الأخير. (إعلام الفئام بمحاسن الإسلام، وتنبيه البرية عن مطاعن المسيحية، ص٦٨-٦٩)

(٢) تعتقد القاديانية في المسيح عليه السلام أن عيسى عليه السلام صُلبَ، وظنوا أنه مات. ولم يمت في الواقع، وإنما أغمي عليه، ونزل من الصليب، وسار حتى وصل إلى أرض كشمير مرورًا بأفغانستان. وتوفي في حي «خانيار» من مدينة «سري نغر». واعلم أن القاديانية متفق على كفرها. (معارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ٢/ ٣٧٩؛ علوم القرآن، للشيخ شمس الحق الأفغاني، ص ٢٦٢؛ عقيدة الإسلام، للعلامة محمد أنورشاه الكشميري، ص٧٦، ١٤٤، ١٧٧، ٢٣٥)

(٣) ذهب أهل السنة والجماعة من المسلمين إلى أن اليهود لما خالفوه، أرسلوا رجلا يسمى «ططيانوس» ليتابعه، فلما أمسك عيسى عليه السلام، رفع الله تعالى عيسى إلى السماء، وألقى شبه عيسى على من أمسكه، فلما خرج ظنه الروم عيسى، وصلبوه، ثم تحير الناس، فقالوا: إذا كان عيسى قتِلَ، فأين صاحبنا؟ (روح المعاني ٦/ ٣٨٢-٣٨٣؛ معارف القرآن، للمفتى محمد شفيع ٢/ ٦٠١).

أكدت عدة آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام روحه مع الجسد.

قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ (النساء)

هذه الآية تعارض ما عليه القاديانية، فذهبوا في تأويلها مذاهب شتى، كان الحكيم نورالدين القادياني عالم هذه الجماعة، يحل لهم مشكلاتهم العلمية، واستُخْلِفَ بعد المرزا غلام أحمد القادياني، ثم اختلفوا بعد موت الحكيم نور الدين، فاستخلف أكثرهم المرزا بشير الدين، وهوابن المرزا غلام أحمد القادياني. واستخلف آخرون محمد علي اللاهوري، فافترقوا على حزبين: قادياني، ولاهوري.

عمل محمد علي اللاهوري تفسيرًا سماه «بيان القرآن». وأنكر اللاهوري نبوة غلام أحمد وقال: لايوحى إليه؛ وإنما أُلهِم إلهاما. واتفق الحزبان فيما عداه من القضايا. ويقول الحزبان بوفاة عيسى عليه السلام، وينكران رفعه إلى السماء. قال محمد علي اللاهوري:

«القتل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾(البقرة: ٧٢) هو قتل عيسى عليه السلام، واختلفوا في قتله». (ولم يرد ذكر عيسى عليه السلام فيما قبل هذه الآية، أو بعدها). «والمراد بقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ رفع الدرجات». مع أن ما قبل «بل» ينافي ما بعدها وجوبًا. ويثبت ذلك بأنكم لم تقتلوه؛ بل رفعه الله تعالى سالما، ولا تضاد بين رفع الدرجات والقتل. كما يُقتل الشهيدُ ويُرفع له الدرجات؛ بل تكفي نبوته لرفع درجاته. والأصل أن الرفع منسوب إلى من رُفِع إليه القتل في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.(علوم القرآن للشيخ شمس الحق الأفغاني، ص٢٦٧-٢٦٩؛ معارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ٢/ ٣٨٣-٣٨٤؛ معارف القرآن، للمفتي محمد شفيع ٢/ ٧٦).

إيراد على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، والجواب عنه:

إيراد: لم تذكر الآية الكريمة الرفع إلى السماء، وإنما قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾.

الجواب: (١) ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، و «رفع الله إياه إلى السماء» متقاربان معنى. والسماء مقام القرب إلى الله تعالى. سأل الرسولُ صلى الله عليه وسلم أَمَةً: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مؤمنة». وهذه الإشارة إلى القرب والرقابة وإلى جانب إجابة الدعاء. وإلا فالله تعالى ليس له مكان ولا زمان. وهو وراء الوراء. ويستحيل الإشارة إليه. (معارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (٢/ ٣٨٣-٣٨٤). و قد سبق تحقيق حديثِ الجارية مفصلًا بلفظ: «أين الله»؟ في بحث الصفات. وأشرنا إلى الاضطراب في هذه الرواية. وأصح روايات الجارية ما سئلتْ فيه عن الشهادة، فأقرت بها).

واختلق المرزا غلام أحمد في كتابه «إزالة الأوهام» -يوم كان يقول برفع عيسى عليه السلام- وحيًا لما وُلد له ابنه، وتلاه على الناس: «إنا نبشرك بغلام مظهر الحق كأنه نزل من السماء». والولد لا ينزل من السماء، وإنما أراد به أن السماء مظهر لقربه وتجليه. فنسِبَ إليه. ووصِفَ اللهُ تعالى بصاحب السماء في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (الملك: ١٦) مع أنه مالك السماء والأرض كليهما.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٥٩)

أي: قبل وفاة عيسى. يرجع الضمير إلى عيسى عليه السلام؛ لأن جميع الضمائر ترجع إليه عليه السلام، وقيل: يرجع إلى بعض أهل الكتاب. وهذا يؤدي إلى تفكيك الضمائر. وإن

أرجعنا الضمير إلى الكتابي كان المعنى: يؤمن بعيسى عليه السلام كل كتابي قبل موته، والمراد به الإيمان اللغوي حينئذ. وحمل الإيمان على الإيمان اللغوي خلاف الظاهر؛ لأن الإيمان عند معاينة الموت ليس إيمانا شرعيًّا. والإيمان الشرعي أن يراد بـ ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ عيسى عليه السلام، و إلا كان الأنسب أن يقال: حين أو عند موته، بدلا من «قبل موت الكتابي». (معارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ٢/ ٣٥٩-٣٦٣؛ علوم القرآن، للشيخ شمس الحق الأفغاني، ص ٢٦٩-٢٧٠؛ معارف القرآن، للمفتي محمد شفيع العثماني ٢/ ٦٠٢-٦٠٣؛ قصص القرآن ٤/ ١٢٨-١٣٥).

فإن قيل: في قراءة: «قبل موتهم»، قال الطبري: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: ثنا عتاب بن بشير، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾، قال: هي في قراءة أُبَيّ (قبل موتهم)... (تفسير الطبري ٧/ ٦٦٨، النساء: ١٥٩)

فالجواب عنه أنها قراءة ضعيفة. في إسنادها عتاب بن بشير، وخصيف، مجهولان. قال العلامة الكوثري رحمه الله: «وقراءة أبيّ هذه في سندها عُتّاب بن بشير وخصيف، وكلاهما ضعيف، والقراءة الشاذة ما لم يصح سندها لا يحتج بها في باب التفسير عند أهل العلم». (نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة، ص١٠٢)

(٣) علاوة على ذلك صرحت آية كريمة بـ «كف»؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ (المائدة: ١١٠) أي: كففنا بني إسرائيل عنك. وما معنى قوله: (كَفَفۡتُ) إذا كان عيسى عليه السلام قد قُتِل.

(٤) قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ (الزخرف: ٦١) أي: عيسى عليه السلام من أشراط الساعة، فلا تشكوا فيه.

(٥) وقال تعالى أيضًا: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٤)، فإن كانوا نجحوا في مكرهم، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾؟

(٦) قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٥)، حمل الزمخشري وصاحب القاموس «التوفي» على الاستيفاء الكامل، وقال أبو البقاء في «الكليات»: معنى التوفي الإماتة. وعليه استعمال العامة، والاستيفاء وعليه استعمال البلغاء. (الكشاف ١/ ٤٣٢. القاموس المحيط ١/ ١٣٤٣. الكليات، ص٣١٣)

قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: بمميتك:

إيراد: روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره: «مميتك». قال الطبري: حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، يقول: إني مميتُكَ. (تفسير الطبري ٥/ ٤٥٠)

الجواب:هذه لغة عامة الناس، أي: إني مُميتك في وقتك، ورافعك إليَّ الآن ومطهِّرُك. والنكتة في التقديم والتأخير بأن بدأ برفع الوسوسة –إذا خطر بقلب عيسى– بأنهم يقتلونه.

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا في تفسيره :«رافعُك ثم متوفيك في آخر الزمان». قال السيوطي: أخرج إسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق جوهر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ يعني: رافعك، ثم متوفيك في آخر الزمان. (الدر المنثور ٢/ ٢٢٦. راجع أيضًا: معارف القرآن، للمفتي محمد شفيع العثماني ٢/ ٧٤؛ ومعارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي ١/ ٦٣)

قال العلامة الكوثري: «والواو لا تفيد الترتيب، فيكون هذا من باب تقديم ما هو مؤخر في الوقوع لأجل التقريع على مدَّعِي ألوهيته، ببيان أنه سيموت، وإليه ذهب قتادة والفراء». (نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة، ص٩٦)

ومن معاني التوفي: تسليط النوم، قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ (الزمر: ٤٢) أي: نسلط عليهم النوم ثم نبعثهم، كيلا يخافوا ويرهبوا.

(٧) دل قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ (المائدة: ١١٧) على أن المكان تغير، ولم يقع الموت، فكان في هذا العالم أولًا، ثم رفع إلى السماء.

ألف الشيخ إبراهيم السيالكوتي غير المقلد كتابًا في الرد على معتقدات القاديانية، في رفع عيسى عليه السلام سماه «شهادة القرآن»، كما ألف الشيخ عبد الله معمار غير المقلد كتابًا في الرد على عقائد القاديانية سماه «محمدي باكت بك».

(٨) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «لَيُوشِكنَّ أن يَنزِل فيكم ابنُ مريم حَكَمًا عَدلًا فيَكسِر الصَّليبَ، ويقتل الخنزيرَ، ويضع الجزية، ويفيض المالَ حتَّى لا يقبله أحدٌ، حتَّى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها». ثمّ يقول أبو هريرة: واقرءُوا إن شئتم:﴿وَإِن مِّنْ

أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ١٥٩). (صحيح البخاري، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، رقم:٣٤٤٨)

(٩) في رواية أخرى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود: «إنّ عيسَى لم يمتْ، وإنّه راجع إليكم قبل يوم القيامة». (تفسير ابن أبي حاتم: ٦٢٣٢)

(للاستزادة منه راجع: التصريح بما تواتر في نزول المسيح بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص٢٤٢– ٢٤٣).

القول الصحيح في عمر عيسى عليه السلام:

رُفِع عيسى عليه السلام إلى السماء وهو ابن (٣٣) سنة، وينزل منها ويمكث في الأرض سبع سنوات. وهذا غير صحيح.

وفي رواية أخرى: نبئ على أربعين سنة، ودعا الناس أربعين سنة، و رفع وهو ابن ثمانين سنة. وينزل فيمكث في الأرض أربعين سنة. وفي أخرى: خمسة وأربعين عامًا.

والجمع بينهما أنه لا منافاة بين الأربعين والخمسة والأربعين، فإن حذف الكسور شائع. وتأويل سبع سنوات بأنه يمكث مع المهدي سبع سنوات، أو تستمر طريقته في الدنيا بعد وفاته سبع سنوات، ثم تظهر علامات الساعة الأخرى.

قال العلامة الكشميري: «أما مكثه عليه الصلاة والسلام بعد النزول، فالصواب عندي فيه أربعون سنة كما عند أبي داود، ص٢٣٨: «فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون». انتهى. وأما ما توهمه رواية مسلم، ص٤٣، أنه يمكث في الأرض سبع سنين، فهو مدة مكثه مع الإمام المهدي، كما عند أبي داود ٢/ ٢٣٣، وبعد تمام سبع سنين يتوفى الإمام ويبقى عيسى عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ثلاثا وثلاثين سنة.

وأما رفعه فكان على ثمانين سنة، وصحَّحه الحافظ في «الإصابة» وهو الذي رجع إليه السيوطى في «مرقاة الصعود»، وأما مجموع عمره عليه الصلاة والسلام فمئة وعشرون، نبئ على أربعين منها، ورفع على ثمانين، ويمكث في الأرض أربعين، وقد مضى منها ثمانون فبقي أربعون، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: وإن عيسى عليه الصلاة والسلام عاش مئة وعشرين، ولا أراني ذاهبا إلا على ستين (بالمعنى) يعني به نصف مجموع عمر عيسى عليه الصلاة والسلام. (فيض الباري ٣/ ٢٦٢، باب قتل الخنزير حكمًا. وانظر أيضًا: حاشية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، ص١٢٧-١٢٨)

وفي حديث: «يَنزِل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوَّج ويُولَد له ويمكُث خمسًا وأربعين سنة، ثم يموت فيُدفَن معي في قبري» . (مشكاة المصابيح، رقم:٥٥٠٨ . وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي، وهو ضعيف)

وفي الرواية اللاحقة: في الحجرة النبوية أي: في المقبرة مكان قبرٍ فارغٌ. وفي أسانيد هذه الروايات كلام.

روي عن عبد الله بن سلام: «مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى بن مريم يدفن معه». قال أبو مودود: قد بقي في البيت موضع قبر. (سنن الترمذي، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، رقم:٣٦١٧، والحديث موقوف، وفيه عثمان بن الضحاك، وهو ضعيف. قال بشار عواد: هذا أثر موقوف، ومحمد بن يوسف بن سلام مقبول حيث يتابع ٦/ ١٢)

وقال ابن كثير: ويقيم أربعين سنة ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية، وقد ورد فيه خبر لا يصح إسناده. (راجع: قصص الأنبياء، للحافظ ابن كثير، ص٦٧٢)

للاستزادة من هذا الموضوع راجع: «فتاوى دار العلوم زكريا» (١/ ١٠٥-١٠٧).

أَلَّف الشيخ سرفراز صفدر رحمه الله رسالة سماها «توضيح المرام في نزول المسيح عليه السلام». و أشار الشيخ في بدايتها إلى بعض الكتب المؤلفة في رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وحياته، ونزوله.

متى وأين ينزل عيسى عليه السلام، وماذا يفعل؟:

ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق في صلاة الفجر، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين. وقد اجتمعت جماعة من المسلمين لقتال الدجال، فيها ثمان مئة رجل، وأربع مئة امرأة. وهم يسوون الصفوف لصلاة الفجر، وإمامهم يومئذ المهدي، الذي يظهر قبل عيسى عليه السلام، فيقدم المهدي عيسى عليه السلام للإمامة، وهو يأبى، ويضع يده على ظهره، ويقدمه للإمامة. ثم يصلي لهم المهدي، ثم يأمر بفتح باب المسجد بعد الفراغ من الصلاة، ووراءه الدجال، معه سبعون ألفًا من اليهود في أسلحتهم، فيجاهد الدجال وأعوانه من اليهود، ويقتله عند باب «لد» من فلسطين. ويقتل من بقي من اليهود واحدًا واحدًا، ولا يؤوي شيء يهوديًا، حتى يقول الشجر والحجر: هذا اليهودي ورائي. فلا يبقى أحد في الدنيا إلا وقد أسلم، وتتنزل البركات بأنواعها الدينية والدنيوية، ويمكث بعد

نزوله أربعين سنة في الدنيا، ويكون قبره رابع القبور في الروضة النبوية.

جمع العلامة محمد أنور شاه الكشميري في كتابه «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» أربع آيات، ومئة وعشرة أحاديث تخص نزول المسيح. وزاد عليه الشيخ عبد الفتاح عشرة أحاديث، وعشرة آثار. وبإيعاز من العلامة محمد أنور شاه الكشميري قام المفتي محمد شفيع رحمه الله بترجمة كتابه هذا إلى اللغة الأردية، وتلخيصه فيها، وقد ألحق بأول كتاب «علامات القيامة» لنجله المفتي محمد رفيع العثماني بعنوان: «خريطة إجمالية لعلامات المسيح، ومقارنتها بأحوال الميرزا غلام أحمد القادياني». ونقل هذا الملخص المفتي محمد تقي العثماني إلى اللغة العربية، وهو على ص ٢٩٩-٣٠٨ من آخر كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» بعنوان «جدول ما ثبت بالقرآن والسنة من أمارات المسيح الموعود عيسى عليه السلام». وجمع المفتي محمد رفيع في نهاية «علامات القيامة» أمارات القيامة حسب الترتيب الزمني باختصار بعنوان «فهرست علامات القيامة» في ضوء الأحاديث النبوية.

هل ينزل عيسى عليه السلام عند صلاة الفجر، أو عند صلاة العصر؟:

أخرج ابن ماجه (رقم:٤٠٧٧) عن أبي زرعة السَّيباني يحيى بن أبي عمرو، عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:... وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى، ليتقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصل، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم. الحديث.

وإسناده ضعيف، لانقطاعه، فإن السَّيباني لم يسمع من أبي أمامة.

وأخرج أحمد في «مسنده» (١٧٩٠٠) عن عثمان بن أبي العاص مرفوعًا:.... وينزل عيسى ابن مريم عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله، تقدم صل، فيقول هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلي. الحديث.

وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٨) من طريق سعيد بن هبيرة، عن حماد بن زيد، عن أيوب السختياني وعلي بن زيد بن جدعان، به. وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد

على شرط مسلم بذكر أيوب السختياني ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي فقال: «ابن هبيرة واهٍ». وهو كما قال.

وأخرج أحمد في «مسنده» (١٤٩٥٤) عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ... ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس، ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جِنِّيٌّ، فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتُقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه». الحديث.

وإسناده صحيح على شرط مسلم، إلا أن أبا الزبير -محمد بن مسلم بن تدرس- مدلس عند كثير من الناقدين، ولم يصرح بسماعه من جابر.

وذكر بعض المفسرين في تفاسيرهم أن عيسى عليه السلام يأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر. منهم: الثعلبي، والبغوي، والقرطبي، والخازن، وابن عجيبة في تفسير الزخرف:٦١. وكذا الشيخ حكيم الأمة أشرف علي التهانوي في «بهشتي زيور» ص٥٥٠، ط: إدارة تأليفات أشرفية، باكستان.

لكن لم نجد رواية فيها التصريح بصلاة العصر. وقد ذكر ابن كثير في «تفسيره» روايات كثيرة في نزول عيسى عليه السلام، وفي بعضها تصريح بنزوله عند صلاة الصبح، وليس في رواية منها التصريح بصلاة العصر، وقال ابن كثير بعد تخريج تلك الروايات: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية، وأبي سريحة، وحذيفة بن أسيد، رضي الله عنهم. وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام، بل بدمشق، عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة الصلاة للصبح».(تفسير ابن كثير، آل عمران:١٩٩)

وفي «لوامع الأنوار البهية»: «المعروف عند أهل العلم أن عيسى عليه السلام إنما يصلي وراء المهدي صلاة الصبح، لا العصر».(لوامع أنوار البهية ٢/ ١٠٣، ط: مؤسسة الخافقين، دمشق)

ويمكن أن يقال: أنه ينزل عند صلاة العصر فيصلي الناس صلاة العصر، ثم يأتي إلى بيت المقدس غوثًا للمسلمين، ويلحقهم في صلاة الصبح.

ولكن لا حاجة إلى هذا التطبيق؛ لأنه لم يذكر في رواية أنه ينزل عند صلاة العصر، أو يلحق الناس في صلاة العصر. والله أعلم.

وقال محمد بن رسول البرزنجي نقلًا عن الشيخ محي الدين ابن العربي الطائي: «وينزل عيسى عليه السلام في زمانه بالمنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق، والناس في صلاة العصر، فيتنحَّى له الإمام، فيصلي بالناس، يؤم الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم».

ثم قال: «تنبيه: لا ينافي هذا ما في الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام يقتدي بالمهدي في صلاة الصبح، ويقول: إنها لك أقيمت، لما يأتي في قصة الدجال في الجمع بين اختلاف الروايات أن المهدي حين نزول عيسى عليه السلام بدمشق يكون ببيت المقدس فيكون الذي يتنحَّى له أمير المهدي على دمشق، ويوضحه أن هذا في صلاة العصر، وأنه يجتمع إليه اليهود والنصارى والمسلمون كل يرجوه، كما يأتي هناك، وأن تقدم المهدي واقتدي عيسى عليه السلام به في صلاة الصبح، وليس هناك إلا خالص المسلمين. وبالله التوفيق». (الإشاعة لأشراط الساعة لمحمد بن رسول البرزنجي، ص٢٣٥)

قلنا: لم يثبت نزوله في شرقي مسجد دمشق، كما سيأتي، وكذلك لم نجد رواية فيه التصريح بصلاة العصر.

هل ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، أو ببيت المقدس، أو بالأردن، أو على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق؟:

عن النَّواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:... فيَنزِل عندَ المَنارة البَيضاءِ شَرقِيَّ دِمَشقَ. الحديث. (صحيح مسلم، رقم:٢٩٧٣. وسنن ابن ماجه، رقم:٤٠٧٥. وسنن أبي داود، رقم:٤٣٢١. وسنن الترمذي، رقم:٢٢٤٠)

وعن أوس بن أوس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق».(المعجم الكبير للطبراني، رقم:٥٩٠. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات).

وعن نافع بن كيسان، عن أبيه، كيسان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق». (وإسناده ضعيف)

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني»، رقم:٢٦٤٠، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٣٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة»، رقم:٥٨٧٩، عن هشام بن خالد (الأزرق: صدوق)، نا الوليد بن مسلم(ثقة كثير التدليس) قال: حدثني ربيعة بن ربيعة (لا يعرف، وقيل:ثقة)، عن نافع بن كيسان (لا يعرف، وقيل: صحابي)، عن أبيه كيسان، به.

وأخرج ابن عساكر من طريق سعيد بن عبد العزيز عن شيخ له أنه سمع ابن عباس الحضرمي قال: «يخرج عيسى بن مريم عند المنارة عند باب الشرقي، ثم يأتي مسجد دمشق حتى يقعد على المنبر ويدخل المسلمون المسجد والنصارى واليهود كلهم يرجوه حتى لو ألقيت شيئا لم تصب إلا رأس إنسان من كثرتهم، ويأتي مؤذن المسلمين فيقوم، ويأتي صاحب بوق اليهود، ويأتي صاحب ناقوس النصارى، فيقول صاحب اليهود اقرع فكتب سهم المسلمين وسهم النصارى وسهم اليهود، ثم يقرع عيسى فيخرج سهم المسلمين، فيقول صاحب اليهود: إن القرعة ثلاث، فيقرع فيخرج سهم المسلمين، ثم يقرع الثالثة فيخرج سهم المسلمين، فيؤذن المؤذن ويخرج اليهود والنصارى من المسجد، ثم يخرج يتبع الدجال بمن معه من أهل دمشق ثم يأتي بيت المقدس وهي مغلقة قد حصرها الدجال فيأمر بفتح الأبواب، ويتبعه حتى يدركه بباب لد، ويذوب كما يذوب الشمع، ويقول عيسى: إن لي فيك ضربة فيضربه فيقتله الله عز وجل على يديه». (تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٢٢٨. وأخرجه الحسن الربعي في فضائل الشام ودمشق ، رقم:١٠٧، ط: مطبوعات المجمع العلمي بدمشق).

شيخ سعيد بن عبد العزيز مجهول، وابن عباس الحضرمي لم نقف على ترجمته، وبقية رجال السند ثقات أو صدوق.

قال أبو عبد الله الحميري، وابن جبرين: «ولدمشق ثمانية أبواب: باب شرقي، وهو شرقي المدينة، وفيه منارة بيضاء يقال إن عيسى عليه السلام ينزل فيها كما جاء في الأثر أنه ينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق».(الروض المعطار في خبر الأقطار ١/ ٢٤٠، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ) ط: مؤسسة ناصر، بيروت. ورحلة ابن جبرين، ص٢٥٤، ط: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت. وابن جبرين هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، المتوفى: ٦١٤هـ).

قلنا: المنارة البيضاء موجودة اليوم على الباب الشرقي لمدينة دمشق القديمة.

ويظهر من بعض الروايات أن عيسى عليه السلام ينزل بيت المقدس:

قال نعيم بن حماد (ضعَّفه البعض، روى عنه البخاري مقرونًا بغيره): حدثنا ابن وهب (عبد الله بن وهب بن مسلم: ثقة)، عن ابن لهيعة (ضعيف)، والليث (بن سعد: ثقة ثبت)، عن خالد بن يزيد (الإسكندراني: ثقة)، عن سعيد بن أبي هلال (ثقة)، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما قال: «إذا نزل عيسى بيتَ المقدس وقد حاصر الدجالُ الناسَ في بيت المقدس مشى إليه بعدما يُصلي الغداةَ، يمشي إليه وهو في آخر رَمَق فيَضربه فيَقتُله». (الفتن لنعيم بن حماد، رقم:١٥٦٣)

وأخرج نعيم بن حماد بنفس الإسناد السابق عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «يبلغ الذين فتحوا القسطنطينية خروج الدجال فيقبلون حتى يلقوه ببيت المقدس، قد حُصِر هنالك ثمانية آلاف امرأة واثنا عشر ألف مقاتل، هم خير من بقي، وكصالح من مضَى، فبينا هم تحت ضَبابة من غَمام إذ تُكشَف عنهم الضبابةُ مع الصبح، فإذا بعيسى ابن مريم بين ظَهرانَيهم، فيَتنكَّب إمامُهم عنه ليصلي بهم، فيأتي عيسى ابن مريم حتى يصلي إمامُهم، تَكرِمةً لتلك العِصابة، ثم يمشي إلى الدجال وهو في آخر رَمَق فيَضربه فيَقتُله. الحديث. (الفتن لنعيم بن حماد، رقم:١٥٩٥)

وقال نعيم بن حماد: حدثنا يحيى بن سعيد(بن أبان بن العاص:صدوق)، حدثني سليمان بن عيسى(بن موسى بن طلحة: سكت عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات)، قال: «بلغني أن عيسى ابن مريم، عليه السلام إذا قتل الدجال، ونزل ببيت المقدس، ظهر يأجوج ومأجوج». الحديث. (الفتن لنعيم بن حماد، رقم:١٦٣٩)

ولعل المراد من نزول عيسى عليه السلام بيتَ المقدس أنه يأتي بمن معه من المؤمنين إلى بيت المقدس من دمشق. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وقد جاء من حديث أبي أمامة وغيره ما قد يشعر بأن عيسى ينزل ببيت المقدس، وليست أسانيدها بالقوية. ويتعين حملها – على تقدير صحتها– على أنه يأتي بمن معه من المؤمنين إلى بيت المقدس من دمشق، كما قاله ابن عباس وكعب، جمعًا بينها وبين حديث النواس المخرج في الصحيح. وظاهر ما تقدم من الأحاديث والآثار يدل على أن عيسى عليه السلام ينزل عند باب مدينة دمشق الشرقي». (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ٣/ ٢٧٥-٢٧٦)

وأما نزوله في الأردن، فقال الحاكم: حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه (ثقة)، ثنا

محمد بن شاذان الجوهري (ثقة)، ثنا سعيد بن سليمان الواسطي (ثقة)، ثنا خلف بن خليفة الأشجعي (صدوق اختلط)، ثنا أبو مالك الأشجعي (سعد بن طارق:ثقة)، عن أبي حازم الأشجعي(سلمان الكوفي: ثقة)، عن ربعي بن حراش (ثقة)، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلم بما مع الدجال منه، نهران: أحدهما نار تَأَجَّج (أي: تتوَقَّد) في عين من رآه، والآخر ماء أبيض، فإن أدركه منكم أحد فليغمض، وليشرب من الذي يراه نارا، فإنه ماء بارد، وإياكم والآخر فإنه الفتنة، واعلموا أنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرأه من يكتب ومن لا يكتب، وأن إحدى عينيه ممسوحة عليها ظفرة، أنه يطلع من آخِر أمرِه على بطن الأردُن، على بيتِه أَفْيَقُ، وكل واحد يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وأنه يقتل من المسلمين ثُلثًا، ويهزِم ثلثًا، ويبقي ثلثًا، ويجِنُّ عليهم الليل، فيقول بعض المؤمنين لبعض: ما تنتظرون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربكم، من كان عنده فضل طعام فليغد به على أخيه، وصلوا حين ينفجر الفجر، وعجلوا الصلاة، ثم أقبلوا على عدوكم، فلما قاموا يصلون نزل عيسى ابن مريم صلوات الله عليه إمامهم، فصلى بهم، فلما انصرف قال: هكذا افرجوا بيني وبين عدو الله ». قال أبو حازم: قال أبو هريرة: «فيذوب كما تذوب الإهالة في الشمس».(المستدرك للحاكم ، رقم:٨٧٣١، ط: دار التأصيل. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الحاكم. والحديث عند مسلم (رقم:٢٩٤٣) من وجه آخر عن أبي مالك الأشجعي، بنحوه إلى قوله: يقرأه من يكتب ومن لا يكتب).

قال الشيخ محمد بن محمد حسن شُرَّاب: «والأردن ما يعرف الآن بـ «المملكة الأردنية الهاشمية»، وأكثر ما يطلق على شرق النهر، ولكن في كتب البلدان القديمة يمتزج بفلسطين، فيأخذ منها بعض المناطق حتى يصل إلى ساحل البحر المتوسط، حيث كانت «عكا» ميناء الأردن، وتأخذ فلسطين أو «جند فلسطين» من شرقي الأردن، فتدخل «معان» في جند فلسطين، فالحدود الحديثة، حدود وهمية وضعها الإنجليز لعنهم الله». (المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، ط: دار القلم، بيروت)

وقال السيوطي جمعًا بين الروايات: «قال الحافظ بن كثير: وقد ورد في بعض الأحاديث أن عيسى عليه السلام ينزل ببيت المقدس، وفي رواية: بالأردن، وفي رواية: بمعسكر المسلمين. فالله أعلم. قلت: حديث نزوله ببيت المقدس عند المصنف (أي: ابن ماجه) وهو عندي أرجح. ولا ينافي سائر الروايات؛ لأن بيت المقدس هو شرقي دمشق،

وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأُردُن اسم الكورة، كما في «الصحاح»، وبيت المقدس داخل فيه، فاتفقت الروايات، فإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارةٌ بيضاءُ فلا بدَّ أن تحدث قبل نزوله».(مصباح الزجاجة على هامش سنن ابن ماجه، ص٢٩٧، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي. ومثله في مرقاة المفاتيح، باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال. ومثله في حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢/ ٥١٠، ط: دار الجيل، بيروت. ومثله في الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي، ص١٣٢).

وهذا التطبيق مما لا يفهم؛ لأن بيت المقدس بعيد عن دمشق بـ ٣٣١ كلو ميتر تقريبًا فجعلها في مكان قريب بحيث يعبر عن أحدهما بالآخر مما لا يقبله العقل السليم، وبيت المقدس لا تقع في شرق دمشق، بل هي في الجنوب الغربي كما يظهر من الخريطة.

وأما نزوله على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق، فقال الحافظ ابن كثير: «الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي جامع دمشق. فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية: «فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق» فتصرف الراوي في التعبير بحسب ما فهم، وليس في دمشق منارة تعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق؛ لأنه ينزل، وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: «يا روح الله تقدم». فيقول: «تقدم أنت، فإنها إنما أقيمت لك». وفي رواية: «بعضكم على بعض أمراء، تَكرِمةُ الله هذه الأمةَ».(البداية والنهاية ١٩/ ٢٢٩، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر)

قلنا: المسجد الأموي في وسط مدينة دمشق، بل هو يميل جهة الغرب، كما يظهر من الخريطة. والمنارة البيضاء موجودة اليوم على الباب الشرقي لمدينة دمشق القديمة.

وكما سبق من تاريخ عبد المنعم الحميري، وابن جبرين، قالا: «ولدمشق ثمانية أبواب: باب شرقي، وهو شرقي المدينة، وفيه منارة بيضاء يقال إن عيسى عليه السلام ينزل فيها».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «وقد ذهبت طائفة إلى أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي مسجد دمشق الجامع، وهو مخالف للظاهر. والله أعلم». (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ٣/ ٢٧٦)

وخلاصة القول: أن الروايات ثابتة أن نزول عيسى عليه السلام مع الفجر على المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويكون المهدي قد جمع الناس لقتال الدجال، فتعمهم ضبابة من غمام، ثم تنكشف عنهم مع الصبح، فيرون عيسى عليه السلام قد نزل، والناس يريدون صلاة

الصبح، ثم بعد الصلاة يتبع الدجال وقد فرَّ، ثم يخرج يتبع الدجال بمن معه من أهل دمشق، ثم يأتي بيت المقدس وهي مغلقة قد حصرها الدجالُ فيأمر بفتح الأبواب، ويتبعه حتى يدركه بباب لد، فيقتله الله عز وجل على يديه.

سبب تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح:

سمي عيسى عليه السلام بالمسيح لأن المسيح أصله «مشيحا»، بمعنى المبارك في العبرانية، أو لأنه مسيح الخير، أو ينال المرضى الشفاء حيث يسير، وتحصل البركة. والمسيح من «مسحَ الأرض» بمعنى سافر فيها. (فتح الباري ٦/ ٤٧٢. والنهاية في غريب الحديث والأثر (م س ح). ومرقاة المفاتيح ١٠/ ١٨٨؛ أمالي المحدث الكشميري ص ٢٧٨)

ظهور المهدي قرب الساعة:

من أشراط الساعة ظهور سيدنا المهدي. وينكره بعض الناس. وقد ثبت ظهور المهدي قرب الساعة بالأحاديث الصحيحة.

١- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تذهَب الدُّنيا حتى يملِك العربَ رجلٌ مِن أهل بيتي، يُواطِئ اسمُه اسمي». (سنن الترمذي، رقم:٢٢٣٠. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وزاد في سنن أبي داود، رقم:٤٢٨٢: «واسم أبيه اسم أبي»)

٢- وعن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا -زيدٌ الشاكُّ- قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين». الحديث. (سنن الترمذي، باب ما جاء في المهدي، رقم:٢٢٣٢. وقال الترمذي: هذا حديث حسن)

شك زيد العمي -راوي الحديث- في تحديد الأعوام، وحديث أبي سعيد الخدري حدد سبع سنوات. وزيد العمي ضعيف، وله طرق أخرى، قال الشيخ بشار: «وللحديث طرق أخرى عن أبي سعيد الخدري». انظرها في «المسند الجامع» (٤/ ٨٦).

٣- وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أقنى، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت قبله ظلمًا، يملك سبع سنين». (صحيح ابن حبان، رقم:٦٨٢٤. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، مطر الوراق روى له مسلم متابعةً والبخاري تعليقًا واحتج به الباقون، وهو حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير الحسن بن عرفة، فقد روى له أصحاب السنن غير أبي داود، وهو ثقة)

٤- حديث أبي سعيد الخدري هذا رواه الحاكم في «المستدرك» بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلمًا وجورًا وعُدوانًا، ثم يَخرُج مِن أهل بيتي من يملأها قِسطًا وعدلاً، كما مُلِئتْ ظلمًا وعُدوانًا». (المستدرك للحاكم، رقم:٨٦٦٩. ومسند أحمد، رقم:١١٣١٣. ومسند أبي يعلى، رقم:٩٨٧، وصحيح ابن حبان، رقم:٦٨٢٣. وإسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقاته على «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح ابن حبان»: إسناده صحيح على شرط الشيخين).

٥- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهدي مِن عترتي من ولد فاطمة». (سنن أبي داود، رقم:٤٢٨٤. وإسناده ضعيف لضعف زياد بن بيان، والصحيح أنه من قول سعيد بن المسيب. راجع تعليقات الشيخ شعيب الأرنؤوط على سنن أبي داود)

قال بعض أهل العلم: بلغت الأحاديث الواردة في المهدي حد التواتر. قال الشيخ ابن باز رحمه الله: «أمر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي، لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها، وصحابتها، ورواتها، وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت، وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهذا الإمام من رحمة الله عز وجل بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلًا وهدايةً وتوفيقًا وإرشادًا للناس.

وقد اطلعت على كثير من أحاديثه فرأيتها كما قال الشوكاني وغيره، وكما قال ابن القيم وغيره: فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف المنجبر، وفيها أخبار موضوعة، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده، سواء كان صحيحًا لذاته أو لغيره، وسواء كان حسنًا لذاته أو لغيره، وهكذا الأحاديث الضعيفة إذا انجبرت وشد بعضها بعضًا، فإنها حجة عند أهل العلم...؛ والحق أن الجمهور من أهل العلم - بل هو كالاتفاق - على ثبوت أمر المهدي، وأنه حق، وأنه سيخرج في آخر الزمان. أمّا من شذ عن أهل العلم في هذا الباب فلا يلتفت إلى كلامه في ذلك». (اليوم الآخر، للدكتور عمر سليمان الأشقر، ص٢٠٨-٢٠٩. وانظر أيضًا: صحيح أشراط الساعة، لمصطفى أبي النصر الشلبي، ص١٩٤-١٩٥)

يأجوج ومأجوج:

ما أكثر الكتابات حول يأجوج ومأجوج. ولكن الميسور والمفهوم هو أنه لعل المراد به الأمم الراقية أعداء الدين في الشمال، والشمال الغربي من الروس، أو الأوربيين، أو غيرهم. ويحتمل أن يكون يأجوج من «أجَّت النار»، ومأجوج من «ماج البحر»، أو من الأجاج، وهو الماء الملح، أو ماء البحر، وفيه إشارة إلى أسلحتهم النارية والبحور؛ بل السيطرة على العالم بالأساطيل البحرية.

هجوم يأجوج ومأجوج العام من أشراط الساعة الكبرى، وهم الأمم الكافرة القوية من أعداء الدين، الراقية أسلحةً وقوةً، لها حنكة في نشر الفتنة والفساد والضغوط على المخالف. ويشمل ذلك الأمم الروسية والأوربية وبعض الأمم الصينية. واعتبر العلامة محمد أنور شاه الكشميري الأمم الروسية من يأجوج ومأجوج.(فيض الباري ٤/ ٢٢)، والأمم الأمريكية والأسترالية من ذرية الأمم الأوربية.

ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية خمسًا من أحوال يأجوج ومأجوج:

ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية خمسًا من أحوالهم:

١- شكا أهل الشمال إلى ذي القرنين قبل أن يقيم السد، بأنهم متعرضون لهجمات يأجوج ومأجوج، وطلبوا أن يجعل لهم سدًّا يقيهم، ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ (الكهف: ٩٤)

للاستزادة من أحوال ذي القرنين راجع: «بدر الليالي شرح بدء الأمالي» ١/ ٤٣٣- ٤٣٩، رقم البيت:٣١.

٢- ماج يأجوج ومأجوج بعضهم في بعض بعد إقامة هذا السد العجيب، أي: تقاتلوا، أو سعوا سعيًا حثيثا بسرعة مثل أمواج البحر، وترقوا إلى القدام في الصناعات؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾ (الكهف: ٩٩). ويمكن حمل هذه الآية على أنهم تشابكوا فيما بينهم بعد إقامة السد.

٣- يخرجون من السد بعد مدة طويلة، أي: يهجمون، ويثيرون الشر والفتنة، والهلاك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِح اليوم من ردْم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. وفي حديث آخر: وعقد بيده تسعين. (صحيح البخاري، رقم:٣٣٤٦، و٣٣٤٧).

فتح السد إخبار بهجومهم، وليس هذا مثل الهجمات قرب الساعة. فهذه هجمات التتار في القرن الثامن جعلت الخلافة العباسية عاليها سافلها، يقول القرآن الكريم: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ (الكهف: ٩٨)

المعنى يخرجون على الموعد المضروب لهم، ويبدؤون بالهجوم، لأن الغرض من إقامة السدِّ منعهم من الخروج، فالغرض من نقضه بدء هجومهم. ومن معاني قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ التسوية أيضًا، وذلك يوم القيامة فيما يبدو.

٤- خروجهم الرابع قرب الساعة، فيجتمعون قرب الساعة على التدمير والتخريب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ (الأنبياء:٩٦)

وردت الأحاديث بذكر هذه الهجمات المدمرة في أشراط الساعة مفصلًا، وتبلغ هجماتهم من الشدة أن يلوذ عيسى عليه السلام بجيشه وأصحابه إلى جبل الطور بإذن الله تعالى، حتى يقول يأجوج ومأجوج: قهرنا أهل الأرض، ونقاتل أهل السماء. فيوجهون آلات حربهم إلى السماء، فترجع إليهم وعليها الدم استدراجًا، وهم فرحون بما عملوا. إذ يسلط عليهم داء، فيهلكون عن آخرهم.

٥- يجتمع يأجوج ومأجوج في القيامة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف:٩٩)

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (الأنبياء)

في تفسير هذه الآية أقوال عدة: منها: ممتنع على قرية أهلكناها عدم رجوعهم إلينا للحساب؛ بل يرجعون حتى أن يأجوج ومأجوج بعد فتحهم يهلكون، ثم يرجعون إلينا للحساب. والله تعالى أعلم.

ما ورد في حفرهم السدَّ الإسكندري كل يوم، وفوزهم بحفره عند قولهم: إن شاء الله:

وفيما يلي نشرح حديثًا من الأحاديث شرحًا موجزًا، وهو من مشكلات الحديث. روى الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في السَّدِّ، قال: يحفرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا، فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غدًا إن شاء الله، واستثنى، قال: فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تروه فيخرِقونه فيخرُجون على الناس...». الحديث.(سنن الترمذي، تفسير سورة الكهف. قال بشار عواد في تعليقه: وأخرجه أحمد، وابن ماجه، وأبو يعلى، والطبري، وابن حبان، والحاكم. قال الترمذي: هذا حسن غريب. قال الدكتور بشار: إنما حسنه واستغربه - والله أعلم-؛ لأن في رفعه نكارة، ولعله من كلام كعب الأحبار، كما بيَّنه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥/ ١٩٤. انظر: سنن الترمذي مع تعليقات بشار عواد ٥/ ٢١٩).

يرد على هذا الحديث ما يلي:

١- بما أن العالم أصبح كالحي الواحد، فلا معنى لكون السدِّ حاجزًا ومانعًا؟

٢- من العجب قول أعداء الدين: إن شاء الله.

٣- قوله: ويل للعرب، يتحدث عن خرق السد، الذي يخرجون منه، فما معنى محاولة الحفر والخروج؟

نظرًا إلى هذه الإيرادات ذهب بعضهم إلى أن الحديث منكر أو خطأ من الراوي، ويعتبرونه من إسرائيليات كعب الأحبار. وقيل: سقط الراوي بين قتادة وأبي رافع، ونص الحافظ ابن كثير على النكارة فيه. (تفسير ابن كثير ٥/ ١٩٤)

والظاهر أن الحديث إسناده صحيح، قال قتادة: حدثنا أبو رافع، وعصرهما واحد، فيرى كاتب هذه السطور أن الأحاديث النبوية، والكتب السماوية كثيرًا ما استخدمت الكناية في أشراط الساعة و الأحداث الآتية، فيحتمل الحديث أنَّ يأجوج ومأجوج يكسرون السد بعد مدة، أي: يبدؤون الهجوم على الأعداء، ولايفوزون فيه لوحدهم، ولايسعهم القضاء على الخلافة الإسلامية، ثم ينضم إليهم بعض المسلمين ظاهرًا، القائلين: إن شاء الله، فيأمرهم بأن يتقدموا ويقولوا: إن شاء الله، فتفوزون إن شاء الله. مثاله: أن يقول قائل: ماء

النهر سريع الجري، أخاف عبوره، فيقول له أصحابه: سمِّ الله، وأنا معك، ولا أتركك تغرق. فيقول التاريخ: كان التتار هائبين من الهجوم على دار الخلافة الإسلامية، فشجعهم عليه الروافض أمثال ابن علقمي، والمحقق الطوسي، فقضوا على مجد بغداد، فهؤلاء المسلمون ظاهرًا حققوا ما عجزوا عنه من المخططات الخبيثة. فإلى الله المشتكى.

ما أكثر الكتابات في اللغة الأردية -علاوة على التفاسير العربية-، فقد جمع الشيخ حفظ الرحمن في «قصص القرآن»، والمفتي محمد شفيع رحمه الله في «معارف القرآن»، ومولانا آزاد في «ترجمان القرآن»، وكذلك «دائرة المعارف الأردية»، ودرس الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري في «مشكلات القرآن»، و«فيض الباري» يأجوجَ ومأجوج، والسد الإسكندري دراسةً موجزة قيمة. وألف الشيخ مناظر أحسن الكيلاني كتابًا في تفسير سورة الكهف باسم «الفتنة الدجالية، وملامحها البارزة»، وهو مطبوع وجدير بالمطالعة [١].

١١٣- وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا بِخِلَافِ[٢] الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ[٣].

الكاهن، والعراف، والمنجم، وغيرهم يخبرون الناس بالغيب، ويقول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾ (الجن)

قالت عائشة رضي الله عنها: سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ناسٌ عن الكهان، فقال: «ليس بشيء»، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقًّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك الكلمة من الحق، يخطفها من الجني، فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيه أكثر من مئة كذبة». (صحيح البخاري، رقم: ٧٥٦١).

وقد كذَّب الله تعالى من يسمع من الشياطين، ثم يخبر الناس بالغيب؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ

---

(١) قال المترجم: تم نقل الكتاب إلى العربية بالاسم المذكور أعلاه بقلم كاتب هذه السطور، وهو من مطبوعات الجامعة الإسلامية: دار العلوم/ ديوبند، الهند.

(٢) في ٣٣ «يخالف». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) قوله «وإجماع الأمة» سقط من ٢٤. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ (الشعراء)

معرفة الغيب بطرق عدة:

الكاهن: من يستخدم الجن في أمره، ويخبر بما كان في الماضي.

العراف: من يخبر بالمستقبل، أو بما سرِق، ومكان الشي الذي فقِدَ. (تاج العروس ٢٤/ ١٣٩)

وفرق بعضهم بين العراف والكاهن بالعكس. (شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ٢٢)

المنجم: من يحكم بالنظر في الكواكب، ويؤمن بأنها مؤثرة في الخير والشر. (لسان العرب ١٢/ ٢٢٧)

والإخبار بشيء بالنظر في الكواكب نوع من السحر. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من اقتبس علما من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما **زاد**». (سنن أبي داود، رقم:٣٩٠٥. وسنن ابن ماجه، رقم:٣٧٢٦. ومسند أحمد، رقم:٢٠٠٠، وإسناده صحيح)

الرمال: من يخبر بالغيب بالنظر في الأعداد، والخطوط، وغيرهما.

الفرق بين الكاهن، والعرَّاف:

(١) الكاهن والعرّاف: المخبر عن المغيبات. فهما بمعنى واحد.

(٢) الكاهن: من يُخبِر عن الأمور المستقبلة. العرّافُ: من يُخبِر عن مكان المسروق والضالة.

(٣) الكاهن أخص من العراف، فالكاهن يخبر بالغيب، والعراف يجمع بين المقدمات والأحوال ويخبر بالنتيجة. ويقوم بما يقوم به الكاهن أيضًا. فبين الكاهن والعراف عموم وخصوص مطلقا، فكل عراف كاهن، وليس العكس، فلا يلزم الكاهن أن يجمع بين المقدمات والمتعلقات ويخبر.

(٤) الكاهن: من يخبر بالمستقبل. والعراف: من يخبر بما في القلب بالنظر إلى الكف والوجه، أو يخبر بالماضي.

الحاصل: العراف يخص الماضي، والكاهن يخص المستقبل.

ثم الكهنة على أقسام عدة، بعضهم يدعي أن جنيا يأتيه ويخبره، وبعضهم يقول: أطلع على الغيب بعلمي وفهمي. وقوته الوجدانية ذكيةٌ جدًّا. يقول المؤرخ الشهير المسعودي

(م:٣٤٦هـ) في «مروج الذهب»: «وأما العرَّاف وهو دون الكاهن». (مروج الذهب ٢/ ١٥٤)

يقول أهل العلم: قد يطلق الكاهن على المنجم (الذي يستطلع بالنجوم) أيضًا.(راجع: شرح النووي على صحيح مسلم١/ ٢٠٣. وفتح الباري١/ ٦١٦. وفيض القدير ٦/ ٢٩. وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي ٢/ ٢٥٤. والنهاية في غريب الحديث ٤/ ٢١٥)

للاستزادة من الكهانة، وما يتعلق بها راجع: «مروج الذهب» ٢/ ١٥١-١٧٦.

حكم سؤال الكاهن، والساحر، أو المنجم:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى عرَّافًا أو كاهنا فصدَّقه فيما يقول، فقد كفَر بما أُنزِل على محمد صلى الله عليه وسلم». (المستدرك للحاكم، رقم:١٥، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي)

وفي حديث آخر: عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة». (صحيح مسلم، رقم:٢٢٣٠)

(١) فإن سأل الكاهن، وعدَّه عالم الغيب، أو جزم بخبره، كان حرامًا وكفرًا.

(٢) فإن صدَّقه مع الاعتقاد بأن الجن استرقوا هذا الخبر من الملائكة، وأخبروا به الكاهن، لم يكن كفرا، ولكنه لايجوز.

(٣) إن سأل الكاهن استهزاءً، ليتبين كذبه، لم يكن كفرًا، ولا حرج فيه.

(٤) إن سأل الكاهن امتحانًا، أي: لم يصدقه، ولم يكذبه، ويقدر السائل على الفهم، لم يكن كفرًا، ويجوز ذلك عند الحافظ ابن تيمية رحمه الله.

الأدلة على أن السائل من الكاهن لا يكفر ما لم يعتقده عالم الغيب:

(١) وردت عدة أحاديث بالنهي عن إتيان الكاهن بألفاظ مختلفة، إلا أن الحكم بالكفر فيها جميعا مقيدٌ بتصديقه.

(٢) ذكر العلامة ابن تيمية رحمه الله هذا المعنى في فتاواه مفصلًا، قال: لا بأس بسؤال الكاهن امتحانًا، وروى الشيخان سؤالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن صياد امتحانًا. ثم ورد أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه سأل جنيًّا عن عمر، فقال: تركه يسم إبل الصدقة في مكان كذا.

وأضاف العلامة قائلًا: وفي خبر آخر: أن عمر أرسل جيشًا فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذلك، فذكر له، فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتي بريد الإنس بعد ذلك، فجاء بعد ذلك بعدة أيام. (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٩/ ٦٢-٦٣).

أول هذين الحديثين رواه الإمام أحمد بن حنبل، فقال: «ثنا عبد الله...عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أَبطَأَ عليه خَبَرُ عُمرَ، فكلَّم امرأةً في بطنها شيطانٌ، فقالت: حتى يجيء شيطاني فأساله، قال: رأيتُ عمرَ مُتَّزرًا بكساء يهنأُ إبلَ الصَّدقةِ». (فضائل الصحابة، لأحمد بن حنبل، رقم:٣٠٤)

والحديث الآخر رواه الحافظ ابن حجر وابن جرير الطبري، جاء في الإصابة. «عثيم الجني، له ذكر في «الفتوح»، قال: بينما رجل باليمامة في الليلة الثالثة من فتح نهاوند مرَّ به راكب، فقال: من أين؟ قال: من نهاوند، وقد فتح الله على النعمان، واستشهد، فأتى عمر فأخبره، فقال: صدق وصدقت. هذا عثيم بريد الجن رأى بريد الإنس، ثم ورد الخبر بذلك بعد أيام، وسمي فتح نهاوند فتح الفتوح».(الإصابة في تمييز الصحابة٤/ ٤٦٤. وتاريخ الطبري٢/ ٥٢٨)

وذكر المحدث والفقيه الشهير العلامة محمد بن عبد الله شبلي رحمه الله (م:٧٦٩هـ) غير واحد من القصص التي أخبرت فيها الجن الإنس بأشياء، منها: خبر مقتل أبي عبيدة بن مسعود وأصحابه، بلغَ عمرَ رضي الله عنه عن طريق الجن. (راجع: آكام المرجان في أحكام الجان، ص ١٣٨-١٥١؛ وهواتف الجن، لابن أبي الدنيا)

(٢) قال العلامة عبد اللطيف بن عبد العزيز(م:٨٠١هـ) -المعروف بـ«فرشته»، ومن فقهاء الأحناف البازرين-: «قلت: اللائح لي في التوفيق أن يقال: مصدِّق الكاهن يكون كافرًا إذا اعتقد أنه عالم بالغيب، وأما إذا اعتقد أنه مُلهَمٌ مِن الله تعالى، أو أن الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدَّقه من هذا فلا يكون كافرا».

ساق العلامة حقي الحنفي في تفسير «روح البيان» (٩/ ١٨٤) نص ابن الملك هذا. وذكر ما في معناه الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (٢/ ٩٩).

العلامة ابن فرشته له عدد من التصانيف، منها: «مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار» وهو في شرح الحديث، والظاهر أن هذا النص منه، والكتاب مطبوع، لكن غير

متوفر عندنا.

(٤) ونص العلامة المناوي في هذا المعنى واضح جدا، وهو أنه لا يكفر ما لم يعتقد أن الكاهن عالم الغيب، إلى آخر ما قال. (فيض القدير ٦/ ٢٣)

(٥) وشرط العلامة الشامي رحمه الله أيضًا تصديق الكاهن للكفر؛ «الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب، وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة، كالعرَّاف، والرَّمَّال والمُنَجِّم...، والكل مذموم شرعًا، محكوم عليهم وعلى مصدقِّهم بالكفر...».(رد المحتار ٤/ ٢٤٢. راجع أيضًا: شرح النووي على صحيح مسلم ١/ ٢٠٣. والفتاوى البزازية على هامش الهندية ٦/ ٣٢٦)

السحر لغة واصطلاحًا:

السحر لغة: ما خفي سببه.

السحر اصطلاحا:

١- ما يتخيل على غير حقيقة بخداع، أو ما يجري مجرى الخداع.

ولكن هذا التعريف أخفى من المعرَّف، والحد أخفى من المحدود.

٢- أمر غريب يشبه الخارق، وليس بخارق.

٣- ما يكون بأسباب خفية.

أقسام السحر:

١- ما يكون باستعانة الشياطين. وهذا كفر عند الجمهور. وقال الشافعي: لا يكفر. قال ابن عابدين: «ويجب أن لا يعدل عن مذهب الشافعي في كفر الساحر والعراف». (رد المحتار٤/ ٢٤٠).

٢- ما يكون بأسباب خفية من غير شرك. مثل وضع الدواء على البيض، وإدخاله في قنينة ضيقة الفم، كما كان يفعله مسيلمة، وهذا ليس كفرًا، ولكنه خداع.

٣- السحر قد يكون باعتقال العين. فإن كان باستعانة الشياطين كان في حكم القسم الأول.

٤- وقد يكون بخفة اليد. مثل تحريك اليد بسرعة وانتشال شيء من الجيب تظاهرًا بأنه من الغيب.

هل تتغير الحقيقة بالسحر أم لا؟:

عن كعب الأحبار: «لولا كلمات أقولهن لجعلتني اليهود حمارًا». (موطأ مالك، رقم:٣٥٠٢)

ظاهر معنى كعب الأحبار هذا أن السحر يحول الماهية، ولكن إما أنه رأي من كعب الأحبار، أو نؤوله بأن معناه: يستحمقني اليهود. والحمارية كناية عن الحمق. وكعب الأحبار وإن كان ثقة، ولكن روى الإمام البخاري عن معاوية رضي الله عنه: «إنْ كان مِن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يُحدِّثون عن أهل الكتاب، وإنْ كنَّا مع ذلك لنبلو عليه الكذِب». (صحيح البخاري، رقم:٧٣٦١)

أي: يكذب أهل الكتاب، ويقدمه كعب الأحبار إلى من بعده، حكى الحافظ ابن حجر والعلامة العيني عن ابن الجوزي: «المعنى أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا، لا أنه يتعمد الكذب». (فتح الباري ١٣/ ٣٣٥. عمدة القاري ٢٥/ ٧٥)

نقول: السحر لا يقلِّب الماهية، وإنما تتقلب بالمعجزة، نعم تتقلب الصفة بالسحر، مثلا: المرض مكان الصحة، والحزن مكان الفرح، وضيق العيش مكان الرفاهية. وقد سُحِرَ رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل هذا السحر.

قال المفتي محمد شفيع رحمه الله في «معارف القرآن»: قد يغيِّر السحرُ الحقيقة، واستدل بقول كعب الأحبار، وعزاه إلى الجمهور. (معارف القرآن ١/ ٢٧٥-٢٧٦).

لكن قال العلامة محمد أنور شاه الكشميري في «فيض الباري»: لا يغير السحر الحقيقة، ويغير الصفة؛ «ثم إن السحر له تأثير في التقليب من الصحة إلى المرض، وبالعكس، أما في قلب الماهية فلا، وما يتراءى فيه من قلب الماهية لا يكون فيه إلا التخييل الصرف، قال تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه: ٦٦)، فلم تنقلب الحبال إلى الحيات، ولكن خيل إليهم أنها انقلبت، وهذا ما نسب إلى أبي حنيفة أن في السحر تخيلا فقط، لا يريد به نفي التأثير مطلقًا، فإنه معلوم مشهود، بل يريد به نفي التأثير في حق قلب الماهيات. ولا ريب أن ليس له فيه تأثير غير التخييل، ومن ههنا ظهر الفرق بين المعجزة والسحر». (فيض الباري ٣/ ٤٧٧-٤٧٨)

الفرق بين المعجزة، والكرامة، والسحر:

١- السحر يظهر على أيدي الأشرار والخبثاء، والكرامة تظهر على يد المؤمن الصالح

الذي يداوم على الطاعات، ويجتنب السيئات.

٢- يظهر السحر نتيجة أعمال خبيثة خاصة، والكرامة بالمواظبة على الشريعة، وفضل الله تعالى.

٣- السحر يحصل بالتعليم والتعلم، على خلاف الكرامة، فإنها عطاء من الله تعالى.

٤- يتقيد السحر بزمن معين، أو مكان معين، أو شروط معينة، وأما الكرامة فلا تختص بزمان ومكان وشروط.

٥- يعارض سحرُ الساحرِ سحرَ ساحرٍ آخر، وأما كرامة ولي من الأولياء فلا تعارض كرامة ولي آخر.

٦- يظهر السحر بجهود الساحر، وأما الكرامة فلا يد لجهد الولي، وإن ظهرت الكرامة ألف مرة.

٧- الساحر والغ في الفسق والفجور والخبائث؛ فإنها تعين على خلق التأثير في السحر، وأما الكرامة فلا تظهر إلا على يد مؤمن يتصف بالصفات الحسنة. (دستور العلماء ٢/ ١٢٠).

٨- قال المولانا الرومي: تظهر المعجزة في النوم واليقظة، بخلاف السحر، فإنه لا يظهر إلا في اليقظة.

واتضح الفرق بين المعجزة والسحر من خلال هذه الفروق بين الكرامة والسحر.

السحر تخيل عند المعتزلة:

تقول المعتزلة: السحر لا يغير الحقيقة، ولا الصفة، وإنما هو تخيل محض.(تفسير الرازي ٣٢/ ٣٧٥. وانظر: تعليق أبي هاشم على شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ص٥٦٨)

أدلة المعتزلة، والجواب عنها:

الدليل(١) قال الله تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ (طه: ٦٦)، وقال تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الأعراف: ١١٦)

الجواب: إذا كان السحر على عهد موسى عليه السلام تخيلًا، لم يلزم أن يكون السحر كله كذلك، فبعض السحر عبارة عن اعتقال العين، وبعضه عبارة عن التأثير الظاهري، أو قلب الكيفية.

الدليل(٢): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ (طه: ٦٩)

الجواب: لا يفلح الساحر في مقابلة المعجزة، أو بالنظر إلى النتيجة والعاقبة، وإن كان له تأثير في أول الأمر.

الدليل(٣): إذا كان السحر مؤثرًا، والمعجزة أيضًا مؤثرة، التبس السحر بالمعجزة.

الجواب: (١) السحر لا يقلب الحقيقة، والمعجزة تقلب الحقيقة، فتحولت عصا موسى حية في الواقع، وأما عصي السحرة وحبالهم فكانت نوعًا من اعتقال العين؛ ولذا تلقفت عصا موسى عصي السحرة وحبالهم، لم يعد لها أثر بعد عين.

سبق بيان الفرق بين السحر والمعجزة.

الدليل (٤): كان المشركون يقولون: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا﴾ (الفرقان: ٨)، فعلمَ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مسحورًا في الواقع، وإنما كان الكفرة يصفونه بأنه مسحور.

الجواب(١): المسحور هنا بمعنى الساحر، أي: رجلا ساحرا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سُحِرَ في المدينة المنورة، وأما قول الكفرة بأنه صلى الله عليه وسلم ساحر، فبالنظر إلى المعجزات. ويطلق المسحور على الساحر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ (الإسراء: ١٠١)، ثم قال: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الإسراء: ١٠٢). وأطلقتْ صيغةُ المفعول على اسم الفاعل كثيرًا في سورة بني إسرائيل، منها: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ (الإسراء: ٤٥)، أي: ساترًا.

(٢) لا يلزم بطلان أقوال الكفرة كلها، فكانوا يصفون الرسول بالبشر، فهل هذا باطل؟ وإنما أرادوا أن البشر لا يكون نبيًّا، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- بشر، فلا يكون نبيًّا.

فكانوا صادقين في «صغراهم»، و مبطلين في«كبراهم». فالصغرى: محمد بشر، والكبرى: البشر لا يكون رسولًا.

(٣) المسحور هنا ليس في معناه اللغوي؛ بل كان الكفرة يعتبرون النبي صلى الله عليه

وسلم مختلط الحواس، فقالوا: مسحور، أي: أن عقله فاسد.

يقول أهل السنة والجماعة: السحر مؤثر.

أدلة أهل السنة والجماعة على أن السحر مؤثر:

الدليل(١): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦) وصفه بالعظمة؛ لأنه كان مؤثرًا.

الدليل(٢): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ (البقرة: ١٠٢)

الدليل(٣): قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ (الفلق: ٤). ما كانت الاستعاذة لو لم يكن له تأثير.

حكم تعلم السحر:

قال الإمام الرازي: يجوز تعلم السحر؛ لأنه علم من العلوم، والعلم خير من الجهل. ويقول الجمهور: السحر الحقيقي كفر، وتعلم الكفر بأسباب الكفر، فيحرم. وأما السحر المجازي فليس كفرًا، بأن وضع الدواء على الورق، ووضعه في النار، فلم يحترق.

ويتطلب السحر الحقيقي التلوث بالقاذورات إرضاءً للشياطين، بله المواظبة على الصلاة والصيام. ويضطر إلى انتهاك شعائر الدين، وحينئذ يتحول إنسان إلى كبش لهنيهة، فيبيعه من رجل ساذج، و يحصل على دراهم معدودة. وإنما ضربتُ لك مثلًا واحدًا، كنتُ في مدينة مسقط من مملكة عمان، فقال لي علماؤها: كان للسحر صولة وجولة في هذه البلاد، حتى فرضت الحكومة عليه الحظر بشدة. وكان الساحر يسحر ويمس الرجل، فيتحول كبشا أو شاة، فيسوقه إلى سوق المواشي، ويبيعه، فيأخذه المشتري، فيعود إلى حالتها الأولى ويتحول إنسانًا بعد بضع ساعات.

قال أبو منصور الماتريدي: القول بأن السحر كفر على الإطلاق خطأ؛ لأن السحر إن كان كفرًا وجب قتل الساحر؛ لأنه مرتد، وليس كذلك. فالسحر ليس كفرًا على الإطلاق. فإن كان فيه ما يوجب الكفر كفر، وإلا فلا. وإن كان الساحر يسعى في الأرض فسادًا، مثلا: يقتل أحدًا بالسحر، قُتِلَ، لا لأنه كفر، بل لسعيه فسادًا في الأرض. (مقدمة رد المحتار ١/ ٤٥)

أقسام ما يخرق العادة:

تذكر الكتب المعجزةَ وما يقاربها من الكلمات، ولها تعريفات مختلفة، وفيما يلي تقسيم ميسور مع التعريفات:

الأمر الخارق للعادة:

(١) إن صدر من النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد النبوة فمعجزة.

(٢) وإن صدر قبل النبوة فهو إرهاص.

(٣) وإن صدر من وليّ فهو كرامة.

(٤) وإن صدر من فاسق أو كافر بتعليم وتعلُّم فهو سِحرٌ.

(٥) وإن لم يظهر بتعليم وتعلُّم، فإن وافق مطلوبه فاستدراج.

(٦) وإن خالف مطلوبه فهو إهانة.

(٧) وإن صدر الأمر الخارق للعادة من عامة المسلمين فهو إعانة/ معونة.

أمثلة على الأقسام المذكورة أعلاه:

١- مثال المعجزة: شق القمر، والمعراج، والقرآن الكريم.(راجع لشق القمر:صحيح البخاري، وصحيح مسلم، باب انشقاق القمر، وراجع للمعراج: صحيح البخاري، باب المعراج؛ وصحيح مسلم، باب الإسراء. ولإعجاز القرآن راجع:سورة البقرة: ٢٣؛ وصحيح البخاري، باب كيف نزل الوحي).

٢- مثال الإرهاص: تسليم الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم:«إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». (صحيح مسلم، رقم:٢٢٧٧)

٣- مثال الكرامة: خرج أسيد بن حضير وعباد بن بشير من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فإذا بين أيديهما نور، فلما افترقا، كان مع عصا كل واحد منهما نور.(صحيح البخاري، رقم:٣٨٠٥، باب منقبة أسيد بن حضير، وعباد بن بشير)

٤- مثال السحر: تحول عصي السحرة وحبالهم حيات على عهد موسى عليه السلام. (طه:٦٦)

٥- مثال الاستدراج: يمهل الله تعالى بعض الكفرة والفسقة لمدة، فيفعلون ما شاءوا فيها، مثل تمكين الدجال على قتل ولي من الأولياء، فيقتله، ثم يحييه. (صحيح مسلم، رقم: ٢٩٣٨، باب في صفة الدجال)

٦-مثال الإهانة: مسح مسيلمة الكذاب رأس رجل وهو ينوي الشفاء فصار أصلع. (لوامع الأنوار البهية ٢/ ٢٩٠. والمعارف لابن قتيبة ١/ ٤٥٤. والبداية والنهاية ٦/ ٣٢٧)

أو مثل بصق مسيلمة الكذاب في عين الأعور، فصار أعمى.(تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ص٢٢١. والبداية والنهاية ٦/ ٣٢٧)

٧- مثال المعونة: خروج الناس للاستسقاء، ونزول المطر على الفور بدعائهم، وكثيرا ما يحدث ذلك .

وعدَّ بعضهم الشعوذة أيضًا، والشعوذة نوع من السحر واعتقال العين، ويمكن إدراجه في السحر. (للاستزادة من تعريف هذه الأقسام وتفاصيله راجع: دستور العلماء ٢/ ٥٠. حرف الخاء. كتاب الكليات، ص٤٣٣ فصل الخاء. التعريفات، ص:٢٣٥ الكرامة. فتح الباري ٦/ ٥٨١، علامة النبوة. و١٠/ ٢٢٣، باب السحر)

هل يجوز استخدام الجن أم لا؟:

١- لا بأس باستخدام الجن إذا كان نتيجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- إذا لم تكن الجن مكرهين، ويخدمون أحدًا بنية صادقة ليدعو لهم بالخير في الدنيا والآخرة؛ جاز.

٣- لا يجوز استخدام الجن فيما يحرم، مثلا: في إمراض أحد، أو سرقة شيء من أحد.

ورد في فتاوى أكابرنا أنه لا يجوز سلب حرية الجن بالإكراه، كما لا يجوز سلب البشر اختياره، وإنما جاز ذلك لسليمان عليه السلام، وكان من معجزاته، وكان الجن يعملون بين يديه بأمر الله تعالى. قال المفتي محمد شفيع رحمه الله في فعل ما يحبب المرأة إلى الزوج: إذا كان الزوج يظلم، ولا يؤدي حقوق زوجته، جاز عمل عوذة الحب، والأمر به، شريطة أن يخلو من الحرام، مثل: الشعوذة، وليس فيه سلب اختيار الزوج.(فتاوى دارالعلوم/ ديوبند ٢/ ٢١٩)

١١٤- وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

ذم التفرُّق والتحزُّب:

المراد بالجماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المطيعون، وأتباعهم من أهل الإيمان.

نرى اتباع جماعة الصحابة، ومن تبعهم مِن أهل الإيمان حقًّا، ونجتنب الخروج عليهم فيما أجمعوا عليه، ونرى مخالفتهم وما يترتب عليها زيغًا وعذابًا.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ (البقرة: ١٣٧)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥)

وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣)

وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضرورة توحيد كلمة المسلمين، وذم افتراقهم، واختلافهم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية». (صحيح البخاري، رقم:٧٠٥٤ . صحيح مسلم: رقم:١٨٤٩)

وسبق تفصيله في قول المؤلف: «ونَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجماعةَ، ونَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلافَ والفُرْقَةَ».

أقسام الاختلاف:

الاختلاف على ثلاثة أقسام:

١- الاختلاف في الأديان، كالإسلام، واليهودية، والنصرانية، واللامذهبية، وغيرها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٣)

٢- الاختلاف في أمور العقائد، مثل القدرية، والجبرية، والجهمية، والخوارج، والروافض، والمشبهة، وغيرهم.

٣- الاختلاف في الفروع، مثل المذاهب الفقهية الأربعة.

ويمكن حصر هذه الأقسام الثلاثة في قسمين:

١- الاختلاف في المسائل الاعتقادية. ٢- الاختلاف في المسائل الفقهية.

ثم الاختلاف في المسائل الاعتقادية على قسمين:

١- اختلاف في المسائل الاعتقادية يتضمن إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ويؤدي صاحبه إلى هوة الضلال، مثل الجهمية، والكرامية القائلين بالتجسيم لله تعالى، ومثل اكتفاء المرجئة بالتصديق القلبي للنجاة، واعتقاد القدرية أن الإنسان قادر مطلقًا، والجبرية القائلين بجبر الإنسان.

٢- اختلاف في المسائل الاعتقادية لا يوجب الكفر، مثل قول بعض الصحابة برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه في المعراج، وإنكار بعضهم ذلك. ومثل اعتقاد بعض الصحابة بأن الميت يسمع كلام الناس، فالاختلاف القائم على الدليل في هذه وأمثالها يجوز. ولا يجوز المجادلة والتجاوز عن الحدود.

٣- كذلك تفاوت طباع الناس وأفهامهم، والاختلاف في المسائل الشرعية بناء على الحقيقة والمجاز في النصوص الشرعية واللغة العربية، مما يجوز عقلًا وشرعًا. فنرى اختلاف الصحابة في مختلف المسائل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من غزوة الأحزاب للصحابة: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة». فصادفوا وقت العصر في الطريق، فصلى بعضهم، وحمل بعضهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم على المعنى الحقيقي، ولم يصلوا حتى وصلوا إلى بني قريظة، ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم على أحد منهم. (صحيح البخاري، رقم:٩٤٦)

قال الإمام السيوطي في «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب»: «اختلاف المذاهب في هذه الملة نعمةٌ كبيرةٌ وفضيلةٌ عظيمةٌ، وله سِر لطيف أدركه العالمون، وعمي عنه الجاهلون، حتى سمعت بعض الجهال يقول: النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد، فمن أين مذاهب أربعة؟... وقد وقع اختلاف في الفروع بين الصحابة رضي الله عنهم خير الأمة، فما

خاصم أحد منهم أحدًا، ولا عادى أحدٌ أحدًا، ولا نسب أحدٌ أحدًا إلى خطأ أو قصور، ...إن اختلاف المذهب في هذه الملة خصيصة فاضلة لهذه الأمة، وتوسيع في هذه الشريعة السمحة السهلة». (جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، ص٤-٥، مخطوط)

ساق الشيخ محمد عوامة نصًا طويلًا من كتاب السيوطي هذا في «صفحات في أدب الرأي» (ص١٨-٢١)، وفيه فوائد كثيرة. اقتصرنا على هذا الاقتباس الوجيز خوف الإطالة، وأفرد أهل العلم هذا الموضوع بكتب، للاستزادة منه يرجع إليها.

١١٥- وَدِيْنُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِيْنُ[1] الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)[2]

أيسر تعريف للدين:

أيسر تعريف للدين هو: ما أنزله الله تعالى بواسطة الأنبياء عليهم السلام لنفع العباد. وقد يطلق الدين على الدين الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: ٦)

وسبق بيان مختلف معاني الدين، والملة، والمذهب، والشريعة، والمسلك في أول الكتاب.

المناداة بوحدة الأديان خِداع:

ينادي بعض الناس بوحدة الأديان استرضاءً لليهود والنصارى، ويقولون: أتباع الدين السماوي كلهم ناجون، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

(١) لفظ «دين» سقط من ١١، ١٥، ٣٦. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) الآية الثانية ساقطة من ٢، ٥، ٦، ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥. وسقطت من ٢٤، ٣٥ الآيتان الأخيرتان. وأثبتناهما من بقية النسخ. والإثبات حسن.

يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢)

مع أن معنى الآية يدل على أن الفلاح في الآخرة لايُنال بالأماني والأسماء والأنساب؛ بل لابد له من عقيدة صحيحة وعمل صالح. وهذا الضابط خضع ويخضع له كل عصر وزمان، وسيخضع له في المستقبل. فأصحاب العقيدة الصحيحة من اليهود والنصارى في عصورهم قد أفلحوا ونجحوا. وكذلك من يحمل العقيدة الصحيحة ويؤمن بالتوحيد، وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عمل الصالحات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذهبي، فهو الموفق والناجح. وكيف يدعي من اليهود والنصارى من لم يتزين بالإيمان بتوحيد الله تعالى، والرسالة المحمدية، والعمل الصالحِ النجاحَ و الفلاحَ؟ قال الشيخ محمد أحمد كنعان: «لايصح أن يفهم من هذه الآية، ومن مثيلتها التي في سورة المائدة: ١٥١، ومن الآية ١٧ من سورة الحج: أن اليهود، أو النصارى، أو الصابئين أو أحدًا من الكافرين سيدخلون الجنة على ما هم عليه من الكفر والضلال، بل إن نجاتهم من النار تتوقف على إيمانهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، لا سبيل لهم سواه، وليس في الآية قواسم مشتركة بين المسلمين وغيرهم كما زعم البعض، فالناس مؤمن أو كافر، لا وسط بينهما، وهذا أصل من أصول العقيدة لا يجوز التساهل فيه مطلقًا، فمُجمل معنى الآية هو: أن النجاة من العذاب ليس بأماني الناس، بل هي لمن آمن إيمانًا صحيحًا كما أمره الله على لسان رسوله، لا كما يهوَى الإنسان ويتمنى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥) (قرة العينين، ص١٢-١٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». (صحيح مسلم، رقم: ٢٤٠)

وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)

وأما إذا أرادوا بوحدة الأديان أن العقائد الأساسية في كل دين من الإيمان بالله، والكتب، والرسل، واليوم الآخر متفقة، فهذا صحيح؛ وإن أرادوا أن اليهودية، والنصرانية، موجبتان للنجاة بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فهو باطلٌ وضلالٌ مئة في المئة.

إن الدين الصحيح المقبول عند الله هو الإسلام، وما عداه من الأديان باطل. فكل من

في الأرض والسماء من الملائكة أو الإنس والجن مكلفون بالإقرار بتوحيد الله تعالى، والإيمان بذاته وصفاته، وعبادته، وطاعته. وهذا ما يشترك فيه الأنبياء كلهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد». (صحيح البخاري، رقم: ٣٤٤٣)

والإسلام: الطاعة والخضوع. فمن آمن بنبي زمانه ورسوله، وتبعه يطلق عليه المسلم. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ (البقرة)

وقال تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ (هود: ٢٦)

وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢)

وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ (يوسف: ١٠١)

وقال موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤)

وقال السحرة حين آمنوا بموسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

وقال الحواريون: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١١)

الدين والشريعة مترادفان. وقد يطلق الدين على الأصول والأحكام التي يشترك فيها الأنبياء كلهم من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم. ويطلق الشريعة على الفروع وطرق العمل، التي تختلف من زمن إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩) وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة: ٤٨)

وقد يطلق «دين الإسلام» على شريعة نبي آخر الزمان: محمد صلى الله عليه وسلم، التي نسخت الشرائع كلها، وسيبقى هذا الدين إلى يوم القيامة.

واليهود والنصارى -وإن نسبوا أنفسهم إلى موسى وعيسى عليهما السلام- ليسوا مسلمين؛ لأنهم أدخلوا في توجيهات الأنبياء وتعليماتهم الكفر والشرك، وأنكروا رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى في النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (المائدة)

وقال تعالى في اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ (البينة: ٦)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». (صحيح مسلم، رقم: ٢٤٠)

١١٦- وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْيَأْسِ[1].

الإسلام دين الاعتدال والوسطية، لا إفراط فيه ولا تفريط:

الغلو: تجاوز الحد المضروب. والتفريط: التقصير في أداء المأمورات، واجتناب المنهيات. والإسلام فيه الاعتدال والوسطية. فليس فيه الرهبانية، فيحرم الإنسان ما أُحِلَّ له، ولا أنه حرٌّ مثل الحيوانات، فلا يميز الحلال من الحرام.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٧)

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة: ٢٢٩)

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ (المائدة: ٧٧)

منع الله تعالى من الغلو في الدين، كذلك نهى عن التقصير فيه، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة: ١٨٧)

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ (المطففين)

---

(١) قوله «وبين الجبر والقدر وبين الأمن واليأس» سقط من ٢، ٢٥. وفي ٣ «وهو بين الأمن والإياس» فقط. وفي ٥ «بين الرجاء واليأس». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ (الماعون)

عن أنس رضي الله عنه: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». (صحيح البخاري، رقم:٥٠٦٣)

وعن ابن عباس: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العَقَبة وهو على راحلته: «هاتِ، القُطْ لي» فلَقَطْت له حصَياتٍ هن حصَى الخذْف، فلما وضعتهن في يده، قال: «بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».(سنن النسائي، رقم:٣٠٥٧. ومسند أحمد، رقم:١٨٥١، وإسناده صحيح)

«وبين التَّشْبِيه والتَّعْطِيل»:

التشبيه: تشبيه الخلق بالخالق، أو تشبيه الخالق بالخلق، والتعطيل: نفي صفات الله تعالى، كالمشبهة الذين يشبهون الخالق البارئ تعالى بالخلق. والمعطلة الذين ينكرون صفات الباري.

فغلت المشبهة في إثبات صفات الباري، وقصرت في التنزيه، فشبهوا الخالق بالمخلوق. وغلت المعطلة في التنزيه، وقصرت في الإثبات، فأنكروا صفات الباري.

ويقول أهل السنة والجماعة: نثبت ما ورد به الكتاب والأحاديث الصحيحة من الصفات، و يقولون: كما أن الخالق ليس مثل المخلوق، كذلك صفات الخالق لا تشبه صفات المخلوق. فليس سمعه تعالى وبصره مثل سمعنا وبصرنا، وليس ذلك إلا اشتراكًا في اللفظ. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ردٌّ على المشبهة. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطلة.

«وبين الجَبْرِ والقَدْرِ»:

الجبر: اعتبار الإنسان مجبورًا محضًا، والقدر: اعتبار الإنسان قادرًا مطلقًا.

تعتبر الجبرية الإنسان مجبورًا محضًا، فما يصدر من العبد لا دخلَ له فيه. وهذا ينافي العقل و المشاهدة أيضًا، فما يفعله الإنسان يفعله باختياره، وعلى هذا الاختيار يؤاخذ.

وأما القدرية والمعتزلة فيعتبرون الإنسان مختارًا في إرادته وأفعاله.

ويقول أهل السنة والجماعة: ليس الإنسان مجبورا محضًا، ولا مختارا على الإطلاق. فيكسب أفعاله باختياره، وخالقها الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠) أي: وما تشاؤون كسب شيء وإيجاده إلا أن يشاء الله خلقَه وقضاءَه.

«وبينَ الأَمْنِ والإِياسِ»:

الأمن: عدم الخوف من مؤاخذة الله تعالى. والإياس: القنوط من رحمة الله تعالى. فالأمن من مؤاخذة الله تعالى يعني تعجيز الله تعالى من عذاب العباد، والإياس من رحمة الله يعني إنكار قدرة الله تعالى على عفو العباد.

ولذا يقال: الأمن من عذاب الله كفر، والإياس من رحمته أيضًا كفر.

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩)

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦)

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)

وصف الله تعالى أهل الإيمان بأنهم يدعونه خوفًا ورغبًا، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠) وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة: ١٦)

دين الإسلام طريق سوي بين الإفراط والتفريط، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣)

سبق بيان تفاصيل هذه الأمور كلها في أول الكتاب.

١١٧- فَهَذَا دِيْنُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا[١]، وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى[٢] مِنْ كُلِّ مَنْ[٣] خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ[٤]. وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ[٥] وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ[٦]، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ[٧] وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا[٨] السُّنَّةَ[٩] وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ[١٠]، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ.[١١]

يجدر بالملاحظة عدة أمور في هذا النص الأخير:

١-قوله: «فهذا» إشارة إلى المذكور من العقائد المكتوبة في هذه الرسالة.

---

(١) قوله «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا» سقط من ٢٣. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٢) قوله «إلى الله تعالى» سقط من ١٦. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) في ١ «ممن». وفي ١٠، ٣٢ «من كل من خالفنا في». وفي ٦، ١٥ «من كل مخالفٍ». وفي ٢، ٢٣، ٢٥ «من كل ما». وفي ٥ «من كل خلاف». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٤) قوله «وبيناه» سقط من ٦. وفي ٣٦ «قلناه». ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) أثبتناه من ٣، ٤، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٢٣. وفي ٣ «أن يميتنا عليه». وفي ١٣ «أن يثبتنا» فقط. و في بقية النسخ «أن يثبتنا على الإيمان». والمعنى سواء.

(٦) في ١ «المختلطة». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) سقط من ٢١ من قوله «مثل المشبهة ...». وفي ١٢، ٢٨ بعده زيادة «والرافضة». وفي ١٦، ٣٣ زيادة «المعتزلة» بعد قوله «المشبهة». وسقط من ٢٤ بعد قوله «والقدرية» إلى قوله «وأردياء». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) في ١، ٣ «ممن خالف». والاصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٩) قوله «السنة» أثبتناه من ١، ١١، ١٥، ١٧، ٢٦، ٣٤. وهو ساقط من بقية النسخ.

(١٠) سقط من ١٢ قوله «وحالفوا الضلالة». وفي ٢ «ووافقوا». و في ٧ «وألفوا». وفي ١١ «وتابعوا». وفي ١٧ «واتبعوا». وفي ١ «واتبع البدعة والضلالة». وفي ٢٦، ٣١، ٣٣ «واتبعوا البدعة والضلالة». وفي ٦ «خالفوا الجماعات، وحالفوا الضلالات». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(١١) بهذا تنتهي الرسالة كما ورد في معظم المخطوطات بعده: «تم الكتاب»، أو «تم العقيدة الطحاوية»، أو«تم اعتقاد أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي رضي الله عنه»، أو مجرد: «تمت». ووردت نصوص مختلفة بعده في بعض المخطوطات والمطبوعات تُظهِر نهاية الكتاب، ففي بعضها: «وبالله العصمة والتوفيق»، وفي بعضها: «والله أعلم بالصواب»، وفي بعضها: «والله سبحانه الهادي للحق، وهذا آخر ما أردنا وإليه أشرنا»، وفي بعضها:«حسبنا الله ونعم الوكيل»، وفي بعضها: الحمد، والصلاة، وبعض الأدعية.

٢- ما ذكره المؤلف في هذه الرسالة ثبت بالكتاب والسنة والإجماع. وعليه أهل السنة والجماعة. فيجب اعتقاده ظاهرًا وباطنًا. ثبتنا الله تعالى على هذه العقائد، وأماتنا عليها.

٣- دعا المؤلف في الأخير بالثبات على الإيمان وحسن الخاتمة، وهو دأب الأنبياء والصالحين، قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١)

أوصى إبراهيم ويعقوب عليهما السلام بنيهما: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢)

وقال السحرة بعد أن أسلموا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٦)

٤- سأل المؤلف في نهاية الرسالة الحفظ من أهواء النفس، والفرق الباطلة. فإن العبد لا يقوم بالأعمال الصالحة إلا بتوفيق من الله تعالى، ولا يُصان من الشر إلا بحفظه وكلئه. «لا حول ولا قوة إلا بالله».

٥- الفِرَق التي تعتقد خلافَ ما ورد في هذه الرسالة فِرَقٌ باطلةٌ لمخالفة القرآن الكريم والأحاديث المتواترة. فتبرأ المؤلف منها، كما تبرأ إبراهيم وأتباعه أهل الإيمان من المشركين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤)

٦- الفرق الباطلة كثيرة جدًّا، ذكر المؤلف رحمه الله بعض الفرق الشهيرة على سبيل المثال:

١- المشبهة: تشبه الخالق بالمخلوق.

٢- المعتزلة: تقدم العقل على النقل. وتؤول بعض القطعيات التي تدرك بالعقل، وتنكر الظنيات. وتقيس أفعال الله تعالى على أفعال العباد، وتحكم على أفعال الله تعالى بالحسن والقبح قياسًا على حسن أفعال العباد وقبحها. ولا تعدُّ مرتكب الكبيرة مؤمنًا، ولا كافرًا، وتعدُّه مخلدًا في النار.

٣- الجهمية: أتباع جهم بن صفوان، تعتبر العبد مجبورًا محضًا مثل الجمادات. وتقول بفناء الجنة والنار.

٤- الجبرية: مثل الجهمية.

٥- القدرية: تنكر القدر، تعتبر العباد كاسبين لأفعالهم، وخالقين لها.

٦- وضع المؤلف رحمه الله قاعدة كلية لمعرفة الفرق الضالة، وهي أن كل فرقة تخالف أهل السنة والجماعة، وتتبع البدعة والضلال، فهي باطلة.

سيمر بك تعريف الفِرَق والجماعات المشهورة في آخر الكتاب.

أسباب ضلال الفِرَق الضالَّة:

أهم أسباب ضلال الفرق الضالة تأويل النصوص، والشذوذ عن المسائل التي أجمع عليه المسلمون اتباعًا لأهواء النفس. عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم، خطًّا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيما»، قال: ثم خط عن يمينه، وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)

فعلى كل مسلم أن يسأل الله تعالى الاستقامة على الهداية، والصراطِ المستقيم دائما، وعليه شرعت قراءة الفاتحة في كل صلاة، يسأل العبد فيها اللهَ تعالى الهدايةَ، ويستعيذ من الضلال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (الفاتحة)

بعض الفرق والجماعات الشهيرة

١- القادياني واللاهوري:

بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامية، ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله، ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى أنه المسيح الموعود، ثم ادعى أنه نبي ظلي وبروزي، ثم ادعى أنه نبي صاحب شريعة مستقلة، وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وله دعاوي كثيرة غير ما ذكرنا.

صار المرزا بدعاويه الكاذبة كافرًا ومرتدًّا وزنديقًا. ومن يؤمن بنبوته كافرٌ ومرتدٌّ وزنديقٌ. فمن خرج على الإسلام واتبع القاديانية فهو مرتدٌّ، ومن ولد على القاديانية فهو زنديقٌ. والزنديق: من لا يتدين بدين، ويظهر الإسلام ويطعن فيه. (وللتفصيل في كلمة «الزنديق» راجع المجلد الأول، صفحة ٧٧).

أتباع المرزا على نوعين:

١- قادياني، ٢- لاهوري.

اتفق القاديانيون واللاهوريون على خلافة الحكيم نور الدين بعد غلام أحمد القادياني، وبعد وفاته رغبت الطائفة اللاهورية في استخلاف محمد علي اللاهوري، وأما القاديانية فرغبت في استخلاف بشير الدين محمود. ومحمد علي اللاهوري تلميذ الحكيم نور الدين، وكان له حظوة لدى الطائفتين نظرًا إلى كفاءته وقدراته. عمل تفسيرًا للقرآن الكريم في اللغتين الإنجليزية والأردية. والتفسير عبارة عن التحريف المعنوي لكثير من الآيات القرآنية.

قال اللاهوريون: لا نؤمن بنبوة القادياني، بل نعتقد أنه مجدد وملهم من الله. وهذا باطل وخلاف الواقع. ولو سلمنا فإنهم يعتقدون أنه مجدد، ومهدي، ومأمور من الله تعالى، ونحو ذلك. ويكفر المرء ويرتد بمجرد اعتبار المتنبئ الكاذب مسلمًا. فالطائفتان من القاديانية: الطائفة القاديانية والطائفة اللاهورية كلتاهما كافرة ومرتدة. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٤١٤-٤١٩. إكفار الملحدين، ص١٤، للعلامة محمد أنور شاه الكشميري. ماهي القاديانية؛ تحفة قاديانية، للشيخ محمد يوسف اللدهيانوي)

ألف العلماء عددًا من الكتب والرسائل الخاصة بالرد على القاديانية، منها ما يلي:

- الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، للشيخ منظور أحمد الشنيوتي.
- القادياني والقاديانية، للشيخ أبو الحسن علي الندوي.
- موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، ألَّفه نخبة من علماء باكستان.
- القاديانية: دراسات وتحليل، للشيخ إحسان إلهي ظهير.
- القاديانية نشأتها وتطورها، للشيخ حسن عيسى عبد الظاهر.

٢- البهائية:

البهائية منسوبة إلى المرزا محمد علي الشيرازي. ومحمد علي ولد في إيران عام ١٨٣٠م، كان على صلة بالفرقة الاثني عشرية، أسس الفرقة الإسماعيلية. وادعى محمد علي دعاوي كثيرة، منها: أنه المهدي المنتظر المسمى بـ«باب»، ولذا أطلق على هذه الفرقة «الفرقة البابية». وسبب تسميتها بالبهائية أن أحد وزرائها: بهاء الله كان لفكرته امتداد، بخلاف الوزير الثاني: صبح الأول، الذي لم يشهد امتدادًا.

من دعاوي محمد علي أنه هو المهدي المنتظر. وكان يدعي أيضًا أن الله تعالى حلَّ فيه. وأنه تعالى أظهره لخلقه، وكان يقول بظهور موسى عليه السلام قرب الساعة مثل نزول عيسى عليه السلام. ولم يقل بنزول موسى عليه السلام أحد غيره في العالم. وكان يدعي لنفسه أنه هو المثل الحقيقي لـ «أولو العزم من الرسل»، أي: أنه كان نوحا في عهد نوح عليه السلام، وكان موسى على عهد موسى عليه السلام، وكان عيسى على عهد عيسى عليه السلام، وكان محمدًا على عهد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (العياذ بالله منه).

من دعاويه أنه لا فرق بين الإسلام، والنصرانية، واليهودية. وادعى أنه قدَّم إسلامًا جديدًا بإزاء الدين الإسلامي. وعلى هذه المزاعم الباطلة فارق الحياة. واستُخلف بعده ابنه: عباس المعروف بـ«عبد البهاء».

وليس لتحريف كلام الله وكلام الرسول حد عند البهائية. ومعنى الصلوات الخمس عندهم: معرفة أسرارها، أو معرفة الأسماء الخمسة. وهي: علي، والحسن، والحسين، ومحسن، وفاطمة. والمراد بالصيام عندهم: كتمان أسرارها، أو المراد به: ثلاثون رجلا،

أو ثلاثون امرأة، يعدِّدونهم في كتبهم. والقصد من حج بيت الله عندهم زيارة المشايخ.

لا علاقة لهذه الفرقة بالإسلام لأفكارها الباطلة. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٤٠٩-٤١٤؛ أديان أقوام العالم ومذاهبها، ص ١١٨-١٢٧).

طبعت كتب كثيرة خاصة بالدين البهائي، منها ما هو لمحمد علي المعروف بـ «الباب»، ومعظمها لبهاء الله وعبد البهاء. وكتب آخرون حول البهائية، ولمعرفة عقائد البهائية في كتبها راجع: «الدين البهائي»، نشرته الجامعة البهائية العالمية / لندن.

٣- فرقة «ذكري»:

أسس هذه الفرقة الملا محمد الأتكي في منطقة «تربت» في بلوشستان في القرن العاشر الهجري. بدأ الملا محمد الأتكي بادعاء المهدوية، ثم النبوة، وأخيرًا أنه خاتم الأنبياء.

كان الملا محمد الأتكي من أصحاب السيد محمد الجونفوري (م:٨٤٧هـ)، الذي ادعى المهدوية، ويسمى أتباع «الفرقة المهدوية».

يرجع نشأة فرقة «ذكري» إلى أن الملا محمد الأتكي الملقب بـ«سرباز»- أحد تلامذة السيد محمد الجونفوري بعد وفاته- خرج إلى منطقة «بلوشستان»، وكان يسكنها يومئذ فرقة الباطنية -فرع فرقة الإسماعيلية- إلى منطقة بلوشستان من إيران، وكان يطلق على أفرادها «السيد»، فتحدث الملا محمد الأتكي إلى رؤساء هذه الفرق، فلما تزاوجت عقائد المهدوية والباطنية تمخض عنها فرقة ثالثة هي فرقة «ذكري»، وكان الملا محمد الأتكي يدعي أنه خليفة المهدي في آخر الزمان.

وكلمة هذه الفرقة: « لا إله إلا الله، نور باك محمد مهدي رسول الله».

تنكر هذه الفرقة عقيدة ختم النبوة. وأركان الإسلام، أمثال: الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة منسوخة في دينهم. فستبدلون بالصلاة ذكرًا اخترعوه. ولذا سموا بفرقة «ذكري». و يستبدلون بصوم رمضان المبارك صيامَ العشر الأول من ذي الحجة. ويستبدلون بحج بيت الله أفعالًا مخصوصًا يقومون بها بعد اجتماعهم في منطقة «تربت» في ٢٧/ من رمضان. ويطلقون عليه الحج. ويستبدلون بالزكاة عشر إيرادهم يقدمونه إلى القيادات الدينية لهم.

يعتقد أتباع فرقة «ذكري» أن رئيسهم: محمد مهدي كان نوريا، وعاد إلى العالم الأعلى.

ويعتقدون أنه جلس على العرش مع الله تعالى. (العياذ بالله).

الدين الذكري عبارة عن مجموعة من التقاليد والخرافات، منها: تقليد معروف بـ «تشوكان» يرقص فيه الرجال والنساء بعضهم مع بعض.

فرقة «ذكري» مرتدة عن الإسلام شأن الإسماعيلية والقاديانية، لإنكارها عقيدة ختم النبوة، وأركان الإسلام، والإساءة إلى الرسالة وغيرها من العقائد الكفرية. فلا يجوز اعتبارهم مسلمين، أومعاملتهم معاملة المسلمين.(حقيقة الدين الذكري وعقائده وأعماله، للمفتي احتشام الحق الآسيابادي؛ المذهب الذكري في مرآة الإسلام، لعبد الغني البلوش؛ الدين الذكري والإسلام، للمولوي عبد المجيد بن المولوي محمد إسحاق؛ الاستعراض المفصل للدين الذكري، للدكتور/ ضياء الحق الصديقي، تعريب: الدكتور/ حبيب الله مختار).

٤- الهندوسية:

الدين الهندوسي من أقدم أديان العالم، وليس له داعٍ أو رسول على خلاف الإسلام والنصرانية واليهودية ونحوها. وليس في الدين الهندوسي عقيدة أو فلسفة أو أصول متفق عليها، يجب على الهندوس كلهم اعتناقها. وليس الدين الهندوسي بدوره دينًا يُلزم الناس العبادة والضوابط. (الهندوسية، الناشر: دارالعلوم/ ديوبند).

انحدر أول مجموعة من الآريين إلى الهند ١٧٠٠قبل الميلاد، ثم تتابعت مجموعاتهم إلى الهند، وحمل الأمة الآرية علم مذهبها وتقاليدها إلى الهند. وهو مصدر الهندوسية. (دراسة في أديان العالم، ص ١٠٠).

ولك أن تقدر عراقة الدين الهندوسي أنه ثبت استخدام هذا اللفظ قبل عهد النبي صلى الله عليه وسلم بـ ٢٣٠٠. (الهندوسية، ص ١٠، الناشر: دارالعلوم/ ديوبند).

يقول الدكتور/ راما براشاد: «الهندوسية هي التي تؤيدها الفيدات والأوبانيشادات والبورانات وغيرها، والتي لا تشك في أن الإله قادر مطلق، وغير متشكل، وتؤمن بتشكله أشكالًا مختلفة. وتؤمن بسلطته العليا بالإضافة إلى عدم ردِّ المعالم (كالأصنام مثلا). (الهندوسية، للدكتور/ راما براشاد، ص ١٠٢-١٠٣).

تعد الفيدات أقدم كتب الهندوس وأساسهم، وينيف عدد الفيدات عن ألف، ولكن أصل الفيدات هي واحدة أو أربع، وسائرها شروح عليها. ويعتبر كثير من علماء الهندوسية الفيدات غير مخلوق كالإله. ولكن أكثر علمائها ينكرون أزليتها وأنها غير مخلوقة، وعهد

خلقها يرجع إلى ١٢٠٠٠ قبل الميلاد، أو ١٨٠٠ ق م، أو ٢٥٠٠ق م، أو ١٠٠٠ ق م، أو ٦٠٠ ق م.(أديان العالم: دراسة مقارنة، ص ١٠٣؛ الأديان الهندية، ص ١٣-١٨).

ويعتقد الهندوس وجود آلهة ذكورا (تسمى ديوتا)، وآلهة إناثا (ديوي) لا تحصى ولا تعد، أكبرها ثلاثة: براهما، وفشنو، وشيفا.

تقول الهندوسية بعقيدة التناسخ، ومعنى التناسخ أن تتشكل الروح الإنسانية أشكالًا مختلفةً حسب أعمالها حتما، ويضطر إلى التولد والموت مرات ومرات بسبب المعاصي والذنوب. وتعتقد الآرية أن عدد الأرواح يحصى، ولا يقدر الله على خلق روح جديدة، ففرضوا على كل روح التناسخ بسبب معصيتها، وتلد الروح متشكَّلة أشكالًا مختلفةً مئة وثمانين ألف مرة بإزاء كل معصية. وترى أيضًا أن الروح قد تدخل الرحم، لأجل الحصول على الجسد بناء على أعمالها وعلمها سابقًا، وتدخل بعض الأرواح في الأشياء القائمة من النبات وغيره. (أديان العالم: دراسة مقارنة، ص ١٩٠).

تتيه الهندوسية في ظلمات الكفر لخروجها على الوحي، وقد ارتكبت الشرك العظيم لانحرافها عن الرب ذي الجلال إلى آلهة ذكورًا وإناثًا. (الحوار بين الأديان، من أمالي الشيخ ولي خان مظفر، ص ١٤٦-١٦٠؛ الإسلام وأديان العالم، للحافظ محمد شارق، ص ٧٣-٩٧؛ كبار أديان العالم، للسيد حسن رياض، ص ٥-٨؛ أديان أقوام العالم ومذاهبها، ص ٨١-٩٦).

للاستزادة من مبدإ الهندوسية، وأفكارها المتقلبة، وعقيدتها في الحشر والنشر والجنة والنار مفصلة مدللة راجع: أديان الهند القديمة، للشيخ أبي الحسن زيد الفاروقي. ورسالة السيد مظهر جان جانان رحمه الله حول الهندوسية قيمةٌ للغاية ووثيقة تاريخية، وقد طبعت مع الكتاب المذكور أعلاه، وتستحق المطالعة والقراءة. حاول الرجلان في الكتاب والرسالة في ضوء الأدلة المختلفة التاكيدَ على أن الهندوسية دين سماوي محرف مثل اليهودية والنصرانية.

٥- السيخية:

مؤسس السيخية هو «غورونانك»، ولد في قرية «تلوندي» على بعد نحو (٥٠) ميلا شرق جنوب لاهور، عام ١٤٦٦م، تلقى السنسكريتية والكتب المقدسة لدى الهندوس في باكورة عمره، ثم أخذ العربية والفارسية في كُتاب المسجد في القرية، كان على ولع بالدين منذ نعومة أظفاره، وتطور مع مرور الأيام. واستفاد من مشاهير الصوفية والصالحين في بنجاب،

ولذا يعتقد المسلمون أنه أسلم منذ حياته، ضرب «غوروناناك» في مختلف البلاد مدة خمس وعشرين سنة، توجه في الرحلة الأخيرة إلى السعودية، وحج، وعليه لباس حاج مسلم زاهد، ثم رجع منه وأسس قرية سماها «كرتافور» واستوطنها. كان «ناناك» قائلًا بالتوحيد الخالص، وبالرسالة، وبجميع أركان الإسلام: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة. وقد حج البيت، وبالقرآن الكريم، و غيره من الكتب السماوية، وبختم النبوة، ويأمر بالإيمان بها. (الأديان الهندية، ص ٦٧؛ أديان العالم، ص ٢٠٣؛ الإسلام وأديان العالم، ص ٧٩).

اشتهر على ألسنة الناس-وذكره الشيخ عاشق إلهي الميروتي في كتابه «تذكرة الرشيد» أن «غوروناناك» كان من خلفاء فريد الدين كنج شكر، وهذا غير صحيح، فإن فريد الدين ولد عام ١١٧٥م، وتوفي عام ١٢٥٦م، وأما «غوروناناك» فولد عام ١٤٦٩م، وتوفي عام ١٥٣٨، أو١٥٣٩م، فكانت ولادة «غوروناناك» بعد فريد الدين بمئتين وأربع سنوات. (المكاتيب العلمية، ترتيب: الشيخ مرغوب أحمد اللاجفوري، ص ١٠٣).

وحكى الشيخ مظفر خان في «المكالمة بين المذاهب» عن بعضهم أن «غوروناناك» بايع «داتا كنج بخش» وهذا أيضًا غير صحيح؛ لأن «غوروناناك» ولد عام ١٤٦٩م أو نحوه، وأما «داتا كنج بخش» فولد عام ١٠٠٩م، وتوفي عام ١٠٧٢م.

كان «ناناك» حربًا على الأوهام، والعرق والنسل، وعبادة الأصنام، وعلَّمَ تلامذته- السيخ- ذلك طوال حياته. وكان هذا الدين أقرب إلى الإسلام في أول أمره، ولكن تجلت الصبغة الهندوسية في سلسلة مشايخ السيخ وعظمائهم، فعاد مزيجا من الإسلام و الهندوسية؛ بل غلب عليه العنصر الهندوسي.

وتحتل فلسفة عدم العنف منزلة أساسية في الدين السيخي، ولكن استخدم الشيخ الخامس منهم القوة في نشر الدين السيخي، وأعد جيشًا من أتباعه وحارب المغول، وأنشأ حكومة حرةً بعد صراع دامَ ستة عشر عامًا. (الإسلام وأديان العالم، ص ٧٩-٨٠).

وفي أعقاب «غوروناناك» تبرأت هذه الفرقة من الإسلام وكرهت التعليمات الإسلامية و عادت فرقة غير إسلامية، ويرى أتباعها أنفسهم غير مسلمين.

والكتاب الديني المقدس لدى السيخ هو «جوروجرانت صاحب»، أعده الخليفة الخامس لهم يسمى «الغورو أرجان سينغ». ويحتل تصور «الغورو» -بمعنى المعلم- في توجيهات «غوروناناك» نقطة مركزية، أي: لابد من إرشاد شيخ ومرشد للوصول إلى الله

تعالى. ولهم عشرة خلفاء، أدخل كل واحد منهم شيئًا جديدًا في الديانة السيخية.

والخليفة العاشر والأخير هو «الغورو غوبندا سينغ»، وضع بعض القوانين، منها: المنع من التبغ، واللحم الحلال، وإلحاق الرجال «سينغ» - الأسد- بآخر أسمائهم، وإلحاق النساء «كور» -الأميرة- بآخر أسمائهن، ووجوب اقتناء خمسة أشياء تبدأ بالكاف، وهي:

١. الكيسا، ومعناها: إطالة شعر الرأس، واللحية وعدم حلقهما.
٢. الكنغاها: وهو مشط يستعمله السيخ عند وقت الضرورة، وكلما أرادوا تصفيف الشعر.
٣. الكارا، وهو سوار من الفولاذ يلف حول المعصم.
٤. الكاشا: وتعني لبس سروال متسع ينتهي إلى الركبتين، وهو أشبه بالشورت العسكري.
٥- الكيربان: وهو خنجر من الفولاذ يحمله السيخي للتحلي به، وليحمي به نفسه من أعدائه. (أديان الهند، ص ٦٤-٦٦؛ الإسلام وأديان العالم، ص ١٣٨-١٤١؛ مكالمة بين المذاهب، ص ١٢٧-١٣٠؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ٧٤٤-٧٧٠)

٦- المجوس:

يطلق على المجوس«عبدة النار» و«زرداشت»، يؤمن المجوس بإلهين بدلا من إله واحد. يعتقدون أن أحد الإلهين يخلق الخير، ويطلق عليه «يزدان»، والآخر يخلق الشر، ويطلق عليه «أهرمان». والنار لها مكانة سامية في العقيدة المجوسية، فيعبدونها، ويحفظونها متقدة. ولا يدعونها تخمد. ويعبد المجوس بجانب النارِ- الشمسَ، والقمرَ أيضًا.

وغير خافٍ أن هذا الدين باطل وشرك، فإنه يؤمن بإلهين، ويعبد النار. أمر المسلمون أن يعاملوهم معاملة أهل الكتاب، دون أن يأكلوا ذبيحتهم، أو ينكحوا نساءهم. شهد هذا الدين الفناء مع انتشار الإسلام. (أحكام القرآن، للقرطبي ١/ ٤٣٣؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٤٩؛ الملل والنحل، ص٢٥٧-٢٨٧؛ مكالمة بين المذاهب من أمالي الشيخ ولي خان مظفر، ص١٦١-١٦٦).

٧-اليهود:

يزعم اليهود أنهم أتباع موسى عليه السلام، والتوراة كتابهم السماوي. وكان يطلق

عليهم في زمن موسى عليه السلام «بنو إسرائيل».

تعتقد اليهود أشياء عجيبة غريبة، منها: أن اليهود أحب خلق الله إليه، وأنهم أبناء الله، ولو لم يكن اليهود في الدنيا لرفعت بركاتها كلها، وأخفيت الشمس، ومنع القطر. وفضل اليهود على غيرهم كفضل البشر على الحيوانات. ويحرم على اليهودي أن يرفق بغير اليهود. وأعظم ذنوب اليهود أن يحسن إلى غير اليهود، لم تخلق الدنيا وخزائنها إلا لليهود، فيجوز لهم الاستيلاء عليهم كيفما أمكنهم. ولا يقبل الله تعالى إلا عبادة اليهود، وتعتقد اليهود أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين؛ بل يرتكبون الكبائر.

والدجال إمام عادل في عقيدتهم، وتقوم لهم الحكومة على العالم كله بعد مجيئه، ولا يقولون بنبوة عيسى عليه السلام، ونبوةِ محمد صلى الله عليه وسلم، ويتهمون مريمَ عليها السلام، ويظنون أنهم قتلوا عيسى عليه السلام على الصليب، وردَّ القرآن الكريم عقائدهم الباطلة في غير موضع.

يعتقد اليهود أن عزيرًا عليه السلام ابن الله، ولهم معتقدات واهية أمثالها تشكل جزءًا من دينهم، وهم أهل الكتاب، وكفرة ومشركون لأجل عقائدهم هذه.(الملل والنحل، ص٢٣٠-٢٣٤؛ العقيدة الحنفية، ص١٤٠؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٤٩٥-٥٠٥).

للاستزادة من تاريخ اليهود وعقائدهم مفصلة يرجع إلى الكتب التالية:

«إظهارالحق»، للشيخ رحمت الله الكيرانوي، وكتاب «اليهودية» للدكتور/ أحمد شلبي، و«الدين اليهودي من المهد إلى المقبر» لرضي الدين سيد، وكتاب «موسوعة اليهود واليهودية» للدكتور/ عبد الوهاب المسيري. وهذا الكتاب الأخير في سبع مجلدات.

٨- النصارى:

يزعم النصارى أنهم أتباع عيسى عليه السلام، وتقوم عقائدهم أيضًا على الكفر والشرك، منها: عقيدة التثليث، وهي أن الألوهية عبارة عن ثلاثة أقانيم: الأب-وهو الله-، والابن-وهوعيسى عليه السلام-، وروح القدس -وهو جبريل عليه السلام-. ويقولون بصلب عيسى عليه السلام، ويرون أن آدم عليه السلام لما أكل الحبة من الشجرة التي نهي عنها استحق هو وذريته الفناء، فرحم الله تعالى عباده، فأضفى على كلمته وابنه الأزلي: عيسى عليه السلام، الجسد الظاهري، وأرسله إلى مريم عليها السلام بواسطة من جبريل

عليه السلام. فلما ولدت مريم الكلمة الأزلية، كانت أم الإله، ثم رضي عيسى عليه السلام بالصلب بدون ذنب، ليكون كفارةً لذنوب آدم عليه السلام.

للنصارى فرق كثيرة، منها: الكاثوليك، والبروتستانت، وغيرهما، وكلهم يتفقون على هذه العقائد الأساسية، وإن اختلفوا في الفروع.

والنصارى من أهل الكتاب، وكفرة ومشركون لاعتقادهم التثليث، وألوهية المسيح، و إنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.(الملل والنحل، ص٢٤٤-٢٤٧؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٤٧؛ إعلام الفئام بمحاسن الإسلام وتنبيه البرية على مطاعن المسيحية، ص٢٥؛ العقيدة الحنفية، ص١٤١-١٤٢)

للاستزادة من مجمل الأفكار والنظريات الأساسية في النصرانية وتاريخها راجع: ما النصرانية؟ للمفتي محمد تقي حفظه الله. ويرجع إلى «إعلام الفئام بمحاسن الإسلام، وتنبيه البرية على مطاعن المسيحية» للدراسة المقارنة بين الإسلام والنصرانية، لكاتب هذه السطور.

٩- الشيعة:

لم توجد الشيعية قبل عهد علي رضي الله عنه، وكان يطلق على من يفضل عليًّا رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه، أو كان مع علي رضي الله عنه في القتال «الشيعة». ويطلق على من يفضل عثمان على علي رضي الله عنهما «العثماني». قال أبوخيثمة في «التاريخ الكبير» (١/ ٥٨٤) في أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه(م:١٠٠هـ) -وكان شهد صفين وغيرها مع علي رضي الله عنه-: «كان شيعيا». وقال في أبي العباس الأعمى السايب بن فروخ- وكان يميل إلى بني أمية، ومن العدول الثقات-: «كان عثمانيا».

كانت الشيعة -في مبدإ عهد علي رضي الله عنه- يفضلون الشيخين على علي رضي الله عنه اتفاقًا، وبدؤوا ينتقصون من الشيخين في آخر عهد علي رضي الله عنه. قال أبو إسحاق السبيعي(م:١٢٧هـ) -شيخ الكوفة في عهده، وممن لقي عليا رضي الله عنه، وروى عن ٣٨ صحابيا-: «خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون».(المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٣٨٠)

وقال الليث بن أبي سليم (م:١٤١هـ) -وهو في عداد صلحاء الكوفة وعلمائه-: «أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدًا». (المنتقى من منهاج الاعتدال، ص٣٨٠)

لاذ المصابون بالسبائية بعد مقتل عثمان رضي الله عنه – بالشيعية، وبدؤوا ينالون من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. فنشأت ثلاثة أحزاب منسوبة إلى الشيعية:

١- من يفضل عليًّا رضي الله عنه على عثمان رضي الله عنه، أو كان مع علي في الجمل وصفين. يسميهم المتقدمون «شيعة».

٢- من يفضل عليًّا رضي الله عنه على الشيخين، أو يطعن في الصحابة الذين خالفوا عليًّا رضي الله عنه فيما يبدو، ويسميهم المتقدمون «غلاة الشيعة»، ويطلق عليهم «الروافض» أيضًا.

٣- من كان يكفِّر الصحابة إلا عليًّا وبعضهم، ويتبرؤون من الشيخين، ويسميهم المتقدمون «غلاة الروافض».

فإن كان يعتقد –بجانب ذلك– الرجعة أطلقوا عليه «شدة الغلو في الرفض».

فرق الحافظ ابن حجر بين التشيع والرفض، فقال: «والتشيع محبة عليٍّ وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه، ويطلق عليه رافضي، وإلا فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السبّ أو التصريح بالبغض فغال في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو». (فتح الباري ١/ ٤٥٩)

وقال الحافظ ابن حجر في موضع آخر وهو يفرق بين إطلاق المتقدمين والمتأخرين التشيع والرفض: «فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان وأن عليًّا كان مصيبًا في حروبه وأن مخالفه مخطئ مع تقديم الشيخين وتفضيلهما، وربما اعتقد بعضهم أن عليًّا أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا كان معتقد ذلك ورعًا دينًا صادقًا مجتهدًا فلا ترد روايته بهذا، لا سيما إن كان غير داعية، وأما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المحض فلا تقبل رواية الرافضي الغالي ولا كرامة». (تهذيب التهذيب ١/ ٩٤)

وقال الإمام الذهبي: «البدعة على ضربين: فبدعة صغرى كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق. فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة. ثم بدعة كبرى، كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة. وأيضًا فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلًا صادقًا ولا مأمونًا؛

بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله! حاشا وكلا. فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه، وتعرض لسبهم. والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضًا، فهذا ضال معثر». (ميزان الاعتدال ١/ ٥-٦)

يتبين الفرق بين الشيعة المتقدمين والشيعة المتأخرين بنص الإمام الذهبي(م: ٧٤٨هـ)، قال الإمام الذهبي: ليس في عصرنا -القرن الثامن الهجري- رافضي صادق أمين؛ بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم.

للشيعة ثلاث فِرَق أساسية في عصرنا هذا:

١- الاثنا عشرية، ٢- الإسماعيلية، ٣- الزيدية.

قال الشيخ العاملي الشيعي: «والموجود اليوم من الفرق الشيعة هم الإمامية الإثنا عشرية، وهم الأكثر عددًا، والزيدية، والإسماعيلية (البهرة)». (الشيعة في مسارعهم التاريخي، للسيد محسن الأمين العاملي(م:١٩٥٢م)

١٠- الاثنا عشرية:

إذا أطلق الشيعة في العصر الحاضر أريد به «الاثنا عشرية» هذه. قال أمير علي الشيعي (م:١٣٤٧هـ) في «روح الإسلام»: «أصبحت الاثنا عشرية مرادفة للشيعة».(٢/ ٩٢)، وقال الشيخ محمد الحسين آل كاشف غطا(م:١٣٧٣هـ): «يختص اسم الشيعة اليوم على إطلاقه بالإمامية». (أصل الشيعة وأصولها، ص٢٢٧)، والمراد بالإمامية الاثنا عشرية، كما أوضحه الشيخ غطا لاحقا.

يطلق على الاثني عشرية «الإمامية» لاعتقادها الإمامة، ويطلق عليها «الروافض» لخذلانها زيد بن علي بن الحسين، كما يقول العالم الزيدي أحمد المرتضى (م:٨٤٠هـ)، في «شرح الأزهار»: «لما قالوا له: ما تقول في الرجلين الظالمين؟ قال: من هما؟ قالوا: أبو بكر وعمر، قال: لا أقول فيهما إلا خيرا، فقالوا: رفضنا صاحبنا فسموا رافضه لذلك». أو سُمّوا روافض لإنكارهم خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «إنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر». (مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣)

كما بدأ التشيع بعد مقتل عثمان رضي الله عنه كذلك بدأ الرفض بعد مقتله رضي الله

عنه. قال ابن حزم رحمه الله: «وبموته (أي: عثمان) حصل الاختلاف وابتداء أمر الروافض». (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٦٧).

مؤسِّس الرفض عبد الله بن سبا، الذي تظاهر بالإسلام على عهد عثمان رضي الله عنه، و أراد الفتنة في الإسلام وزعزعة قواعده. وشنَّ حركته في أواخر عهد عثمان رضي الله عنه، ودخل الحجاز والبصرة والكوفة لنشر فتنته، فلما أخرجه أهل الكوفة، توجه إلى مصر، فوجد الجو خاليا لنشاطاته. وهو الذي تولى كبر الفتن التي نشأت في عهد عثمان رضي الله عنه، وولغ في قتل عثمان رضي الله عنه، وتمخض من رحم عقائده وأفكاره الرفضُ.

وللروافض فرق متعددة، قال المقريزي في «الخطط»: «ثم اختلفوا في الإمامة اختلافًا كثيرًا حتى بلغت فرقهم ثلاثة مئة فرقة، والمشهور منها عشرون فرقة». (كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ٢/ ٣٥١)

وقال العلامة سيد مرتضى العسكري- أحد كبار علماء الشيعة في الماضي القريب- في كتابه «عبد الله بن سبا وأساطير أخرى»: «قال سعد بن عبد الله الأشعري القمي المتوفى (٣٠١ هـ) في كتابه: «المقالات والفرق» عن عبد الله بن سبأ: «... كان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليًّا عليه السلام أمره بذلك، وأن التقية لا تجوز ولا تحل، فأخذه علي فسأله عن ذلك فأقر به، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه من كل ناحية: يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك، والبراءة من أعدائك؟! فسيره عليٌّ إلى المدائن. وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًّا فأسلم ووالى عليًّا، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بعد موسى. ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعي علي وهو بالمدائن قالوا للذي نعاه: كذبت يا عدو الله! لو جئتنا والله بدماغه في صرة فأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض».(عبد الله بن سبا وأساطير أخرى ٢/ ٢٥٤)

وساق العالم الشيعي الثقة عندهم محمد بن عمر الكشي (م:٣٥٠هـ) أيضًا في «رجال الكشي» هذه الروايات عن عبد الله بن سبا. وذكر القمي، والنوبختي، وغيرهما من المصنفين الشيعة –علاوة على الكشي- ابن سبا مختصرًا أو مفصلًا. وصرحوا بأن أول من قال بوجوب إمامة علي رضي الله عنه، وبالطعن في الصحابة وخاصة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله

عنهم، وبالتبرئ منهم، وتكفيرهم هو عبد الله بن سبا. وهذا هو أساس الرفض منذ عهد ابن سبا ليومنا هذا. وذكرت كتب الشيعة المعتبرة عقيدتهم هذه في الإمامة، والرجعة، والصحابة.

قال ابن بابويه القمي في «من لا يحضره الفقيه»-وهو من الصحاح الأربعة عندهم- في الرجعة: «ليس منا من لم يؤمن بكرّتنا».(٣/ ٢٩١)

واكتفى ابن سبا بالقول بإمامة علي رضي الله عنه، وأما «أصول الكافي»- وهو من الصحاح الأربعة عندهم-، فقد صرح بإمامة اثني عشر إماما ما عدا علي رضي الله عنه.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زرُّ الأرض، يعني أوتادها، وجبالها، بنا أوتَد الله الأرضَ أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا».(أصول الكافي ١/ ٥٣٤)

بالنظر إلى الرواية المذكورة يبلغ عدد الأئمة –بمن فيهم علي رضي الله عنه- ثلاثة عشر إمامًا، فعدله الطوسي في «الغيبة» (١/ ٢٩١) إلى: «إني وأحد عشر من ولدي، وأنت يا علي».

وأئمة الاثني عشرية الاثنا عشر، هم: علي، والحسن، والحسين رضي الله عنهم، وزين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد التقي، ومحمد النقي، والحسن العسكري، وابنه: محمد بن الحسن الإمام المهدي الإمام الغائب.

وهؤلاء الأئمة معصومون عند الشيعة، قال السيد أبو الحسن العاملي في كتابه «العصمة»: «مذهب أصحابنا الإمامية، وهو أنه لا يصدر عنهم الذنب لا صغيرة، ولا كبيرة، ولا عمدًا، ولا نسيانًا، ولا لخطإٍ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلا الصدوق وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد رحمهما الله، فإنهما جوزا الإسهاء لا السهو الذي يكون من الشيطان». (العصمة، ص٦)

وقال الكليني في «الكافي» في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: «حنان عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي».

على وفق هذه الرواية ارتد –العياذ بالله- الصحابة كلهم إلا ثلاثة.

وقال آية الله العظمى حسين وحيد الخراساني -عالم الشيعة في العصر الحاضر- في كتابه «الإسلام على ضوء الشيعة»: «تجويز الشيعة لعن الشيخين أبي بكر وعمر وأتباعهما، فإنما فعلوا ذلك أسوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء لأثره. فإنهم ولا شك قد أصبحوا مطرودين من حضرة النبي وملعونين من الله تعالى بواسطة سفيره صلى الله عليه وسلم». (الإسلام على ضوء التشيع، ص٨٨ مع الهامش)

أوضح النص السابق أن الشيعة في العصر الحاضر يتبنون أفكار عبد الله بن سبا.

وتعتقد الاثنا عشرية أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. وأن عليا رضي الله عنه الإمام الأول. وتتبرأ من الخلفاء الثلاثة: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وتلعن كثيرًا من الصحابة، وتعد التقية، أي: الكذب- جزءًا لا يتجزؤ من دينها، ومن لم يأخذ بالتقية خرج عندهم من الاثني عشرية. وتعتبر المتعة أحسن العبادات، وأفضل الحسنات.

وتعتقد أن الإمام المهدي هو ابن الحسن العسكري، الذي اختفى في «غار سر من رآه» وهو ابن أربع أو ثماني سنوات. ويخرج منه مهديًّا قرب الساعة، ومدينة «سامراء» في عراق اليوم محرفة من «سر من رآه».

والحق أن الحسن العسكري لم يعقب، كما شهد به أخوه جعفر. ومخترع هذه الأسطورة هو محمد بن نصير، الذي أسس الفرقة النصيرية.

تذكر كتب الشيعة من عقائدهم أن الأئمة عندهم يعلمون ما كان وما سيكون، ولهم أن يحرموا الحلال، ويحلوا الحرام. ويُعِينون غيبةً. ويولَدون من الفخذ، لهم سلطة على كل ذرة من الكون، وهم معصومون وعلماء الغيب، وهم من أصحاب الجنة وإن أقاموا سوق الظلم والاضطهاد والفسق والفجور، وهم أفضل من الأنبياء عليهم السلام ويعدلون محمدًا صلى الله عليه وسلم. يقرؤون التوراة والإنجيل والزبور في لغاتها الأصلية، ويخرج من برازهم رائحة المسك. (الملل والنحل، ص١٧١-١٧٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٥١-٥٦)

علق الشيخ منظور النعماني، وقبله إمام أهل السنة الشيخ عبد الشكور اللكنوي على العقائد التي تذكرها كتب الشيعة تعليقات كثيرة. وفي هذه الرسالة توقيعات كثير من أهل العلم.

ألف كثير من المتقدمين والمتأخرين كتبًا في الرد على الروافض. للاستزادة منه يُرجع إليها.

جمع الشيخ ضياء الرحمن الفاروقي الشهيد رحمه الله في الماضي القريبِ عقائدَ الروافض الباطلة في ضوء كتبهم المعتبرة، مع صورة من النصوص والصفحات، سماه «الوثيقة التاريخية». وطبع الكتاب في الأردية، والإنجليزية.

كما جمع العلامة علي شير الحيدري الشهيد رحمه الله فتاوى أهل العلم ونصوصهم مع صورة الصفحات في هذا الموضوع.

ألف العلماء الكتبَ والرسائل في تاريخ الشيعة الاثني عشرية، والرد على عقائدها، ويجدر مطالعة كتاب «التحفة الاثنا عشرية» للشاه عبد العزيز رحمه الله، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية» للدكتور/ ناصر بن عبد الله بن علي القفاري أيضًا في هذا الصدد. والكتاب الأخير يقع في (١٣٨٠) صفحة، ساق الدكتور/ ناصر عقائدَ الشيعة مرتبة ومدللة في ضوء أقوالهم الواردة في كتبهم القديمة والحديثة المعتبرة. وقام بالترجيح و الجمع بين أقوالهم المختلفة في التقية. وأكد أصل العقيدة في ضوء أدلة مختلفة.

١١- النصيرية:

قال محمد رواس قلعجي(م:١٤٣٥هـ) -من علماء الماضي القريب-: «النصيرية فرقة من غلاة الشيعة يقولون بألوهية علي بن أبي طالب، وبتناسخ الأرواح، وإنكار اليوم الآخر، ويعرفون اليوم باسم العلويين، وهو الاسم الذي أطلقوها على أنفسهم أبان الحكم الفرنسي». (معجم لغة الفقهاء، ص٤٨٠)

تحكم الشام منذ أمد بعيد، وتصب الويلات على السنة بالتكاتف مع الروافض والقوى الباطلة في هذه الأيام، فإلى الله المشتكى.

١٢- الإسماعيلية:

الإسماعيلية من فرق الشيعة، يسكن أتباعها في الهند، والشام، واليمن، والسعودية، وشمال إفريقيا. كما أن لهم تواجدا في أوربا وأمريكا الشمالية في العصر الحاضر.

تتفق الإسماعيلية وغيرهم من الشيعة على الأئمة إلى الإمام السادس: جعفر الصادق في البداية، ثم اختلفوا فيما بينهم، فتقول الشيعة: استخلف جعفر الصادق ابنه إسماعيل؛ ولكن توفي إسماعيل في ١٣٣هـ، وجعفر على قيد الحياة، ثم استخلف جعفر الصادق بعد

وفاته ابنه الآخر: موسى الكاظم، ثم اختلف الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق، فقال بعضهم: الإمام السابع هو ابن إسماعيل، فأطلق عليهم «الإسماعيلية» نسبة إلى إسماعيل بن جعفر، وجرت الإمامة في المستقبل في ذرية محمد بن إسماعيل، إلى يومنا هذا.(الملل والنحل، ص ١٩٩-٢٠١. المواقف للإيجي، ص ٤٢١-٤٢٣)

تتبنى الإسماعيلية العقائد والأعمال المنافية لما عليه المسلمون، ومعارضة للقرآن والحديث النبوي. ولها فرق عدة، وكلها تتفق على العقائد الأساسية. ومن فرق الإسماعلية الأكثر اشتهارًا في العصر الحاضر: البهرة، والآغاخانية.

كلمة الإسماعيلية: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأشهد أن أمير المؤمنين علي الله».(توجيهات الإسماعيلية، كتاب رقم: ١٨٦٩١).

وللإسماعيلية أفكار ونظريات غريبة فيما يخص عقيدة الإمامة. فيعتقدون أن «إمام الزمان» هو كل شيء، فهو الإله، وهو القرآن، وهو الكعبة، وهو البيت المعمور (كعبة الملائكة)، وهو الجنة. والمراد بـ «الله» في القرآن الكريم حيث ورد، هو إمام الزمان. (وجه دين، ص ١، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٠).

الإسماعيلية ليس فيها صلاة، وإنما هو الدعاء مكانها، ولا صلاة فيها ولا زكاة، وإنما يجب دفع عشر الإيراد إلى إمام الزمان بصفته «دسوند»، وليس فيها حج، ويستبدلون به زيارة إمام الزمان. كانت الإسماعيلية تحج إيران أولًا، وتحج أيضًا ممبائي اليوم.(تاريخ الإسماعيلية، ص ٥٥، القول رقم: ١١).

ويطلق على الإسماعيلية «الآغاخانية» نسبة إلى آغا خان شاه كريم الحسيني. نشرت «سواد أعظم باكستان» عقائد الآغاخانية ونظرياتها في ضوء المصادر المعتبرة، باسم «ما الآغاخانية»؟ والتزمت الرسالة إلحاق صورة من المصادر التي استفادت منها بجانب الإشارة إلى صفحاتها.

للاستزادة من الإسماعيلية راجع: «الإسماعيلية: تاريخ وعقائد» لإحسان إلهي ظهير. فقد تحدث المؤلف عن تاريخ الإسماعيلية وعقائدها الظاهرة والباطنة في ضوء كتبهم الظاهرة والباطنة، مع الأدلة والتفصيل.

للاستزادة من عقائد الإسماعيلية ونظرياتها بالتفصيل نرى كتابَ «حقيقة ديننا الإسماعيلي ونظامه» للدكتور/ زاهد علي الإسماعلي، يستحق المطالعة والدراسة.

١٣- الزيدية:

الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة، وهي فرقة معتدلة وسطية، تنسب هذه الفرقة إلى مؤسسها: زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين(٨٠-١٢٢هـ)، الذي قدم فكرة خاصة فيما يتعلق بالحكومة والسياسة، ثم قاتل له، وقتِلَ.

في الزيدية فرق عديدة منها: الجارودية، والسليمانية، والبترية، وغيرها. ذكر الإمام الأشعري ست فرق من الزيدية.(الملل والنحل ١/ ١٥٦. مقالات الإسلاميين ١/ ١٤٠-١٤٥)

لا تقول الزيدية بتوارث الإمامة؛ بل تقوم بالبيعة، فمن كان من ذرية فاطمة، وتوفر فيه شروط الإمامة كان أهلا لها. ويجوز عندهم إمامة اثنين في مكانين مختلفين في آن واحد.

على العكس من فِرق الشيعة، تقول معظم الزيدية بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وإن كانت تفضل عليًّا رضي الله عنه على الشيخين؛ فإنه يجوز عندهم إمامة المفضول مع وجود الأفضل. ويقولون بصحة خلافة عثمان رضي الله عنه وإن كانوا يؤاخذونه على بعض الأمور.

وتميل الزيدية إلى الاعتزال فيما يخص ذات الباري، وتقول بخلود مرتكب الكبيرة في النار شأن الخوارج، وتتفق الزيدية والشيعة على الزكاة والخمس، والتقية عند الضرورة، وهم أقرب إلى أهل السنة فيما يخص أداء الفرائض والعبادات، ويقولون في الأذان «حي على خير العمل» شأن الشيعة، ولايأخذون اليد في الصلاة، ويعتبرون التراويح بدعة. ويقولون بالخروج على الإمام الظالم. كما يقولون بعدم وجوب طاعة الإمام.

تقول الزيدية بكثير مما يقول به الشيعة، فرغم وسطيتهم يتجلى في مذهبهم كثير من عقائد الشيعة.

أقام الحسن بن زيد عام ٢٥٠هـ حكومة على الديلم، وطبرستان للزيدية. وتفرق الزيدية في الشرق: في شواطئ بلاد الخزر، وبلاد الديلم، وطبرستان، وجيلان. وانتشروا في المغرب: مصر، والحجاز، وارتكزوا في اليمن، ومعظم سكان اليمن ليومنا هذا من الزيدية. (الملل والنحل، ص١٥٣-١٦٢؛ مقالات الإسلاميين ١/ ١٣٦-١٦٦؛ الفرق بين الفرق، ص٢٥-٢٨؛ المواقف للإيجي، ص٤٢٣. الفرق الكلامية، ص١٤٢-١٤٣؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٧٦-٧٨؛ الموسوعة الجامعة لأديان العالم، ص٢٢٢-٢٢٨).

للاستزادة من عقائد الزيدية وأحوالها السياسية راجع: «تاريخ الفرقة الزيدية» للدكتورة/ فضيلة الشامي.

ويتوفر في العصر الحاضر عدد من كتب علماء الزيدية، يرجع إليها لمعرفة عقائدهم:

- العقد الثمين في معرفة رب العالمين، لحسين بن بدر الدين (م:٦٦٢هـ)، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، مكبة التراث الإسلامي، صعدة، اليمن.
- الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح، لإبراهيم بن محمد بن أحمد المؤيدي (م:١٠٨٣هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن حسين شايم. ط: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء.
- الزيدية نظرية وتطبيق، لعلي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين (م:١٤١٩)، ط: جمعية علماء المطابع التعاونية، عمان.

١٤-الحشوية:

الحشوية فرقة ظاهرية، تحمل كلمات التجسيم على ظاهرها، وتقول بالجسم لله تعالى، أو أنه شبيه بالخلق. وسميت بالحشوية؛ لأنها أدخلت في الأحاديث النبوية الحشو، والزوائد، والعجائب، والغرائب، والإسرائيليات. قال محمد عدنان درويش في تعليقه على «العقائد النسفية»: «الحشوية هم الذين أدخلوا في الحديث كثيرا من الغرائب، وسمي ذلك حشوًا، أي: حشو الحديث بالأخبار الغريبة، والروايات المخلوطة، ومنها المأخوذ من اليهود، وهو ما يسمى بالإسرائيليات، وهم مشبهة». (انظر: الملل والنحل، ص١٠٤-١٠٥. وإنشاء الفكر، للنشار ١/ ٤٧-٤٨).

وفي «كشاف اصطلاحات الفنون»: «الحشوية قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم، وغيره». (١/ ٣٩٦ لمحمد أعلى التهانوي)

١٥- الخوارج:

الخورج جمع: خارج، والخارج لغة: البارز، وشرعًا: كل من بغى على الإمام الحق الواجبة طاعته، وخرج من طاعته.

أصبح هذا اللفظ لقبًا وعلمًا على البغاة الذين بغوا على علي رضي الله عنه، وأساؤوا إليه

إساءات. ونشأت هذه الفرقة عند مسألة التحكيم، وكانوا نحو اثني عشر ألفا، وتختلف أسماؤهم، كالحرورية، والنواصب، والمارقة. وكان ظاهر أحوالهم أحسن، وباطنهم أخبث بقدره.

انطلق هؤلاء بعد مسألة التحكيم إلى «حروراء»، وأرسل علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما إليهم، ليقنعهم ويرجع بهم إلى طاعة الأمير. وحاول ابن عباس إقناعهم كثيرًا، ففارقهم كثير منهم، ورجعوا إلى طاعة الأمير، ولكن أصر زعماؤهم، ومن وافقهم على موقفهم، كما دخل عليهم علي رضي الله عنه أيضًا، ولكن دون جدوى. وقتلوا الصحابي عبدالله بن خباب رضي الله عنه. ثم قاتلهم علي رضي الله عنه، وكان يقود الخوارجَ عبد الله بن وهب، وذو الخُويصرة حرقوص بن زهير، وغيرهما، وقتِلَ معظم الخوارج في هذه الحرب.

والخوارج على أكثر من عشر فرق، تختلف عقائد بعضهم من بعض بعض الاختلاف، و لكنهم يتفقون على ما يلي:

يكفرون عليًّا وعثمانَ، وطلحةَ، والزبيرَ، وعائشةَ، وابن عباس رضي الله عنهم، ويرونهم مخلدين في النار. كما يكفِّرون من لم يقف بجانبهم في القتال وإن كان على رأيهم، ويقولون بقتل ذراري ونساء مخالفيهم. ولا يقولون بالرجم، ويقولون بخلود أطفال المشركين في النار. ويقولون بأن الله تعالى قد يبعث نبيًّا من يعلم الله عنه أنه سيكفر فيما بعد. كما يقولون: يحتمل أن يكفر النبي قبل البعثة. (والعياذ بالله). ومرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار عندهم. (الملل والنحل، ص١٠٦-١٢١. الاعتصام ٢/ ١٨٥-١٨٦. الفرق بين الفرق، ص٤٩-٧٣. مقالات الإسلاميين ١/ ١٦٧-١٧٦. المواقف للإيجي، ص٤٢٤. الفرق الكلامية، ص١٦٩-١٨٨ . دراسات في الأهواء والفرق والبدع، ص١٨١-١٨٢)

١٦-الإباضية:

فرقة من الخوارج، مؤسسها عبد الله بن إباض. نشأت هذه الفرقة عام ٦٥هـ. لهذه الفرقة تواجد في شرق إفريقيا، وجنوب الجزائر، علاوة على سلطنة عمان في هذه الأيام؛ بل يحكمون سلطنة عمان.

أنشأ عبد الله بن إباض هذه الفرقة بعد ما انشق من فرقة الأزرقية-وهي من الخوارج،

وعهده يتزامن مع عهد الخليفة الأموي عبد الملك. وكان خليفته جابر بن زيد الأزدي من كبار العلماء. وُلِّي قيادة الإباضية بعد جابر أبو عبيدة مسلم. وكان محدثا وعالما. أنشأ مركزا للدعوة بعد عمر بن عبد العزيز في البصرة.

تحمل الإباضية في عموم الأحوال ميولًا عدائية، وحاولت شن حركة البغي في جنوب العرب عام ١٢٨هـ، محاولة فاشلة، انتهت بهزيمتهم في وادي القرى عام ١٣٠هـ. وثارت حركة في عمان عام١٣٢هـ. وانتهت كذلك. ثم شنَّت الإباضية حركة البغي في غير موضع، و أخيرًا انكسرت شوكتهم بالهزيمة في جنوب إفريقيا على يد العباسيين عام ١٢٨هـ، وعلى يد الفاطميين في القرن الرابع.

يرى الإباضية مرتكب الكبيرة موحدًا، وليس مؤمنًا، وهو خالد في النار. والقرآن مخلوق. ولا يُرى الله تعالى في الآخرة. والصفات الإلهية عين ذاتها. وينكرون الميزان، والصراط، وغيرها يوم القيامة. ومن خالفهم من أهل القبلة كفر، ولم يشرك. ولا يرون لزوم وجود الإمامة، ولذا يحكمون عامة بالكتمان (بغيرإمام في الحكومة)، وأحيانا يختارون إمامًا، يتبع القرآن و السنة. وينكرون فضل علي رضي الله عنه وأكثر الصحابة.

لهم فرق عديدة، منها: الأزارقة، والنكارية، والنفاثية، والحفصية، وغيرها. (الملل والنحل، ص١٣١-١٣٢؛ الفرق بين الفرق، ص٦٧؛ الفرق الكلامية، ص١٨٨؛ مقالات الإسلاميين ٢/ ١٨٣-١٨٩؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٥٨-٦٢؛ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١/ ٢٥٢؛ موجز دائرة المعاف الإسلامية، ص٥٥-٥٩)

أصح كتب الحديث عندنا «صحيح البخاري»، ويفضل الإباضية «مسند الربيع بن حبيب» على «صحيح البخاري». وينكرون المسح على الخفين. ولا يرفعون أيديهم في التحريمة، ويصلون مرسلين أيديهم. ويعدون من خالفهم من المسلمين مخلدًا في النار.

منع المفتي رشيد أحمد اللدهيانوي في «أحسن الفتاوى» (١/ ١٩٨)، والمفتي شعيب الله خان في «نفائس الفقه» (٤/ ٤٢٠)، و«فتاوى اللجنة الدائمة» (٢/ ٣٦٩) من الصلاة خلفهم.

١٧- النواصب:

النواصب أو الناصبي: فرقة أو شخص يعتقد العداء والبغض لعلي رضي الله عنه ولأهل بيته. وسموا بالنواصب؛ لأنهم نصبوا أنفسهم للعداء لعلي وأهل بيته. أي: وقفوا أنفسهم له.

قال الزركلي في «الأعلام» في ترجمة شيبان الحروري: «النواصب المتدينون ببغض عليّ». (الأعلام ٣/ ١٨٠)

وقال علي بن نائف: «وسموا بالنواصب لنصبهم العداء لآل البيت الأطهار».(الفتنة في عهد الصحابة، ص٢٢)

وعامة الخوارج نواصب؛ لأنهم يبغضون عليًّا رضي الله عنه، ويسمي الروافض أهلَ السنة «نواصب». والعياذ بالله.

قال الدكتور/ علي محمد الصلابي في النواصب: «النواصب هي إحدى طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد في الصحابة، فقد زين لهم الشيطان اعتقاد عدم محبة رابع الخلفاء الراشدين وأحد الأئمة المهديين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحملهم على التدين ببغضه وعداوته والقول فيه بما هو بريء منه، كما تعدى بغضهم إلى غيره من أهل البيت كابنه الحسين بن علي وغيره». (حاشية «الحسن بن علي بن أبي طالب»، ص٢٢٤)

١٨- المعتزلة:

ظهرت هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني، مؤسسها واصل بن عطاء الغزال. وأول من تبعه عمرو بن عبيد، من تلامذة الحسن البصري رحمه الله. سموا بالاعتزال لاعتزالهم عقائدَ أهل السنة والجماعة، أو لأن الحسن البصري قال: «اعتزلوا عنا». (الفرق بين الفرق، ص٩٨؛ الفرق الكلامية، ص١٩٧)

أو أنها في الأصل فرقة الخوارج التي غُلِبَت واعتزلت في المساجد تعبد الله؛ بل ولغت في نسج المؤامرة ضد الإسلام. (التنبيه والرد للملطي، ص٢٨ . الفرق الكلامية، ص١٩٨)

يقوم مذهب المعتزلة على العقل، فرجحوا العقل على النقل. ويؤولون بعض القطعيات التي لا تُدرَك بالعقل. وينكرون وجود الظنيات. ويقيسون أفعال الله تعالى على أفعال العباد. ويحكمون على أفعال الله تعالى بناءً على الحسن والقبح في أفعال العباد.

والمعتزلة أكثر من عشرين فرقة، متفقة على العقائد الأساسية، وأصول مذهبهم خمسة:

١- العدل. ٢- التوحيد. ٣-تحقيق الوعيد. ٤-المنزلة بين المنزلتين. ٥-الأمربالمعروف والنهي عن المنكر.

١- عقيدة العدل تكمن إنكار عقيدة القدر . قالوا: ليس الله تعالى خالقًا للشر. فإننا لو قلنا: إن الله تعالى خالق الشر للزم أن يكون عذاب الأشرار ظلمًا، وهوخلاف العدل، والله تعالى عادل، ليس بظالم.

٢- حاصل التوحيد عندهم أن صفات الله تعالى كلها، والقرآن الكريم مخلوقة، وإن قلنا بعدم خلقها لزم تعدد القدماء، وهو خلاف التوحيد.

٣- معنى الوعيد عندهم أن ما ذكره الله تعالى من العذاب والوعيد يجب عليه سبحانه أن ينفذه في العصاة، ولا يسع الله تعالى أن يعفو عن أحد. ولا أن يقبل توبة عاصٍ من العصاة. ويلزمه أن يعاقب العاصي، كما يلزمه أن يثيب الصالح، وإلا لم يتحقق الوعيد.

٤- منزلة بين المنزلتين: معناه أن المعتزلة يجعلون بين الإيمان والكفر درجة ثالثة و هي درجة مرتكب الكبيرة، ويخرج مرتكب الكبيرة- العاصي- عندهم من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، فليس مؤمنًا ولا كافرًا.

٥- معنى الأمر بالمعروف عندهم أن الأحكام التي كُلِّفناها يجب أن نأمر الناس بها، ويلزم أن نحملهم عليها، ومعنى النهي عن المنكر أن الإمام إذا جار وظلم، خرجنا عليه وقاتلناه.

شرح القاضي عبد الجبار المعتزلي الأصول الخمسة شرحًا مفصلًا، يعرف بـ«شرح الأصول الخمسة»، نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة.

أصول المعتزلة وشروحهم هذه كلها قائمة على العقل والقياس، ويعارضها آيات وأحاديث واضحة، ومن الخطأ والضلال المبين تقديم العقل والقياس بإزاء النصوص. (شرح العقيدة الطحاوية للبراك، ص٤٢٠-٤٢١؛ الاعتصام ٢/ ١٧٧-١٨١؛ الفرق بين الفرق، ص٧٤-١٣٤؛ مقالات الإسلاميين ٢/ ٢٣٥-٢٨٠؛ الملل والنحل، ص٣٨-٧٢؛ المواقف للإيجي، ص٤١٥؛ الفِرق الكلامية، ص١٩٦-١٩٩؛ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ص١١٧٥-١٢٠١)

عدد أبو منصور البغدادي في «الفرق بين الفرق»(ص٩٣) أكثر من عشرين من فرق المعتزلة.

١٩- المشبهة:

هذه الفرقة تشبه الله تعالى بالمخلوق، ومؤسسها داود الجواربي. وهذه الديانة على

عكس ديانة النصارى، فإنهم يضمون عيسى عليه السلام إلى الخالق، ويتخذونه إلها، وهذه الفرق تضم الخالق إلى المخلوق.

والمشبهة أولًا على قسمين: بعضهم يجعل ذات الباري تعالى مشابهًا للغير، وبعضهم يجعل صفات الباري شبيهة بصفات غيره، ثم هما على أقسام متعددة. بعضهم ينزل أئمتهم منزلة الإله. وبعضهم يقول بحلول الله تعالى في أئمتهم، فيعبدون أئمتهم، ولا شك في بطلان هذه الفرقة وضلالها.(الفرق بين الفِرَق، ص١٥٣-١٥٤؛ الملل والنحل، ص٩٣-٩٦. المواقف للإيجي، ص ٤٢٩؛ مقالات الإسلاميين ٢/ ٢٨١-٢٨٣).

٢٠- الجهمية:

تنسب هذه الفرقة إلى جهم بن صفوان السمرقندي. ولها عقائد عجيبة وغريبة. ينفون صفات الباري تعالى كلها، وينكرون رؤيته تعالى، ويقولون بخلق القرآن، ويقولون: الله عبارة عن الوجود المطلق، ثم يجعلون له جسما. ويقولون بفناء الجنة والنار. والإيمان عندهم عبارة عن المعرفة فحسب. والكفر عبارة عن الجهل فقط. ويقولون بالجسم لله تعالى. ولا فعل لأحد سوى الله تعالى عندهم. فإن نسب إلى أحد فإنما ينسب مجازا. (شرح العقيدة الطحاوية للبراك، ص٣١٦؛ الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل، ص٩؛ الفرق بين الفرق، ص١٤٢؛ الملل والنحل، ص٧٣-٧٦؛ مقالات الإسلاميين ٢/ ٣٣٨)

توافق الجهمية المعتزلةَ في كثير من العقائد، ولذا أطلق الإمام البخاري والإمام أحمد رحمهما الله تعالى «الجهمية» على المعتزلة. ولكن يرى الخياط المعتزلي أنه لا يصح نسبة الجهمية إلى المعتزلة. فإنهم وإن وافقوا المعتزلة في بعض المسائل؛ فقد خالفوهم في أخرى. (الفرق الكلامية، ص١٩٩)

٢١- المرجئة:

الإرجاء: التأخير، لا تقول هذه الفرقة بضرورة الأعمال. وتؤخر مكانة الأعمال كل التأخير. والإيمان عندهم مجرد التصديق. فإذا تحقق التصديق القلبي كفى. وقالوا: كما لا ينفع مع الكفر طاعة، كذلك لا يضر مع الإيمان معصية. وكما لا يدخل الجنة للحظةٍ كافرٌ عمل الطاعات طوال عمره. كذلك المؤمنُ الغارق في المعاصي لا يدخل النار للحظة، فالنار حرام عليه. وللمرجئة عدة فرق، وبعضها أقرب إلى البعض في العقائد.

وهذه الفرقة باطلة وضالة على الإطلاق؛ لأن القرآن والحديث أمرا المسلمين بعمل الصالحات واجتناب السيئات. (شرح العقيدة السفارينية ١/ ٨٩-٩٠؛ التعريفات للجرجاني، ص٢٠٧؛ الفرق بين الفِرَق، ص١٣٥-١٣٨؛ مقالات الإسلاميين ٢/ ٢١٣-٢٣٤. الملل والنحل، ص١٣٧؛ المواقف للإيجي، ص٤٢٧-٤٢٨)

٢٢- الكرامية:

هذه الفرقة فرع من المرجئة، تنسب إلى محمد بن كرام. كان من أهل سجستان. وتنكر صفات الباري. وتعتقد أن الإيمان إقرار باللسان فقط. ولكن يقول المحققون: رأيهم هذا بالنسبة إلى أحكام الدنيا. وأما اعتبار الإيمان في الآخرة فلا بد له من التصديق أيضًا.

للكرامية عدة عقائد:

(١) تنزل الحوادث والبليات على الله تعالى. (العياذ بالله).

(٢) الإيمان هو الإقرار باللسان.

(٣) لا ينتهي عالم الأجساد هذا، ويستحيل عدمه.

(٤) الله تعالى جالس على العرش. قال محمد بن كرام في كتابه «عذاب القبر» في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ (الانشقاق: ١): انشقت السماء بعبء الرحمان.

(٥) لا تجب الصلاة على المسافر؛ ويكفي للمسافر التكبير مرتين بدلًا من صلاة القصر.

(٦) يكفي الطهارة من الأحداث، ولا يجب الطهارة من الأنجاس.

(٧) لله تعالى جسم وصفات مثل ما لنا.

والحاصل أن هذه الفرقة باطلة وضالة في الجملة. (الفرق بين الفرق، ص١٤٥-١٥٢؛ مقالات الإسلاميين ٢/ ٢٣٣؛ شرح العقيدة الطحاوية للبراك، ص٣٢٩؛ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ١٥٥؛ الملل والنحل، ص٩٩-١٠٥)

٢٣- الجبرية:

تعتبر هذه الفرقة العبدَ مجبورًا محضًا مثل الجمادات. وتعتقد أن العبد لا يقدر على أفعاله؛ وعمله كله بمجرد قدر الله تعالى، وعلمه، وإرادته، وقدرته. ولا مدخل للعبد فيه.

مؤسِّسها جعد بن درهم. استقى هذه النظرية من بيان بن سمعة اليهودي. أعرب

صفوان بن جهم –تلميذ جعد بن درهم– في القرن الثاني الهجري في مدينة «ترمذ» عن هذه النظرية. وطوَّرها أتباعه، أي: الجهمية.

هذه الفرقة صريحة البطلان، تعارض النقل، والعقل، والمشاهدة؛ فإنه إذا لم يتصف العبد بالاختيار على الإطلاق وكان مجبورًا محضًا، فما هذا الجزاء والعقاب. (شرح العقيدة الطحاوية للبراك، ص٣٢٩؛ الملل والنحل، ص٧٢؛ المواقف للإيجي، ص٤٢٨؛ معارج القبول بشرح سلم الوصوم إلى علم الأصول ٣/ ٩٤٦؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ١٠٣٥–١٠٣٧)

٢٤– القدرية:

تحمل هذه الفرقة نظريات على عكس الجبرية، فتعتبر الإنسان قادرًا مطلقًا، وتنكر القدر. ووصفت بعض الروايات القدرية بـ«مجوس هذه الأمة». وتقول المجوس بإلهين، وأن كل واحد منهما قادر مطلق. فتقول بآلهة لا تحصى.

ومؤسس هذه الفرقة سوسن أو سوسية النصراني، أسلم ثم تنصر. واستقى هذه النظرية من معبد الجهني وغيلان الدمشقي.

تكره القدرية هذه التسمية لنفسها، وتتسمى بـ«العدلية»، و«الموحدة».

وهذه الفرقة أيضًا باطلة ومعارضة لصريح نصوص الكتاب والسنة. والمعلوم من القرآن والسنة والعقل والمشاهدة أن الإنسان ليس مجبورًا محضًا، ولا قادرًا مطلقًا؛ بل هو كاسب، وله اختيار الكسب. (لوامع الأنوار البهية ١/ ٣٠٢؛ شرح العقيدة الطحاوية للبراك، ص٣٢٩؛ مرقاة المفاتيح ١/ ١٨٢؛ معارج القبول بشرح سلم الوصوم إلى علم الأصول ٣/ ٩٤٣؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ١١١٤–١١١٥؛ مختصر معارج القبول، ص٢٩١، القدرية وماجاء في ذمهم وحكمهم من النصوص والآثار وأقوال الأئمة)

٢٥– الديوبندية:

يقول الشاعر الأردي:

زباں پہ میری خدایا یہ کس کا نام آیا
کہ میرے نطق نے بوسے میری زباں کے لیے

(اللهم، اسم من جرى على لساني،حيث قبَّل نطقي لساني)

«الديوبندية» ليست عنوانًا لحزب أو فرقة، حتى نعتبرها بهذه النسبة فرقةً أو حزبًا من الأحزاب المصطلح عليها؛ بل هي جماعة من أصحاب التدريس والتعليم، وأصحاب

الإرشاد و التلقين، تعرف بهذه التسمية، وعرفت بنسبتها إلى مكان التعليم «ديوبند».

وكذلك ليس المراد بعلماء ديوبند تلك الزمرة العاكفة في دارالعلوم/ ديوبند على التعليم، والتدريس، والإفتاء، والقضاء، والدعوة، والوعظ، أو التصنيف والتأليف؛ بل المراد بهم جميع العلماء الذين هم على صلة –عقلًا وفكرًا– بمجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي رحمه الله مرورًا بحكمة الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله، والذين هم على مشرب بُناةِ دار العلوم/ ديوبند: مولانا محمد عابد، والإمام محمد قاسم النانوتوي، والعلامة محمد يعقوب النانوتوي، قدس الله أسرارهم، سواء كانوا علماء ديوبند أوعلماء مظاهر علوم، أو علماء مدرسة شاهي مراد آباد،أو علماء الندوة، وغيرهم من علماء مئات المدارس والمؤسسات التعليمية، وسواء كانوا عاكفين على التعليم والتدريس، أو دائبين على المدنية والسياسة والاجتماع، أو كانوا متفرقين في دول العالم المختلفة، ومشتغلين في التصنيف والتأليف. ثم سواء كانوا في أوربا وآسيا، أو إفريقيا، أو أمريكا. كلهم يشملهم عنوان «علماء ديوبند»وكلهم يدعون «علماء ديوبند».

وعلماء ديوبند في اتجاههم الديني ومزاجهم المذهبي أهل السنة والجماعة على الإطلاق. فليسوا فرقة جديدة، أو جماعة تحمل عقائد جديدة، خلقها الزمان أو الجو؛ بل هي الجماعة الوحيدة التي حافظت على معتقدات أهل السنة وأصولهم وقوانينهم كما يجب، وقامت بتعليمها ونشرها، وهم قوام أهل السنة والجماعة، والذي قام بنشره وعولمته مؤسس دار العلوم / ديوبند عن طريق تلامذته مباشرة وغير مباشرة مع الحفاظ على لونه الأصلي القديم.

والنصوص الشرعية تفيد فضائل أهل السنة والجماعة ومناقبهم وخصائصهم، واختار علماء ديوبند –حرفيا– المسلك الذي انعكس عليه فضائلهم وخصائصهم.

لقد خدم علماء ديوبند في شبه القارة الهندية وخارجها الدينَ خدمةً اعترف بها الأصدقاء والأعداء. ولا يسعنا استيعاب خدماتهم في أوراق معدودة. وإنما نتعرض هنا لبعض مسائلهم التي امتازوا بها عن غيرهم من الجماعات والأحزاب. فعلماء ديوبند يقولون: الله تعالى عالم الغيب، لا الرسول صلى الله عليه وسلم. والله تعالى هو المختار المطلق، ويحرمون الاستعانة من غير الله تعالى فيما يفوق الأسباب. ويقولون بزيارة القبور. وأما وضع الأردية والأزهار والإضاءة على القبور وتجصيصها وعمل القباب عليها، واتخاذ الأعراس

عندها، ومحافل الشعر بالقرب منها، فلا يرون جوازها. ولا يبيحون محافل الميلاد السائدة المملوءة بالخرافات، مع قولهم باستحباب ذكر الر سول صلى الله عليه وسلم، ومدحه من غير تخصيص الأوقات وتعين الهيئات. والمصافحة بعد الصلوات الخمس. والتحلق بعد صلاة الجمعة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ويمنعون من تحديد الأيام لإهداء الثواب إلى الأموات. ولا يبيحون إقامة وليمة بعد الدفن بثلاثة أيام بعد الموت، أو الاجتماع في بيت الميت وتناول الطعام وتضييف الناس. ويحرمون الثلاثية والأربعينة، ويرون الأذان على القبر بدعة.

ويبيحون التوسل بالأنبياء والأولياء في الدعاء. ويحرمون أخذ الأجرة على مجرد التلاوة، وإهداء الثواب. ويكرهون التسمية بـ عبد النبي وعبد الرسول. ويرون أن الروح على صلة بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث يسمع النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة والسلام عليه، والاستشفاع منه عن قريب، ويمكن عرض الصلاة والسلام عليه من بعيد. ويرون التقليد حقًّا، ويعدون اللاتمذهب مصدرًا لأنواع من الفساد. ويستحبون أشغال الصوفية، بل كان كبار علماء ديوبند على صلة بمختلف سلاسل التصوف الشهيرة. ولا يزالون على ذلك. حشرنا الله تعالى في زمرتهم، وأفاض علينا من علومهم.

٢٦- البريلوية:

البريلوية فرقة صوفية، ظهرت في الهند على عهد الاستعمار البريطاني، غلا أتباعها في تقديس وحب الأنبياء والأولياء عامة، وفي حب النبي صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة. فوصفوهم بصفات ترفعهم عن خصائص البشرية.

أسسها مولانا أحمد رضا خان بن نقي علي خان (١٢٧٢- ١٣٤٠هـ)، ولد في «بريلي» من ولاية أترابراديش، الهند.

لقد غلت هذه الفرقة في النبي صلى الله عليه وسلم غلوًّا كبيرًا، فرفعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزلة الألوهية. قال الشيخ أحمد رضا في كتابه «حدائق بخشش»(٢/ ١٠٤): «يا محمد! لا يسعني أن أصفك بالألوهية، ولكن لايسعني الفرق بينك وبين الله. فأمرك إلى الله تعالى، وهو أعلم بحقيقتك».

كذلك وصفت البريلوية النبي صلى الله عليه وسلم بصفات تنافي الحقيقة. فقال الشيخ أحمد رضا خان في كتابه «خالص التوحيد» (ص ٣٣): «لقد أعطى الله تعالى صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم كل ما في اللوح المحفوظ».

ترى البريلوية أن النبي صلى الله عليه وسلم والأولياء على علم بما استأثر الله بعلمه. قال الشيخ أحمد رضا خان في كتابه «خالص التوحيد» (ص١٥٣، ١٥٤): «مما لا شك فيه أن الأشياء الخمسة المذكورة في الآية القرآنية لا تخفى على النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف ذلك، و قد علمه الأقطاب السبعة من أمته، وهم أدنى منزلة من الغوث، فما بالك بسيد المرسلين، الذي هو سبب وجود جميع الأشياء، وكل شيء وجدَ بفضله».

ومن عقائد البريلوية ما يسمى بعقيدة الشهود، ومعناها: أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر ويرى أفعال الخلق كلها في كل زمان ومكان. قال مولانا أحمد يار خان في كتابه «جاء الحق» (١/ ١٦٠): «معنى الحاضر والناظر شرعًا أن الذات القدسية وصاحب القوة ترى الكون من مكانه كما ترى كفها. وتسمع الأصوات من قريب، يسعها التجول حول العالم كلمح بالبصر، وتعين المضطر، وتجيب المظلوم».

تنكر البريلوية بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وتعتبره نورًا من الله تعالى. قال أحمد يار خان في كتابه «مواعظ نعيمية» (ص ١٤): «النبي صلى الله عليه وسلم نور من أنوار الله تعالى».

ترغِّب البريلوية أتباعها في الاستغاثة بقبور الأنبياء والأولياء، وتعتبر كل من يكرهه ملحدًا. قال مولانا أمجد علي في كتابه «بهار شريعت» (١/ ١٢٢): «لا شك أن من أنكر الاستغاثة بقبور الأنبياء والأولياء ملحد».

تشيد البريلوية القبور، وتطليها بالطلاء، وتشعل الشموع في جوفها، وتنذر لصاحب القبر، وتتبرك به. وتحتفل على القبور، وتقول بإقامة وليمة بعد ثلاثة من دفن الميت، وكذلك الأربعينية للميت، والسنوية، والحادي عشرية، والأعراس، وغيرها من طقوس كثيرة. ويعدونها جزءًا من الدين.

من عجائب عقائد البريلوية ما جاء في «ملفوظات أحمد رضا خان» (٣/ ٢٧٦) أنه قال: «لا شك أن الأنبياء عليهم السلام تعرض عليهم أزواجهم، ويعاشرونهن».

يقولون: البريلوية في الأصل من جماعة أهل السنة، وتتبع الفقه الحنفي، ولكن البريلويون خلطوا عقائدهم بعقائد باطلة أخرى، منها: الاحتفال بعيد الميلاد، أشبه شيء باحتفال النصارى بمحافل عيد الميلاد المسيحي في بداية السنة. وكذلك ترفع البريلوية ذات النبي صلى الله عليه وسلم حتى تلاقي الخرافات التي تنسبها النصارى إلى عيسى عليه السلام. وانحدرت إلى البريلوية أفكار الهندوسية والبوذية -علاوة على النصرانية- وخالطت عقائدها الإسلامية. (موسوعة أديان العالم الجامعة، ص ٥٨-٦٤).

ألف أهل العلم كثيرًا من الكتب والرسائل في تاريخ البريلوية، وعقائدها، والرد عليها. ويستحق كتاب «البريلوية: عقائد وتاريخ» لإحسان إلهي ظهير، و«دراسة البريلوية» للعلامة خالد محمود للمطالعة.

٢٧- القادرية:

سلسلة من الدراوشة، منسوبة إلى عبد القادر الجيلاني رحمه الله (م:٥٦١هـ= ١١٦٦م). وكان عبد القادر الجيلاني رحمه الله على مذهب الحنابلة، وناظرًا على رباط (خانقاه) ومدرسة في بغداد، وكان له مجلس وعظ فيها. ونشرت مجموعة مواعظه فيما بعد باسم «الفتح الرباني». وذهبت الخانقاه والمدرسة أدراج الرياح بعد خراب بغداد على يد التتار. وخلفه ابناه عبد الوهاب (م:٥٩٣هـ=١١٩٦م)، وعبد الرزاق (٦٠٣هـ = ١٢٠٦م). وشهدت هذه الفرقة تطورًا هائلًا بعد فترة من الزمان، وانتشرت سلسلة البيعة والإرادة بصورة مستقلة. وكان الشيخ يمنح من يراه مؤهلًا من تلامذته الخرقة، ويبعثه إلى البلاد الأخرى لنشر المذهب، وبدأ عدد من مريديه وأصحابه في حياة شيخهم تلقين الناس تعليماته. وتحتل طريق القادرية أهمية كبرى في الطرق الأخرى في باكستان، والهند.

وصلت هذه السلسلة في شبه القارة الهندية إلى الشيخ محمد الحسني الجيلاني، والشيخ عبد القادر الثاني، والشاه كمال كيتهلي، والشاه سكندر محبوب إلهي رحمهم الله تعالى. و انضم إلى هذه السلسلة في شبه القارة الهندية غير واحد من العلماء المشهورين، والصوفية الصالحين. (موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٧٩٨١-٧٩٨٨؛ مكالمة بين المذاهب، من أمالي ولي خان مظفر، ص ١٩١)

٢٨- السهروردية:

زعيم السلسلة السهروردية شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي البغدادي الشافعي وُلِدَ في قصبة «سُهَرورد» بالقرب من مدينة «زنجان»، تحول إلى بغداد وهو شاب. وتلقى العلم في الجامعة النظامية. وحدث عن الإمام البيهقي، والعلامة الخطيب البغدادي، وأبي زرعة الدمشقي، والإمام القشيري رحمهم الله تعالى. وسافر إلى الإسكندرية أيضًا، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى.

ثم تخلى عن التدريس وصحب الدراوشة وعمل الأربعينية والمجاهدات. وولي رئاسة المدرسة النظامية بدعوة من السلطان مسعود السلجوقي، وخليفة بغداد. وكان يرتدي الرداء الأخضر ويركب البغل في عامة الأحوال. ضريحه في بغداد.

من تلامذته ومريده: المحدث والفقيه الشهير الحافظ ابن عساكر، والإمام فخر الدين أبو علي الواسطي رحمهم الله. توفي عام٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م. له أكثر من عشرين كتابًا، من أجدرها بالذكر: «عوارف المعارف»، و«جذب القلوب».(سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٢-٣٧٨. وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦-٤٤٨؛ موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص٥٩١٤؛ مكالمة بين المذاهب، ص ١٩٢).

٢٩- النقشبندية:

سلسلة من الصوفية الدراوشة أجراها محمد بهاء الدين البخاري (١٣١٧-١٣٨٩م). ومعنى «نقشبند» المصور، وكان يصور الحقيقة فسمى مريدوه هذه السلسلة بالنقشبندية، أو لأنه نقش اسم الله تعالى في القلب. فاشتهروا بها. وهم أكثر شبهًا بطريق أويس القرني أصولًا. وألف أحد تلامذته فيه كتابا سماه «مقامات سيدنا الشاه نقشبند»، شرح فيه أحواله وطرق ذكره. وكان محمد بابا السنوسي يرفع صوته بالذكر من قبلُ؛ ولكنه خالف مرشدَه في هذا الباب، وآثر الذكر الخفي. ورغم اختلاف المرشد معه مدة من الزمان لما حان أجله استخلفه.

تطورت هذه السلسلة في أول أمرها في آسيا الوسطى، وتركستان، وبخارى، ثم انتشرت في باكستان، والهند، وغيرهما من البلاد. وللنقشبندية مراكز في أماكن كثيرة من باكستان. (موجز دائرة المعارف الإسلامية، ص ٩٩٦٠-٩٩٦٣؛ مكالمة بين المذاهب، من أمالي ولي خان مظفر، ص ١٩١)

للاستزادة من مشايخ النقشبندية، ولطائفها، وأنواراها مفصَّلة راجع: كتاب «سلسلة الذهب في السلوك والأدب» لمحمد مراد الأزبكي النقشبندي.

٣٠- الجشتية:

هي سلسلة من الفقراء والدراوشة، أسسها أحد الصالحين: أبو إسحاق- في الجيل التاسع من علي رضي الله عنه-، يلقب بـ«شرف الدين»، أو «شريف الدين». جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة، ولد في قصبة «جشت»، لزم الشيخ ممشاد الدينوري سبع سنوات. ثم اشتهرت هذه السلسلة بالجشتية نسبة إلى مبدئها «جشت». تقول بعض الروايات: انحدر هؤلاء المشايخ من آسيا الصغرى، ونزلوا في قرية «جشت» بـ«هراة»، التي كانت مقر الحكومة لخراسان في يوم من الأيام. وقيل: نزلت في الشام. وتوفي بها ١٤/ ربيع الآخر ٣٢٩هـ. وضريحه في«عكة» من ضواحي الشام.

وذهب البعض إلى أن مؤسس هذه السلسلة هو غريب نواز رحمه الله. ويرى غير واحد أن مؤسسها الخواجه أبو أحمد الأبدال من «جشت». وهو من خلفاء الخواجه ممشاد الدينوري. ويعدون الخواجه معين الدين الجشتي رحمه الله داعيةً لها في الهند وباكستان، و كان من خلفائه الخواجه قطب الدين بختيار الكاكي رحمه الله. ومن خلفائه بابا فريد الدين كنج شكر رحمه الله، المتوفى عام ٦٦٨هـ/ ١٢٣٥م. وضريحه في «باك بتن» من مديرية «ساهيوال» (باكستان). وللبابا فريد الدين مريدان وصاحبان: أحدهما: علي أحمد صابر، و ضريحه في «كلير» بالقرب من مدينة «روركي». ويطلق على أتباعه «الصابري الجشتي». وثاني أبرز مريديه: نظام الدين الأولياء رحمه الله، وضريحه في «دلهي». ويطلق على أتباعه «النظامي».
(تاريخ جشت، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي؛ مكالمة بين المذاهب من أمالي الشيخ ولي خان مظفر، ص ١٩٣).

٣١- الأشاعرة والماتريدية:

لأهل السنة والجماعة طائفتان في المسائل الاعتقادية: الأشاعرة، والماتريدية. والأشاعرة: هم المنسوبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. وهو من وُلد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بست وسائط. وأتباع الإمام أبي منصور الماتريدي في الأمور الاعتقادية يطلق عليهم «الماتريدية». وهو من تلامذة الإمام محمد بن الحسن الشيباني-

صاحب الإمام أبي حنيفة، وشيخ الإمام الشافعي- بثلاث وسائط.

لقد كان هؤلاء على ذروة من تحقيق الأصول الدينية والمسائل الاعتقادية وتدقيقها. وأكدوا العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية والنقلية. وكشفوا شبهات الملاحدة والزنادقة وأبطلوها بالعقل والنقل. فتجلى مذهب الصحابة والتابعين على أحسن وجه. فنسب علم الكلام في أهل السنة والجماعة إلى هذين الإمامين.

كان الإمام أبو منصور الماتريدي من أهل ماوراء النهر، حيث يتبع الناس المذهب الحنفي، وكان الماتريدي على مذهب الأحناف، فأطلق على الأحناف «الماتريدية» لاتباعهم إياه في العقائد.

وماوراء النهر: المنطقة التي في شمال نهر جيحون، ومن أشهر مدنه: سمرقند، وبخارى، وفرغانة، وبدخشان، وخوارزم، وطاشقند.

قال أبو عبد الله المقدسي (م:٣٨٠هـ) في «ماوراء النهر»: «هو أجلُّ الأقاليم وأكثرها أجلَّة وعلماء، ومعدن الخير، ومستقرّ العلم، وركن الإسلام المحكم، وحصنه الأعظم، ملكه أجلُّ الملوك، وجنده خير الجنود، قوم أولو بأس شديد، ورأي سديد، واسم كبير، ومال مديد، وخيل ورَجْل، وفتح ونصر...، وترى دينًا مستقيما وعدلًا مقيمًا في دولة أبدًا منصورة مؤيَّدة، ومملكة جعلها الله عليهم مؤبَّده، فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك، ويملك في غيره من كان فيه مملوك، هو سدُّ الترك، وترس الغزِّ، وهول الروم، ومفخر المسلمين، ومعدن الراسخين». (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ١/ ٢٦٠)

وسكن الإمام أبو الحسن الأشعري بغداد مقر الخلافة الإسلامية، وفي سكانها شوافع، ومالكية، وحنابلة. وكان الأشعري بدوره شافعيًّا على القول الراجح. وقيل: كان مالكيًّا. وقيل: كان حنبليًّا. فأطلق على معظم الشافعية والمالكية ومعظم الحنابلة «الأشاعرة» نسبة إلى الإمام الأشعري.

والطائفتان في الواقع على ما ثبت واستقر من مذهب الصحابة، والتابعين، والأئمة المجتهدين. ولم يختلف الإمامان إلا في (١٢) مسألة. والنزاع فيها لفظي وصوري، لا حقيقي. ثم هو مسائل لم يرد نص صريح من الكتاب والسنة فيها. ولم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم شيء واضح.

تحقيق كلمة «الأشاعرة»:

يطلق أهل العلم والمصنفون من أهل السنة والجماعة على الأشعرية «الأشاعرة»، ويرد الإشكال بأنه لو كان الغرض جمع «الأشعري» لكان «الأشعريين»، أو«الأشعريون»، وهو جمع «الأشعري»، نسبة إلى أبي الحسن الأشعري. ورد في «صحيح البخاري» جمع الأشعري على «الأشعريين». قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الأشعرِيِّين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد». الحديث. (صحيح البخاري، رقم:٢٤٨٦)

فلِمَ جمع «الأشعري» على «أشاعرة»؟ ولو تكلفنا وقلنا: إنه جمع «أشعر»، لكان «أشاعر»، كما يجمع «أصغر» على «أصاغر»، ويجمع «أكبر» على «أكابر»، و«أسفل» على «أسافل» فما بال التاء لحقته؟

الجواب: بحثه ابن سيدة (م:٤٥٨) في «المخصص» (٥/ ٧١)، خلاصته بتصرف: أرادوا جمع «الأشعري» فحذفوا الياء المشددة لكثرة الاستعمال، فصار«أشعر» فجمعوه—جمعًا سالما أحيانًا فقالوا: «أشعرون». وجمعوا جمعًا مكسرًا على «أشاعر». ثم عوضوا عن ياء النسبة المحذوفة بزيادة التاء في آخر الجمع، أو وقفوا عليه فقالوا: «أشاعرة».

قال في «دستور العلماء»: يطلق الأشاعرة على الماتريدية والأشعرية كليهما، والأشعرية في مقابلة الماتريدية.(١/ ٨٧). وأما عامة المتكلمين فيطلقون الأشاعرة والأشعرية كلتيهما في مقابلة الماتريدية.

قال الشيخ عبد الحفيظ البلياوي: إذا انتهى الاسم بياء مشددة، وقبله حرفان (أو أكثر) وجب حذف الياء، كما يقال «شافعي» نسبة إلى «الشافعي»، و«الإسكندري» نسبة إلى «الإسكندرية». فإن كان قبل الياء حرف واحد، مثل:حي، وجب فتح الثاني، وقلب الثالث واوًا، مثل الحَيَوِي من «الحي».(مصباح اللغات، ص ١٢).

وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى دعاة اليمن، وخدمات مشايخ علم الكلام الدعوية والعلمية بقوله: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية».(صحيح البخاري، رقم:٤٣٨٨)

أي: خير الإيمان والذي يتعدى إلى غيرهم هو إيمان أهل اليمن. والحكمة، أي: إثبات المسائل العقدية بالأدلة النقلية والعقلية منسوب إلى أهل اليمن.

ويرى كاتب هذه السطور أن الجملة الأولى تشير إلى الدعاة المتقدمين الذين تفرقوا في المناطق الساحلية مع القوافل التجارية، واحترفوا التجارة لعيشهم. وكانوا يقومون بالدعوة إلى الدين بجانب أعمالهم التجارية. فانتشر الإسلام في ضواحي ممبائي، بالإضافة إلى كيرالا، وماليزيا، وأندونيسيا، وسري لانكا، ومالديب، وكينيا، وأوغاندا، وبلاد أخرى من إفريقيا حيث انتشر المذهب الشافعي انطلاقًا من عاطفة الخدمة بالنفس.

وأما قوله: «الحكمة يمانية» فالحكمة هي «فراسة يوضع بها كل شيء في محله مع إتقان العلم والعمل». قام به الإمام أبو الحسن الأشعري، والإمام أبو منصور الماتريدي عن طريق علم الكلام، وزينوا مسائل العقيدة بالأدلة النقلية والعقلية، وأفحموا المبتدعة. وأقاموا علم الكلام على قواعد ثابتة راسخة. فجزاهم الله تعالى خيرًا.

ترجمة موجزة للإمام أبي الحسن الأشعري:

اسمه ونسبه: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري الصحابي الجليل.

ولد عام ٢٦٠ أو ٢٧٠ هـ، في البصرة. والقول الأول أشهر. وتوفي على المشهور من القول عام ٣٣٠هـ في بغداد. والراجح أنه توفي عام ٣٢٤هـ.

تلقى مبادئ العلم على أبي علي عبد الوهاب الجبائي المعتزلي، وقضى أربعين سنة من عمره في الانتصار لعقائد المعتزلة حتى صار في عداد أئمة المعتزلة. وذات يوم رأى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم يقول له: «انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق». وتكررت هذه الرؤيا في العشر الأول والأوسط والأخير من رمضان ثلاث مرات. فقام على المنبر في مسجد البصرة وأعلن بصوت جهوري: تبتُ من عقائد المعتزلة، ثم توجه إلى بغداد واستكمل دراسة الحديث والفقه، وألف عددًا من الكتب في الرد على المعتزلة، منها: «الموجز»، و«مقالات الإسلاميين»، و«الإبانة».

وذكر الدكتور/ علي عبد الفتاح في «الفرق الكلامية» (ص ٢٦٩-٢٧٠) أسبابًا أخرى دفعت الإمام أبا الحسن الأشعري إلى الرجوع عن عقائد المعتزلة.

وكان على مذهب الشافعي، وله منزلة سامية في الشافعية. من أبرز تلامذته: أبو عبدالله محمد بن أحمد الطائي، وأبو الحسن الباهلي، وبندار بن الحسن الصوفي، وأبو الحسن

علي بن محمد بن محمد الطبري.

قال تلميذه بندار وهو يتحدث عن عبادته وقناعته: صلى الفجر عشرين عامًا بوضوء العشاء. وكان يعيش على غلة القرية التي وقفها جده بلال بن أبي بردة لأولاده. وكانت نفقته السنوية لا تتجاوز (١٧) درهما. فكل شهرٍ درهمٌ وزيادة.

قال العلامة تاج الدين السبكي: ومن أراد معرفة قدره وأن يمتلىء قلبه من حبه فعليه بكتاب «تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعرى» الذى صنفه الحافظ ابن عساكر، وهو من أجل الكتب، وأعظمها فائدة، وأحسنها، فيقال: كل سني لا يكون عنده كتاب التبيين لابن عساكر فليس من أمر نفسه على بصيرة، وكان مشيختنا يأمرون الطلبة بالنظر فيه.

كان على مذهب الشافعية، وقيل: كان مالكيًّا. وهذا غير صحيح، ويحتمل أنه كان على علمٍ بالمذهبين علما تامًّا، ويفتي بهما.

وقيل: كان على مذهب الحنابلة، ولكن أتباعه ظلوا يحمون المذهب الشافعي في عموم الأحوال.

وأول من ضبط عقائد الأشعرية بعد وفاة مؤسس المذهب، أبو بكر الباقلاني (م:٤٠٣). ومن أئمة هذا المذهب ومشاهيره –علاوة عليه–: ابن فورك(م:٤٠٦)، وأبو إسحاق الإسفرائيني (م:٤١٨)، وعبد القاهر البغدادي (م:٤٢٩)، وأبو جعفر السمناني (م:٤٤٤)، وأبو المعالي الجويني (م:٤٧٨)، وأبو حامد الغزالي (م:٥٠٥)، وابن تومرت (م:٥٢٤)، وأبو الفتح الشهرستاني (م:٥٤٨)، وفخر الدين الرازي (م:٦٠٥)، وعضد الدولة الإيجي (م:٧٥٣). (إتحاف السادة المتقين ٢/ ٣-٥؛ جلاء العينين، ص٢٤٧- ٢٥٥؛ الطبقات الكبرى للسبكي ٣/ ٣٤٧-٤٤١، ٣٤٧؛ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري؛ الفرق الكلامية، ص٢٦٨-٢٧٤؛ فرق تنتسب إلى الإسلام، ص١٢٠٦-١٢١٨)

ترجمة موجزة للإمام أبي منصور الماتريدي:

اسم الإمام الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، ولد في قرية «ماتريد» من سمرقند، وهي في منطقة ما وراء النهر. ولا يمكن الجزم بتاريخ ميلاده، وتدل القرائن والآثار على أنه ولد ٢٣٨هـ، أوقبله بقليل، أو بعده. توفي في سمرقند عام ٣٣٣هـ. أخذ الفقه الحنفي وعلم

الكلام عن نصر بن يحيى البلخي المتوفى ٢٦٨هـ.

ذهب أكثر علماء الأحناف إلى أن ما توصل إليه الإمام الماتريدي من الآثار والنتائج يوافق لحد كبير أفكار الإمام أبي حنيفة وعقائده. وكان خبيرًا بأصول الدين بصفة خاصة، ويعد من العلماء الأفذاذ في هذا الفن. كان يلقَّب بـ«الإمام المهدي»، و«إمام المتكلمين»، و«رئيس أهل السنة» وغيرها.

كان الإمام الماتريدي يروي كتب الإمام أبي حنيفة رحمه الله بكل صراحة، فكان يروي «الفقه الأبسط»، ورسالة الإمام أبي حنيفة إلى عثمان البتي، ورسالة العالم والمتعلم، ووصية الإمام أبي حنيفة إلى يوسف بن خالد، وغيرها عن أساتذته: أبي نصر أحمد بن عباس البياضي، وأحمد بن إسحاق الجوزجاني، ونصر بن يحيى البلخي. ويروي هؤلاء الأئمة هذه الكتب عن أبي سليمان موسى الجوزجاني صاحب الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عن شيخه محمد بن الحسن الشيباني.

ومن الحقائق أن نظريات الإمام الماتريدي وفروعه الخاصة بالعقائد تقوم على أقوال الإمام أبي حنيفة، التي جاءت في هذه الرسائل. وأثبت الإمام الماتريدي أفكار الإمام أبي حنيفة بالأدلة العقلية والنقلية، التي نقطع بقراءتها الشكوك والشبهات.

وألف الإمام الماتريدي كتبًا قيمًا في الموضوعات التي دأب على تدريسها، فيُنسَب إليه الكتب التالية:

١- كتاب تأويل القرآن. ٢- كتاب مآخذ الشرائع. ٣- كتاب الجدل. ٤- كتاب الأصول في أصول الدين. ٥- كتاب المقالات في الكلام. ٦-كتاب التوحيد. ٧-كتاب رد أوائل الأدلة للكعبي. ٨-كتاب رد عيد الفساق للكعبي. ٩-كتاب رد تهذيب الجدل لكعبي. ١٠- كتاب رد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي. ١١-رد كتاب الإمامة لبعض الروافض. ١٢- الرد على القرامطة. (الجواهر المضية ٢/ ١٣٠؛ تاج التراجم، ص٢٤٩؛ الأعلام للزركلي ٧/ ١٩؛ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، ص١٢٢٧-١٢٣٢؛ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبي زهرة ، ص ٢٣٨-٢٤١، ترجمة: الأستاذ/ غلام أحمد الحريري).

لم يترجم معظم مؤلفين في تاريخ الفرق والمذاهب، والطبقات والتراجم، والعقائد للإمام أبي منصور الماتريدي. واكتفى بعضهم بسطور عابرة من ذكر اسمه، ونسبه، ووفاته،

وبعض تلامذته، ومشايخه، أو اكتفى بذكر بعض تصانيفه، اللهم إلا أحمد بن عوض الله الحربي الذي استعرض ترجمته مفصلة في كتابه «الماتريدية: دراسة وتقويما». وأشار إلى الأسباب التي دفعت إلى عدم ترجمة كتب التاريخ والتراجم له.

كما أشار عواد محمود عواد في «التعريف بالمدرسة الماتريدية»، والدكتور/ أحمد حمدي في «جهود المدرسة الماتريدية» إلى أسباب عدم ذكر ترجمته في كتب التاريخ والتراجم.

مراحل مختلفة للمذهب الماتريدي:

اشتغل الإمام الماتريدي من بعد منتصف القرن الثالث الهجري إلى وفاته ٣٣٣هـ في مناظرة الفرق المختلفة، وألف عددًا من الكتب.

وخدم مذهبه بعده كثير من تلامذته مباشرة وغير مباشرة وقاموا بنشره.

وفيما يلي أسماء بعض مشاهير العلماء الذين ضبطوا مذهبه، ونشروا أفكاره في العالم الإسلامي بعد وفاته:

❁ أبو أحمد العياض، ابن شيخ الإمام الماتريدي: أبي نصر العياض. تتلمذ على الإمام الماتريدي بعد وفاة والده. كان على ذروة من العلم، والفضل، والصلاح، والتقوى. قال أبو القاسم الحكيم السمرقندي: «ما خرج من خراسان إلى ما وراء النهر منذ مئة سنة مثل الفقيه أبي أحمد العياضي علمًا، وفقهًا، ولسانًا، وتدينًا، ونزاهةً، وتقى». (الجواهر المضية ٢/ ٢٣٧)

❁ القاضي أبو القاسم الحكيم الترمذي(م:٣٤٢هت) تلقى الفقه وعلم الكلام من الإمام الماتريدي، ألف كتاب «السواد الأعظم على مذهب أبي حنيفة» حين كثرت المناظرات مع أهل البدع في القرن الرابع الهجري في سمرقند وبخارى وما وراء النهر. تُرجِمَ إلى الفارسية بأمر الأمير إسماعيل البخاري. وطبع الكتاب في العربية، والفارسية، والتركية، وعليه شرح إبراهيم الحلمي باسم «سلام الأحكم على سواد الأعظم»، مطبوع.

❁ أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين البزدوي القاضي الصدر(م:٤٩٣هـ) مصنف كتاب «أصول الدين»، طبع الكتاب بتحقيق المستشرق «هانزبيترلينس» من المكتبة الأزهرية. كان يعتبر شيخ الحنفية بعد شقيقه الأكبر علي البزودي.

تلقى العلم منه كثير من الطلبة، أشهرهم ابنه: أبو المعالي أحمد، و نجم الدين عمر بن

محمد النسفي صاحب كتاب «العقائد النسفية».

كان الفقه يغلب على علم الكلام في الماتريدية من وفاة الإمام الماتريدي حتى نهاية القرن الخامس الهجري. وألف كثير من علماء الماتريدية العقائد بعد القرن الخامس الهجري كتبًا مستقلةً، وألف بعضهم عددًا من الكتب. ومن أشهر علماء هذا العهد وكتبهم ما يلي:

۞ أبو المعين ميمون بن محمد بن معتمد النسفي، صاحب «تبصرة الأدلة»، و«بحر الكلام»، و«التمهيد لقواعد التوحيد». أطلق عليه «النسفي» نسبة إلى مدينة «نسف» بين نهر جيحون وسمرقند، وأطلق عليه «المكحولي» نسبة إلى جده الأعلى «مكحول». وأبو المعين النسفي في عداد مشاهير العلماء. ويحتل عند الماتريدية من المكانة ما يحتله الباقلاني والغزالي عند الأشاعرة.

يُعدُّ كتابه «تبصرة الأدلة»- بعد كتاب التوحيد للإمام الماتريدي- من أهم المصادر الماتريدية في العقائد. شرح فيه المؤلف عقائد أهل السنة والجماعة و ردَّ المذاهب الباطلة.

۞ أبوحفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي السمرقندي (م:٥٣٧هـ) صاحب «العقائد النسفية». يعد كتابه هذا من متون العقائد الماتريدية، وله أكثر من مئة كتاب. يطلق عليه «مفتي الثقلين»، و«الإمام الزاهد».

۞ نور الدين أحمد بن أبي بكر الصابوني البخاري (م:٥٨٠)، صاحب «البداية في أصول الدين»، و«الكفاية في الهداية»، و«المنتقى من عصمة الأنبياء».

طبع كتابه «البداية» بتحقيق فتح الله خليف. وأما «الكفاية» فطبع بتحقيق محمد الآروتشي، و«المنتقى» بتحقيق الدكتور/ محمد بولوط.

۞ جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود الغزنوي(م:٥٩٣هـ) صاحب كتاب «روضة المتكلمين في أصول الدين». طبع الكتاب بتحقيق الدكتور/ عمر وفيق الداعوق.

۞ أبو البركات حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(م:٧٩١هـ) صاحب كتاب «عمدة العقائد»، و«مدارك التنزيل»، و«كنز الدقائق»، و«شرح الهداية»، و«منار الأنوار». طبع كتابه «عمدة العقائد» بتحقيق الدكتور/ إبراهيم الشافعي.

۞ العلامة القاضي كمال الدين أحمد البياضي(م:١٠٩٧هـ) صاحب كتاب «إشارات المرام من عبارات الإمام». طبع كتابه هذا بتحقيق الشيخ يوسف عبد الرزاق الشافعي.

۞ الملا علي بن سلطان القاري (م:١٠١٤هـ) صاحب كتاب «منح الروزض الأزهر في شرح الفقه الأكبر» وكتب أخرى عدة.

۞ العلامة محمد زاهد الكوثري (م:١٤١٧هـ) له تعليقات على عدد من كتب العقائد.

ما اختلف فيه الأشاعرة والماتريدية من المسائل:

ذكر شمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا اثنتي عشرة مسئلة خلافية بين الأشاعرة والماتريدية. وألف رسالة سماها «مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية». شرح هذه الرسالة وعلق عليها الدكتور/ سعيد فودة. وطبعها مع أربع رسائل أخرى من دار الذخائر / بيروت، لبنان. وهذه المسائل هي:

١- التكوين غير المكون، وصفة قديمة لله تعالى عند الإمام الماتريدي. وأما الإمام الأشعري فعنده صفة حادثة، وصفة فعلية، وليست صفة أزلية.

٢- يقول الإمام الماتريدي: كلام الله غير مسموع، نعم، الدال على الكلام مسموع، وعند الإمام الأشعري مسموع.

٣- قال الإمام الماتريدي: الله تعالى موصوف بالحكمة، وهي صفة قديمة له؛ لأن الحكمة عبارة عن علم الأفعال المضبوطة، أو ترجع إلى صفة التكوين. وعند الإمام الأشعري إن كانت الحكمة بمعنى العلم فهي قديمة، وإن كانت بمعنى الضبط والتكوين فهي صفة حادثة.

٤- تتعلق إرادة الله تعالى ومشيئته بالطاعات والمعاصي؛ ويرى الإمام الماتري أن الحب يتعلق بالطاعات، لا المعاصي. ويتعلق الحب بالمعاصي أيضًا عند الإمام الأشعري. والصحيح أن الإمام الأشعري يريد به أن الله تعال يحب العقوبة على المعصية، ويحب الثواب على الطاعة، لا أنه يحب المعصية.

٥- يجوز التكليف بما لا يطاق عند الإمام الماتريدي، ولم يقع عند الإمام الأشعري وإن جاز.

٦- الله تعالى حاكم عند الماتريدية، خلق بعض الأشياء حسنًا، وبعضها قبيحًا. فيثاب على الحسن، ويعذب على القبيح. وعلاقة توحيد الله تعالى ومعرفته بالعقل، فإذا سنحت

للعاقل فرصة التأمل، فترك التأمل ولم يحصل على معرفة الله تعالى، كان معذبًا. وعند الإمام الأشعري تتوقف معرفة الله تعالى على الشريعة، فإن لم يحصل معرفة الله تعالى بالعقل قبل نزول الشريعة لم يُعَذَّب. وعند المعتزلة العقل حاكم، والعقل حاكم على الله تعالى أيضًا، فيجب عليه ما هو الأصلح عقلًا. والعقل حاكم على العباد أيضًا سواء أمر الله تعالى أم لا. والمعتزلة من رعية حكومة العقل، يعتبرونه مبيحًا ومحرمًا. وكتَب الراسخون في علم الكلام في الفرق بين مذاهب المعتزلة والأشاعرة والماتريدية كثيرا، وما قدمته أيسر وأقرب إلى الفهم.

وقال الشيخ المقرئ محمد طيب رحمه الله: إن الأشاعرة تقر بكون الحسن والقبح شرعيًا، ولا ينكره الماتريدية، وتزيد عليه كون الحسن والقبح عقليًا أيضًا؛ والأشاعرة لا تنكر عن دخول الحسن والقبح في جزئيات الأصول وفروعها بواسطة العقل مثلا العلم النافع حسن قانون عقلي وشرعي، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ فالجملة الأولى إشارة إلى قبحه الشرعي، والثانية إلى قبحه العقلي.

ذكر الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة في حسن الأشياء وقبحها في ضوء كتب أصول الفقه:

تقول الأشاعرة: إن الحسن والقبح شرعيان، فما أمر به الشارع كالإيمان والصلاة والحج فهو حسن، أي: يترتب عليه الثواب، وما نهى عنه كالكفر وغيره من المحرمات فهو قبيح، أي: يترتب عليه العقاب، ولو فرضنا أنه أمر بالمحرمات ونهى عن الواجبات لكان حسنًا، فحكم الشارع هو المقياس للحسن والقبح، فمن لم يؤمن قبل ورود الشرع مع إدراك وقت التأمل لم يكن معذَّبًا.

وتقول المعتزلة: إن الحسن والقبح عقليان، والشرع موكد لحكم العقل، نعم قد يكون إدراك الحسن بديهيًّا كحسن الصدق وقبح الكذب لمصلحة المجتمع، وقد يكون نظريًّا فيتوقف على ورود الشرع كحسن صوم اليوم الآخر من رمضان وقبح صوم أول يوم من شوال، وكأعداد الركعات، فهذا مما يتوقف على الشرع.

والماتريدية المتقدمون يوافقون المعتزلة في أن العقل يستقل في إدراك بعض الأحكام كوجوب الإيمان، وحرمة الكفر، وكل ما لا يليق بجنابه تعالى، حتى على الصبي العاقل، كما

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى، فلا عذر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من الدلائل، أي: بعد مضي مدة التأمل.

والفرق بينهم وبين المعتزلة أن الماتريدية يقولون بعدم وجوب العقاب على من لم يعرف الله، بل يُجَوِّزون العفوَ، والمعتزلة قالت بتحتم العقاب.

والمتأخرون من الماتريدية قالوا: إن الحسن والقبح عقليان، لكن لا يحكم العقل بالثواب والعقاب قبل رود الشرع.

فالمتأخرون يتفقون مع المعتزلة في أن العقول صالحة لإدراك أسباب الثواب والعقاب في بعض الأفعال، لكن لا يحكم العقل بالثواب والعقاب قبل ورود الشرع، فالعبد ليس مكلفًا قبل ورود الشرع.

هذا تلخيص ما كتبه الشيخ وهبة الزحيلي في كتابه «أصول الفقه الإسلامي» مع ذكر دلائل الفرق الثلاثة ١/ ١١٥-١٢٨.

٧- قال الإمام الماتريدي: تجتمع السعادة والشقاء في رجل واحد. مثلا: كان كافرا فكان شقيًّا، ثم أسلم، فصار سعيدًا. وقال الإمام الأشعري: تتعلق السعادة والشقاء بالوقت الأخير، فلا تجتمعان، فيموت المرء على الإيمان، أو على الكفر.

٨- الكفر غير قابل للعفو عقلًا وسمعًا عند الإمام الماتريدي. وأما عند الإمام الأشعري فقابل للعفو عقلا. قالت الأشاعرة: قال الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨). وقالت الماتريدية: الكفر قبيح عقلا؛ فلا يكون قابلا للعفو عقلًا. وحمل الزجاج الآية الكريمة على أن المعنى: إن توفقهم للإيمان فتغفر لهم، فأنت غالب عليه، لا يحول أحد بينه وبينك.

٩- قال الإمام الماتريدي: يمنع عقلًا وسمعًا تخليد المسلم في النار، وتخليد الكافر في الجنة. وقال الإمام الأشعري: يجوز عقلًا، لا سمعًا. تقول الأشعرية: يجوز عقلًا أن يعفى عن الكافر، ويُخَلَّد المسلم في النار. وتقول الماتريدية: من القبيح عقلًا أن يخلد الكافر في الجنة ويخلد المسلم في النار.

١٠- عند الماتريدية: اسم الله تعالى ومسماه واحد. وعند الأشعرية: الاسم غير المسمى. قالت الماتريدية: محمل أسماء الله تعالى وذاته واحد في الخارج. وقيل: الاسم عين

المسمى هو مذهب الأشعرية. ولكن إن أريد بالاسم الألفاظ، فهي غيره. وإن أريد بها مدلولها فهي عينه.

١١- يجب أن يكون النبي رجلا عند الإمام الماتريدي، ويجوز عند الإمام الأشعري كون المرأة نبيةً، ولا تكون رسولًا.

١٢- اتفقوا على أن الله تعال خالق، والعبد كاسب. واتفقوا على أن الله تعالى فاعل حقيقي، وموجد وفاعل للأعيان والأعراض كلها. ثم اختلفوا: هل العبد فاعل حقيقي أو مجازي؟ فقالت الماتريدية: العبد فاعل حقيقة. وقالت الأشعرية: العبد فاعل مجازا. فالخالق والكاسب كلاهما فاعل عند الماتريدية، وعند الأشعرية: الكاسب فاعل وموجد مجازًا.

ورد في التعليق على «مسائل الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية» (ص٢٠) أنه ذكر العلامة كمال الدين أحمد بن الحسن البياضي في «إشارات المرام من عبارات الإمام» بعض المسائل الخلافية الأخرى. وذكر عبد الرحمن بن علي الشهير بشيخ زاده في «نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد» أربعين مسألة خلافية مع أدلتها. وطبع الكتاب من المطبعة الأدبية بمصر.

صدرت عدة كتب ورسائل في الماضي القريب في التعريف بمختلف الفرق والجماعات. للاستزادة من تعريف الفرق والجماعات، يراجع- علاوة على ما ذُكِرَ منها- الكتب التالية:

«عقائد أهل السنة والجماعة» للمفتي عبد الواحد. و«موسوعة جامعة لأديان العالم» للشيخ أبي طاهر محمد الصديقي. و«مكالمة بين المذاهب» للشيخ ولي خان مظفر، و «المذاهب الإسلامية» للشيخ أبي زهرة، و«الأديان الباطلة والصراط المستقيم» للشيخ محمد نعيم مدير الجامعة البنورية، و«الإسلام وأديان العالم» للحافظ محمد شارق. و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» للدكتور/ مانع بن حماد الجهني. و«موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة» للشيخ ممدوح الحربي. و«الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات» لسعد رستم.

كما ألف كثيرمن أهل العلم كتبا مفردةً بكل فرقة.

تعليق موجز على كتاب «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية» للدكتور/ شمس الدين السلفي، و لمحة عن عداء الدكتور للسلف:

ألف الدكتور شمس الدين بن محمد أشرف السلفي الأفغاني كتابا سماه «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات» في ثلاثة مجلدات ضخام، وكشف اللثام عن عدائه للسلف في هذا الكتاب. وأصل الكتاب رسالة ماجستير، حصل به على درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٩هـ.

۞ جعل المؤلف أساس الكتاب أن الماتريدية تفوض صفات الباري أو تؤولها. والتفويض تعطيل(نفي للصفات)، والتأويل يجمع بين التعطيل والتحريف. يقول المؤلف: «التفويض يتضمن تعطيل الصفات، غير أن التأويل يتضمن تحريف نصوصها أيضًا». (عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٢/ ١٩٦)

يقول المؤلف في موضع آخر: تؤول الماتريدية صفات الباري، والتأويل لنصوص الكتاب والسنة تحريف وتعطيل (نفي) لصفات الباري؛ فالماتريدية محرفة ومعطلة؛ «تأويل الماتريدية لكثير من صفات الله تعالى، ومنها صفة «استوائه» على عرشه سبحانه بدعة في الإسلام، وخروج على إجماع سلف هذه الأمة وأئمة السنة، وأن مقالة التأويل مستلزمة لتعطيل صفات الله تعالى وتحريف نصوصها». (عداء الماتريدية للعقيدة السلفية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات ٣/ ٢٣)

وتذهب الأشاعرة مذهب الماتريدية في تفويض نصوص الصفات أو تأويلها فجعل الدكتور الأشاعرةَ على قدم المساواة مع الماتريدية في ارتكاب التعطيل والتحريف؛ «وقد بينا أن الفريقين من الماتريدية والأشعرية كلاهما على الباطل المحض، وكلامهم يتضمن التعطيل المبين». (عداء الماتريدية للعقيدة السلفية ٣/ ١٢)

وتأييدًا لفرضيته حاول الدكتور تطبيق أقوال أهل العلم في المعتزلة والجهمية على الأشاعرة والماتريدية، وجعل في مواضع كثيرة أساطين الأمة من العلماء مرتكبين للزندقة، والإلحاد، والحمق، والكفر الباطني، والكفر الصريح، والكفر البواح. نسوق فيما يلي بعضها على سبيل المثال:

قال الدكتور في (٢/ ٣٠٠) تعليقًا على بعض النصوص من كتاب «إلجام العوام»

و«ميزان العلم» للغزالي، و«أساس التقديس» للإمام الرازي، و«شرح المقاصد» للعلامة التفتازاني، و«إشارات المرام» للعلامة البياضي: «هذا الكفر الباطني، وهذا التحريف القرمطي، وهذا الحمق السفسطي».

وقال الدكتور في موضع آخر من كتابه (٢/ ٥٩٩) تعليقًا على بعض نصوص هذه الكتب وطعنًا في هؤلاء العلماء: «وكفر صريح بواح». وقال بعد أسطر: «هذا الكفر القبيح».

ووصف الدكتور في كتابه (٢/ ٥٩٠) الشاه ولي الله الدهلوي بارتكاب البدعة الشركية.

۞ قسم الدكتور صفات الباري على قسمين: أحدهما على طريقة أهل السنة (أي السلفية): «الفائدة الثانية في أنواع الصفات على طريقة أهل السنة».(٢/٤٦٧)، والثاني على طريقة المعتزلة وتلامذتهم: الماتريدية والأشعرية: «الفائدة الثالثة في أنواع الصفات على طريقة أهل الكلام من المعتزلة وتلاميذهم الماتريدية وزملائهم الأشعرية».(٢/ ٤٧٤).

وقال الدكتور في نهاية تقسيمه على طريقة أهل السنة: «هذا البحث كله مستفاد من «الفقه الأكبر» بشرح القاري: ٢٥-٣٦، وبشرح أبي المنتهي المغنيساوي: ٥، و«كتاب التوحيد» للماتريدي: ٥٠-٥١، ...».(٢/ ٤٧٢).

ليت شعري كيف استفاد الدكتور تقسيم الصفات على طريقة أهل السنة والجماعة من كتب العلماء الذين وصفهم بارتكاب التحريف، والتعطيل، والإلحاد، والزندقة.

قال الدكتور في الإمام الماتريدي: «وقد زاد من تفريق الأمة فزاد فرقة أخرى؛ ماتريدية وخالف عقيدة السلف، ولاسيما الإمام أبو حنيفة مخالفة صريحة، وسلك مسلك الجهم في كثير من أصوله».(٢/٦٨)

وقال الدكتور في شارح الفقه الأكبر: أبي المنتهي المغنيساوي: «وجاء أحمق آخر هو أبو المنتهى...».(٣/ ١٥٠)

ووصف الدكتور في (٢/ ٤٤٢) جميع الأشاعرة والماتريدية بالإلحاد والزندقة، وأكثر الأشاعر والماتريدية بالشرك الأكبر، وإليك نصه: «أنواع التوحيد عند المتكلمين من الماتريدية وزملائهم الأشعرية: التوحيد عند المتكلمين نوعان:...، الأول: توحيد الربوبية...، الثاني: توحيد الصفات، وتوحيدهم في هذا الباب تلحيد وإلحاد وزندقة ...، أما توحيد الألوهية

فلا وجود له عندهم، بل عطلوه وحرفوه إلى توحيد الربوبية، ولذلك يرتكب كثير منهم ما يضاد توحيد الألوهية من الشرك الأكبر، أو ما يوصل إليه».(٢/ ٤٤٢-٤٤٣)

وقال الدكتور في موضع آخر: عقائد الماتريدية عقائد كفرية صريحة: «اعتقدت الماتريدية عقائدَ هي كفر صريح عند سلف هذه الأمة وأئمة السنة».(٣/ ٣٧٤)

لقد رأيت الدكتور في النصوص السابقة يصف الأشاعر والماتريدية معًا حينا، والماتريدية وحدها حينًا آخر بالإلحاد، والزندقة، والشرك الأكبر، والكفر الصريح.

اقرأ ما وصف الدكتورُ الإمامَ الغزالي، والإمامَ الرازي، والإمامَ الشعراني به من الألقاب والأوصاف في ٢/ ٧٢، ٧٤، ١٦٨، ٣٩٨.

ثم قال الدكتور بعد ما ذكر ذلك: «نحن لا نرمي أحدًا منهم (الماتريدية) بأنه كافر، ومشرك...، أو زنديق، أو ملحد».(٣/ ٣٧٥).

وقد وصف الدكتور (٢/ ١٦٧) الشيخَ الأكبر محي الدين ابن عربي (م:٦٣٧هـ) بأنه كافر؛ بل أكفر. وإليك نصه في الشيخ الأكبر: «هو في الحقيقة الشيخ الأكفر».(٢/ ١٦٧)

ما أعجب التضاد في قوله وفعله!

وقد أضفى الدكتور على العلامة الكوثري وبعض علماء ديوبند وخاصة العلامة البنوري من الألقاب: «كذَّاب، أفَّاك، بَهَّات»، وإليك نصه: «الكوثري والكوثرية، ومن سايره من بعض أئمة الديوبندية، كالبنوري ومن على مشاكلتهم فهؤلاء عندي كذَّابون أفَّاكون بَهَّاتون».(٣/ ٣٦٧).

خلاصة كلام الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني في التفويض:

قال الدكتور في (٢/ ١٩٦): «المفوض نافٍ للصفات» وقال بعد ذلك بصفحات: «السلف لم يكونوا مفوضة كما أنهم لم يكون مؤولة معطلة». ثم قسَّم الدكتور التفويض على قسمين: ١-التفويض اللغوي، أي: عدم الحكم على الشيء نفيًا أو إثباتًا. ٢-التفويض الكلامي: أي: نفي الصفات، بجانب تفويض معناها وكيفيتها إلى الله تعالى: «الفرق بين التفويضين اللغوي والكلامي: التفويض اللغوي عدم الحكم على الشيء لا نفيًا ولا إثباتًا، وهو التفويض السلفي بعينه، أما التفويض الكلامي فهو نفي الصفات ثم رد معانيها وكيفيتها إلى الله».(٢/ ١٩٧)

اعلم أن الأشاعرة والماتريدية لاينكرون الصفات. فإذا رأوا التأويل في ضوء القرآن والسنة وعرف العرب ولغتهم أولوا تأويلًا محتملًا، وإلا فهُم يفوضون المعنى المراد والكيفية إلى الله تعالى. والمعنى المراد والكيفية ليسا مختلفين؛ بل لفظان مختلفان لتأدية معنى واحد. للاستزادة منه راجع: مبحث الصفات في «العصيدية السماوية شرح العقيدة الطحاوية»، و«بدر الليالي شرح بدء الأمالي».

هذا وقد أنكر الدكتور نفسه، وشيخه الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، وشيخ شيوخهم جميعا: العلامة ابن تيمية رحمه الله- صفة النفس، فقال الدكتور في إنكارصفة النفس: «هذا هو الصواب...تحقيق دقيق عميق أنيق وثيق حقيق بالقبول».(٢/ ٤٩٢)

ألا ترى كيف ألف الدكتور كتابًا في ثلاثة مجلدات ضخام في إثبات أن الماتريدية خارجة من أهل السنة، وملحدة وزنادقة حين أولت-الماتريدية- بعض الصفات. وأنكر الدكتور نفسه ومشايخه صفة «النفس» صراحةً فقال: «هذا هو الصواب»، و«حقيق بالقبول»، فيا للعجب من هذا التحقيق العادل.

وعدد الدكتور بعد ذلك بصفحات (٢/ ٢٥٦- ٢٧٩) أسماء اثنين وخمسين من أهل العلم، وساق بعض النصوص المنقولة عن بعض العلماء أيضًا، وأولهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله، وحكى عن «الفقه الأوسط» له (ص٥٦) النص التالي: «لايوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف».(٢/ ٢٥٦)

سؤال: هل يصدق نص الإمام أبي حنيفة المذكور على تعريف التفويض السلفي وهو: «عدم الحكم على الشيء لا نفيًا ولا إثباتًا»؟ وقد نفى الإمام أبو حنيفة الكيفية.

وذكر الدكتور الاسم الآخر اسم الإمام الأوزاعي(م:١٥٧هت)، وحكى الإمام البيهقي عن الإمام الأزواعي قوله: «سئل الأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيفية».(الأسماء والصفات ٢/ ٣٧٧، ط: مكتبة السوادي جدة)

هل يصدق تعريف التفويض السلفي الذي ذكره الدكتور عليه بقوله: «عدم الحكم على الشيء لا نفيًا ولا إثباتًا»على نصوص الإمام الأوزاعي وغيره من الأئمة، في حين نفى هؤلاء الكيفية؟

ذكر الدكتور الاسم الرابع: الإمام محمد بن الحسن الشيباني (م:١٨٩هـ) وأشار إلى نصه الآتي: «اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا».(شرح السنة للالكائي ٣/ ٤٨٠)

هل يصدق تعريف التفويض السلفي على نص الإمام محمد بن الحسن الشيباني؟ وقد نفى الإمام توصيف الصفات وتشبيهها وتفسيرها؛ بل يبدو الدكتور وأشياخه خارجين من أهل السنة في ضوء هذا النص.

واستدل الدكتور في المجلد الثالث ردًّا على تأويل صفة «اليد» لله تعالى بأنه لا يمكن حمل «اليد» على القدرة أو النعمة، فإن النصوص الأخرى ذكرت صفات اليد الحقيقية، من الأصابع والكف والقبضة واليمين وغيرها: «إن تأويلاتكم لصفة اليدين ونحوها، وتحريفها إلى النعمة والقدرة والجود ونحوهما، هي من قبيل تأويلات الباطنية، ولا يساعده اللغة البتة؛ بل ورود الكف، والأصابع، والقبضة، واليمين، ولفظ اليدين بصيغة التثنية، ولفظة «بيدي» بعد لفظة «خلقتُ» يمنع إرادة التأويل ويدفع المجاز ويعين إرادة الحقيقة بلا شك». (٣/ ٦١)

أليس ذكر الدكتور في تفسير «يد الله» الأوصاف: الكف، والأصابع، والقبضة، واليمين، و غيرها خروجًا على السنة النبوية وجماعة الصحابة في ضوء نص الإمام محمد؟!

قد اطلعت على أقوال بعض أهل العلم البالغ عددهم ٥٢ عالما، الذين ذكر الدكتور أسماءهم لإثبات التفويض السلفي، وقِس عليه حال أقوال غيرهم من أهل العلم. ولا مجال هنا لأكثر مما ذكرنا، وعليه نكتفي بذكر أقوال هؤلاء العلماء العدة.

قال الدكتور في ٢/ ١٩٦: «المفوض ناف للصفات»، ثم أخرج (في ص ٢٥٥) الماتريديةَ من أهل السنة لقولهم بالتأويل والتفويض: «وبناء على ذلك أقول جهارًا ومرارًا وتكرارًا على وجه البصيرة: إن هؤلاء المؤلين لنصوص الصفات بما فيهم الماتريدية من أهل البدع، وليسوا من أهل السنة المحضة. وإنهم خارجون على إجماع السلف بتفويضهم، وتأويلهم، وبدعهم الأخرى».(٢/ ٢٥٥) ثم عدد (ص٢٥٧-٢٧٩) أسماء كبار أهل العلم البالغ عددهم (٥٢) عالماً الذين صرَّحوا بالإجماع إثبات الصفات بلا تأويل ولا تكييف، كثير منهم: شمس الأئمة

السرخسي، والعلامة العيني، والملا علي القاري، والشاه ولي الله المحدث الدهلوي، والعلامة الآلوسي، وغيرهم.

فقد أخرج الدكتور الماتريدية من أهل السنة في موضع، واستدل بأقوالهم في موضع آخر.

واستدل بكلام الشاه ولي الله الدهلوي في مواضع كثيرة. واعتبره في (٢/ ٢٥٦) من أكابر علماء الإسلام. وذكر في (٢/ ٥٩٠) وقوعه في التقليد الباطل المذموم الشركي. ساق الدكتور نص الشاه ولي الله الدهلوي في مسألة الخيار: «الحق والإنصاف أن الترجيح للشافعي في هذه المسألة، ونحن مقلدون يجب علينا تقليد إمامنا أبي حنيفة»، ثم علق عليه: «قلت: هذا هو التقليد الباطل المذموم المقيت أم الطامات الكبرى الشركية، وبها طمّ الوادي على القرى، وعمّ العضالُ الورى».

وصف الدكتور الإمام الماتريدي في موضع بأنه مؤسس فرقة جديدة، ومخالف صريح للسلف، وخاصة الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ومن أتباع الجهمية في أكثر الأصول: «وقد زاد من تفريق الأمة فزاد فِرقة أخرى؛ ماتريدية، وخالف عقيدة السلف، ولاسيما الإمام أبو حنيفة مخالفة صريحة، وسلك مسلك الجهم في كثير من أصوله».(٢/ ٦٨)

و وصف الدكتور الإمامَ الماتريدي بالإمام حين وجد عنده –الإمام الماتريدي – ما يوافق هواه في الرد على الجهمية: «قال الإمام أبو منصور الماتريدي في الرد على الجهمية الأولى...».(٢/ ٥٥٣)

دل ما سبق على أن محك الصحيح والباطل ليس قوة الأدلة؛ بل إذا وجد عند عالم ما يؤيد فكرته استحق التقدير والتثمين، وأما إذا خالفه فإنه يستحق الذم واللوم.

خلاصة كلام الدكتور في التأويل:

يرى الدكتور تأويل نصوص الصفات تحريفًا وتعطيلًا، وقسم التأويل على ثلاثة أقسام، ثم قال: «إذًا جميع نصوص الصفات ليس من قبيل ما يقبل التأويل؛ فلا يصح تأويلها بحال من الأحوال؛ لأن تأويلها تحريف لها وتعطيل لما دل عليها». (٢/ ٣٧٦)

ولخص الدكتور في عقب هذا النص كلام الحافظ ابن القيم في هذا الصدد، بقوله: «وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة هو التأويل الصحيح،

وهو تفسير النصوص وتوضيحها لا عزلها ولا تحريفها ولا حملها على المجاز». (٢/ ٣٧٧)

والحاصل أن الدكتور يصف تأويل الأشاعرة والماتريدية بأنه تأويل وتحريف وتعطيل، و يحاول حمل أقوال العلماء الواردة في المعتزلة والجهمية على الأشاعرة والماتريدية. ويسمي تأويل السلفية بالتفسير، في محاولة لوقاية نفسه من التحريف والتعطيل.

ثم قال الدكتور في صفة «النفس»: «عد كثير من سلف الأمة «النفس» من صفات الله تعالى، كالإمام أبي حنيفة، وإمام الأئمة ابن خزيمة رحمهما الله تعالى، وغيرهما من أئمة السنة». (٢/ ٤٩٢)

وبعد أسطر حكى عن العلامة ابن تيمية قوله بأن النفس ليست من صفات الله تعالى. والمراد بالنفس ذات الله تعالى؛ لأن نفس الشيء ذاته وعينه. وقال الدكتور: هو الصواب. وإليك نصه: «ولكن صرح كثير من أئمة السنة، منهم شيخ الإسلام بأن «النفس» ليست من صفات الله تعالى، وإنما المراد من «النفس» ذات الله المقدسة؛ لأن نفس الشي ذاته وعينه. وأن هذا هو الصواب».

عزا الدكتور تأويل النفس هذا إلى العلامة ابن تيمية وغيرهم من العلماء، منهم: شيخه عبد الله بن محمد الغنيمان. وإليك نصه: «ومنهم شيخنا عبد الله بن محمد الغنيمان حفظه الله تعالى فله تحقيق دقيق عميق أنيق وثيق حقيق بالقبول، فقد حقق أن نفس الشيء ذاته وعينه».

ثم يستدل الدكتور –في عقبه– على ارتكاب الأشاعرة والماتريدية التعطيل و التحريف بقوله: «المثال الثالث عشر صفة «الوجه الكريم» لله عز وجل، فقد عطلوها (أي: الماتريدية والأشاعرة)، وحرفوا نصوصها بتأويلها إلى الوجود، والذات». (٢/ ٤٩٣)

أوَّل العلامة ابن تيمية النفس بالذات فقال الدكتور: «هذا هو الصواب»، وأول شيخه عبد الله بن محمد الغنيمان النفس بالذات فقال الدكتور: «تحقيق دقيق عميق أنيق وثيق حقيق بالقبول»، وأول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والإمام القرطبي، والحافظ ابن كثير، وغيرهم من أهل العلم «الوجه» بالذات، فرماهم الدكتور بالتحريف والتعطيل عداء للحنفية.

حمل العلامة القرطبي في «تفسيره» ﴿ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧) على الذات: «فالوجه عبارة عن وجوده، وذاته سبحانه». وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. (الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١٦٥)

وفسر الحافظ ابن كثير رحمه الله أيضًا الوجه بالذات: «فعبر بالوجه عن الذات».(تفسير ابن كثير، القصص:٨٨)

وفسَّر الإمام البخاري رحمه الله «الوجه» في قوله تعالى:﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ (القصص: ٨٨) «إلا ملكَه. ويقال: إلا ما أُرِيد به وجهُ الله».(صحيح البخاري، باب وأنذر عشيرتك الأقربين)

وحكى ابن كثير عن مجاهد، والثوري: «وقال مجاهد والثوري في قوله:﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ أي: إلا ما أُرِيدَ به وجهُه».(تفسير ابن كثير، القصص:٨٨)

وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، والحسن، ومقاتل بن حيان في تفسير قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: قبلة الله. (تفسير ابن أبي حاتم، تفسير سمعاني، تفسير بغوي، البقرة:١١٥)

وروي عن بعض الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء الأمة تأويلات عدة في بعض صفات الباري تعالى حسب المناسبة. للاستزادة منه راجع: «العصيدة السماوية شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٤٨٤- ٥١٩).

وقال العلامة ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف، فقلت: لعلك تعني قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾، فقال: نعم. قد قال مجاهد والشافعي يعني قبلة الله. فقلت: نعم، هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما، وهذا حق، وليست هذه الآية من آيات الصفات. ومن عدها في الصفات فقد غلط».(مجمع الفتاوى ٣/ ١٩٣)

هل يرى الدكتور كلا من الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، و مجاهدا، وقتادة، والحسن، ومقاتل بن حيان، وسفيان الثوري، وإمام المحدثين الإمام البخاري محرفين ومعطلين؟؟!!

وهل يعد الدكتور العلامة ابن تيمية محرفًا ومعطلًا ؟

علقنا على كتاب الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني: «عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات» تعليقًا عابرًا وجيزًا، ويلاحظ قارئ الكتاب كثرة ادعاءات المؤلف فيه، ولكنه يبدو عاجزًا في معظم المواضع عن تقديم أدلة توافق دعاويه. وحاول تدارك هذا النقص بذرب لسانه، غفر الله تعالى للدكتور زلاته، و وقانا الولوغ في أعراض علماء الأمة.

متن العقيدة الطَّحاوِيَّة

نسخة فريدة، محقَّقة، منقَّحة، مصحَّحة، مقابلة على ست وثلاثين نسخة خطية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

هٰذَا[١] ذِكْرُ بَيَانِ اعْتِقَادِ[٢] أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ[٣] الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوْفِيِّ، وَأَبِي يُوْسُفَ يَعْقُوْبَ بْنِ إِبْرَاهِيْمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ[٤]- وَمَا يَعْتَقِدُوْنَ مِنْ[٥] أُصُوْلِ الدِّيْنِ، وَيَدِيْنُوْنَ بِهِ لِرَبِّ[٦] الْعَالَمِيْنَ.[٧]

---

(١) يبدأ كلام المصنف رحمه الله من ههنا، كما في المخطوط رقم (٣، و٥، و١١، و١٧، و٢١، و٢٣، و٢٥) بأنه يبدأ الكتاب فيه بعد البسملة من: «هذا ذكر بيان...». وكذا يبدأ كلام المصنف منه في المخطوط رقم ١٢، و٢٨ الذي رواه الحسن بن سليمان بسنده عن الطحاوي. وأما ما ذكر قبل هذا الكلام من الحمد والصلاة وألقاب الإمام الطحاوي مختصرًا ومفصلًا، فهو من إضافات كاتبين المخطوطات، ومصنفين المطبوعات.

ويبدأ الكتاب في المخطوط رقم ١٤ هكذا: «قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي رحمه الله: قد تفحصت عن مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رحمه الله، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الإنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين فوجدتهم يقولون في توحيد الله...». هذا الكلام يختلف عن كلام سائر المخطوطات، ولكن معناه سواء.

وفي المخطوط رقم ٨ زيادة «كتاب فيه» بعد «هذا».

(٢) قوله «اعتقاد» سقط من ٤، ٣٦. وسقط من ٩، ١٢ «اعتقاد أهل». وفي ٢٤ «عقيدة». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) قوله «فقهاء الملة» سقط من ٣٤. و في ٤ «فقيه الملة». والمثبت من بقية النسخ. ولا يتغير المعنى.

(٤) في ٦، ١٢، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٣، ٣٥ «رحمة الله تعالى عليهم أجمعين»، أو معناه. وسقط من ٢، ٢١، ٢٥. والمثبت من بقية النسخ. والترضي والترحم كلاهما جائزان للعلماء من بعد الصحابة، والأفضل الترحم. (رد المحتار ٦/ ٧٥٤)

(٥) في ٨، ١٢، ٢٨ «في». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٦) في ٣، ٦، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٦، ٢٩، ٣٠ ٣١، ٣٢ «رب». والمثبت من بقية النسخ. وهو الأصح وموافق باللغة.

(٧) سقط من ١٦ من قوله «هذا ذكر» إلى قوله «لرب العالمين». والمثبت من بقية النسخ.

[الْإِيْمَانُ بِاللهِ تَعَالَى]

نَقُوْلُ[(١)] فِي تَوْحِيْدِ اللهِ -مُعْتَقِدِيْنَ بِتَوْفِيْقِ اللهِ[(٢)]-:

١- إِنَّ اللهَ تَعَالَى[(٣)] وَاحِدٌ لَا شَرِيْكَ لَهُ.

٢- وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ.

٣- وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ.

٤- وَلَا إِلٰهَ غَيْرُهُ.

٥- قَدِيْمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ.

٦- لَا يَفْنَى وَلَا يَبِيْدُ.

٧- وَلَا يَكُوْنُ إِلَّا مَا يُرِيْدُ .

٨- لَا تَبْلُغُهُ[(٤)] الْأَوْهَامُ، وَلَا تُدْرِكُهُ[(٥)] الْأَفْهَامُ.

٩- وَلَا يُشْبِهُهُ[(٦)] الْأَنَامُ.

١٠- حَيٌّ[(٧)] لَا يَمُوتُ، قَيُّوْمٌ لَا يَنَامُ[(٨)].

١١- خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ،[(٩)] رَازِقٌ بِلَا مَؤُوْنَةٍ[(١٠)].

---

(١) في ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٩، ٣٠ قبل قوله «نقول» زيادة: «قال الإمام أبو حنيفة، وبه قال صاحباه الإمامان المذكوران رضوان الله عليهم أجمعين:».

(٢) قوله «بتوفيق الله» سقط من ٦، ١٩. وأثبتناه من بقية النسخ.

(٣) في ١٢، ٢٦ «إن الله تبارك اسمه وتعالى جده وجل ثناؤه»، وفي ٢٤ عليه زيادة «وتقدست أسماؤه». ولا يتغير المعنى.

(٤) في ٢٥ «يبلغه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٥) في ٢٥ «يدركه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٦) في ١، ٧، ١٠، ٢٣ «تُشبهه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) في ٢ «وهو حي». وفي ٢٦، ٣١ «لأنه حي». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) قوله «حي لا يموت، قيوم لا ينام» سقط من ٣، ٦، ١١، ١٢، ١٤، ١٥. وسقط من ٢٠ قوله «لا يموت». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٩) في ٢ بعده زيادة «والله هو الغني المطلق».

(١٠) كذا في أكثر النسخ، وفي بعضها «مُؤْنة»، وفي بعضها «مُوْنة» وكلها صحيح. ومعناه: التعب والمشقة. وفيها لغات

١٢- مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ.

١٣- مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ(١)، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ(٢) شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ(٣) مِنْ صِفَتِهِ(٤)، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ(٥) أَزَلِيًّا كَذٰلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

١٤- لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ «الْخَالِقِ»، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ(٦) الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ «الْبَارِي». لَهُ(٧) مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ. وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا(٨) اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذٰلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ(٩).

١٥- ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ(١٠)، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)

١٦- خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ(١١).

١٧- وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا.

إحداها على فعولة بفتح الفاء، وبهمزة مضمومة، والجمع مَئُونات على لفظها. ومَأَنْتُ القومَ أَمْأَنُهم مهموز بفتحتين، واللغة الثاية مُؤْنَة بهمزة ساكنة. قال الشاعر: أميرنا مُؤْنَتُه خفيفة * والجمع مُؤَنٌ، مثل غُرْفَة وغُرَف. والثالثة مُونَة بالواو، والجمع مُوَن مثل سورة وسور. (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ٢/ ٥٨٦، م و ن)

(١) في ١٦ «خلقهم». وفي ١٠ «صفته»، وهو خطأ. والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في ٨ «بخلقه». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) في ١٢ «قبل ذلك». والصحيح ما أثبتناه. وسقط من ١٠ من قوله «قبل خلقه» إلى قوله «لم يكن قبلهم». والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في ١، ٣، ٤، ٩، ١٥، ١٧، ٣٥ «صفاته». وفي ٣٤ «لم يزدد بكونهم شيئًا، كان قبلهم بصفاتِهِ أزليا».

(٥) قوله «وكما كان بصفاته» سقط من ٧، ١٩. والمثبت من بقية النسخ. والإثبات حسن.

(٦) في ٢، ١٤، ٢٥، ٣٣ «بإحداث البرية». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) في ١ «بل له». ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٨) في ١، ٣، ٢٤، ٢٦، ٣١ «أحياهم». وفي ١٣ «بعد إحيائهم». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٩) سقط من ٢، ٢٥ من قوله «وكما أنه» إلى قوله «قبل إنشائهم». والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في ٣ «يصير». والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

(١١) في ١٢، ٢٨ بعده زيادة «وقدرته». وهي زيادة حسنة من حيث المعنى.

١٨- وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا .

١٩- لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَفْعَالِهِمْ[١] قَبْلَ أَنْ خَلَقَهُمْ[٢]، وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ[٣].

٢٠- وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

٢١- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِقُدْرَتِهِ[٤] وَمَشِيئَتِهِ، وَمَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ[٥] لَا مَشِيئَةَ لِلْعِبَادِ إِلَّا مَا شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ[٦]، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٢٢- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي[٧] فَضْلًا[٨]، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ[٩] وَيَبْتَلِي[١٠] عَدْلًا.

٢٣- وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.[١١]

---

(١) قوله «أفعالهم» سقط من ٢، ٣، ٥، ٦، ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٦. والأوضح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٢) في ١١، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٦، ٣١، ٣٦ «يخلقهم». ولا يضر المعنى. وسقط من ١٣، ٣٣ قوله «قبل أن خلقهم».

(٣) قوله «وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم» سقط من ٩، و١٧، ٣٤. وفي ١٣ «وعلم ما هم غافلون من قبل خلقهم». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) في ٣، ٦ «بقدره». وفي ٣٣ «بتقديره». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٥) في ١٣، ١٥، ٣٣ «ويَنفُذُ بمشيئته». بدل قوله «ومشيته، ومشيتُه تنفذ». والمثبت من بقية النسخ. والأصح ما أثبتناه.

(٦) في ٢ «ما شاء الله كان». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) في ١، ٢، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٥ زيادة «من يشاء» بعد قوله «ويعافي». ولا يضر المفهوم.

(٨) في ١٦ بعده زيادة «وكرما». ولا يتغير المعنى.

(٩) قوله «ويخذل» سقط من ١٩. والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في ٢، ٤، ٥، ٧، ٨، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥ زيادة «من يشاء» بعد قوله «ويبتلي». ولا يضر المفهوم.

(١١) قوله «وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله» سقط من ١. وسقط من ٣، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٦ قوله «بين فضله». والمثبت من بقية النسخ. وفي ٢٥ بعده زيادة «والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد». ولا يضر في المفهوم.

٢٤- وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ[١].

٢٥- لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ.

٢٦- آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ.

[الْإِيمَانُ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:]

٢٧- وَ إِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى، وَنَبِيُّهُ[٢] الْمُجْتَبَى، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى،

٢٨- وَأَنَّهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ[٣]،

٢٩- وَإِمَامُ الْأَتْقِيَاءِ،

٣٠- وَسَيِّدُ الْمُرْسَلِيْنَ،

٣١- وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ.

٣٢- وَكُلُّ دَعْوَةِ نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِهِ[٤] فَغَيٌّ[٥] وَهَوًى.

٣٣- وَهُوَ[٦] الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ، وَكَافَّةِ الْوَرَى[٧]، بِالْحَقِّ[٨] وَالْهُدَى، وَبِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ[٩].

---

(١) قوله «وهو متعال عن الأضداد والأنداد» أثبتناه من ١، ٤، ١١، ١٦، ١٧، ٣٣. وهو ساقط من بقية النسخ.

(٢) في ٢، ١٤، ٢٥، ٣٣ «أمينه». والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

(٣) قوله «وأنه خاتم الأنبياء» سقط من ٣٤. وأثبتناه من ١١، ١٥، ٣٣. وفي بقية النسخ «خاتم الأنبياء» دون قوله «وأنه». ولا يضر المعنى.

(٤) كذا في المخطوطات، وفي أكثر المطبوعات «وكل دعوى النبوة بعده». وهي أصح من حيث اللغة. والله أعلم.

(٥) وفي ١٨، ٢٧ «فبغي». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٦) سقط من ٣، ٦، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٠، ٣٦ من قوله «وسيد المرسلين» إلى قوله «وهو». وسقط من ٣٤ من قوله «وحبيب رب العالمين...». والمثبت من بقية النسخ.

(٧) قوله «إلى عامة الجن وكافة الورى» سقط من ٣، ٦، ٨، ١٢، ١٤، ١٥، ١٩، ٣٦. وفي ١٣ بعده زيادة «فهو رسول الثقلين».

(٨) في ١، ٤، ٧، ١٠، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٥ «المبعوث بالحق». وكلاهما صحيح.

(٩) قوله «وبالنور والضياء» أثبتناه من ٢، ٤، ٧، ١١، ١٦، ٢١، ٢٢، ٣٣. وهو ساقط من بقية النسخ.

[الْإِيْمَانُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ:]

٣٤- وَإِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ(١) وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُوْنَ عَلَى ذٰلِكَ حَقًّا(٢)، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ(٣)، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ(٤)، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وَعَابَهُ(٥)، وَأَوْعَدَهُ عَذَابَهُ(٦)، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى:﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾. [المدثر:٢٦](٧)، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرَ لِمَنْ قَالَ:﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ .[المدثر:٢٥] عَلِمْنَا(٨) أَنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَلَا يُشْبِهُهُ قَوْلُ الْبَشَرِ(٩).

[كُفْرُ مَنْ قَالَ بِالتَّشْبِيْهِ:]

٣٥- وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ(١٠)، فَمَنْ أَبْصَرَ هَذَا اعْتَبَرَ، وَعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الْكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ(١١) بِصِفَاتِهِ لَيْسَ كَالْبَشَرِ.

---

(١) في ٧ «على قلب نبيه». وفي ٣٣ «على رسوله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) قوله «حقا» سقط من ١٩. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ٢٦ «على الحقيقة». وفي ٤ «منه بدا بلا كيفية بالحقيقة». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) قوله «ليس بمخلوق ككلام البرية» سقط من ٢٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) قوله «وعابه» سقط من ١٦. والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

(٦) في ٢، ١٣، ١٦، ٢١، ٢٥، ٣٣، «بسقر». وسقط من ٩، ١٤، ٣٥، ٣٦. وفي ١٥، ٣٠ «وأعد له عذابه». وفي ٢٠، ٢٧ «عذابا». وفي ٢٦، ٣١ «وتواعده». والمثبت من بقية النسخ.

(٧) قوله «حيث قال تعالى:﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾» سقط من ٢، ٢١، ٢٥. وفي ١٦ «حيث قال فيمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ ». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) في ١٢، ١٦، ٣٣ بعده زيادة «وأيقنا». وهي زيادة حسنة.

(٩) سقط من ١٨ من قوله «علمنا» إلى قوله «قول البشر». والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٠) سقط من ٢، ٢١ من قوله «ومن وصف» إلى قوله «فقد كفر». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١١) في ١٢ «واعلم أن الله تعالى». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

[رُؤْيَةُ اللهِ حَقٌّ:]

٣٦- وَالرُّؤْيَةُ حَقٌّ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا كَيْفِيَّةٍ، كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا حَيْثُ قَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. [القيامة:٢٢-٢٣]

٣٧- وَتَفْسِيْرُهُ عَلَى مَا أَرَادَ[١] اللهُ تَعَالَى وَعَلِمَهُ[٢]، وَكُلُّ مَا[٣] جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيْثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ[٤]، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَعْنَاهُ عَلَى مَا أَرَادَ[٥]، لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِيْنَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِيْنَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِيْنِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلِرَسُوْلِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَرَدَّ عِلْمَ[٦] مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ[٧] إِلَى عَالِمِهِ.

٣٨- وَلَا يَثْبُتُ قَدَمُ الْإِسْلَامِ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ التَّسْلِيْمِ وَالِاسْتِسْلَامِ[٨]، فَمَنْ رَامَ عِلْمَ[٩] حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيْمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيْدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيْحِ الْإِيْمَانِ[١٠]، فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيْمَانِ،

---

(١) في ١، ٨، ١٦، ١٨، ٢٦، ٣١ «أراده». وفي ٣، ١٩ «ما أراد» بدون «على». والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قوله «وعلمه» سقط من ٧، ٨، ١٣، ١٩، ٢٥، ٢٧، ٣٤، ٣٥. وسقط من ٢١ قوله «وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه». والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المعنى.

(٣) في ١١ «فكل». وفي ٣، ١٤ «وكما». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) قوله «وعن أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين» سقط من ٢، ٦، ٧، ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥. وهي زيادة حسنة.

(٥) في ٣٣ «ومعناه كما أراد». وفي ١، ٣، ٤، ٥، ١٧ «ومعناه وتفسيره على ما أراد». وفي ١٦، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢ «وتفسيره على ما أراد». وفي ١٩، ٢٠، ٢٥ «وتفسيره ما أراد الله تعالى». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء. و في ١٣، و١٦، ٢٨، ٢٩، ٣٢ بعده زيادة «وعلم». والمفهوم سواء.

(٦) قوله «علم» سقط من ٦، ١٢. ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في ٤، ٥، ١٠، ١٣ «عليه علمه». والمعنى سواء. و في ٢٧ «إليه علمه». وهو خطأ. والمثبت من بقية النسخ.

(٨) قوله «والاستسلام» سقط من ٢، ١٠، ١٢، ١٤، ١٦، ٢١، ٢٨. وفي ١١، ١٥ «الانقياد والتسليم». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٩) قوله «علم» سقط من ١٢، ١٣، ١٥، ٢٦، ٣١، ٣٦. وأثبتناه من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(١٠) قوله «وصحيح الإيمان» سقط من ٢٣. ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

وَالتَّصْدِيْقِ[(١)] وَالتَّكْذِيْبِ، وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ، مُوَسْوِسًا تَائِهًا شَاكًّا زَائِغًا[(٢)]، لَا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، وَلَا جَاحِدًا مُكَذِّبًا[(٣)].

٣٩- وَلَا يَصِحُّ الْإِيْمَانُ[(٤)] بِالرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ دَارِ السَّلَامِ[(٥)] لِمَنِ اعْتَبَرَهَا مِنْهُمْ[(٦)] بِوَهْمٍ، أَوْ تَأَوَّلَهَا بِفَهْمٍ[(٧)]، إِذْ[(٨)] كَانَ تَأْوِيْلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأْوِيْلُ كُلِّ مَعْنًى يُضَافُ إِلَى الرُّبُوْبِيَّةِ تَرْكُ[(٩)] التَّأْوِيْلِ وَلُزُوْمُ التَّسْلِيمِ، وَعَلَيْهِ دِينُ الْمُرْسَلِيْنَ[(١٠)]. وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ وَالتَّشْبِيْهَ زَلَّ وَلَمْ يُصِبِ التَّنْزِيْهَ، فَإِنَّ[(١١)] رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الْفَرْدَانِيَّةِ[(١٢)]، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ[(١٣)] أَحَدٌ مِنَ الْبَرِيَّةِ.

---

(١) قوله «والتصديق» سقط من ١. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٢) في ١ «زايغًا شاكًّا». و في ١١ «مكذبا زائغا» بدل قوله «زايغا شاكا». وفي ٢١ «بوسواس الشيطان» بدل قوله «موسوسا تائها شاكا زايغا». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(٣) سقط من ٢ قوله «فيتذبذب» إلى قوله «مكذبا». وفي ١٨ «مكابرا» بدل قوله «مكذبا». وسقط من ٢١ قوله «تائها» إلى قوله «مكذبا». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) في ٨ «الإسلام»، وهو خطأ. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في ١٢ «إلا لأهل دار السلام»، وهو خطأ. والمثبت من بقية النسخ.

(٦) قوله «منهم» سقط من ٢، ١٠، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٨. وفي ٣ «فيهم». وفي ٣٥ «لمن اعتقدها». ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٧) قوله «بفهم» سقط من ٥. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) في ١، ٢، ٣، ٦، ١٦، ٢٣، ٢٤، ٣٥ «إذا». وهو خطأ. وسقط من ٢٣ من قوله «إذ كان» إلى قوله «إلى الربوبية». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٩) في ١٤ «بترك». وفي ٢، ٥، ٧، ٢١، ٢٥، ٢٨، ٣٢ «إلا بترك». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ. وترك التأويل هو التفويض، كما هو مذهب عدد كبير من العلماء والمشايخ. أو المراد منه ترك تأويل الزائغين المبطلين الذين يؤلون المتشابهات كما تهوى نفوسهم الزائغة لتأئيد مذهبهم الباطل، كما تقول المعتزلة والخوارج: ناظرة في قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ بالانتظار. فالإمام الطحاوي لا ينكر التأويل الصحيح المؤيد بالدلائل الموافق باللغة العربية، بل ينكر التأويل الباطل كما صرح به في صفحة٦١٢: «ولا نؤول بتأويلات أهل الزيغ ابتغاء الفتنة». قلت: أي: التضليل. فأنكر تأويل الزائغين، لا تأويل المحققين.

(١٠) في ٢٠، ٢٧ «المسلمين». والمثبت من بقية النسخ. وزاد في ١ «وشرائع النبيين» بعد قوله «المرسلين». والمفهوم سواء.

(١١) في ١١، ١٥ «لأن». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٢) سقط من ٢ من قوله «فإن ربنا» إلى قوله «الفردانية». والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٣) في ١، ٥، ٩، ١٣، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٤، ٣٥ «بمعناه». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

٤٠- تَعَالَى عَنِ الْحُدُوْدِ[١] وَالْغَايَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا تَحْوِيْهِ الْجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ الْمُبْتَدَعَاتِ.

[الْإِيمَانُ بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ:]

٤١- وَالْمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعُرِجَ[٢] بِشَخْصِهِ فِي الْيَقَظَةِ[٣] إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ[٤] إِلَى حَيْثُ[٥] شَاءَ اللهُ مِنَ الْعُلَا، وَأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى.[٦]

[الْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ وَالْمِيْثَاقِ:]

٤٢- وَالْحَوْضُ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعَالَى بِهِ -غِيَاثًا لِأُمَّتِهِ- حَقٌّ.

٤٣- وَالشَّفَاعَةُ الَّتِي ادَّخَرَهَا لَهُمْ[٧] حَقٌّ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ[٨].

٤٤- وَالْمِيْثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهِ حَقٌّ.

---

(١) في ٢١ بعده زيادة «والجهات». وسقط من ١ قوله «والأعضاء». ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قوله «وعرج» سقط من ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٣. وسقط من ٢٨ قوله «بشخصه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) قوله «في اليقظة» سقط من ٢. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) قوله «ثم» سقط من ٩، ١١، ١٥. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في ١٧، ٢٢، ٢٥، ٣٠ «حيث ما» وفي ١٤ «حيث» فقط. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٦) في ١٩، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٥، ٣٦ «وأوحى إلى عبده ما أوحى». وفي ٣، ٣١ «فأوحى إليه ما أوحى». وفي ١، ١٨ «﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء. وفي بعض المطبوعات من المتن والشروحات بعده زيادة «﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾. فَصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى». ولم نجده في أحد من المخطوطات.

(٧) في ١، ٣، ٤، ٨ «ادخرها الله لهم». والمعنى سواء.

(٨) قوله «كما روي في الأخبار» سقط من ١٥، ١٦، ٢٦، ٣١. وفي ٣٣ «كما ورد في الأخبار». والزيادة حسنة حيث تشير إلى الدليل. وسقط من ٥ قوله «حق». والمثبت من بقية النسخ.

[الْإِيْمَانُ بِعِلْمِ اللهِ:]

٤٥- وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا لَمْ يَزَلْ[١] عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَ عَدَدَ[٢] مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فلَا يَزْدَادُ[٣] فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.

٤٦- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُمْ فِيمَا عَلِمَ مِنْهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ[٤]، وَكُلٌّ[٥] مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ.

[الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيْمِ:]

٤٧- وَالْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيْمِ[٦].

[الْإِيْمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:]

٤٨- وَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ.

٤٩- وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِكَ[٧] مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ[٨] فِي ذَلِكَ ذَرِيْعَةُ الْخِذْلَانِ، وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ[٩]، وَدَرَجَةُ

---

(١) في ١٠، ١٢، ٢٨، ٣٢ بعده زيادة «عالما». وهو خطأ. والله أعلم.

(٢) سقط لفظ «عدد» من ٣، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٦. وسقط من ١ قوله «عدد من». وسقط من ٢ قوله «عدد» من الموضعين. ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ١، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١١، ١٤، ١٥، ١٧، ١٩، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٣، ٣٤ «لا يزاد». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(٤) في ١، ٣، ٤، ٢٢، ٣١ «أنهم يفعلونه». وفي ٧ «في علم منهم» بدل قوله «فيما علم منهم». وسقط من ٢٢ قوله «منهم». والمثبت من بقية النسخ. وفي ٦، ٣٢ بعد قوله «يفعلوه» زيادة «على نسق ما ذكروا». وفي ٢٥ بعد قوله «يفعلوه» زيادة «﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾». (الملك:١٤) والمعنى سواء.

(٥) في ٤ «كل منهم». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(٦) في ١٠، ٣٢ «بخواتيمها». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٧) في ١٠ «عليه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) قوله «والنظر» سقط من ٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٩) قوله «وسلم الحرمان» سقط من ٢٢. وسقط من ٨، ٢٣ قوله «سلم». والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

الطُّغْيَانِ، فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ[١] نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى طَوَى عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾. [الأنبياء:٢٣] فَمَنْ سَأَلَ : لِمَ[٢] فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ، وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ كَانَ[٣] مِنَ الْكَافِرِيْنَ[٤].

٥٠- فَهَذِهِ[٥] جُمْلَةُ[٦] مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ دَرَجَةُ الرَّاسِخِيْنَ فِي الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْخَلْقِ مَوْجُوْدٌ، وَعِلْمٌ فِي[٧] الْخَلْقِ مَفْقُوْدٌ، فَإِنْكَارُ الْعِلْمِ الْمَوْجُوْدِ كُفْرٌ، وَادِّعَاءُ الْعِلْمِ الْمَفْقُوْدِ كُفْرٌ، وَلَا يَصِحُّ[٨] الْإِيْمَانُ إِلَّا بِقَبُوْلِ الْعِلْمِ الْمَوْجُوْدِ، وَتَرْكِ [طَلَبِ][٩] الْعِلْمِ الْمَفْقُوْدِ.

٥١- وَنُؤْمِنُ بِاللَّوْحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيْعِ مَا فِيْهِ قَدْ رُقِمَ.

٥٢- فَلَوِ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ[١٠] عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيْهِ أَنَّهُ كَائِنٌ؛ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوِ اجْتَمَعُوْا[١١] كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ[١٢] لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ تَعَالَى

---

(١) في ٤ «من ذلك كله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) في ٧، ٢٢، ٣٠ «عما». وفي ٨ «لما فعل ذلك». وفي ١٦ «لما فعل الله كذا؟». وفي ١٧ «لما فعل، وهو قوله تعالى: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد». وهذان جزءان من آيتين. ولا يتغير المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ٢٦، ٣١ «فهو». وسقط من ٣٤ قوله «فمن رد حكم الكتاب». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٤) سقط من ٢٥ من قوله «كما قال الله تعالى» إلى قوله «من الكافرين». والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) كذا في ٢، ٦، ١٩. وفي ٣ «هذا». وفي ١٤ «وهذا». وفي بقية النسخ «فهذا». والمفهوم سواء.

(٦) قوله «جملة» سقط من ٩، ١٥، ٢٠، ٢٧. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في ٢٦، ٣١ «عن». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) في ١١، ١٢، ١٤، ١٦، ٢٥، ٣٣ «يثبت». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٩) قوله «طلب» سقط من ٦. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) قوله «كلهم» سقط من ٦، ١٩. ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(١١) في ١ «اجتمع الخلق». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٢) في ١، ٢، ٥، ٩، ١٠، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦ «ما» بدل «شيء». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

فِيْهِ أَنَّهُ كَائِنٌ[1]؛ لِيَجْعَلُوْهُ كَائِنًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٥٣- وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ[2].

٥٤- وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ[3] مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ[4] ذَلِكَ بِمَشِيَّتِهِ[5] تَقْدِيْرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيْهِ[6] نَاقِضٌ وَلَا مُعَقِّبٌ، وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوِّلٌ، وَلَا نَاقِصٌ وَلَا زَائِدٌ[7] مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ[8].

٥٥- وَذَلِكَ[9] مِنْ عُقَدِ الْإِيْمَانِ، وَأُصُوْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَالِاعْتِرَافِ بِتَوْحِيْدِ اللهِ تَعَالَى[10] وَرُبُوْبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾. [الفرقان:٢] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾. [الأحزاب:٣٨] فَوَيْلٌ لِمَنْ صَارَ لِلهِ تَعَالَى[11] فِي الْقَدَرِ خَصِيْمًا، وَأَحْضَرَ لِلنَّظَرِ فِيْهِ قَلْبًا سَقِيْمًا[12]، لَقَدِ الْتَمَسَ بِوَهْمِهِ فِي

---

(١) قوله «أنه كائن» أثبتناه من ٧، ١٢، ١٣، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١. وفي ٦، ٩، ١٧، ١٨، ١٩، ٣٤، ٣٥، ٣٦ «أنه غير كائن»، وهذا خطأ، إلا أن يكون قبله «كتبه» بدل قوله «لم يكتبه»، كما في ٨، و٣٣، فيه «كتبه الله تعالى فيه أنه غير كائن». وسقط من ١٠ قوله «فيه». وفي ١٥ «كائنا» بدل «فيه». ومعناه صحيح.

(٢) سقط من ٢، ٢٥ من قوله «وما أخطأ العبد» إلى قوله «لم يكن ليخطئه». والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) وفي ١ «كل شيء كائن». وفي ٢٣ «في كل شيء كائن من خلقه في سماواته وأرضه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٤) في ١، ٢، ٣، ٦، ١٠، ١٩، ٢٤، ٢٩، ٣٠، ٣٢ «وقدر». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٥) قوله «بمشيته» أثبتناه من جميع النسخ الخطية، وهو ساقط من أكثر المطبوعات.

(٦) في ٢، ٢١، ٢٥ «له». ولا يضر المفهوم. وسقط من ٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٧) في بعض النسخ ولا زائد ولا ناقص. والمعنى سواء.

(٨) في ٢، ٢١، ٢٥ بعده زيادة «ولا يكون مكوَّن إلا بتكوينه، والتكوين لا يكون إلا حسنا جميلا».

(٩) في ٢، ٢٥ «فهذا». ولا يضر المفهوم. وسقط من ٣. والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) في ٢، ١١ «بوحدانيته». وفي ٤، ١٢، ٢٠، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ «بتوحيده». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١١) في ١٣، ٣١ «له». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٢) في ٦، ٨، ، ١٤، ، ١٩، ٣٣، العبارة هكذا: «فويل لمن صار له في القدر قلب سقيم». وفي ٩، ١٢، ٣٤، ٣٦ «فويل

فَحْصِ الْغَيْبِ سِرًّا كَتِيْمًا، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيْهِ[١] أَفَّاكًا أَثِيْمًا.

[الْإِيْمَانُ بِالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ:]

٥٦- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، كَمَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ[٢].

٥٧- وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ.

٥٨- مُحِيْطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ[٣]، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ[٤] خَلْقَهُ.

[الْإِيْمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّيْنَ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ:]

٥٩- وَنقُوْلُ: إِنَّ اللهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيْمًا، إِيمَانًا وَتَصْدِيْقًا وَتَسْلِيْمًا.

٦٠- وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّيْنَ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِيْنِ.

٦١- وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِيْنَ[٥] مُؤْمِنِيْنَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ[٦] بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ

لمن صار له في القدر قلبا سقيما». وفي ٣٣ «فويل لمن صاغ له في القدر قلبا سقيما». وفي ١٥ «فويل لمن كان قلبه في القدر سقيما». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١) قوله «فيه» سقط من ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٢) قوله «كما بين الله تعالى في كتابه» سقط من ١. وفي ٤، ٥، ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٣٠ «كما قال الله تعالى في كتابه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) في ٢، ٣٦ «وما فوقه». وفي ٣ «فما فوقه». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(٤) في ٢، ٢٤ «عن الإحاطة به». وفي ١٥ «عجز». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) قوله «مسلمين» سقط من ٢، ٢٥. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في ٥ «على ما جاء». وفي (١٥) «ما داموا على الحق المبين و بها جاء...». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِيْنَ، وَلَهُ[(١)] بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِيْنَ[(٢)].

[حُرْمَةُ الْخَوْضِ فِي ذَاتِ اللهِ، وَالْجِدَالِ فِي دِيْنِ اللهِ وَقُرْآنِهِ:]

٦٢- وَلَا نَخُوْضُ فِي اللهِ، وَلَا نُمَارِي فِي الدِيْنِ[(٣)].

٦٣- وَلَا نُجَادِلُ فِي الْقُرْآنِ[(٤)]، وَنَعْلَمُ[(٥)] أَنَّهُ كَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوْحُ الْأَمِيْنُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الْمُرْسَلِيْنَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَ هُوَ[(٦)] كَلَامُ اللهِ تَعَالَى لَا يُسَاوِيْهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْمَخْلُوْقِيْنَ، وَلَا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِيْنَ.

٦٤- وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ[(٧)].

[الرَّدُّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ:]

٦٥- وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيْمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.

٦٦- وَنَرْجُو لِلْمُحْسِنِيْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ،[(٨)] وَلَا

---

(١) قوله «له» سقط من ١٢، ٢٥. والمثبت من بقية النسخ. والصواب حذفه. والله أعلم.

(٢) زاد في ١ بعده «غير مكذبين». وفي (٤) «غير منكرين». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) في ١ «دين الله». ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في ٢ بعده زيادة «بأنه مخلوق حادث، أو من جنس الحروف والأصوات». وفي ٢٢ بعد قوله «والأصوات» زيادة «بل نؤمن بأنه مراد الله وكلامه، ولا نجادل في الآيات المتشابهة ولا نؤول بتأويلات أهل الزيغ ابتغاء الفتنة». وهذا تفصيل حسن. وهو ساقط من بقية النسخ.

(٥) في ١٦ «نشهد». وفي بقية النسخ «نعلم». والمعنى سواء.

(٦) قوله «هو» سقط من ٢، ٤، ٦، ٧، ١٢، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣٢، ٣٥. ولا يضر المفهوم. وأثبتناه من بقية النسخ.

(٧) سقط من ١ من قوله «لا نكفر» إلى قوله «ما لم يستحله». وهي زيادة حسنة أثبتناها من بقية النسخ.

(٨) قوله «أن يعفو عنهم، ويدخلهم الجنة برحمته» أثبتناه من ٤، ١٦، ١٧، ٣٣، وهي زيادة حسنة من حيث تعيين معنى الرجاء. وهو ساقط من بقية النسخ. وسقط من ٣٥ قوله «من المؤمنين».

نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ،[١] وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ[٢]، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيْئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ[٣]، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ[٤].

٦٧- وَالْأَمْنُ وَالْإِيَاسُ يَنْقُلَانِ عَنِ الْمِلَّةِ[٥]، وَسَبِيْلِ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ[٦].

٦٨- وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيْمَانِ إِلَّا بِجُحُوْدِ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ.

[تَعْرِيْفُ الْإِيْمَانِ:]

٦٩- وَالْإِيْمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيْقُ بِالْجَنَانِ[٧].

٧٠- وَأَنَّ جَمِيْعَ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ وَجَمِيعَ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ[٨] وَالْبَيَانِ كُلُّهُ[٩] حَقٌّ.

٧١- وَالْإِيْمَانُ[١٠] وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ[١١] بِالْخَشْيَةِ[١٢]

---

(١) في ٧ بعده زيادة «ونخاف عليهم كما نخاف على أنفسنا، ونستغفر لهم كما نستغفر لأنفسنا».

(٢) قوله «ولا نشهد لهم بالجنة» سقط من ٢. و سقط من ٨ قوله «بالجنة». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) قوله «ونخاف عليهم» سقط من ٧. وفي ١٢ «ونخاف على محسنهم». والمثبت من بقية النسخ.

(٤) وفي ١٣، ٢٢ بعده زيادة «من رحمة الله». والمعنى سواء.

(٥) في ١٦، ٣٢ «ملة الإسلام». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٦) قوله «لأهل القبلة» سقط من ٢. والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

(٧) في ٣، ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٧، ٣٦ «وتصديقه المعرفة بالجنان». وفي ٥، ١٠، ١٨، ٢٨، ٣٢ «وتصديق بالجنان». والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) وفي ٩، ٣٤ «الشرائع». و سقط من ٣٢ قوله «الشرع». وسقط من ٣٥ قوله «البيان». والأصح إثبات كليهما كما في بقية النسخ.

(٩) في ١٤ «كلها». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٠) في ١٦ بعده زيادة «والإسلام». وفي معنى الإيمان والإسلام أقوال بيناه في الشرح.

(١١) وفي ١٦ «بينهما». والمثبت من بقية النسخ.

(١٢) في ٢، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٦ «بالحقيقة». وسقط من ١، ٢٣. وفي ١١ «بالحقيقة في مخالفة الهوى». وفي ١٩ «بالحقيقة بالتقوى». وفي ٣٣ «بالحقيقة بالتقى». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم واحد.

وَالتُّقَى[(١)]، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى[(٢)]، وَمُلَازَمَةِ الْأَوْلَى[(٣)].

٧٢- وَالْمُؤْمِنُونَ[(٤)] كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ[(٥)] أَطْوَعُهُمْ[(٦)] وَأَتْبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ.

٧٣- وَالْإِيْمَانُ[(٧)]: هُوَ الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ[(٨)]، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ وَمُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

٧٤- وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ[(٩)] عَلَى مَا جَاءُوا[(١٠)] بِهِ.

[أَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ لَا يُخَلَّدُوْنَ فِي النَّارِ:]

٧٥- وَأَهْلُ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١١)] فِي النَّارِ لَا يُخَلَّدُوْنَ، إِذَا[(١٢)]

---

(١) قوله «والتقى» سقط من ٢٤، ٣٤، ٣٦. وفي ٥، ٧، ١٤ «والتقوى» بدل «والتقى». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) في ١٢ «الأهواء». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) قوله «وملازمة الأولى» سقط من ١، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٣٢. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) في ٢٧ بعده زيادة «بالتقوى». وهو خطأ.

(٥) قوله «عند الله» سقط من ١، ٤، ٥، ١٢، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٢، ٣٤، ٣٦. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في ١٣، ١٤ بعده زيادة «لله تعالى». وفي ٢١ بعده زيادة «له». والمعنى واحد.

(٧) في ٢، ٢١، ٢٥ «أصل الإيمان». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) قوله «والبعث بعد الموت» سقط من ٢٣، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦. وسقط من ٢٧ من قوله «واليوم الآخر...». والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٩) قوله «كلهم» سقط من ١٣. وفي ١٦ «ونصدق كلهم». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(١٠) في ٢ «بما جاؤوا». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١١) قوله «من أمة محمد صلى الله عليه وسلم» أثبتناه من ١، ٤، ١٦، ١٧. ولم نجده في بقية النسخ. وهو الأولى؛ لأن الحكم لم يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١٢) في ٢١ «إذ». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُوْنَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا[١] تَائِبِيْنَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ[٢] عَارِفِيْنَ مُؤْمِنِيْنَ[٣]، وَهُمْ فِي مَشِيْئَتِهِ[٤] وَحُكْمِهِ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ[٥]، كَمَا ذَكَرَ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. [النساء: ٤٨ و١١٦][٦]، وَ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِقَدْرِ جِنَايَتِهِمْ[٧] بِعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِيْنَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ[٨]، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى مَوْلَى[٩] أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ[١٠]، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ الَّذِيْنَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلَايَتِهِ[١١]. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَسِّكْنَا بِالْإِسْلَامِ[١٢] حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ.

٧٦- وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَ[١٣] عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ[١٤].

---

(١) في ١ «وإن لم يكن ماتوا». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) في ٢٥ «يكونوا» بدل قوله «لقوا الله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) قوله «مؤمنين» أثبتناه من ١، ٣، ٤، ٥، ٧، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١. وهو ساقط من بقية النسخ. وفي ٧ «عارفين به مؤمنين». وفي ٢٤ «عارفين به».

(٤) وفي ١٣، ٣١ بعده زيادة «وعدله». وسقط من ١٤، ٣١ قوله «وحكمه». والأليق ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) قوله «بفضله» سقط من ٩، ١٢. والمثبت من بقية النسخ. وفي ١٣ بعده زيادة «وكرمه». والمعنى سواء.

(٦) سقط من ٣٣ من قوله «كما ذكر» إلى آخر الآية. وأثبتناه من بقية النسخ. وفي بعض المخطوطات قبله قوله تعالى: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾».

(٧) قوله «بقدر جنايتهم» سقط من ٩، ١٠، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٥، ٣٢، ٣٦. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) قوله «ثم يبعثهم إلى جنته» سقط من ٢٣. والأولى ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٩) في ٢، ٨ «تولى». والأولى ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٠) وفي ٣، ١٥، ٢٦، ٣١ «أهل طاعته». وفي ٦، ١٩ «لأهل معرفته». والمثبت من بقية النسخ. وأهل طاعته تفسير لأهل معرفته، فلا يرد إشكال بعض أهل الظاهر.

(١١) سقط من ٢ من قوله «وإن شاء عذبهم» إلى قوله «من ولايته». وسقط من ٢٥ من قوله «الذين خابوا». وما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٢) في ١٣، ٣٣ «ثبتنا على الإسلام». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء. وسقط من ٥. وفي ٦ بعد قوله «حتى نلقاك به» زيادة «اللهم صل على محمد وآله».

(١٣) في ١، ١٤، ٢١، ٢٨ «ونصلي». والمعنى سواء.

(١٤) قوله «منهم» سقط من ٦. ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

٧٧- وَلَا نُنَزِّلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ[1]، وَنَذَرُ[2] سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

٧٨- وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ[3].

[وُجُوبُ طَاعَةِ الْأَئِمَّةِ وَالْوُلَاةِ:]

٧٩-وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا[4] وَإِنْ جَارُوا[5]، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ[6]، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ[8]، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاةِ[9].

[اتِّبَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:]

٨٠- وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ[10].

٨١- وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ[11]، وَنُبْغِضُ أَهْلَ[12] الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

---

(١) في ١١ «ما لم يُظهِر شيئًا من ذلك». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) في ١١، ١٥ «نرد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) قوله «إلا من وجب عليه السيف» سقط من ٢، ٢٥. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) في ١٤ بعده زيادة «من المسلمين». ولم نجده في بقية النسخ.

(٥) في ٢، ١٢ زيادة «أو ظلموا» بعد «وإن جاروا». و في ١٢، و٢٨ «وإن ظلموا». والمعنى سواء.

(٦) في ٢٦، ٣١ «فلا ندعوا عليهم». وفي ١ «على أحد منهم». والمثبت من بقية النسخ. وفي ١٣، ٣٠ بعده زيادة «بالشر». و في ١٤ «بالهلكة». والمعنى سواء.

(٧) في ١٧ بعده زيادة «واجبة». والنعنى سواء.

(٨) قوله «ما لم يأمروا بمعصية» أثبتناه من ١، ٤، ١٦، ١٧، ٣٣. وهو ساقط من بقية النسخ.

(٩) في ١ بعده زيادة «والنجاح». ولا يتغير المعنى.

(١٠) قوله «ونجتب الشذوذ والخلاف والفرقة» سقط من ١. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١١) قوله «والأمانة» سقط من ٤. وفي ٢٦ «ونحب أهل الإيمان والعدل». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٢) قوله «أهل» سقط من ١. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

٨٢- وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ[١].

٨٣- وَنَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ[٢].

[وُجُوبُ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ:]

٨٤- وَالْحَجُّ وَالْجِهَادُ فَرْضَانِ[٣] مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الْأَمْرِ[٤] مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ[٥]، بَرِّهِمْ وَفَاجِرِهِمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ[٦]، لَا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا[٧].

[الْإِيْمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْبَرْزَخِ:]

٨٥- وَنُؤْمِنُ بِالْكِرَامِ الْكَاتِبِيْنَ، فَإِنَّ[٨] اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِيْنَ.

٨٦- وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِيْنَ.[٩]

٨٧- وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيْمِهِ[١٠] لِمَنْ كَانَ لَهُ[١١] أَهْلًا.

٨٨- وَبِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيْرٍ لِلْمَيِّتِ[١٢] فِي قَبْرِهِ[١٣] عَنْ رَبِّهِ وَدِيْنِهِ وَنَبِيِّهِ، عَلَى مَا

---

(١) قوله «ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه» سقط من ١. وسقط من ٣٢ قوله «علينا». والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في ٦، ١٩ «في الحديث الأثر». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) قوله «فرضان» سقط من ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٣٦. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) قوله «أولي الأمر» سقط من ١٩. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في ١٢ «من أئمة الأمور». وفي ٥، ٢١، و٢٥ «من المسلمين». وفي ١١، ١٥، «مع برهم». والمعنى سواء.

(٦) قوله «إلى قيام الساعة» سقط من ١. وسقط من ٨ قوله «فاجرهم». والمثبت من بقية النسخ.

(٧) قوله «ولا ينقضها» سقط من ٢، ٢٥. وفي ١، ١٦، ١٨، ٢١ «ولا ينقصها». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) في ١، ٣، ٦، ٩، ١٠، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٤، ٣٦ «وأن». وفي ٤ «ونعلم أن». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٩) في ٢٤ بعده زيادة «كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾». [السجدة: ١١]

(١٠) قوله «ونعيمه» سقط من ١، ٢، ٣، ٦، ٩، ١٢، ١٥، ١٩، ٣٣، ٣٤. والمثبت من بقية النسخ.

(١١) في ٢ «ذلك». وهو خطأ. وفي ٢٥ «لذلك». ولا يتغير المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(١٢) قوله «للميت» أثبتناه من جميع النسخ الخطية، وهو ساقط من أكثر المطبوعات.

(١٣) في ١٣ بعده زيادة «ويسألان». وفي ١٦ «على ما جاءت له الأخبار».

بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ،[(١)] وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

٨٩- وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ[(٢)].

[الْإِيْمَانُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيْهِ مِنَ الْمَشَاهِدِ:]

٩٠- وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ[(٣)] وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالصِّرَاطِ وَالْمِيْزَانِ[(٤)].

[الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ:]

٩١- وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ[(٥)]، لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ.

٩٢- وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ[(٦)]، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ[(٧)] فَضْلًا مِنْهُ[(٨)]، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ[(٩)] أَدْخَلَهُ النَّارَ[(١٠)] عَدْلًا

---

(١) في ٢٤ من بعده سقط طويل إلى قوله الآتي: «وعلمه وقدره وقضائه...». وأثبتناه من بقية النسخ.

(٢) قوله «والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران» سقط من ٢. وفي ١، ٤، ٥، ٦، ١٢، ١٨، ١٩، ٢٥ «النار» بدل قوله «النيران». ولا يضر المفهوم. والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ١٠ بعده زيادة «قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾».

(٤) في ١، ٤، ١٧ بعد قوله «الميزان»: «يوزن به أعمال المؤمنين من الخير والشر والطاعة والمعصية». وفي ١٠ بعده زيادة «حق لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ﴾». وما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) قوله «مخلوقتان» سقط من ٢، ١٣، ٢٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في ٣، ١٩، ٢١، ٢٢ «قبل خلق الخلق». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) أثبتناه من ٤، ٥، ٨، ١١، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٣. وفي ١، ٢٣، ٣٦ «إلى الجنة أدخله». وفي ٣، ١٧ «أدخله إلى الجنة». وفي ٢، ٧، ١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥) «للجنة» بدل قوله «أدخله الجنة». والأصح ما أثبتناه.

(٨) قوله «فضلا منه» سقط من ٦. والمثبت من بقية النسخ.

(٩) قوله «منهم» سقط من ٢. والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) أثبتناه من ٤، ٥، ٨، ١١، ١٥، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٣. وفي ١، ٣٦ «إلى النار أدخله». وفي ٣، ١٧ «أدخله إلى النار».

مِنْهُ[١]، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ[٢]، وَصَائِرٌ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ.

[أَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ:]

٩٣- وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ.

٩٤- وَالِاسْتِطَاعَةُ الَّتِي يَجِبُ[٣] بِهَا الْفِعْلُ مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيْقِ الَّذِي لَا يَجُوزُ أَنْ يُوْصَفَ الْمَخْلُوقُ بِهِ[٤]، فَهِيَ[٥] مَعَ الْفِعْلِ، وَأَمَّا الِاسْتِطَاعَةُ[٦] مِنْ جِهَةِ[٧] الصِّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ[٨] وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ فَهِيَ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الْخِطَابُ[٩]، وَهُوَ[١٠] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. [البقرة:٢٨٦]

٢، ٧، ١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥ «للنار" بدل قوله «أدخله النار». والأصح ما أثبتناه.

(١) قوله «عدلا منه» سقط من ٦. وسقط من ٨، ١٨ قوله «منه». وفي ١٩ في هذا المقام سقط كثير. وأثبتناه من بقية النسخ.

(٢) في ١، ٥، ١٤، ١٨، ٢١، ٢٥، ٢٧، ٣٠ «منه». والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في ٥، ٢١ «تجب». وفي ١٠، ٢٠، ٢٦، ٢٩، ٣١ «يوجد». وفي ٧، ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣٢ «والاستطاعة ضربان، أحدهما الاستطاعة التي يوجد». وفي بعضها «توجد». والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في ١، ٣، ٦، ٨، ١١، ١٨، ١٩، ٢٣ «بها». وسقط من ١٣، ٣٣. وفي ١٦ «لا يوصف المخلوق به». ولا يتغير المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) في ١، ٦، ١٧، ١٩ «تكون» بدل قوله «فهي». وسقط من ٢، ٣، ٤، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦. والمثبت من بقية النسخ.

(٦) في ٢٣ بعده زيادة «التي». والمعنى سواء.

(٧) قوله «جهة» سقط من ١. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٨) في ٢، ٣، ٦، ٨، ١٠، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٦ «التمكين». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٩) قوله «وبها يتعلق الخطاب» أثبتناه من ٨، ١١، ١٣، ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٢، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٦. وفي ٣٤ «وبها يتعلق الأسباب». وهو ساقط من بقية النسخ. والصحيح ما أثبتناه.

(١٠) قوله «وهو» سقط من ١١. وسقط من ١٢ من قوله: «وأما الاستطاعة» إلى قوله «وهو». وفي ٢٩، ٣٠ «وهي». والمثبت من بقية النسخ.

٩٥- وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ اللهِ[١]، وَكَسْبٌ مِنَ الْعِبَادِ.

[التَّكْلِيْفُ بِمَا يُطَاقُ:]

٩٦- وَلَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيْقُوْنَ[٢]، وَلَا يُطِيْقُوْنَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ[٣]، وَهُوَ[٤] تَفْسِيرُ[٥]: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[٦]. نَقُوْلُ[٧]: لَا حِيْلَةَ لِأَحَدٍ[٨]، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ[٩]، وَلَا تَحَوُّلَ لِأَحَدٍ[١٠] عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُوْنَةِ اللهِ[١١]، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ[١٢] عَلَى إِقَامَةِ[١٣] طَاعَةِ اللهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا[١٤] إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ[١٥].

---

(١) في ٢، ١٤، ٢٥ «بخلق». وفي ١، و٤ «هي بخلق الله». وفي ١٧ «هي خلق الله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٢) في ١، ١٣ «يطيقونه». وفي ٢٠، ٢٧ «بما يطيقونه». وفي ٣٠ «بما يطيقون». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٣) في ٤، ١٣، ٣١، ٣٤ «كلفهم الله تعالى به». وفي ١، ٢، ٤، ٦، ٩، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٧ «كلفهم» فقط. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء على كل حال.

(٤) في ٢ «ذلك». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٥) في ١ «وهو حاصل تفسير قول». وسقط من ٢٥ قوله «وهو تفسير قوله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٦) وفي بعض النسخ بعده «العلي العظيم».

(٧) في ٢، ٢٥ «فإنه». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) في ٣، ٤، ٢٢، ٢٨ بعده زيادة «ولا حول». وفي ٥، ٦، ٩، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٧ بعده «ولا حول لأحد». وفي ٧ «ولا حولة لأحد». وفي ١٢ «ولا قوة لأحد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٩) قوله «ولا حركة لأحد» سقط من ٢١. وسقط من ٢٥ قوله «لأحد». والمثبت من بقية النسخ. ولا يضر المفهوم.

(١٠) قوله «ولا تحول لأحد» سقط من ١، ٢، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٧. وفي ٣، ١٢ «ولاتحويل وفي ٢١، ٣٥، ٣٦ «ولا حول لأحد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١١) في ٢، ٣، ٢٥ «بعصمة الله». وفي ١٤ «بمعونة الله وعصمته». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٢) في ٢ «لمخلوق». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٣) قوله «إقامة» سقط من ٨، ١٠. وفي ١٩ «على إقامة طاعة حقوق الله». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١٤) قوله «عليها» سقط من ٤. وفي ٢٥ «ولا قوة لمخلوق على إقامة الطاعة والثبات عليها». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(١٥) في ٩ «إلا بمشية الله». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

٩٧- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى[(١)] وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

٩٨- غَلَبَتْ[(٢)] مَشِيئَتُهُ الْمَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيَلَ كُلَّهَا[(٣)].

٩٩- يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا.

١٠٠- تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوْءٍ وَحَيْنٍ، وَتَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ؛ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. [الأنبياء:٢٣][(٤)]

١٠١- وَفِي دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهِمْ[(٥)] مَنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

١٠٢- وَاللهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ.[(٦)]

١٠٣- وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلَا غِنَى[(٧)] عَنِ اللهِ تَعَالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ[(٨)].

١٠٤- وَاللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى.

---

(١) قوله «وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى» سقط من ٤، ٩، ٢٤. وسقط من ١٣ لفظ «شيء» فقط. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٢) أثبتناه من ١، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٣، ٣٢، ٣٣. وفي بقية النسخ «فغلبت». والمعنى سواء.

(٣) قوله «وغلب قضاؤه الحيل كلها» سقط من ٢٣. وسقط من ٢ قوله «كلها» من الموضعين. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) سقط من ١ قوله «تقدس عن كل سوء وحين». وسقط من ٦، ٩، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٤، ٣٣، ٣٤، ٣٦ من قوله «تقدس» إلى قوله «وشين». وسقط من ٢، ٢٥ من قوله «الحيل كلها» إلى آخر الآية. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) قوله «وصدقاتهم» سقط من ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٣٦. والمثبت من بقية النسخ. و في ١، ٣٢، ٣٣ بعد قوله «الأحياء» زيادة «للأموات».

(٦) في بعض المطبوعات بعده «اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ». ولم نجده في المخطوطات.

(٧) في ١، ٢٢ «ولا يستغنى». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٨) قوله «وصار من أهل الحين» سقط من ٢، ٢٥، وأثبتناه من ٦، ١٦، ٢١، ٣٣. وفي ٥، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٦ «وكان من أهل الحين». وفي ١، ١٣، ١٩، ٢٠، ٣٤ «وكان من أهل الخسران». وفي ٣، ٢٤، ٢٧، ٣٥ «وكان من أهل الجحيم». وفي ٤، ٢٢، ٢٩، ٣٠ «وكان من أهل الخسران والجحيم». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء على كل حال.

[حُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:]

١٠٥- وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١]، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ[٢] أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ[٣] وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيْرِ الْخَيْرِ[٤] وَ لَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ[٥]، وَحُبُّهُمْ[٦] دِيْنٌ وَإِيْمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ.

١٠٦- وَنُثْبِتُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا[٧] لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – تَفْضِيْلًا لَهُ[٨] وَتَقْدِيْمًا عَلَى جَمِيْعِ الْأُمَّةِ[٩]، ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ثُمَّ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ثُمَّ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-[١٠] وَهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالْأَئِمَّةُ الْمَهْدِيُّوْنَ[١١].

---

(١) في ٣٦ بعده زيادة «ونترَضَّى عنهم». وهي زيادة حسنة.

(٢) قوله «حب» سقط من ١٨. والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) في ١٢ «من حب أحد منهم». وفي ٧ بعده زيادة «ونحب من يحبهم». وهي زيادة حسنة حيث يطابق العبارة. وسقط من ٣٢ قوله «ولا نتبرأ من أحد منهم». والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) قوله «وبغير الخير يذكرهم» سقط من ٣. وفي ٤، ٦، ٧، ١٩ «الحق» بدل قوله «الخير». وفي ٢ «ولا بغير الحق نذكرهم». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٥) في ١ «وبغير الخير لا نذكرهم». وفي ٦، ١٩، ٢٣ «بالجميل» بدل قوله «بخير». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٦) في ١، ٣، ٤، ٥، ٧، ١٣، ١٤، ١٨، ٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣٣ «ونرى حبَّهم دينًا وإيمانًا...». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) قوله «أولا» سقط من ٢، ٢٤. والمثبت من بقية النسخ.

(٨) قوله «له» سقط من ١، ٥. والمثبت من بقية النسخ.

(٩) سقط من ٦ من قوله «تفضيلا» إلى قوله «الأمة». والمثبت من بقية النسخ.

(١٠) قوله «ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه» سقط من ٤. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(١١) في ٥ «المهتدون». وسقط من ٩، ٣٤ قوله «والأئمة المهديون». وسقط من ١٤ قوله «والأئمة». والمثبت من بقية النسخ. وفي ١، ١٢ بعد قوله «المهديون» زيادة «الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون». والمفهوم سواء.

١٠٧- وَأَنَّ الْعَشَرَةَ[١] الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالْجَنَّةِ[٢]، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ[٣]، عَلَى مَا شَهِدَ[٤] لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥]، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ[٦]، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِيْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ[٧]، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ.

١٠٨- وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَزْوَاجِهِ[٨]، وَذُرِّيَّاتِهِ[٩]؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

١٠٩- وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ[١٠]،

---

(١) في ١٠، ١٤، ٣٢، ٣٣ «ونشهد للعشرة الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة». وفي ١٣ «ونشهد بالجنة للعشرة». وفي ١٢ «ونحب العشرة». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم واحد.

(٢) قوله «وبشرهم بالجنة» أثبتناه من ٢، ١١، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١. وهو ساقط من بقية النسخ. والمثبت أصح.

(٣) قوله «نشهد لهم بالجنة» سقط من ١٣. وفي ١٤ «وشهد لهم بالجنة». ولايتغير المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٤) في ١، ٤، ٦، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٧ «كما شهد». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى واحد.

(٥) سقط من ١٤، ٣٢ قوله «على ما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم». وسقط من ٢ قوله «لهم». والمثبت من بقية النسخ.

(٦) قوله «وقوله الحق» سقط من ٣، ٦، ٢٣، ٢٥. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٧) في ٢، ٤، ٥، ٧، ١١، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٥ «وهم أمناء هذه الأمة». والمثبت من بقية النسخ.

(٨) في أكثر المطبوعات بعده زيادة «الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ»، ولم نجده في المخطوطات.

(٩) في أكثر المطبوعات بعده زيادة «الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ»، ولم نجده في المخطوطات.

(١٠) أثبتناه من ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٩، ٢١، ٢٨، ٣٢، ٣٣. وفي ١، ٢، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٣، ١٤، ١٧، ١٨، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٥ «الصالحين والتابعين...» وفي ٣، ٣٣ «السلف والتابعين...». وفي ١٤ «وعلماؤنا من السلف الصالحين والتابعين...». وفي ١٦ «من السابقين ومن بعدهم...». وفي ٢٣ «الصحابة والتابعين...». وفي ٣٦ «من الصالحين والأئمة التابعين». والمفهوم واحد.

وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ-، لَا يُذْكَرُوْنَ إِلَّا بِالْجَمِيْلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوْءٍ[1] فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيْلِ.

[الْأَنْبِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ:]

١١٠- وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ[2] الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيْعِ الْأَوْلِيَاءِ.

١١١- وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ[3]، وَصَحَّ[4] عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِمْ[5].

[الْإِيْمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ:]

١١٢- وَنُؤْمِنُ بِخُرُوْجِ الدَّجَّالِ[6]، وَنُزُوْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنَ السَّمَاءِ[7]، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا[8]، وَيَأْجُوْجَ وَمَأْجُوْجَ وَسَائِرِ عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا وَرَدَتْ بِهِ

---

(١) في ٢٧ «بِشَرٍّ». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٢) قوله «أحد من» سقط من ٨، ٩، ١١، ١٢، ١٥، ٢٦، ٣١، ٣٤. والأحسن ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٣) في ١٠ «في كراماتهم». وفي ١١، ١٥ «ونؤمن بجميع كراماتهم». وفي ٢٦، ٣١ «ونؤمن بجميع الأولياء وبجيمع كراماتهم وبما صح...». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم واحد.

(٤) في ٣ «وبما صح». وفي «٦، ١٩» «وما صح». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٥) في ١٤ بعده زيادة «كما جاء به الأثر». وسقط من ٢٣ قوله «وصح عن الثقات من رواياتهم».

(٦) في ١ «نؤمن بأشراط الساعة، منها: خروج الدجال». وفي ٦، ١٩ «... وخروج الدجال». وفي ١٦، ٣٣ «... من خروج الدجال». وفي ١٧ «... بخروج الدجال». والمثبت من بقية النسخ. وفي ١٤ بعده زيادة «ونستعيذ بالله منه». وفي ١٢ بعده زيادة «اللعين». وفي ٢٨ بعده زيادة «الأعور العين». والمفهوم سواء.

(٧) في ٦، ١٩ بعده زيادة «وبخروج يأجوج ومأجوج».

(٨) قوله «من موضعها» سقط من ٢. والمثبت من بقية النسخ. وفي ٣١ بعده زيادة «ويأجوج ومأجوج وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة». ولا يتغير المفهوم.

الْأَخْبَارُ الصَّحِيْحَةُ[١].

[لَا يَجُوْزُ تَصْدِيْقُ الْكَهَنَةِ وَالْعَرَّافِيْنَ:]

١١٣- وَلَا نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا بِخِلَافِ[٢] الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ[٣].

١١٤- وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

[إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ:]

١١٥- وَدِيْنُ اللهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِيْنُ[٤] الْإِسْلَامِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾. [آل عمران:١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. [آل عمران:٨٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. [المائدة: ٣][٥]

١١٦- وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيْهِ وَالتَّعْطِيْلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْيَأْسِ[٦].

---

(١) قوله «ويأجوج ومأجوج» إلى قوله «الأخبار الصحيحة» أثبتناه من ٣١. وهذا تفصيل حسن. وهو ساقط من بقية النسخ.

(٢) في ٣٣ «يخالف». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) قوله «وإجماع الأمة» سقط من ٢٤. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٤) لفظ «دين» سقط من ١١، ١٥، ٣٦. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٥) الآية الثانية ساقطة من ٢، ٥، ٦، ٩، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥. وسقطت من ٢٤، ٣٥ الآيتان الأخيرتان. وأثبتناهما من بقية النسخ. والإثبات حسن.

(٦) قوله «وبين الجبر والقدر وبين الأمن واليأس» سقط من ٢، ٢٥. وفي ٣ «وهو بين الأمن والإياس» فقط. وفي ٥ «بين الرجاء واليأس». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

[الْخَاتِمَةُ:]

١١٧- فَهَذَا دِيْنُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا(١)، وَنَحْنُ بُرَآءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى(٢) مِنْ كُلِّ مَنْ(٣) خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ(٤). وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَيْهِ(٥) وَيَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ(٦)، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبِّهَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ(٧) وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا(٨) السُّنَّةَ(٩) وَالْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ(١٠)، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بُرَآءُ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلَّالٌ وَأَرْدِيَاءُ.(١١)

---

(١) قوله «فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا» سقط من ٢٣. والصحيح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٢) قوله «إلى الله تعالى» سقط من ١٦. والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٣) في ١ «ممن». وفي ١٠، ٣٢ «من كل من خالفنا في». وفي ٦، ١٥ «من كل مخالفٍ». وفي ٢، ٢٣، ٢٥ «من كل ما». وفي ٥ «من كل خلاف». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٤) قوله «وبيناه» سقط من ٦. وفي ٣٦ «قلناه». ولا يضر المعنى. والمثبت من بقية النسخ.

(٥) أثبتناه من ٣، ٤، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٢٣. وفي ٣ «أن يميتنا عليه». وفي ١٣ «أن يثبتنا» فقط. و في بقية النسخ «أن يثبتنا على الإيمان». والمعنى سواء.

(٦) في ١ «المختلطة». والمثبت من بقية النسخ. والمعنى سواء.

(٧) سقط من ٢١ من قوله «مثل المشبهة ...». وفي ١٢، ٢٨ بعده زيادة «والرافضة». وفي ١٦، ٣٣ زيادة «المعتزلة» بعد قوله «المشبهة». وسقط من ٢٤ بعد قوله «والقدرية» إلى قوله «وأردياء». والأصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٨) في ١، ٣ «ممن خالف». والاصح ما أثبتناه من بقية النسخ.

(٩) قوله «السنة» أثبتناه من ١، ١١، ١٥، ١٧، ٢٦، ٣٤. وهو ساقط من بقية النسخ.

(١٠) سقط من ١٢ قوله «وحالفوا الضلالة». وفي ٢ «ووافقوا». و في ٧ «وألفوا». وفي ١١ «وتابعوا». وفي ١٧ «واتبعوا». وفي ١ «واتبع البدعة والضلالة». وفي ٢٦، ٣١، ٣٣ «واتبعوا البدعة والضلالة». وفي ٦ «خالفوا الجماعات وحالفوا الضلالات». والمثبت من بقية النسخ. والمفهوم سواء.

(١١) قد تمت الرسالة ههنا، كما في أكثر المخطوطات بعده: «تم الكتاب»، أو«تم العقيدة الطحاوية»، أو«تم اعتقاد أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي رضي الله عنه». أو«تمت» فقط. وفي بعض المخطوطات والمطبوعات عبارات غير هذه على سبيل الاختتام، كما في بعضها: «وبالله العصمة والتوفيق»، وفي بعضها: «والله أعلم بالصواب»، وفي بعضها: «والله سبحانه الهادي للحق، وهذا آخر ما أردنا وإليه أشرنا»، وفي بعضها: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، وفي بعضها: الحمد والصلاة، وفي بعضها: كلمات الدعاء.

وجوه اختلاف النسخ وفوائدها:

الوجه الأول: قام المؤلف بتدريس رسالته في أوقات متفرقة، فزاد فيها ونقص لأسباب عدة، فظهرت عدة نسخ للكتاب.

الوجه الثاني: كان المتقدمون قبل ظهور الطباعة ووجودها يتعودون الإملاء، فكان المؤلف يلقي الكتاب على مجموعة من الطلاب، ثم يلقي على مجموعة أخرى فكان يتسرب إليهما الفرق، والنقص، والزيادة، أو يختلف كلامه على المجموعتين بالإجمال والتفصيل، وذلك لمصلحة وحكمة يراها. فظهرت نسخ مختلفة.

الوجه الثالث: وثمة وجه ثالث وهو أن بعض الطلبة كانوا يضبطون كلام الأستاذ في الدرس، وقد يخطئون في الضبط، و ربما يتناقل الناس هذه النسخة أيضًا، وينبه عليها العلماء.

ذكَر الوجهين الأولين الشيخ محمد زكريا رحمه الله في «تقرير البخاري»، و«سراج القارئ». وقال الشيخ في «الكنز المتواري» فيما يخص اختلاف نسخ «دلائل الخيرات» :«وله اختلاف في النسخ لكثرة روايتها عن المؤلف».(الكنز المتواري ١/ ٢٧٢)

ويشرح العبد الضعيف فائدة اختلاف النسخ بمثال لترسخ في ذهن القارئ، فيقول بعض أهل العلم: يرى الإمام الطحاوي تأويل المتشابهات حرامًا وممنوعًا، و يستدل بهذا النص: «إذ كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ترك التأويل ولزوم التسليم».

ولكن جاء في هامش ص ٦١٤ من هذه النسخة كذا: «ولا نجادل في الآيات المتشابهة، ولا نؤول بتأويلات أهل الزيغ ابتغاء الفتنة». فقد صرَّح المؤلف أن المحرم من التأويل هو ما يقوم به أهل الضلال لإثبات مذاهبهم، ونشر باطلهم وضلالهم، لا أن التأويل كله ممنوع.

وكذلك منع الإمام أبوحنيفة رحمه الله تأويل اليد بالقدرة والنعمة. وجاء فيه أيضًا: يمنع التأويل بإنكار صفة اليد وغيرها، فإن أقرَّ بصفة اليد وغيرها وفوضها وأولها تأويلًا محتملًا، أو تأويلًا قريبًا لوقاية الناس من التجسيم لم يمنع عنه، سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى.

أو كما جاء في بعض النسخ: «محيط بكل شيء وفوقه»، وهذا يوهم أن فوقية الله تعالى

على العرش فوقية حسية، وجاء في نسخة أخرى: «فما فوقه» أي: أن الله تعالى فوق كل شيء، ومحيط بكل شيء على العرش.

وصف مخطوطات العقيدة الطحاوية التي قارنا معها المتن:

نحمد الله تعالى على أن وفقنا لمقارنة متن «العقيدة الطحاوية» مع (٣٦) مخطوطًا، أربعة منها في المكتبة الأزهرية، واثنان في دار الكتب المصرية، وواحد في برلين، وواحد في جامعة هارفرد، وواحد في مكتبة التشتربيني، دبلن. وأما ٢٧ نسخة غيرها، فهي في جامعة أنقرة، ومكتبة بايزيد. وفي بعض نسخ هذه المخطوطات أرقام خاصة وعامة، وأختام المكتبة، واسم الناسخ، وعام النسخ، وفي بعضها بعض ما ذكر، وبعضها يفقد ذلك كله.

حصلنا على هذه المخطوطات من الشيخ حسين كدوديا/ صاحب «دار الإمام الطحاوي» بدربن، جنوب إفريقيا، وبإمكان القارئ أن يحمل هذه المخطوطات بالرابط التالي:

https://www.dropbox.com/sh/2lxtozsy75rumvk/AAB52uk0NNzfjcmEPYYC4WLZa?dl=0

هذا الرابط يتضمن ٤٢ مخطوطًا، ٣٧ منها للعقيدة الطحاوية، و٥ منها لكتب أخرى. ومن بين مخطوطات «العقيدة الطحاوية» مخطوط رقم HHUSNUPASA1160 مكرر. فأصبح عدد مخطوطات «العقيدة الطحاوية» ٣٦ مخطوطًا.

وأما أرقام مخطوطات الكتب الخمسة الأخرى فهي: NURUOSMANIYE2431, LALELI3732, PERTEVPASA652, RAGIPPASA-1470, RESIDEFEND11012.

وتيسيرًا على القارئ رتبنا هذه المخطوطات عند العزو إليها بالأرقام. فالمخطوطات الأربعة الأول من المكتبة الأزهرية، والخامس من برلين، والسادس من جامعة هارفورد، والسابع من مكتبة التشتربيتي، والثامن والأخير من دار الكتب المصرية، وأما المخطوطات من ٩ إلى ٣٥ فمن مخطوطات تركيا.

وفيما يلي تفصيل المخطوطات مرتبة:

المخطوط رقم (١): وهو من المكتبة الأزهرية، وعلى الصفحة الأولى منه رقمه الخاص:٥٠٨٩، والرقم العام:٦٨١٢. وهو في خط النسخ، وحروف صغيرة واضحة

الكتابة في خمس صفحات. وفي الصفحة الأولى منه جاء توثيق عزو هذه الرسالة إلى الإمام الطحاوي، الذي يتضمن نص هذه الرسالة فيما جاء في العرش والكرسي من كتاب العرش للإمام الذهبي نقلًا عنه، وترجمة موجزة للإمام الطحاوي نقلًا عن طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازى. كما أثبت نص الإمام ابن القيم -شيخ الإمام الذهبي- الذي ساقه في كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» بلفظ: «وأنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه» نقلًا عن رسالة الطحاوي هذه، وعن أبي حنيفة وصاحبيه ردًّا على التعطيل والتجهم. ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية.

المخطوط رقم (٢): وهو أيضًا من المكتبة الأزهرية، على الصفحة الأولى منه رقمه الخاص(٢٦٢)، والرقم العام (٢٨٥٩٦). جاء في الصفحة الأولى منه: «هذا الكتاب وقفه عبدالعظيم السقا وأخوه محمد إمام السقا على جامع الأزهر». وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وكتابة واضحة، في عشر صفحات. ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية.

المخطوط رقم(٣): وهو من المكتبة الأزهرية أيضًا، جاء في الصفحة الأولي منه رقمه الخاص (٢٣٤)، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وكتابة واضحة، في سبع صفحات. جاء في الصفحة الأولى منه القراءةُ في الصلاة، ودخول الجنب الماء لالتقاط الدلو مما اختلف فيه الإمام أبو حنيفة وصاحباه، وشرح المسألة نقلًا عن الزيلعي. وفي آخر الصفحة دعاء مقاتل رحمه الله أيضًا، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية.

المخطوط رقم (٤): وهو من المكتبة الأزهرية أيضًا، على صفحته الأولى رقمه الخاص (١٠٧)، والرقم العام (٢٠٠٩)، وهو في خط النسخ بحروف صغيرة الحجم، وكتابة واضحة، في إحدى عشرة صفحة، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية، وينتهي على الصفحة الخامسة، ويليه بعض الأدعية، وخمسون من الفرائض وأشياء أخرى بعنوان «فوائدة مهمة».

المخطوط رقم (٥): وهو في برلين، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وكتابة واضحة، في إحدى عشرة صفحة، وليس فيه إلا أصل نص الكتاب.

المخطوط رقم (٦): وهو من مخطوطات جامعة هارفود بأمريكا، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وواضحة الكتابة جميلة، في سبع عشرة صفحة، وليس فيه سوى

نص الكتاب.

المخطوط رقم (٧): وهو من مخطوطات مكتبة التشتر بيتي، دبلن، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وواضح الكتابة، في خمس صفحات، وليس فيه سوى أصل نص الكتاب.

المخطوط رقم (٨): وهو مخطوطات تركيا، رقم الملف ٣٠٩٩ B، وهو في خط النسخ بحروف صغيرة الحجم، وخط واضح، في سبع صفحات، وليس عليه رقم خاص به، وجاء في بداية الرسالة ختم «وقف حسن سزطوحيان، ضريح علي سنة ١١٢٤»، وتاريخ النسخ ١٠٦٦.

المخطوط رقم (٩): وهو من مخطوطات تركيا، رقم الملف (FAZILAHMEDPS847) وهو في خط النسخ بحروف جلية، واضحة الكتابة، في خمس عشرة صفحة، وعليه رقم (٨٤٧)، وعلى الصفحة الأولى والثانية منه جاء ختم «هذا مما وقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد عرف بكو بريلي أقال الله عثارهما». وامحت بعض النصوص من صفحة ٢- ٦ من الوسط من هذا المخطوط.

المخطوط رقم (١٠): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (HHUSNUPASA1160) وهو في خط النسخ، بحروف متوسطة الحجم، وواضحة الكتابة، في ثماني صفحات، و يبدأ الكتاب من الصفحة الثانية، وعلى الصفحة الأولى اسم الكتاب واسم المؤلف، وليس عليه رقم أو ختم.

المخطوط رقم (١١): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه على الشبكة (V2140_JPG)، وهو في خط النسخ بحروف صغيرة، وواضحة الكتابة، في أربع صفحات، وليس عليه رقم المخطوط، وفي الصفحة الأخيرة منه ختم: «وقف من شيخ الإسلام ولي الدين بن آفندى ابن المرحوم الحاج مصطفى آغا ابن المرحوم الحاج حسين آغا»، وعلى الصفحة الثانية منه تعليق بسيط من شرح أبي حفص الغزنوي.

المخطوط رقم (١٢): وهو من مخطوطات تركيا، ورقمه الخاص ١٠٤، والعام

٥٥٦، وهو في خط النسخ، بحروف صغيرة الحجم، في خمس صفحات، ويبدأ نص الكتاب من الصفحة الثانية، وعليه تاريخ ١١٥١.

المخطوط رقم (١٣): وهو من مخطوطات تركيا، في خط النسخ، بحروف صغيرة الحجم، وواضحة الكتابة، في خمس صفحات، وسجل الناسخ اسمه في الأخير، وهو محمد بن حاج. وليس عليه رقم خاص، والختم أيضًا غير واضح.

المخطوط رقم (١٤): وهو من مخطوطات مكتبة بايزي بتركيا، ورقم ملفه (B7955) وهو في خط النسخ بحروف صغيرة، به كتابات بين السطور والحواشي، في ست صفحات، وسجلوا فيه بحروف جلية في بداية كل موضوع: «فصل»، وليس عليه رقم خاص، والختم أيضًا غير واضح.

المخطوط رقم (١٥): وهو من مخطوطات تركيا، ورقمه ١٣٩٤، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وواضحة الكتابة، في أربع عشرة صفحة، ويبدأ نص الكتاب من الصفحة الخامسة، وعلى الصفحة «وقف مفتي زاده المرحوم».

المخطوط رقم (١٦): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه AYSOFYA574)، وهو في خط النسخ، وبحروف جلية، وكتابة رائعة، في تسع صفحات، ويبدأ الكتاب بقوله: «نقول في توحيد الله».

المخطوط رقم(١٧): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (AYSOFYA2792)، وهو مخطوط مشكل ذو كتابات بين السطور في خط النسخ، وبحروف جلية وكتابة واضحة جميلة، في خمس وعشرين صفحة، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية، وفي الصحفة الأولى منه جاء: «عقيدة الإمام الطحاوي رحمه الله». وليس عليه رقم خاص، أو ختم.

المخطوط رقم (١٨): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (BAGDATLIVEHBI481) ورقمه الخاص:١٤٠، والرقم العام:٤٨١، وعليه ختم غير واضح، وهو في خط النسخ، بحروف جلية واضحة الكتابة، في عشر صفحات، والنص مشكل، وجاء في الصفحة الأخيرة تاريخ ١٠٤٢.

المخطوط رقم (١٩): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (BAGDATLIVEHBI2028)، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، واضحة الكتاب وجميلها، في عشر صفحات، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية، وليس عليه رقم خاص، أو ختم.

المخطوط رقم (٢٠): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه (ESADEFENDI1259)، وهو في خط النسخ، بحروف جلية واضحة الكتابة، في ست صفحات، وهو مخطوط مبتور، ينقصه نحو صفحة واحدة، وجاء فيه ذكر أسماء تسعة من العشرة المبشرة بالجنة، وليس فيه ما بعده من النص، وليس عليه رقم، أو ختم.

المخطوط رقم (٢١): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه (FATIH1039)، وهو في خط النسخ بحروف صغيرة الحجم، واضحة الكتابة، في أربع صفحات، وليس عليه رقم، أو ختم.

المخطوط رقم (٢٢): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (HACIMAHMUDEF1509)، وهو في خط النسخ بحروف صغيرة الحجم، واضحة الكتابة، في ست صفحات.

المخطوط رقم(٢٣): وهو من مخطوطات دار الكتاب المصرية، وعليه ختم دار الكتب المصرية، وفي الصفحة الأولى منه رقمه الخاص: ٩٧، ورقمه العام:١٩٢٩، ورقم المجامع:٧١٦، ودار الكتب الوثائقية القومية، قسم التصوير ١٩٦٨. وهو في الخط الفارسي بحروف صغيرة الحجم، واضحة الكتابة، في ست صفحات، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية.

المخطوط رقم(٢٤): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (KARACELEBIZADE243)، ورقم المخطوط: ٢٤٣، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في إحدى عشرة صفحة، ونصه مشكل، وهو مخطوط قديم جدًّا، وعليه ختم ١٠٢٢، وفي الصفحة الأخيرة منه شرح بعض نصوص المؤلف، وأدلة الفرق

الباطلة وأهل السنة والجماعة، وينقصه نحو صفحة بداية من «والقبر روضة من رياض الجنة» إلى «وكل شيء يجري بمشيته» .

المخطوط رقم (٢٥): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (LALAISMAIL689)، ورقم المخطوط:٦٨٩. وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في إحدى عشرة صفحة، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية.

المخطوط رقم (٢٦): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (LALELI2380)، وهو في خط النسخ بحروف صغيرة الحجم، واضحة الكتابة، في عشر صفحات، وفي الصفحة الثانية منه نص كتاب آخر، وعلى الصفحة الثالثة منه اسم الكتاب: «عقائد أهل السنة والجماعة للإمام الطحاوي رحمه الله». ويبدأ أصل الكتاب من الصفحة الرابعة. وجاء في الصفحة الأخيرة تاريخ ٢٨/ رجب عام ١١٤٧. وليس عليه رقم المخطوط، وعليه ختم في الصفحة الثالثة والأخيرة، وجاء فيه: «هذا وقف من سلطان الزمان الغازى سلطان سليم خان».

المخطوط رقم (٢٧): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (LALELI2411)، ورقم المخطوط:٢٤١١. وهو في خط النسخ في صفحات صغيرة الحجم، وكتابة رائعة جدًّا، في سبع عشرة صفحة، والنص مشكل، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثالثة، وينتهي على الصفحة السادسة عشرة .

المخطوط رقم (٢٨): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (LALELI2412)، ورقم المخطوط:٢٤١٢، وهو في خط النسخ، وصفحات صغيرة الحجم، وبحروف متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في أربع عشرة صفحة، ويبدأ الكتاب من الصفحة الثالثة، كما جاء إسناد الحسن بن سليمان لهذا الكتاب قبل نص الكتاب.

المخطوط رقم (٢٩): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (MEHMEDASIMBEY243)، وهو في خط النسخ بحروف متوسطة الحجم، وصفحات متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في ست صفحات، وليس عليه رقم المخطوط، أو ختم.

المخطوط رقم (٣٠): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (MIHRISAHSULTAN294)، وهو في خط النسخ، بحروف متوسطة الحجم، وصفحات متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في ست صفحات، وليس عليه رقم المخطوط، أو ختم.

المخطوط رقم (٣١): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (PERTEVPASA647)، وهو في الخط الفارسي، بحروف صغيرة الحجم، وصفحات متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في خمس صفحات، وليس عليه رقم المخطوط، أو ختم.

المخطوط رقم (٣٢): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (PERTEVPASA650)، ورقم المخطوط: ٦٥٠، وهو في خط النسخ، بحروف متوسطة الحجم، وصفحات متوسطة الحجم، واضحة الكتابة، في ثماني صفحات، والنص مشكل.

المخطوط رقم (٣٣): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (RAGIPPASA1479)، وهو في الخط الفارسي، بحروف صغيرة الحجم، وصفحات كبيرة الحجم، واضحة الكتابة، في ست صفحات، ويتقدمه ترجمة موجزة للإمام الطحاوي، وذكر مؤلفاته الأخرى، كما يتضمن جانبا المخطوط شرح الكلمات المشكلة شرحا مفيدا بإيجاز. ويبدأ الكتاب من الصفحة الثانية.

المخطوط رقم (٣٤): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (REISULKUTTAB304)، وهو في خط النسخ، بحروف متوسطة الحجم، واضحة الكتابة في سبع صفحات، وليس عليه رقم المخطوط، أو ختم.

المخطوط رقم (٣٥): وهو من مخطوطات تركيا، ورقم ملفه: (SEHIDALIPASA1706)، وهو في الخط الفارسي، بحروف متوسطة الحجم، وصفحات صغيرة الحجم، واضحة الكتابة، في ثماني صفحات، وليس عليه رقم المخطوط أو ختم.

المخطوط رقم(٣٦): وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية، في خط النسخ، وحروف صغيرة الحجم، وصفحات متوسطة الحجم، ووكتابة واضحة، في خمس صفحات، وليس عليه رقم المخطوط، أو ختم.

فهرس المصادر والمراجع

الف

١. القرآن الكريم، تنزيل من رب العالمين.

٢. إشارات المرام، للبياضي الحنفي: أحمد بن حسام الدين الحسن بن سنان البسنوي الرومي (م:١٠٨٩)، ط: زمزم ببلشرز، كراتشي.

٣. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للصلابي: علي بن محمد، ط: مكتبة الصحابة، جدة.

٤. الإشاعة لأشراط الساعة، للبرزنجي: محمد بن عبد الرسول الحسيني الشهرزوري (م:١٠١٣)، ط: دار النمير، دمشق.

٥. أشراط الساعة، ليوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، ط: دار ابن الجوزي، الدمام.

٦. إتمام الوفاء، لمحمد الخضري بك، ط: المكتبة الثقافية، بيروت.

٧. الاعتبار ببقاء الجنة والنار، للسبكي: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي الأنصاري الشافعي (م:٧٥٦)، ط: القاهرة.

٨. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي (م:٣١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للقرافي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي (م:٦٨٤)، ط: مطبعة الموسوعات، مصر.

١٠. الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري اللكنوي (م:١٣٠٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

١١. الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (م:٥٠٥)، ط: دار المنهاج، لبنان، بيروت.

١٢. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، للإمام

زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي (م:١٠٣٣)٢، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣. الأحكام السلطانية، للفراء: القاضي أبو يعلى محمد بن محمد بن خلف الفراء (م:٤٥٨)، ط: دار الكتب العملية، بيروت.

١٤. أماني الأحبار في شرح معاني الآثار، للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (م:١٣٨٤)، ط:ا المكتبة اليحيوية بمظاهر العلوم سهارنفور، الهند.

١٥. أمراض القلوب وشفاؤها، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: المطبعة السلفية، القاهرة.

١٦. الأنساب، للسمعاني= أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (م:٥٦٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، للدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب (م:٣٧٦)، مع تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط: المكتبة الأزهرية، القاهرة.

١٨. ألفية ابن مالك، لابن مالك الطائي الجياني: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (م:٦٧٢)، ط: دار التعاون، بيروت.

١٩. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (م:٤٧٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠. إكفار الملحدين في ضروريات الدين، للكشميري: محمد أنور شاه بن معظم شاه (م:١٣٥٣)، ط: المجلس العلمي، دابهيل، الهند.

٢١. اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، للتميمي: عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث (م:٤١٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨)، ط: دارالآفاق الجديدة، بيروت.

٢٣. إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨)، ط: مكتبة التراث الإسلامي، بيروت.

٢٤. إثبات الحد لله عز وجل، لأبي محمد محمود بن أبي القاسم الدشتي (م:٦٦٥).
٢٥. إثبات صفة العلو، لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (م:٦٢٠)، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٢٦. إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود، للنابلسي: عبد الغني بن إسماعيل (م:١١٤٣)، مخطوط.
٢٧. أحكام القرآن، لظفر أحمد بن لطيف العثماني التهانوي (م:١٣٩٤)، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.
٢٨. إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين، للزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الملقب بمرتضى الزَّبيدي (م: ١٢٠٥)، ط: دار الفكر، بيروت.
٢٩. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لحمود بن عبد الله بن حمود التويجري (م:١٤١٣)، ط: دار الصميعي، الرياض.
٣٠. الإيثار بمعرفة رواة الآثار، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١. أطلس الحديث النبوي، للدكتور شوقي أبو خليل (م:١٤٣١)، ط: دار الفكر، دمشق.
٣٢. الأم، للإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس (م:٢٠٤)، ط: دار المعرفة.
٣٣. أغاليط المؤرخين، لمحمد أبي اليسر عابدين (م:١٤٠١)، ط: مكتبة الغزالي، دمشق.
٣٤. إثبات الشفاعة، للإمام الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (م:٧٤٨)، ط: أضواء السلف، الرياض.
٣٥. إنجاح الحاجة على سنن ابن ماجه، للشيخ محمد عبد الغني المجددي الحنفي (م:١٢٩٦)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي، باكستان.
٣٦. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، لابن عبد البر القرطبي: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (م:٤٦٣)، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.
٣٧. الأجوبة السعدية عن المسائل الكويتية، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، وهي مراسلات مع بعض علماء الكويت، ط: مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت.

٣٨. الأجوبة المرضية فيما سئل (السخاوي) عنه من الأحاديث النبوية، للسخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (م:٩٠٢)، ط: دار الرأية، الرياض.

٣٩. أصول الدين، للبزدوي: أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين (م:٤٩٣)، ط: المكتبة الأزهرية، القاهرة.

٤٠. إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات وردِّ شبه الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتريات، لمحمود محمد خطاب السبكي (م:١٣٥٢)، مخطوط.

٤١. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لبدر الدين بن جماعة: محمد بن إبراهيم بن سعد الله الحموي الشافعي (م:٧٣٣)، ط: دار السلام، القاهرة.

٤٢. الله معنا بعلمه لا بذاته، للشيخ عبد الهادي محمد الخرسة الدمشقي، ط: دار ملتقى الأبحر.

٤٣. أصول الدين، لأبي يسر محمد بن محمد بن الحسين النسفي البزدوي (م:٤٩٣)، ط: المكتبة الأزهرية، القاهرة.

٤٤. الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (م:٦٢٠)، ط: دار الفكر، بيروت.

٤٥. الأحكام السلطانية، للماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (م:٤٥٠)، ط: دار الحديث القاهرة.

٤٦. الإسماعيلية تاريخ وعقائد، لإحسان إلهي ظهير (م:١٩٨٧م، ط: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٤٧. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد، للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط: دار الخلفاء الراشدين، الإسكندرية.

٤٨. أساس التقديس، للرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (م:٦٠٦)، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٤٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسيرالبيضاوي) للبيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (م:٦٨٥)، ط: إحياء التراث العربي.

٥٠. إعراب القرآن وبيانه، للدرويش: محي الدين أحمد مصطفى (م:١٤٠٣)، ط: دار ابن

كثير، بيروت.

٥١. الأسرار المرفوعة = الموضوعات الكبرى، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٢. الأصول الذهبية في الرد على القاديانية، للشيخ منظور أحمد شنيوتي، تعريب: الدكتور سعيد أحمد عنايت الله، ط: المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة.

٥٣. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة.

٥٤. الأدب المفرد، للبخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (م:٢٥٦)، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

٥٥. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب بن مطيع (م:٧٠٢)، ط: مطبعة السنة المحمدية.

٥٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي (م:٤٦٣)، ط: دار الجيل، بيروت.

٥٧. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨. أنساب الأشراف، للبلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذُري (م:٢٧٩)، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٩. الأذكار، للنووي: يحيى بن شرف بن مري النووي (م:٦٧٦)، ط: مكتبة دار البيان، دمشق.

٦٠. إحياء علوم الدين، للغزالي: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (م:٥٠٥)، ط: دار المنهاج، الرياض.

٦١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: مجمع الملك فهد.

٦٢. إكمال المعلم بفوائد مسلم، لعياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل السبتي (م:٥٤٤)، ط: دار الوفاء، مصر.

٦٣. الأنساب، للسمعاني: عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي (م: ٥٦٢)، ط: مجلس

دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، دكن، الهند.

٦٤. الأنساب= أنساب العرب = تاريخ العوتبي، للصحاري: أبو المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي الإباضي (م:٥١١)، الناشر: جامع التراث.

٦٥. إعلام الفئام بمحاسن الإسلام وتنبيه البرية على مطاعن المسيحية، للشيخ رضاء الحق شيخ الحديث ومفتي دار العلوم زكريا (حفظه الله تعالى)، ط: زمزم ببلشرز، كراتشي.

٦٦. الأعلام، للزِّرِكْلي: خير الدين بن محمود بن محمد الزِّرِكْلي الدمشقي (م:١٣٩٦)، ط: دار العلم للملايين، بيروت.

٦٧. الأسماء والصفات، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨)، ط: المكتبة الأزهرية، القاهرة.

٦٨. أصول الشاشي، للشاشي: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق (م:٣٤٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩. آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (م:٦٨٢)، ط: دار صادر، بيروت.

٧٠. آكام المرجان في أحكام الجان، لمحمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي (م:٧٦٩)، ط: مكتبة خيركثير، كراتشي.

٧١. إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للمقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين المقريزي (م:٨٤٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢. إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٣. الاستعراض المفصل للدين الذكري، للدكتور ضياء الحق الصديقي، تعريب: الدكتور محمد حبيب الله مختار، ط: الوقف الصديقي، باكستان.

٧٤. إظهار الحق، لمحمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي (م:١٣٠٨)، ط: المؤسسة العالمية، قطر.

٧٥. الاعتصام، للشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (م:٧٩٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٦. الإبداع البياني في القرآن العظيم، لمحمد علي الصابوني، ط: المكتبة العصرية، بيروت.
٧٧. أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، محمد عوامة، ط: داراليسر، المدينة المنورة.
٧٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (م:٦٣٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٩. الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، لإبراهيم بن عامر بن علي الرحيلي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٨٠. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ليحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني (م:٥٥٨)، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط: أضواء السلف، الرياض.
٨١. إرشاد القاري إلى صحيح البخاري، للشيخ المفتى رشيد أحمد اللدهيانوي، ط: ايچ ايم سعيد كمبنى، كراتشي، باكستان.
٨٢. إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، للشاه ولي الله الدهلوي (م:١١٧٦)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي، باكستان.
٨٣. إيراني انقلاب (الثورة الإيرانية)، للشيخ منظور النعماني، ط: الفرقان بكدبو، لكناؤ، الهند.
٨٤. إرشاد الشيعة، للشيخ سرفراز خان صفدر (م:١٤٣٠)، ط: المكتبة الصفدرية، كوجرانوالة، باكستان.
٨٥. إزالة الريب عن عقيدة علم الغيب، للشيخ سرفراز خان صفدر (م:١٤٣٠)، ط: م المكتبة الصفدرية، كوجرانوالة، باكستان.
٨٦. إمداد الفتاوى، للشيخ محمد أشرف علي التهانوي (م:١٣٦٢)، ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي، باكستان.
٨٧. أنوار الباري، للشيخ السيد أحمد رضا البجنوري، ط: إدارة تأليفات أشرفية، ملتان.
٨٨. إسعاد الفهوم شرح سلم العلوم، للشيخ المقرئ صديق أحمد الباندوي (م:١٤١٨)، ط: المكتبة الرحمانية، باندة، أترابراديش، الهند.
٨٩. *اسلام اور مذاہبِ عالم* (الإسلام ومذاهب العالم)، للشيخ محمد شارق.
٩٠. *اقوام عالم کے ادیان ومذاہب* (أديان ومذاهب أقوام العالم)، للشيخ أبو عبد الله محمد

شعيب، ط: مسلم ببليكيشنز، سوهدره، كوجرانوالة، باكستان.

٩١. *آفتابِ ہدایت ردِّ رفض وبدعت* (شمس الهداية في ردِّ الرفض والبدعة)، للشيخ محمد كرم الدين دبير، ط: مكتبة رشيدية، جكوال، جهلم، پاكستان.

ب

٩٢. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم، لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (م:٧٢٨)، ط: مجمع الملك فهد.

٩٣. براءة الأشعريين من عقائد المخالفين، لأبي حامد بن مرزوق، ط: البيروتي، دمشق.

٩٤. البدور السافرة في أحوال الآخرة، للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (م:٩١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٥. البناية في شرح الهداية، للعيني: بدر الدين محمود بن أحمد (م:٨٥٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٦. البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس (م:نحو٤٠٠)، ط: دار صادر، بيروت.

٩٧. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (م:٧٤٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٨. البداية والنهاية، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٩٩. بطلان عقائد الشيعة، لعبد الستار التونسوي، ط: المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة.

١٠٠. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (م:٩٧٠)، ط: المكتبة الماجدية، كوئته، باكستان.

١٠١. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، أبو العباس الحسيني الفاسي (م:١٢٢٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٢. البيان والتبيين، للجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (م:٢٥٥)، ط: دارالهلال، بيروت.

١٠٣. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الفكر، بيروت.

١٠٤. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد المصري، سراج الدين، ابن الملقن (م:٨٠٤)، ط: دار الهجرة، الرياض.
١٠٥. البرهان في علوم القرآن، للزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر، بدر الدين الزركشي (م:٧٩٤)، ط: دار التراث، القاهرة.
١٠٦. بذل المجهود في حل سنن أبي داود، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (م:١٣٤٦)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.
١٠٧. بحر الكلام، للنسفي: أبو المعين ميمون بن محمد (م:٥٠٥)، تحقيق: محمد السيد البرسيجي، ط: دار الفتح للدراسات والتوزيع، عمان.
١٠٨. البركات المكية في الصلوات النبوية، للشيخ محمد موسى الروحاني البازي (م:١٤١٩)، ط: إدارة التصنيف والأدب، لاهور، باكستان.
١٠٩. البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة، للشيخ سلامة القضاعي الشافعي (م:١٣٧٦)، ط: مطبعة السعادة، مصر.
١١٠. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لمحمد بن محمد بن مصطفى، أبو سعيد الخادمي الحنفي (م:١١٥٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١١١. البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي (م: نحو٣٥٥)، ط: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة.
١١٢. بيان القرآن، للشيخ أشرف علي التهانوي (م:١٣٦٢)، ط: مكتبة الحسن، لاهور.
١١٣. باقيات فتاوى رشيدية، نور الحسن راشد الكاندهلوي ، الناشر: المفتي إلهي بخش أكيدمي، مظفرنكر، أترابراديش، الهند.

ت

١١٤. تبصرة الأخيار في خلود الكافر في النار، لأحمد بن عبد العزيز الأندلسي، مخطوط.
١١٥. تبصرة الأدلة، للنسفي: أبو المعين ميمون بن محمد (م:٥٠٥)، ط: رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية.
١١٦. تنزيه الحق المعبود عن الحيز والحدود، لعبد العزيز عبد الجبار الحاضري، ط: مكتبة اليسر، دمشق.
١١٧. تلخيص شرح العقيدة الطحاوية، للشيخ محمد أنور البدخشاني، ط: زمزم ببلشرز،

كراتشي، باكستان.

١١٨. تحفة المريد (حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد) للبيجوري: برهان الدين إبراهيم بن محمد الجيزاوي (م:١٢٧٦)، ط: دار السلام، القاهرة.

١١٩. تهذيب شرح السنوسية، للشيخ سعيد فودة، ط: دار النور، بيروت.

١٢٠. تحفة الأعالي، حاشية لبعض المحققين على ضوء المعالي، ط: مكتبة المصرية، القاهرة.

١٢١. تكملة فتح الملهم، للشيخ المفتي محمد تقي العثماني، ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي.

١٢٢. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي (م:٧٦١)، ط: إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢٣. تفسير السمعاني، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (م:٤٨٩)، ط: دار الوطن، الرياض.

١٢٤. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، للماتريدي: أبو المنصور محمد بن محمد بن محمود (م:٣٣٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي: زين الدين المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (م:١٠٣١)، ط: عالم الكتب، القاهرة.

١٢٦. التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، لمحمد إدريس الكاندهلوي (م:١٣٩٤)، ط: المكتبة العثمانية، لاهور.

١٢٧. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (م:٥٧١)، ط: المكتبة الأزهرية، مصر.

١٢٨. تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، لحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي المعروف بـ محي السنة (م:٥١٠)، ط: إدارة تأليفات أشرفية، ملتان.

١٢٩. تفسير الرازي = التفسير الكبير= مفاتيح الغيب، للرازي: محمد بن عمر بن الحسن الرازي (م:٦٠٦)، ط: دار الفكر، بيروت.

١٣٠. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي (م:٤٢٧)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣١. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلي بن محمد بن إبراهيم الشيحي، علاء الدين، المعروف بالخازن (م:٧٤١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٢. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤)، ط: دار ابن الجوزي، الدمام.

١٣٣. تفسير الشعراوي = الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي المصري (م:١٤١٨)، ط: مطابع أخبار اليوم، القاهرة.

١٣٤. تفسير القاسمي = محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (م:١٣٣٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٥. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (م:٣٣٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٦. تاريخ بغداد، للخطيب: أحمد بن علي، أبو بكر الخطيب البَغدادي (م:٤٦٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٧. تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر...، لابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (م:٨٠٨)، ط: دار الفكر، بروت.

١٣٨. تاريخ ابن يونس: أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (م:٣٤٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٩. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (م:٥٧١)، ط: دار الفكر، بيروت.

١٤٠. تاريخ الإسلام، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤١. تاريخ الفرقة الزيدية بين القرن الثاني والثالث الهجرة، للدكتورة فضيلة عبد الأمير الشامي، ط: مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

١٤٢. تاريخ اليزيدية، لمحمد الناصر صديقي، ط: دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية.

١٤٣. تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، لأبي زرعة العراقي: أحمد بن عبد الرحمن بن الحسين الكردي (م:٨٢٦)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

١٤٤. تاريخ الثقات، للعجلي: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (م:٢٦١)، ط: دار الباز.

١٤٥. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، لمحمد بن أحمد، أبو البقاء ابن الضياء المكي الحنفي (م:٨٥٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٦. تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك، للطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (م:٣١٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٧. تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر، الكاتب العباسي، المعروف باليعقوبي (م:بعد٢٩٢)، ط: دار صادر، بيروت.
١٤٨. تاريخ الخلفاء، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار المعرفة، بيروت.
١٤٩. التاريخ الكبير، للبخاري: محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري (م:٢٥٦)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.
١٥٠. تاريخ المذاهب الإسلامية، لمحمد أبو زهرة: محمد أحمد مصطفى أحمد (م:١٣٩٤)، ط: دار الفكر العربي.
١٥١. التفهيمات الإلهية، لأحمد بن عبد الرحيم، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (م:١١٧٦)، ط: المجلس العلمي، دابهيل، الهند.
١٥٢. تبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي.
١٥٣. تهذيب السنن، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، تحقيق: الدكتور إسماعيل بن غازي مرحبا، ط: مكتبة المعارف، الرياض.
١٥٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي: يوسف بن عبد الرحمن، أبو الحجاج جمال الدين المزي (م:٧٤٢)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٥٥. تهذيب التهذيب، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥٦. تقريب التهذيب، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار اليسر، المدينة المنورة.
١٥٧. تحرير تقريب التهذيب، لبشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٥٨. تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني (م:١٣٥٤)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٥٩. تفسير ابن أبي حاتم: لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ابن أبي حاتم (م:٣٢٧)، ط: نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.

١٦٠. التصريح بما تواتر في نزول المسيح، للكشميري: محمد أنور شاه بن معظم شاه (م:١٣٥٣)، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط: دار السلام، مصر.

١٦١. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي (م:٦٧١)، ط: دار الريان للتراث، القاهرة.

١٦٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الملقب بمرتضى الزَّبيدي (م:١٢٠٥)، بتحقيق مجموعة من العلماء، ط: دارالهداية، القاهرة.

١٦٣. التدمرية، لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (م:٧٢٨)، ط: مكتبة العبيكان، الرياض.

١٦٤. التفسير المظهري، لمحمد ثناء الله القاضي الفاني فتي العثماني المظهري، (م:١٢٢٥)، ط: مكتبة رشيدية، كوئته.

١٦٥. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، للمنذري: عبد العظيم بن عبد القوي، أبو محمد ذكي الدين المنذري (م:٦٥٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٦. تذكرة الموضوعات، للفتني: محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني (م:٩٨٦)، ط: إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

١٦٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (م:٤٦٣)، ط: وزارة عموم الأوقاف، المغرب.

١٦٨. تذكرة الموضوعات، للمقدسي، محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي (م:٥٠٧)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

١٦٩. التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: المطبعة السلفية، القاهرة.

١٧٠. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار البشائر، بيروت.

١٧١. تبيين الحقائق شرح كنـز الدقائق، لعثمان بن علي، فخر الدين الزيلعي (م:٧٤٣)، ط: المكتبة الإمدادية، ملتان.

١٧٢. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، للدِّياربَكْري: حسين بن محمد بن الحسن (م:٩٦٦)، ط: دار صادر، بيروت.

١٧٣. التاريخ الإسلامي (الوجيز)، للدكتور محمد سهيل طقوش، ط: دار المعارف، ديوبند، الهند.

١٧٤. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزيلعي: عبد الله بن يوسف بن محمد، جمال الدين الزيلعي (م:٧٦٢)، ط: دار ابن خزيمة، الرياض.

١٧٥. التعريفات، للجرجاني: علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (م:٨١٦)، ط: المطبعة الخيرية، مصر.

١٧٦. التلويح على التوضيح، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: مكتبة صبيح، مصر.

١٧٧. التعريفات، للسيد الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي (م:٨١٦)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٨. التحرير والتنوير، لابن عاشور: محمد طاهر بن محمد بن محمد طاهر بن عاشور (م:١٣٩٣)، ط: الدار التونسية، تونس.

١٧٩. التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري: عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء (م:٦١٦)، ط: البابي حلبي، مصر.

١٨٠. تنبيه القارئ لتقوية ما ضعفه الألباني، لعبد الله بن محمد بن أحمد الدويش (م:١٤٠٩)، ط: بريدة، القصيم.

١٨١. تاريخ المدينة، لابن شبة: زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري (م:٢٦٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٢. التلخيص الحبير، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٣. التقرير والتحبير على تحرير الكمال بن الهمام، لمحمد بن محمد بن محمد، المعروف بابن أمير حاج، ابن الموقت الحنفي (م:٨٧٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٤. التقرير الرفيع لمشكاة المصابيح، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي (م:١٤٠٢)، ط: مكتبة الشيخ التذكارية، سهارنفور، الهند.
١٨٥. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لمحمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود العمادي (م:٩٨٢)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٨٦. تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد القمي (م:٨٥٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨٧. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنـزيل، لعلي بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بالخازن (م:٧٤١)، ط: دار الفكر، بيروت.
١٨٨. تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، للكوثري: محمد زاهد بن الحسن الكوثري (م:١٣٧١)، ط: المكتبة الأزهرية، مصر.
١٨٩. التوحيد، لابن مندة: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة العبدي (م:٣٩٥)، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
١٩٠. التوحيد، لابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة، أبو بكر السلمي النيسابوري (م:٣١١)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.
١٩١. تنـزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق: علي بن محمد بن علي، ابن عراق الكناني (م:٩٦٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي.
١٩٣. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، للدكتور محمد أمحزون، ط: مكتبة الكوثر، الرياض.
١٩٤. تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الفكر العربي، بيروت.
١٩٥. تفسير عزيزي، للشاه عبد العزيز بن أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (م:١٢٣٩)، ط: ايچ ايم سعيدكمپنى ، كراتشي، باكستان.
١٩٦. تذكرة الرشيد، للشيخ عاشق إلهي الميروتهي، ط: مكتبة إشاعة العلوم، سهارنفور، الهند.
١٩٧. تحذيرالناس من إنكارأثر ابن عباس، للشيخ محمد قاسم النانوتوي (م:١٢٩٧)، ط:

مكتبة حفيظية، كوجرانوالة، باكستان.

١٩٨. تاريخ مشائخ جشت، للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، ط: مجلس نشريات الإسلام، كراتشي، باكستان.

١٩٩. ترجمان السنة، للشيخ بدر عالم الميرتهي (م:١٣٨٥)، ط: المكتبة المدنية، لاهور.

٢٠٠. تسكين الصدور في تحقيق أحوال الموتى في البرزخ والقبور، للشيخ سرفراز خان صفدر(م:١٤٣٠)، ط: المكتبة الصفدرية، كوجرانوالة، باكستان.

٢٠١. تحفة القاديانية، للشيخ محمد يوسف اللدهيانوي ، ط: المجلس العالمي لتحفظ ختم النبوة، باكستان.

ث

٢٠٢. ثمرات الأوراق في المحاضرات، لابن حجة الحموي: أبو بكر بن علي الحموي، تقي الدين ابن حجة (م:٨٣٧)، ط: مطبوع بهامش «المستطرف في كل فن مستظرف» من مكتبة الجمهورية العربية، مصر.

٢٠٣. الثقات، لابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي (م:٣٥٤)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

ج

٢٠٤. جامع اللآلي شرح بدء الأمالي، للقاضي محمد أحمد كنعان، ط: دار البشائر الإسلامية.

٢٠٥. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الرازي (م:٣٢٧)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

٢٠٦. جامع البيان في تأويل القرآن = تفسير الطبري، للطبري: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري (م:٣١٠)، ط: دار هجر، القاهرة.

٢٠٧. الجواب الفصيح لما لفقه عبد المسيح، لنعمان بن محمود خير الدين أبو البركات الآلوسي (م:١٣١٧)، ط: دار البيان العربي، جدة.

٢٠٨. الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: دار العاصمة، الرياض.

٢٠٩. الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال

الدين (م:٩١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٠. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي الدمشقي (م:٧٦١)، ط: عالم الكتاب، بيروت.

٢١١. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (م:٤٦٣)، ط: دار الجيل، بيروت.

٢١٢. جامع العلوم، الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون، لعبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (م: بعد١١٨٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٣. جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: مكتبة المؤيد، الرياض.

٢١٤. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٥. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أشرف الأفغاني (م:١٤٢٠)، ط: دار الصميعي، الرياض.

٢١٦. جمهرة أنساب العرب، لابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (م:٤٥٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٧. جمع الوسائل في شرح الشمائل، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: إدارة تأليفات أشرفية، ملتان.

٢١٨. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لأبي البركات خير الدين الآلوسي: نعمان بن محمود بن عبد الله (م:١٣١٧)، ط: مطبعة المدني، مصر.

٢١٩. الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القريشي، أبو محمد محي الدين الحنفي (م:٧٧٥)، ط: مير محمد كتب خانه، كراتشي، باكستان.

٢٢٠. *جهانِ ديده* (العالم المرئى)، للشيخ محمد تقي العثماني، ط: إدارة المعارف، كراچی.

٢٢١. جواهر القرآن، للشيخ حسين علي، ترتيب: الشيخ غلام الله خان، ط: المكتبة الرشيدية ، راولبندي، باكستان.

ح

٢٢٢. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (م:١٠٦٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٣. الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٤. حاشية الأمير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، لمحمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأزهري (م:١٢٣٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢٥. الحدود الأنيفة والتعريفات الدقيقة، لزين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (م:٩٢٦)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٢٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

٢٢٧. حلية الأولياء، لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصفهاني (م:٤٣٠)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢٨. الحق الدامغ، لأحمد بن حمد الخليلي الإباضي.

٢٢٩. الحاوي للفتاوي، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: المكتبة الفاروقية، كراتشي، باكستان.

٢٣٠. الحاوي في سيرة الإمام أبي جعفر الطحاوي، للكوثري: محمد زاهد بن الحسن الكوثري (م:١٣٧١)، ط: المكتبة الأزهرية، مصر.

٢٣١. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار إحياء التراث العربية، مصر.

٢٣٢. حقبة من التاريخ، لعثمان الخميس، ط: دار الإيمان، إسكندرية.

٢٣٣. حجة الله البالغة، لأحمد بن عبد الرحيم، المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (م:١١٧٦)، ط: دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٢٣٤. عثمان ذوالنورين رضي الله عنه، للشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادي، ط: سعيد أحمد أكبرآبادي أكيدمي، كراتشي، باكستان.

٢٣٥. حل القرآن، للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي، ط: إدارة تأليفات أشرفية، ملتان.

خ

٢٣٦. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (م:١٠٩٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣٧. خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الأزراري (م:٨٣٧)، ط: مكتبة الهلال، بيروت.

٢٣٨. خلاصة الفتاوى، لطاهر بن عبد الرشيد البخاري (م:٥٤٢)، ط: مكتبة رشيدية، كوئته، باكستان.

٢٣٩. الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، لابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، شهاب الدين أبو العباس (م:٩٧٤)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي، باكستان.

د

٢٤٠. الدر المنثور، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٤١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي (م:٧٥٦)، ط: دار القلم، دمشق.

٢٤٢. الدولة الأموية عوامل الأزدهار وتداعيات الأنهار، للصلابي: علي محمد الصَّلابي، ط: دار المعرفة، بيروت.

٢٤٣. الدعوات الكبير، للبيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (م:٤٥٨)، ط: دار غراس، الكويت.

٢٤٤. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: جامع الإمام محمد بن سعود، السعودية.

٢٤٥. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، للدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، ط: دار إشبيليا، الرياض.

٢٤٦. الدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب...، للعمادي: حامد بن علي الدمشقي الحنفي (م:١١٧١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٧. دلائل النبوة، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨)، ط: دار الكتب

العلمية، بيروت.

٢٤٨. دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني: أحمد بن عبد الله، أبونعيم الأصفهاني (م:٤٣٠)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

٢٤٩. الدر المختار مع حاشية محمد أمين بن عابدين الشامي (م:١٢٥٢)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي، باكستان.

٢٥٠. الدولة الأموية المفترى عليها، للدكتور حمدي شاهين، ط: دار القاهرة للكتاب، القاهرة.

٢٥١. درر الحكام في شرح غرر الأحكام، المتن والشرح كلاهما لمنلا/ مولى خسرو: محمد بن فراموز بن علي (م:٨٨٥)، مع حاشية الشرنبلالي (م:١٠٦٩)، ط: دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٢٥٢. ديوان طرفة بن العبد، لطرفة بن العبد بن سفيان البكري الشاعر الجاهلي (م:٥٦٤م)، ط: دارالكتب العلمية، بيروت.

٢٥٣. ديوان الصبابة، لابن أبي حجلة: أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني (م:٧٧٦)، ط: دار صادر، بيروت.

٢٥٤. ديوان الحماسة، لأبي تمام: حبيب بن أوس الطائي (م:٢٣٢).

٢٥٥. ديوان المتنبي بشرح العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، متن- أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي (م:٥٤٩). شرح- أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري (م:٦١٦)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٢٥٦. دفع شبه التشبيه مع حاشية الكوثري، لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (م:٥٩٧)، ط: المكتبة الأزهرية، مصر.

٢٥٧. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار الجيل، بيروت.

٢٥٨. الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار الفكر، بيروت.

٢٥٩. درس ترمذي، للشيخ محمد تقي العثماني، ط: مكتبة دار العلوم كراتشي، باكستان.

٢٦٠. دفاع درس نظامي، للشيخ رشيد أحمد السواتي.

٢٦١. *دنیا کے عظیم مذاہب* (المذاهب العظيمة للعالم)، سيد حسن رياض، ط: باكستان كميتى كانكريس فاركلچرل فريدم.

ذ

٢٦٢. ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (م:٧٩٥)، ط: مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٦٣. ذيل ميزان الاعتدال، للعراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (م:٨٠٦)، ط: دارالكتب العلمية، بيروت.

٢٦٤. ذيل مرآة الزمان، لأبي الفتح قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (م:٦٢٦)، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٢٦٥. ذخيرة الحفاظ، للمقدسي: أبو الفضل محمد بن طاهر، المعروف بابن القيسراني (م:٥٠٧)، ط: دار السلف، الرياض.

٢٦٦. ذم التأويل، لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (م:٦٢٠)، ط: دار السلفية، الكويت.

٢٦٧. *ذکری مذہب اور اسلام* (المذهب الذكري والإسلام)، للشيخ عبد المجيد بن الشيخ محمد إسحاق ، ط: صديقي ترست، كراتشي، باكستان

ر

٢٦٨. روح المعاني، لمحمود بن عبد الله شهاب الدين الآلوسي (م:١٢٧٠)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦٩. رد المحتار، لابن عابدين الشامي: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الشامي (م:١٢٥٢)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي، باكستان.

٢٧٠. رسائل ابن عابدين، لابن عابدين الشامي: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الشامي (م:١٢٥٢)، ط: سهيل اكيدمي، باكستان.

٢٧١. الروح، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧٢. الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (م:٤٦٥)، ط: دار

المعارف، القاهرة.
٢٧٣. روضة الطالبين عمدة المفتين، للنووي: يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (م:٦٧٦)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٧٤. رحماء بينهم (تعريب: لقمان حكيم)، للشيخ محمد نافع، ط: دار المسلم، الرياض.
٢٧٥. الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ، لعلي بن محمد ناصر الفقيهي، ط: دار المآثر، المدينة النبوية.
٢٧٦. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري اللكنوي (م:١٣٠٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧)، ط: دار السلام، مصر.
٢٧٧. رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، للسبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين، تاج الدين السبكي (م:٧٧١)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٢٧٨. الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري (م:١٤٢٧)، ط: دار الهلال، بيروت.
٢٧٩. رسالة الإمام ابن جهبل في نفي الجهة عن الله تبارك وتعالى، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل ابن جهبل الشافعي، وهي منشورة في المجلد التاسع من طبقات الشافعية للإمام السكبي.
٢٨٠. الرسل والرسالات، للدكتور عمر سليمان الأشقر، ط: دار النفائس، بيروت.
٢٨١. الردُّ على من قال بفناء الجنة والنار، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: دار بلنسة، الرياض.
٢٨٢. الروض الأنف، للسهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (م:٥٨١)، ط: دار إحياء التراث، بيروت.
٢٨٣. الرياض النضرة لمناقب العشرة، للطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (م:٦٩٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٨٤. رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (م:٧٧٩)، ط: دار إحياء العلوم، بيروت.

٢٨٥. الرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقي = محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد الشافعي (م:٨٩٢)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٨٦. رأس الحسين، لابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي (م:٧٢٨)، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي.

٢٨٧. رفع الأستار لإبطال القائلين بفناء النار، للصنعاني: محمد بن إسماعيل (م:١١٨٢)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٨٨. رد شيعيت، إفادات الشيخ المفتي محمود حسن الكنكوهي (م:١٤١٧)، ترتيب: المفتي محمد فاروق (م:١٤٣٩)، ط: المكتبة المحمودية، ميرته، الهند.

ز

٢٨٩. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: المكتب الإسلامى، بيروت.

٢٩٠. زغل العلم، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت.

٢٩١. زهر الأكم في الأمثال والحكم، لأبي علي اليوسي: الحسن بن مسعود بن محمد (م:١١٠٢)، ط: الشركة الجديدة، المغرب.

٢٩٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

س

٢٩٣. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني (م:٢٧٥) تحقيق: محمد محيي الدين، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

٢٩٤. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي (م:٢٧٩)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٩٥. سنن النسائي = المجتبى من السنن= السنن الصغرى، لأحمد بن شعيب النسائي (م:٣٠٣)، بعناية وترقيم عبد الفتاح أبوغدة، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢٩٦. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله (م:٢٧٣)، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية.

٢٩٧. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (م:٣٠٣) بتحقيق حسن عبد المنعم شلبي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٩٨. سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي (م:٢٥٥)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي، باكستان.

٢٩٩. سنن الدارقطني، لعلي بن أحمد، أبو الحسن الدارقطني (م:٣٨٥)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٣٠٠. السنن الكبرى، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م ٤٥٨)، ط: نشر السنة، ملتان، باكستان.

٣٠١. السنن الصغير، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨)، ط: دار الفكر، بيروت.

٣٠٢. سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور بن شعبة، أبو عثمان الخراساني (م:٢٢٧)، ط: الدار السلفية، الهند.

٣٠٣. سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، المعروف بالأمير (م:١١٨٢)، ط: دار الحديث، القاهرة.

٣٠٤. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (م:٩٤٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠٥. سل السِّنان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لسعد بن ضيدان السبيعي، ط: دار العاصمة، الرياض.

٣٠٦. سير أعلام النبلاء، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٠٧. السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (م:٢٨٧)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٠٨. السنة، للخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال البغدادي (م:٣١١)، ط: دار الراية، الرياض.

٣٠٩. السيرة النبوية، لابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني (م:١٥١)، ط: دار الفكر، بيروت.

٣١٠. السيرة النبوية، لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (م:٢١٣)، ط: دار الجيل، بيروت.

٣١١. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (م:١١١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٢. السحر الحلال في الحكم والأمثال، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (م:١٣٦٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١٣. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم، للشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (م:٩٧٧)، ط: بولاق، مصر.

٣١٤. السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، للسبكي الكبير: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (م:٧٥٦) ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم، للشيخ محمد زاهد الكوثري، ط: مكتبة الزهران، مصر.

٣١٥. سيرة منصور حلاج، للشيخ ظفر أحمد العثماني (م:١٣٩٤)، ط: مكتبة دار العلوم كراتشي، باكستان.

٣١٦. سماع موتى، للشيخ سرفراز خان صفدر (م:١٤٢٩)، ط: المكتبة الصفدرية، كوجرانوالة، باكستان.

ش

٣١٧. شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، لأحمد بن محمد المالكي الصاوي (م:١٢٤١)، ط: دار ابن كثير، بيروت.

٣١٨. شعب الإيمان، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (م:٤٥٨) بتحقيق عبد العلي عبد الحميد، ط: مكتبة الرشد، الرياض.

٣١٩. شرح معاني الآثار، للطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الطحاوي (م:٣٢١)، ط: عالم الكتب، بيروت.

٣٢٠. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار المؤيد، الرياض.

٣٢١. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، للزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (م:١١٢٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٣٢٢. شرح سنن أبي داود، للعيني: محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (م:٨٥٥)، ط: مكتبة الرشد، الرياض.
٣٢٣. شرح الحموي على الأشباه والنظائر لابن نجيم (م:٩٧٠) المسمَّى بـ غمز عيون البصائر، للحموي: أحمد بن محمد الحموي المصري (م:١٠٩٨)، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، باكستان.
٣٢٤. شرح الكافية الشافية، لابن مالك الطائي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (م:٦٧٢)، ط: جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
٣٢٥. شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الإسترابازي: نجم الدين محمد بن الحسن (م:٦٨٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٢٦. شرح العقيدة الطحاوية = شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، للبابرتي: أكمل الدين محمد بن محمد الرومي (م:٧٨٦)، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامي، قطر.
٣٢٧. شرح النووي على مسلم= المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ليحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (م:٦٧٦)، ط: دار الكتاب العربي، القاهرة.
٣٢٨. الشيعة وأهل البيت، لإحسان إلهي ظهير (م:١٤٠٧)، ط: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.
٣٢٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل السبتي (م:٥٤٤)، ط: دار الفكر، بيروت.
٣٣٠. شرح العقائد النسفية، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: دار البيروتي، دمشق.
٣٣١. شرح المقاصد = شرح مقاصد الكلام، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٣٣٢. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: المكتبة العصرية، بيروت.
٣٣٣. شرح السلم في المنطق، للأخضري: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري (م:٩٨٣)، ط: دار القيومية العربية.
٣٣٤. شرح العقيدة الطحاوية، للغزنوي: سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي

(م:٧٣٠)، ط: دارة الكرز، مصر.

٣٣٥. شرح العقيدة الطحاوية، لعبد الغني الغنيمي الميداني (م:١٢٩٨)، ط: زمزم ببلشرز، كراتشي، باكستان.

٣٣٦. شرح العقيدة الطحاوية، لشجاع الدين هبة الله التركستاني الحنفي (م:٧٣٣)، ط: دار النورالمبين، عمان.

٣٣٧. شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي إسماعيل بن إبراهيم بن علي الشيباني (م:٦٢٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣٨. شرح العقيدة الطحاوية، لعبد الرحمن بن ناصر البراك، ط: دار التدمرية، الرياض.

٣٣٩. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز: علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الدمشقي (م:٧٩٢)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٤٠. إظهار العقيدة السُّنية بشرح العقيدة الطحاوية، للشيخ عبد الله الهرري الحبشي (م:١٤٢٩)، ط: مكتبة روضة القرآن، بشاور، باكستان.

٣٤١. الدرة البهية في حل ألفاظ العقيدة الطحاوية، للشيخ عبد الله الهرري الحبشي (م:١٤٢٩)، ط: شركة دار المشاريع، بيروت.

٣٤٢. الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية، للدكتور سعيد عبد اللطيف فودة، ط: الأصلين، القاهرة.

٣٤٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار التراث، القاهرة.

٣٤٤. شرح حديث النـزول، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٤٥. شرح المواقف، للجرجاني: السيد الشريف علي بن محمد (م:٨١٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤٦. شرح وصية الإمام أبي حنيفة، لأكمل الدين البابرتي: محمد بن محمد الرومي (م:٧٨٦)، ط: دار الفتح، بيروت.

٣٤٧. شرح الشفا، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤٨. شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين: محمد بن صالح بن محمد (م:١٤٢١)، ط: دار ابن الجوزي، الدمام.
٣٤٩. شرح العقيدة الواسطية، للهراس: محمد بن خليل حسن هرّاس (م:١٣٩٥)، ط: دار الهجرة، الرياض.
٣٥٠. شرح القصيدة النونية، للعثيمين: محمد بن صالح بن محمد (م:١٤٢١)، ط: مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، الرياض.
٣٥١. شرح القصيدة النونية، للهراس: محمد بن خليل حسن هرّاس (م:١٣٩٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٥٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (م:٤١٨)، ط: دار طيبة، الرياض.
٣٥٣. شرح مذهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، لابن شاهين: أبو حفص عمر بن أحمد (م:٣٨٥)، ط: مؤسسة قرطبة، مصر.
٣٥٤. شرح قطر الندى وبلّ الصدى، لابن هشام: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (م:١٤٢١)، ط: المكتبة التجارية، مصر.
٣٥٥. الشريعة، للآجري: محمد بن الحسين بن عبد الله، أبو بكر الآجُرِّيُّ البغدادي (م:٣٦٠)، ط: دار الوطن، الرياض.
٣٥٦. شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، لابن شاهين: أبو حفص عمر بن أحمد (م:٣٨٥)، ط: مؤسسة قرطبة، مصر.
٣٥٧. شذرات الذهب في أخبارمن ذهب، لابن العماد العَكري الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد (م:١٠٨٩)، ط: دار ابن كثير، بيروت.
٣٥٨. شرح شذور الذهب، لابن هشام: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام (م:٧٦١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥٩. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٣٦٠. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، للسبكي: علي بن عبد الكافي، تقي الدين السبكي الشافعي (م:٧٥٦)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٣٦١. الشهاب الثاقب، للشيخ السيد حسين أحمدالمدني (م:١٣٧٧)، ط: مكتبة دار العلوم فيض محمدي، فيصل آباد، باكستان.

ص

٣٦٢. صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي (م:٣٥٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٦٣. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (م:٣١١)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٦٤. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (م:٢٥٦) بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة.

٣٦٥. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري (م:٢٦١) بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي.

٣٦٦. صفة الجنة، لابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي الأموي (م:٢٨١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٦٧. صفة الجنة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (م:٤٣٠)، ط: دار المأمون، دمشق.

٣٦٨. صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم، للشيخ داود أفندي النقشبندي، ط: مطبعة نخبة الأخبار، ممبئي، الهند.

٣٦٩. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار العاصمة، الرياض.

٣٧٠. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، شهاب الدين أبو العباس (م:٩٧٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٧١. صحيح شرح العقيدة الطحاوية، لحسن بن علي السقاف الحسيني، ط: دار الإمام الرواس، بيروت.

٣٧٢. صحيح أشراط الساعة، لمصطفى أبو النصر الشلبي، ط: مكتبة السرادي، جدة.

٣٧٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري الفارابي (م:٣٩٣)، ط: دار العلم للملايين، بيروت.

٣٧٤. الصارم المنكي في الرد على السبكي، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (م:٧٤٤)، ط: مؤسسة الريان، بيروت.
٣٧٥. صفات متشابهات اور سلفى عقائد (الصفات المتشابهات والعقائد السلفية)، للدكتور عبد الواحد، ط: مجلس نشريات اسلام، كراتشي، باكستان.

ض

٣٧٦. الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٧٧. ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، تحقيق: عبد الحميد التركماني، ط: دار الفتح، عمان.
٣٧٨. ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، تحقيق: محمد عدنان درويش، ط: دار اقرأ للطباعة والنشر، دمشق.

ط

٣٧٩. الطبقات الكبرى، لابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله (م:٢٣٠)، ط: دار صادر، بيروت.
٣٨٠. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين، تاج الدين السبكي (م:٧٧١)، ط: هجر للطباعة والنشر، القاهرة.
٣٨١. طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى: أبو الحسن محمد بن محمد (م:٥٢٦)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٣٨٢. طبقات الشافعيين، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤)، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٣٨٣. طبقات الحفاظ، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٨٤. طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، ط: مكتبة العلوم والحكم، السعودية.
٣٨٥. طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (م:٨٠٦)، ط: دار الفكر، بيروت.

ظ

٣٨٦. ظفَر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني، لمحمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم، أبو الحسنات الأنصاري اللكنوي (م:١٣٠٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧)، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

ع

٣٨٧. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للعيني: محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (م:٨٥٥)، ط: دار الحديث، ملتان.

٣٨٨. العرفُ الشَّذِي شرح سنن الترمذي، من إفادات محمد أنورشاه بن معظم شاه الكشميري (م:١٣٥٣)، تحقيق: عمرو شوكت، ط: دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٨٩. عيون الأخبار، للدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (م:٢٧٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩٠. عقيدة الإسلام مع تحية الإسلام، للعلامة الكشميري: محمد أنور شاه بن معظم شاه (م:١٣٥٣)، ط: المجلس العلمي، الهند.

٣٩١. العواصم من القواصم، لأبي بكر بن العربي المالكي (م:٥٤٣)، ط: مكتبة السنة، القاهرة.

٣٩٢. العظمة لأبي الشيخ: عبد الله بن محمد بن جعفر، أبو محمد الأصبهاني (م:٣٦٩)، ط: دار العاصمة، الرياض.

٣٩٣. العقيدة الصحيحة وما يضادها، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (م:١٤٢٠)، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٣٩٤. العقيدة الواسطية، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: أضواء السلف، الرياض.

٣٩٥. العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار ابن الجوزي، بيروت.

٣٩٦. العبر في خبر من غبر، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٩٧. العلو لعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض.
٣٩٨. العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، للشامي: محمد أمين بن عابدين (م:١٢٥٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩٩. العبودية، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٠٠. العرش، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٤٠١. عصر الخلافة الراشدة، للدكتور أكرم ضياء العمري، ط: مكتبة العبيكان، الرياض.
٤٠٢. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي الحسني القاسمي (م:٨٤٠)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٠٣. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لعلي بن أحمد، أبو الحسن الدارقطني (م:٣٨٥)، ط: دار طيبة، الرياض.
٤٠٤. علامه ابن تيميه اور ان كى هم عصر علماء (العلامة ابن تيمية وعلماء عصره)، للشيخ الشاه أبو الحسن زيد الفاروقي، الناشر: المكتبة السراجية، ديره إسماعيل خان، باكستان.
٤٠٥. عبارات أكابر، للشيخ سرفراز خان صفدر (م:١٤٢٩)، ط: مدرسة نصرة العلوم، كوجرانوالة، باكستان.
٤٠٦. عيسائيت كيا ہے؟ (ما هي المسيحية؟)، للشيخ محمد تقي العثماني، ط: دار الإشاعة، كراتشي، باكستان.
٤٠٧. علم جديد كا چيلنج (التحدي من العلم الجديد)، مولانا وحيد الدين خان، ط: مجلس تشريعات إسلام، كراتشى، باكستان.
٤٠٨. عصمة الأنبياء عليهم السلام، لابن حزم: أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (م:٤٥٦)، ترجمه: الشيخ هداية الله الندوي، ط: مين بازار، ملتان، باكستان.

٤٠٩. عصمة الأنبياء عليهم السلام، إفادات الشيخ محمد يوسف البنوري (م:١٣٩٧)، ط: آكره، الهند.

٤١٠. عصمة الأنبياء عليهم السلام، إفادات الشيخ شمس الحق الأفغاني (م:١٤٠٣)، ط: تاج كتب خانه، فشاور، باكستان.

٤١١. علم الكلام، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (م١٣٩٤)، ط: زمزم پبلشرز، كراتشي، باكستان.

٤١٢. علوم القرآن، للشيخ شمس الحق الأفغاني (م:١٤٠٣)، ط: ميزان، كراتشي، باكستان.

٤١٣. علوم القرآن، للشيخ محمد تقي العثماني، ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي، باكستان.

٤١٤. علوم القرآن، للشيخ صُبحي الصالح، ترجمه: الشيخ غلام أحمد الحريري، ط: كشميربكدبو، فيصل آباد، باكستان.

٤١٥. عيون العرفان في علوم القرآن، للشيخ مظهر الدين أحمد بلكرامي، ط: مجلس نشريات اسلام، كراتشي، باكستان.

غ

٤١٦. غريب الحديث، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرْج (م:٥٩٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١٧. غياث الأمم في التياث الظلم، لإمام الحرمين: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ط: مكتبة إمام الحرمين.

٤١٨. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، لأبي العون شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي (م:١١٨٨)، ط: مؤسسة قرطبة، مصر.

٤١٩. الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة، لأبي حفص سراج الدين عمر بن إسحاق الغزنوي الهندي (م:٧٧٣)، ط: مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت.

٤٢٠. الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني الحسني (م:٥٦١)، ط: دار الألباب دمشق.

٤٢١. الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني الحسني (م:٥٦١)، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، ط: دار الجيل، بيروت.

٤٢٢. الغنية لطالبي طريق الحق، للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني الحسني (م:٥٦١)، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٢٣. غنية الطالبين (باللغة الفارسي)، للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (م:١٠٥٢)، ط: مطبع امند ، لاهور، باكستان.

ف

٤٢٤. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لمحمد بن علان الصديقي الشافعي (م:١٠٥٧)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٢٥. فتاوى ابن الصلاح، لعثمان بن عبد الرحمن تقي الدين (م:٤٦٣)، ط: عالم الكتاب، بيروت.

٤٢٦. الفتاوى التاتارخانية، للشيخ عالم بن العلاء الدهلوي الهندي (م:٧٨٦)، ط: مكتبة زكريا، ديوبند، الهند.

٤٢٧. فتاوى قاضيخان على هامش الهندية، لقاضيخان: فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي (م:٥٩٢)، ط: دار صادر، بيروت.

٤٢٨. الفقه الأكبر، المنسوب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت (م:١٥٠)، برواية أبي مطيع البلخي، ط: مكتبة الفرقان، الإمارات العربية.

٤٢٩. الفقه الأبسط، المنسوب إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت (م:١٥٠)، برواية حماد بن أبي حنيفة، ط: مكتبة الفرقان، الإمارات.

٤٣٠. الفتح الرحماني في فتاوى السيد ثابت أبي المعاني، للثابت النمنكاني: أبو المعاني حامد مرزا خان (م:١٣٩٣)، ط: مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة.

٤٣١. فواتح الرحموت، لعبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري الهندي (م:١٢٢٥)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٣٢. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للنفراوي: أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنًّا الأزهري المالكي (م:١١٢٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٣٣. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، للدكتورغالب بن علي عواجي، ط: المكتبة العصرية الذهبية، جدة.

٤٣٤. الفرق بين الفرق، لأبي منصور الأسفراييني = عبد القادر بن طاهر بن عبد الله البغدادي (م:٤٢٩)، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٤٣٥. الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية، للشيخ حامد الإدريسي، ط: مكتبة الرضوان، القاهرة.
٤٣٦. الفرق الكلامية الإسلامية، للدكتور علي عبد الفتاح المغربي، ط: مكتبة وهبة القاهرة.
٤٣٧. فتاوى الرملي، لشهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (م:٩٥٧)، مطبوع على هامش فتاوى الفقهية الكبرى.
٤٣٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٤٣٩. فيض القدير، للمناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (م:١٠٣١)، ط: المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٤٤٠. الفتاوى الهندية = الفتاوى العالمكيرية، لجنة من العلماء برئاسة نظام الدين البلخي، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٤١. الفقيه والمتفقه، لأبي بكر البغدادي: أحمد بن علي الخطيب (م:٤٦٣)، ط: دار ابن الجوزي، بيروت.
٤٤٢. فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (م:٢٤١)، ط: دار ابن الجوزي، بيروت.
٤٤٣. فيض الباري على صحيح البخاري، أمالي محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري (م:١٣٥٣)، ط: مطبعة حجازي، القاهرة.
٤٤٤. فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (م:٧٦٤)، ط: دار صادر، بيروت.
٤٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (م:٤٥٦)، ط: دار الجيل، بيروت.
٤٤٦. الفروق اللغوية، للعسكري: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري (م: بعد٣٩٥)، ط: دار العلم، القاهرة.
٤٤٧. الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، لسعد رستم، ط: الأوائل للنشر والتوزيع، سورية.

٤٤٨. الفردوس بمأثور الخطاب، للديلمي: شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي (م:٥٠٩)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٤٩. فتح القدير، لابن همام: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (م:٨٦١)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٥٠. الفوائد المجموعة، للشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (م:١٢٥٠)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٥١. الفتاوى الحموية الكبرى، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: دار الصميعي، الرياض.
٤٥٢. فهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني (م:١٣٨٢)، ط: دار الغرب الإسلامي.
٤٥٣. الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر (م:٩٧٤)، ط: دار الفكر، بيروت.
٤٥٤. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مكتبة دار البيان، دمشق.
٤٥٥. فتاوى الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في مجموع المؤلفات، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٤٥٦. فتح المبين بنقد كتاب الأربعين، لعبد الله بن الصديق الغماري (م:١٤١٣)، ط: المكتبة التخصصية للرد على الوهابية.
٤٥٧. الفهرست لابن نديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (م:٤٣٨)، ط: دار المعرفة، بيروت.
٤٥٨. فتح الملهم، للعلامة شبير أحمد بن فضل الرحمن العثماني (م:١٣٦٩)، ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي، باكستان.
٤٥٩. فضل الباري، للشيخ شبير أحمد العثماني (م:١٣٦٩)، ط: إدارة العلوم الشرعية، كراتشي، باكستان.
٤٦٠. فتاوى رشيدية، للشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (م:١٣٢٣)، ط: المكتبة الرحمانية، لاهور، باكستان.
٤٦١. فتاوى دارالعلوم زكريا، للشيخ المفتى رضاء الحق صاحب شيخ الحديث ومفتى

دارالعلوم زكريا، جنوب إفريقيا، ط: زمزم ببلشرز، كراتشي، باكستان.

ق

٤٦٢. القواعد لابن رجب الحنبلي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (م:٧٩٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٣. القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية، للشعراني: أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي (م:٩٧٣)، ط: دار التقوى، دمشق.

٤٦٤. قوت القلوب، لأبي طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي (م:٣٨٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٥. قرة العينين على تفسير الجلالين، لمحمد أحمد كنعان، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٤٦٦. القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي (م:٩٠٢)، تحقيق: محمد عوامة، ط: مؤسسة الريان، بيروت.

٤٦٧. قواعد في علوم الحديث، لظفر أحمد بن لطيف العثماني التهانوي (م:١٣٩٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٤٦٨. القراءة عند القبور، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال (م:٣١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦٩. القول التمام بإثبات التفويض مذهبًا للسلف الكرام، لسيف بن علي العصري، ط: دار الفتح الأردن.

٤٧٠. القلائد في شرح العقائد للإمام القونوي: محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوي (م:٧٧١)، ط: شركة دار المشاريع، بيروت.

٤٧١. قصص الأنبياء، لابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (م:٧٧٤)، ط: مطبعة دار التأليف، القاهرة.

٤٧٢. القادياني والقاديانية دراسة وتحليل، لأبي الحسن علي الندوي (م:١٩٩٩م)، الناشر: المجلس العلمي الإسلامي، لكنؤ، الهند.

٤٧٣. القاديانية ومعتقداته، للأستاذ منظور أحمد جنيوتي، الباكستاني، ط: الإدارة المركزية

للدعوة والإرشاد، باكستان.

٤٧٤. القاديانية نشأتهاوتطورها، لحسن عيسى عبد الظاهر، الناشر: سلسلة البحوث الإسلامية، الأزهر.

٤٧٥. القاديانية دراسات وتحليل، لإحسان إلهي ظهير (م:١٩٨٧م)، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

٤٧٦. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مكتبة الفرقان، الإمارات.

٤٧٧. *قرآن، سائنس اور ٹکنالوجي* (القرآن، وعلم الطبيعي، والتكنولوجيا)، للشيخ شفيع حيدردانش.

٤٧٨. قصص القرآن، للشيخ حفظ الرحمن السيوهاروي (م:١٣٨٢)، ط: دارالإشاعة، كراتشي، باكستان.

ك

٤٧٩. كشف الخَفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد العجلوني (م:١١٦٢)، ط: دار إحياء التراث، بيروت.

٤٨٠. الكليات، لأبي البقاء الكفوي: أيوب بن موسى الحسيني أبو البقاء الكفوي (م:١٠٩٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٨١. الكشاف عن حقائق التنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر، أبو القاسم، جار الله الزمخشري (م:٥٣٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٨٢. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد أعلى بن علي بن حامد التهانوي (م:١١٩١)، ط: سهيل أكيدمي، لاهور.

٤٨٣. الكامل في التاريخ، لابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (م:٦٣٠)، ط: دار الكتب العربي، بيروت.

٤٨٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي: أبو أحمد عبد الله بن عدي بن أحمد الجرجاني (م:٣٦٥)، ط: دار الفكر، بيروت.

٤٨٥. الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر

العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٨٦. المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (م:٥٤٦)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٨٧. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد: محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (م:٢٨٦)، ط: دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٨٨. كرامات الأولياء، لأبي الفداء الإبي: عبد الرقيب بن علي بن الحسن، ط: المكتبة الإسلامية، القاهرة.
٤٨٩. كتاب المحن، لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي (م:٣٣٣)، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٤٩٠. كرامات الأولياء، للالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (م:٤١٨)، ط: دار طيبة، الرياض.
٤٩١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم حاجي خليفة (م:١٠٦٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٩٢. كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري (م:٧٣٠)، ط: ايج ايم سعيد، باكستان.
٤٩٣. كشف الأستار عن زوائد البزار، لعلي بن أبي بكر نور الدين الهيثمي (م:٨٠٧)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٩٤. الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية، للشيخ سعيد فودة، ط: دار الرازي، عمان.
٤٩٥. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار المنهاج، جدة.
٤٩٦. كفاية المفتي، للشيخ محمد كفايت الله الدهلوي (م:١٣٧٢)، ط: دار الإشاعة، كراتشي، باكستان.

ل

٤٩٧. لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي (م:٧١١)، ط: دار صادر، بيروت.

٤٩٨. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٩٩. اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد، لإبراهيم بن مصطفى الحلبي المذاري (م:١١٩٠)، ط: دار البصائر، القاهرة.

٥٠٠. لسان الميزان، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: إدارة تأليفات أشرفية، ملتان.

٥٠١. لامع الدراري على جامع البخاري، إفادات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (م:١٣٢٣)، التعليقات لمحمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي المهاجر المدني (م:١٤٠٢)، ط: ايج ايم سعيدكمبني، كراتشي.

٥٠٢. لطائف البال في الفروق بين الأهل والآل، لمحمد موسى الروحاني البازي (م:١٤١٩)، ط: إدارة التصنيف والأدب، لاهور، باكستان.

٥٠٣. لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، للرازي: فخر الدين محمد بن عمر (م:٦٠٦)، ط: مطبعة الشرفية، مصر.

٥٠٤. لسان الميزان، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٥٠٥. لباب الآداب، للثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (م:٨٦٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٠٦. لله ثم للتاريخ = كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، لحسين الموسوي.

٥٠٧. لقط المرجان في أحكام الجان، للسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (م:٩١١)، ط: مكتبة القرآن، مصر.

٥٠٨. اللباب في شرح الكتاب، للميداني: عبد الغني بن طالب الغنيمي الميداني الدمشقي (م:١٢٩٨)، ط: المكتبة العلمية، بيروت.

م

٥٠٩. المقاصد الحسنة، للسخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (م:٩٠٢)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥١٠. المنتقى من منهاج الاعتدال، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي

(م:٧٤٨)، ط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، الرياض.

٥١١. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ليحيى بن إبراهيم بن علي يحيى، ط: دار العاصمة، الرياض.

٥١٢. المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن موسى الملطي الحنفي (م:٨٠٣)، ط: عالم الكتب، بيروت.

٥١٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: مكتبة إمدادية، ملتان.

٥١٤. المغرب في ترتيب المعرب، لأبي المكارم الخوارزمي: أبو الفتح برهان الدين ناصر بن عبد السيد (م:٦١٠)، ط: إدارة دعوة الإسلام.

٥١٥. مختصر التحفة الاثني عشرية، للشاه عبد العزيز الدهلوي (م:١٢٣٩)، ونقل من الفارسية إلى العربية غلام محمد بن محيي الدين عمر الأسلمي، واختصره محمد شكري الآلوسي، ط: المطبعة السلفية، مصر.

٥١٦. المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (م:٥٠٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٥١٧. محاضرات الأدباء، للأصفهاني: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (م:٥٠٢)، ط: شركة دار الأرقم، بيروت.

٥١٨. معرفة السنن والآثار، للبيهقي: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، (م:٤٥٨) تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار الوفاء، القاهرة.

٥١٩. المستدرك على الصحيحين، للحاكم: محمد بن عبد الله (م:٤٠٥)، ط: دار ابن حزم، بيروت.

٥٢٠. مجمع الزوائد، لعلي بن أبي بكر نور الدين الهيثمي (م:٨٠٧)، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٢١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (م:٢٤١) بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢٢. المسند الجامع، لمحمود محمد خليل، ط: دار الجيل، الكويت.

٥٢٣. مسند الربيع، للربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي البصري الإباضي (م: بين ١٧١-١٨٠)، ط: مكتبة مسقط، عمان.

٥٢٤. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري (م:٤٥٤)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢٥. مسند الشافعي، ترتيب محمد عابد السندي (م:١٢٥٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢٦. مسند الشافعي، ترتيب سنجر بن عبد الله الجاولي (م:٧٤٥)، ط: شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.

٥٢٧. مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (م:٢١١)، ط: المجلس العلمي، الهند.

٥٢٨. المؤتلف والمختلف، للدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر البغدادي (م:٣٨٥)، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٥٢٩. المصنف لابن أبي شيبة = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (م:٢٣٥)، تحقيق: محمد عوامة، ط: المجلس العلمي، الهند.

٥٣٠. مرام الكلام في عقائد الإسلام، للفرهاروي: محمد عبد العزيز، ط: زمزم ببلشرز، كراتشي، باكستان.

٥٣١. منح الروض الأظهر شرح الفقه الأكبر، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٥٣٢. ميزان الاعتدال، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار الفكر العربي، بيروت.

٥٣٣. المغني في الضعفاء، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.

٥٣٤. معرفة علوم الحديث، للحاكم: محمد بن عبد الله (م:٤٠٥)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣٥. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (م:٥٠٥)، ط: الجفان والجابي، قبرص.

٥٣٦. المقالات السُّنية في كشف ضلالات أحمد بن تيمية، للشيخ عبد الله الهرري (م:١٤٢٩)، ط: شركة دار المشاريع، بيروت.

٥٣٧. المسند، للإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن العباس القرشي المكي، أبو عبد الله (م:٢٤٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣٨. مقالات الكوثري، لمحمد زاهدبن الحسن الكوثري (م:١٣٧١)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.

٥٣٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، لعبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات النسفي (:م٧٠١)، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٤٠. مختارالصحاح، للرازي: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي (م:٦٦٦)، ط: المكتبة العصرية، بيروت.

٥٤١. المعجم الكبير، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥٤٢. المعجم الأوسط، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠)، تحقيق: طارق بن عوض الله، ط: دار الحرمين، القاهرة.

٥٤٣. المعجم الصغير، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠)، ط: المكتب الإسلامي، بيروت.

٥٤٤. معجم السفر، لأبي طاهر السِّلفي: أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني (م:٥٧٦)، ط: المكتبة التجارية، المكة المكرمة.

٥٤٥. مسند الشاميين، للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني (م:٣٦٠)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٤٦. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي أبو يعلى الموصلي (م:٣٠٧)، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون، دمشق.

٥٤٧. مسند عبد بن حميد، لعبد بن حميد بن نصر، أبو محمد الكَشِّي (م:٢٤٩)، ط: مكتبة السنة، القاهرة.

٥٤٨. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م٨٥٢)، ط: دار العاصمة، السعودية.

٥٤٩. المجموع شرح المهذب، للنووي: يحيى بن شرف، أبو زكريا محيي الدين النووي (م:٦٧٦)، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٥٠. الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني (م:١٧٩) ، ط: دار إحياء التراث العربي.

٥٥١. موطأ محمد = موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني (م:١٨٩)، ط: قديمي كتب خانه، كراتشي.

٥٥٢. مناسك ملا علي القاري = المسلك المتَقَسِّط في المنسك المتوسط، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، ط: مؤسسة الريان، بيروت.

٥٥٣. مسائل في علم التوحيد، لوهبي سليمان غاوجي، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٥٥٤. المنازل والديار، لابن منقذ: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد الكناني الكلبي الشيرازي (م:٥٨٤).

٥٥٥. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم بن عمر البقاعي (م:٨٨٥)، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

٥٥٦. الملل والنحل، للشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (م:٥٤٨)، ط: دار ابن حزم، بيروت.

٥٥٧. معرفة الصحابة، لأبي نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (م:٤٣٠)، ط: دار الوطن، الرياض.

٥٥٨. مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥٩. معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله، شهاب الدين الحموي (م:٦٢٦)، ط: دار الفكر، بيروت.

٥٦٠. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار= تخريج أحاديث الإحياء، المطبوع بهامش الإحياء، للعراقي: عبد الرحيم بن الحسين أبو الفضل زين الدين (م:٨٠٦)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٥٦١. مجموعة رسائل ابن رجب، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب (م:٧٩٥)، ط: الفاروق الحديثية، القاهرة.

٥٦٢. مجموعة رسائل ابن عابدين: محمد أمين بن عابدين الشامي (م:١٢٥٢)، ط: سهيل اكيدمي، لاهور.

٥٦٣. مجموع رسائل السقاف، لحسن بن علي السقاف، ط: دارالإمام الرواس، بيروت.

٥٦٤. مجموع الفتاوى، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مجمع الملك فهد.

٥٦٥. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (م:٥٩٧)، ط: دار هجر، القاهرة.

٥٦٦. مناقب الإمام الاعظم أبي حنيفة، للإمامين الموفق بن أحمد المكي (م:٥٦٣)، ومحمد بن محمد المعروف بابن البزار الكردي (م:٨٢٧)، ط: مكتبة إسلامية، كوئته.

٥٦٧. المنهاج القويم، لابن حجر الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر، شهاب الدين أبو العباس (م:٩٧٤)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٦٩. مفاتيح العلوم، للخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله الخوازمي (م:٣٨٧)، ط: دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٧٠. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ط:٧٨٤)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٥٧١. معيد النعم ومبيد النقم، للسبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين، تاج الدين السبكي (م:٧٧١)، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة.

٥٧٢. موقف الأمة الإسلامية من القاديانية، لنخبة من علماء باكستان، ط: دار قتيبة، بيروت.

٥٧٣. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة الأموية –، لمحمد الخضري بك، ط: دار القلم، بيروت.

٥٧٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للدكتور مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

٥٧٥. معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (م:١٣٧٧)، ط: دار ابن القيم، الدمام.

٥٧٦. مختصر معارج القبول، لأبي عاصم هشام بن عبد القادر، ط: مكتبة الكوثر، الرياض.
٥٧٧. موسوعة الفرق والمذاهب والأديان المعاصرة، للشيخ ممدوح الحربي، ط: شركة ألفا للنشر والإنتاج الفني، مصر.
٥٧٨. المصنوع في معرفة الحديث الموضوع = الموضوعات الصغرى، لملا علي القاري: علي بن سلطان محمد الهروي (م:١٠١٤)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (م:١٤١٧)، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٥٧٩. المسامرة شرح المسايرة مع حاشية العلامة قاسم بن قطلوبغا، لكمال بن أبي شريف، ط: دار العلوم ديوبند، الهند.
٥٨٠. مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، للقحطاني: أبو محمد صالح بن محمد بن حسن، ط: دار الصميعي، الرياض.
٥٨١. معجم المناهي اللفظية، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله (م:١٤٢٩)، ط: دار العاصمة، الرياض.
٥٨٢. مجموعة رسائل في وحدة الوجود للتفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر (م:٧٩٣)، ولعلي القاري: أبو الحسن نور الدين سلطان بن علي القاري (م:١٠١٤)، مخطوط.
٥٨٣. مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: لجنة التراث العربي، بيروت.
٥٨٤. المصباح المنير، للفيومي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقري (م:٧٧٠)، ط: دار الحديث، مصر.
٥٨٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين أبو العباس الحراني (م:٧٢٨)، ط: مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٥٨٦. الموضوعات، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: دار الحديث، القاهرة.
٥٨٧. مُرُوْج الذَّهب ومعادن الجوهر، للمسعودي: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي (م:٣٤٦)، ط: دار الأندلس، بيروت.
٥٨٨. مشكل الآثار، للطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة، أبو جعفر الأزدي المصري،

المعروف بالطحاوي (م:٣٢١)، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٨٩. مختصر المعاني، لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (م:٧٩٣)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.
٥٩٠. مرآة الجِنَان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي، أبو محمد اليافعي (م:٧٦٨)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٩١. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزوييني الرازي (م:٣٩٥)، ط: دار الفكر، بيروت.
٥٩٢. المغازي، للواقدي: محمد بن عمر بن واقد، أبو عبد الله الواقدي (م:٢٠٧)، ط: عالم الكتب، بيروت.
٥٩٣. المواقف، لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي (م:٧٥٦)، ط: دار الجيل، بيروت.
٥٩٤. مقالات الإسلاميين، للأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري (م:٣٢٤)، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٩٥. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.
٥٩٦. مناقب الإمام أبو حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن، للذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي (م:٧٤٨)، ط: المكتبة الأزهرية، القاهرة.
٥٩٧. معجم ابن الأعرابي، لأحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد ابن الأعرابي البصري (م:٣٤٠)، ط: دار ابن الجوزي، السعودية.
٥٩٨. مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن الموصلي: محمد بن محمد بن عبد الكريم شمس الدين (م:٧٧٤)، ط: دار الحديث، القاهرة.
٥٩٩. مختصر تفسير ابن كثير، اختصار: محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم، بيروت.
٦٠٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (م:١٣٦٧)، ط: دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٦٠١. مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، لمحمد بن موسى، ابن النعمان الزركشي التلمساني (م:٦٨٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠٢. مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة، لعبد الفتاح أبي غدة (م:١٤١٧)، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

٦٠٣. مشكلات القرآن، لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري (م:١٣٥٣)، ط: إدارة القرآن، كراتشي.

٦٠٤. من هم أهل السنة والجماعة، للدكتور علي حامد علي الخليفة، ط: دار الإمام الرازي، القاهرة.

٦٠٥. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي (م:٣٥٤)، ط: دار الوعي، حلب.

٦٠٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي (م:٥٩٧)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٠٧. مصادر ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية، لعبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف.

٦٠٨. موسوعة الألباني في العقيدة، لمحمد ناصر الدين الألباني (م:١٤٢٠)، ط: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن.

٦٠٩. معارف السنن، لمحمد يوسف الحسيني البنوري (م:١٣٩٧)، ط: ايج ايم سعيد كمبني، كراتشي.

٦١٠. مفاهيم يجب أن تصحح، لمحمد بن علوي بن عباس المالكي المكي، ط: مطبعة المساحة، الخرطوم.

٦١١. مجموعة قوانين الإسلام، للدكتور تنزيل الرحمن، ط: إدارة تحقيقات إسلامي، اسلام آباد، باكستان.

٦١٢. مثنوي مولوي معنوي، للشيخ محى الدين جلال الدين البلخي الرومي (م:٦٧٢)، ط: دار الإشاعة، كوئته، باكستان.

٦١٣. المهندعلى المفند، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (م:١٣٤٦)، ط: المكتبة المدنية، لاهور، باكستان.

٦١٤. مكالمة بين المذاهب، إفادات الشيخ ولي خان مظفر، ط: المكتبة الفاروقية، كراتشي.
٦١٥. مقام حياة، للشيخ العلامة خالد محمود (م: ٢٠٢٠م)، ط: دارالمعارف، لاهور.
٦١٦. ملفوظات الكشميري، للشيخ محمد أنور شاه بن معظم شاه (م:١٣٥٣)، ط: ادراة تأليفات أشرفية، ملتان، باكستان.
٦١٧. معارف القرآن، للشيخ المفتى محمد شفيع بن مولانا محمد ياسين العثماني الديوبندي (م ١٣٩٦)، ط: إدارة المعارف، كراتشي، باكستان.
٦١٨. معارف القرآن، للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (م١٣٩٤)، ط: مكتبة المعارف، شهداد بور، سنده، باكستان.

ن

٦١٩. النكت والعيون = تفسير الماوردي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي (م: ٤٥٠)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٢٠. نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار، للعيني: بدر الدين محمود بن أحمد (م:٨٥٥)، التحقيق والتخريج: السيد أرشد المدني، ط: دار المنهاج، جدة.
٦٢١. النبوات، لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تقي الدين ابن تيمية الحراني (م:٧٢٨)، ط: دار ابن الجوزي، الدمام.
٦٢٢. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للتلمساني: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (م:١٠٤١)، ط: دار صادر، بيروت.
٦٢٣. نشر اللآلي، لشهاب الدين أحمد بن إبراهيم الدقدوسي (م:١١٣٣)، ط: دارالبيروتي، دمشق.
٦٢٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري (م:٦٠٦)، ط: دار الفكر، بيروت.
٦٢٥. نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي (م:٧٣٣)، ط: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
٦٢٦. نوادر الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي: محمد بن علي بن الحسن (م:نحو ٣٢٠)، ط: دار الجيل، بيروت.

٦٢٧. نظرة علمية في نسبة كتاب الإبانة جميعه إلى الإمام الجليل ناصر السنة أبي الحسن الأشعري، لوهبي سليمان غاوجي، ط: دار ابن حزم.

٦٢٨. النبراس شرح شرح العقائد، لمحمد عبد العزيز الفَرهاري (م:١٢٣٩)، ط: مكتبة إمدادية، ملتان، باكستان.

٦٢٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (م:٨٧٤)، ط: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٦٣٠. النجوم السارية في تأويل حديث الجارية، لجميل حليم الحسيني، ط: شركة دار المشاريع، بيروت.

٦٣١. نصب الرأية لأحاديث الهداية، للزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (م:٧٦٢)، ط: مؤسسة الريان، بيروت.

٦٣٢. النتف في الفتاوى، لأبي الحسن علي بن الحسين السغدي (م:٤٦١)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٣٣. نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة، للكوثري: محمد زاهد (م:١٣٧١)، ط: دار الجيل، القاهرة.

٦٣٤. النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م:٨٥٢)، ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٦٣٥. نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد مع ذكر أدلة الفريقين، للشيخ زاده: عبد الرحيم بن علي بن المؤيد الأماسي (م:٩٤٤)، ط: المطبعة الأدبية، القاهرة.

٦٣٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للكتاني: أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني (م:١٣٤٥)، ط: دار الكتب السلفية، مصر.

٦٣٧. نور الأنوار، لملا جيون: أحمد بن أبي سعيد (م:١١٣٠)، ط: ايج ايم سعيد، كراتشي، باكستان.

٦٣٨. *نقش دوام* (الأثر الدائم) حياة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، للشيخ أنظر شاه

الكشميري (م:٢٠٠٨م)، ط: المكتبة البنورية، كراتشي، باكستان.

و

٦٣٩. الوافي بالوفيات، للصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (م:٧٦٤)، ط: دار إحياء التراث، بيروت.

٦٤٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن إبراهيم، ابن خلكان البرمكي الإربلي (م:٦٨١)، ط: دار صادر، بيروت.

٦٤١. وجه دين، لناصرخسرو قباديان، ط: مركز تحقيقات رايانه اى قائمية، أصفهان.

هـ

٦٤٢. الهداية، لعلي بن أبي بكر، برهان الدين الفرغاني المرغيناني (م:٥٩٣)، ط: مكتبة شركة علمية، ملتان، باكستان.

٦٤٣. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، لأبي محمد مكي بن أبي طالب الأندلسي القرطبي (م:٤٣٧)، ط: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

٦٤٤. هَدْيُ الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (م٨٥٢)، ط: دار المعرفة، بيروت.

٦٤٥. الهدية العلائية، لمحمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين الدمشقي الحنفي (م:١٣٠٦)، ط: دار ابن حزم، بيروت.

٦٤٦. هداية القاري إلى صحيح البخاري، للشيخ محمد فريد بن حبيب الله بن أمان الله (م:١٤٣٢)، ط: مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة.

٦٤٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب (م:٧٥١)، ط: دار القلم، السعودية.

٦٤٨. هندوستاني قديم مذاهب (المذاهب الهندية القديمة)، للشيخ أبو الحسن زيد الفاروقي، ط: أبو الخير اكيدمي، دهلي، الهند.

٦٤٩. هدايات الشيعة، للشيخ خليل أحمد السهارنفوري (م:١٣٤٦)، ط: المكتبة المدنية، لاهور، باكستان.

٦٥٠.

ي

٦٥١. اليوم الآخر، للدكتور عمر سليمان الأشقر، ط: مكتبة الفلاح، الكويت.

٦٥٢. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للشعراني: أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي (م:٩٧٣)، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٥٣. اليواقيت الغالية في تحقيق وتخريج الأحاديث العالية، للشيخ محمد يونس جونفوري، ناشر: مجلس دعوة الحق، إنكلترا.

فهرس الموضوعات

